

تفسير النبي

**Author :** *Al-Shaykh Houssamuddin Ali ben Abdullah  
Al-Bedlisi Al-Hanafi Al-Sufi  
(D. Around 900 H.)*

**المؤلف :** الشيخ حسام الدين علي بن عبد الله  
البديسي الحنفي الصوفي  
(ت حوالي سنة ٩٠٠ هـ)

**Editor :** *Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali*

**المحقق :** الدكتور عاصم إبراهيم الكيالبي

**Classification :** *Exegesis Of Qur'an - Sufism*

**التصنيف :** تفسير قرآن - تصوف

**Year :** 1441 H. - 2020 A.D

**سنة الطباعة :** ١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

**Pages :** 4072 (5 Vols. / 5 Pasrts)

**عدد الصفحات :** ٤٠٧٢ (٥ أجزاء / ٥ مجلدات)

**Size :** 17 × 24 cm

**القياس :** ٢٤ × ١٧ cm

**Printed in :** Lebanon

**بلد الطباعة :** لبنان

**Edition :** First edition

**الطبعة :** الأولى

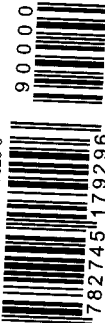
**All Rights Reserved**



Exclusive rights by © BOOKS-PUBLISHER  
Beirut - Lebanon No Part of this publication may be  
translated, reproduced, distributed in any form or by  
any means, or stored in a data base or retrieval  
system, or to post it on Internet in any form without  
the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © BOOKS-PUBLISHER  
Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou  
reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, ou  
téléchargement sur internet de quelque manière que se soit faite  
sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et  
exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة **كتاب - ناشر**  
بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تضخيم  
الكتاب كاملاً أو مجزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله  
على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية أو تحميله على  
صفحات الإنترنت بأي شكل من الأشكال إلا بموافقة الناشر خطياً.



**Mazaa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,  
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon**  
**Tel : +961 76 944 855 - P.O.Box: 11- 374 Riyad Al-Soloh**  
**E-mail: books.publisher@hotmail.com**

# تفسير البديلي

تفسير إشاري صوفي شارح لمقامات الدين الثلاث:  
الإسلام والأيمان والإحسان - الشريعة والطريقة والحقيقة

تأليف

العارف بالله تعالى الشيخ

حسام الدين علي بن عبد الله البديلي الحنفي الصوفي

المتوفى حوالي سنة 900 هجرية

اعتنى به وضمّطه

الشيخ الدكتور عصام إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقي

الجزء الخامس

المحتوى

من سورة الصافات - حتى سورة الناس



BOOKS - PUBLISHER

Beirut - Lebanon | بيروت - لبنان | كتاب - ناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعلَ الحقائق الإلهية والماهيات الكونية في مشاهدات تجلياته الذاتية وشهود ظهوراته الأولية صافات ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي قدر المودة الذاتية والمحبة الأصلية الأولية والمناسبات الأزلية بينها وبين الأعيان الروحية حتى تعارفوا به وتعاطفوا معها وتلاطفوا بعضهم ببعض، ومال كل منها إلى الآخر، وظلَّ بها الأول متصلًا بالآخر صفوفًا وأشخاصًا وصورًا وأفرادًا في المرتبة الثانية في عالم الأمر والأرواح صافات، وفي المرتبة الثالثة في عالم البرزخ حافات قال النبي ﷺ: «الأرواح جنود مجندة إذا تعارفوا منها اتلقتوا وإذا تناكروا منها اختلفوا»، ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي جعلَ تلك المناسبة ذريعةً لاتصال بعضها ببعض ووسيلةً لإظهار أحكام أنوار النبوة وأعلام أسرار الولاية من النفوس الكاملة الكلية متصلة إلى النفوس الناطقة الناقصة الجزئية كأداةٍ حسب ما تقتضيه الأدوار النورية الصريحة وتامات حيث ما ترتضيه الأكوام الظلية المضمورية متعادلة، مقتضيات أعيان الأدوار بمرتضيات الأكوام تبعًا وضمنًا في الأدوار الإفرادية ومتكافية في الجمعية وجمعية الجمعية.

## ﴿وَالصَّفَاتِ صَفًا﴾

﴿وَالصَّفَاتِ صَفًا﴾ [الصَّافَاتِ: 1] أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الأملاك ومدبرات الأفلاك ومدبرات السماوات حال كونهم صافات إما في السماوات

والأفلاك لأداء العباداتِ واقتضاء الطاعاتِ كما أخبر الله عنهم ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (165) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمَسِيحُونَ﴾ (166) [الصافات: 165 - 166] وقيل لأنهم يضعون أجنحتها في الهواء ويقفون منتظرين في وصول الأمر إليهم ويحتمل العيان، يقال معنى كونهم إن لكل واحد مرتبة معينة ودرجة بينة في الشرف والفضيلة أو في الذات والغلبة وتلك الدرجات المرتبة باقية غير متغيرة.

### ﴿فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا﴾ (2)

﴿فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا﴾ [الصافات: 2] أي النهايات نهياً يقال: زجرت فلاناً عن السوء إذا نهيته فانهتهى، قال ابن عباس: يريد إن الملائكة الذين وكلوا بالسحاب يزجرونها بمعنى أنهم يتعرفونها من موضع إلى موضع، أو لأن الملائكة لهم تأثيرات في قلوب بني آدم على سبيل الإمام والخطاب والإعلام والإلقاء والأعوام، فهم يزجرونهم عن المعاصي والسيئات، ويأخذونهم ويحدثونهم إلى الحسنات بالنواصي، وأيضاً للملائكة أن يزجروا نفوس بني آدم عن التعريض إلى الهيئات ويطردها الشياطين عن الاشتغال بإغوائهم وإغرائهم بالضلالة والإضلال. واعلم أن الموجودات على أربعة أقسام: مؤثر على الإطلاق وهو الباري تعالى، وموجود متأثر على الإطلاق وهو الأجرام والأجسام، وموجود مؤثر من وجه ومتأثر من وجه، فمن جميع من هذه الموجودات وهو الإنسان، إما تأثره من جميع الموجودات فظاهر وإما تأثيره في الله فلقوله عليه السلام: «رب أستعين» «أقسم على الله» ارغبوا في الدعاء أهل التصوف وأصحاب الجوع والعطش، فإن الله ينظر إليهم ويسرع في إجابتهم.

### ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ (3)

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: 3] صفة أخرى للملائكة باعتبار تنزيل الكتب السماوية وتلاوتهم إياها وإنزالهم وقيل: الصافات هي الطيور لقوله: ﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتِ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور: 41] والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله ومنهياته زجراً تاماً شديداً عاماً، والتاليات كل من تلا كتاب الله، ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء العاملة، والصافات أقدامهم في التهجد وسائر الصلوات المفروضة التي يودونها صفواً صفواً، فالزاجرات بالمواعظة والنصائح، فالتاليات لآيات

وإرهاصات معالم الدين في مدارس أهل الله في مراتب كمال الإيمان وقوة اليقين أو بنفوس صعاليك الجهاد في سبيل الله، الذين يصفون صفًا ويزجرون زجرًا، الخيول ليحرزوا قصبات السبق في مضمار التوفيق ويتلون ذكر الله وكلامه .

﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾﴾

﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ﴾ [الصافات: 4 - 5] خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف وهو هو ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ [الصافات: 5] بعضها مثالية من مطلع الاعتدال إلى نقطة الشمال، وبعضها جنوبية وهي منها إلى نقطة الجنوب، وهي نصف الدور وهو مائة وثمانون درجة، كل منها مشرق، ومقابلتها في النصف في الآخر هي مغارب بعضها شرقية وبعضها غربية، وذلك بحسب اختلاف عروض البلدان والآفاق والأقاليم، فإنَّ عرض البلد إذا كان مساويًا له الميل الكلي وهو هو، فإذا بلغت الشمس إلى نقطة الشمال تماس الأفق ولا يغرب في هذا اليوم، وذلك إذا حلت في نقطة الانقلاب الصيفي على مدار رأس السرطان الذي تماس أفق هذا البلد، فحينئذ يكون تمام هذا القوس مشارق ومطالع، وكذا النصف الآخر يكون مغارب، وذلك لأن منطقة البروج في أفق هذا البلد والعرض ينطبق على الأفق والعرض، فإذا حلت الشمس في مدار رأس السرطان تماس الأفق في هذا العرض ولا يغرب في هذا اليوم، ويكون أطول نهار هذا العرض يومًا وليلةً أربعًا وعشرين ساعة، فإذا رجعت الشمس وتجاوزت عن مدار رأس السرطان الذي هو أبدى الظهور في هذا البلد إلى المدارات التي هي ثلاثة يحصل لها طلوع وغروب وينتقص النهار ويزداد الليل شيئًا فشيئًا إلى أن بلغت الشمس إلى معدل النهار فحينئذ استوى النهار والليل في هذا البلد، وإذا تجاوزت إلى النصف الجنوبي من المعدل انتقص النهار وازداد الليل إلى أن وصلت إلى نقطة الانقلاب الشتوي وحلت في مدار رأس الجدي، الذي بدائرة الخفاء في هذا تماس الأفق من تحت ولا تطلع في هذا البلد فيكون ذلك اليوم بليته ليلاً ويكون هذا الليل في هذا العرض أطول الليالي أربعًا وعشرين ساعة، وإذا تجاوزت عن مدة النقطة حصل لأهل البلد النهار ويزداد النهار وينتقص الليل قياسًا على ما علمت في ذلك النصف ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحديد: 6].

فحينئذ يشكل أمر الصلاة في هذا البلد وهو سفليين وبلغا فيه الإسلام والمسلمون، وفي هذين اليومين اتحد المشرق والمغرب، فإذا ازداد العرض على تمام الميل الكلي وبلغ سبعين وكان أطول النهار، وهذا العرض والموضع أزيد من أربع وعشرين ويصير يومين أو ثلاثة أو أربعة إلى أن بلغ العرض إلى تسعين درجة فحينئذ ينطبق دائرة معدل النهار على الأفق واتحد قطبهما فحينئذ يكون نصف منطقة البروج الشمالي ظاهرة أبداً والنصف الآخر خفية أبداً فإذا كانت الشمس على النصف الظاهر لا يغرب وإذا وصلت إلى النصف الخفي لا تطلع ما دام على هذا النصف، فإذا السنة في هذا العرض يوم وليلة السنة نصف النهار والنصف الآخر ليل، أعني ستة أشهر نهار، وستة أشهر ليل، ويكون تمام الأفق إذا وصلت الشمس في نقطة الاعتدال الربيعي مطالع ومشارك لأنه في هذه الحالة تماس منطقة البروج الأفق ولا تطلع وهي نقطة الاعتدال الخريفي أعني الميزان يكون الأفق مغارب لأنها تماس هذا الأفق من تحت ولا يخفى جزمها بل يدور تحت الأفق إلى أن يخفى تحت الأفق بالكلية هذا في طور الآفاق.

وأما في طور النفس فاعلم أن شمس الحقيقة الإنسانية، وهي التجلي الذاتي المنظوية على نهار التجليات النورية الجمالية، وعلى الميل إلى التجليات الظلية الجلالية بما تنزلت من سماء الأحدية الذاتية التي هي نهاية التجليات العدمية الجلالية إلى خط استواء الأحدية مستوى نهار التجلي النوري الجمالي الوجودي ودليل التجلي الظلي الجلال العدمي، فلما تنزلت على قوس نهار نصف شمال التجليات النورية الجمالية ازداد نهار التجليات النورية الجمالية انتقص ليل التجلي الظلي الجلال إلى أن وصلت إلى نقطة تقاطع دائرة معدل نهار الجمال بدائرة منطقة بروج ليل الجلال في مرتبة البرزخ وعالم الخيال المطلق والمثال المحقق فحينئذ يستوي نهار الجمال والجلال.

وإذا تجاوز عن هذه النقطة والمرتبة إلى جانب شمال الظهورات الجسمانية والمرتبة ازداد نهار التجلي الجمالي على أفق التجلي الجلال فحينئذ انبسط نهار التجلي النور الجمالي على جهات المراتب الأشهر الست وصارت كلها نهاراً، وذلك عند بلوغ سير شمس حقيقة السالك إلى الطور السري الذي هو مطلع شمس التجليات ومنتهى علم اليقين ومبدأ عين اليقين، وإذا انتهى السير إلى طور



غيب الغيوب أخذ السير من ظاهر التجلي النوري الجمالي إلى باطن التجلي الوجودي وهو التجلي العدمي، وازداد ليل التجلي العدمي الجلالي إلى أن وصلت إلى نقطة تقاطع معدل نهار التجلي النوري ومنطقة البروج ليل التجلي الظلي في عالم البرزخ فحينئذ اعتدل نهار التجلي النوري وتساوى ليل التجلي الظلي وإذا تجاوزت منها إلى جانب غيب عالم الأمر وجيب الملكوت وباطن الجبروت إلى أن وصلت إلى نقطة جنوب الهوية الذاتية فحينئذ استوى التجلي العدمي الجلالي وحصل ليله في جميع مراتب الجهات الست وحصل الفناء الكلي في غيب الغيوب وحصل نهار وليل للسالك الفاني والباقي.

﴿ إِنَّا زَيْنًا أَسْمَاءَ الدُّنْيَا زَيْنَةَ الْكَوَكِبِ ﴿٦﴾ وَحَفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ ﴾

﴿ إِنَّا زَيْنًا أَسْمَاءَ الدُّنْيَا زَيْنَةَ الْكَوَكِبِ ﴿٦﴾ وَحَفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ ﴾  
[الصافات: 6 - 7] المراد من السماء الدنيا هي القرى لأنها أقرب السماوات إلينا، والكواكب هي الأجرام المشهورة بعضها ثابتة بأن تكون حركاتها بطيئة تتحرك في كلماته سنة درجة على رأى، أو سبعين أو ستة وستين على رأى آخر، وذهب أكثر الفلاسفة إلى أن الثابتات كلها في الفلك الثامن بناء على أن بعض الثابتات التي على منطقة البروج تنكسف بالكواكب السبعة السيارة، والمنكسف فوق الكاسيف وذلك بين، فإذا لا بد وأن الثوابت كلها في فلك واحد فوق أفلاك السيارات.

أقول: فيه بحث لأن حديث الكسف والانكساف إنما يتم في الكواكب التي تكون على منطقة البروج والسيارات التي في ممرها، وأما التي هي بعيدة عن منطقة البروج ولا تقع السيارات متحازمة ومتسامتة لها أفلا يجري هذا الاستدلال فيها، فيجوز أن يكون بعضها تحت السيارات في فلك تكون منطقتة في منطقة البروج كالمماثلات السبعة، وأيضاً ليس بواجب أن تكون جميع الثوابت في فلك واحد، بل يجوز أن تكون على كرات وأفلاك غير متناهية بأن تكون لكل كوكب فلك تتطابق مناطقها ومراكزها ومجاوزها وتتسامت أقطابها وتساوت حركاتها فحينئذ يرى حركة واحدة هذا في بعض الكواكب التي على منطقة البروج وتكون مرصودة، وأما الكواكب الخارجة عن منطقة البروج وليست مرصودة فأحوالها غير معلومة، ويجوز أن يكون الأخلاق الذي وجدوه في حركات الثوابت بأن

قالوا: تحركت وقطعت درجة واحدة في مائة سنةٍ أو سبعينَ أو ستة وستين سنة يكون مبيناً على اختلاف أفلاكها، وبالجملة إن أقوال الفلاسفة في هذا المقام مضطربة لا يسمن ولا يغني من جوع فلنرجع إلى ما كنا بصدهه.

واعلم أن ظاهرَ هذه الآية لا تدل على أن هذه الكواكب مركوزة في سماء الدنيا، فكيف تكون مزيّنة لها، لأنّ السماوات كلها شفافة لا يتقبل النور أقول: إنّ سماء الدنيا وإن كانت شفافة إلا أنها لما كان وراءها جسمٌ كثيف مظلم بالنسبة إليها وهي كرة النار فإنها وإن كانت لطيفة شفافة بالنسبة إلى باقي العناصر إلا إنها بالنظر إلى أجرام السماوات ثقيلة كثيفة مظلمة، فحينئذٍ ينعكس منها إليها صور الكواكب كالانعكاس في المرآة، فإنّ ظهورها أو تحتها مظلم كمرآة ذات وجهين، فإن تحتها مظلم ينطبع فيها صور المحسوسات، أو نقول يجوز أن يكون بين سماء الدنيا وهي فلك القمر وبين كرة النار كرة أخرى ويكون أظلم من النار ككرة البخار شرطاً للانطباع، وتكون زرقة السماوات وألوان الكواكب وظهور الصبح الشتوي وغيره يكون بالنسبة إلى هذه الكرة.

وكذا الصبح والشفق إنما هو بالنظر إلى هذه الكرة لا بالنسبة إلى كرة الفجر والتي هي طبقة من طبقات الهواء وتكون زرقة السماوات والصبح والشفق وألوان الكواكب بالنسبة إلى هذه الكرة، لتكون الزينة بالنظر إلى هذه الكرة على ما ذهبت إليه، وهذا بما يثبت إذا قام الدليل على إبطال الاحتمال السابق ولم يبق على إبطال الاحتمال السابق، ولم يبق بعد قوله بزينة الكواكب أي زينة هي الكواكب، فالإضافة بيانية وهي مصدر كنسبة اسم لا يزال به الشيء كالتبعية اسم يلاق به الدواة، فعلى هذا الإضافة بيانية ويجوز أن تكون إضافتها إلى الفاعل أي ذاتها الكواكب بمعنى اللام أي ترتيب الكواكب، أو إلى المفعول والمزين هو الله، وإن كانت احتمالاً للإضافة وجهان: أحدهما: بيانية إذ الزينة مبهمة تتناول الكواكب وغيرها، فإذا ذكرت الكواكب زال الإبهام وحال المرام، والثاني: أن يراد بها ما زينت الكواكب والضوء أو أشكالها المختلفة بالصغر والعظم والوضع بالقرب والبعد والاجتماع والمقارنة والمقابلة والتسديد والتثليث والتربيع كشكل الشريا والجوزاء والعقرب وغير ذلك.

﴿وَحَفَظًا﴾ أي حفظ السماوات ﴿مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ [الصّافات: 7] خارج عن

طاعة الله برمي الشهب قال المفسرون: إن أقوام الشياطين كانوا يصعدون إلى قرب السماء ليسمعوا كلام الملائكة وعرفوا به ما سيكون من الحوادث والغيوب، وكانوا يخبرون بها ضعفاءهم ويوهمونهم أنهم يعلمون الغيب، فمنعهم الله من الصعود والقرب إلى السماء بهذه الشهب، وحفظ السماء منهم ومن تقريبهم إنما يكون برجمهم وبإبعادهم بحدوث الشهب، أو رجمهم أو تبعيدهم إنما يظهر بصورة الشهب، فصورة طردهم ونفيهم عن السماوات قد تكون دفعياً سريعاً كالشهب وقد تكون تدريجياً كالنيازك وذوات الأذنان والذوايب، والكل يكون دالاً على حوادث عظيمة ووقائع جسيمة، ولا ينافي ما قالت الحكماء من إنها متكونة من نجارات متراكمة ودخانات متكاثفة، وقد وصلت إلى طبقة الهواء المستخرجة المتصلة بكرة النار واشتعلت، فإن انطفت سريعاً فهي الشهب، وإن تفتت وامتدت فهي النيزك ونظيرها، فالمؤثر والفاعل في الكل هو الله، فيجعل كلا منهما رجماً وطرذاً للشياطين ودليلاً على حدوث أمور أخرى معه أن كلما قال الحكيم والفلاسفة في سبب حدوث حادثات جو السما كالرعد والبرق والصواعق والقوس القزح والهالة والشهب ونظائرها أمور إقناعية لا برهانية، فلا يشفي عيلاً والذي هو المعول عليه هو ما قاله الشارع، فنظر الحكيم مقصور على القائل هنا، ونظر الشارع على القائل والفاعل ووحى يفيد اليقين.

﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾

﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ من باب التفعّل صلة تسمع أدغمت التاء في السين فأصبح الهمزة المكسورة لتعذر الابتداء بالسكون وهو طلب السماع بطريق المبالغة يعني أن الشياطين المردة لا يستطيعون لأن يعرجوا إلى الملائكة الأعلى ليسمعوا الكلام من الملائكة أو الملائكة كما ورد في الحديث «أن الملائكة أو الملائكة» كما ورد في الحديث أن الملائكة ليطلبونه كما تطلبونه أنتم، أو المراد من الملائكة الأعلى المرتبة العالية التي ملئت من الملائكة العالية الشريفة، ومن الاستماع الإصغاء بقرينة إلى، لأن الاستماع والسمع لا يستعمل بالي إلا إذا كان بمعنى الإصغاء، ويقابلها الملائكة الأسفل أي الجن والإنس ومرتبتهما لأنهما سكان الأرض، أو المراد من الملائكة الأعلى الأعيان الكائنة في الأدوار النورية الجمالية، ومن الأسفل الأعيان الجلالية وأشرف الملائكة وأعلاها، ومقابلتها ﴿إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: 8].

### ﴿دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِْبٌ﴾

﴿دُحُورًا﴾ [الصَّافَات: 9] أي لو قصدوا المملأ الأعلى ليطردونَ ويطرحون من جميع جوانب السماء، أي من أي جهةٍ صعَدوا للاستراق، دحورًا مفعول له أي الوجود المطرد، أو بمعنى مفعول منصوب على الحالية، ولأنَّ القذف والطرْدَ متقاربان في المعنى فيكون مفعولًا مطلقًا أي يدحرونَ دحورًا أو قذفًا ورميًا ﴿وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِْبٌ﴾ [الصَّافَات: 9] دائم ولازم، أو شديد وهو عذاب الآخرة.

### ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ وعلى أخذ الشيء بسرعة، وأصل اختطفه من في محل الرفع بدل من فاعل يسمعون، أي لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي خطف الخطفة، أي اختلس الكلمة على وجه المسارعة ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصَّافَات: 10] نافذ من غير أن يقف إلى أن ينطفئ والشهاب ضوء مستطيل في الجو منطفئ سريعًا، يقال إنه كوكب ساقط وقد مر بيانه آنفًا.

### ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾

﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ﴾ استخبرهم واطلب منهم الفتوى والعلم والخبرة والضمير المنصوب لمشركي مكة أو لبني آدم ﴿أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ أي أكثر وأقوى خلقًا وتكوينًا للملائكة والسموات والأرض وما بينهما من كائناتِ الجو من الرعدِ والبرقِ والسحاب والمطر والثلج والشهب والنيازك وغير ذلك ﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ [الصَّافَات: 11] أي أم الذي خلقناه وهو من جملة الخلائقِ أي الأصنام والأوثان التي يعبدونها، ويقطع به قراءة من قرأ أم عددناه يعني لما ثبت بالدلائل القطعية والبراهين العقلية إنه تعالى خالق السماوات والأرض وما بينهما وحده بلا مشاركة لغيره لا من المخلوقات ولا من غيره، فاستفتت يا محمد هؤلاء المشركين وقل لهم أنتم أشد خلقًا لهم أي لهذه الأشياء التي خلقها الله وتعبدونها، فإن قيل: لما ثبت أن الكلَّ بخلق الله وهم مقرون به ومعترفون بما الفائدة في هذا القول، أوجب بأن الإنسان لما كان مخلوقًا من أشياء مختلفة وأمور متباينة أخلف حاله وتباين مآله سيما حال قلبه فإنه انقلب حاله، سمي بهذا الاسم، فإن تصديقه

واعترافه بتوحيد صانعه وتفريد ربه وخالفه لا يثبت عملاً قطعاً بحيث لا يرتاب فيه أصلاً، مع أن الشيطان آناً فآناً يوسوس له ويبدله ويصرف فيه إلى ما تفتضيه الشيطنة، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَخَّى أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَيْتِيَّهُ﴾ [الحج: 52]، وقوله عليه السلام: «إن قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء».

﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِيَّ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: 53] فإذا أراد الله أن يخبر عن حال الإنسان، وإن وظيفة العاقل إنه لا بد وأن يغفل عن الله وذكره، وأن يكون في توجهه إلى الله وفي ذكره محترماً أو مستعيذاً بالله عن الإلقاء الشيطاني ووسوسته ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصافات: 11] ممتزج ضعيف استئناف إما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة وبعدم التعويل والاعتداد بحالهم لعدم ثباتهم إذ أصلهم لا ثبات فيه ولا صلابة ولا اشتداد، وهو الطين، أو احتجاج عليهم بأن الطين الذي أصله التراب وهو مادة وجودهم فكيف يمكن إنكاره حيث قال: إذا كنا تراباً.

### ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾

﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ أنت يا محمد حال كمال تيقنك وتثبتك بأن الله تعالى خالق الكل، فإذا تأملت في عجائب صنعه وآثار أنوار قدرته ووفور علمه وحكمته عجبت ووقعت في العجب والحيرة في غرائب مصنوعاته وعجائب مبدوعاته ومبدعاته عطف على المقدر للترقي والحال في هذه الحالة، هم أي المشركون ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات: 12] منك ومن تعجبك وبما يريهم من آثار قدرة الله وأنوار حكمته، وذلك لتوغلهم في الضلالة وكما بعدهم عن الهداية والإدراك والدراية، أو عجبت من إنكارهم البعث، وذلك أن من له أدنى مسحة وعقل ودراية وعلم أن العالم وما فيه مخلوق، وأن الإنسان من جملته، وإن مادة المخلوق وقابليته أمر ثابت، كما أن قادية الأنوار وفاعلية الفاعل أمر ثابت وشيء لازم ثابت غير زائل عنه، فليس هذا محل التعجب بل محله هو الإبداع والتكوين الأول الذي هو الخلق بلا مادة ولا مدة.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الصَّافَات: 13] أي إذا وعظوا الشيء من الله وذكر عليهم من عجائب قدرته وغرائب صنعه وصنعته لا يتعظون ولا يقبلون النصيحة والموعظة، ولا يدركون الحكمة ومساثلها ولا أحكام الشريعة ودلائلها: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: 269] وهم بعيدين عن الحكمة فكيف عن دقائقها وأسرارها وأنوارها وخصائصها.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ واضحة وعلامة لائحة دالة على كمال قدرته وتمام اعتنائه وإرادته كانشقاق القمر ورمي الحصباء والتراب على وجوههم، وكغلبة يوم معركة بدر بكمال ضعفهم حيث غلبوا على المشركين مع وفور قوتهم وكثرة شوكتهم وغير ذلك ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [الصَّافَات: 14] ويستخفون وببالغون في الاستخفاف والسخرية، أو يطلبون بعضهم من بعض أن ينسبوه إلى السخرية.

﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَقَالُوا إِن هَذَا﴾ أي الأمر يظهر على محمد ﴿إِلَّا سِحْرٌ﴾ أي أمر يخيل ويوقع في النفس أمراً مخيلاً متعجب من النفوس السخيفة والأفهام والخيول الكثيفة والأوهام الضعيفة ﴿مُبِينٌ﴾ [الصَّافَات: 15] ظاهر كونه سحراً.

﴿أَهَذَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَابًا وَعَظْمًا أَهَذَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَهَذَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَابًا وَعَظْمًا﴾ بالية وأجزاء عن الروح خالية ﴿أَهَذَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الصَّافَات: 16] ومحشورون ومجموعون في الموقف المعهود والقضاء الممدود.

﴿أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الصَّافَات: 17] عطف على أن واسمها أو على الضمير في مبعوثون فإنه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد ولبعد زمانهم.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد في جواب سؤالهم وإنكارهم البعث ﴿نَعَمْ﴾ [الصَّافَات: 18]

بل والله قادر على البعث كما كان قادراً على الخلق والتكوين مع إنه كان بلا مادة ومدة وأنموذجه ﴿وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ﴾ [الصافات: 18] صاغرون، وإنما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل عن جدارة، قرئ الله والرسول.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (١٩)

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ جواب سؤال مقدر، أي إذا كان ووجب ويثبت الحشر فما البعث والآخرة، وصيحة واحدة وهي النفحة الثانية مأخوذ من قولك زجر الراعي الإبل والغنم إذا صاح عليها ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الصافات: 19] أي قياماً من مراقدهم أي قاموا حال الصيحة وهم أحياء يبصرون أو ينتظرون ثمرات أشجار الأعمال وبركات أزهار الأقوال والأحوال.

﴿وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٢٠)

﴿وَقَالُوا يَوَيْلَنَا﴾ هذا اليوم الذي نجازى فيه هو يوم الدين والجزاء يدانون فيه بالأعمال والأفعال والأحوال والأقوال، قال النبي ﷺ: «إنما هي أعمالكم ترد عليكم» ﴿هَذَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الصافات: 20].

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٢١)

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ أي يوم يفصل بين المرء وعمله، أو بين الخلاق ﴿الَّذِي﴾ وبين الظالم والمظلوم وبين العالم والمعلم والمعلوم ﴿كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات: 21] جواب الملائكة أو من كلام بعضهم لبعض والفصل هو الحكم والقضاء بها، والفرق بين الهدى والضلالة.

﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢)

﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بعضهم على بعض في الدنيا أو على نفوسهم بأنواع الفسوق والكفر ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ ما ازدوجوا واجتمعوا معه من أنواع المعبودات والمهديات من الازدواج والأصنام والكواكب والأوثان وغير ذلك عن النبي ﷺ، وهم نظراؤهم وأشباههم من العصاة أهل الزنا مع أهل الزنا، وأهل السرقة مع أهل السرقة، وقيل: قرناهم مع الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الصافات: 22] إياه في الدنيا.

﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ (٢٣)

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الملائكة والكواكب والأشجار والنار والأزهار والحيوانات، والعجم والإنسان وغير ذلك ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: 23] وأعلموهم وعرفوهم، وألهموا إليها ليسلكوا طريقها.

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ (٢٤)

﴿وَقِفُوهُمْ﴾ في الموقف الأول ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: 24] وذلك لأنهم مسؤولون عن إجزائهم ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36] عن العقائد والأعمال والأفعال والأحوال والأقوال والواو لا توجب الترتيب، وإن أفاد الجمع ما لكم يا معشر الشرك والإشراك.

﴿ مَا لَكُمْ لَا نَنصَرُونَ ﴾ (٢٥)

﴿مَا لَكُمْ لَا نَنصَرُونَ﴾ [الصافات: 25] وتتعاذون، ولا يكون بعضكم ظهيرا ولا ناصرا أو نصيرا كما كنتم في الدنيا بعضكم معينا لبعض في الاستخلاص عن العذاب وفي النجاة عن العقاب.

﴿ بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ (٢٦)

﴿بَلْ هُمْ آيَوْمَ﴾ الذي هو يوم الدين ﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الصافات: 26] منقادون فيه لعجزهم وانسداد باب الحيل عليهم أصله طلب السلامة.

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَلَسَاءُونَ ﴾ (٢٧)

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ من السفلة والأداني ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾ على بعض من الرؤساء والأعالي ﴿يَلَسَاءُونَ﴾ [الصافات: 27] يسأل بعضهم بعضا، والسؤال يتعين من جانب بل التوبيخ والتعبير، ولذا فسر يتخاضمون.

﴿ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ (٢٨)

﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ [الصافات: 28] أي عن الوجوه وأحسنها، وكناية عن البعادات ووفور الخيرات، فإن العرب يتشاءمون بالشمال ويتيمينون باليمين، ولذا سموها الشوماء كما سموا أختها باليمين، وسموا بالمبارح وتطيروا



بالبارح، وكان الأعرس معيناً عندهم وعضدت الشريعة ذلك فأمرت بأفاضل الأمور باليمين وأرادلها بالشمال، وكان رسول الله ﷺ يحب اليمين في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات، والشمال لكاتب السيئات، ووعده المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه والمسيء بشماله، فاستعيرت اليمين هنا للقوة والقهر لأن اليمين توصفه بالقوة، وبها يقطع البطش، والمعنى أنكم كنتم تأتوننا عن القوة والقهر وتبعدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه، وهذا من خطاب الأتباع لرؤسائهم.

﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٩)

﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الصفات: 29] هذا جواب عن الرؤساء للأتباع، يعني إنكم ما كنتم متصفيين بالإيمان حتى يقال إنا أنزلناكم وقسرناكم عنه ومنعناكم منه إلى الكفر والضلال.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ (٣٠)

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ وغلبة وتسلط حتى نقهركم ونجبركم على الكفر ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ [الصفات: 30] راسخين في معصية الله راسخين لطاعة الله ومتابعيه.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰلِقُونَ﴾ (٣١)

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾ وثبت وتحقق لدينا ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾ [الصفات: 31] حيث قال ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: 119] ولأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ﴿إِنَّا لَذَٰلِقُونَ﴾ [الصفات: 31] يعني ما وجب وتحقق قول ربنا وجب أن نكون ذائقين هذا العذاب.

﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غٰلِيِينَ﴾ (٣٢)

﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ [الصفات: 32] وأضللناكم يعني أنا إنما أقدمنا على إغوائكم لأننا كنا موصوفين في أنفسنا متحققين بحقيقتنا بالإغواء والغواية بمن اعتقدتم، إن غوايتكم وإغواءكم سبب إغوائنا ف﴿إِنَّا كُنَّا﴾ إن كانت مبتدأ إلى إغواء آخر لزم التسلسل، وإن اختصت بأنفسنا لزم التحكم، فعلم أن حصول العناية والرشاد والضلالة والسداد ليس من قبلنا بل من قبل غيرنا، وذلك الغير هو ما قاله تعالى:

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ [الصافات: 31] هذا تنزيل وتسليم من كل منهما للآخر، فإذا اشترك الأتباع والرؤساء في العذاب فهنا خمسة أجنحة بعضها من الأتباع وبعضها من الرؤساء وبعضها من الجانبين فاشترك العذاب، وإليه الإشارة ﴿إِنَّا كُنَّا غَوِينَ﴾ [الصافات: 32].

﴿فَاتَّبَعَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (٣٣)

﴿فَاتَّبَعَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الصافات: 33] كما كانوا في الدنيا مشتركين في أصل الغواية والإغواء قَالَ أَيْضًا:

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفَعُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٤)

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفَعُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الصافات: 34] أي الكافرين بدليل .

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا

لَتَارِكُوا آلِهَتَنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ (٣٦)

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتَنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: 35- 36] إن لمجرد قول محمد هو شاعر يقول من تلقاء نفسه ويتجرأ على الله إنه كلام الله مع أنه مجنون لا يعلم ما يفعل ولا يقول ما يدرك .

﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣٧)

﴿بَلْ جَاءَ﴾ محمد من عند الله ﴿بِالْحَقِّ﴾ متلبسًا ومستصحبًا بالكلام الثابت لله كلام الله لا كلام البشر، عطف على المنفي المقدر ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: 37] في نفسه صادق ومصداق للأنبياء المرسلين كما ثبت في الكتب السماوية والصحف الإلهية إنه سيجيئي نبي أي صادق في نفسه ومصداق لغيره من الأنبياء وأخبر بقدمه وخبره دعوة عيسى ابن مريم كما مر في سورة الصف .

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ (٣٨) وَمَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٩) إِلَّا

عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٤٠)

﴿إِنَّكُمْ﴾ [الصافات: 38] أي المجرمين ﴿لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ (٣٨) وَمَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ [الصَّافَات: 38 - 40] استثناء منقطع إلا أن يكون الضمير في يخبرون لجميع المكلفين فالاستثناء باعتبار المماثلة وثواب العباد المخلصين ثابت على التضعف والانقطاع أيضًا هذا الاعتبار والاتصال باعتبار المماثلة النوعية والانقطاع باعتبار المماثلة الوصفية الجارية مجرى النوعية .

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾﴾ [الصَّافَات: 41] إشارة إلى العباد المعهودة وبيان لحسن حالهم ومآلهم في النشاطين أي: رزق مختص بخصائص شريفة وهي الدوام والتلذذ العام والفرح التام ولذا فسره بقوله:

﴿فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿فَوَاكِهُ﴾ [الصَّافَات: 42] فَإِنَّ الْفَاكِهَةَ ما يقصد بها التلذذ والترفيه والتنعم دون التغذية والتقوي والنشوء والنماء، إذ أهل الجنة لما أعيدها على خلقه محكمة وهيئة متقنة مصونة عن التخلل والذبول والفساد والخمول فلا يحتاجون إلى بدل ما يتخلل، ولذا كانت أرزاقهم فواكه خالصة لقوله لها ﴿وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَبَخَّرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَحْمٍ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة: 20 - 21] وقوله: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف: 71] فالمقصود من الأكل هو التمتع والتلذذ لما علمت إن أهل الجنة بنيتهم محكمة لا يتطرق عليها التخلل والضعف والتخلل ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ [الصَّافَات: 42] عِنْدَ اللَّهِ مُعْظَمُونَ من لدنه تصل إليهم أرزاقهم منه من غير سبق سؤال وتعبد وتقدم كلمة ولحوق سبب، كما يحصل رزق لهم بلا تعب .

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾﴾ [الصَّافَات: 43] أي ليس فيها إلا التلذذ والتنعم، إما ظرف أو حال من المستكن في مكرمين، أو خبر ثانٍ لأولئك .

﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ بيان للتنعم يحتمل الحال والخبر ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ [الصَّافَات: 44] حال من المستكن في مكرمين أو في ضمير على سرر، وأن يعلق بمتقابلين يكون حالاً أيضًا من ضمير مكرمون .

### ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ (٤٥)

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ﴾ أي بإناءٍ مملوءٍ بشرابٍ وخمرٍ كقوله وكأسٍ شربت على لذةٍ ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ [الصَّافَات: 45] من شرابٍ معينٍ أو نهرٍ معينٍ أي جارٍ أو ظاهرٍ سهلٍ الماء طاهرٍ عن الكدورات أو خارجٍ مِنَ الْعَيُونِ صفةً للماءِ وصف به خمر الجنة لأنها تجري كالماءِ كما قال: ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: 15]، وأنهارٍ من عسلٍ مصفى، أو للإشعار بأن يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما بطل من أنواع الأشربة لكمال اللذة وقوله:

### ﴿بِضَاءٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ (٤٦)

﴿بِضَاءٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [الصَّافَات: 46] صفتان لكأسٍ ووصفها بلذة إما للمبالغة أو لأنها تأنيث لذة بمعنى لذيد وزنه فعل.

### ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ (٤٧)

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ غائلةٌ وصداعٌ وخمارٌ كما في خمر الدنيا من غاله يغوله إذا أفسد وعُغير، ومنه القول ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصَّافَات: 47] يسكرون ويزول عنهم الإدراك والتمييز، من نزع الشارب فهو نزيفٌ ومذيوفٌ إذا زال عقله وذهب تمييزه وإدراكه، وإنما أفرد بالنفى وعطف على ما تقدم لأنه من أعظم مفساده كأنه جنس برأسه وكان في المرد والمذمة.

### ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ مِّنَ الطَّرْفِ عَيْنٍ﴾ (٤٨)

﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ مِّنَ الطَّرْفِ﴾ أي أزواجٍ مطهرة عن دنسِ الحيض ومعفنِ النفاسِ وجنسِ القبض، قد قصرت أبصارهن وحصرت عيونهن على أزواجهن ﴿عَيْنٍ﴾ [الصَّافَات: 48] أي محل العيون جمع عيناء.

### ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ (٤٩)

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصَّافَات: 49] شبهت ببيض النعام في صفاء البياض المصون عن رسوم الغبار وركوب البحار.

### ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٥٠)

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصَّافَات: 50] عطف على يطاف أي

يشربونَ فيتحادثونَ على الشرابِ ويتساءلونَ عن كيفية وكمية وحقيقة أبنيته عند استقبال بعضهم بعضاً، والتعبير عنه بالماضي للتأكيد فيه، فإنه ألد تلك اللذات إلى العقل وتساؤلهم إنما هو عن المعارف والفضائل و عما جرى بهم في الدنيا والآخرة عن حقيقة هذه اللذات، وكيفيتها إشعار بأن إدراك الأشياء ومعرفة حقائقها ألد التنعمات وأعز اللذات في الدارين، إذ لا شرف فيهما لا بالعلم ولا بالرياسة، ولا ولذة ولا تنعم إلا بتعرف صنوف الحكم.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ في مكاورتهم ومحادثتهم ﴿إِنِّي كَانَ لِي﴾ في الدنيا والنشأة الأولى ﴿قَرِينٌ﴾ [الصافات: 51] وجليس وقريب وأنيس ومكين.

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ [الصافات: 52] عن جملة من جملة على التصديق بالتوحيد وبعثة الأنبياء المخبرين عن الحشر والنشر والبعث وما يلزمهما من الجنة والنار وما يلزمهما من النعيم ودرك الجحيم.

﴿أَءِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿أَءِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا﴾ دميماً وأجزاء متفرقة عميماً ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: 53] من الدين وهو الجزاء كما قيلَ تدين تدين تدان قالَ الله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: 4].

﴿قَالَ هَلْ أُنتَهُ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿قَالَ﴾ [الصافات: 54] ذلك القائل ومن المسؤول عنه والسائل ﴿هَلْ أُنتَهُ مُطَّلِعُونَ﴾ [الصافات: 54] واقفون على أحوال أهل النار وأصحاب الجنة وأرباب الأنوار لأراكم ذلك القرين قيل: القايل هو الله والملائكة يقول لهم بل تحبون أن تتطلعوا على أحوال أهل النار والجنة لأراكم ذلك القرين، فيعلموا أين منزلكم من منازلهم.

﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾

﴿فَاطَّلَعَ﴾ [الصافات: 55] عليهم ووقف على كيفية أحوالهم ويعرف بهم ﴿فَرَءَاهُ﴾

قرينه ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصَّافَات: 55] ووسطها، ويمكن أن يكون المراد من القرين هو المولود الجني الذي يولد معه فيدعوه إلى العصيان والكفر والطغيان كما ورد في الحديث: «إن شيطاني أسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير».

﴿قَالَ تَأَلَّهَ إِنْ كِدَتْ لِتُزَيِّنَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿قَالَ﴾ صاحب القرين للقرين ﴿تَأَلَّهَ﴾ وبالله ووالله ﴿إِنْ كِدَتْ﴾ ماضٍ من كادَ من أفعال المقاربة أي لو قربت بالظفر علي بالإضلال والإغواء ﴿لَتُزَيِّنَ﴾ [الصَّافَات: 56] من الأرداء وهو الإهلاك أي لتهلكني بإضلالك إياي بإنكار البعث والقيامة وما يترتب عليها من الجنة والنار وغيرها مما يجب الإيمان به.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ وفضله وتوفيقه وعنايته ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصَّافَات: 57] في النار والحاضرين في الجحيم، ولما تم الكلام مع الرجل القرين الذين كان في الدنيا قريباً وهو الآن من أهل النار عاد إلى مخاطبته وجلسائه الذين هم من أهل الجنة فيقول لهم.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَمِيَّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَمِيَّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ ﴿٥٩﴾﴾ [الصَّافَات: 58 - 59] فيه حالان أحدهما: أن أهل الجنة لا يعلمون في أول حياتهم في الجنة أنهم لا يموتون فإذا جيء بالموت على صورة كبش أملح وذبح فعند ذلك يعلمون أنهم لا يموتون، فلعل هذا الكلام حصل قبل ذبح الموت العلم بعد الموت.

﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الأمر المشهود والحال المعهود دائم لنا وثابت عندنا وإنه ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصَّافَات: 60] يحتمل أن يكون من كلامهم وأن يكون من كلام الله لتقرير قوله: والإشارة إلى ما أنتم عليه من النعمة والخلق والأمن والأمان من عذاب الله ومن كمال فضله وإحسانه.

### ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ ﴿١١﴾

﴿لِمِثْلِ هَذَا﴾ العمل الذي يستحق لهذا الفضل العظيم والفوز الكريم بحسب أن يعمل ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: 61] قال بعضهم المراد من هذا القائل ومن قرينه ما ذكره الله في سورة الكهف، ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ [الكهف: 32] إلى آخر الآية روي أن رجلين كانا شريكين فحصل لهما ثمانية آلاف دينار فقال أحدهما للآخر: أقاسمك فقاسمه واشترى أحدهما دارًا بألف دينار فأراها صاحبه وقال: ترى حسنها؟ فقال: ما أحسنها فخرج وقال: اللهم إن صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار وإني أسألك دارًا من دور الجنة فتصدق بألف دينار لأن يزوجه الله من الحور العين. ثم إن صاحبه اشترى بستانين بألفي دينار فتصدق هذا بألفي دينار، ثم إن الله تعالى أعطاه في الجنة ما طلب فعند هذا قال إنه ﴿كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصافات: 51] فاطلع فرآه في سواء الجحيم.

### ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ ﴿١٢﴾

﴿أَذَلَّكَ﴾ العمل المذكور والأصل الطويل المزبور ﴿خَيْرٌ نَزْلًا﴾ وأكثر سعادةً وأكبر سعاية وسيادة ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ [الصافات: 62] لما قال بعد ذكر أبواب أهل الجنة وصفها ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ ﴿١١﴾ [الصافات: 61] وبعد قال: قل يا محمد ذلك خير نزلاً، هو ما يحضر عند نزول الضياف تعظيماً لهم وتكريماً لشأنهم، يقال: أرسل الأمير وأحضر لفلان نزلاً، فحاصل الرزق المعلوم لأهل الجنة اللذة والسرور، وحاصل الرزق لأهل النار الزقوم والألم والشدة والهم والغم والشبور، ومعلوم أنه لا نسبة لأحدهما إلى الآخر في الحيرة والسعادة واللذة والسيادة إلا أن حاصل الكلام إما بهم على سبيل السخرية والاستهزاء بهم والاستخفاف بحالهم والاستحقار بمآلهم أو لأجل أن المؤمنين لما آثروا أمراً ما أوصلهم إلى العذاب الأليم بل إلى النعيم العميم فقبل لهم توبيخاً وتعبيراً على قبح إيثارهم وسوء اختيارهم.

وأما ﴿الزَّقُّومِ﴾ فقال الواحدي: لم يذكر المفسرون تفسير للزقوم إلا الكلبي فإنه روى إنه لما نزلت هذه الآية قال ابن الزبير: أكثر الله في بيوتكم ﴿الزَّقُّومِ﴾ فإن أهل اليمن يسمون التمر والزيت بالزقوم فقال أبو جهل: لحارثيه زقمينا، فأتت بزيت

وتمر وقال: تزقوموا. ثم قال الواحدي: ومعلوم أن الله تعالى لم يرد بالزقوم ههنا الزيت والتمر فلو لم يكن للزقوم اشتقاق فمن التزقم وهو الأفراد في الأكل حتى يكره، فمن هذا علم أن الزقوم في القرآن يدل على أنه شجرة كريهة الطعم منتنة الرائحة شديدة الخشونة موصوفة بصفات كريهة غير محصورة في البشاعة والشناعة.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴾ ﴿١٣﴾

﴿ إِنَّا جَعَلْنَهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴾ ﴿الصفات: 63﴾ وعذاباً شديداً لا نهاية لشدته ولا غاية لحدته.

﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ ﴿١٤﴾

﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ ﴿الصفات: 64﴾ وقعرها بيان لها وشرح لحقيقتها، لما سمعوا إنها في النار شيعوا بأن النار تحرقها وتفنيها ولم يتفطنوا على أن من قدر على خلق ما يعيش في الماء ويتلذذ ويلتذ منها هو قادر على خلق شجرة أصلها في النار فلم تحترق منها، إذ الشيء من يتأثر من نفسها ومن تطيرها ولأن شأن النار إنما هي تفريق المختلفات وجمع المتماثلات والمتشكلات فشجرة الزقوم أصلها في النار وثبت في قعر جهنم فكيف يحترق ويتلاشى أو يتفرق، أو نقول النار متخالفات الكيفيات، مثلاً نار الدنيا والعناصر بالنسبة إلى نار الأفلاك باردة، ونار الأفلاك بالنسبة إلى نار الآخرة كذلك باردة بل أبرد، وقد اشتهر أن نار الآخرة أحر من نار الدنيا سبعين مرةً وضعفاً؛ ونار الآخرة بالنسبة إلى نار الله تعالى التي توقد وتطلع على الأفئدة أخف.

﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ﴿١٥﴾

﴿ طَلْعُهَا ﴾ هي النخلة فاستعير لما طلع وخرج من شجرته الزقوم من حملها وثمرتها إما استعارة لفظية أو معنوية، وإنما سميت طلعاً لطلوعها كل شبه، قيل طلع النخل أول ما يخرج من ثمرته ﴿ كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ﴿الصفات: 65﴾ في عدم تناهي القبح والهول، وهي حيات هائلة قبيحة المنظر، الغرض من هذا التشبيه التوهم والتخييل بأنها أقبح القبائح وأكره الوقائح إذ لا قبح في عالم المعالم والحس والخيال من الأغوال والشياطين كما يقصد من التشبيه بالملك أحسن



الحسنى وزيادة في النور والضياء ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: 31] هذا من باب تشبيه المخيل والموهوم والمفعول بالمحسوس كما إذا أرادوا أن يتخيلوا شيئاً شديداً الاضطراب بكثرة الصورة منكرا الهيئة قال إنه شيطان قال امرؤ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وأقبح منها أن الشياطين نوع منها حيات لها رؤوس وأعراف وهي من أقبح الحيات كما أن الأغوال والشياطين نوع منها لكل شخص منهم عشرة رؤوس واحد منها رأس الإنسان والباقي رأس الكلب والخنزير والدب والحية وغير ذلك من أهول الحيوانات والحيات، فإن قيل لما كان الزقوم بهذا النعت والوصف فكيف يكون الأكل، أحسب بأن الله خلق فيهم جوعاً وكيفية سمته تنقطع بها أمعاؤهم وتلتهب أحشاؤهم وتحترق بها أكبادهم وتخرق بها أجوافهم وبطنهم ولكمال القلق والاضطراب وشدة الكرب فيهم في هذه الحالة يضطرون إلى أكلها وإذا أكلوا استولى عليهم العطش والحرارة فيجئون إلى شرب الماء الحميم ظناً منهم أن هذا العطش إنما يزود بالماء الحميم، وهكذا يعذبون أهل النار بأنواع هذا العذاب وأكثر أهل هذا النوع من العذاب إنما هم الجن والشياطين والأبالسة والأهرمن.

﴿فَأَنَّهُمْ لَأَكْلُونَ مِنْهَا فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ

حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾

﴿فَأَنَّهُمْ لَأَكْلُونَ مِنْهَا فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا ﴿الصافات: 66-67﴾ أي بعدما سقوا منها وامتألت بطونهم عنها ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات: 67] أي شوباً من غساق ومن دم وقيح وصدید ويسيل من قروح أهل النار أو مشوباً ومخلوطاً بماء حميم وإيراد يشعر بأن حال المشروب في الساعة أردأ من حال المأكول.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ لِآلِي الْجَحِيمِ﴾ ﴿٦٨﴾

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرَجَهُمْ لِآلِي الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: 68] أي بعد الزقوم وشرب الحميم هذا يدل على أنهم عند الأكل والشرب ثم يكونوا في الجحيم وذلك بأن يكون

الحميم في موضع خارج عن الجحيم فهم يوردون الحميم، لأجل الشرب كما يورد الإبل إلى الماء ثم يوردون إلى الحميم، هذا قول مقاتل، واحتج إلى صحته بقوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءانِ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن: 43 - 44] يوردون إليه كما يورد الإبل من الماء ثم يردون إلى الجحيم هذا في الشرب صحيح، وأما في الأكل فمشكل لأن شجرة الزقوم داخل في الجحيم، اللهم إلا أن يقال: أن الجحيم طبقات، ففي طبقة يأكلون وفي طبقة يسكنون وفي طبقة يشربون أو تقول أن الزقوم والحميم يزل القدم إليهم قبل دخولهم فيها.

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَاؤُا ءَابَاءَهُمْ صَالِينَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَاؤُا ءَابَاءَهُمْ صَالِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [الصافات: 69] أي ألفوا آبائهم ووجدوهم مألوفين بهم غاوين في أنفسهم.

﴿فَهُمْ عَلَىٰ ءَأْتَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿فَهُمْ عَلَىٰ ءَأْتَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الصافات: 70] يبادرون ويسرعون بقليل استحقاقهم تلك الشدايد بتقليد الآباء في الضلال والغواية، والإضلال فيه إشعار بأنهم بادروا إلى ذلك الاقتداء والتقليد من غير توقف على نظر وبحث.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ ﴿٧١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الصافات: 71] أي الأمم الأقدمون الذين كانوا قبل قومك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الصافات: 72] الأنبياء الذين خوفوهم من العواقب وحدثان وطريان المصاب في الدارين وعموم الشأتين.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الصافات: 73] من الشدائد والفضائح والفوائد الضوارع.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٧٤)

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصفات: 74] الذين انتهوا بإنذارهم وتفطنوا بأشعارهم فأخلصوا دينهم وتحصنوا بيقينهم بالله.

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٧٥)

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ شروع في القصص وتفصيل بأطوار البصص وأثار النصص أي دعى الله حين يأمر من دعوة قومه وهدايته وقطع النظر من الأنبياء من الاستغراق في الغفلة ونومه ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الصفات: 75] أي فأجابه أحسن الإجابة، واللام لتوطئة القسم أي فوالله نعم المجيبون نحن، فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٦)

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ وأبعدناه وأنجيناه ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنبياء: 76] والحبوب الأليم العميم والغرق والحرق والحسم.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (٧٧)

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ﴾ وفروعه وأحفاده ﴿هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصفات: 77] بعده متناسلين إلى يوم القيامة، لما روي أنه مات كلما كان معه في السفينة غير بنيه وأزواجهم.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٧٨)

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ أي حصرنا النسل والتناسل على نوح ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصفات: 78] أي الأمم المردفين.

﴿سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٧٩)

﴿سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ﴾ كلام جيئ به على الحكاية يسلمون عليه تسليمًا، وقيل هو سلام ودعاء من الملائكة بالثبات والدوام والسلامة في عموم الأوقات والأولاد ونسله إلى آخر الزمان وانقطاع تمام الأعيان، أو هو من الله عليه ولأتباعه ومفعول تركنا محذوف ﴿فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: 79] متعلق بالثبوت أي هذه التحية والكرامة ثابتة له والذريعة في الملائكة والثقلين جميعًا.

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

﴿ إِنَّا كَذَلِكَ ﴾ أي مثل ما فعلنا في نوح من التكرمة وحسن الجزاء والتحية ﴿ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات : 80] تعليل ما فعل بنوح من الكرامة .

﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات : 81] تعليل لإحسانه بالتوفيق بكمال إيمانه وإظهار لجلالة قدره وجزالة شأنه وعدالة أمره وأحكامه وإتقانه .

﴿ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾

﴿ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ ﴾ [الصافات : 82] يعني كفار قومه وفجار أعيان ليله ويومئذ لدى دومانهم ما كتب الله عليهم من صلاة وصوم في الوحي ولوحه .

﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ ﴾

﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ ﴾ وبعض ذريته ﴿ لإبراهيم ﴾ [الصافات : 83] ممن شايعه من الإيمان وكمال المعرفة ووفور الإحسان في تقنين شرائع النبوة وتعين النواميس الإلهية لاشهار حكم البدائع الربوبية، ولا يبعد أن يتفق شرعها فروعاً، أما الأصول فلا اختلاف فيها أصلاً لأنها أمر واحد لا يتطرق فيها الاختلاف أبداً، لقوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا ﴾ [الشورى : 13]، إنه كان بينهما ألفان وستمائة وأربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح .

﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾

﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الصافات : 84] من آفات القلوب وهيئات النقص ونواقص العيوب أو من العلائق النفسانية والعوائق الجسمانية .

﴿ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

﴿ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ ﴾ إذا أراد أن ينحت الأصنام على أشكال عجيبة وأمثال غريبة ﴿ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الصافات : 85] أي : أي شيء تعبدون مما صنعتم .

﴿أَيْفَاكَ إِلهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (٨٦)

﴿أَيْفَاكَ إِلهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: 86] مفعول له أي تريدون آلهة من دون الله إفاً وباطلاً، وإنما قدم المفعول على الفعل للعناية به، والمفعول له على المفعول به، فإنه كان الأهم عنده أن يغيرهم أنهم على إفاً وباطل في شركهم، ويجوز أن يكون حالاً بمعنى أتريدون آلهة دون الله آفكين ثم قال:

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٧)

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: 87] إذا تقيموه وقد عبدتم غيره ما يصنع بكم وأنتم ضيعتم رأس مال التجارة الأزلية الذي أعطاه لكم وهو العمر والحياة بصرفكم إياه فيما لا يعطى له ولا يعطى به.

﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ (٨٨)

﴿فَنظَرَ﴾ إبراهيم ﴿نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ [الصافات: 88] فرأى مواقعها من المنازل والبروج واتصال بعضها ببعض فنظر إلى بيت مرضه وصاحبه والمستولى عليه وهو مثلث، أي كوكب وصاحب المثلث وغير ذلك من الحظوظ فرأى فيه نحس، أو متصلاً بصاحبه نحس، وإلى صاحب الطالع فوجده في بيت المرض قد اتصل بكوكب النحس اتصالاً مذموماً، أو تحت الشعاع وقد نظر النحس، أو وجد في برج طالعه سهم المرض.

﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (٨٩)

﴿فَقَالَ﴾ على وجه الظن ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: 89] ومريض بمرض متعدي سار إلى غيره.

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ (٩٠)

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ [الصافات: 90] مخافة التعدي والسراية إليهم.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٩١)

﴿فَرَاغَ﴾ مال إبراهيم ﴿إِلَىٰ آلِهِمُ﴾ [الصافات: 91] تطيباً لقلوبهم وترغيباً لنفوسهم وآمالهم إلى الآلهة الباطلة وهي الأصنام المنحوتة والأوثان المصنوعة،

إلى الله الحقّ والواحد المطلق، لا شريك له في الألوهية ولا نظير له في الربوبية ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الصّافات: 91] الطعم الذي جلبوه إليهم ونصبوه لديهم إذ كان دأبهم أن يرفعوا الطعم إليهم، ثم يصرفون الطعم منها إلى الفقراء والمساكين، هذا استخفاف بالهتهم وبأفعالهم وعقولهم وهو تدبيرهم وقلة تفكيرهم.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ (٩٢)

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ [الصّافات: 92] الخطاب بالآلهة وإن من حقّ الإله والمعبود هو النطق لجواب السائلين.

﴿فَرَأَى عَلَيْهِمْ صَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ (٩٣)

﴿فَرَأَى﴾ ومال ثانيًا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ مستخفًا ومستهزئًا بهم وبمن عندهم من الجهال ﴿صَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصّافات: 93] كان يضربهم باليد اليمنى ضربًا كأنه لحرب حربًا حركًا حركًا في الأجزاء والأعضاء أقوى، قيل أراد باليمين القسم الذي سبق منه، وقال ﴿وَتَأْتِيهِمْ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: 57] الآية.

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ﴾ (٩٤)

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ﴾ [الصّافات: 94] أي توجهوا حال كون عهدة الأصنام يسرعون إلى إبراهيم وذلك لأنهم أخبروا بما فعل إبراهيم بالهتهم فلما وصلوا إلى الهتهم

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ (٩٥)

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصّافات: 95] وتخرطون بأيديكم والحال أن:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٦)

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصّافات: 96] أي بأعمالكم أو بمعمولكم وهو الأصنام فالله أحق بالعبادة إن كنتم تفعلون.

﴿قَالُوا أَبْنَاؤُا لَهُ، بِنْتِنَا فَالْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (٩٧)

﴿قَالُوا أَبْنَاؤُا لَهُ، بِنْتِنَا﴾ [الصّافات: 97] يعني لما شاهد قوم إبراهيم استخفافه وتحقيره بالهتهم وأصنامهم قصدوا إهلاكه فضربوا في حقه آراء وقالوا أقوالاً

مختلفةً بعضهم قالوا ابنوا له بنيانًا رفيعًا وبرجًا عاليًا عظيمًا فسمكه وطوله ثلاثون ذراعًا وعرضه عشرون، وملاه حطبًا وحشيشًا يابسًا ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصَّافَات: 97] دهنًا ونفطًا واطرحوا عليه نارًا أو كبريتًا ليتوقد ثم يطرح إبراهيم في تلك النار ليحترق.

﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٩٨)

﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصَّافَات: 98] ذوات خسارةٍ وسفاليةٍ وحقارةٍ ورزالةٍ وشقاوةٍ بإبطالِ كيدهم وردده عليهم.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ (٩٩)

﴿وَقَالَ﴾ في دفع كيدهم ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ ومهاجر ومراغب إلى ربي مُبدئي ومُربي، فهذا القول ما قيل الدخول في النار حيث اذهبوا به إلى النار وبعد الخروج، والأول أوفق وأولى ﴿سَيِّدِينَ﴾ [الصَّافَات: 99] إلى حيث أمرني وجعل مصيري فيه بعد الخروج وعوارض الشام أو أرض المقدس فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد فقال:

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٠٠)

﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ ولدًا يكون ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصَّافَات: 100].

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (١٠١)

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصَّافَات: 101] وولد عليم حكيم في صغره حليم في كبره، وفيه إشارة ولديه بشارة إلى أن ولده يعيش عيشًا طويلًا ويتعش انتعاشًا جليلاً، ومتصفًا بالحكيم متعرفًا بالعلم والحلم وبقنون الحكم، وأي حكم أعظم وأي حكم أكرم من أن أمره أبوه بذبحه في يده، وهو إسحاق أو إسماعيل وهو مانعة الخلو لا الجمع.

﴿فَأَمَّا بَلَّغَ مَعَهُ السَّعَىٰ فَكَالَ يَتَّىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ آتِيًا ذُبْحَكَ فَأَنْظُرُ مَاذَا

تَرَىٰ قَالَ يَتَأْتَبِتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِرِينَ﴾ (١٠٢)

﴿فَأَمَّا بَلَّغَ مَعَهُ السَّعَىٰ﴾ [الصَّافَات: 102] أي الحركة والمشى إلى الجبل للذبح

وهو ابن ثلاثة عشر أو سبعة عشر سنين، فلما وصلوا إلى الجبل ﴿فَكَالَ يَبُئَىٰ إِلَيَّ أَرَىٰ فِي الْمَنَارِ آتَىٰ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: 102] اختلف العلماء من المَلِيّين وهو إسماعيل أم إسحاق، أم هما، على سبيل منع الخلو، ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو علي وعمر وسعيد بن جبير وقتادة وكعب الأحبار وابن عباس ومسروق وعطاء ومقاتل وغير ذلك إلى أنه إسحاق، وذهب آخرون وهو عمر بن عبد العزيز وسعيد بن المسيب والحسن البصري والشعبي ورواية عن ابن عباس إلى أنه إسماعيل، والأظهر أنه إسماعيل، فإن إسحاق قد كان في آخر عمر إبراهيم وامرأته سارة حيث قالت: ﴿يُوَلِّقُ ٱلْأَلِدَ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَقِيءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: 72].

روي أنه رأى ليلة التروية إن قائلاً قال له: إن الله يأمرك بذبح ابنك إسماعيل، فلما أصبح تيقن وجزم أنه من الله، وحمل على الظاهر من غير تأويل، إذ الأنبياء لا يعبرون ما رأوه، ثم رأى مثله ليلة الثانية فهم بنجزه وقال له ذلك، ولذلك سميت الأيام الثلاثة بالتروية، وعرف الظاهر أن المخاطب في هذه الصور إسماعيل، لأنه وهب له أثر الهجرة، وإن البشارة بإسحاق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه السلام: «أنا ابن الذبيحين»، أحدهما جده الأعلى إسماعيل والآخر أبوه عبد الله، وذلك أن عبد المطلب نذر أن يذبح ولدًا إن سهل الله له حفر بئر زمزم وبلغ بنوه عشرًا فلما سهل وخرج السهم على عبد الله وذلك أن عبد المطلب فذاه بمائة إبل، فلذلك سنت الإبل للدية مائة وتفردت عليها، ولأن ذلك كان بمكة وقرنا الكبش معلقتين بالكعبة حتى إذا احترقا معها في أيام ابن الزبير ولم يكن إسحاق ثمة، ولأن البشارة بإسحاق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الأمر بديهة مراهق، وما رأى إنه ﷺ سئل أي نسب أشرف؟ فقال: صديق الله ابن يعقوب إسرائيل بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله.

والظاهر أن هذه القصة ليست مانعة الجمع بل هي في مانعة الخلو ولذا اشتهر حتى في حيز التواتر، فإن كثيرًا من الصحابة والتابعين قد اتفقوا في كل منهما. ووقع عن ابن عباس الإشارة إليها كما مرت الإشارة إليهما، ولذا أبهم في الآية واشترك الذبح فيهما ﴿فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: 102] أي انظر على أي أمر يقع القرار وسيتقرر رأيك، فإني أسلمت نفسي إليك، وكان إبراهيم إذا أراد



هاجر وإسماعيلَ حملَ على البراق فيفدوا من الشام، فيقبل بمكة ويروح من مكة فبييت عند أهل الشام، حتى إذا بلغ إسماعيلَ معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه، ولما كان تأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم من يأتيه أمر في المنام أن يذبحه ليلة التروية كان قائلاً يقول له: إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا، فلما أصبح رأى في نفسه وفكر من الصباح إلى الأصيل والرواح أمن الله هذا الحكم، أم من الشيطان؟ ومن ثمة سمي يوم التروية، فلما أمسى رأى في المنام ثانيًا فلما أصبح [عرف] أن ذلك من الله، ومن ذلك سمي يوم عرفة قيل: رأى ذلك إبراهيم ثلاث ليالٍ متوالياتٍ متتابعاتٍ، فلما تيقن ذلك أخبر ابنه به، فقال: يا بني إني أرى في المنام أنني أذبحك فانظر ماذا ترى ﴿قَالَ﴾ لأبيه ﴿يَتَأْتِ أَعْمَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّادِقِينَ﴾ [الصافات: 102] على الذبح أو على قضائه ومشيئته وحكمته.

### ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (١٠٣)

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ الأمر إليه وأسلم الذبح نفسه وإبراهيم ابنه وأصله سلم هذا لفلان وأخص له فإنه سلم من أن ينازع وأمن من أن يناقش معه ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: 103] أي أصرعه على الأرض وأضجعه على جنبه على الأرض والجبهة بين الجنين، فقال له ابنه الذي أراد ذبحه: يا أبت اشدد رباطي حتى لا اضطرب، ولف مني الثياب وأبعده حتى لا ينتضح عليه من دمي شيء فينتقص أجري وثوابي، وتنحط درجتي وتراه أُمي فتحزن، واشحذ شفرتك وأسرع مر السكين ومروره على حلقي لتكون أهون عليّ لئلا اضطرب فأتحرك، فإن الموت شديد، وإذا أتيت أُمي فاقرأ عليها السلام مني، وإن رأيت قميصي على أُمي فاضل فإنه عسى أن يكون تسلية لها، قال له إبراهيم عليه السلام: نعم العون أنت يا بني على أمر الله، ففعل إبراهيم ما أمر به ابنه ثم أقبل عليه يقبله وقد بلطه وهو يبكي والابن أيضًا يبكي، ثم إنه وضع السكين على حلقه فلم يخفه ولم يقطع السكين حلقه. روي أنه كان مرر الشفرة في حلقه ولم تقطعه فشحذها مرتين أو ثلاثًا بالحجر كل ذلك لا يستطيع.

### ﴿وَتَلَدَيْنَهُ أَنْ يَتَابَرَهُمْ﴾ (١٠٤) قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٠٥)

﴿وَتَلَدَيْنَهُ أَنْ يَتَابَرَهُمْ﴾ (١٠٤) قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا﴾ [الصافات: 104 - 105] ولم يبل في الرؤيا لأنه أجرى الرؤيا على ظاهرها ولم يغيرها كما هو شأن الأنبياء، فإن

الأنبياء لا يغيرون الواقعة والرؤيا، إذ النبوة تحكم على الظاهر والولاية على الباطن والحقائق الخفية والدقائق الحفية والرقائق الصفية واللوازم القريبة والبعيدة التي بينها وبين الملزومات علاقة معنوية، يؤول وينتقل من تلك اللوازم إلى تلك الملزومات انتقالاً دفعياً أو تدريجياً، فإن كان هذا الانتقال عند الأخبار للمعبر سمي بالتعبير والتأويل، وإن كان الانتقال بعيداً والعلاقة خفيةً واللوازم خلية غريبة فلا يعبر، ويقال لها: أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصفات: 105] يعني أنا كما عفونا عن ذبح ولا نجزي من أحسن في إطاعة أمرنا واستقام في عبادتنا، تعليل للحكم المذكور والأمر المسطور، واحتج به من جوز النسخ قبل الفعل، فإنه عليه الصلاة والسلام كان مأموراً بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل.

### ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلْتَوُ الْمِينُ﴾ (١٠٦)

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الأمر المذكور ﴿هُوَ الْبَلْتَوُ الْمِينُ﴾ [الصفات: 106] والابتلاء المبين حيث أخبر بذبح ابنه لتمييز المخلص الموافق عن الناكس المنافق.

### ﴿وَفَدَيْتَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (١٠٧)

﴿وَفَدَيْتَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصفات: 107] وأعطيناه على وجه الامتنان وطريقة الإحسان ل يتم فعله ويكمل أمله فعظمته إما بحسب الجثة والمقدار أو الأجر والرتبة لأنه جيء به من عند الله فإنه يقتدي به الله الأنبياء ابن نبي كامل وفرد فاضل ويكون من نسله سيد الأنبياء والمرسلين وسند الأولياء الموصولين والحكماء المتألهين قيلَ كَانَ كَبِشًا مِنَ الْجَنَّةِ، فإن إبراهيم إذا نظر رأى جبرائيل ومعه كبش أبلج أقرن، فقال: هذا فداء ابنك فاذبحه دونه، فكبر جبرائيل وكبر الكبش وكبر إبراهيم وكبر ابنه عليه السلام، فأخذ إبراهيم الكبش وأتى به المنحر فذبحه قال أكثر المفسرين كَانَ ذَلِكَ الذَّبْحُ كَبِشًا رَعِي فِي الْجَنَّةِ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا، عن ابن عباس عليه السلام قَالَ: الكبش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام هو الذي قربه ابن آدم.

### ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١٠٨)

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصفات: 108] أي تركنا له في الآخرين أي

آخر الزمان أو في آخر اليوم وهم المسلمون .

﴿سَلَّمَ عَلَيَّ إِِبْرَاهِيمَ﴾

﴿سَلَّمَ عَلَيَّ إِِبْرَاهِيمَ﴾ [الصَّافَات: 109] قد سبق بيانه وسبق أمره وشأنه في قصته وحقيقة أمره وقضيته .

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصَّافَات: 110] أي كما فضلنا إبراهيم بالنبوة والحكم والحكومة وحسن الخلق وجودة الخلق، نجزي المحسنين في الأعمال والأفعال والأحوال بحسن الحالات وعلو المقامات وسمو الكمالات الذاتية الأسماوية والأفعالية والآثارية، ولذا شاهد ربه في صورة أعلى أعيانها وأبهى أكوانها، وأشهده حقيقة ملكوتها، وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبًا قال هذا ربي، فلما أفل قال: لا أحب الآفلين إلى قوله: وجهت وجهي .

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصَّافَات: 111] المؤمنين في درجة الإيمان وكمال اليقين .

﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ ثانيًا ﴿نَبِيًّا﴾ يكون من الأنبياء المتحققين ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصَّافَات: 112] هذا دليل واضح وبرهان صريح خارج على كون المذبوح هو إسماعيل عليه السلام .

﴿وَبَدَّلْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن دُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾

﴿وَبَدَّلْنَا عَلَيْهِ﴾ جعلنا إبراهيم منبع الخيرات ومعدن المنافع الكثيرة ومرتع المبرات العالية الكبيرة ﴿وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ بأن جعله آدم الأنبياء في بني إسرائيل ﴿وَمِن دُرِّيَّتِهِمَا﴾ أي يظهر ولد منه ﴿مُحْسِنٌ﴾ [الصَّافَات: 113] في الأقوال والأعمال والأخلاق وما يصدر منهما بأمر الله أي بعض ذريتهما صالح محسن والبعض

الآخر ﴿وَطَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِيتٌ﴾ [الصافات: 113] من الملوك والسلاطين وسائر الأعيان.

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ (١١٤)

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ (الصافات: 114) تفصيل لما أجمل وتفضيل لما أهمل.

﴿وَبَجَّيْتَهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (١١٥)

﴿وَبَجَّيْتَهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ بني إسرائيل آل يعقوب ﴿مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الصافات: 115] والغم الهميم والهم العميم وهو استئصال فرعون إياهم واستحياء نسائهم والزنا بهم وغير ذلك من صنوف الاستخفاف وصنوف الاستحقار والاستصغار أو من كرب الغرق وركوب التفريق والفرق بين الأحباب وعموم الأصحاب.

﴿وَنَصَّرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ (١١٦)

﴿وَنَصَّرْنَاهُمْ﴾ موسى وهارون وقومهما على القوم الظالمين الذين كذبوا بآياتنا وهم قوم فرعون ﴿فَكَانُوا﴾ وصاروا السبطين ﴿هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ [الصافات: 116] على القبط قوم فرعون.

﴿وَأَيَّدْنَاهُمَا بِالْكِتَابِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ (١١٧)

﴿وَأَيَّدْنَاهُمَا بِالْكِتَابِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الصافات: 117] البليغ البالغ في الظهور والإظهار والإبانة وهو التوراة.

﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١١٨)

﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات: 118] الموصِل إلى البغية والحق والصواب والصدق.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ﴾ (١١٩)

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ﴾ [الصافات: 119] أي حصرنا الدولة

والحشمة والسعادة في الآجلة والعاجلة والدنيا والآخرة عليهما وإنهما إلى آخر الزمان الذي اختصوا به وهو ينتهي إلى زمان دولة المحمدي والإسلام والكتاب الذي جيء به .

﴿سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ﴾ [الصفات: 120 - 121] أي كما شرفناكم وفضلناكم بالنبوة ونجزيكم الحسنات العظيمة والخيرات الكريمة ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصفات: 121] أي الذين أحسنوا في الأعمال والأفعال والأقوال بحسن الأحوال وفضل المقامات من أصحاب الولاية والعلوم الحقيقية والإدراكات الحقة كخضر وأتباعه ممن يقتدى به فيما خصه الله به من العلم للدني والحكم المعنوية أي الحاصل من عند الله فإن العالم هو العالم بهذا العرف الحقة والحصص الخفية .

﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الصفات: 122] أي بعض منهم يشعر بكثرة هذه الطائفة وغرفه هذه الغرفة التي خفت عن الخلق حالاتهم قد احتجبوا تحت البشرية ونعت الصور التي تكونت من الجواهر العنصرية «أوليائي تحت قبائي لم يعرفهم غيري» وبأن هذه الفرق لا تنقطع أبداً وإنهم لا يموتون بل ينتقلون من دار إلى دار أي من دار برزة إلى دار برزة أخرى، وإن انتقلت الدورة وارتحلت الدولة من دورة إلى دورة، لأنهم باقون ببقاء الحق، وداموا بدوام الجمع والفرق، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَكَسَّبَتْشُرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [آل عمران: 169 - 170] وإلى هذا أشار آدم والأولياء علي المرتضى، إن أمت فلم أمت، وإن قتلت فلم أقتل وغير ذلك من الكمالات القدسية والآيات المقدسة .

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الصفات: 123] تصريح وتفصيل وتصحيح وتفصيل لما أبهم وأجمل .

واعلم أن الأدوار الدائرة والأكوار السائرة والسر السائر في النشآت والدّر الدائر في الدورات والكورات، لكل منهما صاحب ورب دائر ومرب طائر، فإن صاحب الأفراد والأدوار النورية الجمالية الوجودية الإفرادية وهو حضرة خضر عليه السلام وصاحب الأكوار الظلية الجلالية الإفرادية العدمية، هو الياس وصاحب الصورة الجمعية، وهو سر الله الدائر هو المرتضى الذي في الحقيقة هو باطن المصطفى وظاهره كما قال علي عليه السلام: أنا المصطفى، أنا علي المرتضى، كما قال النبي عليه السلام: «علي مني وأنا منه» (\*).

وإنما خرج بإلياس لأنه صاحب الأكوار الجلالية الخفية قد احتاج إلى الإظهار والتصريح والبيان بخلاف صاحب الأدوار النورية الجمالية الوجودية الإفرادية وصاحب جمعية الأدوار والأكوار، فإنهما ظاهران يحتاجان إلى البيان والتصريح، يا علي كنت مع الأنبياء سرًا وصرت معي جهراً وهذه الأشخاص الثلاث هم سند أرباب البروز والبرزات ورائهم ومقدمهم ورئيسهم وسندهم ولكل منهم برزات وظهورات في كل دورة من الأدوار وفي كل كورة من الأكوار الإفرادية والجمعية بصورة مختلفة وصفات متقابلة، إما جزئية أو كلية إما الجزئية فكظهوره وبروزه بصور الأشخاص الفاصلة من كل نوع كأعيان الأعيان الإنسانية وأفرادها وكسائر أنواع الأنواع الحيوانية والنباتية المعدنية كما مرت الإشارة في سورة سبحان في قصة بختنصر، فإن الله مسخه تارة بصورة النسر والثور والأسد ثم أبرزه بصورة الإنسان وملّكه الأقاليم السبعة ويقال بهذا القسم برزات المكمل هذا مما روي عن ابن عباس ووهب والسدي.

وعن غيرهم في شأن بختنصر وإطلاق اسم المسخ عليه: إنما هي على سبيل التشبيه والاستعارة وإشارة إلى أن بداية البرزات هو التناسخ والمسخ إذ التناسخ لا يكون إلا في النفوس الناقصة ولهذا قيل ما من ملة إلا ولها قدم راسخ في التناسخ كما أشار إليه عليه السلام «يحشر الناس على صورة أعمالهم ومنهم

(\* يتكلم بلسان الجمع وهو هنا الفناء بالحقيقة المحمدية فمن حيث الظاهر علي رضي الله عنه ومن حيث الباطن والحقيقة محمد عليه الصلاة والسلام ومن حيث باطن الباطن الحق تعالى طبعًا وكل ذلك من غير حلول ولا اتحاد. وهكذا كل ما ورد على لسان الإمام علي رضي الله عنه وكرم وجهه في هذا التفسير وفي غيره من الكتب.

القردة والخنازير وعبد الطاغوت ﴿وَجَمَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 60].

واعلم أن للإنسان في الأكوار الظلية الجلالية نشأت كثيرة وبروزات غفيرة بالأصالة والصريحة وفي الأدوار النورية الجمالية بالتبعية والضمنية، فمنهم من قال: أنه هو إدريس النبي، والبعض على أنه من بني إسرائيل، وهو ابن عم إيسع وقيل هو يسر بن العازار بن هادان وغير ذلك.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَأَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَأَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات: 124 - 125] أي تعبدون بعلًا وصنمًا وتطلبونه ﴿وتَذَرُونَ﴾ وتتركون ﴿أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ [الصافات: 125].

﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَى ﴿١٢٦﴾﴾

﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ نصبه إما على المدح أو على أنه صفة الأحسن ﴿وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَى﴾ [الصافات: 126] الأقدمين في الأدوار والأكوار.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأْتَهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي الياس الذي دعاكم إلى التوحيد وعبادة الله ومعرفته أن تدعو الخلق إلى الحق، والخضر وهو صاحب الأدوار النورية أيضًا يدعو الخلق إلى الحق، إلا أن دعوة الناس الذي هو صاحب الكورة إنما تدعو إلى بر الشرائع ودرر أحكام النبوة، ودعوة الخضر إنما تكون إلى بحر المعارف الإلهية والآخر الولاية وأسرارها وصاحب جمعيتها إنما يدعو إلى الوحدة والكثرة وجمعيتها وإن الولاية والنبوة ومعيتها قال النبي ﷺ عنهما: «الخضر في البحر والياس في البر يجتمعان كل ليلة عند الردم» الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج ويحجان كل سنة ويشريان من زمزم، فلا يكون لهما مطلب ولا يعرف لهما موضع معين فيقصد، بل هما سياران ودواران ﴿فَأْتَهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: 127] في النار ودار البوار.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ (١٢٨)

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الصافات: 128] مستثنى من واو محضرون.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١٢٩)

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الصافات: 129] أي حضر الأمر عليه إلى آخر الأدوار ونهاية الأكوار.

﴿سَلِّمْ عَلَىٰ إِيَّاسِينَ﴾ (١٣٠)

﴿سَلِّمْ عَلَىٰ إِيَّاسِينَ﴾ [الصافات: 130] أهل الناس وما ينسب من الأعيان الظلية الصريحة والنورية تبعًا قيل هي لغة في إلياس كإسماعيل في إسماعيل وميكايل في ميكايل قيل وهي جمع أراد به إلياس وأتباعه من المؤمنين، فيكون بمنزلة الأشعريين والأعجميين، وفي صحف عبد الله بن سلام على إدراسين أي إدريس وأتباعه، وإن إدريس لمن المرسلين.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣١)

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: 131] في نشأت الأكوار ودورات الأدوار.

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٢) وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ جَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ

أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ ﴿١٣٥﴾

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣٢) وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ جَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا﴾ [الصافات: 132 - 135] امرأته ﴿فِي الْغَدِيرِينَ﴾ [الصافات: 135] الباقيين في العذاب.

﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾ (١٣٦)

﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الصافات: 136] وأهلكناهم في آخر الأمر وعاقبته.

﴿وَإِنَّا لَنُرَوِّنُهُمْ﴾ (١٣٧)

﴿وَإِنَّا لَنُرَوِّنُهُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي على آثار أهل لوط ورسومهم ومنازل حركاتهم ﴿مُصْبِحِينَ﴾ [الصافات: 137] وقت الصباح وبالليل أي استقر مرور



أهل مكة ليلاً ورواحاً ونهاراً وصباحاً .

﴿وَبِأَيِّ لِّأَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٣٨)

﴿وَبِأَيِّ لِّأَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: 138] أي ليس فيكم عقل تعبرون به .

﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٩)

﴿وَإِنَّ يُوسُفَ لَمِنَ﴾ الأنبياء ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: 139] .

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (١٤٠)

﴿إِذْ أَبَقَ﴾ وفر وفلت وهرب ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: 140] المملوء من الناس والدواب والأجناس والأمتعة قال ابن عباس كان يونس أوعد وخوف وأنذر قومه لحلول العذاب ونزول البلية والعقاب، فلما تأخر خرج من بينهم فعمد البحر قاصداً ليركب الفلك فركب السفينة فأحبست السفينة ومكثت ولم تجر قال الملاحون: ها هنا عبد أبق من سيده .

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ (١٤١)

﴿فَسَاهَمَ﴾ وقرع أهل السفينة واقترعوا فوقعت القرعة على يونس ثلاث مرات، فقال يونس: أنا عبد أبق وزح وزجر نفسه وطرحها في الماء ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: 141] من المفرغين فلما زج نفسه في البحر وطرحها فيه

﴿فَالْقَمَّةَ الْخَوْثُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (١٤٢)

﴿فَالْقَمَّةَ الْخَوْثُ﴾ وابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: 142] ملوم نفسه ووبخها .

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (١٤٣)

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: 143] الذاكرين لله بالتسبيح بقوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين نفسه بالإباق .

﴿لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٤٤)

﴿لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ﴾ ومكث ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: 144] حياً وقيل ميتاً وصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة .

﴿فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

﴿فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ﴾ أي طرحناه بالأرض الخالي عن الكلاء والأشجار والنبات والبقول والأزهار والحشاش والأنوار، واختلف في مدة المكث وقال بعضهم: ثلاثة أيام أو سبعة أو عشرة أيام أو أربعون ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: 145] مما ناله في البطن قيل صار بدنه كبذن الطفل.

﴿وَأَبْتَنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾

﴿وَأَبْتَنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً﴾ شاخصة مظلة ﴿مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: 146] أي قرع قيل هو كل شجرة تبسط على وجه الأرض ولا يقوم على ساقه على وزن التفعيل، من قطن بالمكان إذا أقام به، والأكثر على أنه كانت الدباء غطت بأوراقها من الذباب، فإنه يقع عليه، يدل على ذلك إنه قيل لرسول الله ﷺ إنك تحب القرع قال: «أجل هي شجرة اختفى يونس فيها»، وقيل هي شجرة التين يُغطي بورقها ويستظل بأغصانها ويفطر على ثمارها.

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ﴾ نفر من قومه الذين هرب عنهم وهم أهل من أرض موصل، قيل أن يصيبه ما أصابه، قيل إرساله كان بعد الخروج من بطن الحوت، أو إرسال ثانٍ إليهم أو إلى غيرهم ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: 147] على مائة ألف في بادئ النظر إذا نظر إليهم في أول الأمر قيل هم مائة ألف أو أكثر قرئ بالواو.

﴿فَتَأْمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿فَتَأْمَنُوا﴾ [الصافات: 148] يعني القوم الذي أرسل يونس إليهم بعد معاينة العذاب ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ أي جعلناهم محظوظين ﴿إِلَى حِينٍ﴾ [الصافات: 148] ووقت معلوم وأجل مرسوم.

﴿فَأَسْتَفْتِيهِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾﴾

﴿فَأَسْتَفْتِيهِمُ﴾ أي فاسأل يا محمد أهل مكة وهو سؤال توييح وتعبير ﴿الرِّبَّكَ الْبَنَاتُ﴾ [الصافات: 149] أي الأولاد والإناث أي التي شرفهم دون شرف الذكور

﴿وَأَلَّهُمُّ الْبَشَرِ﴾ [الصافات: 149] وذلك أن جهينة وهي سلمة بنت عبد الدار زعمت أن الملائكة بنات الله فإنهم جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين.

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ ﴿١٥٠﴾

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ [الصافات: 150] حاضرون أي خلقناهم في حضورهم وهم عليهم شاهدون.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾ ﴿١٥١﴾

﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ وافتراءهم وتعمدهم في الكذب على الله ﴿لَيَقُولُونَ﴾ [الصافات: 151].

﴿وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿١٥٢﴾

﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ بيان الإفك وتفسيره ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الصافات: 152] على الله.

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ ﴿١٥٣﴾

﴿أَصْطَفَى﴾ الله ﴿الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [الصافات: 153].

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ [الصافات: 154 - 156] بأن لله ولداً إنثاءً وهذا جهل مركب وفرية بلا مبرية عليه سرت فإنه كان لكم عليه حاكم وكتاب ناطق جازم.

﴿فَأْتُوا بِكِنْيَتِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٥٧﴾

﴿فَأْتُوا بِكِنْيَتِكُمْ﴾ أي الذي حجتكم فيه وبرهانكم وبينتكم ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الصافات: 157] في دعواكم وجازمين في صدق دعائكم.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا﴾ أي بين الملائكة سماهم بالجنة لاجتنابهم عن الأعين والأبصار قال ابن عباس طائفة وقوم من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم إبليس قالوا هم بنات الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ [الصافات: 158] أي الذين هم

قابلوا القول ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات: 158] في النارِ وعذاب دار البوار ثم نزه الله تعالى ذاته ونفسه عما قالوا فقال:

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١٥٩)

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الصافات: 159] بالولدِ والتواليدِ والنسبِ والتولدِ.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ (١٦٠)

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الصافات: 160] قد مرت صورة الاستثناء.

﴿فَأَنذَرُكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ (١٦١) ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنِينَ﴾ (١٦٢)

﴿فَأَنذَرُكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ (١٦١) ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنِينَ﴾ (١٦٢) [الصافات: 161 - 162] الضمير المجرور عائد إلى الله فبنيت بناء اسم الفاعل جمع فاتن من الفتنة وهو العذاب، والمراد هنا سببها أي الضلالة والإضلال لما ذكر فساد الكفر وبطلانه أراد أن يبين أنهم لا يقدرّون على حمل أحدٍ على الضلالة إلا إذا كان حكم الله في حقه بالعذاب والوقوع فيه يعني إنكم وما تعبدون أي مع معبودكم ما أنتم وهم جميعاً بفانين على الله إلا أصحاب النار الذي سبق في علم الله كونهم من أهل النار يعني إنكم ومع أهتكم وقرنائكم وأصحابهم لا يتركون عبادتها ما أنتم ساعين أو حاملين إياهم على طريقة الفتنة والإضلال إلا من هو ضال مثلكم وقد علم من هذه أنه لا تأثير لإغواء الشيطان ووسوسته في الضلالة وإنما التأثير قضاء الله وحكمه وقدره.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ (١٦٣)

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: 163] أي إلا من كان كذلك تصريح بأنّ المقتضى لوقوع هذه المحدثات إنما هو حكم الله وكان بن عبد العزيز يحتج بهذه في إثبات هذا الطلب أي من قدر الله أنهم سيدخلون النار الحميم والدار السعير الجحيم أي سبق له في علم الله وحكمه الشقاوة.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤)

﴿وَمَا مِنَّا﴾ من أحدٍ وشخص وفرد ﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: 164] ومرام

مرسوم اعتراف من الملائكة بربوبية الله وألوهيته أي ليس أحد من بني نوعنا من جنس الملك، إلا له في خزائن علمه ودقائق تقديره وقضائه وحكمه مقام معين، أي حال ومآل مبين في المعرفة والعبادة وفي القرب والسعادة والبعد والشقاوة.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الصفات: 165] في أداء الطاعة وقضاء العبادة ومراتب الشهود والمشاهدة وفي الوفاء بالعهود والمعاهدة.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصفات: 166] المنزهون لله عما لا يليق به قيل الأول إشارة إلى تفاوت درجاتهم في الطاعات وتغاير مقاماتهم وحالاتهم في المعارف والعبادات وأما واللام وتوسطه التفصيل بين أداة التأكيد والاختصاص فيدل على المواظبة على الذكر والتسييح من غير فترة وذهول غفلة.

﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [الصفات: 167] أي مشركو قريش.

﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الصفات: 168] وكتبنا من كتب الأقدمين.

﴿لَكِنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

﴿لَكِنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الصفات: 169 - 170] وبكمال العلم والدراية المتخصصين.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [الصفات: 171] أي وعدنا لهم بالنصر والغلبة والظفر والقهر على الأعداء.

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الصفات: 172] أي عبادنا المخلصون ورسلنا

المتخلصون عن شوائب الكفر والشرك والظلمة.

﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١٧٣)

﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا﴾ الغيبية وعساكرنا الشهادية والغيبية ﴿لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: 173] لهم الغلبة والاستيلاء والقهر والاستعلاء على الخصماء والأعداء يقول:

﴿فَنُؤَلِّعُ عَنْهُمْ هَحَّىٰ حِينٍ﴾ (١٧٤)

﴿فَنُؤَلِّعُ عَنْهُمْ﴾ أي عن الأعداء ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: 174] أي حين النصر والظفر على الأعداء أعني يوم بدر وسائر الأحيان إلى يوم القيامة والحشر.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (١٧٥)

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات: 175] أي وأنزلهم العذاب حيث أبصروا وأدركوا العذاب بحسن البصر.

﴿أَفِعْدَابِنَا يُسْتَعْجِلُونَ﴾ (١٧٦)

﴿أَفِعْدَابِنَا﴾ ويحلون عقابنا ﴿يُسْتَعْجِلُونَ﴾ [الصافات: 176].

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِثِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (١٧٧)

﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ العذاب وحل العقاب ﴿بِسَاحِثِهِمْ﴾ وقضاء فناء عرصة دارهم وقطع وجزم بانتفاء استراحهم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الصافات: 177] أي ضلّ وأصبح صباح الذين أنذروا ظلامًا وأيضًا مساءً.

﴿وَنُؤَلِّعُ عَنْهُمْ هَحَّىٰ حِينٍ﴾ (١٧٨)

﴿وَنُؤَلِّعُ عَنْهُمْ هَحَّىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: 178] على ما تقتضي الدورة النورية الجمالية والكورة الظلية الجلالية، فالأول إشارة إلى الثاني والثاني إلى الأول.

﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (١٧٩)

﴿وَأَبْصِرْ﴾ العذاب يقتضيه دورة النور والجمال كما أبصرت العذاب الذي يقتضيه كورة الظل والجلال الضمني ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات: 179] في انتهاء اقتضاء الدورة وانقضاء ارتضاء الكورة.

﴿سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُوْنَ ﴿١٨٠﴾﴾

﴿سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُوْنَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات : 180] على ما يقتضيه النور والجمال .

﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات : 181 - 182] على ما يقتضيه الظل والجلال عن النبي ﷺ : «من قرأ والصافات أعطي من الأجر عشر حسناتٍ بعدد كل جني وشيطان وباعدت منه مردة الشيطان وبرأ من الشرك» . قال علي رضي الله عنه : من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى يوم القيامة فليكن آخر كلامه من مسبحه : ﴿سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ إلى آخر السورة .





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي صير صاد جبل وجود رسول الله ﷺ في مكة عالم الناسوت قرار الأعيان مرتبة الكائنات ومداد الأكوان مرتبة المكونات ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي جعل الجزاء الأفضل أعني داوود الروح إمامًا وظيفه في مصر البدن ومدينة الحسد لانتظام أحوال ممالك أطوار سلطان القلب لتحصيل أنوار أسرار عالم الشهادة والغيب ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذين أودع . . .

﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾

﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾ [ص: 1 - 2] أي المخالفين الذين فسقوا وخرجوا على هذه الدولة من الروم إلى الشام ومصر وغيرهم من الأعراب والأعجام في بضع سنين مع أنهم كانوا في عزة ومنعة وغلبة وشقاق في حالة الصحة ومرض الشقاق، وجاءت هذه في حقهم ﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا تَوَلَّوْنَا قَدًّا كُنَّا فِي عَفْوََةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء: 97].

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَاَلَاتِ حِين مِّنَاصٍ ﴿٣﴾﴾

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ [ص: 3] التكثير ووعيد على كفرهم به استكبارًا أو شقاقًا واستنكارًا أو مكابرة وعنادًا فإنَّ الله قد أودع جميع الأسرار الإلهية وأبدع تمام الأنوار الكونية والحقائق الربوبية وعموم الحوادث الزمانية والحوادث

الكنانية على طريقة اللزوم والملازمة بأن جعل الله تعالى بعضها مرتبًا ببعض لعلاقة وعلية بينها بأن لو ذكر أو تعقل أحدهما إلى الآخر انتقالًا عقليًا أو وهميًا أو عاديًا ﴿فَادَاوَأَ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: 3] استغاثة وعادوا فيها استعانة أو قوة واستغفارًا، ولا مشابهة بليس، زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وخصت بلزوم الأعيان وحذف أحد المعمولين وقيل هي النافية للجنس أي لا حين مناصٍ منجى ومخلصٍ أو مؤخر مصدرى ناص ينوص إذا تأخر أو ناص ينوص إذا تقدم.

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا سَحَرٌ كَذٰبٌ﴾ ﴿٤﴾

﴿وَعَجِبُوا﴾ أو وقعوا في التعجب بأنه خلاف ما أطبق عليه وتطابق واتفق وتوافق لديه آباؤنا وما نشاهده من أن الواحد لا يفي عمله قدرته ومشيتته وإرادته في خلق الأشياء المتخالفة ﴿أَنْ جَاءَهُمْ﴾ رسول ونبي ﴿مُنْذِرٌ﴾ وهو بشر مثله هم ﴿مِّنْهُمْ﴾ من جملتهم ﴿وَقَالَ الْكٰفِرُونَ﴾ وضع المظهر موضع المضمرة غضبًا عليهم وإشعارًا بأن كفرهم مبني على هذا القول ﴿هٰذَا سَحَرٌ﴾ في إظهار معجزاته ﴿كَذٰبٌ﴾ [ص: 4] فيما يقول على الله وعدًا ووعيدًا.

﴿أَجْعَلِ الْاٰلِهَةَ اِلٰهًا وَجِدًّا اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ مُّجٰبٌ﴾ ﴿٥﴾

﴿أَجْعَلِ الْاٰلِهَةَ﴾ التي وجدنا عليها آباؤنا ﴿اِلٰهًا وَجِدًّا﴾ وربًا متحدًا ﴿اِنَّ هٰذَا﴾ [ص: 5] الأمر الذي جعل الآلهة إلهًا واحدًا وإسناد الأفاعيل كلها منه الخير والشر والنفع والضرر إليه ﴿لَشَيْءٌ مُّجٰبٌ﴾ [ص: 5] بالغ في العجب في النهاية إذ هو خلاف ما أطبق عليه ومخالف لما اتفق لديه آباؤنا ومستبعد جدًا من الواحد، لا نفي علمه وقدرته وإرادته ومشيتته في إيجاد الأمور الكثيرة المتخالفة وتديريها من السماوات والأرض وما فيها وخارج عنهما من طبقات الأفلاك والأمكنة، روي أنه لما أسلم عمر ودخل في زمرة المسلمين واتفق بالمؤمنين شق ذلك على قريش فأتوا أبا طالب وقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا ورئيسنا ورأسنا وأنت تعلم ما يفعل هؤلاء السفهاء أو الفرق الجهلاء وإنا أتينا لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فاستحضر رسول الله ﷺ وقال: هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل إليهم كل الميل فقال: «ما يألوني» قالوا: ارفضنا وارفض ذكر أهلك فقال: «أرأيتم؟ إن

أطعتوني فأتوني بكلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم العجم» قالوا: نعم، قال عليه السلام: «قولوا لا إله إلا الله» فانطلق وذهب الملاً أشرف قريش من مجلس أبي طالب.

﴿وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ ءِالْهَيْكَلٍ وَإِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾

﴿وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا﴾ إلى ما أنتم عليه ﴿وَأَصْبَرُوا﴾ واثبتوا ﴿عَلَىٰ ءِالْهَيْكَلٍ﴾ وعلى عبادتها ولا ينفعكم مكالمته لأنه يدعوكم إلى إلهه ويأمركم بترك عبادتكم ألّهتكم وإن هي المفسرة ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الأمر الذي يدعيه من التوحيد ورفض الآلهة ﴿لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: 6] بيننا وبينك من ريب الزمان أو التوحيد أو ما يقصده من الرياسة والتفرع والسعادة على العرب والعجم.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾﴾

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الأمر الذي يدعيه ﴿فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ التي تركنا عليه أبائنا أو في ملة عيسى التي هي الملك ونهاية النحل أو حال من هذا أن ما سمعنا من أهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائناً في الملة المترتبة ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الأمر الذي يدعيه من التوحيد ﴿إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [ص: 7] أي كذب محض وافتراء طلق اختلقه واخترعه وتعمده بنفسه.

﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾﴾

﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ مع أننا وهو في درجة واحدة بل نحن أحق لتمولنا وفضلنا عليه بالمال والجاه والمنال فاختصاصه من بيننا به تحكم ولا يعلمون الله، يعلم ما يسرون وما يعلنون، ويده مقاليد السماوات ومفاتيح خزائن الأرض والسعادات يختص برحمته بأمره وعموم نعمته بإذنه من يشاء من عباده ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ أي ليس لهم استحقاق الوحي في ارتيابهم في مبدئه بل في منزله ومبدئه، وهو القدرة الكاملة والإرادة الشاملة إذ لو اعتقدوا الخالق القادر على كل شيء لما وقع عنهم الشك في الذكر والقرآن وفي إنزاله على من يشاء من عباده ﴿بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ﴾ [ص: 8] بكسر الباء الدال على حذف الياء يعني بل ارتيابهم وشكهم في القرآن أمر مستقر لا يزول عنهم إلى أن يدوقوا عذاب الشك،

فلما ذاقوا عذاب الشكّ زال عنهم الارتياب والشك شرطاً وعلّة .

﴿أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾

﴿أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾ [ص : 9] إشارة إلى عدم اعتقادهم بالحقّ والحقائق إلى تنوع فساد حقيقتهم وعقيدتهم ، فإنهم تارة يتشككون وتارة يدعون الألوهية لاستحقاق نزول الذكر عليهم ، وتارة أن يكون عندهم خزائن الرحمة فيتصرفون فيها فيتخيرون للنبوة بعض أساطينهم ورؤسائهم وأسائدهم ، فالأمر ليس كما توهموا بل الوحي والقرآن عطية إلهية وموهبة ربانية يختص بها من يشاء من عباده في أنه بقعة في بلاده ويفضله على من يريد ويهب لمن يشاء ويزيد .

﴿أَمْرٌ لَهُمْ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾﴾

﴿أَمْرٌ لَهُمْ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا﴾ ويتشككوا ويتصعدوا ويتسلكوا ﴿فِي الْأَسْبَابِ﴾ [ص : 10] التي توصلهم إلى السماء فليأتوا بها في الوحي إلى من يختارون ، هذا دعاء آخر منهم استدل حكماء الإسلام على أن الأجرام الفلكية وما أودع فيها من النفوس والقوى والخواص أسباب الحوادث السفلى بما أن الله تعالى سمى الفلكيات أسباباً وذلك يدل على ما ذكر .

﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾

﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾﴾ [ص : 11] جند مبتدأ وما للإيهام كقولك بصور ما وبوجه ما وشعور ما ، والظرف صفة له أي جند ثابت أي في ذلك الموضع الذي كانوا يذكرون هذه الكلمات الطاغية الطاعنة في نبوة محمد ﷺ ، وهو في مكة فيدل على أن المراد وهو فتح مكة ، قيل هو يوم بدر أو الخندق والأحزاب من الأعراب التي اجتمعوا وهم الكفار .

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾﴾

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ [ص : 12] ذو الملك الثابت الأوتاد في أكثر البلاد وذو القوة الشديد والبطش المبتدأ السديد ، أو ذو الجنود التي هي الجماعة الكثيرة ، سموا بذلك لأن بعضهم يشد بعضاً كالوتد ليشد البناء ، قيل كان يمد الرجل مستلقياً على الأرض ثم

تشدّ يديه ورجليه ورأسه على الأرض بالأوتاد.

﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَبُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَبُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ [ص: 13] هم قوم شعيب أي الأشجار المؤتفكة المتكاثرة، وإنما أهلك الله هذه الأقوام سنة بالغرق والظوفان قوم نوح وقوم عاد أعني عاد بالريح وتمود قوم صالح بالصيحة، وقوم لوط بالخسف، وقوم شعيب بعذاب الظلة، والأقباط قوم فرعون بالغرق في النيل.

﴿إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾

﴿إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص: 14] بكسر الباء الدال على الياء أي وجب عليهم ونزل لديهم عذابي.

﴿وَمَا يَنْظُرُ هَتُّوْلَاءَ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَمَا يَنْظُرُ هَتُّوْلَاءَ﴾ أي كفار مكة أو مطلق الكفرة إذ مورد الآية وإن كان خاصًا إلا أن حكمها عام ﴿إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَةً﴾ وهي نفخة الصور ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [ص: 15] بضم الفاء وفتحها فالأولى قراءة بني تميم ولغتهم والثانية لغة جرهم بمعنى الراحة والإفاقة كالعقاب بمعنى الإجابة إذ ذهاب المرض الأول ما بين الحياتين فوافق أي العذاب لا يمهلهم بذلك القدر من الزمان والوقت ما لها من مقدار صوت فواق ومكثه.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَطْنَا﴾ أي قسطنا وحصتنا من العذاب، كناية وقرطاسية أي صحيفة الأعمال ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: 16] أجزر. قيل: لما نزلت ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [الانشقاق: 7] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة: 25] قالوا استهزاءً عجل لنا قطننا وكتابنا في الدنيا، قيل يوم القيامة والحساب، قيل حظنا أو نصيبنا من الجنة.

﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَأَصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي الكفار من تكذيبك والاستهزاء بك وبتكاتبك ﴿وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ [ص: 17] أي واذكر لهم قصة داوود تعظيمًا للمعصية

في أعينهم وتكريماً لعبادِ الله في كمال إشفاق الحق في حقهم، فإن الأنبياء مع كونهم معصومين من الصغائر والكبائر تنتفي صدور المعصية منهم فما ظنك بالأولياء والأحياء، سيما من وقع في رتبة المحبوبين ومرتبة المجذوبين، فإنهم إن اتفق أن يصدر منهم المعصية والذنب ويظهر عنهم الإثم من الكبيرة والنقصان والريب والعيب، فإن الله يغفر لهم ويعفو عنهم إذا تابوا إليه وأنابوا عنده ولديه ﴿ذَا الْأَيْدِي﴾ أي ذا القوة الكاملة والقدرة الشاملة والحكمة الواصلة ﴿إِنَّهُ أَوْبٌ﴾ [ص: 17] رجاء وأياب وذوا إياب إلى الله ومرضاته فإنه كان كثير الاستغفار والاسترجاع والاستبشار، وأحب الصلاة والصيام وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ ﴿١٨﴾

﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ﴾ أي أطعنا الجبال به لنا أو أطعناه بالجبال لحكمنا وقضائنا، كما قال وسخرنا مع داود الجبال ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ يشتغلن بتسبيح الله وتنزيهه وتبعيده عن كل نقص لا يليق بحضرتيه ولا يحق بنعت ألوهيته وصفة ربوبيته ﴿بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: 18] أي وقت العشي وحين الإشراق أي إذا أشرقت الأرض بنور الشمس ألوهية وطلوعها وارتفاعها إلى أن بلغت حد الضحوة وعن أم هاني بنت أبي طالب أنه عليه السلام صلى صلاة الضحى فقال: يا أم هانيء هذه صلاة الإشراق عن ابن عباس رضي الله عنه ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية.

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿١٩﴾

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [ص: 19] من كل جانب إليه ومن أي بعد وقطر لديه، عطف على الجبال، أي وسخرنا الطير محشورة قال ابن عباس كان داود إذا سبح سبح به الجبال، اجتمع معه الطيور وحشرت وسبحن معه والأشياء كلها يسبحن الله لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44] فلاشياء كلها ذوات عقول وتميز يناسبها، وإنما لم يراع المطابقة بين الحالين لأن الحشر جملة أدلة على كمال القدرة ووفور القوة منه مدرجاً، وقرئ بالرفع بالابتداء والخبر ﴿كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 19] أي كل واحد من الجبال والطيور رجاء إليه لأجل التسخير والفرق بينه وبين ما قبله أنه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا يدل على المداومة عليها أو كل واحد منها ومن داود مرجع لله التسبيح.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُمْ وَأَيَّنَّا لَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ ﴿٢٠﴾

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُمْ﴾ وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود ﴿وَأَيَّنَّا لَهُ الْحِكْمَةَ﴾ نبوة والحكومة والعلم وأبواب العلم ﴿وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: 20] وقطع الخصومات لتمييز الحق عن الباطل والكلام المحض الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراع فيه خطاب الفصل والوصل والعطف والاستئناف والإضمار والإظهار والحذف والتكرار، وإنما سمي به لأنه يفصل المقصود عما سبق مقدمة من الحمد والصلاة وقيل هو الخطاب الفصل الذي ليس فيه اختصار محل وإيجاز مفضل وإشباع ممل كما جاء في الحديث في وصف كلام الرسول ﷺ لا نذر ولا هذر.

﴿وَهَلْ أُنْتَكَبُوا الْخَصْمَ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ ﴿٢١﴾

﴿وَهَلْ أُنْتَكَبُوا الْخَصْمَ﴾ استفهام فيه التعجب والتشويق إلى استماعه والخصم في الأصل مصدر، ولذلك أطلق للجمع ﴿إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص: 21] إذ تصعدوا سور الغرفة متعلق بمحذوف أي نبأ يحاكم خصم إذ تسوروا بالبناء على المراد به في عهد داود، وإسناد إنا إليه على حذف مضاف، أي قصة نبأ الخصم، أو بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا يتأتى لأن إتيانه الرسول عليه السلام لم يكن.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى

بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ ﴿٢٢﴾

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ﴾ بدل من الأولى أو ظرف لتسوروا ﴿فَفَزِعَ﴾ داود ﴿مِنْهُمْ﴾

أي من كل واحد منهم دخلوا ونزلوا لديه من فوق في يوم الأحزاب والمجرمين على الثبات لا يتركون من يدخل عليه، فإنه عليه السلام كان قد قسم زمانه يوماً للعبادة ويوماً للتقضي، ويوماً للوعظ، يوماً اشتغال لحاجته، فتسور عليه ملائكة على صورة الإنسان في يوم الخلوة ﴿قَالُوا﴾ أي الملائكة ﴿لَا تَخَفْ﴾ [ص: 22].

واعلم أن للناس في هذه القصة ثلاثة أقوال:

أحدها: ذكر هذه القصة على وجه يدل على صدور الكبيرة عنه.

والثانية: دلالتها على الصغيرة.

والثالثة: ذكر قصته بحيث لا يدل على الصغيرة ولا على الكبيرة.

أما الأول: فحاصل الكلام أن داوود عليه السلام عشق امرأة أوريا فاحتال بالوجوه الكثيرة حتى قتل زوجها ثم تزوج بها فأرسل الله إليه ملكين في صورة المتخاصمين في واقعة شبيهة بواقعته وعرضاً عليه تلك الواقعة فحكم داوود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنباً ثم تنبه لذلك فاشتغل بالتوبة.

وفائدة الاستفهام التنبيه على جلاله القصة المستفهم عنها ليكون داعياً إلى الإصغاء لها والاعتبار بها، وقول إن هذا الانتساب مما ما يرضى به بالنسبة إلى واحدٍ من الناس فكيف إلى من هو أشرف زمانهم وأفضلهم وعصمه من الصغائر والكبائر، إن الله أمر حبيبه بأن يقتدى على المصابرة على المكاره وعلى طاعة الله، فالأولى أن يحمل على الثالث لا تخف يا داوود حيث أتاك للحكومة ﴿حَصَمَانَ بَعْنٍ﴾ وطفغى ﴿بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُمُ﴾ يا داوود ﴿يَبْنَئًا بِالْحَقِّ﴾ والعدل من غير حيف وميل ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ من الشط وهو الإفراط في البعد ويعبر عن الجور وعن البعد عن الحق مأخوذ من شط النهر حيث يبعد عن الماء من حافته، أي ولا يظلم ولا تبعد عن الحق في الحكم والتظلم، ولا تجاوز عن الصواب في الحكومة ﴿وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [ص: 22] أي شدنا وثبتنا على وسطه.

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي﴾

### فِي الْخُطَابِ ﴿٢٣﴾

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ للدين في الدين وعلى طريقي وسبيلي وسيرتي اجتلاب بشرف حكم اليقين باكتساب السعادة في يوم الجزاء ويوم الدين ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً﴾ ضأنة ومعز، والعرب تكني بالنعجة عن المرأة إشارة إلى داوود عليه السلام ﴿وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا﴾ أعطيتها واجعلني كافلاً وهو الذي يعني بها وينفق عليها أي طلبها لا تزوجها ﴿وَعَزَّنِي﴾ وغلبنى عزيزاً غالباً ﴿فِي الْخُطَابِ﴾ [ص: 23] أي في مخاطبتها ومكانتها بأن جاء بحجاج لم أقدر بردها أو في مغالبتها إياي في الخطبة، فقال خاطبت وخطبت المرأة وخطبها وهو يخاطبني خطاباً حيث زوجها دوني.



﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَىٰ نَجْمِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ۖ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۗ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ أخوك ﴿سُؤَالِ نَجْمِكَ﴾ مضمومة جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في إنكار فعل خليطه ولتبين طمعه، ولعله قال ذلك بعد اعترافه أو على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف إلى مفعوله وتعديته إلى مفعول آخر إلى تضمنه معنى الإصغاء ﴿إِلَىٰ نَجْمِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي﴾ ويظلم ﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ الشركاء الذين خلطوا أموالهم جمع خليط ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فإنهم لا يظلمون أحدًا لأن كمال الإيمان يردع المؤمن عن ارتكاب الظلم سيما إذا قارن به العمل الصالح ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ أي هم قليل ما صلة أو تأكيد بمعنى التنكير والإبهام ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ﴾ وأيقن وعلم وأتقن وأحكم علمه علمًا يقينًا ﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ وابتليناه ابتلاءً شديدًا وامتحنناه امتحانًا شديدًا ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ لذا نبه الصعاد رغم صدور الاختيار ﴿وَخَرَّ﴾ وسقط ﴿رَاكِعًا﴾ ساجدًا والمراد هو قصد الهوي إلى أن بلغ حد الركوع ثم سجد ﴿وَأَنَابَ﴾ [ص: 24] فرجع إلى الله بالتوبة وعاد إليه بالإنابة والتبتيل والحوبة.

فلما كان الأنبياء معصومين من الكبائر والصغائر قيل أن ذنب داوود إنما كان لأنه تمنى أن يكون امرأة أو رياء وخبث فاتفق الغذاء فقدم داوود في ذلك الغذاء ليقتل ويتزوج امرأته فلما قفل ووصل خبر قتله ولم يجزع عليه كما كان يجزع على قتل الأحياء والعساكر والأنصار والأعوان، فلما تزوج امرأة أوريا ابتهاجًا به ومسرة له عاتبه الله على ذلك بأن عين الملكين ليرفع هذه الصورة إلى داوود توبيخًا وزجرًا على تمنى تزوج تلك المرأة وهذا الأمر وإن كان في الصورة صغيرًا إلا أنه في الحقيقة والمعنى لكبير لاشتغال قلبه بما سوى الله وتوجهه إليه، قيل كان ذنبه أن أوريا كان قد خاطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داوود فتزوجت منه فاغتم لذلك أوريا فعاتبه الله تعالى على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لغيره وعنده تسعة وتسعون امرأة.

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ يقول: «إن داوود حين نظر إلى المرأة

فأهمّ ما همّ فأوصى صاحب البعث وقال: إذا حضر العدد تقرب فلاناً وفلاناً بين يدي التابوت، وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم الجيش، فقتل زوج المرأة فنزل الملكان يقصان عليه قصتها ففطن داوود فسجد ومكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الأرض من جنبه، وهذا يقول في سجوده زلّ داوود زلّةً بما بين المشرق والمغرب، لم ترحم ضعف داوود ولم يغفر ذنبه أحداً في الخلق من بعده. فجاء جبرئيل من بعد أربعين ليلةً فقال: يا داوود إن الله قد غفر الهم الذي هممت به، فقال داوود الربّ قادر على أن يغفر لي الهم الذي هممت به، وقد عرفت أنّ الله عدل لا يميل، فكيف يميل بفلان جندياً إذا جاء يوم القيامة فقال في الذي عند داوود، فقال جبرئيل ما سألت الله يا داوود على ذلك فإن ثبت لأفعلن فقال: نعم، ففرح جبرئيل وسجد فمكث ما شاء ثم نزل، فقال سألت الله يا داوود عن الذي أرسلني فيه فقال قل لداوود إنّ الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب حرمك الذي عند داوود، فيقول هو لك يا رب، فيقول فإن لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضاً، قال بعضهم: إن داوود لما دخل عليه الملكان ففضى على نفسه فتحولاً في صورتها فخرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه، وعلمه داوود إنما عنى به فخرّ ساجداً أربعين ليلةً لا يرفع رأسه إلا لحاجة ولوقت الصلاة المكتوبة ثم يعود ساجداً إلى أن يتم أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه ويناجي إلهه ويسأله التوبة ويحاول منه الإيابة. وكان من دعائه في سجوده: سبحان الملك الأعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء، سبحان خالق النور، سبحان الحائل بين القلوب، إلهي أنت خلقتني فكان في سابق علمك ما أنا إليه صائر، سبحان الله خالق النور إلهي خلقت بيني وبين عدوي إبليس إلهي الويل الويل لداوود إذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داوود الخاطيء، سبحان خالق النور إلهي بأي عين أنظر إليك يوم القيامة وإنما ينظر الظالمون من طرف تبقى بأي قدم يقوم بين يديك يوم القيامة يوم يزل الأقدام من الخاطئين، سبحان خالق النور، إلهي من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده، سبحان خالق النور إلهي أنا الذي لا أطيع حر نارك سبحان خالق النور إلهي أعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبي».

﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ الذي اقترفه ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ أي القرب يعني القرب أي العلم بالقرب ﴿وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: 25] أي جنة وشهود وجه الله ولقائه.

﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ وناثباً عنا في التصرف في الكون ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ بالقسط والعدل والانتصاب لا بالمزية ولا الفضل والجود والاعتساف ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ أي مثل النفس الأمارة وهواها أي مشتيتها ونيلها إلى مرضاتها ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وطريق الحق والوسط المحقق وهو الدين والإسلام إن الدين عند الله الإسلام ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: 26] بسبب نسيانهم في الدنيا يوم القيامة التي فيها الحساب ويعطى فيها الأجر والثواب ونعطي فيها العقاب.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ

كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [ص: 27] في بحر من الكائنات وهو ثواني النجوم من الرعد والبرق وذوات الأذنان في طبقات العناصر وكرة البخار والهواء والنار من مارج من نار والجان خلقتا من قبل من نار السموم (باطلاً) لا يكون فيه حكم ومصالح فيكون عبثاً وضائعاً وضاللاً بلا فائدة.

حكى عن الله تعالى: لما تاب على داود وقبل منه التوبة بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا ترقأ دموعه لا ليلاً ولا نهاراً وهو ابن سبعين سنة فقسم أوقاته على أيام، يوم للقضاء بين بني إسرائيل، ويوم لنسائه، ويوم يسبح فيه في الفيافي والجبال والساحل، ويوم يخلو في دار له فيها أربعة ألوف فيجمع إليه الرهبان لينوح وتبكي معه الشجر والطيور والمياه والسباع فإذا أسى رجع، فإذا كان يوم يوجهه على نفسه نادى مناحة على نفسه أن اليوم يوم نوح داود على نفسه

فليحضر من يشاهده فيدخل الغار التي فيها المحاريب فيبسط له ثلاثة فروشٍ من مسوح حشوها ليف فيجلس عليه ما يرتجي أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داوود صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى ينحر الفرس في دموعه ويقع داوود فيها ينشد الفرج وهو يضطرب، فيجيء ابنه سليمان فيحمل داوود من تلك الدموع بكفيه ثم يمسح بها وجهه ويقول: يا رب اغفر ما يرى فلوعدل بكاء أهل الأرض لعدل ما شرب داوود شربة ماءٍ ولا يأكل لقمةً من الطعام إلا وفيها دموع ﴿ذَلِكَ﴾ الخلق الباطل أو المظنون العاطل ﴿طُنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ومطلق الكفار ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: 27].

﴿أَمْ جَعَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٢٨)

﴿أَمْ جَعَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ منقطعة والاستفهام فيه إنكار التسوية بين المجرمين والمؤمنين المتقين ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: 28].

﴿كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مَبْرُكٌ لِيَذَّبُوا ءَايَتِيهِ وَلِيَسْتَدَكِّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢٩)

هذا ﴿كُنْتُ أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ مَبْرُكٌ﴾ كثير المنافع كبير المجامع ﴿لِيَذَّبُوا ءَايَتِيهِ﴾ ويتفكروا في معظم بيناته ﴿وَلِيَسْتَدَكِّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29] ليتعظ أرباب النهي وأصحاب العقول السليمة في القطرة الأولى.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ ءَوَّابٌ﴾ (٣٠)

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ تكريمًا وتعظيمًا ﴿نِعَمَ الْعَبْدِ﴾ أي سليمان وما بعده تعليل للمدح ولذا حذف المخصوص به وهو من حاله ﴿إِنَّهُ ءَوَّابٌ﴾ [ص: 30] أي داوود رجاع إليه مبتغى الثواب لديه.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِينَتُ الْحِيَادُ﴾ (٣١)

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ أي على سليمان ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ في العشاء ﴿الصَّفِينَتُ﴾ [ص: 31]

جمع صافنة وهو الخيل الذي يقوم على ثلاث قوائم وهو من الصفات المحمودية في الخيول الصفوف القيام وجاء في الحديث: «من سرّه أن يقوم له الرجال صفوفاً فليتبوأ مقعده من النار»، ﴿الْحَيَادُ﴾ [ص: 31] جمع جواد وهو من الجودة وهو السابق والمعنى إن استوفت سكنت، وإن ركضت سبقت فعرضت الخيول لسليمان ففتنته لصلاة العصر بعد غروب الشمس فتنبه فندم.

﴿فَقَالَ إِنَّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَّتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فَقَالَ﴾ اعترافاً بذنبه وقال سليمان بعد الانتباه عن نوم الغفلة ﴿إِنَّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ آثرت واخترت وذ الخيل ومحبتها، والمراد من الخير هو الخيل، وإنما سميت خيراً لأنه معقود بناصيتها الخير كما ورد في الحديث: «الخيول معقود في نواصيه الخير إلى يوم القيامة»، ﴿حَتَّى تَوَارَّتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: 32] حتى توارت الشمس وغابت واختفت بحجاب الأفق الحسي أو الحقيقي.

﴿رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَطْفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿رُدُّوَهَا﴾ أي الصافنات ﴿عَلَيَّ﴾ أفعدوها بين يدي وهو مفعول فقال ﴿فَطْفِقَ﴾ أي أخذ سليمان أي يمسح فيقطع ﴿مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: 33] وقطعاً يعني أن سليمان لما اشتغل بالصافنات ومشاهدتها وضبط أحوالها إلى أن توارت الشمس وغربت وفاتت منه صلاة العصر استردها وأمر بذبحها وقطع سوقها وأعناقها بالسوق لشغلها عن ذكر ربه وتصدق بلحومها لتأثير محبتها وتأثر مودتها في قلبه بأن شغلته عن القيام بأمر ربه ولا دواء لدفع الداء لا ذلك. قال النبي ﷺ: «كل ما شغلك عن ذكر ربك فهو دنياك وحب الدنيا رأس كل خطيئة وترك الدنيا رأس كل عبادة».

ولما كان سليمان نبياً ابن نبي أيده الله تعالى بالنصر والظفر وسخر له الريح والإنس والجن، ومن شأن الأنبياء أن يعصمهم الله تعالى من الصغائر والكبائر فمن طعن في سليمان ونسب إليه الكبائر العظيمة الجسيمة فهو ناشئ من كمال عداوته وبغضه له، وقد وصل إليه ميراث من الآباء والأجداد بطناً بعد بطن ونسلاً بعد نسل، إلى أن ينتمي إلى طائفة من اليهود قد كانوا عادوا سليمان وكفروا إلى أن جاء الإسلام ونزل في حقه ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾

[البقرة: 102] فمن طعن في حق سليمان فهو من ثمرات تلك العداوة الموروثة قال النبي ﷺ: «الحب يتوارث والبغض يتوارث».

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ [ص: 34] وألقيناه في الفتنة بأنه لما سمع أن في مدينة في جزيرة من جزائر العرب ملك له ملك عظيم ليس للناس إليه سبيل لتحصنه في البحر كان الله قد أتى لسليمان في ملكه سلطاناً لا يمنع عليه شيء لا في بر ولا في بحر، فأمر الله أن يركب الريح والفلك فخرج إلى تلك المدينة حتى نزل بجنود من الجن والإنس فاستولى عليها فقفل ملكه وسخر ملكه وأصاب فيما أصاب بنتاً لذلك الملك يقال لها جراده فلم يخلق مثلها في البلاد محفوفة بالحب والوداد فاصطفاها وأثرها ودعاها إلى الإيمان والإسلام، فأسلمت وأحبها حباً شديداً لم ينجب أحداً مثلها من نسائه، وكانت عنده على منزلة رفيعة ورتبة منيعة لكنها كانت محزونة مهمومة ومحنونة لا يسكن حزنها ولا يستكن دمعها فشق ذلك على سليمان فقال ويحك ما هذا الحزن الذي لا يندفع والدمع الزارف لا ينقطع، قالت إني أتذكر أبي وما كان له في ملكه وما أصابه، قال سليمان إن الله أم أبوك وملكه أوسع أم ملك أبيك؟ قالت: الله وملكه أوسع، وهو باق وما سواه هالك فإذا قال: فما بالك لا تتبلي إليه ولا تنقطعي عما سواه لديه لتبقي ببقائه وتبتهجي وتسري بمشاهدته ولقائه! فوطني نفسك بذلك الملك والمالك الباقي وبطني قلبك عما سواه وعالجي مرضاته بذلك الترياق والراق.

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقبي

إلا الحبيب الذي شغفت به وعنده رقيتي وترياقبي

قالت: نعم إنه كذلك لكن بحكم حال البشرية وقرب العهد بذلك إني إذا ذكرته يطرأ عليّ بلا اختيار وإرادة الحزن المتفاقم والهم المتراكم لا أقدر على دفعه ولا أستطيع على رفعه لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً فلو إنك أمرت الشياطين لتصوروا إلى صورته في داري هذا لأتسلى بهذا ويكون لقلبي أمر يندفع به حزني ويرتفع به عني وينقطع به دمعي وحزني. فأمر سليمان الشياطين بتصوير صورة أبيها في داره فإذا خرج سليمان عن دارها كانت تسجد لتلك الصورة على

عادتها المستمرة وعبادتها المستقرة أربعين يوماً وهو لا يعلم هذه الحالة لإخفائها إياها عنه، وقد اطلع عليها وزيره آصف بن برخيا فأخبر عنها سليمان فقام سليمان فكسر ذلك الصنم وعاتب تلك المرأة وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. وقال: إن هذا لهو البلاء المبين والابتلاء المتين، ثم أمر بثياب المطهرة فأوتي بثوب قد غزلها الأبقار ونسجها وخاطتها الأبقار ولا يغسلها إلا الأبقار ولم يمسهما الحيض، فلبسها فخرج إلى فلاة من الأرض وحده فأمر برداء قد فرش وجلس على ذلك الرداء وتمعك فيه تذلاً لله وتضرعاً إليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره، فلم يزل يعقل ذلك حتى أمسى ثم رجع إلى ذلك وكانت له أم ولد يقال لها الأمينة كان إذا دخل مذهبه إذ أراد إصابة امرأة من زوجة وضع خاتمه عندها حتى يتطهر، وكان لا يمس إلا طاهراً أو كان ملكه وسلطنته وتسخيره الجن في خاتمه، فوضع في ذلك اليوم عندها، ثم دخل مذهبه وأتاها الشيطان صاحب البحر اسمه صخرة على صورة سليمان فقال: يا أمينة أعطني خاتمي، فناولته إياه فأخذه فجعله في يده ثم خرجا حتى يجلس على سبيله وعكفت عليه الطير والجن والإنس، فأتى لآمنة وغيرت حاله وهيئته فقال: يا أمينة أعطيني خاتمي قالت: من أنت؟ قال: أنا سليمان بن داوود قالت: كذبت، فدعا سليمان فأخذه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن خطيئة قد أدركته، فخرج فجعل يقف على دار من ذوي بني إسرائيل يقول: أنا سليمان بن داوود فيحثون عليه التراب ويسبونونه ويقولون: انظر إلى هذا الرجل المجنون أي شيء يقول يزعم أنه سليمان، فلما رأى سليمان هذا الأمر عمد إلى البحر فكان ينقل الحيتان لصاحب البحر إلى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين، فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة وشوى الأخرى فأكلها، فمكث بذلك أربعين صباحاً عدة ما كانت عبدت الوثن في داره فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم عدو الله الشيطان في ذلك الأيام فقال: آصف يا معشر بني إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان بن داوود؟ قال: فما رأيتم؟ قالوا: نعم، قال: أمهلوني حتى أدخل على نساءه فأسألهن هل أنكرتن في خاصية أمره ما أنكرنا في أمر عامة الناس وعلائيته، فدخل على نساءه هل أنكرتن من أمر داوود ما أنكرنا فقلن: أنشده ما يدع امرأة منا في دمها ولا

يغتسل من الجنابة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم خرج على بني إسرائيل ما في الخاصة أعظم مما في العامة.

فلما مضى أربعين صباحًا ظهر الشيطان من مجلسه ثم مر بالبحر وقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فأخذها بعض الصيادين، وقد عمل له سليمان وأخذ سمكتين وفي أحدهما خاتم سليمان فباع التي ليس فيها خاتم وأمسك ما فيها خاتمه، فلما أخذ في أكلها شق بطنها وجد في بطنها خاتمه فحمد الله وأثنى عليه وخر ساجدًا باكيًا متضرعًا بسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشيًا وحين تظهرون، فتختم فاعتكفت عليه الطيور والوحوش والإنس وجميع الموجودات فأتى إلى قومه ورجع إلى ملكه في يومه.

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ أي خاتمًا وإنما عنى الخاتم بالجسد إشعارًا أن جسد سليمان وحقيقته وما تدور عليه سلطته وملكه وحكمه وحكمته وحكومته ونبوته وسائر ما على بنيته وأبنيته هو الخاتم لأن الجسد وجسمه قد كان في هذه الأيام معطلًا كأنه كان باطلًا ومبطلًا كأن لم يكن شيئًا مذكورًا أو أمرًا لإسار أو لا مسرورًا إلى أن صار آصف في هذه الأيام حاورًا ودائرًا فبائرًا وسائرًا إلى أن رد له ملكه وأجلسه على سريره وكرسيه وأعاد الخاتم في يده فثبت. قيل: احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله إليه: احتجب عن الناس ثلاثة أيام فلما تنظر في صور عبادي فابتلاه الله عز وجل فأمر الشيطان أن يأخذ خاتمه ثلاثة أيام كما ذكر ثم أناب أي ألقينا أو غلبنا سليمان على كرسي الخلافة وعرش الإمامة والنبوة بعد إسقاطه بعد أربعين يومًا ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: 34] إلى الله ورجع إليه وتجاوز لديه هذا العقاب إنما شاع من الله تعالى وطاب لمجرد التصوير وتجويز التحرير فما ظنك بأكثر من ذلك.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ [ص: 35] وتجاوز عن سيئاتي ووفور خطيأتي التي صدرت عني في أغلب أوقاتي وأكثر مقامي الذي صرفت إليه النظر في إصلاح أحوال الممكنات، ولذلك أمر الله حبيبه بدوام الاستغفار وتسيحه بقوله ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: 3] قال عليه السلام: «وإني



ليغان على قلبي واني لأستغفر الله في كل يوم بمائة مقام مائة مرة أو سبعين مرة»،  
﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا﴾ في الصورة والمعنى أو في الدنيا والعقبى أو في عالم سلطنة  
البرزات الكلية في الصورة، فإن عرضه الصورة ضيق جدًا لا يسع أمثال هذه  
المنح والأعطيات ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ [ص: 35] أي باقي عمري، فإن أوان  
الشباب أقوى من أوان الوقوف وما بعده، وأوان الوقوف أقوى من أوان الكهولة  
وأوان الكهولة أقوى من الشيخوخة إلى الموت الطبيعي إشارة إلى أن كل دورة  
يكون أقرب إلى المبدأ أي أعظم أعيان الأدوار، فإن أعيان الدورة العظمى أعظم  
قدرًا وأتم مقدارًا وأعم سلطةً من أعيان الدورة الكبرى، وكذا أعيان الدورة  
الكبرى أعظم من أعيان الدورة الوسطى، وأعيان الدورة الوسطى أعظم من أعيان  
الدورة الصغرى، وسلطنة أعيان كل دورة قريبة إلى الذات أقدم، فتكون أعظم فلا  
يكون ولا يثبت في دورة دينية وكورة بعيدة من بعدها وإن كانت من حيث  
الخصائص الجامعية أنزل وأسفل وأقل ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: 35] ولاختصاص  
مطلق الموهبة ولانتصاص الفطنة الذاتية بك خصصتني بموهبة لا تليق بغيري  
وتقديم المغفرة على طلب الملك والمملكة إشعار بأن إجابة الدعاء والمسألة  
وثبات الملك والمملكة موقوف على إقامة الدين ولو كان باطلاً منسوخًا بقوله  
الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم.

﴿فَسَحَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾

﴿فَسَحَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ وهو هواء الحياة التي هي شرط العلم، أو المراد  
هو هواء الحب الذاتي، الذي هو أول الاعتبار ومبدأ تمام الأسماء والصفات  
«كنتُ كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف»:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبي خاليًا فتمكنا

إشارة إلى أن سليمان من أعيان الدورة الكبرى الذي ربها هو الحياة، وبيان  
الاختصاص بالموهب الصورية أي ذللنا له الريح والعناصر الهوائية التي تجري  
بأمره حيث أراد وأي مكان تريد، أن رجوع وعاد وأعاد، وكذا ذللنا له الطيور  
والوحوش والجمال والوهاد والشياطين التي خلقها الله تعالى من الهواء الغالب  
على سائر العناصر والمواد ﴿رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: 36] من الرخاء وهو اللين،

والسهولة كناية عن كمال المطاوعة ووفور الإطاعة الصادرة من العناصر  
والمركبات منها بأنه يتصرف فيها حيث يريد ويشاء .

﴿وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ﴾ (٣٧)

﴿وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ﴾ (ص: 37) عطف على الريح يدل عليه ويفصله  
قوله كل بناء وعواص بدل من الشيطان أو بيان للشياطين بأن بعضهم يعمل البناء  
والآخرين غواصون في البحر وجو الهواء .

﴿وَالْآخِرِينَ مُمْرِنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (٣٨)

﴿وَالْآخِرِينَ مُمْرِنِينَ﴾ عطف على كل بناء وبيان وتفسير له وتفصيل لأعمال  
الشياطين ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ (ص: 38) جمع الصفد وهو القيد أي أدخلهم في القيد  
ويحملهم متعمدين متقارنين في الزجر متقارنين في العذاب والزجر .

﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٣٩)

﴿هَذَا﴾ أي هذا الذي أعطيناك من الملك والبسطة والبساط والتسلط على  
الملوك والممالك ﴿عَطَاؤُنَا﴾ ومنحنا ومواهبنا ﴿فَامْنُنْ﴾ أنعم وأفضل المستحقين  
وبالفقراء المستلحقين ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ واحفظه ولا تمنحه حسب ما يتعلق به إرادتك  
ومشيئتك ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (ص: 39) أي ليس لأحد سوى الله ليطلب منك ويضع  
على أعمالك الكتاب .

﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ﴾ (٤٠)

﴿وَإِنَّ لَهُ﴾ أي لسليمان ﴿عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ﴾ (ص: 40) أي كمال القرب في  
الآخرة وإن كان في الدنيا بحسب الصورة فإن العبد قد يكون في الظاهر  
والصورة، وفي الآخرة في الباطن والمعنى، كما يقول لا يدوقون فيها الموت إلا  
الموتة الأولى قال النبي ﷺ: «وأما أجسادهم فعرشيون وأما بقلوبهم فعرشيون» .  
﴿وَحَسَنَ مَّآبٍ﴾ أي حسن المرجع وهو الجنة كقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى  
وزيادة، أو المراد بالأول جنة التحقيق والبقاء، أو المراد بالأول جنة التجليات  
وبالثاني جنة الدرجات أي جنة النفس والروح .

﴿وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ: أَيُّ مَسْنَى الشَّيْطَانُ بُصِّبَ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا أَيُوبَ﴾ لما ذكر داوود وسليمان وهو صاحب النعماء والآلاء أعقبهما أيوب البلاء ليكون أعم في العبرة والاعتبار وأتم في الخبرة والاختبار ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ: أَيُّ مَسْنَى الشَّيْطَانُ﴾ [الأنبياء: 83] والبلاء ومسنى الشر والعناء وكان سبب ذلك الشيطان كما قال ﴿أَيُّ مَسْنَى الشَّيْطَانُ بُصِّبَ﴾ ومشقة وضر وتعب وإعياء ﴿وَعَذَابٍ﴾ [ص: 41] ألم وبلاء وحكاية لكلامه الذي ناداه له، أو استغائه مظلوم فلم يغيثه، أو كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه فلم يضره، أو لسؤاله امتحاناً لعبارة فيكون اعترافاً بالذنب أو مراعاة للأدب، أو لأنه وسوس إلى أتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم، أو لأن المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس إليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ولصبره على الجوع فلما انقضى مدة بلائه وتخلص من شدائده قيل له:

﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ في الأرض ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ﴾ [ص: 42] لما أمر بالركض فركض وضرب في الأرض ضرباً شديداً فظهر ونبع من الأرض ماء وتفجرت عين فقيل هذا مغتسل أي مكان ومحل يغتسل فيه بهذا الماء، ثم بعد ذلك تحرك ومشى أربعين خطوة فركض ركضاً آخر في الأرض فنبع في تلك الأرض غيره أخرى ماء بارداً ﴿وَشَرَابٌ﴾ [ص: 42] يشرب منه، هذا من خصائص البلية الشديدة حيث يصل لصاحبه بسبب كمال التوجه إلى الله تمام شر أكثره قوة إلهية وقدرة ربانية تؤثر في الكون كما حصل لموسى عليه السلام حيث صار بنو إسرائيل في التيه حيارى في صحاري، وغلب عليهم العطش فأيسوا من جميع الجهات من حصول الماء وتوجهوا إلى موسى لطلب الماء فأمره الله بقوله: ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف: 160].

روي أن إبليس سأل ربه فقال: من عبدك لو سلطتني عليه تمنعه عني ويعصى علي ولم يقبل ولم يتأثر عن وسوستي؟ فقال الله تبارك وتعالى: نعم عبدي أيوب فقال: يا رب سلطني على ماله، قد هلك من مالك كذا وكذا قال في جوابه: إن الله تعالى قد أعطاني فقد أخذ ماله مني بحمد الله تعالى، قال: يا رب إن أيوب

لا يبالي بماله فلسطني على ولده فجاء وزلزل داره فأهلك أولاده جميعاً، فجاء وأخبره فلم يلتفت إليه فقال: إن أيوب لا يبالي بماله وولده فلسطني على جسده، فأذن فيه في جلده فحدثت فيه أسقام عظيمة وآلام جسيمة مؤلمة فمكث في ذلك البلاء سنتين حتى صارت بحيث استقذره أهل بلده فخرج إلى الصحراء وما كان يقرب منه أحد، فجاء إلى امرأته وقال: إن زوجك إن استعاذني خلصته من هذا البلاء. فذكرت المرأة ذلك لزوجها فحلف بالله لئن عافاه الله ليجلدها مائة جلدة، وعند هذه الواقعة قال: إني مسني الشيطان بنصب وعذاب [فأجاب الله] دعاءه وأوحى إليه أن اركض برجلك فأظهر الله من تحت رجله عيناً باردة طيبة فاعتسل بها، فأذهب الله عنه كل داء في ظاهر جلده، وردّ عليه أهله وماله، والقول الثاني إن الشيطان لا يقدر على ذلك بل الفاعل والقادر على الكل الله.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ يعني لما انقضت مدة البلية وتحرك بحر العناية الأزلية مقرونًا بالكفاية الأبدية، ووهب الله له أهلاً وأعطى له ما لا كما كان في الأول ﴿وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ [ص: 43] حتى كان بضعف ما كان أولاً، وإنما عبر عنه الضعف بالمثل إشعاراً بأنه طريقه في الحصول والتحصيل ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾ كرحمتنا عليه أولاً ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ وموعظة وعبرة ونصيحة ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 43] من وقائع أيوب أولاً وآخرًا وباطناً وظاهراً.

﴿وَحُذِّ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ ط

إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

﴿وَحُذِّ بِيَدِكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ﴾ عطف على اركض أي حزمة صغيرة من الحشيش ونحوه، أو ملاء الكف من الأغصان والشجر، أو الحشيش فاضربه ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ روي أن زوجته كانت بنت يعقوب، وقيل رحمة بن فراسيم بن يوسف بن يعقوب ذهبت بحاجة فأبطأت، فحلف أيوب أن يرى ضربها مائة جلدة فحلل يمينه بذلك الضرب بتلك الحزمة، أو بملاء الكف من الأغصان وهي رخصة باقية في الحدود ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ حال والمحدود على إجراء حدود الله وأحكامه، وأيوب فيما

أصابه من البليات في الأهل والنفس والعرض والمال، ولا يخلو أن شكواه إلى الله، فإنه لا يسمى جزعاً كتمني العافية وطلب الشفاء مع أنه قال ذلك خيفة أن يعينه أو قوته في الدين ﴿يَعْمُ الْعَبْدُ﴾ أيوب ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 44] سيّد ومتوجه بشراشره إلى الله تعالى .

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَرَ﴾ ﴿٤٥﴾

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ قرأ ابن كثير عبدنا على أن يكون إبراهيم عطف بيان لمزيد شرفه، وإسحاق ويعقوب عطف عليه ﴿أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَرَ﴾ [ص: 45] أولي القدرة في ذوات كمال القوة في الطاعة والانقياد بها والإطاعة والنصرة في الدين، أو أولي الأعمال الفاضلة والأفعال الكاملة التي يبقى آثارها أبد الآباد، فعبر عن الأعمال بالأيدي، لأن أكثرها بمباشرتها وأكبر بمزاولتها، والأبصار عن المعارف والإدراكات والدرايات. والمراد من الأول هو العلوم والإدراكات النظرية المكتسبة، ومن الثاني العلوم والإدراكات الفطرية الضرورية والمشاهدات الحضورية، أو المراد من الأول هي الأحكام الدينية التي هي ثمرات شجرة النبوة، ومن الثانية هي الأسرار الإلهية التي منشؤها الولاية، وأما صورة كمال جمعيتيها فهي من خصائص صاحب الزمان المظهر الموعود والإمام المعهود وإليه الإشارة بقوله:

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ﴾ في آخر الزمان ﴿بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص: 46] وهو دار

القرار .

﴿وَأَيُّهُمْ عِنْدَنَا لِمَنِ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ ﴿٤٧﴾

﴿وَأَيُّهُمْ﴾ [ص: 47] المؤمنون الفرحون التابعون للإمام الموعود الذين هم مبارز الأنبياء من الأولياء ﴿عِنْدَنَا لِمَنِ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: 47].

﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ ﴿٤٨﴾

﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ﴾ وهو ابن أخطوب استخلفه إلياس على بني إسرائيل ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ [ص: 48] ابن عم اليسع، واختلف في نبوته ونصير، فقيل فولى

مائة نبي من القتل فأواهم وكفلهم . وقيل : كفل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة ﴿وَكُلُّ﴾ من هؤلاء المذكورين من الأنبياء بعض ﴿مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص : 48] أو من للتبيين ، أي هؤلاء المذكورين من الأنبياء في هذه النبوة كلهم من الذين اصطفاهم الله على أهل زمانهم ، ولا يلزم من هذا أن يكون غير المذكورين في هذه السورة أن لا يكونوا من الأخيار ، هذا إشارة إلى القرآن لما ذكر أحوال الأنبياء لأجل أن يصبر محمد على تحمل سفاهة الجاهل ثابتاً مستقيماً ، أراد أن يميز أحد الناس عن الآخر ، لا جرم قال هذا ذكر ، كما أن المنظم إذا بين كلاماً قال : هذا باب ، ثم شرع في باب آخر فالذكر ، وهذا بمنزلة باب وفصل في الكتب .

﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾﴾

﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ أي القرآن في بيان أحوال الأنبياء ، وفي بيان أحوال المتقين ، وفي بيان أحوال الطاغين ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص : 49] .

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مِّنْفَحَةٍ لَّهُمُ الْأُبُوبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ  
كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ أَرْبَابٌ ﴿٥٢﴾﴾

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ عطف بيان لحسن مآب وهي من الأعلام الغالبة كقوله : جنات عدن الذي وعد الرحمن ﴿مِّنْفَحَةٍ لَّهُمُ الْأُبُوبُ﴾ [ص : 50] نصبها على الحال والفاعل فيها ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ﴾ [ص : 51 - 52] أي قصرت وانحصرت أطرافهن وأعينهن عليهم أي لا يلتفت الحور العين إلى غيرهم ﴿أَرْبَابٌ﴾ [ص : 52] صفة محذوف موصوفها أي بنات مستويات الأسنان ثلاثاً وثلاثين واحداً ترب .

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾﴾

﴿هَذَا﴾ [ص : 53] الذي ذكرنا من الجنة ونعيمها ﴿مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص : 53] علة الوصول إلى الجزاء .

﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي ذكر في الجنة ﴿لَرِزْقُنَا﴾ [ص : 54] أي ما قصده الله تعالى

رزقًا لنا في الجنة ﴿مَا لَكُمْ﴾ ليس له ﴿مِن تَفَادٍ﴾ [ص: 54] وانقطاع وانتهاء هذا الأمر هذا أو خذ هذا .

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَثَابٍ ﴿٥٥﴾﴾

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَثَابٍ ﴿٥٥﴾﴾ [ص: 55] إضافة للصفة إلى الموصوف أي مآب مرجع شر ومآل ضر .

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنسَأُ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾﴾

﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان لشر ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها، فيها حال من جهنم ﴿فَيَنسَأُ الْمِهَادُ﴾ [ص: 56] مستفاد من فراش الناييم، والمخصوص بالدم محذوف وهو جهنم، يقول لهم ينسأ جهنم .

﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾﴾

﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ أي فليذوقوه هذا، أو العذاب هذا فليذوقوه، ويجوز أن يكون مبتدأ خبره حميم ﴿وَعَسَاقٌ﴾ [ص: 57] وهو على الأولين خبر محذوف أي هو حميم وعساق، أي ما يغسق، وليس من صديد أهل النار من غسقته العين إذا سال دمعها .

﴿وَأَخْرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَأَخْرُ﴾ أي مذوق آخر عذاب آخر ﴿مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ [ص: 58] أي من مثل هذا المذاق أو العذاب كثير وأفواج من العذاب، والشدة وتوحيد الضمير لأنه للذكر أو للشراب السائل للحميم والغساق، أو للغساق، أزواج خبر لآخر أو صفة له أو للغساق، والجار والمجرور خبر مبتدأ محذوف أو صفة له أو للتلاوة لهم .

﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَأَ لَهُمْ إِذْ سَأَلُوا النَّارَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ إذ دخلوا النار واقتحمها معهم فوج معهم في الظلال، والاقترحام: ركوب الشدة والدخول فيها ﴿لَا مَرْجَأَ لَهُمْ﴾ دعاء من المتبوعين على أتباعهم، أو صفة لفوج، أو حال، أو مقولاً فيهم، أي ما أتوا مكاناً رجباً متسعاً ﴿إِنَّهُمْ سَأَلُوا النَّارَ﴾ [ص: 59] داخلون فيهم بأعمالهم التي تكون مصورة

بصور متناسبة وأشكال وأمثال متقاربة، قال النبي ﷺ: «يحشر الناس على صور أعمالهم فمنهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت، إنما هي أعمالكم ترد عليكم»، ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: 60].

﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَاءَ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبئسَ الْقَرَارُ ﴿٦١﴾﴾

﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ﴾ أي الأتباع للرؤساء ﴿لَا مَرْجَاءَ بِكُمْ﴾ أي أنتم أحق بهذا القول للدعاء عليه، وقيل لنا فضلالكم وإضلالكم كما قالوا ﴿أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ أي قدم العذاب أو الصلي لنا بإغوائنا وإغرائنا على ما قدمه على العقائد الزائفة والأعمال القبيحة الراجعة ﴿فَبئسَ الْقَرَارُ﴾ [ص: 60] أي فبئس المقر المستقر جهنم.

﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦٢﴾﴾

﴿قَالُوا﴾ أي الأتباع أيضًا ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ [ص: 61] مضاعفًا، وذا ضعفٍ وذلك أن يريد أن عذابه مثله فيصير ضعفين، وذلك أن يريد على ذاته مثله فيصير ضعفين من العذاب.

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَقَالُوا﴾ أي صناديدهم ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ [ص: 62] يعنون فقراء المسلمين الذين ليس [يرونهم] ويعدونهم في الظاهر من الأشرار لا نراهم في النار.

﴿أَتُخَذَتْنَهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٤﴾﴾

﴿أَتُخَذَتْنَهُمْ سِحْرِيًّا﴾ صفة أخرى لرجال بهمزة الاستفهام على أنه إنكار لأنفسهم والاستحسار لأنفسهم منهم ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ [ص: 63] أي مالت وانصرفت وزالت عن دركهم الأنظار، فلا نراهم، وأم معادلة لما لنا لا نرى على أن المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم عن النظر، كأنهم قالوا ليس ههنا، أم زاعت عنهم الأبصار، أو لاتخذناهم على القراءة الثانية بكسر الهمزة بمعنى أي الأمرين فعلنا بهم إنكارها على أنفسهم ومنقطعة وأمر أن الدلالة على أن استردالهم الاستخبار كان لزيغ أبصارهم وقصور أنظارهم وفتور أفكارهم على رثائته.



﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ ﴿٦٤﴾

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الذي حكينا عنهم ﴿لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص: 64] بدل من حق، أو خبر مبتدأ محذوف، وقرئ بالنصب على البدل من ذلك.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٦٥﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد للمشركين والكافرين المعاندين ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ أي أنذركم عذاب الله ﴿وَمَا مِنَّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: 65] الغالب على غيره فلا يتأثر مما سواه لا من شره ولا من خيره.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ ﴿٦٦﴾

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ﴾ القوي الغالب على غيره ﴿الْفَقَّارُ﴾ [ص: 66] المتجاوز عن سيئات ما يشاء.

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٦٧﴾

﴿قُلْ هُوَ﴾ أي ما أنبأتكم وأخبرت لكم من الوحي المبشر والإخبار المخوف والمنذر ﴿نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص: 67] وسبأ كريم.

﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٦٨﴾

﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: 68] لتمادي غفلتكم وتنادي جهلتكم، فإن العاقل لا يعرض على مثله، كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة والنهج الناطقة.

﴿مَا كَانَ لِي مِنَّ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿٦٩﴾

﴿مَا كَانَ لِي مِنَّ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص: 69] في شأن آدم حيث قال ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ هذا دليل على أنهم أي الملائكة المقربون الذين لا يعصون الله ما أمرهم، وهو التقديس والتنزيه، مأمورون بالسجود لآدم، وذلك لأنهم لما علموا الأعيان الذين يقاتلونهم وهم الجواهر الفاسقة والأعيان الفاسقة وما كان لهم علم بالأعيان الجامعة بين التقديس والتدنيس والتنزيه والتشبيه والاستثناس

والاستنخاس والتأنيس وهو آدم اختصموا لله واعترضوا عليه حين قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ﴾ ولذلك رواه عليهم بقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30].

﴿إِن يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٧٠)

﴿إِن يُوحَىٰ إِلَىٰ﴾ أي ما يوحى إلي ﴿إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [ص: 70] أي مخوف ظاهر متين .

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ (٧١)

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ أي اذكر وقت قول ربك ﴿لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: 71] بدل من إذ يختصمون، مبين ومفسر له وزن القصة التي دخلت إذ عليها مشتملة على مقالة الملائكة وإبليس في خلق آدم واستحقاقه للخلافة والسجود له على ما مر في سورة البقرة وسورة الحجر، وإنما ذكر قصة آدم، وخليفته مكررة، إشعاراً بأن في تمام الأدوار يكون خاتمتها وفاتحتها آدم.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (٧٢)

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ وأحييته بنفخ الروح فيه وإضافته إلى نفسه لشرفه وطهارته ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: 72] وتكرار الآيات إشارة إلى تكرار نشأته في الأدوار، وتكثر شؤوناته في الأكوار.

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٧٣)

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [ص: 73] لآدم لإنجاء قهرمان سلطان الجامعية في آدم سجد له جميع الملائكة القدسية العلوية والسفلية قد سجدوا، أو إلا وقع التحكم.

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٧٤)

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ﴾ تعظم وتجبر وتكرم ﴿وَكَانَ﴾ صار ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: 74] بأمر الله ومشيئته وحكمته على مقتضى حكمه .

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنْ  
الْعَالِينَ﴾ (٧٥)

﴿قَالَ﴾ الله تبارك وتعالى ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ [ص: 75] أي الجمال والجلال والظاهر والباطن، أو القدرة والإرادة من غير واسطة من العاليات والسافلات، أي الأب والأم ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ بنفسك حتى آبيت السجود ﴿أَمْ كُنْتَ مِنْ الْعَالِينَ﴾ [ص: 75] استعليت وتعظمت بنفسك من غير استحقاق ذاتي أو عرضي، أو كنت ممن علا، أو زعمت الاستحقاق الذاتي والوصفي.

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (٧٦)  
﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ﴾ أفضل ﴿مِمَّنْ﴾ وأقدم وأكمل منه ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [ص: 76] تعليل لعلوه على آدم وتسفل آدم.

﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (٧٧)  
﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا﴾ أي من الجنة أو من السماء أو من المرتبة الملكية أو الصورة الملكية، أو من جمعية طاعتي وكلية عبادتي ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [ص: 77] بعيد ومطروود عن الله وكمال رحمته وعموم رأفته وهجوم نعمته.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٧٨)  
﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ وبعدي وغضبي وقهري ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص: 78] ثم يقضي على مقتضى كمال أعد الله ووفور نصفته لو علم الكافر ما عند الله من رحمته لما قنط من رحمته قط الحديث.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْني إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٧٩)  
﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْني إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص: 79] في المحشر الأعظم والقيامة الكبرى.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ (٨٠)  
﴿قَالَ﴾ الله في جواب إبليس حيث سأل الله أن يمهله ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [ص: 80] والممهلين والمتروكين.

﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾

﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ [ص: 81] وهو النفخة الأولى.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ وسلطانك وكمال قهرك ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: 82].

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَّصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: 83] الذين حماهم الله في حما الإخلاص الذي لا يطلع نبي مرسل ولا ملك مقرب بل هو مخصوص بالله.

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ [ص: 84] والحق الثاني منصوب بنزع الخافض وهو قسم، أي فبالحق أقول وأقسم.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ مقسم عليه مقول القول ﴿مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: 85] يعني أن الله تعالى خلق من اسمه اللطيف والرحمن الجنة، ومن اسمه القهار والمعذب النار والجحيم، وهياً لكل منهما أعياناً من الكون، فأهل الجنة وأعيانها هم الأنبياء والأولياء والعلماء الربانيون والمؤمنون الصالحون والعباد المخلصون والولاة العادلون والحكام المشفعون ومن تابعهم، وأهل النار والجحيم هم الشياطين والأبالسة ومن وافقهم، قيل المعنى فأحق القول وأقول إلى آخره.

قرأ عاصم: وخبره برفع الأول على الابتداء ونصب الثاني أن الحق بيمينى وقسمي، أو الخبر، أي بالحق وبالحق أقسم أقول على التحقيق (لأملأن جهنم)، إلخ وقرأ مجرورين على إضمار حرف القسم في الأول وحكاية لفظ المقسم به في التوكيد، ويجوز أن يرفع الأول على الخبر والمبتدأ محذوف ونصب الثاني بـ: (أقول) أي أنا الحق وأقول الحق، وهذه الجملة حالية وإن نصبهما أما الأول فعلى الإغراء والثاني بالقول.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ ﴿٨٦﴾

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي على تبليغ القرآن والدعوة إليه وإلى العمل بأحكامه ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: 86] أي من المتصنعين في الشريعة والدين والمنتحلين في القرآن بل عقل سليم وطبع مستقيم يشهد بصحتها ويحكم على جلالته شأنها.

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾

﴿إِنَّ هُوَ﴾ أي ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ وموعظةٌ وهداية ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ [ص: 87] عالم الإنس وعالم الجن.

﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ﴿٨٨﴾

﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ﴾ أي خبر رواج القرآن وشيوع أحكامه وسطوع أعلامه ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: 88] أي بعد زمانٍ ومرور دورانٍ.



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي نزل الكتاب على عبده محمد يشرح صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكرِ الله ويكون للعالمين نذيراً ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي خلق السماوات والأرض دليلاً على كمال قدرته وجلالة إرادته خبيراً بصيراً ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي كور الليل على النهار وكور النهار على الليل وجعل الشمس مضيئاً والقمر نوراً منيراً.

## ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾

هذا ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ وبالعكس ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزُّمَر: 1] فعلى الأول صلة التنزيل أو خبر ثانٍ أو حال والعامل فيه معنى الإشارة، والتنزيل والكتاب على الأول وهو السورة، وعلى الثاني يحتمل السورة، والمجموع قرئ بالنصب على الإضمار، إما مفعول مطلق أو مفعول به أي قرئ، أو ألزم أو نزل الله تنزيل الكتاب.

## ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ فَاَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ منجماً على سبيل التدرج بعد تنزيله مجملاً دفعةً واحدة إلى اللوح المحفوظ، أو منه إلى سماء الدنيا متلبساً ﴿بِالْحَقِّ﴾ والصواب في الصدق، أو نسب إثبات الحق وإظهاره وتفصيل أسرارهِ وتنصيل أنوارِ شمسهِ

أحكامه وتحصيل أطوار أعلامه ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ﴾ تفرّيع على الحكم أو الأحكام كلها ﴿مُخْلِصًا﴾ مقارنًا بالاختصاص الكامل والإخلاص الفاضل بالتبرؤ عن الشرك الصريح والخفي الذي لا يطلع عليه إلا الله ﴿لَهُ الدِّينُ﴾ [الزُّمَرُ: 2] بالرفع على الاستثناف لتعليل الحكم وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص وتشييد الانتصاف المستفاد من اللام والتقديم كما صرح به مؤكداً، وإجراء مجرى المعلوم المعروف لكثرة حجه الساطعة وقوة البراهين القاطعة.

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ فحق المتدين أن يخلص أحواله وأحكامه عن شوائب الأغراض ويخصص أعلامه عن شوائب الأغراض ومعائب الأعراض ليتوجه بشرائره إلى جناب قربه وقدس وقباب شربه وإنسيه ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ من الأهواء الفاسدة والآراء الكاسدة قائلين بآنا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ أي قرباً كاملاً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزُّمَرُ: 3] وذلك لسوء فهمهم ودناءة همتهم وهمهم، لأنهم ما تفتنوا أن التقرب إلى الله لا يحصل إلا بالإنسان الكامل والفرد الفاضل والإمام المكمل من الأنبياء والأولياء والحكماء، وزعموا أن النجاة إنما يتكامل بشفاعة الأوثان.

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما زعموا ﴿لَأَصْطَفَىٰ﴾ واختار بإرادته ومشيته ﴿مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ إذ لا موجود سواه ومخلوقاته لامتناع تعدد الواجب لذاته، فإذا انحصر الموجود على الواجب المنفرد والخالق المتفرد ومخلوقاته ﴿سُبْحٰنَهُ﴾ وتنزه ذاته تنزهًا بالغًا إلى الغاية حتى أنه لا يجوز العقل الصريح موجودًا ما يكون سواه ولا مخلوقه ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزُّمَرُ: 4] بيان للتنزيه ومحصوله.



﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ  
النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ  
مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ ﴾

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ تقرير لمحصول التنزيه ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ بالعدل والقسط هذا تعليل للحكم للمذكور بأن من خلق الأجرام الشريفة العالية والأجسام المتقنة العالية على وجه بديع ونظام مستحكم منيع جديد بأن يكون واحدًا في ذاته متفردًا في نعوته وصفاته، فلا يشاركه في ذاته أحد ولا يكون له في الألوهية ضد ولا ند، فيكون هو الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحدًا، لأنه من صفات الأجسام وسمات الوجود بعد الإعدام ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ ﴾ إذا تجاوزت الشمس نقطة انقلاب الشتوية ﴿ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ عند انصرافها عن نقطة الانقلاب الصيفي بأن يزيد أجزاء النهار وساعاته على أجزاء الليل وساعاته، وذلك إذا حلت الشمس في الدائرة اليومية يقطعها الأفق على التفاضل بأن يزيد قسم الليل على قسم النهار وبالعكس، ولا مزية في أن التزايد والتناقص والتفاضل والتناقض إذا كانت متبادلة لا بد وأن يصل إلى حد فاصل متساوي القوسان عنده، ثم يشرع إلى التفاضل والتناقص إلى معين، وذلك هو نقطة الاعتدال الربيعي والخريفي، والانقلابين ففي الأول يتساوى القوسان وفي الثانية يتساوى القوسان بالزيادة والنقصان، يبلغ الازدياد والانتقاص إلى النهاية ﴿ وَسَخَّرَ ﴾ لكم ﴿ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ في هذه المدارات وفي هذا التزايد والتناقص والتعادل والتناصف ﴿ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ووقت معين في التزايد والتناقص والتعادل والسرعة والإبطاء والتوسط، لا يتخلف عن هذه الأحوال عند الوصول إلى هذه المواضع والمدارات ﴿ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ ﴾ القوي الغالب في تسخيرها وتبليغها إلى منتهى كمالها في هذه الحالات، ثم ينحط كل منهما من ذلك الكمال إلى حال الانحطاط والتوسط بينهما، فلا يتجاوزان عن كل من هذه الحالات ﴿ الْغَفَّورُ ﴾ [الزمر: 5] يتجاوز عن سيئات من غفل عن ملاحظة هذه الحالات الدالة على كمال قدرته وعموم حكيمته.

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ ﴿٦﴾

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ وهي آدم أو حوا أو جمعيتهما أو الطبيعة النوعية الكائنة في العوالم الجامع للحقائق الجنسية والطبائع النوعية والحقائق الكلية وهي موجودة فكان يتوارد عليها الصورة المتنوعة والهيئات المتفرعة والأشكال المتقنعة حالها ﴿ ثُمَّ جَعَلَ ﴾ أي خلق ﴿ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ فيه ثلاث دلالات على أمر غريب وخلق بديع عجيب: خلق آدم من غير أب وأم، وحوا من ضلعه، ثم خلق أفرادًا غير متناهية من نفسين من غير فترة و(ثم) للعطف على محذوف وهو صفة أنفس أي خلقت أي وجدت على خلق لتفاوت ما بين الأنين .

فإن الأولى: عادة مستمرة دون الثانية، قيل: خرج من ظهره وذريته كالذرثم خلق منه حواء، وأما الطبيعة الجنسية والحقيقة النوعية فهي غريزة ثابتة في عالم البرزخ، فعند انتقال الدورة من مرتبة إلى مرتبة يصورها الله تعالى تلك الغريزة بالصورة النوعية ثم بالطبيعة ثم بالهيئة الشخصية، فالأولى: هي التي تسمى برب النوع، والثانية: برب الصنف في عرف الأشرفيين بلسان الشرع بالملك أشار إليه بقوله جاءني ملك الأشجار وملك البحار وملك الأمطار وغير ذلك ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ ذكر وأنثى من أتان والبقر والضأن والمعز. فيه إشعار بأن خلق هذه الأزواج خلق آدم في البداية أو العالم في الفطرة الأولى خالٍ عن تمام المركبات بل عن البسائط وعموم الموجودات «كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف» ﴿ يَخْلُقَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ إشارة إلى كيفية التولد والتوالد ﴿ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ بطنًا من بعد بطن ﴿ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴾ ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، أو ظلمة الأصلاب والأرحام والدنيا، فإن الروح الإلهي يتنزل من فضاء ضياء عالم النور وقدس الظهور إلى عالم الظلمة الكوني التي تختفي فيها الروح الإلهي بشخصه وعينه، ويظهر منه الآثار وأحكام الأنوار ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ [الزمر: 6] إشارة إلى الخالق أي خالق مواد وجودكم وأسباب ذواتكم وشهودكم .

﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ إما خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من (الله) يشعر

باستحقاق العبودية وبأن علة العبودية هي الربوبية، وهي التربية بالكمالات الذاتية والأسمائية، والاستحقاقات للعبودية ذاتي بأن خلق مواد الموجودات وأنشأ ماهياتها، ثم رباهم بالكمالات الذاتية والوصفية ﴿لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ﴾ في الظاهر والباطن في الأدوار والأحوار أي ملك الذوات والصفات والهيئات والجواهر والأعراض من الأفعال والأعمال والمصالح والأغراض إلا الله في الظاهر والباطن والصورة والمعنى في الأدوار والأحوار في الأولى والأخرى ﴿إِلَّا هُوَ﴾ أي الخالق الكل ومبين جميع الطرق وعموم السبل ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: 6] يعدلون ويصطفون عن عبادته وعن طريق توحيدِه وسبيل طاعته .

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

﴿إِن تَكْفُرُوا﴾ يا معشر القريش أو الأعراب أو أصحاب الكتاب بمحمد وبأمره وأمر الله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ وعن إيمانكم وتصديقكم وعن عبادتكم ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ﴾ المؤمنين أو المطلق وإن أراد يعني أن الله تعالى لكونه خيراً محضاً ولا يحب لعباده ﴿الْكُفْرَ﴾ [الزمر: 7] المطلق ولا العصيان وإن أراد لا يجزي في ملكه شيء إلا بمشيئته وإن أراد به بل ما يشاء أحد إلا بمشيئته وإرادته ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: 30].

والتحقيق أن الله تعالى يتصرف في ملكه على مقتضى اسم الجلال وهو صريحاً على مقتضى اسم الجمال والظل لعدم تقرر من أن كل معبود ومولود جني على ما يقتضي الجلال، ويقوي المولود النوري الجمالي ويدله إلى العصيان والكفر، وكلاهما ملكه ومملوكه، وفي فردانية ذروة الجمال يكون مرضياً ومقتضياً لأنه مرتضى الجلال، والمولود الجني لأنه مقتضى الجمال، ومرضى الجميل والكفر والعصيان من حيث أنهما ينتفیان الشر والظلم لا يكون مرضياً ومقتضياً لأنه مرتضى الجلال، والمولود الجني والمقتضى الضمني، إلا أنه في كلتا الدوريتين وفي كلا المولودين يكون أمرهما أن الكفر والعصيان مراداً لا مرضياً لأنه على حذف مقتضى الجميل ومقتضى الجمال ﴿وَإِن تَشْكُرُوا﴾ نعم الله تعالى ومنحه ويظهر عليه مسيرته وفرحه ﴿يَرْضَهُ﴾ مضارع أصله (يرضى) سقطت

الألف بالجزم واتصل به الضمير المنصوب العائد إلى ما يوجب ذلك الشكر ﴿لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي وزر الرجل لآخر، إذ كلهم مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخييراً أو إن شراً فشرّاً فلا يؤخذ أحد منا بمعصية رجل آخر، وكذا لا يثاب بطاعة آخر وعبادات رجل آخر إلا أن يحق اشتراكه كالحج والصلوات والصدقات والمبرات والخيرات ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾ ومعادكم ومصيركم ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ﴾ ويخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالمحاسبة والمجازات إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً ﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يُدَاتُ الصُّدُورِ﴾ [الزمر: 7] فلا يخفى عليه شيء من الأعمال والأفعال والأقوال والأحوال.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ راجعاً بشراشه لديه لزوال ما ينازع وعاء الفعل [وتزاحم مع الفهم] والعقل في الدلالة على أن مبتدأ الكل منه وإنشاء العز والذل عنه ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ﴾ وأعطاه وأفضل له وفضله من الخول والنعمة، أو الحول وهو الافتخار والمباهات ﴿نِعْمَةٌ مِنْهُ﴾ أي من الله ﴿نَسِيَ﴾ ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ﴾ أي الضر الذي كان يدعو الله أن يكشفه ويتوجه إلى ربه الذي كان يتضرع ويتخشع بكليته لديه ليدفعه منه بما كان قبل ذلك عليه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي قبل ظهور النعمة ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ﴾ ذاك الداعي ﴿أَنْدَادًا﴾ أمثالاً وأشباهاً وأفراداً ﴿لِيُضِلَّ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وطريقه وهو الإسلام والتشايح بين الأنام ﴿قُلْ﴾ يا محمد في دفعه ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ واحتفظ بضلالتيك وإشراكك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: 8] على سبيل الاستيلاء بالمبالغة.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتٌ﴾ بوظائف الطاعات وأداء مراتب العبادات ﴿ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ﴾ [الزمر: 9] وساعاته في إجرائه أم متصلة بمحذوف تقديره كافر خير أم هو قانت أو

منقطعة بل أم من هو قانت ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ [الزُّمَر: 9] حال من ضمير قانت وقرئ بالرفع على الخبر والمراد الجمع بين الصفتين ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ وعذابها وشدائد عقابها ﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ ويطلب مغفرة إياه حالان أو الاستئناف للتعليل ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ ويتعظ ويقبل النصح والموعظة ﴿أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ [الزُّمَر: 9] أولو العقول الكاملة والأرواح الفاضلة التي هي للإنسان كاللب والذر للأثمار والأصداف.

﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ باكتساب طاعته وارتكابه وأمره وأمثاليها والانتهاه عن مناهيه والتجافي عن السيئات والمعاصي ﴿لِلَّذِينَ﴾ آمنوا وعملوا الصالحات و﴿أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ كتبوا ﴿حَسَنَةً﴾ يكون مثوبة في الأجر ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ فإن كانت الأرض ضيقة والتي هي ليست منيعة لم يكلف على نفسك بالتوطن بها عملاً بالحديث المؤول: «حب الوطن من الإيمان» ترتضي بالضيق والظنك والشدة من الحرارة وكمال البرود، بل عليك الانتقال والحركة والارتحال إلى أرض طيبة وعرض صيبة إذا طلب الفراغ للطاعة واقتناص الفراغ بجلب الحضور وجمعية القوى والخواطر لأداء العبادة واجب، ولو صبر على المسير ولم يضطرب ولم يجزع ولم يتململ وثم يزعم واصطبر ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾ ويعطي الصابرون إلى الثبوت والتصبر على الشدائد والمشاق والعوائد وسوء المساق ﴿أَجْرُهُمْ﴾ وثوابهم ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: 10] أي أجرًا لا يهتدى ولا يسترشد إليه حساب الحساب، ولا أصحاب السوء والجواب، وفي الحديث تنصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا ينصب لأهل البلاء ميزان ولا ينشر لهم ديوان ونصب عليهم الأجر بغير حساب.

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزُّمَر: 11] متوحداً له ومخصصاً

الطاعة والعبادة به.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَن أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٢﴾

﴿وَأُمِرْتُ لِأَن أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزُّمَرُ: 12] أو لأن الأحكام الدينية إنما تتكامل شيئاً فشيئاً إذا عمل به الأمر أولاً بكمال الإخلاص وخلص الاعتقاد ثم يأمر بها التابعين ليتعدى ذلك العمل كما وكيفاً إلى التابعين ويستقر ويستمد ويثبت فيهم إذ ثبوتها في نفس المتبوع فيكون علة له في التابعين .

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٣﴾

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزُّمَرُ: 13] تعليل في المعنى للحكم السابق إذ الخوف أمن الله يوجب أن تكون الأعمال الصادرة منه خالصة له مخلصاً لأجله لأنه لما علم أن الله خير بأعماله بصير لأحواله ولا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وإنها ترد إليه مع العالمين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فإذا لا يقصد في أعماله إلا إياه ولأجله .

﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ ﴿١٤﴾

﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزُّمَرُ: 14] بيان الإخلاص وتفسير لمعنى الاختصاص .

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَيْرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١٥﴾

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ تفریع على معنى الإخلاص ومفهوم الاختصاص وتهديد وتخويف للعالمين العاملين بأن الله تعالى لما كان خبيراً بالأعمال بصيراً بعموم الأفعال والأحوال، فافعلوا ما شئتم فإن الله يجازيكم ويحاسبكم ﴿قُلْ إِنَّ الْخَيْرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ يعضدهم غير الحق ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ فإن المحبة لله وكمال الإخلاص يتعدى إلى الأهل والأتباع وكذا البغض والرياء قال النبي ﷺ: «الحب يتوارث والبغض يتوارث» ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الذي أجزى العاملين فيها ﴿أَلَا ذَلِكَ﴾ العمل الذي قصد به غير الله ﴿هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزُّمَرُ: 15] الظاهر القوي المتين آثار الخير أبد الآباد .

﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ

يَعْبَادِ فَأَتَقُونَ ﴿١٦﴾

﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ طباق وسرادقات وأثمارها ﴿ذَلِكَ﴾ الأمر الذي ذكر والشيء المزبور والمراد إحاطة النار بهم من جميع الجوانب، ونظيره في الأحوال النفسانية والأفعال الإنسانية، فكيف سمى ما تحته بالظلة، أجيبت بأنه من باب إطلاق أحد الضدين على الآخر كقوله: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا﴾ [الشورى: 40]، أو لأن انطلق بالنسبة إلى إنسانٍ فوق وبالنسبة [لغيره] تحت ﴿يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: 16] واحذروا ذلك اليوم وعقوباته وشدائده وبكتابه.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ

عِبَادِ ﴿١٧﴾

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ ويأدبهم ويهددهم أي طاغوت الشهوات والهواء وجالوت المشتبهات والضيء أن تعبدوها ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ وأقبلوا إليه وتابوا لديه بالتوجد الكامل بالرجوع الشامل ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ في الحياة الدنيا والنشأة الأخرى ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: 17].

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ

وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾ والكلام الدنيء والنازل والناقص والقول ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ أي ما يدل عليه القول بالمطابقة أو بالقرائن القوية والمعاني الحقيقية والمفهومات الصادقة ولا يلتفت إلى المجاز والنفي والكنيات واللوازم البعيدة والدلالات الغريبة والانتقال الضعيفة ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ بإيضاح المعنى وإفصاح المباني وانكشاف المضامين والمفهومات والمعاني الأول والثواني ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 18] أصحاب العقول السليمة والطبيعة المستقيمة في غير مزاحمة الوهم الضعيفة والعقل الصريح والذوق الصحيح إشعار بأن اتباع المعاني واختصار الحسية وفهمها إنما هو بهداية الله وكمال

عنايته، وإن شأن العقل الصريح هو فهم المفاهيم الحقة والمعاني المحققة وأما فهم المعاني الكاذبة والمباني العاطلة والمباني الباطلة إنما يكون بمزاحمة الأوهام الفاسدة ومعارضة الأفهام الكاسدة كما تقرر من أصل الأخبار إنما هو الصدق، وأما احتمال الكذب فهو أمر العقل المثبت بأذيال الوهم المزاحم للعقل الصريح في أحكامه الحقية الصافية وشأن العقل الجزئي المتعلق بأمر المعاش المتشبه في مطالبه بالوهم والخيال والكذب.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ (١٩)

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ ووجبت وقوعاً عليهم شدة العذاب ﴿أَفَأَنْتَ تُنقِذُ﴾ وتقدر على إخراج وتخليص من وقع وسقط ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ [الزمر: 19] وكان في السعير ودار البوار.

قال ابن عباس: ورد في أبي لهب عم النبي ﷺ وابنه روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه آمن أولاً بالنبي ﷺ حيث عرج إلى السماء، وأراد أن يخبر أحداً من الناس حاله فعرض على قلبه فهداه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد كان أبو بكر رضي الله عنه أيضاً قد تأمل في شأن النبي ﷺ بأنه صادق في دعواه فألهمه الله بأن محمداً صادق في دعوى نبوته فخرج من بيته متعمداً إلى النبي ﷺ وكذا أخرج في هذه الساعة النبي قاصداً أبا بكر، فلما التقيا قال النبي ﷺ: «إني رسول الله وقد أسري بي إلى السماء»، فقال أبو بكر: صدقت آمنت بك وبمن أرسلك إلينا، فجاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعيد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد رضي الله عنهم فسألوه فأخبرهم بإيمانه فأمنوا كلهم فأنزل الله فيهم: ﴿الْبَشَرِيُّ فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾ (٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ [الزمر: 17، 18] وكل حسن قال ابن عباس: هي من سبق في علم الله أنه من أهل النار، قيل قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: 18]، وقيل: هي قوله: هؤلاء في النار ولا أبالي.

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِّنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ﴾ (٢٠)

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ وكل ما نهاه عنه من المكاره والمناهي والسيئات



والملاهي سرًا وعلانية ﴿لَهُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ﴾ منازل عالية وجحافل غالية في الجنة من فوقها غرف ﴿مَبْنِيَّةٌ﴾ أرفع وأعلى وأوسع وأبهى ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ تحت الغرف المذكورة ﴿وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ﴾ [الزمر: 20] في موضع المظهر موضع المضممر إشعار بأن الله لا يتجلى لهم ويظهر لديهم في تلك المنازل أنا فانا، وعد الله في المعهد الأول في مقام ألسنت بربكم، فإنه يتجلى ويظهر لهم في الأدنى على من في الدنيا والآخرة لا يخلف الله ما وعدهم وعهد معهم، قال النبي ﷺ: «إن أهل الجنة يرون أهل الغرف كما يتراءون الكواكب الدرية، الفائزون في الأرض عن المشرق والمغرب، يتواصل ما بينهم»، وقالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

﴿الْمَ تَرَأَنَّ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلَمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾

﴿الْمَ تَرَأَنَّ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الإلهية والسحابية وسحاب السماء الربانية ﴿مَاءً﴾ أي ماء المعارف الفطرية والعلوم والإدراكات الحقيقية الشهودية، وهو التجلي الإلهي والظهور الأسماوي ﴿فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: 21] أي في القوى الروحانية والمبادئ العقلية فيظهر بذريعة كل قوة وواسطة كل مبدأ من المبادئ النفسانية عيون المعاني وفنون الحقائق والمباني، أو المراد بها هي الأطوار السبعة القلبية مثلاً في الطور القلبي وخصائص القوى البدنية من المشاعر الظاهرة يظهر ذلك التجلي بصور الأنوار والأضواء والأشكال الحسية والهيئات السننية والكيفيات الحسية، أو النفسية، وكذا لسائر الكيفيات من الروائح الطيبة والطعوم الهنية والأصوات الحسنة والملموسات النعيمة وغير ذلك.

وفي الطور النفسي يظهر بصور الأفعال الحميدة والأعمال السديدة كالأقوال الحسنة من الأشعار المليحة والألفاظ الفصيحة والعقائد الصحيحة وغير ذلك، وفي الطور القلبي يظهر بصور الملكات الفاضلة الكاملة والهيئات السننية الجميلة كالعفة والحكمة والشجاعة والعدالة وغير ذلك من الفروع المندرجة تحت كل منها من الصبر والقناعة والتوكل والتودد والمحبة والرضاء والتسليم والسخاوة والجود

والكرم والتقوى، وفي الطور السري يظهر بصورة التجلي الإلهي بمظاهر المحسوسات كما شاهد النبي ﷺ ذلك بصورة شاب أمرد ققط، وموسى بصورة النار في الشجرة، والخليل بصورة الكواكب وغير ذلك من صور عالم الآثار من الأنهار والأضواء والأنوار والأشجار والأثمار، وفي الطور الروحي يظهر بصور الأفعال الربانية والتكوينات الإلهية كالإيجاد والإبداع والخلق والاختراع، وفي الطور الخفي يظهر بصور الأسماء الذاتية وصفاتها الأولية وهي العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وفي طور غيب الغيوب يظهر بنعت الفناء في الله والبقاء بالله، وعلى هذا القياس المؤلفات والمركبات منها في طور الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية في الأرض الاستعدادية والعرض القابلية.

﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ أي علومًا وإدراكات حقيقية وأحوال ومقامات عالية وحالات ومكاشفات رفيعة ومشاهدات بديعة على ما يقتضيه أطوار مقتضيات تفاوت الأدوار ومرتضيات تغاير الأكوار أفرادًا وجمعًا إفرادًا وتبعًا ﴿مُخْلِفًا أَلْوَنَهُ﴾ وخصائصه وأوانه ونصائصه وأكوانه وخصوصياته ﴿ثُمَّ يَهَيِّجُ فَزْرَتَهُ﴾ أي التجلي الذاتي السنني للكل بالتدرج ﴿مُصَفِّرًا﴾ متغيرًا ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَلَمًا﴾ فتاتًا منكسرًا فاترًا متغيرًا بالكلية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التجلي والظهور، ثم في الإفناء والفتات والانكسار والكسور ﴿لَذِكْرِي لَأَوْلَىٰ لِلأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 21] أي موعظة واعتبارًا وغيره ونصيحة لصاحب العقل الصريح والذوق الصحيح والنطق الفصيح المنبري المتجنب عن الأحكام الوهمية والأفهام الرسمية.

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ﴾ [الزمر: 22] أي الوجه يلي النفس، وبهذا الوجه يأخذ القلب المتوسط بين الروح والنفس المتصل المرتبط بالعالم البرزخي السفلي باعتبار الصدر المنخرط في البرزخ الأعلى وهو مقام (أو أدنى) الأحذية الجمعية ومقام (قاب قوسين) وهو برزخ البرازخ باعتبار الطور السري وهو الفؤاد، وذلك أن للقلب وجوها ثلاثة:

أحدها إلى النفس وبهذا الوجه يأخذ المعاني الحسية والمبادئ النفسية لاستخراج المطالب العقلية والمآدب القدسية.

ووجه إلى المبادئ العالية والأسماء الإلهية يستفيض منها المعاني المجردة ويستفيد ويقبل الإشراقات النورية والتجليات الأسمائية والذاتية.

ووجه إلى نفسه تدور على نفسه جامعاً للوجهين رافعاً إلى أنسه مستأنساً بحقيقة قدسه وهو الدين الإلهي والإسلام الحقيقي، فانشرح الصدر عبارة عن انطباق الوجه النفسي على الوجه الإلهي واحتراق النفس في النور القدسي ليتحقق بالمقام الأنسي ﴿لِلْأَسْلَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ﴾ أي من شرح الله صدره قد وصل في شرح صدره إلى مرتبة من نور الله قلبه بنور التجلي وتمكن في الاستفاضة وشهود التجلي مبلغ من يتوارد عليه ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ أنوار التجليات المتعاقبة شيئاً فشيئاً ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ للذين انغمست قلوبهم في ظلمة وجه النفس الأمارة، ولم يتصاعد إلى سماء الجمعية الإلهية، والكونية العاصية غيوبهم فانظلمت وتبعدت ﴿مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ﴾ والتذكر بتلك الحالة الأزلية والمعاهدة الأولية ﴿أُولَئِكَ﴾ المنغمسون في ظلمات الألوهية النفسانية والأدوية الطبيعية الجسمانية الخالية عن الأدوية الروحانية ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: 22] أي الجهل المركب الذي هو إرواء لأمراض النفوس.

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ فَنَشِعُرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿٢٣﴾

﴿اللَّهُ﴾ الذي ﴿نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ الذي يزيل عن القلب المرض الخبيث وحسنه لفظي ومعنوي، أما [اللفظي] فهو الفصاحة والبلاغة، وأما المعنوي فهو شفاء ودواء من جميع الأمراض الظاهرة والباطنة، وفيه سعادة النشاطين، وهو القرآن الذي هو كلام نفسي ونظم وصف معنوي قديم قائم بذات الله تعالى لا خبر ولا إنشاء ولا حقيقة ولا مجاز ولا مفرد ولا مركب وغير ذلك من المقابلات بل هو يكون ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: 23] أي في أجزائه وعشراته وسوره متماثلة متشابهة في النزول والإنزال، فإن القرآن قد نزل مرتين أحدهما في اللوح

المحفوظ دفعة، وعلى التدرّيج في أطوار أدوار الجمال وأكوار الجلال متشاركة ﴿مَثَانِي﴾ [الزمر: 23] إما في الإنزال أو التنزيل أو في الحكم، فإن له باعتبار اقتضاء الجمال حكماً، وباعتبار الجلال حكماً ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: 87] أو باعتبار أكثر الأشياء بل كلها فيه مذكورة زوجان، أي متقابلان مثل النهي والأمر، والإخبار والإنشاء، والعام والخاص، والمجمل والمبين، والكفر والأعيان، والطاعة والعصيان، وأحوال السماوات والأرض، والدنيا والآخرة، والجنة والنار، وغير ذلك من الأمور المتقابلة ﴿نَفْسَعُرُّ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَحْسَبُونَ رَبَّهُمْ﴾ في مقام النفس وطورها ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ بالرحمة التامة والنعمة العامة والمغفرة الطامة الضامة في مقام القلب وطوره بالتوجه الكامل والانعطاف التام من النفس إلى حضائر القدس وسرائر الأنس في الطور السري، الذي هو أول موطن التجليات ومحل بواطن الظهورات.

وللذكر سبع مواطن وهي الأطوار السبعة القلبية: إحداها الطور القالبي باللسان وفي الطور النفسي، والقلبي السري، والروحي، والخفي، وغيب الغيوب، عن كعب الأحبار أنه قال في التوراة في السفر الثاني: محمد رسول الله ﷺ الحمدادون لله يحمدون الله في السراء والضراء، يحمدون الله في كل منزل ويكبرونه على كل شرف رعاة الشمس يصلون الصلاة إذا جاء وقتها، ولن أقبضه حتى يقام به الملة المعوجة بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتحوا عيناً عمياء وأذنًا صماء وقلوباً غلفاء، فلا يزال العبد في خلوته يردد هذه الكلمة على لسانه مع مواطأة القلب حتى تصير الكلمة متأصلة في القلب مزيلة لحديث النفس، ينوب معناها في القلب عن كل حديث النفس، فإذا استولت الكلمة وسهلت على اللسان يبشر بها القلب، فلو سكت اللسان لأسكت القلب، ثم يتجوهر في القلب ويتجوهرها يسكن نور اليقين في القلب، حتى إذا ذهب صورة الكلمة من اللسان والقلب لا يزال بذرها لتجوهرها، ويتحد الذكر مع رؤية عظمة المذكور سبحانه ويصير حينئذ ذكر الذات، وهذا الذكر هو المشاهدة والمعانية والمكاشفة عن ذكر الذات، هذا هو المقصد الأقصى، وفي هذا الحديث إشارة إلى أطوار الذكر من المبدأ والمنتهى فتأمل يظهر لك تفاصيله.

﴿ذَلِكَ﴾ [الزمر: 23] أي الكتاب المذكور في الأطوار المذكورة ﴿هُدَى اللَّهِ﴾

يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ﴿﴾ من عباده المخلصين في تلك الأطوار ﴿وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ ويغويه إلى أنواع الضلالات ويغريه ﴿فَمَا لَهُم مِّنْ هَادٍ﴾ [الزمر: 23] وإلى الصراط المستقيم وإلى الطريق القويم ناد.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ يعني أن الإنسان إذا التقى مخوفًا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يتقي فيها وجهه لأنه أعز أعضاءه عليه أي من يقدر أن يحفظ أعز أعضاءه عن أشد العذاب، أو ذاته ووجهه عن العذاب الشديد ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ قيل نزلت في أبي جهل ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ والقائل هو خزنة النار أو الملائكة أو الله ﴿ذُوقُوا﴾ ويأمركم ﴿مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: 24] من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحسبونه، ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم من الشيطان.

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَنذَهُمُ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي كذب القوم الذين كانوا من قبل أهل مكة الرسل الذين أرسلوا إليهم ﴿فَأَنذَهُمُ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: 25] ولا يحسبون.

﴿فَإِذَا قَهُمُ اللَّهُ لِحِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿فَإِذَا قَهُمُ اللَّهُ﴾ العذاب ﴿لِحِزْيِ﴾ والهون والحقارة، وهي مضرب الخزية عليهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 26].

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: 27]

يتأملون .

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُم يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: 28] الكفر والتكذيب .

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾ متنازعون مختلفون يقال رجل يشتكس إذا كان سيء الخلق مخالفا للناس لا يرضى بالإنصاف، يقال للنار واللبليل: متشاكسان أي متضادان ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ أي اضرب لقومك مثلاً لهم: ما يقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع، كل واحد منهم يدعي أنه عبده منهم يتجاذبونه في حوائجهم وهو متحير في أمره، فكلما أرضى أحدهم غضب الباقي فهو يبقى متحيراً لا يعرف أيهم أولى بأن يطلب رضاه وإنه معينه في حاجاته فهو بهذا السبب في عذاب دائم وتعب لازم، ورجل آخر له مخدوم واحد يخدمه على سبيل الإخلاص وذلك المخدوم يعينه على مهماته، فهذين العبدین أحسن حالاً وأبين شأنًا وأطيب مآلاً، والمراد تمثيل من هو أحسن حالاً بمن هو أقبح حالاً، ولما كان الغرض من ضرب المثل إصلاح مآلنا وإفلاح وإنجاح آمالنا وهو من أجل النعم وأفضل منايح الجود والكرم، وجب علينا الشكر والحمد قال ﴿مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ على فنون نعمه وعيون عواطفه وكرمه، رب العالمين إشعار بأن ضرب المثل من أعظم الربوبية، وأكرم الترتيب والتدبير ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 29].

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ في حد ذاتك ﴿وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: 30] يرجعون إلى ما كانوا عليه ميتين.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: 31] يعني المحق والمبطل، والصدیق من الزنديق، والظالم والمظلوم يعني يتخاصمون.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾

﴿لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ [الزمر: 32] أي إضافة الولد إليه والإشراك به

﴿وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ﴾ أي الكتاب الصادق والخبر الصادق وهو خبر محمد، أو محمد الصادق وفيه مبالغة ﴿إِذْ جَاءَهُ﴾ عائد إلى من ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ ومكاناً ومأوى ومنزلاً ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: 32] الجاحدين الحق والمنكرين به من غير توقف وتأمل.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٣٣)

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ﴾ أي الكتاب الصادق المطابق للواقع أحكامه ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ الموصول للجنس المتناول للرسول والمؤمنين، أو العهد وهو الرسول الذي صدق به المؤمنون، ولذا قرئ (وصدقوا) أو (أول من صدق)، أما أبو بكر أو علي رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «أولكم وروداً على الحوض وأولكم إسلاماً علي ابن أبي طالب» قرئ بالتخفيف أي صدق به الناس ومجهولاً صدق ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الصادقون المصدقون ﴿هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: 33] مخالفة الحق، فمنهم من قال الذي هو جبرئيل وصدق به محمد وتلقاه بالقبول، أو محمد وصدق به أبو بكر والمؤمنون بأجمعهم.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٤)

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الجنة ﴿ذَلِكَ﴾ الذي أعطاهم الله ﴿جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: 34] على إحسانهم وإيمانهم وتقواهم.

﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي

كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٥)

﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ﴾ ويستتر ويتجاوز ﴿عَنْهُمْ﴾ بالإحسان المذكور ﴿أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ الأسوء للمبالغة، فإنه إذا كفره كان غيره أولى بذلك، أو للإشعار بأنهم لا استعظامهم الذنوب يحسون أنهم مقصرون مذنبون، وأن يفرض منهم من الصغائر سوء خلق بهم، ويحتمل أن يكون بمعنى سيء كقولهم الناصح، والأصح إعلاني بزواره فرأوا، سواء جمع سوء ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: 35] بسبب حسن إخلاصهم وصفاء نيتهم ومأل اختصاصهم به، ولذلك سيئتهم لم يمسسهم سوء وحسنهم بأحسن.

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: 36] يعني محمداً استفهام فيه إنكار المنفي مبالغة في الإثبات والعدل وقرئ عباده أي الأنبياء والمتقين، فيكون جنساً، أليس الله يحفظ عبده عن المكاره قصده بها الأعداء، فلا يبالي عما سواه سيما أصناماً منحوتة وأوثاناً مخروطة ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ وذلك إنهم خوفوا النبي حيث بعث خالداً ليكسر العزى قيل له احذرهما إن لها لشدةً وبطشاً فعمد إليه خالد فهشم أنفها فتنزل تخويفه منزلة تخويف رسول الله ﷺ فقال الله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: 36]. ﴿ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ ﴾ ويجعله بعيداً من رحمته التامة ووفور نعمته العامة ﴿ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: 36] ومرشدٍ يرشده إلى جناب قدسه ونقاب حضرة أنسه وقباب مرتبة تقدسه دليل على أن خالق الكفر والعصيان هو الله كما قال أهل السنة والجماعة خلافاً للمعتزلة والقدرية متمسكين بقوله تعالى: ﴿ بَعِزِّ ذِي أَنْقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الزمر: 37] من العصاة والضالين.

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي أَنْقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ﴾ بعزير قوي قاهر سالب ومنيع ﴿ ذِي أَنْقَامٍ ﴾ [الزمر: 37] فينتقم من جمعية الذاتية والصفاتية.

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ إِنْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ وذلك لأن معرفته تعالى للنفوس فطرية وإدراكه لها جبلي أصلي، قال عليه السلام: «كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه»، ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ ﴾ وشدة بلاءٍ وفتنة وعناء ﴿ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ ﴾ [الزمر: 38] أي



تلك الآلهة يقدرن على أن يكشفه ويدفعه عني ﴿أَوْ أَرَادَنِي﴾ الله ﴿بِرَحْمَةٍ﴾ ونعمة ﴿هَلْ هُنَّ مُنْسِكَةٌ رَحْمَتِي﴾ قادرة على أن تمنعها مني ﴿قُلْ﴾ في جوابهم ودفع العذاب عنهم ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: 38] لغلبهم بأن الكل منه .

﴿قُلْ يَتَقَوَّمِرْ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿قُلْ يَتَقَوَّمِرْ﴾ قریش ﴿أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ﴾ [الزمر: 39] وحالاتكم التي كلكم عليها، والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت للحال كما يستعار هنا حيث للمكان والزمان ﴿إِنِّي عَمِلْتُ﴾ على مكاتي وحالي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد وللإشعار بأن الحال لا يقف على أمر معهود وحد محدود بل سيال يتزايد على مر الأيام وكر الأعوام وظفرًا ونصرة وقدرة وفرصة ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 39] الحال الدائرة بيننا وبينكم .

﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾ من الله وهوان وذلة من هذه ﴿يُخْزِيهِ﴾ يحقره ويدلله وقد أخزاهم الله يوم بدر ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [الزمر: 40] ثابت في الآخرة دائم يوم الندامة .

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ

ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ﴾ متلبسًا ومقرونًا ﴿بِالْحَقِّ﴾ والعدل والصدق، فإنه مدار معاشهم ومثار انتعاشهم لما طال حزن رسول الله على إصرار قومه على الكفر والعناد كما قال ﴿فَلَعَلَّكَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ تَنْسَىٰ﴾ [الكهف: 6] أظن الله الكلام في حقهم تارة للدلالة والتبيين بطريق الهداية والتحقيق والإدراك والدراية، وتارة بضرب المثل، وتارة بذكر الوعد والوعيد، وأراد بكلام يزيل الحزن العظيم عن قلبه فقال: إنا أنزلنا عليك الكتاب الكامل الشريف لأمر مقرونة بالحق والمعجزات الدالة على أنه من عند الله ﴿فَمَنْ اهْتَدَىٰ﴾ بالحق وطريقه ﴿فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الزمر: 41] يعود

إليها ويرجع آثار نكايته وآبار نوابه لديه ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ﴾ في إصلاح الأمور عاجلاً وأجلاً ﴿بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: 41] ليخبرهم على الهدى ويقسرهم على المقصد الأقصى الأعلى .

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِّكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٢)

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ يعني أن الله قدر في سابق علمه وقدر في سالف قدره وحكمه لكل واحد روحاً وبدناً ونفساً وجسداً، ودبر البدن والجسد بتعلق النفس والروح به، وقدر ارتضاه وقرر فيه بعده متناً، فإذا استوفى تدبير البدن وجميع ما يتوقف عليه انقطع تصرف النفس وارتفع تدبير الروح والعقل فاعتري عليه الموت واجترأ لديه ملك الإهلاك الفوت واستطرى إليه السكون وقطع الصوت ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ﴾ أي النفس لم ينقطع عنها بل يرجع إلى عالم الخيال، وينقطع عملك النفس وهو القوى النفسانية كالمشاعر الظاهرة والباطنة التي تتوقف عليها تصرف النفس وأعظمها هو البصر والسمع والنظر وغيرهما، فيعرض على النفس حالة شبيهة بالموت وهي النوم، وإليه الإشارة بقوله والتي لم تمت ﴿فِي مَنَامِهَا﴾ أي لا ينقطع تصرف النفس في البدن بالكلية ﴿فِي مَسِّكُ﴾ [الزمر: 42] الله النفس العائدة إلى البرزخ وعالم الخيال المقيد إلى أن يزول عنها الكلال، وعن أعمالها ومبادئها البدنية والنفسانية الإعياء والكسالة والملال .

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا: 9-11] وهكذا يتوارد الليل والنهار إلى أن ينتهي الشخص إلى كماله اللائق واستئناف حاله السابق واللاحق . فذهب الحكيم الطبيعي إلى أنه إنما يحصل على الأكثر في مائة وعشرين سنة ويسمى الموت الطبيعي، إذ نسبة العقول العشرة التي هي مظاهر الأسماء سابقة الذاتية، والذات مع جمعيتها وهي تلك عشرة كاملة، وتفصيل آثار أنوارها إجمالاً وإجلاً وجوباً وإمكاناً إنما يتبين في عالم الملكوت والنفوس باثنتا عشرة صفة، وفي عالم البرزخ وعالم الخيال المطلق والطبيعة الكلية وفلك عالم المثال باثنتا عشرة صورة، وفي عالم الملك والجسم الكمال وهو العرش بلسان

الشرع، والفلك الأعظم وفلك الأفلاك بلسان الحكماء باثني عشر برجًا، ولا يصل آثار أنوار فيض كل عقل ونفس في عالم الكون والفساد سيما في مرتبة الناسوت إلا إذا رأى السماوية والنجوم الفلكية سيما السيارات والنيرين الأعظمين أعني الشمس والقمر الموصل كل منهما الأفاض التي أودعها الله تعالى وأبدعها في السماوات وأجزاء الأفلاك خصوصًا في البرزخ والدرجات، فإذا لا يستكمل كل شخص من الأشخاص إلا في هذه المدة لتضمنها وصول ما في هذه الأجزاء فيه إذا صانه الله تعالى عن القواطع في أثناء العمر.

فالموت بحسب الوجود أخص من النوم، ويجامعه في ما أشار إليه عليه السلام: «النوم هو الموت الأصغر» لأنه عبارة عن انقطاع تصرف النفس في البدن بالكل بخلاف النوم، فإنه عند النوم عبارة على تقاعد بعض أعمالها عن الأعمال البدنية، وأما بحسب المفهوم بمبانيها وبحسب الوجود يجامعها عطف على الأنفس يعني أن الله تعالى يقطع تعلق النفس وتصرفها عن البدن بالكلية ظاهراً وباطناً في وقت الموت، ويقطع تصرف النفس في البدن في الظاهر دون الباطن في النوم، وربما يطلق النوم على انقطاع تصرف النفس عن الباطن وذوولها عنه كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»، كما يطلق الموت على الجهل ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: 122] أموات غير أحياء، فيمسك الله عز وجل النفس العاملة في عالم البرزخ وجهه إليه حالة النوم ﴿الَّتِي قَضَى﴾ وحكم ﴿عَلَيْهَا أَلْمُوتَ﴾ وجريان الهلك والفوت وانقطاع التصرف في الظاهر والباطن حتى الصوت ﴿وَيُرْسَلُ﴾ النفس العاملة ويوجهها عن عالم البرزخ الكرة ﴿الْأُخْرَى﴾ إلى عالم الملك للتصرف في البدن وتدبيره ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: 42] أي وقت ضرب لموته.

عن ابن عباس: إن في ابن آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز، والروح الذي به النفس والتحرك، فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه. عن علي رضي الله عنهما قال: يخرج الروح عند النوم يبقى شعاعه في الجسد فبذلك يرى الرؤيا، وإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة، ويقال إن أرواح الأحياء ترسل حتى ترجع إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها.

هذا واعلم أنّ الروح والعقل والنفس حقيقة واحدة، والفرق والتغاير بينهما اعتباري، فباعتبار إدراك المنافع والمضار والغموم والسآء وغير ذلك يسمى بالعقل، وباعتبار تدبيره والتصرف فيه يسمى بالنفس، وباعتبار أنه حي ويظهر منه أثر الحياة يسمى بالروح، وما ذكرناه تفصيل لما أجمل ابن عباس وعلي رضي الله عنهما.

واعلم أنّ أعمال النفس وأفعالها وسائر ما يصدر منها ومن العقل أو من الإدراكات والعلوم صور مثالية ومثل برزخية خيالية، ولكل ما كان في الظاهر والغيب والباطن من الأجسام والجواهر والأعراض والمعاني المجردة والمباني المرددة لها في عالم البرزخ وعالم مطلق الخيال والبرزخ المبدئي والمبادئ صور وأمثلة متقاربة وغرر وهيئات متناسبة دنياوية، وبينها وبين ما يصدر منها من الأفعال والأعمال والأحوال والأقوال والمعاني المجردة الفائضة علاقة معنوية وملازمة عقلية وخيالية، ينتقل منها إليها ويصير بما يناسبها ويسمى بالتعبير والتأويل، وذلك أنّ النفس والروح لها اتصال بعالم البرزخ فعند تقاعد أعمال النفسانية وهي الحواس الظاهرة والقوى الباطنة عن أعمالها عادت النفس ورجعت الشبح إلى شبحها الأصلي وهي عالم المثال، وشاهدت صور الأعمال والأفعال، وأخبرت كما شاهدت في عالم البرزخ القوة المتخيلة، اختزلت القوة المتخيلة كما تلقته من الصور والمعاني البرزخية وإفاضتها إلى الحس المشترك فشاهاها فبعثها الحس المشترك إلى خزنة الخيال فحفظتها إلى أن انتبه فتذكرها، وعبرها المعبر إلى سمعها بما يناسبها. قال النبي ﷺ: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الأمر المذكور من توفي النفس والإرسال ﴿لَا يَأْتِي لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: 42] للدلالة على كمال قدرته ووفور قوته ودرور حكمته.

﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا

وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾

﴿أَمْ اتَّخَذُوا﴾ بل اتخذوا الهمة للإنكار ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 43] والمتخذ إما قريش أو الأعراب أو غيرها، وغير الله إما الأصنام أو الآلهة التي أخذوها

﴿شُفَعَاءَ﴾ كالملائكة أو الإنسان أو الكواكب أو غيرها ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿أَوْلُوا كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ لا من الشفاعة ولا من غيرها، فإن شفاعتهم لو كانت لا تكون إلا بأمر الله أو إذنه ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: 43] لا يكون لهم عقل وهو مناط التصرف والتودد والتعطف، واعلم أن الكفار قالوا نحن لا نعبد الأصنام لا اعتقادنا لها آلهة قد خلقنا ونصرنا وتنفعنا بل نعبدها لأجل أنها تماثيل أشخاص كانوا عند الله مقربين، لعل أولئك يشفعنا فأجاب الله عنه ردًا عليهم بأنه ليس الأمر على ما زعموا بل اتخذوها من دون الله شفعاء، فإذن قل يا محمد أولو كانوا لا يعقلون، تقرير الجواب هؤلاء الكفار إما أن يطمعوا تلك الشفاعة من هذه الأصنام، أو من أولئك العلماء والزهاد المقربين الذين هذه تماثيل لهم، والأول باطل لأن هذه الأجسام جمادات لا يملكون شيئًا ولا يعقلون، وأما الثاني فلأن في القيامة لا يملكون أحدًا أمرًا لا الشفاعة ولا غيرها إلا بإذنه.

﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾

﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ﴾ وغيرها من أمور النبوات ﴿جَمِيعًا﴾ فلا يملكون شيئًا من الأمور الوجودية والعدمية إلا بإذنه وأمره فلا يستطيع أحد شيئًا من الأشياء ولا أمرًا من الأمور ولا شفاعة إلا بأمرين أن يكون المشفوع مرتضى وأن يكون الشفيع مأذونًا له، وههنا الشرطان مفقودان جميعًا، أو لو كانوا معناه يشفعون وكانوا لا يملكون شيئًا ولا يعقلون، أي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئًا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم ولا إدراك حتى يتمكنوا أن يتصرفوا فيما دونهم تصرف المالك في المملوك ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ﴾ أي عالم المجردات والأنوار القاهرات المدبرات والجواهر الغاليات والفواخر العاليات ﴿وَالْأَرْضِ﴾ الأجسام السافلات الماديات الأجرام السماوية والأجسام العنصرية وما يتركب منها، فيكون مالك الملك على الإطلاق وحينئذ لا شريك له ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: 44] رجوعًا كليًا وجزئيًا أنا فأننا دفعيًا أو تدريجيًا، أدوارًا وأكوارًا، إفراديًا أو جمعياً، إذ للأشياء كلها في كل زمان بل في كل آن حشرًا ونشورًا بطنًا وظهورًا وكونًا وبروزًا وخفاءً وصدقًا، كما يكون لها بعد انقضاء مدة الأدوار وانقراض

نوبة التدبير في الأكوار، قيامة وحشراً ونشراً وما يلزمه من الجنة والنار.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ﴿٤٥﴾

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ بلا مشاركة الغير في الذكر بأن يترك آلهتهم إلا لله ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾ انقبضت فنفرت من الاشتمزاز وهو النفور والتنفير يعني إذا قيل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد اشمازت وتنفرت ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ لأن فيه نفي آلهتهم ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ من الأصنام والأوثان ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: 45] ويفرحون ولذلك حين قرأ النبي ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: 52] (تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن ترتجى) (\*) وكان ذلك باب الكعبة فسجد وسجدوا معه، وفرح الكفار وظهرت آثار الفرح والبهجة في وجوههم وبشرتهم، فالاستبشار والاشتمزاز متقابلان إذ لكل منهما غايتان فإن الاستبشار إن يلي القلب الابتهاج والسرور حتى ينبسط وظهر في الوجه فيتهلل وينتصر ويستبشر، والاشتمزاز ضده وعكسه يظهر آثار الفزع والانقباض والحرج في البشرة، والعامل في (إذا) المفاجأة معناها يعني فاجؤوا وقت الاستبشار.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ

بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾

[الزمر: 46] بيان السماوات والأرض إذ السماوات هي عالم الغيب والأرض عالم

(\*) عن سعيد بن جبير: قرأ رسول الله ﷺ بمكة «النجم» فلما بلغ هذا الموضع ﴿أَفَرَأَيْتُمْ اللَّتَّ وَالْعُرَى﴾ ﴿٤٦﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَى ﴿٤٧﴾ [النجم: 19، 20] قال فاللقى الشيطان على لسانه: تلك الغرائق العلى وأن شفاعتهن ترتجى، قالوا: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ أَلْفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٥٦﴾.

الشهادة، أنت تحكم بين عبادك من المخلفات والمعادات والمشاجرات والخصومات سئل عن عائشة رضي الله عنها بم يفتح الرسول الصلاة من الليل قالت: كان يقول اللهم رب جبرئيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض أنت تحكم بين عبادك ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: 46] اهتدي لما اختلف فيه من الحق بأمرك إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ ﴿٤٧﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ من الخزائن والدفائن وما على الأرض من العروض والجواهر والنقود والأجناس بأسرها ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ وأنفقها في سبيل الله وتصدق بها على المستحقين، وحسبوا أنهم يحسنون إحسانًا خالصًا لله وهم بذلك يخلصون وينجون ﴿مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ﴾ وأسوأ العقاب وأشد الحساب ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وطمعوا برحمة الله وعنايته ﴿وَبَدَأَ﴾ وظهر لديهم واتضح بين يديهم ﴿مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: 47] ويظنون أنه ما بقي من حسابهم من شيء، وإن ظهرت لهم أنواع من العقاب لم يكن في حسابهم، أي أظهر هو سبها من سيئات أعمالهم أمورًا لا تتناهى كأنهم ما حبط وما أعطى الحساب أصلًا بل كأنه تعالى استأنف حسابهم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17].

إني رأيت يومًا السلطان حسن البيضاوي الباندي وجده عمر عفى الله عنهما فسألت عن أحوالها فقال لنا أحوال غريبة وحالات عجيبة قد حاسبنا الله حسابًا وحسبنا أن حسابنا قد انقضى وجوابنا قد تم ومضى ولم يبق علينا شيء من الحساب والسؤال والجواب، فإذا قد أظهر الله من صحائف أعمالنا وصفائح أفعالنا شيئًا ما كنا نعلمه، فإذا قد خجلنا خجلة عظيمة وحصل لنا وذقنا عذابًا فوق عذاب وهلاكًا فوق هلاك لقد تمنينا أن نموت موتًا أبدًا نعوذ بالله من توقيفات حساب الله ومناقشاته، وأن يفعل بنا بالعدل لا بالفضل نرجو من الله رحمته وفضله وإحسانه، فإن كثيرًا ما عمل العبد عملاً وحسب أنه عمل صالحًا قد وقع في حيز القبول، فإذا هو كان من أسوأ السيئات وأقبح الخطيئات وأفضح المنكرات حسنت الأبرار

سيئات المقربين، ورب تالي للقرآن والقرآن يلعنه، عن سفيان الثوري أنه قرأ هذه فقال: ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء، هذا اللهم إني أعوذ بك من الرياء، فإنها أخفى من ديبب أضعف النمل في ظلمة الليلة الظلماء.

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٤٨)

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي سيئات أعمالهم أو كتبهم حين أن يعرض صحائفهم ولا يقبض لدى عرض الأعمال صحائفهم ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الزمر: 48] أي أحاط بهم سوء وجزاء استهزائه.

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ

عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٩)

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ والبؤس والمرض والشرّ والجوع والفقر ﴿دَعَانَا﴾ وناجانا وخاطبنا ونادانا طالباً دفعه وراغباً عنا رفعه ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾ وأعطينا ﴿نِعْمَةً﴾ وأنعمنا رحمة ﴿مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الزمر: 49] أي قال الإنسان إنما أعطيت النعمة بناء مجهول من باب الأفعال ماضٍ نفس المتكلم، أي على علم حاصل من الله لي وباستحقاقي إنما أوتيته مني بهذا ولأجل ذلك قدرت على استحقاقه أو من الله لي وباستحقاقي إنما أوتيته مني بهذا ولأجل ذلك قدرت على اكتسابه مثل أن يكون مريضاً فيعالج نفسه فيقول إنما وجدت الصحة لعلم بكيفية العلاج، وكذا يقال إنما وجدت المال لعلمي بكيفية المكتسب، وضمير المنصوب يعود إلى ما وإن جعلت موصولة، وإلا فلنعمة والتذكير لأن المراد ما الشيء ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ أي النعمة المذكورة ابتلاء وامتحان، لأن عند حصولها يجب الشكر وعند فقدانها يجب الصبر، والتخلف فيهما يوجب العذاب والضرر ﴿وَلَٰكِنَّا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 49] ذلك الابتلاء وحكمته وفائدته.

﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٥٠)

﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الضمير عائد إلى كلمة (إنما) أوتيته إلى آخره أو إلى الجملة ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الزمر: 50] أي ما منع كفرهم من العذاب شيئاً وكذا سائر مكتسبهم.



﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَتُولَاءِ سَيِّبِهِمْ  
سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٥١)

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي جزاء اكتسابهم وعذاب اجتلابهم من السيئات وأنواع الذنوب والخطيئات ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالعتو والعناد والمكابرة وعموم الإفساد ﴿مِنْ هَتُولَاءِ﴾ المشركين من قريش والأعراب، ومن للبيان والتبعض ﴿سَيِّبِهِمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي كما أصاب أولئك بأنهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر: 51] أي يعجزون في الدنيا والآخرة بإجراء جزائهم.

﴿أُولَئِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢)

﴿أُولَئِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ تارة في الدنيا جزاء بما عملوا أو ينقص أخرى بما اكتسبوا من سوء الفعل تفصيل وبيان لما تقدم لمن يشاء ﴿وَيَقْدِرُ﴾ [الزمر: 52] يدل على سبب وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجلادته إذ كثيراً ما يكون الجاهل الأحمق مرزوقاً والعاقل العالم محروماً مدفوقاً.

كم عاقلٍ عاقلٍ أعيت مذهبه      وكم جاهلٍ جاهلٍ تلقاه مرزوقاً  
هذا الذي ترك الأوهام حائرة      وصير العالمَ النحريرَ زنديقاً

وكذا ليس لأجل الطالع والأنجم وأوضاع الأفلاك لأن في الساعة التي ولد فيها ملك كامل سلطان عادل ولد فيه عالم من الناس وعالم من الحيوانات غير الإنسان وكذا يتولد في هذه الساعة عالم من النبات فلو كان السبب وضع الأفلاك واتصالات ما في الأفلاك من النجوم والكواكب لتخلف الحكم في غير الملك فيما يطلب هذه الأقسام علمنا أن المؤثر والمقتضي هو الله تعالى، وأشار إليه بقوله: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [الشورى: 12] وقوله: ﴿اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوَقِّي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: 26] نصب على ذلك دلائل وإشارات وبراهين وعلامات ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الزمر: 52] وبكمال قدرته وتمام إرادته وعموم مشيئته

يختص برحمته ووفور عنايته ونعمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [53]

﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا ﴾ أفرطوا في حال حياتهم ﴿ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ وحكموا عليها بالإفراط والتقصير والانحطاط والتقير والتجبر ﴿ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ ولا تيأسوا من كمال مغفرته ووفور رأفته وعموم رحمته أولاً ، ولا من وفور فضله وإحسانه ثانياً ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ غفراناً وشفواً أولياً أو بعد التعذيب وتعداد الذنب والتقريب أو التباعد والتعريب ما عدا الشرك بالترتيب ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ﴾ [النساء : 54] من أنواع الذنب وأصناف التكريب ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : 53] في الآخرة لتعليل في المبالغة في التجاوز عن السيئات في الدارين وفي الغفران للخطيئات في النشاطين .

عن ابن عباس : إن ناساً من أهل الشرك قد قتلوا وأكثروا وزنوا وأكثروا ثم أتوا النبي وقالوا : إن الذي تقول وتدعوننا إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ، فنزلت . وأيضاً قال : إن الله بعث النبي ﷺ إلى وحشي يدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أنه من قتل أو أشرك أو زنا يلقى أثاماً تضاعف له العذاب وأنا قد فعلت ذلك كله فأنزل الله : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [مريم : 60] فقال وحشي : هذا شرط شديد لعلي لا أقدر على ذلك فهل غير ذلك؟ فأنزل الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء : 116] ، فقال وحشي : وإنني بعد في شبهة فلا أدري يغفر لي أم لا فأنزل الله : ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : 53] . قال وحشي : نعم هذا فجاء وأسلم ، فقال المسلمون : هذا خاصة أم للمسلمين عامة قال عليه السلام : « بل للمسلمين عامة » . عن النبي ﷺ : « كان في بني إسرائيل رجل قد قتل تسعاً وتسعين إنساناً فخرج إلى راهب فسأله التوبة قال : لا توبة لك فقتله فجعل يسأل فقال له رجل : إيت قرية كذا وفيه رجل ، فأقبل فتوجه إليه ، فإذا أدركه الموت في الطريق اختصم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله تعالى انظروا إلى أي القريتين كان أقرب إن كان إلى هذه القرية

أقرب فقد تاب وإني أقبل توبته فوجد أن هذه القرية أقرب بشبر فغفر له» .

﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا

تُنصَرُونَ﴾ ﴿٥٤﴾

﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي أقبلوا وتوجهوا ﴿وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾ إذا رجعوا إليه بالطاعة والعبادة الظاهرة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ في يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزُّمَرُ: 54] ولا يدفع عنكم العذاب أي عذاب التحسر وعقاب التجبر والندامة في القيامة الروحية وإنما ذكر على أثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها تمييز وتوبة وللدلالة على أنها شرط فيها لازم لا يحصل بدونها، هذا ضعيف لأنَّ الله تعالى ذكر أن الله يغفر الذنوب كلها من غير شرط . واعلم أن الله تعالى فعال لما يريد فإذا أراد أن يغفر للعباد خلق فيه التوبة، والتوبة في الحقيقة هي الندامة وهي بخلق الله وإرادته .

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ

الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وهو القرآن لما تقدم نزل أحسن الحديث كتابًا متشابهاً، والقرآن كله أحسن من حيث إنه كلام الله، أو المراد هو الناسخ لا المنسوخ، أو المأمور دون المنتهي، ولعله هو ما هو أنجى وأسلم كالإنابة والمواظبة على الطاعة والمراقبة على التقوى والإطاعة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً﴾ دفعة واحدة أو فجأة بلا إعلام وتنبيه وتمهيد ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزُّمَرُ: 55] بمحتته وإقباله لتداركوا وتحذروا .

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنْ

السَّخِرِينَ﴾ ﴿٥٦﴾

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزُّمَرُ: 56] مفعول له أي كراهة أن تقول نفسٌ واحسرتا وندامتا والتنوين إما للتذكير أو العوض أي اتبعوا أحسن ما أنزل كراهةً وحذرًا من أن يصدر من نفس من نفوسكم هذا القول مبنياً

على ما فرطت أي قصرت في جنب الله أي الجنب اليمنى والجنب هو الطرف الذي يجب تنزيه الله عنه فلا أن يعمل بالقدرة التي هي مقتضى الجمال الذي يمر في المولود الإنسي بمعنى دفع التقصير مني في أداء وظائف المولود الإنسي من الطاعات والعبادات والاعتقادات لعدم موافقة المولود الجني الذي يربيه الجلال المولود الإنسي ولمعارضته به بل غلبته عليه فحينئذ يقع منه التقصير في أداء العبادات قال النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وله قرين من الجن قالوا: وإياك يا رسول الله قال: وإياي لكن الله أعانني عليه فأسلم على يدي فلا يأمرني إلا بالخير»، ﴿وَإِنْ كُنْتَ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ [الزمر: 56] المستهزئين من السخرية وهي الاستهزاء ومحل ﴿وَإِنْ كُنْتَ﴾ على الحال كأنه قال فرطت ﴿لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٥٧﴾  
 ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ بالإرشاد إلى الحق ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: 57] من المخالفات الإلهية والمباينات العرقية وغير الأحكام الشرعية.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ  
 الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٨﴾

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: 58] بمعنى أن الله تعالى قد أمر باتباع القرآن كراهة لأمر أحدها أن يقول نفس كل أحد منكم يوم القيامة على تقدير عدم الاتباع ومعاينة علامة الخسارة، يا حسرتا وندامتا على ما فرطت وقصرت في أداء وظائف العبودية ومتابعة كتاب الله، والمتابعة بما فيه من الأحكام الشرعية حال كون النفس قابلة بنفسها لنفسها، وإن كنت من الساخرين لكنت من الخاسرين والمغبوتين، والأمر الثاني هو أن يقول على التمني لو أن الله هداني وأرشدني في الآخرة أو في الدنيا لكنت من المتقين الخائفين عن عذاب المحترزين عن مخالفة أمره، والأمر الثالث هو أن يقول حين يرون العذاب

﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ ﴿٥٩﴾

﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَءَايَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ [الزمر: 59] يدعو ما قالوا لو أن لي كرة فأكون من المحسنين.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٦٠)

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ بأن قالوا ليس هذا كلام فيكون جزاء كذبهم ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُّمَرُ: 60] الجاحدين لكلام الله ولرسوله .

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦١)

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ وخافوا مخافة كلام وحكم شريعته ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ مفعلة من الفوز وهو الفلاح والنجاة والنجاح الذي به استحقوا بحسن العمل وكمال الصلاح ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾ والعذاب وشدة العقاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الزُّمَرُ: 61] على فوت سعادتهم وموت عملهم الصالح إلا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لهم البشرى في الحياة الدنيا .

﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢)

﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزُّمَرُ: 62] يتولى التصرف فيه بالأصالة والوكالة .

﴿لَهُمْ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٦٣)

﴿لَهُمْ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جمع مفلاذ كمفتاح جمعه مفاتيح ومنديل جمعه مناديل، أي بيده خزائن الرحمة والرزق ووفور النعمة، سئل النبي ﷺ عنها فقال: «لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير»، والمعنى على هذا أن الله تعالى يوجد ما ويخبر عنها وهي مفاتيح خبر السماوات والأرض ومن تكلم أصابه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزُّمَرُ: 63] متصل بقوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [الزُّمَرُ: 61] وما

بينهما اعتراض للدلالة على أنه تعالى مهيمن رقيب حاكم على العباد مطلع على أحوالهم مجاز عليها وتعيين النظم للإشعار بأن العمدة في فلاح المؤمنين فضلهم وإن إهلاك الكافرين بأن خسروا أنفسهم والتحريض بالوعيد والتعريض بالوعيد قضية للكرم والمراد بالآيات دلائل قدرته.

﴿ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُوتِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ ﴿٦٤﴾

﴿ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُوتِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ ﴿٦٤﴾ [الزمر: 64] وإنما وليت الهمزة (غير الله) دون (أعبد) إشعاراً بأن عبادة الغير ممنوع لا العبادة نزلت حيث قال الكفار: اعبد يا محمد آلهتنا لنعبد إلهك، وفيه توبيخ ومذمة صريحة لعبادة غير الله حيث نص على جعلهم

﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٦٥﴾

﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ في بني إسرائيل من الرسل ﴿لَئِن أَشْرَكْتَ﴾ بالله غيره من المخلوقات ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ ولنجعله ضائعاً عبثاً بل يتضمن وبالأعظيماً ونكالاً عميماً ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: 65].

﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٦٦﴾

﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٦٦﴾ [الزمر: 66] إشعار بأن حقيقة الإنسان من حيث إنه ممكن عار عن جميع الكمالات وعموم الخير والسعادات والخير كله والكمال جله من الله ولكون الشيطان قريباً بل أقرب منك ومن دمك ونفسك إليك خفياً عنك ويدخل ويجري في عروقك مجرى الدم في العروق يدعوك إلى الضلال، ويغويك إلى مقتضى الوهم والخيال الذي يقضي إلى مخالفة أمر الله لولا عناية الله وهدايته لضل الإنسان بتمام أفراده كما ضل في الفطرة الأولى بأكل الشجرة ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكَلْبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52].

وأما ما قيل: هذا من قبيل الفرض فهو تكلف بارد وتعسف مارد بما لا يرضى به الله ورسوله إذ الأفراد الإنسانية كلها من حيث إنها إنسان مشتركة في

اللوازم الذاتية واللواحق الفطرية، فإبراء الرسول من اللوازم الفطرية إخراج له من الحد الإنساني وهو غير مرضي ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ﴾ التقديم يفيد الحصر للعبودية به تعالى ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ على نعمة الاختصاص فإنه من أجل النعم والمنح الجزيلة ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ومعرفته ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: 67] هذا التمثيل والغرض منه تنبيه على كمال عظمته وشمول قدره ووفور قوته والتوفيق هو كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة لا باليمين إلى جهة خفيفة أو مجاز، كذا حكم ما يرى أن جبرئيل عليه السلام جاء إلى رسول الله فقال: يا أبا القاسم إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على أصبع والشجر على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهز فيقول: أنا الملك فضحك رسول الله تعجباً به، قال: ثم قرأ تصديقاً له

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٧)

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ إنما أفصح العرب تعجباً لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه منه علماء البيان من غير تصور إمساك ولا أصبع ولا يد ولا شيء من ذلك، ولكن فهمه وقع أول كل شيءٍ وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وإن الأفعال العظام التي تتحير فيها الأذهان ولا تكتنفها الأفهام ولا تكتسبها الأوهام، هينة عليه هواناً لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا آخر العبارة في مثل الطريقة من التخيل والتمثيل، ولا ترى باباً من علم البيان أدق ولا ألطف من هذا البيان ولا أنفع وأعون على تعاطي أقاويل المشتبهات من كلام الله في القرآن وسائر الكتب السماوية، وكلام الأنبياء فإن أكثره وأغلبه تخيلات وزالت فيها الأوهام ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 67] في الأدوار الجمالية والأكوار الجلالية وأعلى من أن يراد من هذه الألفاظ المشعرة بتفخيم الأعضاء والأشباح الظاهرة والباطنة ما أبعدها على من هذه قدرته وعظمته عن إشراكهم أو ما يضاف إليه من الشركاء.

﴿وُنْفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ  
 اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٦٨)

﴿وُنْفِخَ فِي الصُّورِ﴾ في المرة الأولى في انقضاء الدورة الجمالية الإفرادية ﴿فَصَعِقَ﴾ ومات وهلك ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي في الأدوار الجمالية صريحًا من الملائكة والعجائب الغيبية والغرائب الكونية التي لا يعلمها إلا الله ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ومن فيها من الأكوان الظلية في الأكوار الجلالية الضمنية من المولودات الجنية المثبوتة بالمولود الإنسي ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ من الأفراد الكاملة التي استكملت في جميع الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية، وذلك عند تطابق المولود الإنسي والجني وتوافقهما وتكاملهما في تمام الأدوار والأكوار الصريحة الضمنية بحيث لم يبق لهما حالة منتظرة.

قال علي كرم الله وجهه في أطوار بروزاته وأدوار برزاته: أنا المنقلب في الصُّورِ، أنا الصيحة بالحق يوم الخروج لا يكتم عنه خلق السماوات والأرض، أنا الذي أقوم الساعة، أنا الذي إن أمت فلم أمت وإن قتلت فلم أقتل، وغير ذلك مما يدل على تحققه في كل الأدوار والشهور، أن الأحياء الذين لا يموتون هم خضر وإلياس والأعيان الذين قد تحققوا بتبعيتهم له ﷺ.

وأما النبي ﷺ فهو وعلي متحذان في الحقيقة كما قال النبي ﷺ: «أنا أول ما خلق الله نوري»، وقال علي رضي الله عنه: أنا محمد المصطفى وأنا علي المرتضى كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «علي مني وأنا منه» (\*).

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾ نفخة ﴿أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: 68] في انقضاء هذه الكورة الجلالية الصريحة أن مدة كل دورة وكورة صريحتين إذا انقضت اصطكت سماوات كل دورة وحصل عند ذلك الاصطكاك صيحة هائلة وصوتًا شديدًا لا يستطيع أحد ولا الجن ولا من الملائكة والشياطين، فإذا انتقلت نوبة الترتيب والتدبير إلى دورة أخرى أو كورة أخرى أمر الله تعالى أن يحيي تلك الأصوات التي هلكت لدى

(\* يتكلم بلسان الجمع من حيث حقيقته التي هي الحقيقة المحمدية وليس بلسانه الفرقي من حيث هو علي .



انقضاء الدورة لتي ظهرت أعيانها فيها من السماوات والأرض وما فيهما من الملائكة والإنس والشياطين والجن ويظهر في تلك الأعيان كلما أثبتوا في تلك الدورة من الأعمال والأحوال والأفعال والأقوال جودتنا متناسبة وهيئات متقاربة حسنة أو قبيحة قال النبي ﷺ: «إنما هي أعمالكم ترد عليكم»، ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: 68] من قبورهم ينتظرون ما أمر الله فيهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون سنة وإما أو يوماً أو قرناً أو غير ذلك لا يعلم إلا الله» ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: 34] الآية .

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٦٩﴾

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾ وأضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ وخالقيها ﴿وُضِعَ الْكِتَابُ﴾ ديوان الأعمال والصحائف ﴿وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ﴾ مفعول ما لم يسم فاعله جيئ أي أمر الله أن يجيئني الأنبياء ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ في القيامة ﴿وَقُضِيَ﴾ وحكم ﴿بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالقسط والعدل والاقتصاد ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: 69] أي لا يزداد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم .

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧٠﴾

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ وأعطيت ثواب أعمالهم ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: 70] أي بأفعالهم .

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٧١﴾

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا﴾ مجهول ساق وهو الطرد أي سوقاً عنيفاً زمرًا أي أفواجاً وأفراداً وأزواجاً ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا﴾ حتى لانتهاه السوق وغايته فإذا انتهى السوق للغاية ﴿فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: 71] السبعة التي لكل منها

جزء ومقسوم وزمرة مرسوم ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر: 71].

﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَوْىِ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٧٢)  
 وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا  
 وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَأَدْخُلُوهَا  
 خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾

﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَوْىِ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ ﴾ [الزمر: 72 - 73] أي صيرتم بطيب المكان أحسن الحال والمقام، ماض أصله طيبتم مثل بيعتم ففعل به ما فعل به ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: 73] روي عن علي رضي الله عنه قال سيقوا إلى الجنة فإذا انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة من تحت ساقها عينان فيغتسل المؤمن بإحدهما فيطهر ظاهره فيشرب من الأخرى فيطهر باطنه ويلقاهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون: سلام عليكم طبتم إشارة إلى أن هذه الدار دار السلام والسلامة من كل عناء وآفة.

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (٧٤)

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ ﴾ [الزمر: 74] أي أرض الجنة كما قال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين ﴿نَتَّبِعُهُ﴾ و﴿نَتَّبِعُهُ﴾ و﴿نَتَّبِعُهُ﴾ أي مقام ومنزل نريد ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: 74] أي ثواب المطيعين.

﴿ وَرَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيَاتٍ مِن حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٧٥)

﴿ وَرَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيَاتٍ ﴾ محيطتين من حف يحفه إذا أحاط حفت الجنة

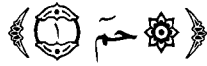
بالمكارة وحفت النار بالشهوات الحديد ﴿مَنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ أي جوانبه وأطرافه ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي ذاكرين بحمد ربهم أو متلبسين به ﴿وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي بين الخلق ﴿بِالْحَقِّ﴾ بإدخال بعضهم في النار وبعضهم في الجنة ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: 75] عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوه». عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر.



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل إيمان المؤمن مرآة لشهود تجليات الذات والأسماء والصفات ومرقاة للصعود إلى شهود التجليات ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي رحمهم بأنواع الرحمة و صنوف العبادات والكرامات ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي أماتهم مرتين وأحياهم كرتين مرة في الدورة الجمالية الوجودية وأخرى في الكورة الجلالية، وأحدهما بالاختيار والإرادة في القيامة النفسية، والأخرى بالاضطرار في القيامة الآفاقية.



﴿حَمِّ﴾ [غافر: 1] (حا) فيه من الأعداد ٤٨ دل على عدّه الأدوار والأكوار الكلية الإفرادية النورية والظلية وهي بإزاء القرانات التي يقع في المثلثات الأربعة التي هي على طبائع الأدوار المربعة النورية وهي العظمى والكبرى والوسطى والصغرى أي النار والهواء والماء والتراب وهي منسوبة إلى العلم والحياة والقدرة والإرادة فأعيان الدورة العظمى التي ربها العلم يكون على طبيعة النار في غاية العظمة والاقتران، وأعيان الدورة الكبرى التي ربها الحي على طبيعة الهواء، وأعيان الوسطى التي ربها القدير على طبيعة الماء، وأعيان الصغرى التي يدبرها المرید على طبيعة الأرض.

ولا شك أن كل دورة تكون أقرب إلى المبدأ الأعلى يكون أعيان نهاية أعظم ومدة أعمارها أطول قياسًا على أن الأدوار المتوازية الموازية للحفظه كلما يكون

أقرب إلى المحيط وأبعد عن المركز يكون أعظم وحركتها أسرع وأتم وأقدم، ولذا صار لهم الأول أعظم من البواقي في مدة الدورة العظمى ثلاثمائة وستون ألف سنة، وكذا مقدار كل دورة من هذه الأدوار ثلاثمائة وستون ألف سنة، وكل سنة ثلاثمائة يومًا، والفرق في مقدار اليوم، فإن مقدار يوم الدورة العظمى ثلاثمائة وستون ألف سنة من أيام سيرة الدورة الأولى التي يليها وهي الكبرى فإن مقدار الدورة الكبرى خمسون ألف سنة، ومقدار يوم الدورة الوسطى ألف سنة، ومقدار يوم الدورة الصغرى مائة سنة وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 4] ثم تعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة قال بل لبث مائة عام فهذه الأدوار النورية الجمالية الأربعة نصف يوم بليها، وأكوار المدة الظلية الجلالية وهي باطن الأدوار النورية الجمالية فيكون النصف الآخر لهذا اليوم، فهذه الأدوار والأكوار يوم واحد إلهي من الأيام الإلهية.

وتكرار (حم) في سبعة مواضع إشارة إلى أن المبادئ الإلهية تسعة وهي الأسماء الذاتية السبعة التي هي أرباب هذه الأدوار، أربعة منها وهي العظمى والكبرى والوسطى والصغرى بالأصالة والاستقلال، وأربابها هي العليم والحي والقدير والمريد، والثلاثة الأخرى هي بالاشتراك والتبعية، وأربابها هي السميع والبصير والمتكلم، ولكل دورة منها سماوات وأرض ودينا وآخرة ومكان وزمان فسماوات الدورة العظمى عقلية وأرضها هي القابليات الذاتية ومكانها هو الخلاء عن الغير، يا بارئ النفوس بلا مثال خلى من غيره وزمانها هو الوقت المطلق الذي هو الظرف التكويني الذي يقع فيه الخلق الإبداعي وهو امتداد ديمومية الحق وبقائه وديناؤها هي استمرار وجود السماوات العقلية، وأعيانها هي الأوان النورية والجواهر الفعلية والملائكة العالية، وأجزاؤها هي باطن سماواتها وعينها وباطن أعيانها وعميونها وإذا انتهت جلة تدبيرها وانتقلت إلى مدة دورة باطنها وعينها أخلقت وتطببت سماوات هذه الدورة وظهرت غيوبها وبواطنها وانكشفت الآخرة وتعينت ديناؤها، وهكذا أحكام سائر الأدوار والأكوار، فكما أن اللذات باعتبار الظهور والنور والجمال اقتضات وظهورات، كذلك لها باعتبار البطون والظل والعدم والجلال اقتضات من الدنيا والآخرة والسماوات والأرض والأعيان بعكس ما اقتضاه النور والجمال.

## ﴿تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾

﴿تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾ [غافر: 2] مرفوع على أنه خبر (حم) قرئ بتحريك الميم أما الفتح فلا لتقاء الساكنين، ونصبه إما على المدح، أو بإضمارِ اقرأ، أو ما يناسبه ومنع صرفه للعلمية والتأنيث ﴿الْعَزِيزِ﴾ القوي القاهر الغالب على المشركين والمردة الكافرين ﴿الْعَلِيمِ﴾ [غافر: 2] بحقائق الأشياء وأحوالها وأحكامها وأعمالها الظاهرة والباطنة، ولذا خص بالوصفين لما في القرآن من الإعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة الشاملة للنظرية والعملية.

## ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ﴾

### ﴿الْمَصِيرُ﴾

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ بالعفو وكمال العفو ووقور الصفو ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ أي ذي العقاب الشديد صفة أخرى لتحقيق ما فيه من الترغيب والإنذار والترهيب والحث على ما هو المقصود منه، والإضافة حقيقية على أنه لم يرد بها زمان مخصوص، وأريد بـ(شديد العقاب) أشده أو الشديد عقابه، فحذف اللام للازدواج بالسابق واللاحق إذ فيهما نكرات ورعاية الازدواج أمر ترغيب إليه في جعل الاتعاض الغير المتصرفه متصرفه لتكون مناسبة لما قبلها وما بعدها نحو سلاسلًا وأغلالاً وسعيراً، فاندفع الإشكال بأن تقديره شديد عقابه، ولا يصح توصيف المعرف به، وأما (غافر الذنب) و(قابل التوب) فلم يرد بهما حدوث الفعلين بأنه يغفر الذنوب ويقبل التوبة الآن وغداً حتى تكونا في حكم الانفصال، بل المراد ثبوتهما، فكان حكمهما حكم إله الخلق ورب العرش، والتوب كالتوبة حدد وقيل جمعهما ﴿ذِي الطَّلَوِّ﴾ أي التقبل بترك عقاب المستحق أو بجعل المناسب من الذنب كمن لا ذنب له، وأصل الطول الإنعام الذي يطول مدته على صاحبه والسعة والتفضيل، يقال طال علينا أي تفضل علينا تفضلاً ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ﴾ [غافر: 3] فإذا وجب الإقبال الكلي إلى عبادته والاستقبال الحقي والجلبي إلى طاعته والتعاكف بشرائره على مطاوعته.

﴿ مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُوكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴾

﴿ مَا يُجَدِّدُ ﴾ ولا يكابر ﴿ فِي ﴾ جحود ﴿ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ ولا يباليغ في إنكار بيناته ونفي أمارات نبواته ﴿ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ وستروا الحق وأظهروا الباطل وأشهبوا السبيل العاطل ﴿ فَلَا يَغْرُوكَ ﴾ ويجعلك مغرورًا ﴿ تَقْلُبُهُمْ ﴾ وترددهم وتصرفهم ﴿ فِي الْبَلَدِ ﴾ [غافر: 4] أي بلاد الحجاز واليمن والطائف والشام والحبشة ومصر وديار سعد وغير ذلك للتجارات واستجلاب الجاه وفوائد الجهات والاكتساب في المعاملات.

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ وجماعته ﴿ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ أي القوم الذين جاؤوا بعد قوم نوح وأضربوا واجتمعوا على أنبيائهم بالتكذيب ﴿ وَهَمَّتْ ﴾ وقصدت أو عمت وازدحمت ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ ﴾ وطائفة من هؤلاء الكفار والمشركين والفجار والمتمردين من قوم نوح وعاد وشمود وغيرهم ﴿ بِرَسُولِهِمْ ﴾ الباء صلة أي قصدوا رسولهم ﴿ لِيَأْخُذُوهُ ﴾ حيث دعاهم إلى الله وإلى قبول أحكامه، أي ليتمكنوا من أخذ ذلك الرسول وقتله وأسرته وتعذيبه وإصابته بما أرادوا من إهانته وتعذيبه.

وقيل الأخذ هو الأسر ﴿ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ ﴾ باستصحاب ما لا حقيقة ولا ثبات له ﴿ لِيُدْحِضُوا ﴾ وليبطلوا ويزلزلوا ﴿ بِهِ الْحَقَّ ﴾ الأمر الثابت في نفسه الذي به الرسل يمثل قولهم إن أنتم إلا بشر مثلنا ﴿ وَمَا نَزَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَذِبِينَ ﴾ [هود: 27] وغير ذلك من النقولات ﴿ فَأَخَذْتُهُمْ ﴾ يعني أنهم قصدوا أخذه وقتله وتعذيبه فنحن قد جعلنا إجزاءهم بما قصدوا رسلي أرسلناهم إليهم ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [غافر: 5] أي عقابهم دعاء فيه أمرهم، فإن أردتم أن تشهدوا عاقبة أمرهم فإنكم تمرون على بلادهم ومساكنهم ومنازلهم وحوافي أماكنهم فتعاينون أثر ذلك، وهذا تقرير فيه معنى التعجب.



﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي كما حقت كلمة العذاب على الأمم المكذبة حقت ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من قومك يا محمد ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر: 6] في محل الرفع بدل من كلمة (ربك) بدل الكل أو لاشتمال على إرادة اللفظ والمعنى أو في محل النصب لحذف لام التعليل واتصال الفعل والذين أي قريش ومعناه كما وجب إهلاك أولئك الأمم وجب إهلاك هؤلاء إذ العلة الواحدة تجمعهم أنهم أصحاب النار .

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ  
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا  
فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ هم الكروبيون أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجودًا، وحملهم إياه وحفوفهم حوله مجاز على حفظهم وتديبرهم له، أو كناية عن قربهم من ذي العرش ومكائنتهم عنده، وتوسيط في نفاذ أمره ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يذكرون مجامع البيان من صفات الجلال والإكرام والجمال وجعل التسبيح أصلًا والحمد لله، لأن الحمد ليس مقتضى الحال دون تسبيحهم ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ ويصدقون بأنه واحد لا شريك له أخبر عنهم بالإيمان إخبارًا لفضله وتعظيمًا لأهله ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: 7] أي يطلبون المغفرة لمن آمن بالله وبمن جاء منه من الرسل من الملائكة والبشر والكتب المنزلة قد ثبت أن كمال السعادة منوطًا بأمرين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، فالأولان مشعران بالأول والثالث بالثاني .

هذا يدل على أن الملائكة لاستغنائهم عن الاستغفار لأنفسهم أفضل ممن استغفروا لهم، ويمكن أن يجاب بأنه لا يدل على الأفضلية بل يدل على أنهم غير مقصودين بالذوات بل هم مقصودون بالغير، بل المقصود بالذات هو معرفة الله وعبادته الكاملة الشاملة لجميع أصناف العبادات، وهذه المعرفة والعبادة لا تحصل إلا فيمن كل فقره واحتياجه لله تعالى والاستغناء لا يليق إلا لواجب

الوجود والغني بالذات لا الممكن، ومن هذا اجترؤوا على الله حيث ﴿قَالُوا  
أَجْمَعُلْ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: 30] كما قال: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن  
أعرف فخلقت الخلق لأعرف» وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون.

واعلم أن درجات الملائكة كدرجات البشر متفاوتة، فمنهم السابقون في  
الوجود وهم نوعان أحدهما: من غلب عليهم سلطنة الذات الأحدية وأشغلتهم  
أنوار إشراقات وجه الله عن الالتفات إلى غيره وهم المهيمون في مشاهدة نور  
جماله والمتحIRON المتلاشون في سطوات شعاع عظمة جلاله، ومنهم من غلب  
أحكام أسمائه وصفاته الذاتية وهي سبعة: العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع  
والبصر والكلام.

فالذي غلب عليهم أحكام الأربعة الأولى هم الرسل من الملائكة وهم  
إسرافيل وجبرئيل وميكائيل وعزرائيل، ولكل منهم أعوان وأنصار لا يعلم عددهم  
ونصرهم وعونهم ومددهم إلا الله، وهم الذين أظهر الله بهم عالم الكون،  
والأعيان الجمالية والأكوان الكمالية، ودبروا أمورهم في الظاهر والباطن،  
يدبروا الأمر من السماء إلى الأرض، ومنهم من خصهم بتدبير السماوات خاصة  
وهم الملائكة المدبرون في الكون، ومنهم من اختص بتدبير العرش وهم ثمانية  
لأن الذات الأحدية مع الأسماء السبعة الذاتية كما اقتضت في المرتبة الواحدية،  
وعالم الجبروت كوناً جامعاً للنسب الذاتية والصور العلمية، وهي النسب العقلية  
وهي العقل، وفي عالم الربوبية والأرواح والملكوت مظهرًا جامعًا للإضافات  
الفعلية والنسب الإيجادية، وهي النفس الكلية واللوح المحفوظ، وفي عالم  
البرزخ ومرتبة الخيال حقيقة كلية وطبيعة أصلية وتسمى برب النوع، وفي عالم  
الملك والشهادة جسمًا كليًا يجتمع فيه آثار عالم البرزخ والأرواح وعالم العقول  
والجبروت ويسمى بالعرش والفلك الأطلس وفلك الأفلاك، ثم تنزل آثار تلك  
الأنوار الربانية، ومنه على سبيل التدرج إلى فلك الثامن، والكرسي ومنه إلى  
فلك الباقية شيئًا بعد شيء إلى أن تصل إلى فلك القمر والعقل الفعال، ومنه إلى  
العناصر إلى أن تصل المركبات إلى نهايتها وهو الناسوت، والأمور الكلية التي  
تصير الأفاضل في كل واحد منها مجملًا يسمى كل منها عرشًا أو الأول وهو  
العقل الكل فيسمى بالعرش الأعظم، والثاني بالعرش العظيم، والثالث بالعرش

الكريم، والرابع بالعرش المجيد، وقد يسمى الأول بعرش الرحمن أيضًا .  
وأنت خبير بأن هذا العرش قائم بمظاهر الذات والأسماء السبعة الذاتية في  
الواحدية والجبروت والمجموع ثمانية، وإن لكل واحدٍ من هذه الأسماء والصفات  
أيضًا اقتضاءً خاصًا، ولكل منهما وجهان الذي يلي الخلق يظهر سماء العقلي  
العلمي، وبالوجه الذي يلي الحق يظهر الكواكب الإلهية والشمس الواحدية في  
عالم الجبروت في أفلاك العقول، هذا من خصائص اسم العليم، وصفة العلم  
والإسلام التي أيضًا اقتضاء في عالم الأمر، والملكوت يظهر من أفلاك روحانية  
وكواكب نورانية، والاسم القدير أيضًا اقتضاء في مرتبة البرزخ ويظهر به أفلاك  
نورانية وكواكب برزخية خيالية، وللمريد أيضًا اقتضاء في عالم الملك والشهادة  
ويظهر به أجسام غائبة وأجرام سماوية وكواكب جسمانية لما تحقق أن المراتب  
الكلية والعوالم الأصلية كلها ظلال وأمثال لكل ما ثبت في عالم الملك والشهادة  
من السماوات والعرش والكرسي والكواكب الثابتة والنجوم السيارة والعناصر  
وأحوالها ولوازمها المركبات وخصائصها لا بد وأن تكون ثابتة في المراتب العالية،  
وفي كل مرتبة من المراتب ملائكة على مقتضى خصوصية تلك المرتبة، وكذلك  
سماوات وكواكب ونسب وإضافات ذاتية وعلمية وعقلية ونفسية وبرزخية وجسمية .

أما الجسمية فهي الكواكب الثابتة والسيارات وأوضاعها، وأما المثالية فهي  
الكواكب المتدلية والجواهر الفردة والجواهر الهبائية وأما النفسية فهي النسب  
العقلية والإضافات التكوينية، وأما العقلية فهي النسب القضائية الحكمية التي  
أجراها الله تعالى واختزنها في العقل الأول والعقل الكل، وأما العلمية والصور  
العلمية الذاتية فهي الشؤون الإلهية والإضافات الأولية، وفي كل مرتبة من هذه  
المراتب ملائكة مخصوصة لكل منهما من كل مرتبة عبادة مخصوصة وطاعة  
خاصة منصوصة، فإن مرتبة الجبروت منسوبة إلى جبرائيل الذي هو مظهر العلم،  
ومرتبة الملكوت منسوبة إلى إسرافيل الذي هو مظهر الحياة وميكائيل منسوبة إلى  
مرتبة البرزخ الذي هو مظهر القدرة ومرتبة الملك منسوبة إلى عزرائيل الذي هو  
مظهر الإرادة، ولذا اختفت الحياة فيها ولم يظهر الحياة ولا العلم فيها .

وقد عرفت أن الأسماء الأربعة الذاتية المذكورة أرباب الأدوار الأربعة  
النورية الجمالية، وهي العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، وللأعيان

المنسوبة إلى هذه الأدوار علوم وإدراكات ورسوم وعبادات وشهود مشاهدات مناسبة لكل حرف من الأسماء المذكورة، وإن مقتضى كل اسم من هذه الأسماء لا بدّ وأن يوجد في كل الأدوار والمراتب، فإذن لا بدّ وأن يوجد في نهاية المرتبة للأدنى وهي الناسوت والإنسان مقتضيات تمام الأسماء والأدوار والأكوار وهي ٤٨، ومن هذا اجتمعت العبادات والطاعات كلها واستغفرت الملائكة وعينت هذه الأسماء، وباطنها يقتضي في جيب هذه المراتب لمرتضى باطن هذه الأسماء بحكم سلطان الجلال أكوار أربعة وهي بواطن الأدوار أربعة وأسمائها هي أسماء الأدوار وهي: العظمى والكبرى والوسطى والصغرى.

والفرق بالإضافة واقتضاء كل منها بعكس ما اقتضاه كل من الأدوار، فإن الدنيا في الدورة النورية الجمالية سواء كانت عظمى أو كبرى أو وسطى أو صغرى تكون ظاهرة الآخرة وباطنة والنبوة جليلة والولاية خفية والسموات مرتفعة والأرض منخفضة والجسم ظاهراً والنفس والروح خفية مستترة، وفي الكورة الظلية الجلالية تكون بالعكس، وأعيان الدورة العظمى النورية الجمالية إذا كانت صريحة تكون ملائكة عالية وأهرمانية خفية ضمنية، وإذا كانت كورة عظمى جلالية صريحة تكون أعيانها أهرمانية صريحة ظاهرة والملائكة خفية ضمنية تبعية وهما توأمان كما يكون الجمال والجلال توأمين إلا أنه يكون أحدهما صريحاً والآخر ضمناً وتبعاً.

فإن كان التدبير للجمال صريحاً كانت الأعيان ملائكة ظاهرة والأهرمانية ضمناً وتبعاً، وكذا الدنيا تكون ظاهرة والآخرة باطنة خفية والسموات مقتضية مرفوعة والأرض منخفضة هابطة والنبوة ظاهرة والولاية خفية مستترة وكذا سائر الأحوال، وإذا انتقلت صراحة فردارية التدبير والتربية من الجمال والجلال الضمني بعد استعادة النور والجمال مقتضاه بعكس الأمر وتتمام الاقتضاءات وجميع المرتضيات في جميع الأكوار الظلية العظمى والكبرى والوسطى والصغرى إلى أن ينتهي إلى الناسوت الجلالى والإنسان الظلي الإفرادى، وإذا انتهت فردارية النور والجمال وفردارية الظل والجلال الإفرادى انتقلت إلى الاقتضاء الجمعي بين النور والجمال والظل والجلال، فهنا اثني عشر دورة وكورة وجمعية وأربعة نورية جمالية إفرادية، وأربعة جلالية فردارية وأربعة جمعية بينهما.

أو إلى الإشارة بقوله ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ نوري جمالي وظلي جلالى

إفرادي بسيط وشيء جمعي وكمال معنى ﴿رَحْمَةً﴾ شاملة للأعيان النورية والأكوان الظلية ﴿وَعِلْمًا﴾ حضورياً وحكماً شهودياً جمعياً لهما ﴿فَأَعْفِرْ لِلَّذِينَ﴾ [غافر: 7] أي الأعيان الذين وصلوا إلى المرتبة الجمعية والرتبة المعية وحصلوا مقام الذين ﴿تَابُوا﴾ من المقام الإفرادي والمرام الفرداني إلى الكمال الجمعي والجمع الكمال المعني ﴿وَاتَّبِعُوا سَبِيلَكَ﴾ [غافر: 7] واجتمعوا بدليلك إلى نور وجهك الكريم وهو الكمال الجمعي والجمع الكمال الذاتي، وهو الدين الحقيقي الذي هو الشريعة والطريقة والحقيقة لقول النبي عليه السلام: «الشريعة أقوالي والطريقة أفعالي والحقيقة أحوالي».

والتحقيق في تمام الأدوار الإفرادية وهي ٤٨ ، وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿حَمًّا﴾ ح م في سبعة مواضع إشارة إلى أن من الأسماء السبعة الذاتية وإلى أن الأدوار الإفرادية وهي ٤٨ ، فما هي مقتضيات الذات والأسماء المتبعة والصفات بذريعة العقول العشرة في المراتب المخففة البسيطة وهي أربعة: الجبروت والملكوت والبرزخ والشهادة ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعِشْرٍ فِتْمَ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَزْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: 142]، «من أخلص لله تعالى أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» ولذا أورد استغفار الملائكة بالدعاء في حق المؤمنين الناشئين بالصيانة والحفظ والوقاية عن جحيم البعد عن الكمال الجمعي المذكور بقولهم ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: 7] أي جحيم المرتبة الإفرادية من أدوار الجمال وأكوار الجلال إذ النفوس كلها من حيث إنها حصة من مطلقة الوجود ونصة من الوجود المطلق طالبة له وراغبة إليه وكمالها إنما يتم إذ أوصلت إلى كمالها الجمعي وهو الذات البحت ومطلق الوجود المطلق من حيث إنه محيط بجميع الأدوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية، وهو الجامع للكل ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ﴾ [غافر: 8] أي الأعيان المندرجة تحت الحقيقة المحمدية الجامعة لكل أي الحصص الوجودية والنصص الجودية التي هي نسب ذاتية

مندمجة تحت حيطه هيهة الجمعية ﴿جَنَّتِ عَدْنٍ﴾ أي جنة الجمعية الذاتية والأسمائية الإلهية والكونية ﴿الَّتِي وَعَدْتُهُمْ﴾ في معهد العهود والمقعد المعهود في مقام ألت بربكم في بداية الدورة العظمى الوجودية والعهود المعهودة والعقد الموعودة تجري في بداية كل دورة ومفتتح كل كورة إفرادية وجمعية ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ﴾ أي من الأعيان الجمالية الإفرادية ﴿وَأَزْوَاجِهِمْ﴾ في الأكوان الجلالية الفردارية ومن ﴿وَدُرِّيَّتِهِمْ﴾ أي تولدت منهما أي من جمعيتهما الإفرادية والموصول عطف على ضميرهم ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ أي لا يمتنع ولا يصعب عليه من مقدور ﴿الْحَكِيمُ﴾ [غافر: 8] الذي لا يفعل المقدور إلا على وجه تقتضيه الحكمة البالغة والمصلحة السابقة.

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ أي حفظ الأعيان المذكورة والأقوام الثلاثة المزبورة يتناول عذاب الجحيم وعذاب موقف القيامة، وعذاب الحساب والسؤال، يبدأ من تمتة دعاء الملائكة للمؤمنين التائبين بإزالة العذاب وإدخالهم الجنة ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ﴾ هو فعول متضمن لمعنى الشرب مبتدأ ولذا دخل الفاء في خبره ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة والحسرة والندامة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ إياه وتعبيره بالماضي إشعار بأنه لا خلف عنه ﴿وَذَلِكَ﴾ الحفظ والوقاية ﴿هُوَ الْفَوْزُ﴾ والسعادة في الدنيا ﴿الْعَظِيمُ﴾ [غافر: 9] الفوز العميم والنفع الرفيع المصدر قال النبي ﷺ: «يدخل المؤمن الجنة فيقول: أين أبي وأين أمي وولدي وأين زوجتي، فيقال أنهم لم يعملوا مثل عملك فيقول إني كنت لي ولهم فيقال أدخلوهم الجنة».

### مطلب دخول أولاد الرجل الصالح الجنة

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله وبرسوله وبما جاء به ﴿يُنَادُونَ﴾ [غافر: 10] يوم القيامة وهم في النار ويقال لهم ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ وسخطه ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾

وهم قد مقتوا أنفسهم حين عرضوهم وعليهم سيئاتهم وعابنوا العذاب، فيقال : لمقت الله وسخطه وعتابه أكبر من مقتكم وتحصنكم وعنايتكم على أنفسكم ﴿إِذْ دُعُونَكَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: 10] هذا على سبيل الحكاية، وإذ يدعون منصوب بالمقت الأول، والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الأمانة بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان فتأتون وتمتنعون من الإيمان، قوله ويختارون الكفر فتودوا بأن مقت الله إياكم وهو أشد الغضب وأصله البغض، والمقت والانتقام أكبر من مقتكم أنفسكم .

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى

خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: 11] قال ابن عباس : أمتنا في أصلاب الآباء فأحياهم في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما إماتتان وإحياءان، لقوله تعالى : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28]. قال البعض : أميتوا في الدنيا، ثم أحيوا في القبور للسؤال، ثم أحيوا في الآخرة للحساب والجزاء على ما في الكتاب . قال القاضي : أمتنا اثنتين بأن خلقتنا أمواتاً أولاً ثم صيرتنا أمواتاً عند انقضاء آجالنا، فإن الإماتة جعل الشيء عادم الحياة ابتداءً ومصيراً بلا حركة كالتصغير، ولذلك قيل سبحانه من صغر البعوض وكبر الفيل، وإن خصّ بالتصبر اختيار الفاعل أحد مقبوليه وصرف عن الآخر، وأحييتنا اثنتين الحياة الأولى في الدنيا أحدهما في الرحم بعد أربعة أشهر وعشر، والثانية في الدنيا بعد الولادة، وكذا الموتان في الدنيا أحدهما في الأصلاب، وبعض المدة في الرحم، والثانية بعد الولادة إذ الموت والحياة قسمان :

أما الموت فموت الجهل، وموت انقضاء الأجل، وكذا الحياة حياة العلم والمعرفة، وحياة الدنيا، أو من كان ميتاً فأحييناه، قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه :

وللجهل قبل الموت موت لأهله      فأجسادهم قبل القبور قبور  
وإن أمرؤ لم يحي بالعلم ميت      وليس له حتى النشور نشور

أو إشارة إلى أن كل مولود إنسي محتو على مولودين إنسي وجني، فإذا كل أحد يكون له موتان، وكذا حياته كما ورد في الحديث: «ما منكم من أحد إلا وله قرين من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله...». أما الأول فصريح والآخر فضمني وتبعي، أو إشارة إلى أن لكل أحد موتانٍ وحياتانٍ إحداهما في كل آن، بل هم في لبس من خلق جديد، أو إلى أن الأعيان الجمالية وكذا الأكوار الجلالية موتان وحياتان إحداهما في الأدوار الجلالية والثانية في الأكوار الجلالية، فالأعيان والأكوان ما دام في أدوار الأطوار أو الأكوار الجلالية الإفرادية فهم لا يؤمنون عن إذاقة كؤوس شراب الموت.

الموت كأس وكل الناس شاربه والقبر بابٌ وكلُّ الناس داخله

قال علي كرم الله وجهه على لسان الحقيقة المحمدية من حيث لسان الجمع والوجود: أنا الذي أقتل القتلين وأحيا مرتين وأظهر كيف شئت. وأما من دخل الجنة الجمعية والجمعية الأحدية والواحدية والجمالية والجلالية فيكون حينئذٍ آمناً عن خوف الموت وحزن الفوت وعوف شدة الصوت ﴿الآ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: 62 - 64]، ﴿لَا يَدْخُلُوهَا فِيهَا الْمَوْت إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَى﴾ [الدخان: 56].

وقال أيضاً كرم الله وجهه على لسان الحقيقة المحمدية من حيث لسان الجمع والوجود: أنا الذي إن أمت فلم أمت وإن قتلت فلم أقتل، ولا يدخل في هذه الجنة إلا من باب آدم الأولياء علي المرتضى رضي الله عنه كما قال ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها» وقال عليه الصلاة والسلام: «سدوا الأبواب كلها إلا باب علي»، وقال كرم الله وجهه على لسان الحقيقة المحمدية من حيث لسان الجمع والوجود: «أنا باب فتح الله لعباده من دخله كان آمناً ومن خرج منه كان كافراً»، ولا يدخل هذا الباب إلا من تاب وإلى حضرته أناب، وتبع معه ودخل به في ظلمة الفناء في الله، وفي فراغ خلاء ما سوى الله، ووصل إلى حياة البقاء بالله وشرب من ماء هذه الحياة السرمدية من كف حضرة خضر بكمال الجمعية الجمالية فحينئذٍ حيي بحياة سرمدية بلا انقطاع.

واعلم أنّ الأحدية الجمعية ثلاثة: الأحدية الجمعية النورية الجمالية



وصاحبه الخضر، والأحدية الجمعية الجلالية وصاحبها إلياس، وجمعية أحدية هاتين الجمعيتين صاحبها علي المرتضى وإليه الإشارة بقوله: أنا المعنى الذي لا يقع عليه اسم ولا شبه، ولكل من هذه الجمعية ظلمة المكان وجمعية الكل لها ظلمة منظوية على الظلمات كلها كما قال عليه السلام: «أنا قائم في ظلمة خضر حيث لا روح يتحرك ولا نفس يتنفس فيها غيري» وأصحاب هذه الجمعيات والظلمات آمن من المعيشة وصائن من الهلاك والفوت.

﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ عند كشف الحجب وارتفاع الأغطية واندفاع النقب بعد انقضاء مدد الأدوار وانتهاء عدد الأكوار الإفرادية وانقراض الأطوار العينية والشهادية الغيبية ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾ هذه الثلاثة والدركة السفلية إلى تلك الدرجة العلية الجمعية والمرتبة العالية الجليلة ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ [غافر: 11] واضح ودليل صادق الكلية المعية التي من دخلها كان آمناً من الموت ومن وصلها كان آمناً من الحزن والفوت ومما قدمت لك من البيان وبينت لديك من البرهان أنّ الدليل إلى كل سعادة والسبيل إلى تمام سيادة منحصر على شرع محمدي وطريق عليّ علاء الحقيقة.

﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُونَ﴾

﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (١٢)

﴿ذَلِكُمْ﴾ الطريق الذي أنتم عليه عاكفون وذلك الصدق ﴿بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ﴾ وذكر وطولب ﴿وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ به وأنكرتموه وأعرضتم عنه ﴿وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ﴾ أي جعل له شريك وند ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ وتدعوا له وتصدقوا به تصديقاً جزماً ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ﴾ على الأعيان العالية والسافلة في الأدوار والأكوار في تمام الأطوار ﴿الْكَبِيرِ﴾ [غافر: 12] في ذاته وأسمائه وصفاته الكبير أفعاله العليم بكيفياتها وكمياتها وأوقاتها.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾

﴿إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٣)

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ [غافر: 13] في السماء من الأوضاع المختلفة

واتصالات الكوكبية الكلية والجزئية من الكسوفات والخسوفات التامة وغير التامة والقرانات الثنائية والثلاثية والرباعية إلى السباعية في الأرض من الزلازل والطوفانات المائية والنارية الكلية والجزئية وما يلزمها من الغرق والحرق وغير ذلك، وفيما بينهما من الجن من تواني النجوم كالرعد والبرق والسحاب وقوس قزح، والهالة والصواعق والنيازك، وذوات الأذنان، وذوي الذويب وسقوط الجبال والأحجار كما وقع في زماننا في ساحل بحر طبرستان بين الطواليس والشروان، ووصل إلينا بالخبر والتواتر وغير ذلك ﴿وَيُنزِّلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ مطرًا يظهر به أرزاقكم من النباتات والحيوانات والمعادن التي يتوقف عليكم تحصيلها ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ ولا يتعظ ويعتبر بهذه الأحوال ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: 13] ويرجع في جميع الأمور الظاهرة والباطنة من أحوال الدنيا والآخرة إليه إشارة إلى أن الاطلاع على هذه الأحوال والاتعاظ بها لا يكون إلا بالتوفيق الإلهي والتأييد الرباني والتأكيد السبحاني.

### ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١٤)

﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ تنبيه على شريط الانتاج، وضوابط الاستخراج، وروابط الامتزاز من المبادئ العالية والمنادي السالفة التالية ﴿لَهُ الدِّينَ﴾ أي الجزاء إشارة إلى أن النتائج إنما يقتضي منه بمشيئة الله تعالى وإرادته وأن الفياض المطلق والفاعل القادر المحقق ليس إلا الله وإن الإدراكات والأفعال وتمام العلوم والأعمال والأحوال الظاهرة والباطنة إنما هي مستندة إلى الله، وأن ما يجري في ملكه وملكوته إلا بمشيئته وإرادته ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: 14] الساترون طريق الحق الساترون من كمال الجمع نحو مناهج الفرق.

### ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ

### عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ (١٥)

﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ [غافر: 15] أي درجات الخلق مقاصد الدين والدنيا وفي ترتيب المبادئ اليقينية وتركب المقدسات الحسية والعقلية والنفسية واستخراج المطالب الحقيقية واستنتاج المآرب الإلهية والكونية، أو رفيع درجات جنات

التجليات الذاتية والأسمائية الأفعالية والآثارية ﴿دُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: 15] أي صاحب العرش الجمعية العظمى ظاهراً وباطناً صورة ومعنى، وهو كما علمت صورة جمعية أعيان كل مرتبة ومعية أحوال أكوان أية رتبة، وهو على عدد المراتب الكلية الحقيقية الأربعة أربعة: عرش الله في عالم الواحدية، وعرش الرب في عالم الملكوت، وعرش الحضور في عالم الملك، وعرش الجامع في عالم الناسوت.

فالأفياض إنما تنزل أولاً في مرتبة كلية مجملاً ثم تتفضل فيما دونه من الأعيان وتتلقى إليها فالعرش الأول الذي يبتدأ إلقاء الوحي فيه وهو العقل الأول الذي يسمى بالمعلول والعقل الكلي والحقيقة المحمدية، بأن يلقي الوحي المسمى بالروح أولاً فيه ثم يتفضل من الحقيقة المحمدية والعقل الكل إلى أعيان الأنبياء وسائر العقول، ويقال لهذا العرش العرش العظيم وعرش الرحمن ثم ينزل منه إلى سائر المراتب والعرش.

﴿يُلْقَى الرُّوحَ﴾ أي الوحي وإنما سمي الوحي هنا الروح بناءً على أن الوحي عقلي روحي، كما أن العرش عقلي روحي، وهكذا ينزل على عروش الملكوت والملك والناسوت، ويسمى الأول العرش العظيم، والثاني العرش الكريم والثالث العرش المجيد، وقد سمي بعرش الرحمن ﴿مَنْ أَمْرِهِ﴾ من حكمه وقضائه الذي يشاء وظهر وجلاً وجهر أولاً من العرش الإلهي وهو العلم الأعلى إلى أن ينتهي إلى العرش العلي الذي هو مجمع ما في العروش العالية أولاً من آدم المعنوي إلى أن ينتهي إلى خاتم النبيين ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ في جمع الأدوار وأدوار الأدوار إلى أن ينتهي إلى آخر الدور المحمدي ﴿مَنْ عِبَادِهِ﴾ وفي تعميمه إشعار بأن كل واحد من أعيان الوجود سيما صاحب الشهود هو آدم له صلاحية النبوة وإلقاء الوحي من المقام المحمود المعهود ﴿لِنُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر: 15] أي يوماً تتلاقى فيه الروح والجسد ويتلقى العبد والرب المعبود والشاهد المشهود، وهو يوم القيامة الذي يعاد فيه الأموات على صورة لا بعينها وشخصها كما أشار النبي ﷺ إليه بقوله: «أهل الجنة كلهم جرد مرد فلو كان جسد الدنيا بعينه لكان ذا لحية وشعر».

﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾

﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ﴾ ظاهرهون خارجون من قبورهم مثلاً ونظيراً لما كان في الدنيا بأن جمع الله أجزاء نبتتهم الأصلية التي كانت ثابتة في البرزخ المعادي على حالة واحدة من غير زيادة ونقصانٍ، فصورها على صورة كانت في الدنيا وهيئة كانت عليها في الدنيا لا بعينها إذ لو كانت معادة بعينها لكانت الدنيا معادة أيضاً على هيئات متخالفة وصفات متعاندة وهي محال عقلاً ونقلاً ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ من أحوال الأعيان المعادة وأفعال الأكوان المفادة، وأعمالها المعادة أمر من الأمور، بل الأعيان لجميع أحوالها وتام حالاتها، والأكوان بعموم هيئاتها حاضرة عند الله لا يخفى ولا يغيب عنها شيء لا في الدنيا ولا في الآخرة ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16] أي يقول الله ذلك اليوم لله الواحد القهار على الكل ما وجد الوجود عن الكل وإعادتهم على ما كانوا عليه من الجلاء الأصلي والعدم الأولي اليوم كأنه نتيجة لما سبق وتحقيقه أن النفوس لما تعلقت بالأبدان المكتسبة والأجساد المعادة كانت هي عليها من صور الأعمال وهيئات الأفعال ومقتضيات الأقوال ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد.

﴿الْيَوْمَ تُجْرَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

﴿الْيَوْمَ تُجْرَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من الأعمال الإرادية والأفعال الاختيارية إن كانت حسنة ترد على النفوس الكاسبة بالصور الحسنة والهيئات المستحسنة، وإن كانت قبيحة فبالنفوس الكريهة قال النبي ﷺ: «يحشر الناس على صور أعمالهم أو على اثني عشر صورة، فمنهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت» وقال أيضاً: «إنما هي أعمالكم ترد عليكم» فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ بنقص الثواب وزيادة العقاب وتضعيف العذاب ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: 17] إذ لا يشغله شأن عن شأن ولا يتوقف على انتقال عدد إلى عدد، ومن أمد بعد أمد، بل يحضر دونه جميع أفعالهم وتام

أحوالهم الكائنة في الأدوار والأكوار الكلية والجزئية الإفرادية والجمعية، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين .

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مِمَّا لِلظَّالِمِينَ  
مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ ﴿١٨﴾

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ أي القيامة من أزفٍ يأزف أزفًا إذا قرب أي قد قربت القيامة وحالاتها، وإنما منيت بها بقربها، ويجوز أن يريد يوم الآزفة وقت الخطة وهي مشارفتهم دخول النار ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ جمع الحنجرة، وهي رأس الحلقوم من خارج يعني فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقامها فتلتصق وتصل بقصبات الحلقوم إلى أن تتصل برأس الحلقوم المنتهي إلى غاية الفم ولا تعود حتى تستريح ولا تخرج من الفوت حتى تموت وتحصل الراحة ﴿كَظْمِينَ﴾ [غافر: 18] مكرويين مغمومين مملين خوفًا وحزنًا والكظم احتباس النفس ويعبر عن السكوت، يقال كظم الغيظ أي حبسه، فالكظم تردد الخوف والغيظ في الجوف والهم والحزن في القلب لدى الخوف مقارنةً بالمكروه والعوف حتى تضيق به منصوب على الحالية من أصحاب القلوب، وإنما جمع جمع العقلاء لأنه من أفعال العقلاء كقوله ﴿فَطَلَّتْ أَعْنَفُهُمْ لَمَّا خَضَعِينَ﴾ [الشعراء: 4] أو من مفعول أنذرهم ﴿مِمَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ مشفق من حم وتسحر وسحق بدائرة كمال المحبة وفرط الشوق والمودة ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: 18] فيشفع فيهم، والضمائر إن كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وإنه بظلمهم .

﴿يَعْلَمُ حَايَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ﴿١٩﴾

﴿يَعْلَمُ﴾ الحق ﴿حَايَةَ الْأَعْيُنِ﴾ النظرة الخائنة كالنظر الثابتة إلى غير المحرم واستراق السمع والنظر إليه أو خيانة للأعين ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: 19] من أحاديث النفس والأحكام الوهمية والصور الخيالية والهيئات العدمية والمدركات

العادية الرسمية قيل: الانسراح والإدراكات الخفية والمعقولات الخفية والعلوم والمعارف الإلهية والأسرار القلبية والأنوار الغيبية الغير المتناهية بعد الانسراح ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: 22] ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: 125] الآية.

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي﴾ ويحكم بين الأعيان الجمالية الوجودية النورية، والأكوان العدمية الظلية الجلوية، والأحكام الوهمية، والقضايا العقلية ومقتضياتها ومرتضياتها، وهي النتائج اليقينية والمطالب الضرورية ﴿بِالْحَقِّ﴾ من غير إفراط وتفريط ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ ويطلبون من تلك الأحكام والعلوم والإدراكات ومما يتبعها من الطاعات والعبادات والأحوال والمقامات ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي غير الحق والذات المستجمع لجميع الأسماء والصفات من الأصنام الفعلية والأوثان الحالية من مقتضيات الأطوار السبعة القلبية والحالات والمقامات الغيبية مع ما يتبعها من العلوم والإدراكات الحقيقية والمعارف الإلهية المتتابة في الأدوار والأحوار والاعتبارات المتفرعة على الاكتشاف والكشف والشهود والغائبات ﴿لَا يَقْضُونَ﴾ ولا يحكمون على شيء ﴿شَيْئًا﴾ من الأمور الوجودية والعدمية والأحوال الثبوتية والسلبية لأنهم أي الممكنات في نفسها عارية عن الوجود وما يتبعها من الأحكام والأحوال والنعوت والأعمال ومبادئها من العقول والنفوس والقوى ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ [غافر: 20] إنما الذات الواجب وجوده، الممتنع نظيره الممكن سواء وغيره ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ سميع أحاديث النفس ومحركاتها بالقلب، وإلقاء الشياطين فيه، ولمة إبليس معه، وفيه نجوى أهل النجوى، وكذا يسمع كل همس، وأسرار كل غيب ونفس، ويسمع أيضًا استدعاء تمام القابليات واستدعاء الاستعدادات بأسرها ﴿الْبَصِيرُ﴾ [غافر: 20] كل الغيوب وعموم الخفايا من الذنوب وتمام الكمال والنقص والعيوب، ويريد جميع خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهذا وعيد للمشركين وتعريض وتوبيخ لهم.

﴿أَوْلَم يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿أَوْلَم يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ سير المعتمرين ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كقوة نوح وعاد وشمود وقوم الصالح وغيرهم، وإنما جيء بالفصل وحقه أن يقع بين معرفتين بناء على أن هذه النكرة مضارع المعرفة في عدم دخول اللام عليها وهي أفعل استعمل بمن ﴿وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ أي مختلاً على الأرض كالقلاع والحصون والمدائن المسورة والبروج المشيدة فلم يتبعهم في دفع البلية عنهم ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ بسبب كثرة ذنوبهم وقبح عيوبهم في حضورهم وغيوبهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [غافر: 21] حافظ يحفظهم من حلول العذاب ونزول العقاب.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ذَلِكَ﴾ الأخذ ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الساطعة والآيات والأمارات القاطعة ﴿فَكَفَرُوا﴾ بالله وبرسوله وآياته الباهرة ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ [غافر: 22] بأنواع العتاب وأصناف العذاب ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ﴾ بذاته قدير بصفاته على إهلاكهم ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [غافر: 22] بصفاته الفعلية.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ الظاهرة بصور المعجزات الواضحة وغرر البيئات الناصحة ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [غافر: 23] وتبيان متين وبرهان واضح مكين والعطف لتغاير التعيين وتباين الصفتين أو لتعدد المعجزات وكثرة ما صدقت الآيات الشاهرة كالغطاء والجراد واليد البيضاء والدم وشق البحر وغير ذلك من المعجزات التسع المذكورة في الأعراف.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَفَقَرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَفَقَرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ [غافر: 24] يشير إلى

موسى وفيه تسليته لرسول الله ﷺ وبيان لسوء عاقبة من كان أشد بطشاً وأقربهم زماناً وعطشاناً على إهراق دم أهل الله .

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ  
وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ أي قصدوا الإيمان والتصديق بهم وبما جاؤوا به من الكتب والمعجزات وتثبتوا عليه من غير أن يقصدوا الارتداد والميل والإلحاد والإعراض عن دين موسى ﴿وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ واستخدموا إياها مع الرجال ﴿وَمَا كَيْدُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ﴾ [غافر: 25] أي سعي الكافرين المعاندين في طريق شفيق الكيد إلا في البغي الذي أضلهم عن الصلاح واختيار العناد والإفساد على النصره والإعانة والإمداد .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُوْبِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ  
دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ لملاه وأشرافه وأعيانه ﴿ذُرُوْبِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ إذ كانوا يكفونه عن قتله قائلين بأنه ليس مما يخاف منه بل هو رجل فقير سحار ولو قتله لظن أنك مع كمال قدرتك ووفور قوتك وأدعائك الربوبية قد عجزت وتحيرت عن معارضته بطريق الحجج والبراهين ورقيق البيئات والدلائل والتعاليل ، وتعلله بذلك مع كونه سفاكاً في أهون شيء دليل على أنه يتعين أنه نبي مؤيد من عند الله ، وذلك بإلقاء الله تعالى في قلبك ، ومن قيل نبياً لن يفلح أبداً ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ أي يطلب موسى من ربه إهلاك من خالفه وعانده هذا في الظاهر ، مخافة أن يرتد قومه من دينه إلى دين موسى كما قال ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ وما أنتم عليه من دين آبائكم ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: 26] بإظهار سحره .

﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ  
الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿ وَقَالَ مُوسَى ﴾ لما توعدده وخوفه بالقتل فرعون ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ جبار ومتحير متعظم قهار ﴿لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [غافر: 27] .



﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ ابن عمه ﴿ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ أي لأجل أن يقول هذا القول الحق والمقال الصدق والحال أنه ﴿ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ الظاهرة والمعجزات الباهرة ﴿ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ ﴾ وبال ﴿ كَذِبُهُ ﴾ لا يتعدى ولا يتجاوز ويتخطى، وبأن كذبه فلا يحتاج في دفع ضره ورفع شره إلى القتل ﴿ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا ﴾ فالحري به أن لا يكذب ولا ينكره لأنه ﴿ يُصِيبْكُمْ ﴾ ويرد عليكم خسارة ﴿ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ﴾ في الدنيا من أنواع العذاب وأصناف الشقاوة والعقاب في الآخرة ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ ﴾ متجاوز ومتعد عن الحد والاعتدال ﴿ كَذَابٌ ﴾ [غافر: 28] وتخصيص الكذب بالذكر إشعار بأنه أقبح القبائح وأفضح الوقائح ينافي جميع الكمالات ويعافي تمام المبرات، عن عبد الله بن عمرو بن عاصٍ قد أخبر بأشد ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن معيط فأخذ بمنكب رسول الله ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم، احتجاج ثالث ذات وجهين أحدهما إنه لو كان مسرفاً كذاب لما هداه الله إلى البينات ولم يعضده بتلك المعجزات بأن كل واحد منهما ينافي ذلك، فضلاً عن أن يكونا معاً، والثاني أن من خذله الله وأضله وأهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله، وهو في نفسه هالك لا متصرف ومالك فلا يعبا به.

﴿ يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَصُرْنَا مِنْكُمْ بِئْسَ اللَّهُ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ ﴿٢٩﴾

﴿ يَقَوْمِ ﴾ بكسر اسم على حذف ياء المتكلم ﴿ لَكُمْ الْمُلْكُ ﴾ [غافر: 29] أي

ملك أرض مصر وتوابعه ولكم فيه قرار وتملك وتمكن ووقار ﴿الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾ غالبين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي أرض مصر على بني إسرائيل يعني أن لكم ملك مصر، وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم، ولا تتعرضوا للناس وموجبات عذابه ومعقبات عقابه فإنه لا واقع له أن يحكم ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا﴾ ويمنعنا ﴿مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ وشدّة انتقامه ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾ وتوجه إلينا بقتل النبي بلا موجب ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ في هذه الحالة لقومه في دفع أمر موسى ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ أي ما أشير عليكم من قتله ولا ما استصوبت لديكم في دفعه إلا ما أرى أي إلا ما أعلم واستقر رأيي عليه وهو قتله ودفعه وبتله (\*) ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ﴾ ولا أرشدكم ﴿إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: 29] وطريق الصواب ومنهج الصلاح والسداد، وما أعلمكم وما ألقى إليكم إلا ما أعلمكم، أي ما تقرر عمله لدي وتحقق بين يدي من الصواب، ولا أدخر منه شيئاً، ولا أسرّ عنكم خلاف ما أظهر يعني أن لسانه وقلبه متواضعان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعراً للخوف الشديد من جهة موسى .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَبْقَوْنَ إِيَّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ﴾ أي الرجل المعهود ﴿ءَامَنَ﴾ بموسى خيفةً من قوم فرعون ﴿يَبْقَوْنَ إِيَّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ في تكذيبه والتعريض له بالقتل والإهانة والاستخفاف والتخويف والإهانة ﴿مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ [غافر: 30] أي مثل الأيام الماضية وأعوام الملل الخالية بوقوع الوقائع الذاهبة والمضارع العاهية عنهم بأن تداولت البيئات في حزب بعد حزب، وقد كان لكل منهم دأب آخر في المعاصي والإشراك وتعاقب حلول البلية وترادف الإهلاك .

﴿مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا

لِلْعِبَادِ﴾

﴿مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [غافر: 31] أي كان عاداتهم في الإقامة على التكذيب وقبول الرسول والتعصيب حتى أتاهم العذاب وأصابهم

(\*) بتل الشيء: قطعه، فصل عن غيره .  
البتل: منقطع النظير أو لا عطاء بعده .

شدائد العقاب، نصب مثل الثاني لكونه عطف بيان للثاني، إذ لو قلت أهلك الله الأحزاب قوم نوح وعاد وشمود لم يكن عطف بيان لإضافة قوم إلى إعلام فسوى ذلك الحكم إلى الأول ما تناولته الإضافة ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [غافر: 31] فلا يعاقبهم تعين سبب موجب ولا ينقص من أجورهم ولا يضاعف العقوبة وهو أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد إرادة لنفي إرادة الظلم فلا ظلم أصلاً لانتفائه بخلاف ذلك إذ انتفاء الخاص لا يستلزم انتفاء العام من حيث الصدق بخلاف ذلك لا الوجود.

### ﴿وَيَنْقُورِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ﴾

﴿وَيَنْقُورِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ﴾ [غافر: 32] أي يوماً ينادي بعضهم البعض إما للاستعانة أو يتصارحون فيه بالويل، أو ينادي أصحاب الجنة أصحاب النار، أو بالعكس كما مر في سورة الأعراف، والمراد يوم القيامة وقرئ بالتشديد من التناد وهو القبور.

﴿يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ

### هَادٍ﴾

﴿يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ﴾ عن الموقف والنار أو منصرفين على موقف الحساب إلى معطن النار والعقاب فارين عن النار غير مجاوزين أو غير معجزين، ثم أكد التهديد بقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ﴾ يوم الثاني بدل من الأول نصبه على المفعولية بالظرفية ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ من الفلاح والنجاة ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: 33] ومرشد يرشده إلى الهداية والرشاد الذي يلجيه إلى النجاح يصير بجناح النجاة إلى قضاء الفلاح.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا  
جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا  
كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ﴾ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أقام بينهم عشرين

سنة نبياً ﴿مِنْ قَبْلِ الْبَيْنَاتِ﴾ قيل فرعون موسى فرعون آخر، ونجهم الله تعالى بأن يوسف أيًا ما كان بعثه الله نبياً بينكم بالمعجزات ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ يعني ماذا إلى شككم في حقه فلم يؤمنوا به ﴿حَقَّ إِذَا هَلَكَ﴾ قيل هلك ومات وقبض فحينئذ ﴿قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ﴾ [غافر: 34] يعني مثل ذلك الإضلال المذكور وقوم يوسف ﴿يُضِلُّ اللَّهُ﴾ ويخذله ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مجاوز عن حد الاعتدال مشرك مسرف ﴿مُرْتَابٌ﴾ [غافر: 34] شاك وفي وادي الهوان صاك (\*).

﴿الَّذِينَ يُجَدِّلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾

﴿الَّذِينَ يُجَدِّلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ تفسير للمسرفين المرتابين ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ وحجة وبرهان ﴿أَتَتْهُمْ﴾ الله وأعطاهم ذلك البرهان، يعني أن شكهم وارتيابهم وشركهم ليس بناشي عن البرهان لا من الله ولا من تلقاء أنفسهم بل هو محاولة محضة ذكروها لتكون دستوراً وقاعدة في نفي الأنبياء ومنع النبوة وتكذيبهم، فليس المراد من قولهم من يبعث الله بعده رسولا تصديق رسالة يوسف عليهم السلام، وكيف شكوا فيها وكفروا بها، وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده ﴿كَبْرَ﴾ ذلك الجلاد والعناد إثماً ﴿مَقْتًا﴾ إثماً وبغضاً ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وعند الذين آمنوا وبما جاء منه ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ﴾ ويختتم ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ﴾ في نفسه ﴿جَبَّارٍ﴾ [غافر: 35] متعظم متعجب في مدركات خيره مستبعد عن حضائر قدسه، مستوحش من كمال أنسه، وإنما شبه تلك الحالة بهذه الحالة لإشراكها في كمال الخسارة السرمدية والجسارة الأبدية.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُنُ ابْنِي لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَجْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لوزيره والمُتصرف في جملة ملكه ﴿يَهْمَنُنُ ابْنِي لِي صَرَحًا﴾ [غافر: 36] بناءً عاليًا رفيحًا ظاهرًا لا يخفى على الناظرين من بعيد ليدل على كمال عظمة ملكه ومملكته، وذلك إنما يتأتى من طباع التجبر والعظمة والتكبر في

القلب القاسي والنفس القاصي، كما فعله نمرود الكنعاني، فلما تمت عمارته وعمت سلطنته وإمارته، وادعى الربوبية والإلهية في الأرض، وقصد إلى محاربة رب السماء ومقاتلته، فأرسل الله إلى ممالكه وهي الأقاليم السبعة لتجيش فامثل أمره وجمع الخلق إليه من جميع الممالك إلا من أصفهان.

روي عن الشيخ الحافظ إسماعيل رحمه الله بإسناده عن ابن إبراهيم بن محمد النحوي قال: خرج قوم من أهل أصفهان إلى ذي الرياستين في حوائج لهم فقال من أين أنتم؟ قالوا من أصفهان قال أنتم من الذين لا يزال فيهم ثلاثون رجلاً استجابوا الدعوة قالوا: وكيف ذلك؟ قال: إن نمرود لما أراد أن يصعد إلى السماء كتب إلى أن يدعونهم إلى محاربة رب العالمين فأجابوا كلهم إلا أهل أصفهان، فحمل ثلاثين رجلاً يستجاب دعائهم من الصرخ والصراخ وهو الصعود الرفيع العالي، مأخوذ من قولهم له صراخ الثكلى. قال في التفسير الكبير: إن هامان ما كان موجوداً وقت موسى وفرعون وإنما جاء بعدهما بزمان بعيد ودهر مديد ﴿أَعْلَىٰ أَبْلَغُ الْأَسْبَبِ﴾ [غافر: 36].

﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا  
وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ  
فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ﴾ وهي طرف السماوات وأبوابها وما يتوسل به إليها، ويؤدي به لديها، إن كل ما تأدى إلى شيء آخر فهو سبب له ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ وارتفع إليه طلوع الكواكب وارتفاعها من الأفق إلى سمك السماء ﴿إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ﴾ منصوب على جواب الترجي شبهاً للترجي بالتمني ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾ وأتوهم موسى ﴿كَذِبًا﴾ فيما يدعي ويقول إن له رباً غيري ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ﴾ أي زَيْنَ إبليس ﴿سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ﴾ ومنع ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ وكف عن الصراط السوي وسواء السبيل وصد ومنع ورد فرعون الناس عن الصراط المستقيم والصراط القويم ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: 37] أي الخسران والهلاك والبطلان، ولا يأتل في إبطال آيات الله وبيناته التي ظهرت بيد موسى.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ ﴿٣٨﴾

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ ﴾ بالله وبموسى من قوم فرعون ﴿ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر: 38] طريق الهدى والرفيق الأعلى .

﴿ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارٌ

الْقَرَارِ ﴾ ﴿٣٩﴾

﴿ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ ﴾ ومتعة ينتفعون ويتمتعون دونها، ثم يزول سريعاً ويحول حولاناً سريعاً ﴿ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ [غافر: 39] وغار الوقار الثابت بتمام الأطوار في عموم الأدوار وهجوم الأكوار .

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا

بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ﴿٤٠﴾

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ كمًا وكيفًا خالصًا وزيفًا ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ ثابت على الإيمان نابت بكمال الإيقان ﴿ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾ جنة النفس التي هي جزاء الأعمال الصالحة وثمرات الأفعال الطيبة الفايحة ﴿ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: 40] لا يحيطها الإحصاء ولا تحيطها الأعضاء ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وإذا كان كذلك خاطب موسى الطور الروحي المستعد بشهود تجلي الأفعال وتوحيدها قوم القوى النفسانية والمبادئ الجسمانية بما نكر التويخ وتكثر التعبير والتصريح بقوله :

﴿ وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَىٰ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ ﴿٤١﴾

﴿ وَيَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ ﴾ وأطلب تلقاء وجوهكم وإقبال قلوبكم ووجوهكم وجملة غيوبكم ﴿ إِلَى النَّجْوَىٰ ﴾ وإلى ما يوجب الاستصغاء إلى سماء التجليات والاستبعاد إلى درجات جنات التجليات وأنتم مع عدم قبول النفس اللوامة حكم النفس الأمانة ﴿ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ [غافر: 41] أي نار التحسر والندامة .

﴿تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾ وتجلياته الأسمائية والذاتية ﴿وَأُشْرِكَ بِهِ﴾ وأتخذ له شريكًا ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي بحقيقته وكنه ماهيته توبيخ عليهم بأن كفرهم وإشراكهم إنما هو بمحض التقليد وبمجرد العصبية وبفطر الجهل وبكمال الاستبعاد والتجدد والتحديد ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ﴾ الذي لا نظير له ولا نصير في ربوبيته وفي تدبير ملكه وملكوته ﴿الْغَفَّارِ﴾ [غافر: 42] الذي تجاوز عن السيئات وتبارز لدفع البليات عن من يشاء من عباده ويعفو عن الخطيئات بلا طلب عوض وجلب صحة ودفع مرض.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿لَا جَرَمَ﴾ [غافر: 43] على مذهب البصريين أن يجعل لا رادًا على القوم فيما عاد إليهم، وجرم ماض بمعنى حق وإن بما في حيزه فاعله، أي تحقق وثبت دعوة قومه أو بمعنى كسب نحو قوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: 2] ويجوز أن (لا جرم) نظير لا بد، فعل من الجرم وهو القطع، كما أن (بد) فعل فاعل من التبديد وهو التفريق، ومثله لا جرم أن لهم النار لو رأى لا انقطاع لك أنهم أبدًا يستحقون النار لا انقطاع لهم منها أبدًا ولا قطع لبطلان دعوة الأصنام، أي لا تزال أنها باطلة لا ينقطع ذلك فثقلت حقًا روي عن العرب (لا جرم) بضم الجيم وسكون الراء على وزن بد وبعد وقعد يعني كرشد ورشد وقعدوا وقعد ﴿أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ إلى عبادة الوثن ﴿لَيْسَ لَكُمْ﴾ أي الوثن ﴿دَعْوَةٌ﴾ وطلب الإجابة وغلب ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ أو ليس له ادعاء ولا دعوة يدعو الخلق إلى عبادته لأنه لا يدعي الربوبية ولا يثيب لنفسه الألوهية بالحجة والبرهان ﴿وَأَنْ مَرَدَّنَا﴾ أي مكاننا نرد ونرجع إليه ﴿إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾ والمشركين المترفين ﴿هُم أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر: 43].

﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ  
بِالْعِبَادِ﴾ (44)

﴿فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ﴾ أي إذا شاهدتم العذاب في الآخرة وعانيتم وقوع شدته فإذا يتذكرون عن نصيحتي ويتعظون لقولي وكلمتي فيكم في الدنيا ﴿وَأَفَوضُ أَمْرِي﴾ وأحيل كل مالي وتمام مالي ﴿إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: 44] وخبير بكل أحوالهم من الصلاح والفساد إلى يوم التناد، فالحري لكل أحد أن يفرض أمره وحاله في الظاهر والباطن إليه، ثم بالغ الرجل المؤمن الخافي إيمانه عن فرعون وآله في الفضيحة ووقوع الشك فيهم في ثبوت إيمانه جرفه من بينهم.

﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِغَالٍ فِرْعَوْنَ سُوءُ  
الْعَذَابِ﴾ (45)

﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ﴾ وحفظه من ﴿سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾ أي من شرور مكرهم وضرور شرهم ﴿وَحَاقَ بِغَالٍ فِرْعَوْنَ﴾ أي أحاط بالقبضي ونزل عليه في الدنيا ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 45] وهو الغرق في الماء والعذاب في الآخرة والعقبى.

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ  
فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (46)

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي على طائفة فرعون وقومه وجماعته ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ وصباحًا ورواحًا أو في البرزخ كما قال: ﴿وَمِن وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100]، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ أي القيامة يقال لآل فرعون ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 46] وأحد العقاب، عن ابن مسعود أن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين، يغدوا ويروح إلى النار ويقال لآل فرعون هذه منازلكم ومأواكم حتى تقوم الساعة، قال قتادة روح كل كافر تعرض على النار بكرة وعشيًا ما دامت الدنيا، عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله: إن أحدكم إذا مات عرض مقعده عليه بالغداة والعشي إذ كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة.



﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ﴾ أي يا محمد اذكر لأمتك يوماً يختصمون أهل النار في النار ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ من كل قوم وملة مالا وعلما وجاهًا وحكما ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ﴾ في هذا اليوم الشديد والوقت المديد ﴿مُعْتَدُونَ﴾ مانعون عنا ﴿عَنَا نَصِيبًا﴾ أي شيئاً قليلاً ﴿مِّنَ النَّارِ﴾ [غافر: 47].

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ في جواب الضعفاء ﴿إِنَّا كُلٌّ﴾ قد كنا ثابتين كائنين ﴿فِيهَا﴾ أي في الدنيا متساوية الإقدام في طريق الفعل الفارق بين الحق والباطل ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [غافر: 48] يتبين أصل المراد وتعين الصلاح عن الفساد ويإنزال الكتب وبعث الرسل وتبليغ الأحكام والخطب بذريعة البعث فإذا ليس لكم رجحان ومزية لنا مزيداً لاستحقاق شدة العذاب وكثرة استلحاق لحدة العقاب.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ﴾ من الكفار ﴿لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ﴾ أي الأملاك الذين وكلوا عليها لإجراء العذاب على من كان فيها أو ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ [غافر: 49].

﴿قَالُوا أَوْلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قَالُوا﴾ أي خزنة جهنم لأهلها أنتم مستحقون لهذا العذاب من غير أن يستخف عليكم شيء منه ﴿أَوْلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا﴾ [غافر: 50] عليه لنفي الاستحقاق لا الاستنكاف لاعترافهم بالتكذيب وإنكار الرسل لقوله:

(بلى) قد جاءنا رسول فكذبنا وقلنا: ما نزل الله من شيء ﴿بَلَىٰ قَالُوا فَاذْعُوبُوا﴾ أي لما اعترفوا بإرسال الرسل قالت خزنة جهنم لأهلها فإذا ادعوا واطلبوا أنتم من الله دفع العذاب وتخفيفه منه، فإننا لا نجترئ على ذلك فلا يشفع إلا بشرطين كون المشفوع غير ظالم ومشرك، وأن لا تكون حقوق الناس ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ في حقهم وفي حق غيرهم ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر: 50] باطل وأمر فاسد عاطل.

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

### الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ في تبليغ الرسالة وإمضاء الأحكام وتنفيذ أمور السياسة ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله ربهم وبالحجة والتقوية وبالظفر والنصرة في إجراء الأحكام الدينية وإمضاء الأعلام اليقينية ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ والنشأة الأولى ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: 51] جمع شاهد كأصحاب وصاحب والمراد بهم من يقوم بهم في يوم القيامة والأنبياء والأولياء والعلماء والأمناء والشهداء يشهدون للرسول بتبليغ الرسالة للأولياء بالدعوة إلى الله وإرشاد العباد وتكميلهم للعلماء في حفظ أوضاع الشريعة وإمضاء أحكامها للكفار بالتكذيب والإنكار وكذا سائر الأشهاد من أمة محمد يقومون ويشهدون وعلى ما يطلبون الشهادة منهم.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين والمشركين والعصاة من المؤمنين ﴿مَعَذِرَتُهُمْ﴾ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ والبعد من رحمته وعموم عنايته ونعمته ولها درجات متفاوتة وللعنة درجات متقاربة ومتباعدة ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: 52] وشقاق دار البوار ودرك النهار من الأدوار والأكوار وأنت خبير بأن في كل دورة من الأدوار الإلهية والأكوار الربانية دنيا وآخرة متغايرة وكذا قابل بهما من السماوات والأرض ومن الجنة والنار وغير ذلك يتغاير وقد فصلنا مراراً في مواضع كثيرة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ﴾ الكتاب والألواح التي فيها تفصيل كل شيء وهدى ورحمة ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ [غافر: 53] المذكور هذا.

## ﴿هُدَىٰ وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾﴾

﴿هُدَىٰ وَذِكْرَىٰ﴾ [غافر: 54] هاديًا ومرشدًا إلى معرفة الله تعالى وظهور تجلياته ومذكرًا لما جرى في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172] من العهود والمواثيق والعقوبة وقبول الأحكام والحدود والمعارف النظرية والشهودات الضرورية الحاصلة في ضمن الشهود الذاتي الذي ظهر في بداية كل دورة في التجلي الذاتي، المشهود أولاً بعنوان الذات على وجوده لا يتناهى وأنحاء لا تعد ولا تحصى، ثانيًا بعنوان الوصف في مقام قاب قوسين وموطئ أو أدنى، والبرزخ الحائل بين الاثنين بصور الأعيان الثابتة والحقائق الإلهية والصور العلمية ﴿لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ [غافر: 54] أي للذين وصلوا إلى لب اللب في طور الغيب الذي هو إسقاط قشور الشكوك والريب.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٥٥﴾﴾

﴿فَاصْبِرْ﴾ يا حقيقة المحمدية في جميع الأعيان النورية الجمالية على مجاهدات شؤونات النشأة الكونية ﴿إِنَّ وَعَدَّ اللَّهُ﴾ [غافر: 55] الذي وعدك وعهد لك في المعهد الأول والموطن الأزل بأن يظهر دينك أولاً على أعيان الأنبياء الثابتة في الحضرة الواحدية على أرواحهم في المرتبة الربوبية ثم على أشياعهم في البرزخ المبدأ، ثم في مرتبة الناسوت صور ذلك الأمر في القلوب وأنزله على آدم معنناً إلى أن وصل إلى موسى وعيسى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: 81] ﴿حَقًّا﴾ ثابت في تمام المراتب والأدوار والأكوار صريحًا وضمنًا ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ﴾ من الغفلات والالتفات إلى غيره من الممكنات ولو لحظة: «وإني ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة أو مائة مرة» دون استيلاء المولود الجلالي واقتضائه ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ واشكر نعمته بالوصف النوري الجمالي والنعنن الظلي الجلالي ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ [غافر: 55] في الدورة الظلية الجلالية الضمنية والنورية الجلالية الصريحة في مدة الدورة الوجودية الصريحة إشارة إلى تفاوت درجات العارفين في مقام الحمد والشكر،

فمنهم من يحمده ويشكره بالتنزيه الذاتي والتقدیس الوصفي، ومنهم من يحمده ويشكره بالنعته الجمعي والوصف المعني بأن يكونا متساويين أو يكون أحدهما غالباً والآخر مغلوباً، وإن كان مجذوباً سالكاً يكون أغلب، وبالعكس إن كان بالعكس، فالأول وظيفة الغوث الأعظم، والثاني طريقة المجذوب السالك، والثالث هو السالك المجذوب، فالأول صاحب الحقيقة والثاني صاحب الطريقة والثالث صاحب الشريعة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٥٦)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ ويعاندون في آياتِ الله ومنع التجليات الإلهية الذاتية والأسمائية والأفعالية والإدارية والمعارف الفطرية والعلوم الحقيقية المتفرعة على المشاهدات والمغيبات ﴿فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ أي هذه جذبة رحمانية وقدرة ربانية سبحانية وتوفيق إلهي صمداني ﴿أَتَتْهُمْ﴾ أي أعطاهم الله ذلك السلطان والتوفيق والجذبة والتحقيق صفة السلطان إشارة إلى شرط صحة الأحوال والمقامات وحقية العلوم والإدراكات بل جميع الأفعال والأعمال والأحوال والأقوال الصادرة عن أعيان الممكنات بأسرها وعن أكوان الموجودات بجملتها لا تظهر ولا توجد إلا بإرادته ومشئته وتوفيقه.

﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ﴾ أي ليس في صدورهم ووجوه قلوبهم التي يجمع فيها ويتصاعد إليها من أحوال أطوار النفس والغالب فيمن صور الأفعال النفسانية والأعمال الجسمانية التي هي مبادئ النتائج العقلية ومرآة في المعارج الروحانية إلى شهود التجليات الربانية والمعانيات الرحمانية ﴿إِلَّا كِبْرٌ﴾ أي ما في صدورهم بسبب ظهور الكبر والعظمة في النفس وهو أغلظ الحجب وأشد المظلمات وأردأ النقب وإرداء من الرياء والعجب؛ قال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه: نهاه عن الكبر، فإنه لا يدخل الجنة أحد يكون في قلبه مثقال خردلة من كبر».

﴿مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: 56] أي ليس المجادلون في آياتِ الله بالنفي

والمنع أن يبلغوا ويصلوا إلى سلطان الجذبة والتوفيق أو إلى سلطان التجلي وشهوده إذ الكبر هو الشرك الخفي ينافيه أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك ﴿فَأَسْتَعِذُ بِاللَّهِ﴾ عن الكبر ومقتضيه وهو الشيطان واقتضاؤه وهو البعد عن الحق والحقائق ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ الذي يسمع عن استعدادات الأعيان الثابتة والماهيات الممكنة والحقائق الإلهية استدعاء الوجودات العينية وما يتبعها من اللوازم الذاتية والوجودية ﴿الْبَصِيرُ﴾ [غافر: 56] الذي يبصر ويشاهد مقدار القابليات وكيفيات الاستعدادات ليعطي كل شيء خلقه ثم يهديه .

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ﴾ ما فيها من المدبرات أعني الملائكة المدبرة والنفوس المديرة وما هو مركز فيها من الكواكب الثابتة والسيارة ﴿وَالْأَرْضِ﴾ وطبقاتها التي أسكن الله في كل منها نوعاً من المخلوقات التي لا يعلم عددها ولا يدرك مددها إلا الله كما أشار إليها ابن عباس في تفسير هذه الآية ومن الأرض مثلهن ﴿أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ ومخلوقاتهم أجلاً وعاجلاً هذا على تقدير زعمهم وإلا فلا خالق إلا هو ولا خلق للمخلوق أصلاً في الذهن ولا في الخارج ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: 57] من أن الخلق في الآفاق أكثر وأبهى وأكبر مما في الأنفس، وإن كان دقيق النظر بالنسبة إلى الآفاق والأنفس وهي سترهم في الآفاق وفي أنفسهم يحكم عليها فإن الفارق الكامل الكلي المتحقق بالذات بجميع الأسماء والصفات توازي خلقه خلق الرحمن نعم يمكن أن يقال هذا الخلق هو تخلق الخلق، «لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه فيسمع وبصره وبصره وبصره وبصره» حديث قدسي .

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾ الذي ما وصل إلى مقام التحقق بمضمون هذا الحديث ﴿وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾ [غافر: 58] العاقل المتبصر

والعامل المستنصر الواصل إلى مقام الكلية، والتحقق والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المحسن ولا المسيء الذي لا يتذكر إلا تذكراً ﴿فَيْلَا مَا تُنذَكِرُونَ﴾ [غافر: 58] قل ما تنسون من أصحاب التقليد الذين في مقام علم اليقين وما بلغوا بدرجة عين اليقين وحق اليقين، فلا بد من ميزانٍ يتعرف به على هذه الفرق الأربعة وهو النبوة التعريفية والتشريعية، فبالتشريعية يتعرف بأصحاب التقليد وبالتعريفية التي يستكشف بها أحوال الأطوار السبعة القلبية يتميز بها أرباب حق اليقين عن غيرهم وأحوال بعضهم عن البعض الآخر، والميزان الكلي الكامل هو الإنسان الفارق الكامل المكمل السائر في كل الأدوار وتمام الأكوار الإفرادية والجمعية.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيْنِيَّةٌ لَّأَرِيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٩﴾

﴿إِنَّ السَّاعَةَ﴾ الآفاقية التي تظهر لدى انتهاء اقتضاء فردانية الدورة العوزية الأربعة، فإن في انتهاء كل دورة من الأدوار الأربعة النورية الجمالية تقوم قيامة وتحوم ساعة، وهي بروز اقتضاء الكورة الظلية الجلالية التي كانت متضمنة في ضمن الدورة النورية الجمالية مختفية في حيطها وتسمى بالآخرة ويختفي ارتضاء الدورة النورية الجمالية، وكانت في تلك الدورة مسماة بالدنيا، فتصير الدنيا آخرة والآخرة دنيا، ويختفي طور البدن في طور البدن والنفس، وطور النفس في الجسم والبدن ﴿لَأَيْنِيَّةٌ لَّأَرِيْبَ فِيهَا﴾ إن الدورة لا محالة تنقضي، والكورة لا بد وأن يتعرض وتنتهي، وكذا الساعات والقيامات النفسية فإن السالك إذ انتقل من طور إلى طور آخر من الأطوار السبعة القلبية يظهر في نفسه وتقوم قيامته ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ لفرط جهلهم بأطوار الأدوار وانقضاء الأكوار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: 59] بظهور الساعة وقيام القيامة.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ﴾ تعليماً لعباده وتفهمياً لساكني بلاده ﴿ادْعُونِي﴾ في قضاء الحاجة واقتضاء الحوائج والمهمات ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي أعبدوني وفي قضاء الحاجات ادعوني قبلت دعاءكم وأجبت دعوتكم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ ويستكفون عن طاعتي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60] متذللين صاغرين.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلًا لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٦١﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيْلًا﴾ وخلقها لكم ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ فتصرحوا عن التعب الحاصل من اشتغال النهار ويحصل فيه استراحة وإنما جعل الليل مظلمًا لتتفكر الحواس عنه وترجع مبادئ الأعمال وقوى الأفعال من محيطها إلى مراكز قواها وهي القلوب وساحة الغيب وراحة المحبوب تستكمل أفعالها وتستحصل غاياتها وهي كمال الصحة ولذا استولى عليه النوم واستعرى لديه الإمساك والصوم ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي يبصر فيه أمور المعاش ويفعل فيه ما تنتظم فيه أحوال الانتعاش ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ حيث جعل الليل زمان الاستراحة وتمازج هضم العظام لكامل الصحة ودفع أنواع المرض وأصناف العلة وغير ذلك من المنافع والمصالح، والنهار لاكتساب الأفعال التي تتوقف عليها أحوال المعاش وأسباب الانتعاش وغير ذلك من مصالح المعاش ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ لفرط الجهالة ووفور الكسالة والضلالة ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: 61] نعم الله تعالى ومنحه التي لا تعد ولا تحصى لاستغراق أنظارهم في تحصيل اللذات وتعطيل مبادئ العلوم والإدراكات المتعلقة بالمبادئ العالية والإلهيات.

﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُوَفَّكُونَ﴾ ﴿٦٢﴾

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ المخصوص الأفعال المذكورة والأعمال المزبورة ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [غافر: 62] الذي رباكم أولاً في عالم الجبروت بالعلوم الفطرية والإدراكات الضرورية والشهودات الذاتية الضمنية الحاصلة في ضمن شهوده الذاتي في معهد العهود الدورية، ثم في عالم الملكوت بالحياة الطيبة، ثم في عالم الملك بالصور الكونية والهيئات العينية، ثم في عالم الناسوت بالصور الجمعية والهيئة الكلية ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في المراتب الأصلية ﴿لَّا إِلَهَ﴾ في الأدوار النورية الجمالية ولا في الأكوام الظلية الجلالية الإفرادية ولا الجمعية ﴿إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: 62] أي بالذات البحت ومطلق الوجود الذي هو بداية وحقيقة كافية في

جميع الكمالات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية لا يحتاج إلى عبرة من الموجودات والمعدومات المغايرة لها ﴿فَأَنْفُ تُؤَفَّكُونَ﴾ [غافر: 62] وكيف تصرفون من عبادته إلى عبادة غيره.

﴿كَذَلِكَ يُؤَفَّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٦٣)

﴿كَذَلِكَ﴾ أي مثل هذا الانصراف والإيفاك ﴿يُؤَفَّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [غافر: 63] وينكرونها ويعرضون عنها.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٤)

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ مرفوعاً محكمًا وأحسن ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [غافر: 64] وأبين دوركم، وعين غرركم بأن أبادكم مستقيم القامة قويم الإقامة صريح الاستقامة صحيح الإشارة فصيح العبارة، صريح الوجه والوجهة، أي جعلكم في حسن الخلق وأحسن الخلق ظاهرًا وباطنًا صورةً ومعنى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: 4 - 5] ﴿وَرَزَقْنَاكَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [غافر: 64] كثير المنافع كثير المجاميع ظاهرًا وباطنًا والمراد أنواعها فإن للجسم والبدن ولأجزائه نوعًا من الرزق الطيب، وكذا للنفس والقلب والسر والروح والعقل نوع من الرزق والغذاء، فإن غذاء النفس هو الإدراك المتعلق بكيفية العمل والتصرف في البدن ورزق القلب وغذائه هو العلم والإدراك بأن كل ما يصدر من النفس وقواها هو من الله، وغذاء السر والفؤاد هو شهود الحق في تلبس الآثار، ورزق الروح شهود الحق فاعلاً ومؤثرًا في الأكوان، وغذاء العقل ورزقه وشهود الحق بجميع الأسماء والصفات، وغذاء غيب الغيوب الذي هو باطن العقل هو الفناء الذاتي والبقاء بالله والتحقيق بجميع الأسماء والصفات ﴿ذَلِكَمُ﴾ الخالق المصور والرازق هو ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ تعالى شأنه وتعالى سلطانه ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: 64] بكمال التدبير وجمال التصوير وجلال التدوير والتأثير في المراتب لتنويع المآرب وتفريع المطالب.



﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥)

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي الذي توحد بالحياة السرمدية وتفرد بالقدرة الأبدية ﴿فَادْعُوهُ﴾ واطلبوه وتوجهوا إليه ﴿مُخْلِصِينَ﴾ حال كونكم متصفين بكمال الإخلاص متخصصين بصفاء العقيدة وضياء الانتصاف ﴿لَهُ الدِّينَ﴾ مفعول لمخلصين وهو حال من فاعل ادعوا له متعلق بالدين أي اطلبوه بالدين الخالص ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: 65].

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٦)

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ﴾ الأوثان ﴿الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أنتم إياهم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ﴾ والحجج والبراهين والآيات الواضحات وخرق العادات وظهر ﴿مِنْ رَبِّي﴾ المعجزات ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: 66] وأخلص له ديني له مريباً لجميع المخلوقين.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشْدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلُ وَلِنَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٦٧)

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ خلقه أولية ﴿ثُمَّ﴾ في الخلقة الثانية ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ منصبته في مقعر الرحم مستحيلة في مدة تدبير زحل أربعين يوماً ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ في تدبير المشتري أربعين في مدة تدبير المريخ أربعين يوماً، وإذا تم أربعة أشهر ومن الأيام عشرًا نفخ الله تعالى في مدة تدبير الشمس فيه روحاً حيوانياً، فإذا انتقلت التربة إلى الزهرة حصل في الجنين القوة المشهورة، وإذا بلغت نوبة التدبير إلى عطارد أفاض الله تعالى القوة الناطقة، وإذا استكملت القوة بالناطقة وانتقلت إلى تربية القمر وعند استكمالها وهي تسعة أشهر وعشرة أيام تولد الجنين وإليه الإشارة بقوله ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [غافر: 67] ويدل على ما فصلناه قوله

تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٦٩﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 12 - 14].

وإنما اكتفى ببعض ما ذكره ما أغنى في ربه الخلافة إشعارًا بأنّ الولاية يمكن أن تقع في مدة ستة أشهر، وعاش المولود كما أشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15] فمن الولاية والطفولية إلى مرتبة الشيخوخة مرتبة الغلامية والتزعزع والزهاق والبلوغ والشباب والوقوف والكهولة ﴿ثُمَّ لِيَتَّبِعُوا أَشْدَّكُمْ﴾ وهو يتناول الشباب والوقوف، أما الشباب فهو من سن البلوغ إلى الوقوف، وهو إما ثمانية وعشرون واثنتان وثلاثون إلى الأربعين أو إلى خمس وأربعين، والكهولة إلى ستين ﴿ثُمَّ لِيَتَّكِفُوا شَيْوَحًا﴾ وهو من ستين إلى آخر العمر فكما أجمل الله في الخلقة أجمل في مراتب السن ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي قبل الشيخوخة أو قبل بلوغ الأشدّ هذا مناسب للإجمالين ﴿وَلِيَتَّبِعُوا أَجَلًا مُسَمًّى﴾ من الموت الطبيعي أو غيره أو يوم القيامة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: 67] توحيد ربكم وكمال قدرته وقوته وعموم حكمته وحقيقة شرائعه وحكمه أحكام دينه وخصائص أركان إسلامه ومصالح سائر أعلام أحكامه.

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٦٨﴾

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ إشعار إلى إظهار اقتضاء النور والجمال وإشهار لارتضاء سلطان الظل والعدم والجلال، فمقتضى الأول الإحياء والثاني الإماتة وإخواء الحياة والإعلام ﴿فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا﴾ وحكم في العلم بوقوعه وأراد أن يوجد ويحيي ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر: 68] ويوجد بلا مهلة وتراخ فالفاء الأول للدلالة على أنّ القول متفرع على الحكم والقضاء والعلم والوجود العلمي، والثاني دال على أنّ الوجود العيني متفرع على القول.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرِفُونَ﴾ ﴿٦٩﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ ويعاندون ﴿فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ ومعجزاته وينكرون سطوع بيناته ﴿أَنَّى يُصْرِفُونَ﴾ [غافر: 69] عن التصديق به والتحقق له.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٠)

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ والقرآن أو جنس الكتب السماوية ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ من الصحف وسائر الكتب والوحي والشرائع ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: 70] سوء حال المتكبرين ودناءة مآل الجاحدين وجزاء تكذيبهم.

﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٧١)

﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ ظرف لتعلمون إذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ الماضي للتشنيع والإشعار بتحقق الوقوع ﴿وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: 71] يجرون ويكبون ويحبرون على وجوههم.

﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ (٧٢)

﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ أو يصيرون وقوداً للنار ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: 72] تحرقون من سجر التنور إذ امتلأ بالنار والوقود من التسجير، والمراد تعذيبهم بأنواع من العذاب وأطوار من العقاب وينتقلون من بعض إلى بعض.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ (٧٣)

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ يوم الحشر والدين ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [غافر: 73].

﴿مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ

يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ (٧٤)

﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من الأوثان والأصنام وغير ذلك مما عبده في الدنيا واستوثقوا بهم واستشفعوا أو جعلوه وسيلة للزلفى ﴿قَالُوا ضَلُّوا﴾ وفقدوا ﴿عَنَّا﴾ وتركونا ﴿بَل لَّمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا﴾ غير الله وإنما كذبوا على أنفسهم لفرط حيرتهم وغلبة دهشتهم أو لفقدان ما أملوا منهم نزلوا إياهم منزلة العدم ﴿كَذَلِكَ﴾ أي مثل إضلالهم أنفسهم وتنزيل أعمال نفوسهم لعدم ترتب ما أملوا منهم منزلة العدم ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ [غافر: 74] الواغلين في الجهل.

﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ (٧٥)

﴿ذَلِكُمْ﴾ الضلال والإضلال والعذاب الذي نزل بهم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ أي بسبب كونهم بغير الحق وبكمال فرحهم الذي يورث وفور الغفلة والجهالة ودرور الغباوة والكسالة ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: 75] تتوسعون في الفرح وتمتعون بنقيض الترح، فإن الله تعالى قد نهى عن الفرح فضلاً عن الترف في الفرح فإنه يميت القلب، ويفوت عنه فيض الغيب فأحمد المحبة لله هي المحبة للفقراء والتقرب إليهم، قال يا رب، ومن الفقراء قال الذين رضوا بالقليل وصبروا على الجوع وشكروا على الرخاء، ولم يشكوا جوعهم ولا ظمأهم، ولم يكذبوا بألسنتهم، ولم يغضبوا على ربهم ولم يغمتموا على ما فاتهم ولم يفرحوا بما آتاهم الحديث القدسي، قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ وَيُبْغِضُ كُلَّ قَلْبٍ سَاهٍ لَاهٍ» فقيل حينئذ:

﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٧٦)

﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ السبعة المقسومة فكل باب مخصوص بطائفة وشخص مخصوص لا يدخل من هذا الباب غيره، قد فوت التحقق باسم من هذه الأسماء أو الصفات السبعة الذاتية وهي العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام بل تخلق بقبضه فصار كل اسم منها في حق تلك الطائفة ناراً حميماً وداراً ذميماً وغاراً أليماً وعذاباً عظيماً، فإن كل اسم من هذه الأسماء نقض عظيم ونقيض جحيم ونوع من العذاب، مثلاً نقض الحياة ممات وهو نقض تام ونقيض عام ونقيض العلم جهل ونقيض القدرة عجز ونقيض الإرادة كره وإكراه، ونقيض السمع صمم، ونقيض البصر عماء، ونقيض الكلام خرس، فكل من هذه النقائص بعض من النقائص لا تنقضي شقاوته ولا تنقص نكايته وشقاوته يدوم عذابه ويقوم عقابه، فيكون في حق صاحبه ناراً حميماً وداراً جحيماً، وأما الجنة فلا تتحقق إلا بجمعية هذه الأسماء السبعة ومعية مقتضيات معانيها ولذا صار أبوابها ثمانية واضحة قليلة في الغاية.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [غافر: 76] حسب بقاء يقتضي ذلك الاسم وكل نفس وروح من حيث إنه روح الله وحصه من الذات البحت ومطلق الوجود وأن الله تعالى

خمّر طينة بني آدم بيده ونفخ فيه من روحه يستحق السعادة الوجودية والسيادة الجودية، والسعادة الشهودية إلا من غرض في نشأته ما يخالفها فحينئذٍ يظهر ما يقتضي خلاف ما يرتضيه أصل الوجود والنور، فإذا لا بدّ وأن يسند كل منهما يعني الجنة والنار إلى اسم من الأسماء التي فيها معنى الذات البحت ومطلق الوجود وهو الوجود والعدم والنور والظل والجمال والجلال، فالجنة مقتضى النور والجمال، والنار مرتضى الظل والعدم والجلال، فالأول معنى الذات والوجود، والثاني مضمون المطلق والبحت، ولمقتضى كل من النور والجمال والوجود مدة مديدة وبرهة بعيدة، فللنور والوجود حكم وفردارية في مدة سلطنته صريحاً وللظل والعدم في هذه المدة أيضاً سلطنة لكنها ضمنية وتبعية، فالوجود والعدم الذي هو مفهوم البحت والمطلق توأمان يظهران معاً لا ينفكان أصلاً كما يشعر بمقارنته بالذات بالبحت والمطلق بالوجود إلا أن أحدهما يكون صريحاً والآخر ضمناً ويتبادلان في الصراحة، فإذا كانت سلطنة النور والوجود صريحة تكون سلطنة الظل والجلال والعدم ضمناً، فيكون مقتضاه هو الآخرة خفياً وضمناً، ومقتضى النور والوجود والجمال وهو الدنيا صريحاً وأصالةً، وإذا انتهت فردارية النور والجمال ومدة تربيته وهو الدنيا وما فيها من السماوات والأرض باطنة خفية مستترة آخرة، فتكون الدنيا آخرة والآخرة دنيا والجسد روحاً والروح جسداً، وتنقلب الجنة ناراً والنار جنة والشقي سعيداً والسعيد أسعد ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ سَقَوْا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا سَاءَ رُبُّكَ﴾ [هود: 106، 107].

﴿فَيْسَ مَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: 76] وما واهم النار وجهنم إشعار بأن المقتضى لدخول النار إنما هو التكبر المذموم لا الممدوح فإن كبر النفس وتكبرها عن الالتفات إلى الأمور الخسيسة والردائل الخسيسة محمود فالتكبر المذموم يقابل الخضوع والخشوع، والمحمود يبين الحسنة والقيامة التي تستلزم الخفة والميل والهوى إلى الأمور الخسيسة، وأما الكبر المحمود فهو يستلزم الوقار والرزانة والتمكن والقرار الذي ثبت للأرض، ولذا استحقت لأن يجتمع فيها تمام أقباض جميع الأفلاك ما يتعلق بها من العقول والنفوس والأفلاك المدبرة بها ولتمام المكونات البسيطة والمركبات، فمن كان على طبيعتها

وخاصيتها فهو من أهل النجاة، ومن كان على طبع النار والهواء وعلى خاصيتهما فهو من أصحاب الدركات ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿٦١﴾ فهو في عيشة راضية ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿٨﴾ فَأَتَمَّهُ هَكَوِيَةً﴾ [القارعة: 6 - 9].

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ  
تَتَوَفَّيْنَاكَ فَإِنَّا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٧٧﴾

﴿فَاصْبِرْ﴾ يا الحقيقة المحمدية في ظهور الأعيان النورية وضمور الأكوان الظلية في الأطوار الإفرادية والأكوار الفردية ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ هو صورة جمعية الكلية التي يتوجه إليها جميع الأعيان الكونية الإفرادية في الأدوار والأكوار الفردية ﴿حَقٌّ﴾ ثابت وكائن في استعداد كل عين من الأعيان ﴿فَكَيْمَا نُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ [غافر: 77] وهو الجمعية النورية الإفرادية أو جمعية الأكوان الظلية الفردية إشارة إلى أنواع الأطوار الجمعية وهي خمسة أربعة منها هي أن يكون بين أعيان الذكر وأكوان الأكوار بحيث يكون حكم سلطنته لاسم من الأسماء الأربعة الذاتية، أعني العلم والحياة والقدرة والإرادة غالبية والواحدة منها هي أن يكون سلطان الذات مع تمام الأسماء الأربعة الذاتية المذكورة على السواء على وجه يكون العدل الحقيقي والقسط الذاتي ظاهراً ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢﴾ [الحديد: 3].

أقول: وروح القدس ينفث في نفسي إن وجود الحق من عدد خمس

﴿أَوْ تَتَوَفَّيْنَاكَ﴾ [غافر: 77] في أطوار أدوار النشاط الكلية بالانتقال من النعت الإلهي إلى الوصف الرباني، أو من الإلهي الرباني، أو إلى الكوني أو بالعكس عند الترقى، أو من تحقق كلي آخر كالانتقال من التحقق بالعلية إلى الحيثية أو بالعكس، أو العددية أو الإرادية أو السمعية أو البصرية أو الكلامية في أدوار المبررات والتنزلات وأطوار البروزات والتنزيلات والترقيات والصعودات، قال آدم الأولياء علي المرتضى: أنا المعنى الذي لا يقع على اسم ولا شبه، أنا الذي أتوني حساب الخلائق أجمعين، أنا الذي عندي مفاتيح الغيب لا يعلمها بعد محمد غيري، أنا آدم الأول، أنا نوح الأول، أنا الحجر الذي تفجر منه اثنا عشر

عينًا، أنا البعوضة التي ضربها الله مثلًا (\*)، وغير ذلك ﴿فَالَيْنَا يَرْجِعُونَ﴾ [غافر: 77] في الجمعية العظمى والهيئة الكلية الكبرى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿٧٨﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ في الأدوار النورية الجمعية الإفرادية ﴿مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ من الأكوار الظلية الضمنية التي تظهر بالتبعية، فإن أطوار أكوان الظل والجلال إنما تتبين صريحًا في أكوار الظل والجلال لا في أدوار النور والجمال، وكذا أطوار أعيان النور والجمال في صراحة فردارية الظل والجلال لا تظهر ولا تتعين أصالة وصراحة بل تبعًا وضمنًا ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ في الأدوار والأكوار صريحًا كان أو ضمنًا ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ في هذه الدورات في النشآت والشؤونات ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وقضائه وحكمه وإمضائه وإرادته ورضائه الذي قدره في الدورة الكبرى التي هي اللوح المحفوظ الذي ينزل ما كان في الدورة العظمى مصورًا في العلم الأعلى في لوح الاستعدادات الذاتية والقابليات الأولية ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ في اقتران الوجود العيني بالوجود العلمي وهو الكمال الجمعي والجمع الكمالي ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ في الأدوار الإفرادية ﴿الْمُبْطِلُونَ﴾ [غافر: 78] المتقلدون بدرجة التقييد والإفراد والتفريد.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٧٩﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ أي الأطوار السافلة وهي القابلية والنفسية والقلبية ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ [غافر: 79] بأن يجعلوا ما يحصل منها من الإدراكات الحسية والمشاعر النفسية البسيطة والمركبة مبادئ بشهود المعارف النظرية والدورات الفكرية والنتائج العقلية بذريعة القوة النظرية ووسيلة القدرة الفكرية ثم بعد استكمال القوة النظرية واقترانها على القوة العملية وتركيبها بجعل المعارف

(\*) يتكلم بلسان الجمع أي بلسان الحقيقة المحمدية التي هي بدورها لسان الحق وليس بلسان نفسه من حيث مقام الفرق.

النظرية مطية لشهود التجليات الإلهية بعد مشاهدتها بصور الإدراكات الضرورية والدرايات النظرية والمعاني الجزئية والكلية بصور الأعيان النورية صريحاً والهيئات الظلية ضمناً، أما تصور الأعيان الفلكية أو العنصرية أو المركبات وأشرفها أن تكون بالصورة الإنسانية، ولذا اختصت الجمل بالأعيان النورية كما قال النبي ﷺ: «رأيت ربي في أحسن صورة شاب أمرد قطط»، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُوتُ﴾ [غافر: 79] إشارة إلى القوة العملية التي هي منطقة شهود التجليات، والقوة النظرية هي مظنة العلوم الفطرية، وإنما أضاف الأكل إلى القوة العملية لأن العلم عمل عبث وضلال كما إنك لو علمت العلم ولم تعمل به لا يكون له فائدة.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى  
الْفَلَكِ تَحْمَلُونَ﴾ ﴿٨٠﴾

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ إشارة إلى القوة العملية ومنافعها قال النبي ﷺ: «من عمل بما علم علمه علم ما لم يعلم»، ﴿وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً﴾ نفسية صورة ﴿فِي صُدُورِكُمْ﴾ ومعنوية كالتحمل والحمل والتزين والجهاد واليقين ﴿وَعَلَيْهَا﴾ في البر ﴿وَعَلَى الْفَلَكِ﴾ والسفينة في البحر ﴿تَحْمَلُونَ﴾ [غافر: 80] وإنما قال على الفلك ولم يقل في الفلك للفرق بين العين والمنفعة.

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَأَيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ ﴿٨١﴾

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ وبيانات أماراته الدالة على كمال قدرته وعموم حكمته وهجوم إرادته ومشيتته وفرط عنايته ولربط أهوائه ظاهراً وباطناً صورة ومعنى ﴿فَأَيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ [غافر: 81] آيات الآفاق أم آيات الأنفس وكلاهما في غاية الوضوح لا حد له أدنى من أن ينكر شيئاً منها.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ  
كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَأْثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا  
يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٨٢﴾

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [غافر: 82] يسيروا سير أهل الخبرة وأصحاب



البصيرة وأرباب البصارة ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ نظر العبرة ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ﴾ القوم ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ أموالاً وأولاداً وأطواراً ﴿وَأَشَدَّ قُوَّةً﴾ وأشد قدرة ﴿وَأَنَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ ما بقي منهم من الرسوم وتأثيرات الأيدي والقدوم من المصانع والقصور والمعابد والصوامع ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ أي ما منع منهم وبان ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [غافر: 82] من الآثام والمعاصي والسيئات والكفر والخطيئات، فأما الأولى إما ماضية أو استفهامية منصوبة بـ ﴿أَغْنَىٰ﴾ والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة به .

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٨٣﴾

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات والآيات الواضحات ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ ورضوا به وتنفعوا بذلك ولم يلتفتوا إلى آيات الله، والمراد بالعلم هو عقائدهم الزائفة وقواعدهم الزائغة وشبههم الداحضة وهي الجهالات الطبيعية والتعقلات الخيالية والعبارات الوهمية كقولهم: وما أظن الساعة قائمة، وإن أوزان الكائنات التدريجية وأوزان الكائنات الدفعية قد تكونت بتلقاء أنفسهم بلا يكونوا مختارين خارج عن العالم فكل ما أرسل رسلاً استهزءوا بهم ﴿وَحَافَ بِهِمْ﴾ خلط بما لديهم وهلكوا وأهلكوا ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ قيل الفرحون هم الرسل فإنهم لما رأوا تمادي الكفار في كمال الجهل وفرط الجهل وكثرة الذهول والزهل والنزل وفرحوا بما أوتوا من العلم والوحي والنبوة والدين والشريعة وبالأحوال والمقامات والعلوم والإدراكات ليشكروا الله عليه ﴿وَحَافَ بِهِمْ﴾ أي بالكافرين وأهلكهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر: 83] من جراء جهلهم واستهزائهم .

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ

مُشْرِكِينَ﴾ ﴿٨٤﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ وإقبال شدة عذابنا إليهم وتوجه حدة عقابنا لديهم ﴿قَالُوا ءَأَمْنَا﴾ وصدقنا ﴿بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ وبما جاء مؤمن بالشرائع والأحكام ﴿وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ﴾ في الدنيا والنشأة الأولى ﴿مُشْرِكِينَ﴾ [غافر: 84] يعنون به الأصنام وكل

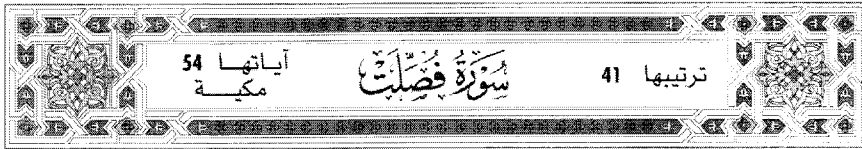
ما كانوا يعبدونه ويقتدوا دونه مما سوى الله .

﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي

عِبَادِهِ ۗ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا ﴾ أي لا يكون إيمانهم في ذلك اليوم لهم نافعاً وعن شدة العقاب ووحدة العذاب مانعاً ﴿ سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾ ومضت من قبل ، ونصبها كنصب المصادر المؤكدة وأوزانها وأوزان وعد الله وما أشبهه به من الله سنة تكون مثل سنة الأمم الماضية على سنن الأزمنة في الأماكن الخالية ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر : 85] هناك ، هنا الإشارة إلى المكان إلا أنه هنا استعير للزمان أي ظهر خسران هؤلاء في ذلك الوقت والزمان . قال النبي ﷺ : «من قرأ سورة (المؤمن) لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلى عليه واستغفر له» .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي سجدت له الملائكة إجمالاً وتفصيلاً في النشأة البشرية والمرتبة العنصرية، لنشاهد مفصلات آياته، ومجملات بيناته في كتاب وجهه الكريم ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذي فصل آيات كتابه بلسان عربي وترجمان عجمي عميم ﴿الرَّحِيمُ﴾ الذي جمع آيات الآفاق، وبينات الأنفس في كون جامع عظيم بالاتفاق ليكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً في يوم جسيم.

## ﴿حَمَّ﴾

﴿حَمَّ﴾ [فُضِّلَتْ: 1] إشارة إلى الدورة الثانية التبعية التركيبية البصرية، إذ حواميم الأربعة الآتية البسيطة، كانت إشارة إلى الأدوار الأربعة النورية الجمالية الوجودية صريحاً، وإلى الأكوان الظليّة الجلالية الإفرادية فيهما ضمناً، و(حم عسق) إشارة إلى الأدوار الثلاثة التركيبية التبعية التي ترينا الأسماء الثلاثة الأخيرة من السبعة الذاتية، أعني الكلیم، البصير، السميع. ف(حم عسق) قد أشارت إلى الدورة الأولى المركبة الكلامية و(حم) الثانية إشارة إلى الدورة الثانية المركبة المنسوبة إلى البصر. والثالثة إلى السمع المطلق لا الأدوار الأربعة النورية.

## ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿تَنْزِيلٌ﴾ [فُضِّلَتْ: 2] مبتدأ أو خبر، أو الأول خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف، وهذه جملة مستأنفة، أو تنزيل مبتدأ وخبره كتاب والجار

والمجرور صفة المبتدأ ﴿مَنْ الرَّحْمَنِ﴾ مظهر النور يعطي الوجود وهو يظهره ﴿الرَّحِيمِ﴾ [فُضِّلَتْ: 2] مظهر الظل والجلال.

﴿كُنْتُ فُضِّلْتُ عَائِنْتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣﴾

﴿كُنْتُ فُضِّلْتُ﴾ بعد الإجمال فسرت وبيّنت ﴿عَائِنْتُهُ﴾ أعيانه الأصلية وأكوانه الكلية وأحوالها في الأدوار الإفرادية الاستقلالية الأصلية في التركيبية التبعية بالنعوت الوجودية والهيئات النورية، بالأحكام الروحية والأحوال العقلية والأعمال النفسانية والأطوار الجسمية الحسية، بالحالات التركيبية والهيئات التبعية، فإن الأسماء الثلاثة الذاتية الأخيرة من السبعة المذكورة، وهي: الكلم والبصير والسميع تكون سلطنتها وفردانية ترتيبها باشتراك الأسماء الأربعة الأولى، من السبعة الذاتية في التأثير والتصور والتدبير، وأدوار هذه الأسماء الثلاثة التركيبية غير الأدوار الأربعة الأصلية الاستقلالية مادة ومدة، مادة وعدة ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على المدح أو الحال، ويحتمل التمييز ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فُضِّلَتْ: 3] العربية والعجمية، أو حقيقة الأدوار والأحوال الأصلية الإفرادية والجمعية والتركيبية، والتبعية والتركيبية الاستقلالية، وأن أطوارها دوري وأحكامها كوري.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٤﴾

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ للعالمين وللعاملين به، وبأوامره وبأحكامه، وللمعرضين عنه وعن العمل بما فيه من الأحكام ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ عن التدبر فيه، وعن التفكر في حسن فصاحته وكمال بلاغته، وبإعجازه بالإنباء عن الأحوال والحوادث الماضية والحالات الآتية، وعن الخواص والمزايا العجيبة والمعجزات الغربية المختصة ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فُضِّلَتْ: 4] ولا يقتدرون على سماعه وعلى اقتناء انتفاعه.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكْثَنِ مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا

وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ ﴿٥﴾

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكْثَنِ﴾ جمع كنّ وكنة، وهو ذات خفية ومخفية كأعطنة جمع عطن وعطنة ﴿مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فُضِّلَتْ: 5] أي قلوبنا محتاجة من سماع

القرآن، أي لا يصل بداء الأقوال وصداء أحوالها كأن بينها جبل شاهق وبحر زخار فارق ﴿وَفِي آذَانِنَا﴾ وفي قوة استماعنا ﴿وَقُرْ﴾ ثقل مانع عن إدراك الأصوات، وهو عبارة عن الطرش والصمم ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ حائل ونقاب فاصل بنا عن إدراكه واستماع قراءته، وهذه تمثيلات لنبات قلوبهم وكدورة عيونهم، وتخيلات لعدم المناسبة بينها وبين الحق وكلامه وأسمائه وصفاته ﴿فَاعْمَلْ﴾ يا محمد في صيانة دينك ووعاية صدقك ووقاية كمال يقينك ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ [فُصِّلَتْ : 5] على ديننا وعلى تبيته وإبطال ما يخالفه وإبطال ما يعاقبه .

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَاسْتَقِيمُوا  
إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد في تزييف مثالهم وتعريف قبح حالهم وفساد مآلهم وإهلاك مالهم، وزوال أمانهم ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ في لوازم البشرية ولواحق المقتضيات العنصرية، والمرتضيات المعنوية والصورية، لا مزية لي عليكم ولا لكم عليّ ﴿مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي خصصني الله من لدنه بكمال فضله وجزال إفضاله وإحسانه، بأن جعلني مهبط الوحي ومربط النبوة، ولوازم العلم، ونعت الحي ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ﴾ وإلهنا وإله كل نبي ﴿إِلَهُ ۖ وَحْدٌ﴾ لا شريك له ولا نظير له ولا ند ولا مثل ولا ضد ولا أمير له ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ في تحصيل المقاصد الدينية والدنيوية، استعينوا وميلوا لديه، وفي جميع الأحوال توكلوا عليه، وكذا في استحصال التصورات والتصديقات الحكمية في الإلهيات والطبيعات والرياضيات بطريق الفكر والنظر، أو بطريق الكشف والشهود بالبصيرة وعين البصر ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ مما أنتم عليه في هذه الأطوار فإن كل واحد من أصحاب الفكر والنظر وأرباب المشاهدات والمعانيات بقوة نور البصيرة والبصر لا بد وأن يصعد من المرتبة الأدنى إلى المرتبة الأعلى، وأن يستغفر في كل آن مما كان عليه، إذ الأفياض الإلهية لا تنتهي، والغفلات البشرية والوساوس الشيطانية لا تنقضي، فلا بد وأن يطلب الأفضل والأكمل، ولذا أمر الله في الكتاب بالاستغفار مكرراً، قال النبي ﷺ: «واني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة» ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [فُصِّلَتْ : 6] المتقيدين بخصوصية كل طور ونصوصية كل دور

وكور، ولم يرتق إلى ما فوقه، ولم ينصرف إلى ما دونه، واستوى يومه فهو مغبون لقوله ﷻ: «مَنْ اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ». فضلاً عن أن يكون مشرك بالله العلي العظيم المتفرد في عظمته وجلاله، المتوحد بكمال جمعية جماله وجلاله.

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ زكاة نفوذ العلوم الحقيقية وهبوب المعارف الإلهية وأجناسها إشارة إلى التعليم والإرشاد، فإنَّ مَنْ حَصَلَ العلوم النظرية وكمال شهود التجليات الإلهية، ووصل إلى مقام الاستكمال والتكميل، وبلغ أحوال كماله إلى نصاب الكمال والتكميل صفة ومحلاً سيما العلوم الصفاتية وقبول تدبير الروح، وتنوير النفوس، وتكسير الجسد، وطريق طرح الإكسير على الحجر المكرم بعد الحل والعقد وطريقهما، أعدهما الله الكريم الجواد العظيم في الدنيا ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ﴾ أي العاملون المتمولون بأجناس العلوم الحقيقية في الأدوار النورية في الآخرة، أو عند انتقال نوبة التدبير من النور والجمال الصريح إلى التدبير الظلي الجلالي الضمني ﴿هُم كَافِرُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: 7] ساترون الصورة الجمعية المكونة في كل من البدن والروح والنفس وفيه يظهر إلى أن استوت نسبة كل منها في الآخر. والصنعة قسمان: آفاقية ونفسي، أما الآفاقية فهي أن أصحاب الإكسير يتصرفون في الحجر المكرم المكبي المشهدي بنظر ما كان فيه من الروح والجسد والنفس، فيسويهن ويمزجهن إلى أن يخرج ويبرز من القوة الإلهية الكامنة فيه. وأما النفسي فهو أن يتصرف في الحجر المكرم القلبي ويفعل ما يفعل في الحجر المكرم الآفاقي إلى أن يظهر وتبرز منه القوة الإلهية التي تتصرف في النفس بعد التزكية وي طرح إكسير نظره الكامل المكمل عليه ليفيض من شمس حقيقته صورة ذهب الحقيقة الجمعية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الأول مقتضى النور والجمال الذي طاعه الظل والجلال للنور والجمال، والثاني طاعة بالثاني، وجعله داخلاً تحت حكم النور والجمال ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾ في الدنيا وهو اندراجهم في مدارج المؤمنين وسقوط الجزية والسيف عن رقبتهم، وإليه الإشارة بقوله ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فُصِّلَتْ: 8] أي غير مقطوع.

﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ  
أنداداً ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿قُلْ أَيُّكُمْ﴾ مع وجود الكتاب الإلهي الذي فيه بيان كل شيء ﴿لَتَكْفُرُونَ  
بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ الاستعدادية والربض القابلية ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ يوم الأحد ويوم  
الاثنين، أي الجمالي والجلالي ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَدَادًا﴾ جمع ند وهو المماثل في  
الذاتيات والعرضيات جميعاً، والمضارع هاهنا بمعنى الاستمرار والتجدد في  
الأدوار الإفرادية والأكوار الوجدانية ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذات الجامع لجميع الأسماء الذاتية  
والأفعالية والآثارية ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: 9] ومدبر العالمين العاملين في نوبة  
تدبير النور والجمال والوجود صريحاً، وأكوان الظل والجلال والعدم ضمناً.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُؤُوسَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ  
سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُؤُوسَ﴾ جمع راسية وهي جبل مرتفع، وذلك إما أولاً: بالذات  
لما أن الله تعالى خلق الأرض مستديرة وكرة وهيئة ذات استدارة كانت نسبتها إلى  
جميع ما فيها وإلى خارجها على السواء، فأى قدر من النقل يحصل في طرف ووقع  
في طرف منها اضطربت وتحركت وتزلزلت فلا تتيسر السكنى والإقامة عليها،  
فاقتضت الحكمة الإلهية وارتضت التدبيرات الربانية أن يخلق جبلاً عريضة طوالياً  
وراسيات وتلالاً وأجساماً شاهقات ذات تلال على أطراف أقطار كرة الأرض على  
وجه تفرّدت الأرض واستقرت ﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾ على سطحها ووجهها الظاهر وبسيطها  
﴿وَبَرَكَ فِيهَا﴾ أي ظهرت الأعيان الكبيرة والأكوان العالية الكثيرة المنافع بهيئة  
المجامع كالبحور والأنهار والصخور والأشجار والحيوانات العظيمة الجثة  
كالحوانيت والحيتان والعفاريث وغير ذلك من المعادن والنباتات ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا  
أَقْوَاتَهَا﴾ [فُصِّلَتْ: 10] يعني أن الله تعالى نسبه إلى خلق الأشياء كمّية مدته وأوقاته  
وإلى كيفية تقديرته جعلاً وإيجاداً، وإلى ما يتقوم به من الأغذية وأوقاته رداً على من  
جعل له ضداً ونظيراً ونداً، فأشار أولاً إلى خلق أرض الاستعدادات الذاتية الطارئة  
على جميع الموجودات الأصلية والظليّة الفرعية من العلويات والسفليات

والمجردات والماديات والبسائط والمركبات . ويومين إشارة إلى النور والظل وإلى الوجود والعدم اللذين يتواردان على ذات الممكن على ما يقتضيه الوجوب الذاتي والعقاب الذاتي ، وترتضيه الذات البحت ومطلق الوجود .

﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ إشارة إلى مقتضى الذات بواسطة الأسماء الأربعة الذاتية التي هي مبادئ الأدوار الأربعة النورية والوجودية، وإلى الأكوار المربعة الظلية العدمية الجلالية ﴿سَوَاءٌ لِلْسَّالِفِينَ﴾ [فُصِّلَتْ : 10] أي اقتضاء الأربعة، و﴿سَوَاءٌ﴾ أي سائر الاستعدادات واستدعاءاتهم من الوجود وما يتبعه من اللوازم النورية الوجودية على السواء، والتفاوت والتخالف إنما هو في كفياتها وكمياتها المستندة إلى النسبة الذاتية والإرادة الوضعية، فإنَّ الذات الأحادية قد تجلّت بذاته لذاته بعنوان ذاته لذاته على أنحاء كثيرة ووجوه غفيرة لا يعلم كفيته ولا يشهد إنيتها إلا هو، ثم يتجلى بتجلّي وصفها ثابتًا في حضرة الواحدية والمرتبة الجبروتية بتلك الوجوه الذاتية بأن علم ذاته بالعنوان العلمي بتلك العنوانات الذاتية والوجوه الأولية التي عبر بعضها عن بعض بالذات لا بالوصف، وتلك الوجوه الأولية والعنوانات الذاتية أي الشؤون الذاتية .

وإذا تنزلت من هذه المرتبة الذاتية إلى المرتبة العلمية والرتبة الوصفية، وصارت تلك الوجوه متميزة بعضها عن بعض تميّزًا عمليًا كما كانت في تلك المرتبة الأولى مميّزة تميّزًا ذاتيًا، فكلما كانت المرتبة متميزة بالذات تميّزًا ذاتيًا وتخصصت الحالات الذاتية بعضها ببعض تخصصها إنما هو المشيئة الذاتية المرتبة على الشهود الذاتي كما أن المخصص في المرتبة الثانية إنما هو الإرادة الوصفية المتفرّعة على العلم . وإذا تجلّى ثالثًا في عالم الأمر ومرتبة الملكوت بالتجلّي العقلي قد تميّزت الأعيان بأحوالها الذاتية والوصفية والفعلية المتطابقة .

وإذا تجلّى بالتجلّي الوجودي دائرة في عالم الملك ومرتبة الشهادة وظهر بصور أعيان الملك بما فيه من الأفلاك الحسيّة والأفلاك السنيّة والأرض السبعة المدحوة، وظهر بصور جميع الموجدات العالية والنازلة البسيطة والمركبة في كل دورة من الأدوار الأربعة النورية الجمالية، ثم ظهر وتجلّى خامسًا في كون جامع في عالم أكوار، ثم أمر الوجود تجلّيه بعدد خمس : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ



وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿[الحديد: 3]. نظم:

أقول وروح القدس بعثت في نفسي إن وجود الحق من عدد خمس  
ولا مرية في أن هذه التجليات الأربعة متشاكله متطابقة وأطواره متماثلة  
متوافقة، وأن الأعلى موجودة في الأدنى، فيكون الأعلى بالنسبة إلى الأدنى  
حقيقة لها وهي كالصورة، وتلك بهذه كالمعنى، فيكون الأعلى قوامًا ومقومة  
وقوة وغذاءً للأدنى وأقواتًا لها ولما فيها كالأجناس للأصناف وللأنواع للأصناف،  
فكل من هذه التجليات الأربعة الذاتية والوصفية والعقلية والآثارية يتضمن أدوارًا  
مربعة مندرجة تحت دورة كلية في مرتبة أصلية، وهي أيضًا أربعة، أعني عظمى  
وكبرى ووسطى وصغرى، وقد عرفت أن لكل منها مدة معينة وبرهة معينة، وأن  
لكل منها دنياً وآخرة وسماوات وأرضًا، ففي بداية كل دورة نورية وكورة ظلّية  
يتجلى الذات بهذه التجليات الأربعة الذاتية والوصفية والفعالية والآثارية على  
الترتيب الذي ذكرناه في بداية التجلي الوصفي، ويظهر التجلي بوصف الحياة  
بصور الماء، والتجلي بعنوان المحبة الذاتية يظهر بصور الهواء كما تقرّر أن  
العرش على الماء، والماء على الهواء يدلّ على قدرة الله تعالى ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ  
عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هُود: 7] الآية.

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا  
أَئِنَّا طَاعِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾ أي توجه واستعلى ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ وخلقها ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: 11]  
أي والحال مادتها وأصلها دخان وبخار، وقد ارتفع من الماء المذكور. قال  
ثاليس الملطي ومن تابعه: إن مادة العالم من الماء لأنه قابل لكل الصور فحصلت  
الأرض منها بالتكثيف والانجماد، والنار والهواء بالتلطيف، فإن الماء إذا لطف  
صار هواء، والنار قد تكوّنت من صفو، والسماء قد تكوّنت من دخان النار،  
ويقال: إن ثاليس قد أخذ من التوراة لأنه جاء في السفر الأول منها: أن الله خلق  
جوهرًا ثم نظر إليه بنظر الهيبة فذابت أجزاءه فصارت ماءً ثم ارتفع منه بخار  
كالدخان فخلق منه السماوات فظهر على موضع وجه الأرض كله زيد، فخلق منه  
الأرض. هذا قريب من الحق وموضع التحقيق لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ

كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى ﴿[الأنبياء: 30]، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هُود: 7] الآية . وقال النبي ﷺ: «كان الله ولم يكن معه شيء غيره، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر - أي اللوح المحفوظ - ثم خلق السماوات والأرض» الحديث .

فدارت الأفلاك حول الأرض دوران المسبب على سببه بالشوق الحاصل منها إليه، ثم قال: إن المبدأ الأول أبداع العنصر الأول الذي فيه صور الموجودات والمعدومات كلها فانبعث من كل صورة موجوداً في العالم على المثال الذي في العنصر الأول، فحل الصور ويمتنع الموجودات هو ذات العنصر وما منه موجود في العالم العقلي ولا في العالم الحسي إلا في ذات العنصر الأول الذي فيه صور الموجودات، والاسطقتين الأول صورة ومثلاً عنه تعالى، قال ثالثاً: وقد تصور العامة أن صور الموجودات والمعدومات في ذات المبدأ الأول لا بل هي في مبدئه الأول لأنه يقال بوحدايته منزّه من أن يوصف بما يوصف مبدعه ومعلوله، وفيه بحث فإن المبدأ الأول لو كان خالياً عن صور الموجودات والمعدومات لحصولها في المبدع الأول إن كان من المبدأ الأول فلا بدّ وأن تكون معلومة له فلا تكون منزّهة في وحدانيته من الكثرات، وإن لم تكن معلومة يكون جاهلاً في حد ذاته تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وأيضاً قد تقرر في طور التحقيق أن المعلول هو صورة العلة لما تحقق من أن صدور المعلول عن العلة ليس على طريق التولد والتوالد ولا على طريق ضم الأجزاء بعضها ببعض، ولا بطريق الكون والفساد كما في الاستحالات، ولا بطريق الكمون والبروز، ولا بطريق الحلول، إذ كل من هذه الصور لا يحصل إلا من التكرار والتكثّر وتلك الحضرة واحد وبسيط حقيقي لا تعدد لأكثر أصلاً، فدور الأشياء من تلك الحضرة على وجه لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم، فإن علمهم إنما هو علم الله، وليس في هذا الباب اعتماد إلا على كلام أهل الله والذين علموا بالله . وقال الآخرون: كان الأصل أرضاً فحصل الباقي من الأرض بالتلطف .

وزعم بعضهم أن الهيولات تكوّنت من لطافة النار والهواء من كثافة الماء والأرض . وقال الآخرون: إنه البخار . وعن انكساغورس: إنه الخليط الذي لا نهاية له، وهو أجسام صغار غير متناهية وفيه من كل جنس أجزاء صغار غير

متلاقية، أجزاء على طبيعة الخبز، وأجزاء على طبيعة الشحم، وأجزاء على طبيعة العصب واللحم، وأجزاء على طبيعة العظم، وأجزاء على طبيعة المنخ، وغير ذلك. وإن تلك الأجزاء متفرقة متحركة، وإذا أراد الله أن يكون مخلوق أمر لأن تجتمع تلك الأجزاء في موضع مخصوص على وضع مخصوص اجتمع أصل ذلك المخلوق فتكون، فإن كان إنساناً بعده فينضح فيه من روجه ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: 72]، وهذا القائل بنى مذهبه على الكون والبروز وأنكر كون العناصر أركاناً للأجسام ونفى المزاج والاستحالة، هذا ما قاله الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُؤسَىٰ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: 10]، ومنهم من زعم أن تلك الأجزاء كانت ساكنة في الأزل، ثم إن الله حكمها ونقلها إلى موضع أراد أن يخلق فيه منها كوناً.

وأما الفرقة الثانية الذين قالوا: إن أصل العالم ومادته ليس بجسم، فهم فرقتان، فرقة قالوا: القدماء خمسة: الباري تعالى، والعقل، والنفس، والهيولى، والدهر والخلاء قالوا: جلّ عظمته تامّ العلم والحال والإرادة والقدرة ليس له سهو ولا غفلة، ويفيض عنه العقل فيض النور عن الشمس، وهو يعلم الأشياء علماً تاماً. وأما النفس فقد تفيض عن العقل فيضان النور عن ضياء الشمس لكنها جاهل لا يعلم الأشياء ما لم يمارسها، وكان الباري تعالى عالماً بأن من شأن النفس التعلق بالهيولى وطلب المؤانسة بالجسم وبذاته فأفاض عليها عقلاً وإدراكاً فيه بذكرك عن عالمها بعلمها بأنها ما دامت في العالم الهولاني ثم تنفك عن الآلام، واشتاق إلى ذلك العالم وخرجت بعد المفارقة إليه، وبقيت ساكنة فيها أبد الآباد في نهاية البهجة والسعادة.

والفرقة الثانية: فيثاغورث، وهم الذين قالوا: إن مبادئ المركبات هي البسائط، وهي الأعداد المتولدة عن الوحدات، وإن قوام المركبات بالبسائط، وهي أمور كلية وحقائق أصلية تكونت منها الموجودات، وهذه الأمور إما ماهيات وراء كونها وحدات أو لا، فإن كان الأول كانت مركبة لأن هنالك تلك الماهية مع تلك الوحدة وكلاهما في الوحدات والبسائط المركبات، وإن كان الثاني كان مجرد الوحدات لا بد وأن تكون مستقلة بنفسها وإلا كانت مفتقرة إلى الغير، فيكون ذلك الغير أقدم منها، وكلاهما في المبادئ المطلقة.

هذا خلف فإن الوحدات أمور قائمة بأنفسها، فإن عرض الوضع للوحدة صارت نقطةً وجوهرًا فردًا وجزءًا لا يتجزأ، والنقطة إن لم تستقل في الموضع فهي نهاية الخط أو الجسم المخروطي، فتكون عرضًا، وإن استقلت فهي نقطة جوهرية، وإن اجتمعت على وضع الاستقامة حصل الخط، فإن اتصل الخطان وانضم بعضهما لبعض حصل السطح، وإن اجتمعت السطوح حصل الجسم، فإن كانت النقطة عرضية كانت الخطوط والسطوح والأجسام التعليمية كلها عرضًا فحينئذ يحتاج إلى أن يثبت الهيولى والصورة الجسمية الحالة في الهيولى، وكلتاهما جوهران فالمركب منهما هو الجسم الطبيعي حلت فيه المقادير والأبعاد الثلاثة، وهي: الطول والعرض والعمق، والمجموع هو الجسم التعليمي القائم بالجسم الطبيعي المركب من الهيولى والصورة الجسمية.

وأما الصورة النوعية فهي ليست من مقومات الجسم، بل من مقسماتها ومنوعاتها، فإن قلت: إنها جوهر فالخط والسطح والجسم كلها جواهر، فحقيقة الأجسام هي النقطة الجوهرية، وإلى هذا ذهب المعتزلة وسائر المتكلمين ذهبوا إلى أن الأجسام المركبة من الجوهر الفرد لا تتجزأ، وأقل ما يتركب به الجسم جوهران أو ثلاثة أو ثمانية ليتحقق تقاطع الأبعاد الثلاثة على زوايا قائمة، وأصل هذه المذاهب هو مذهب فيثاغورث وهو حكيم فاضل قد استكمل العلوم الرياضية سيما علم التأليف وهو علم الموسيقى وكل ما يؤدّ نفي الخصوم على الجوهر الذي لا يتجزأ يردّ على مذهب فيثاغورث، والجواب منه هو الجواب منهم.

واعلم أن الحق من هذه المذاهب هو مذهب أهل السنة والجماعة من أن العالم وهو ما سوى الله تعالى مركب من الجواهر الفردة والوحدات، وأن مرتبة البسائط والوحدات والجواهر الفردة غير مترتبة المركبات وعالمها وكل ما وردت الثقة على نفي الجواهر الفردية من الدلائل لا يتم ولا يرد لأن مورد الحجج والبراهين وعالمها ومرتبها غير مرتبة الجواهر الفرد وعالمه.

وأكثر هذا إنما يستند إلى الفكر والنظر، وأن الفكر المجرد عن الوحي والتأييد الإلهي والكشف والشهود الذي هو يثبت بنور الولاية وظهور حكم النبوة والتقيد بأحكامها وشرائعها، وقد أخبر الله تعالى في كتابه أن العالم، وهو ما سوى الله، قد خلق في ستة أيام ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: 54]

وفصل في هذا المقام أن الأرض قد خلقت في يومين وغيرها في أربعة أيام، ففي يوم الأحد من أول نيسان خلق الله الأرض الاستعدادية والقابليات الأصلية بحكم ظاهر الذات، وهو النور والجمال والوجود في مظهر النبوة، وبحكم باطن الذات وهو الظل والجلال والعدم ومظهره الولاية، فيومين إشارة إلى هذا.

ثم خلق الفلك الأعظم والعرش المتحرك بالحركة اليومية الذاتية، وحرك باقي الأفلاك من المشرق إلى المغرب حركة عرضية يوم الإثنين، ويوم الثلاثاء أمر الله الماء فاجتمع في مكان واحدٍ فصار بحرًا، ثم بعد انصراف منطقة البروج عن انطباق مورد النهار أمر الله تعالى بأن تنكشف الأرض بإمالة الماء إلى السماء الرابعة لانتقال الأوج والحضيض، فإن انتقلت الأوجات سيما أوج الشمس إلى الشمال انكشف الريح الشمالي من الأوج كما أن في زماننا هذا فإن أوج الشمس إنما هو في ثالث سرطان وحضيضه في ثالث الجدي، وكذا أكثر الأوجات شمالي كما تفرد وثبت في الأوجات، وأما إلى الجنوب فأثبت فيها عشبًا وأشجارًا مثمرة وغير مثمرة.

وفي يوم الأربعاء خلق الكواكب الثابتة في الرفيع الثامن والسيارات في الأفلاك الباقية، وإنما تحركت بالحركة اليومية لتفصيل النهار عن الليل وما يتركب منهما، فاستوت سلطة الشمس على النهار وسلطة القمر على الليل، إنما خلى فلك التاسع عن الكواكب لكونها متساوية النسبة إلى الكل فأجمل فيه جميع الحوادث والأوضاع الكلية والجزئية، والاتصالات من الأجرام الكوكبية وقدر فيه جميع الأمور ثم نزلها إلى سائر الأفلاك بالتدرج ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ [الحجر: 21]، إلى فلك القمر فجعله درجة لإيصال تلك الأمور وإفاضتها إلى عالم الكون وعالم التركيب ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: 5].

وفي يوم الخميس خلق التنانين وكل نفس متحركة في الماء، وكل طائر ذي جناح. وفي يوم العروبة والجمعة أمر الله الأرض فأخرجت أنفس حيوانية، بهائم وسباع وحشرات، ثم خاطب ملائكة هلموا بأن يخلق إنساناً على صورتنا ومثالنا عازماً بالخير والشر، فوجد يوم الجمعة بعد العصر آدم وشقّ إحدى أضلاعه اليسرى وخلق منها حواء أمّ البشر وأسكنهما الجنة.

وفي يوم السبت لم يخلق شيئاً على طريقة الملائكة والأنبياء والمرسلين الذين أوحى الله إليهم وأعلمهم وأشهدهم عليه ولم يجعل العقل الذي فوض إليه العلم بكيفية التدبير في البدن وبوجه المعاش وطريق الإنتعاش والأدوية العبودية لما علمت أن النفس موكلة على العمل المجرد بلا علم قال النبي ﷺ: «العقل لإقامة العبودية لا لإدراك سرّ الربوبية». نظمه علي المرتضى:

كيفية المرء ليس المرء يدركه فكيف كيفية الجبار في القدم  
هو الذي أنشأ الأشياء مبتدعاً فكيف يدركه مستحدث النسم

﴿فَقَالَ لَهَا﴾ أي للسماء، والسماء أفضل الأجسام شكلاً وحيّزاً، أما الشكل هو الاستدارة وهي أفضل الأشكال لعدم قبوله طويان العدم والانفصال وحيزها هو ملاء العالم وهو الأعلى، وأما الأرض فهي التي تخالفها، ولذا أطاعت السماء طوعاً وطبعاً والأرض كرهاً ﴿وَالْأَرْضُ﴾ بعد تكوّنهما ﴿أَنْثِيًا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فُصِّلَتْ: 11] إشعار بأن الأشياء والمكونات بأسرها مجبولة على الحركة إلى المبدأ بعد الحركة إلى المبدأ، وهي الحركة الفكرية والثقله اليهودية كما تقرر في موضعه من أن كل فكر ونظر حضورياً شهودياً كان أو حصولياً خطورياً منطوقاً على ثلاث حركات إلى المبدأ، والمطلوب إلى المبادئ والموضوعات التي يقع فيها الحركات الفكرية حضوراً أو خطوراً.

ثم إذا كانت الحركات وعم الانتقال من الأمر العام المستتر إلى الأمر الخاص المنير، وهو الفصل الجوهرى والعرضى، ورتب بينهما، وركب أحدهما إلى الآخر، حصل المعرف. والقول الشارح إما بطريق علم اليقين وكمال هذا النظر أن يشاهد بعين اليقين في تمام المظاهر الكونية، أو عين اليقين أو حق اليقين، فحصلت الحركة بنفسه من نفسه على نفسه، والحركة الأولى بالضرورة والكره والباقيتان بالإرادة والطوع، وأرباب النظر من أهل الظاهر يحصرون الفكر والنظر على الأول ولم يقولوا بجريان النظر في عين اليقين وحق اليقين وكمال هذا النظر أن يشاهد الحق بعين اليقين في تمام المظاهر الكونية، وأن المؤثر إنما هو الله في كلّ حال أتى وتطوع له طوعاً حقيقة وطبعاً عند انقياد طور الظل والجبال لطور النور والجمال، والطاعة له إطاعة تستدعي مطاوعة جميع القوى النفسانية والجسمانية للقلب والروح، وإن لم يطاوعه أتى له كرهاً بلا إرادة،

والنظر بنظر حق اليقين إنما يكون عند بقاءه في الحق وتحققه وبقائه ببقاء الحق، فحينئذ اتحد الطوع والكره وتحقق أن الكل ليس لأحد منا في حصوله اختيار وإرادة، بل الكل إنما هو بإرادة الله ومشيتته، بل إرادتنا ومشيتتنا إنما هو بإرادة الله ومشيتته ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: 29].

واعلم أن ما ذكرنا من أمر الحق وصفته وكيفيته إنما يتحقق في كل دورة من الأدوار الأربعة النورية والأكوار الظلية، فحق الناظر العارف والدائر في كل الأدوار والأكوار بتمام العلوم وعموم المعارف أن يشاهد في كل دورة وكورة هذه الحالات ويعاين كل منها ويعتبر بإزائها هذه الاعتبارات.

﴿فَقَضْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا السَّمَاءَ  
الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾

﴿فَقَضْنَهُنَّ﴾ أي حكم على مقتضى الأسماء السبعة الذاتية أن تكون مادة السماوات التي ظهر فيها سرّ الذات بصور الكواكب السيارة ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ بأمرين في جهة من الشرق والغرب وهو الوجود والعدم والحدوث والقدم والجمال والجلال، والنور والظلال، وهو مدار التعينات والظهورات، ويدور عليها جميع المتقابلات قبل خلق السماوات يوم الخميس والشمس والقمر وسائر النجوم السيارة، والثابتة الجمعة، وفي الحديث: «إن الله ابتداء خلق العالم يوم الأحد، وخلق آدم يوم الجمعة بعد العصر». ولا خفاء في مناسبة خلق آدم بيوم الجمعة وفي يوم السبت ما خلق الله شيئاً ولذا أخذ اليهود للتعطيل، والمسلمون أخذوا يوم الجمعة يوم تعطيل الشغل، بل أخذوه يوم العبادة والطاعة وللتقوى والعبادة شكراً لله على عموم نعمه ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فُصِّلَتْ: 12] عن ابن عباس: خلق ما في كل سماء خلقها من الملائكة وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه إلا الله عزَّ وجل. وقتادة والسدي قالوا: إن الله خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها. وقال مقاتل: أوحى إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهي وذلك يوم الخميس والجمعة، وذلك إن الله خلق العالم لعرفانه كما قال: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف»، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

وأما العلوم الإلهية والمعارف النظرية فليس للعقل إليها سبيل وكل أهل الأرض يحتاجون إلى التعاليم، والمعلم والعلوم والإدراكات وتحصيل المشاهدات والأحوالات والمقامات وغير ذلك من الحالات، كذلك أهل السماوات في الإدراكات الإلهية والمعارف الربانية والعلوم الحقيقية التي تفيض منهم علينا، وتنعكس عنهم إلينا، يحتاجون إلى المعلم والمرشد والملهم وهم الملائكة المرسلات، وهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، وهذه الأعيان أيضًا يحتاجون في معرفة الله إلى المعلم وهو الله. قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ الْأَعْلَى لِيَطْلُبُونَهُ كَمَا تَطْلُبُونَهُ أَنْتُمْ».

فأذن الله بوحي الكتاب أولاً إليهم ثم يلقونه إلى الملائكة التي تدير الأفلاك والنفوس التي تديرونها وتبين لهم الشرائع المناسبة لحالهم والمتقاربة بمآلهم، وأوحى الله في كل سماء من السماوات المكوكبة أمرها، أي يأمر أهلها بما يناسبهم من الأوامر والنواهي وللإخبار عن الأخبار المتعلقة بأحوالهم المناسبة بأطوارهم وأعمالهم وأحوالهم الظاهرة والباطنة، ويدعونهم إلى الله على مقتضى شأنهم ومرتضى شؤوناتهم لما تحقق أن المراتب بما فيهن من الأعيان وأحوالها من العلوم والإدراكات متطابقة وأظلال وأمثال متوافقة.

﴿وَرَبِّئِنَّ السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ وهي فلك المآثر والمختار أو هي كرة البخار التي يظهر فيها الصبح والشفق وكائنات الجو من ذوات الأذنان والنيازك والرعد والبرق والصواعق ذوات الذؤابة والصور الهائلة والأعمدة القائلة وغير ذلك من كائنات الجوهر ومنازله وأفلاكه، فرؤية الكواكب كلها والسماوات بأسرها إنما هي في كرة البخار لأنها شفافة لا تقبل الضوء والإضاءة والظلام والإنارة ﴿بِمَصْبِيحٍ﴾ أي بأجرام مستنيرة وأجسام مستضيئة تتراءى في كرة البخار على شكل الكرة ﴿وَحَفْظًا﴾ وحفظناها حفظًا من الآفات والتغير والتفرقات. قيل: مفعول له على معنى كأنه قال: لأجل الحفظ ﴿ذَلِكَ﴾ التزيين والحفظ ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ القادر الغالب القديم الحكيم ﴿الْعَلِيمِ﴾ ﴿فُصِّلَتْ: 12﴾ العالم في كمال العلم وقوة الحكمة إلى الغاية.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَعِقَةً مِثْلَ صَعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ ﴿١٣﴾

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ﴾ وخوفتكم ﴿صَعِقَةً﴾ ﴿فُصِّلَتْ: 13﴾ يحدث من النار



السموم وأحذرهم أن تصيبهم عذاباً شديداً التأثير كأنه صاعقة ﴿مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فُصِّلَتْ: 13] حال من حال عاد وثمود لا صفة لصاعقة أو ظرف لأنذرتكم لفساد المعنى .

﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [فُصِّلَتْ: 14] أي من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمن الماضي بالإنذار عما جرى فيه على الكفار، ومن جهة المستقبل بالتحذير عما يعذبهم به في الآخرة، وكل من اللفظين يحتمل من قبلهم ومن بعدهم إذ بلغهم خبر المتقدمين وأخبرهم هود وصالح عن المتأخرين من ثمود داعين إلى الإيمان بربهم أجمعين . ويحتمل أن تكون عبارة عن الكثرة لقوله تعالى: ﴿رَزَقَهَا رَعْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ [التحل: 112]. ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ إما حال من الرسل أي قائلين لهم أن لا تعبدوا إلا الله، أو علة لفعله، أي جئتهم لنهيهم إياهم من عبادة غير الله ﴿قَالُوا﴾ في جواب الرسل حين دعوهم إلى التوحيد ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا﴾ أرسل الرسل علينا لدعوتنا إليه ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ ليدعونا إلى توحيدهِ والإيمان به وبما جاء منه ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ على زعمكم ﴿كَافِرُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: 14] لا نُؤْمِنُ بِهِ وَلَا نَصَدِّقُهُ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامِهِ الَّتِي جِئْتُمْ بِهَا، إِذْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِثْلُنَا لَا مَزِيَّةَ وَلَا رَجْحَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا حَتَّى تَفْضَلْتُمْ عَلَيْنَا وَصَرْتُمْ آمِرِينَ عَلَيْنَا .

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَأَمَّا عَادٌ﴾ وقومه فقد ضلوا وأضلوا، جواب من الأنبياء والمؤمنين للكافرين بأن عاداً وقومه قد عاندوا بأنبيائهم ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ واستكبروا ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ فتعظموها فيها واستعلوا على أهلها بلا استحقاق ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ وأكثر منعة وقدرة، هذا اعتزاز بشوكتهم ووفور نعمهم وغرور بقدرتهم وكثرة قوتهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فُصِّلَتْ: 15] وقدرة إذ هو

قوي وقادر بذاته وأن قدرتكم وقوتكم إنما هي منه إذ أنتم ممكنون لا وجود لكم ولا توابع من العلم والحياة والقدرة والقوة، فالكل منه، فإذا الحق أحق بالعبادة ﴿وَكَاوُوا بِقَاتِنَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فُضِّلَتْ: 15] وينكرون إياها أو عطف على (فاستكبروا).

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصُرُونَ﴾ ﴿١٦﴾

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ فإذا استحقوا بأن يعذبوا في الدنيا عذابًا شديدًا بأن يرسل عليهم ريحًا صرصرًا باردة مهلكة بشدة بردها وسمية كيفيتها من الصرر وهو البرد الذي يجمع ما أصابه إما لدفع تلك الكيفية أو لشدة القوة في هبوبها وانتقالها من حال إلى حال من الضر كما وقع في الحديث: «إني سمعت صرير القلم» ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ وهي إمساك المطر ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ أي الذل والحقارة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ أخزى وهي في الأصل صفة العذاب، وإنما وصف به العذاب على الإسناد المجازي للمبالغة ﴿وَهُمْ لَا يُنصُرُونَ﴾ [فُضِّلَتْ: 16] بدفع العذاب عنهم.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةٌ﴾  
الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ أي ذللنا وربنا أسباب الهداية بإنزال الكتب وإرسال الرسل ووضع الشريعة ورفع أعلام السبل ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ﴾ وآثروا الضلالة ﴿عَلَى الْهُدَىٰ﴾ فنبذوا تلك الهدى والأسباب ورفضوا مفاتيح الأبواب ﴿فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةٌ﴾ الْعَذَابِ الْهُونِ أي الظلم، أي استحقوا لأن يحمل عليهم عذاب الصاعقة وينزل لديهم شديد العقاب وأهلكهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فُضِّلَتْ: 17] أي بسبب كونهم كاسيين بما استوجب لأشد العذاب بهم واستقصدوا لأخذ العقاب.

﴿وَجِئْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ﴾ ﴿١٨﴾

﴿وَجِئْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ﴾ [فُضِّلَتْ: 18] من افتراق مبادئ نزول

الصاعقة.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾ وحضروا بها في يوم القيامة ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فُضِّلَتْ : 19] قرأ (يُحْشَرُ) على بناء الفاعل وفاعله هو الله، وإضافة (الأعداء) مع جمعه يدل على الكثرة وهم أهل النار .

﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فُضِّلَتْ : 20] أي بعملهم أو صفاتهم .

﴿وَقَالُوا لِمَ جُودِدْهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ

شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَقَالُوا لِمَ جُودِدْهُمْ﴾ أي لجلود أبدانهم ﴿لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ أي كيف شهدتم بما كانوا فينا وعلينا، وهذا سؤال تعجب وتوبيخ، وإنما خصَّ السؤال بالجلود لعموم وجودها ﴿قَالُوا﴾ أي الجلود، وإنما جمع جمع العقلاء لمجيء الفاعل منهم وهو التكلم ﴿أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ على وحدانية ذاته وفردانية فردانيته وكمال ربوبيته وصفاته ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ﴾ هذا دليل آخر على صدق الجلود أول مرة في عالم بلا مادة وأجزاء ومدة ثم في عالم الأمر والروح والملكوت بالوحدات العقلية والنسب المعنوية، ثم في عالم البرزخ في عالم الملك ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بأن دبت الأجزاء البرزخية وهي الجواهر الفردة النهائية وركب الأجزاء العنصرية الملكية فإذا سواها نفخ الله تعالى فيها من روحه ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فُضِّلَتْ : 21] بعد انقطاع تعلق النفس الناطقة به فحينئذ أنطق الله جميع أجزاء البدن فرادى ومجموعاً .

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ

وَلَكِنْ ظَنْنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ تكتُمون وتخفون ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنْنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فُضِّلَتْ : 22] عن ابن مسعود :

اجتمع عند البيت فتيان قريش وثقيف كثيرة شحوم بطونهم، قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا. وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: 22] ولذلك أخبرتم على ما فعلتم.

﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾

﴿وَذَلِكُمْ﴾ أن الظن هو فيكم هو ظنكم الذي ﴿ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ﴾ أهلككم، أي ظنكم أن الله لا يعلم ما تعلمون هو أرداكم وأهلككم وأوقعكم في الكفر في الدنيا وفي الآخرة في العذاب الشديد ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ وصرتم ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: 23].

﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا﴾ على أذيتهم واستخفافهم وإهانتهم إياكم، قال أهل التحقيق: إن الظن قسمان: ظنٌ حسن وهو بالنسبة إلى الله جائز وهو أن يعتقد به الرحمة والفضل كما قال تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي»، وقال: «لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله». وظنٌ قبيح بالله فاسد وهو أن يظن بالله أنه يعزب عن علمه بعض الأحوال ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ فلا يمنعهم الصبر الصادر عنهم، أي عن المؤمنين، ولم ينقلبوا به من مشواهم ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: 24] والاستعتاب وهو أن يطلب من الإنسان أن يذكر عتبه ليعتب، يقال: استعتبت فلاناً ولا هم يستعتبون، يقال لك العتبي وهو إزالة ما لأجله عتب وبينهم أعتوبة أي ما يعاتبون به. يقال: عتبت عتبا، إذا مشى الى رجل مشي المريض في مرضه يعني لم يعتبوا ولم يعطوا العتبي ولم يخالفوا لها، ونحوه سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لهم من محيص.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ

عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ إِنَّهُمْ كَانُوا

خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ [فُصِّلَتْ: 25] أي قدرنا لمشركي مكة إخواناً من

الشياطين متكافين من المقايضة وهي المعاوضة المماثلة ويقولوا أي القرناء سيقولون يستولون عليهم استيلاء القبيض على القبيض وهو البشر، قيل: أصل القبيض البدل ومنه المقايضة للمكافأة بالمثل ﴿فَرَيْنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قرناً من الدنيا واتباعاً من الشهوات ﴿وَمَا خَلَقَهُمْ﴾ من أمر الآخرة والإنكار ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي كلمة العذاب ﴿فِي أَمْرٍ﴾ أي جملة أمم، حال من الضمير ﴿قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ [فُضِّلَتْ: 25] وقد عملوا وفعلوا في أمر الدين والدنيا ما عملوا فاستحقوا ما استحقوا به .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ ﴿٣٦﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله وبرسوله وبكتابه ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ [فُضِّلَتْ: 26] لأنه يلجئكم إلى ترك ما كان آباؤنا عليه ﴿وَالْغَوْا﴾ واطرحوا ما فيه من الأقوال والحكايات والتوحيد وسائر الكلمات الحاكية عن الأمم الماضية، وعارضوه بمزخرفات أحوالكم وبمزخرفات مخاطباتكم ﴿فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ [فُضِّلَتْ: 26] عليه المسلمين لعدم المبالاة والالتفات بهم وبأحوالهم وبالإقحام أو على فرية فينبذوه .

﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٧﴾

﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فُضِّلَتْ: 27] يعملون من السيئات لتكون معارضة الفاسد من الفاسد .

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا

يَجْحَدُونَ﴾ ﴿٣٨﴾

﴿ذَلِكَ﴾ أي أسوأ العمل ﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾ هو مبتدأ أو خبر فيكون عطف بيان للجزاء أو خبر محذوف ﴿هُمُ فِيهَا﴾ أي في دار النار ودار البوار ﴿دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فُضِّلَتْ: 28] لأنها إقامة ودارُ قيامة غير مفارقة عنها لأنها ظلال أعمالهم وأمثال أحوالهم، قد تمثلت وبدت عليهم بالصورة المناسبة والهيئات المتقاربة، أو أعمالهم أي أشكاله أشكال ما قد قدره في أرض استعدادكم الأولية والقابلية

الأزلية تظهر أولاً بصور الأعضاء والأجزاء والقوى الجسمانية، والمبادئ النفسانية، ثم تصور الأعمال وهيئات الأفعال والأحوال، ثم بعد الظهور بصور الأفعال الاختيارية والأعمال الإرادية تختفي تلك الأعمال ثانياً في تلك الأرض الاستعدادية الظاهرة في البزرخ العادي، أي إن كانت الأعمال حسنة بصورة الجنة وإن كانت سيئة بصور سيئة، فبصورة السعير، والدركة للإنسي والجني، وأنت خبير بأن كل مولود إنسي أو جني يولد معه مولود جني وملكلي، أما الملكلي فيدعوه إلى الخير، والجني إن كان مسلماً فهو أيضاً يدعوه إلى الخير، وإن كان كافراً فيدعوه إلى النار كما ورد في الحديث: «ما منكم من أحد إلا وله قرين من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه لا يأمرني إلا بالخير». ﴿جَزَاءٌ يَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: 28] ينكرون الحق.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجَعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ ﴿٢٩﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الظاهر والباطن، في المحشر العظمى، في الموقف الأول والثاني ﴿رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا﴾ أي أَرْنَا الْأَعْيَانَ وَالْأَشْخَاصَ ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ في النشأة الأولى والموطن الأدنى جمعاً في مولود واحد كما سمعت أنفاً فإن شخصاً واحداً قد جمع فيه توأمان يلدان مع هذا المولود ويحكمان عليه بالخير والشر والنعف والضّر، فإن كان ناله الخطاب قد يتوافق ذلك التوأمين في أمر قاله وصدر عنه يكون مضمون ذلك القول مؤثراً في المخاطب ويقع في حيز القبول عنده ﴿نَجَعَلَهُمَا﴾ أي التوأمين ﴿تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ وتحت تصرفنا وقدومنا ﴿لِيَكُونَا﴾ يتصير التوأمين الجني والإنسي الجمالي والجلالي اللذان كانا متصرفين في ملك البدن أحدهما صريحاً، والآخر ضمناً ﴿مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: 29] مكاناً ومحلاً وذلاً وحقارة عند الصورة الجمعية والهيئة الإحاطية والتبعية المعية كما جعلونا لدى المبايعة دون المطاوعة عند غلبة حكم فردانية النور والجمال على اقتضاء الظل والجلال تحت تصرفهما حالة الأفراد، وعند تساوي ارتضاء حكمهما في زمان واحد وإن توحد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا﴾ من الجن والإنس ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ فهو خالقنا ومدبرنا في الدنيا، وراحمنا ومجيبنا في الآخرة، هذا الاعتراف إنما نشأ من تطابق القراء وتوافق النوايات والقراء بالمولود الإنسي ﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ في الاعتراف بكمال ربوبيته ووجوب ألوهيته، إشارة إلى أن الاعتراف المذكور لا يتم بالاستقامة في الظاهر والباطن، وتطابق الأطوار وتوافق مقتضى الأدوار، ومرضى الأكوار، وارتفاع التخالف بين أعيان الأدوار وأكوان الأكوار، فحينئذ ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [فُصِّلَتْ : 30] أي الموكلة في خدمة هذا الاسم الأعظم وتدبره لأعيانه في الدنيا وفي الآخرة أولاً في القبر الذي هو أول منزل من منازل الآخرة قائلين لهم ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ ولا تنزجروا عن ورود المخالف ونزول الشدائد المعارف ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ بورود المكاره، أن إما مصدرية أو مخففة من الثقيلة مقدره بالباء أو مفسرة ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ﴾ في الدنيا والنشأة الأولى ﴿تُوعَدُونَ﴾ [فُصِّلَتْ : 30] بها وبنعيمها . واعلم أن الاستقامة بحسب مواردنا وهي الأطوار السبعة القلبية لها معانٍ كثيرة وأعيان غفيرة ولكل منها شعب وأصول وأغصان وثمرات .

وأقول : فإن الاستقامة في الطور القالبي هي أن تكون المشاعر الظاهرة والحواس الشاعرة وهي خمسة مع سائر الأعضاء العاملة والأجزاء المتحركة الكاملة كاليد والرجل والوجه واللسان والشفة مؤدية وبالأحكام الشرعية والأعلام العرفية متجلية مهذبة على وجه صارت هذه الأعضاء مع أفعالها المؤسسة وأعمالها المونوسة معودة للقلب، مؤدية إلى عالم الغيب مقتضاها فلو ترك شيئاً من الطاعات والأعمال الشرعية والآداب العرفية كصلاة من الصلوات المكتوبة أو المتطوعة المنطوية بالاختيار ليشاهد صورة ذلك الترك بما يناسب تلك العبارة كما لو ترك صلاة الظهر يتمثل عنده في المعارج عروجه بموت فرس له أشهب أبيض، ولو كانت صلاة العصر فصورته تمثله موت فرس أشقر أو بين البياض والحمرة، ولو كانت صلاة المغرب فصورته الفرس الكميت، وإن كانت صلاة العشاء فتمثل تركها بموت الفرس الأسود، وصلاة الصبح يتمثل فوتها بموت الفرس الأسود الذي

يضرب إلى الشقرة، وقد تتمثل الصلوات بالعشب والكرم وبما يحصل منه، فلولا رأى أنه يأكل الدبس والعصيدة فهي صورة صلاة قد أداها بالرغبة التامة واللذة العامة، فقد وصلت حلاوتها إلى القلب. والخل صورة شدة تعبد وقد وصلت في إرادتها بالقلب، وقد يتمثل استغراق الحاصل عند التوجه إلى ملاحظة معاني القرآن والتسبيح والتكبير والتشهد وغير ذلك بالخمير والشراب.

وقد تتمثل الصورة بالبحار والأنهار والعيون والمياه الصافية، وعلى هذا سائر العبادات والطاعات البدنية التي يتجلى بها البدن وأعضاؤه، ويدل على الاستقامة في الطور الفاني، وإذا استكمل السالك في الطور الفاني واستقامت نفسه في بادئة العبادات وخاصة في استكمال الطور النفسي وترتب منه كرة نار انتقل السالك إلى كرة هواء النفس اللوامة ومنها إلى كرة ماء النفس الملهمة، ومنها إلى كرة أرض النفس المطمئنة، وعرض الوفاء والتمكين، فإنه لك في هذه الحالة يرى أنه ينزل من السماء إلى الأرض، فلو سمع المرشد في السالك مثل هذه الحالة لا بد أن يتأمل في حاله ولم يعبره وتركه بل استحسنته وقال: إنك تنزلت مركز نار النفس الأمانة إلى مقام الاطمئنان والتمكين ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: 6 - 9] الآية. أو دليل الاستقامة في الطور النفسي وهي تقارب الأولى لاتخاذ موردهما وهو الأعضاء والجوارح والأركان هو أن لا يضطرب في دفع المهروب ولا ينزعج في جذب المرغوب، ويستوي عند صاحبها المدح والذم، وذلك عند اعتدال القوة الشهوية والغضبية وثبتهما والاستقامة فيهما، وأما الاستقامة في الطور القلبي فهي أن يحصل عند تعديل القوى النفسانية ومبادئ أفعالها وهي القوة الشهوية والغضبية والنطقية، فإذا استعملت هذه القوة واعتدلت في أفعالها، وتوكلت في أحوالها وأعمالها، واستقامت في عدالتها، ظهرت صفات ثلاثة كاملة وهي: العفة والشجاعة والحكمة.

وإذا امتزجت هذه الأعمال وتعادلت آثارها وتكاملت أنوارها ظهرت ملكة كاملة وهيئة فاضلة وهي العدالة، لأن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، فأعمال الأخلاق المرضية والأوصاف الفرضية هي هذه الصفات الكاملة الأربعة، وفي تحت كل منها فروع كثيرة إذ كل



منها يشتمل على طرفين: الإفراط والتفريط، وبينهما حد فاصل وبرزخ حاصل، وهو أحد من السيف، وأدق من الشعرة عن الصراط المستقيم الموضوع على متن جهنم الذي يورد عليه جميع الأعيان الإنسانية، فمنهم من يمر عليه ويعبر لديه كالبرق الخاطف، ومنهم من يجوز كالفرس الجواد، وهكذا تتفاوت الأعيان في العبور والجواز إلى أن ينتهي إلى من يسقط في أول القدم، ومنهم من لو وضع قدمه على الصراط لصاحت النار واضطربت ونادت بأن: «يا مؤمن جز فإن نورك أطفى ناري وأفنى حرارتي ولهبي» كما ورد في الحديث، وهي العفة والشجاعة والحكمة والعدالة والتثبیت على كل منها هو الاستقامة المفضية إلى الجنة.

ويتولد من حيثيتها صفات ذميمة وهيئات رذيلة تجر صاحبها إلى النار وتسقطه إلى السعير والبوار. وشرع في كل من هذه الأصول الأربعة فروع كثيرة تحفظ صاحبها عن السقط وهي: القناعة والصبر والتوكل والرضاء والتسليم والتودد والصدق واليقين وعلو الهمة والسخاوة والجود والكرم والكرامة وغير ذلك من الملكات الفاضلة والأوصاف الحميدة، وكل من هذه الأصول والفروع لا يستقيم ولا يكمل إلا بالاستقامة.

وأما الرذائل المتولدة من الأطراف فأصولها سبعة، وهي: العفة والفجور اللذان يتولدان من طرفي العفة، والجبن والجسارة وهي طرف الشجاعة، والبلاهة والجرأة يتولدان من طرفي القوة النطقية. وأما العدالة فلها طرف واحد وهو الظلم، فكل واحد من هذه الأخلاق الرديئة باب من الأبواب السبعة النيرانية، ولها سبعة أبواب، لكل باب منهم جزء مقسوم. والاستقامة في محافظة الأخلاق الرضية والأوصاف المرضية والتثبّت عليها في غاية الصعوبة، ولذا قال النبي ﷺ: «شيبني سورة هود، سئل: كيف يا رسول الله وما هو؟ قال أمراً: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ﴾ [هود: 112]». وهذه الأخلاق إنما تتكامل وتحصل في الطور القلبي وتظهر في تعيين قوتي النظرية والعملية وتصفية القلب عن الملكات المدنسة وتخليته عنها فحينئذ يتحلى بالأخلاق الحميدة والأوصاف السنية.

فإن استكملت القوة النظرية بقواها الأربعة وهي: العقل الهيولي، والعقل بالملكة، والعقل المستفاد، والعقل بالعقل، واستحصلت قوى القوة النظرية والعملية والتصفية والتخلية والتجلية، واستكملت مرتبة علم اليقين، انتقل علم

الاستقامة والطور السري إلى الفؤاد وإلى ما يلزمه من الشهود والرؤية، فحينئذ يشاهد القلب ما آمن به بالتقليد ويعلم اليقين تجليه وظهوره بعين اليقين أولاً بصورة أعيان الآثار وهي الأفلاك والنجوم والعناصر والمواليد الثلاثة كما شاهده الخليل ﷺ بصورة الكواكب، أخبر عنه بقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَى السَّمَاسَ بَاذِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ [الأنعام: الآية 78]، وبصورة العنصر الناري موسى عليه السلام بأن ألهمه رب العالمين قال: ألقى عصاك، ومحمد بصورة الإنسان: «رأيت ربي في أحسن صورة شاب أمرد ققط»، وغير ذلك.

وإن استقام السرّ في هذا المقام شاهد الإيجاد والتوحيد بصورة الإنسان بكلية عالم الملك والشهادة، وإذا استكمل الطور السري انتقل إلى الطور الروحي وشاهد بصورة الأسماء والصفات الذاتية، وإذا استقام في هذا الطور انتقل إلى شهود التجلي الذاتي بعنوان الذات، وإذا استقام العارف في معانيه بالتجليات الأربعة في الأدوار المربعة الإفرادية في السؤال إلى الله ومن الله انتقل إلى شهود التجلي الجمالي الجمعي والظهور والمعنى والسير في ذلك بأن يشاهد التجليات الأربع مقتضيات سائر الأطوار بالهيئة الجمعية والإحاطة الكلية المعينة بحيث لا يحتاج شهود التجليات النورية الجمالية عن معاينة التجليات الظلية الجلالية وبالعكس، فحينئذ تكون نسبته إلى المراتب والأدوار والأكوار وأعيانها على السواء، فبحسب الاستقامة في هذه الأطوار والأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية تتفاوت تصرفاته في الظهورات والإظهارات، وهي التي تكون أولاً بذريعة الإنسان وصورته في البرزات والبروزات وهي أن يكون بذريعة الإنسان وصورته النوعية والجمعية كما أشار إليه آدم الأولياء علي المرتضى وفي أطوار الظهور والإظهار وأكوار البروزات والبرزات: أنا المنقلب في الصورة، أنا الحجر الذي تفجّر منه اثنا عشر عيناً، أنا البعوضة التي ضرب الله بها مثلاً، وأنا الذي يملكني الله شرق الأرض وغربها بأسرع من طرفة العين ولمح البصر، وغير ذلك.

﴿مَنْ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا

نَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾

﴿مَنْ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [فُصِّلَتْ: 31] هذه صفات الملائكة

التي تلازم هذه الآية وهم يلازمون من يواظب على تلاوة هذه الآية ويداومون على قراءتها في الدنيا والآخرة، ولا يفارقونهاهم ويبشرونهم ويقولون: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهُجِ أَنْفُسُكُمْ﴾ من الكرامات والمطاعم والمشارب والمشاهدات وشهود التجليات ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: 31] وتطلبون وترجون.

### ﴿نَزَّلًا مِّنْ عَفْوَِرٍ رَّحِيمٍ﴾

﴿نَزَّلًا﴾ يحضر وينزل للضيف لدى نزوله ووروده ﴿مِّنْ عَفْوَِرٍ رَّحِيمٍ﴾ [فُصِّلَتْ: 32] أي مجاوز عن السيئات ومعطي أنواع الكرامات وأصناف الخيرات، هذا طريق إكرام الضيف بأن يقدم له أولاً ما حضر ثم يزداد في الضيافة، قال علي كرم الله وجهه:

داري مناخ لمن قد نزل زادي مباح على من أكل  
أقدم ما عندنا حاضرًا وإن لم يكن غير خبز وخل  
فدرجات أصحاب الأطوار السبعة القلبية في الاستقامة على الصراط المستقيم والعبور عليها متفاوتة، فصاحب الطور يمر ويعبر عليه مثل طرف العين ولمح البصر وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وصاحب الخفي مثل الريح والطير، وصاحب الطور الروحي مثل الفرس الجواد وهم الصديقون والصادقون، والرابع صاحب الطور السري وهم المتقون، يمرون مثل الراكب، والخامس صاحب الطور القلبي وهم العابدون يمرون مثل سعي الرجل. والسادس صاحب الطور النفسي هم العاملون. والسابع: صاحب الطور القلبي هم المتهتكون من المؤمنين، ولكل منهم نور ﴿أَنْظُرُونَا نَقْيِسُ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد: 13] وهو نور النبوة ونور الولاية ونور الصدق ونور التقوى ونور العبادة ونور الإيمان والتوحيد.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ

### الْمُسْلِمِينَ﴾

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ ورغب العباد إلى طاعته وإلى ما هو من مرضياته من امتثال الأوامر والانتهاة عما نهى عنه ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ بنفسه ترغيبًا للعابدين إلى المنجيات وتحريضًا للعالمين إلى المرجيات ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: 33] من المنقادين لأمر الله والمتحرزين عما نهى الله، إشارة

إلى شرائط التكميل وروابط الإرشاد والتحصيل، وهو القول اللين الحسن كما أمر الله لموسى وهارون لدعوة فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: 44]، والعمل الصالح، فإن الأول يفتح أذن القلب، والثاني عينه.

قال النبي ﷺ: «للقلب أذنان وعينان إذا أراد الله لعبده خيراً فتحهما». قال في السفر الثاني من التوراة في نعت محمد وأمه: أمتة الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء، ولن يقبضه حتى يقيم الملة المعوجة بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتحوا أعيناً عمياً وآذاناً صمماً، وقلوباً غلغلاً إرشاداً بالحق المرشدين والداعين إلى الله أن لا يرى لنفسه زيادة فضيلة ومزية على سائر الأنفس بل يعدون أنفسهم ناساً من الناس، بل أنزل وأسفل من أدنى الناس. قال آدم: كن عند الله أحقر الناس وعند نفسك شر الناس وعند الناس ناساً من الناس.

﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤)

﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ﴾ الحسنه ﴿وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ السيئه في الجزاء والعوض، إذ الحسنه جزاؤها عشرة، والسيئه جزاؤها واحدة مثلها في الكم والكيف، هذا ما في الظاهر، وأما في السر فهو إشارة إلى تباين مراتب الحسنات إذ الحسنات بحسب الإخلاص وصفاء النية وصيانة أمر الطوية، وبحسب الأزمنة والأمكنة متفاوتة مثلاً فإن الشخص الواحد لو فعل حسنة واحدة في زمانين أو مكانين لا تكون الحسنه الواحدة بعينها في زمان مثل الحسنه الواقعة في زمان آخر لتفاوتهما إخلاصاً وصفاءً «من أخلص لله تعالى أربعين صباحاً، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» فلا تكون الأربعينات متحدة في الجزاء والعوض لتفاوت الصفاء والإخلاص.

﴿ادْفَعْ﴾ السيئه العارضة في المرتبة الأدنى ﴿بِالَّتِي﴾ أي بالحسنه التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: 34] وأكثر تأثيراً في القلب، أي الواقعة في المرتبة الأعلى، فإن للحسنه مراتب أربعة وكذا للسيئه، فالحسنه إنما تدفع السيئه إذا وقعت السيئه في المرتبة الأدنى، والحسنه في المرتبة الأعلى، وهي المرتبة الوسطى والكبرى والعظمى، وذلك لأن السيئه القليلة تؤثر في النفس أكثر مما تؤثر الحسنه فيها لأنها مجالسة للنفس دون الحسنه، سيما النفوس الأماره، وإليه الإشارة بقوله:

﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصِّلَتْ: 34] يعني أن الحسنه فاعلها النفس المطمئنه والقلب والروح، والسيئه فاعلها النفس الأماره بالسوء، فبينهما عداوة ومخالفة كما إن بين أثرهما وفعليهما مخالفة ومباينه، فإنَّ النفس من المخالفة والعداوة إلى الموافقة والصداقه وتبدلها. قال النبي ﷺ: «اتبع السيئه الحسنه تمحها».

وإن النفس مجبولة على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها، «الإنسان عبد الإحسان» الحديث. والخطاب إما للرسول وأصحابه أو لكل من آمن بالله وبما جاء منه، وضميره يرجع إلى الكافر والعداوة بين المؤمن والكافر، والنبي يحب المؤمن ووليه الشقيق، وبه المحبة هو الإسلام والإيمان، ونار المحبة توقد في مجمر قلب المؤمن وتشعل أنا وأنا، وتحيا فيه، وتحمي سلطان القلب من عداوة شهود النفس الأماره وأثارها، وهي السيئات والآثام والأخلاق الرديئه والأوصاف الدنيئه والحسنه. أما الملكات الفاضله والهيئات السنيه والأخلاق الملكيه أو أنوارها وخصائصها الحميده الصادرة عنها، والتجليات والمعارف الإلهيه والإدراكات الفطريه والعلوم الحقيقيه والمشاهدات العينيه، والحلاوات القلبيه، والمقامات القلبيه، والأعمال الصالحه، والأحوال الفاتحه التي تزيل الأفعال الطالحه والأقوال القبيحه لإقباله على الطاعات والعظات والرياضات ومخالفة النفس بالمجاهدات توصل إلى مقام المشاهدات، أو إلى كظم الغيظ وترك الانتقام، وعلى الاحتمال على المكروه وما يلقاها ولا تقبل به، وذلك الملكات الكامله الملكيه ولطائف أنوارها.

﴿وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

﴿وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [فُصِّلَتْ: 35] وكأنه ولي حميم أي النهي أو كل مؤمن، إنما ذكر من آثار تلك الملكات الفاضله الصبر إشارة إلى أن الكمالات الصادرة من تلك الملكات والهبات الظاهره من الأوصاف أنيسه والأوساط الجليه الناتجه عن الكدورات النفسيه والشهوات الحسيه، وإن استكمال تلك الملكات واستحصال تلك الكمالات لا يكون إلا بالصبر، ولذا صار نصف الإيمان، قال النبي ﷺ: «الإيمان نصفان: نصف في الصبر، ونصف في

الشكر». قال النبي ﷺ: «من يستعف يعفه الله، ومن ينتصر نصره الله، ومن يستعن بعنه الله» ويعطى عطاء وافراً واسعاً من الصبر ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فُصِّلَتْ: 35] من النصف الآخر على الشكر والمحبة الذاتية التي هي مناط الكل، قيل: هو الجنة أي لا يصل إليها إلا من جعله الله من أهل الجنة.

﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ وهو دخول في أمر لإفساده، إشارة إلى قرين الحسنة أعني السنة وإلى أن حال العبد دائرة إلى أمرين: الحسنة ومنشؤها ومقيضها هو عناية الله وأهل ولايته، والسيئة وهي مظهر نزغ من الشيطان وإدخاله الذي لا محيص عنه، لا حد ولا مخلص منه الفرد من أفراد الإنسان إلا بالاستعاذة بالله ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ في تمام الأمور من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ [فُصِّلَتْ: 36] الذي يسمع في جميع الأحوال الاستعدادات وإلقاء الشياطين وفي عموم النيات وكل الأمنيات ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ [الحج: 52]، ﴿الْعَلِيمُ﴾ [فُصِّلَتْ: 36] بالكليات والجزئيات من الجهريات والخفيات.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ

وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ أي مقتضيات فردارية النور والجمال والظلمة والجلال ﴿وَالشَّمْسُ﴾ أي شمس التجلي الذاتي الظاهر في الطور الخفي والعقل الصريح ﴿وَالْقَمَرُ﴾ [فُصِّلَتْ: 37] أي التجلي الوصفي الباهر في الطور الروحي والسري والقلبي، وفي التصريح بعد التضمين يلوح على أنه قادر على أن يوحد النهار والليل وتختفي بدون هذه الشمس والقمر، وأن التلازم بينهما ليس بكلي بل أثري، ووجدان الليل والنهار معهما في هذه الدورة لا يوجب التلازم الكلي الدائمي والاستقصاء والتتبع الناقض لا يفيد اليقين، والتام غير ثابت، وأن الليل

والنهار الدنياوي على تقدير التسليم كذلك لا يوجب أن يكون كذلك في تمام الأدوار والأكوار ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ سجدة عبادة وعبودية وعبودة لأنهما مخلوقان مفتقران في الوجود والعدم إلى مرجح ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ جميعاً وسائر النجوم والسموات وباقي الأعيان في الأدوار الأربعة والأكوار المربعة ﴿إِنْ كُنتُمْ مَوْحِدِينَ فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا ﴿إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾﴾ [فُضِّلَتْ : 37] وحده لا شريك له .

﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا﴾ على السجود والعبادة لله فهو لا تضره الأعيان المخصوصة من الأغيار ﴿فَالَّذِينَ﴾ هم دائمون ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ قائمون على عبادته، ملازمون لصنوف طاعته، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فُضِّلَتْ : 38] ولا يفترون عن التسبيح والعبادة طرفة عين ولا عن عبادته .

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَرَتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٩﴾

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ﴾ بما فيها وما عليها ﴿خَاشِعَةً﴾ خاضعة طالبة للماء والمطر، غبراء لا بناء فيها ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا﴾ [فُضِّلَتْ : 39] من سماء أسماء صفاتنا الذاتية والأفعالية إلى أصحاب عالم الملكوت وغمام عالم الأمر والأرواح ثم منها إلى مرتبة برزخ الإثم منه إلى سماء عالم الملك والشهادة أو العرش ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هُود : 7]، ومنها إلى جو السماء، إلى كرة الزمهرير، ثم إلى السحاب المترام المتصاعد، إلى كرة البخار التي بينه وبين الأرض سبعة عشر فرسخاً منها أنزل إلى الأرض، من ثم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِ سَعَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدَّكَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النُّور : 43]، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾ والمطر ﴿أَهْتَرَتْ﴾ [فُضِّلَتْ : 39] الأرض وتحركت بما فيها من القوى الطبيعية والمبادئ الأرضية، وهي القوى الغائية

والقادرية والمولودة ﴿وَرَبَّتْ﴾ زادت وتزيدت وتخلخلت وتزهدت ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾ [فُضِّلَتْ: 39] أي القادر الحكيم، القاهر، أنبت ما في الأرض من العشب والزرع والنبات والأزهار والبقول والأشجار ﴿لَمُجِي الْمَوْتِ﴾ التي كانت قبل ذلك أحياء ذات حياة فأماتها الله من بعد ذلك في القيامة والعظمى والمحشر الكبرى، بأن جمع أجزاءها التي كانت في عالم البرزخ على الوجه المخصوص ثم أعاد الروح إليها ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فُضِّلَتْ: 39] من إحياء الموتى وحشر الأجساد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَحْفَظُونَ عَلَيْنَا أَفَنَ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٤٠﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ ويميلون من الحق إلى الباطل ﴿فِي آيَاتِنَا لَا يَحْفَظُونَ عَلَيْنَا﴾ ولا يضرئون بأحوالهم وأعمالهم وأفعالهم التي لا تخفى علينا ﴿أَفَنَ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ﴾ أعيان مخصوصة هم أبو جهل وشيبة وأضرابهما، والأعيان المطلقة وهم المشركون والكافرون كافة ﴿أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا﴾ سالمًا غانمًا وهم على قياس ما ترى، إما مخصوصون، قيل: هم عمار وياسر وعثمان وحمزة والمؤمنون بأسرهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأسرهم ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فُضِّلَتْ: 40].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤١﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ والقرآن المذكور المذكر والمذكر ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ونزل عليهم بذريعة جبريل استئناف أو بدل من قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾، وخبر (إن) محذوف مثل يعاندون أو هالكون ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فُضِّلَتْ: 41] غريب لا نظير له ولا مثل له.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي لا يتطرق ولا يعرض عليه البطلان من جهة من جهات الدنيا ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ من جهة الآخرة، ولا من جهة الصورة، ولا من جهة المعنى، ولا من جهة السماء، ولا من جهة الأرض، ولا من جهة الأصدقاء، ولا من الأعداء، ولا من الأكابر، ولا من جهة الأصغر ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُضِّلَتْ: 42] محمود بجميع الألسنة في الأدوار والأكوار.



﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ يا محمد من الأفعال الحسنة والأوصاف الذميمة والأفعال القبيحة ﴿إِلَّا مَا قَدَّ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من لدن آدم إلى عهد خاتم الرسل ﷺ، في ذكر كل زمان طائفة كثيرة وفرقة غفيرة كبيرة، فإن كل زمان جاء فيه نبي ورسول دعا أهل ذلك الزمان إلى الله ومعرفته وعبادته وتوحيده، وهم لكمال انغماسهم في الجهل والجهالة والكفر والضلالة قد أنكروا الأنبياء وكذبوا أقوالهم وخرّبوا أعمالهم وأضروا أحوالهم وأخذوا على قبيح أقوالهم في حقهم، والأنبياء صبروا على ما أودوا حتى أتاهم نصرنا ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فُصِّلَتْ: 43] قالوا: عذاب عظيم يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء، ويرحم من يريد ويعاقب من يريد.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٤٤﴾

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ لقولهم: هل نزل القرآن بلغة العجم، والضمير المذكور ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ أي كلام أعجمي ومخاطب عربي، إنكار للتخصيص، والأعجمي يقال للذين لا يفهمون كلامهم. عن مقاتل: أن رسول الله ﷺ كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحصري وكان يهودياً أعجمياً كني أبا فكيهة، فقال المشركون: إنما يعلم محمداً يساراً، فضربه سيده بشدة وقال: إنك تعلم محمداً؟ فقال: لا والله هو يعلمني، فأنزل الله هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ القرآن والذكر ﴿هُدًى﴾ [فُصِّلَتْ: 44] من الضلالة والهداية ﴿وَشِفَاءٌ﴾ لما في الصدور من الأغلال والأمراض النفسانية والأعراض الشيطانية، والتساوة في النفوس الإنسانية من أشد الأمراض النفسانية، فإن في كل كلمة وآية وعشر سور من القرآن داء للمنافقين ودواء للمؤمنين المخلصين الموافقين، وقد وقع في الطب النبوي عن النبي ﷺ معالجات كثيرة صائبة.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ واشتكى من وجع البطن، فأمره بشرب العسل

ففعله ولم ينفعه، ثم جاء بعد اليوم واشتكى أيضًا، فأمره أيضًا بالعسل، ففعله ولم ينفعه، فجاء في اليوم الثالث والرابع واشتكى فقال: «يا رجل قد كذب بطنك فارجع فاشربه فإنه ينفعك» فأكله ووجد منه شفاء كاملاً.

﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالله وبكلامه يكون ﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ وشدة ومادة غشاوة وعلته مادة سادة ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًّى﴾ أي والقرآن وإن كان من جميع جهاتهم محيطًا فإنهم لكونهم في أنفسهم صمًا عميًا لا يسمعون القرآن ولا يتوجهون إلى سماعه ﴿أُولَئِكَ ينادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فُصِّلَتْ: 44] أي بين قلوبهم والقرآن بون بعيد وصون شديد أبت قلوبهم عن استماع القول وفهمه، فإذا اختلفت فيه الأهواء واعتظفت الآراء فمنهم من قال: هو حق، وبعض توقف، وبعض قال: إنه باطل أو سحر.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ ﴿٤٥﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ من قبل ﴿مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أيضًا بالتصديق والتكذيب وبالتحريف والإغواء والتقريب ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ وهو العدة بالقيامة والخبر عن وقوعها. وقيل: تقدير الآجال، وأن الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا تأخير القيامة ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ بإهلاكهم واستئصالهم بالكلية ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي اليهود والذين لا يؤمنون أصلًا بالله ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ [فُصِّلَتْ: 45] أي في كتاب التوراة أو القرآن شاكون.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ﴾ منافعه وفوائده وترجع إليه نتائجه ﴿وَمَنْ أَسَاءَ﴾ وعمل عملاً قبيحًا وفعالًا سوءًا ﴿فَعَلَيْهَا﴾ ترجع نتائج ذلك العمل السيئ والفعل القبيح إلى نفسه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: 46] بتنقيص أجورهم ومزيد عقابهم وشديد عذابهم، أو بتضييع استعدادهم وتقييح أعمالهم وأفعالهم.

والمبالغة إنما هي بالنظر إلى كثرة العباد وكثرة أفعالهم وعموم أعمالهم، إذ أعيان كل دورة وأكوار كل كورة لها أعمال مخصوصة وأعمال منصوطة مغايرة

لأعمال دورة أخرى، مثلاً أعيان الدورة العظمى النورية الجمالية إنما هي من جنس أعمال الملائكة وهي العلوم والإدراكات الحقيقية المتعلقة بذوات الأشياء وحقائقها، ولها أعمار طويلة وأجسام جليلة وأعمال جميلة، وأعمال أعيان الدورة الكبرى إنما هي من جنس العلوم والإدراكات المتعلقة بالأفعال والأعمال كمًا وكيفًا، الصادرة عن النفوس العاملة والملائكة المدبرة، والجواهر النورية المدبرة، وأعمال أعيان الدورة الوسطى إنما هي علوم وإدراكات تتعلق بنفس الآثار وذوات الأنوار والصور والأطوار، وبكيفية تعلق النفوس بالصور المثالية والمثل البرزخية والأجسام الكيفية الملكية الشهادية، وأعمال أعيان الدورة الصغرى إنما هي أفعال بعضها، وبعضها يتعلق بنفس الآثار، والنفوس وبكيفية التعليق والتدبير، وبالظاهر والباطن، وبكيفية ارتباط أحدهما بالآخر. ولا شك أنها أعم وجودًا وأتم شهودًا. وصيغة المبالغة إنما هي بالنظر إلى جمعية هذه الأفعال.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءِى قَالُوا ءَاذَنْتَكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ (٤٧)

وأشار إلى جمعية هذه الأمور بقوله: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [فُصِّلَتْ: 47] التي يجمع هذه الأمور فيها، ولهذا صار مجهولاً وقوعها، ولا يشك أحد في هذا العلم لأنه استأثره لنفسه، وهذه الأمور بما اجتمعت عنده، ولذا اختص بها، وذكر الساعة إشارة إلى هذه النكتة وإلا جميع العلوم والإدراكات وأحوال تمام الموجودات إنما تختص به تعالى ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾ من أية نوع كانت ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ من حجابها وغيبها ونقابها، فمن الأولى تأكيد معنى النفي ولبيان عمومته وشيوعه و(ما) على هذا المعنى نافية، ويحتمل أن تكون موصولة عطفًا على الساعة، ومن على هذا التقدير مبينة للموصول والموصوف ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى﴾ من صلة أو بيان لمعنى عموم النفي، أي لا تحمل أنثى كل نوع ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ وقضائه وحكمه بكيفية حمله وكميته، فإن التصرف في الثمرات الثابتة والمولودات والمحمولات الحيوانية والإنسانية إنما يختص بالله تعالى، ومنوط بعمله وحكمه ووفور حكمته وشمول قدرته وإرادته ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ [فُصِّلَتْ: 47]

الله أو الملائكة أو من أنفسهم ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ الذين كنتم في الدنيا والنشأة الأولى تزعمون وتقولون إنهم آلهتنا ﴿قَالُوا﴾ المشركون ﴿ءَأَذَّنَكَ﴾ أعلمناك وعلمناك، من الإذن، نقل إلى باب الأفعال مصدره إيدان أي إعلام ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ [فُضِّلَتْ: 47] وشاهد يشهد بأن لك شريكاً في الملك والتصرف. وإنما يقولونه عند معاينة العذاب ووقوعه فيتبرؤوا أو استبعدوا مما شاركوا له من الأصنام والأوثان من أي جنس كان.

﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُم مِّن مَّحِصٍ﴾ ﴿٤٨﴾

﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ﴾ وفُقد وغاب ﴿مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ ويعبدون ويطلبون ويستعينون به في المطالب ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي قبل ظهور الساعة وقيام القيامة ﴿وَوَظَنُوا﴾ في هذه الحالة وتيقنوا ﴿مَا لَهُم﴾ في هذا اليوم والساعة ﴿مِّن مَّحِصٍ﴾ [فُضِّلَتْ: 48] مهرب ومفرّ ومطلب.

﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ ﴿٤٩﴾

﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ﴾ [فُضِّلَتْ: 49] ولا يفتر ولا يتنفر ولا يمل، المشرك يشعر بأن الأصل الإنسان لكونه تاماً ومركباً وملتحماً عن الجواهر المخالفة والصور المضادة المتباينة، وهو أن يكون متنفرًا عن شهود الواحد الحقيقي والتوحيد والإيمان والمعرفة ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ، مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52] الآية، ﴿مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ أي طلب المال الكثير والغنى والصحة وحسن العاقبة وحصول العافية ﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ﴾ ولحقه الشدائد والبؤس والضرر ﴿فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فُضِّلَتْ: 49] أي ييأس من روح الله ويقطع رجاءه ويرفع أمله ونجاءه.

﴿وَلَيْنَ أَدْفَنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ

السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٥٠﴾

﴿وَلَيْنَ أَدْفَنَهُ رَحْمَةً مِنَّا﴾ عاجلة ونعمة آجلة ﴿مِن بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُ﴾ أي بعد

نزول شدة وعناء وحلول بليّة ووباء ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ [فُضِّلَتْ: 50] وكمال حقي

ومالي ونتائج فعلي وعملي وعلمي وأنا صاحبه وأحق به ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ﴾ وما أتيقن ﴿قَائِمَةً﴾ فيه القيامة ﴿وَلَيْنَ﴾ رجعت ﴿رُجِعْتُ إِلَيَّ رَبِّي﴾ بالموت وظهور الهلاك والفوت ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَانَ﴾ من الجنة الذاتية على تقدير القيامة ووقوعها كما في الدنيا والنشأة الأولى أحسن حالاً وأبهى وأبين مآلاً ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ونخبرهم ونرد عليهم وبال أمرهم وكفرهم ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ من الشرك والكفر والبهتان الإفك ﴿وَلَنُنذِرَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿فُضِّلَتْ: 50﴾ في الدارين وعاقبة الناشئين .

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ

### عَرِيضٍ ﴿٥١﴾

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ وأولاده ﴿أَعْرَضَ﴾ وانصرف عن الحق بنعمته ﴿وَنَسَا بِجَانِبِهِ﴾ أي انحرف عن جانب المنعم أو ذهب بنفسه، والجانب مجاز عن النفس كالجنب وعقوله في جنب الله ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ ﴿فُضِّلَتْ: 51﴾ أي مبالغ في الإلحاح للإجابة وقبول الدعاء ودفع البلاء والضرر وحوله .

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلُّ مِمَّنْ

### هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ هذا القرآن النازل والذكر الجازل ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ بلا برهان عقلي وسلطان نقلي، فحينئذ يقول الله: ﴿مَنْ أَضَلُّ﴾ أي أكثر ضلالة وأوفر جهالة ﴿مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿فُضِّلَتْ: 52﴾ أي كثرة خوف وشدة خلاف كما قال عليه الصلاة والسلام: «كثرة الخلاف شقاق كره، والوفاق نفاق منكم، فما أجد أضلّ منكم لتوغلّكم في الشقاق وانغماسكم في كثرة النفاق» .

﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ

### أُولَٰئِكَ يَكْفُرُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ وعلاماتنا ﴿فِي الْأَفَاقِ﴾ ﴿فُضِّلَتْ: 53﴾ خارج النفوس، فإن كل أحد له آفاق ونفس، يعني أن آيات الله وعلامات أنوار حكمته وبيّنات آثار

قدرته ظاهراً أولاً في أعيان الأدوار في مراتب الوجود ومطالب الأكوار على مجالي الإدراكات ومعاني الشهود، ثم بعد التفصيل في المراتب أجملها وجمعها وأظهرها في كون جامع ومظهر كلي دافع وهو الشأن وهي الآفاق ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي عالم الناسوت، فالعوالم الإمكانية والمعالم الكتابية هي الآفاق، وما يكون ويكون في كون جامع ومظهر كامل لا يخرج منه شك من العوالم الكلية والطور الأصلية هو الأنفس وهما متطابقة وأطلال متوافقة ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمُ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ أي الحق بتمام الأسماء والصفات الذاتية والأفعالية والآثارية قد ظهر بتمام ما له من الأسماء والصفات والكمالات الذاتية والأسمائية في مرآة حاكية عن تمام تلك الكمالات، وهي نفس الحق، أي الثابت في حد ذاته وجميع أسمائه وصفاته ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فُصِّلَتْ: 53] حاضرٍ.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ [فُصِّلَتْ: 54] أي مشاهدة ربهم ومعابنته في الدنيا والآخرة ﴿وَمَن كَان فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 72].

قال النبي ﷺ: «رأيت ربي في أحسن صورة شاب ققط». قال علي كرم الله وجهه: «رأيتَه فعرفته ثم عبدته ولم أعبد رباً لم أره». ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فُصِّلَتْ: 54] أحاط علمه، والعلم عين الذات العالمة. قال ﷺ: «مَن قرأ سورة (السجدة) أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات»، صدق رسول الله ﷺ.

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي كَلَّمَ وليه في الشدائد: يا حم، عسق، يا كهيعص، فجعل في حقه، وبتحقيق نظره وتدقيق سمعه وبصره أسماء أعظم ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي شرَّع دينَ الحق وأظهره لأرباب وأصحاب التدقيق، ومنع الخلاف فيه ودفع ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي ألطف بعباده، وأخف على أوليائه مشاق العبادات وأجلى على مشاربهم وعف مذاق شدائد الطاعات.

﴿حَمَّ ۙ عَسَقَ ۙ﴾

﴿حَمَّ ۙ عَسَقَ ۙ﴾ [الشُّورَى: الآيتان 1، 2] إشارة إلى بداية دورة الفرع والإشراك، وهي ثلاثة منسوبة إلى الثلاثة الأخيرة من الأسماء السبعة الذاتية وهي: الكليم، والسميع، والبصير. لما بيَّن ما دلَّ على الأدوار الأربعة النورية الجمالية على الولاء، وبنى الحواميم الأربعة أراد أن يبين ما دلَّ على الأدوار المشتركة وهي ثلاثة على الهيئة الجمعية في الاستقلال والاشتراك بأن كل واحدٍ من الأسماء الأربعة الذاتية، أعني العليم والحي والقدير والمريد، بعد استواء أحكام سلطنة كل منها على الأفراد ليشارك في فردانية سلطنته جماليًا كان أو جلاليًا، صريحًا أو ضمناً، مثلاً أن اسم العليم لما استكمل حكم فردانية سلطنته على الاستقلال أخذ في اشتراك كل من السميع والبصير والكليم، وكذا الحي والقدير والمريد، ومدة الاستقلال هي مدة الاشتراك في الأعوام دون الأيام وكثرة الحروف تدل على

الجمعية فهي إما اسم السورة، أو اسم أسماء الإلهية الأعظم كما كان النبي يواظب عليها في الشدائد بقوله: «يا كهيعص، يا حم، عسق، يا حم أغثني»، أو قسم وجوابه يوحى أو مبتدأ وخبره ما بعده، أو خبر محذوف الابتداء.

﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾

﴿كَذَلِكَ يُوحَى﴾ [الشورى: 3] ويلقى بواسطة الملك الكتاب ﴿إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من الأنبياء والمرسلين ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ القوي الغالب القاهر ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الشورى: 3] الحاكم العالم لجميع المخلوقات وأحوالها وخصائصها ولوازمها الذاتية والوجودية، يعني بحق هذه السور أو الاسم الأعظم قد أوحى الله له بكمال قدرته وعموم مشيئته على الأنبياء أولاً، ثم يوحى إليك ثانياً لتبين أحكام ألوهيته وتتعين أعلام ربوبيته، وإيراد المضارع تنبيه على استمرار الوجود وتتابعه واستقراره وعدم انقطاعه إلى الخاتم من أهل العالم.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ من النجوم والأماك المدبرة والأفلاك الصغار وهي التدبيرات والنفوس المدبرة ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من المعادن والمخلوقات التي أسكن كل طائفة منها في طبقة من طبقاتها السبعة، أو المراد من السماوات الجواهر العالية والفواخر النورية من العقول المجردة والملائكة الكلية والتعيينات الأولية الأصلية، أو المراد من الأولى هي الأدوار النورية الجمالية الأربعة وأعيانها النورية الوجودية، ومن الثانية هي الأدوار والأكوار الظلية الجلالية وأكوانها الظلية العدمية الجلالية، أو المراد من الأولى هي الأدوار والأكوار الإفرادية ومن الثانية هي الأدوار والأكوار الجمعية ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ الحاكم العالی الحكيم ﴿الْعَظِيمُ﴾ [الشورى: 4] المحيط بتمام الأعيان الإلهية والأكوان الربانية المتصرف فيها بالإبداع والخلق والتكوين والاختراع، والتدوين والاصطناع.

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾ [الشورى: 5] وأعيانها وما فيها ولها انتقال أحكام فردانية



سلطنة رب كل دورة من الأدوار الإلهية إلى ما عداها ﴿يَفْطَرُكَ﴾ ويتشققن بعظمة الله وكمال قهرمانه ووفور حكم سلطانه ﴿مِنْ فَوْقَهُنَّ﴾ من القدرة الإلهية والقوة الربانية، أو من جانب القوة الفاعلية وطرفها وجهتها كما أن الخلق والتكوين والإبداع والتدوين والاختراع إنما كان من جانب الفاعلية القابلية ﴿وَأَلْمَلَيْكَةَ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي يعبدون، ويزينه على نعت الصنف وصفة العجز والعطف والوهن والرعف لسبب اتصافه بصفات الكمال وسمات أنوار الجمال التي هي مادة الحمد ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ يطلبون المغفرة من الله ﴿لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: 5] من الأموات وأعيان طبقات الأرض من الموجودات وما عليها من الجن والإنس، والمؤمن والكافر، والمطيع والفاجر، فإن المناسب أن يفسر الاستغفار بالسعي فيما ينفعهم من الشفاعة والإلهام والخطاب والإعلام، وأعدادهم والأسماء المقربة للطاعة المهيئة لها، وإلقاء المعاني في روعهم دعوة إلى الله وعبادته ووفور طاعته إشعار بأن الأصل للحصص الوجودية والأعيان النورية والأكوان الظلية هو الإسلام والطاعة والانقياد والإطاعة، وحسن الاعتقاد. وأما الكفر والإشراك والمعصية والاشتراك إنما هو بالعرض يزول وينفك في الآخر ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53] لقوله ﷺ: «كل مولود يولد على فطرة الإسلام فأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه»، ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الشورى: 5] يؤيد ما ذكرنا ويعاضده.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم

بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ وآثروا واختاروا ﴿مِن دُونِهِ﴾ الله وغيره وما سواه ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ شركاء وأنداد ﴿اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ﴾ ورفيق وعاصم لهم، وواقٍ لأحوالهم بين يديهم ﴿وَمَا أَنتَ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الشورى: 6] توكل بهم، أو موكل من الله بأمرهم.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ

الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الشورى: 7] إشارة إلى الإيحاء أو إلى معنى

الآية المتقدمة، فإنه كرر في القرآن في موضع (حم) ومربع (عم) فتكون الكاف مفعولاً به وقرآنًا حالاً منه ﴿لِيُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ وهي مكة وأهلها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من العرب وبلاد الحجاز ﴿وَيُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ [الشورى: 7] يوم القيامة لاجتماع الخلائق كلهم فيه، أو الأرواح والنفوس والأشباح، أو الأعمال والعمل، والكل والمجموع، وذلك لدى القيامة العظمى في الدورة الأخيرة من الأدوار بعد النفخة الثانية والانتقال من دورة إلى دورة، ومن فردارية اسم إلى اسم، فإنه يظهر في هذه الحالة تمام الأحوال والأعمال والأعيان التي اختزنت في خزائن الدورة المتقدمة واختفت هي فيها بالنفخة الأولى.

واعلم أن لكل دورة من هذه الأدوار النورية الجمالية، لما كان اقتضاء الأبدان يكون حشرها على وجه خاص مثلاً لما كان اقتضاء دنيا والآخرة الدورة العظمى النورية الجمالية أعيان نورية وجواهر عقلية والأبدان يكون حشرها في آخرتها حشرًا عقليًا والمعارف فيها تكون أعيانًا نورية عقلية، وكذا اقتضاء دنيا الدورة الكبرى النورية الجمالية إنما هي أعيان روحية وجواهر عقلية فلا بد وأن يكون حشر هذه الدورة من الأعيان الروحية والجواهر العقلية، وكذا اقتضاء دنيا الدورة الوسطى لما كان أشباحًا نورية وصورًا خيالية مع ما يتقدم من الأعيان النفسية والأرواح القدسية والعقول المجردة والملائكة المدبرة العالية للأبدان يكون حشرها أعيانًا برزخية وأشباحًا نورية مشتملة على أرواح متعلقة بأشباح معلقة وعقولاً وملائكة مدبرة، وكذا مقتضى الدورة النورية الصغيرة لما كان دنياها منطوية على أجسام وأجساد ومحتوية على أشباح برزخية ومثل نورية وصور خيالية وأرواح ونفوس عقلية، فإن الدورة الصغيرة النورية تحتوي أعيانها على مقتضيات الأدوار السابقة، فحشرها في القيامة العظمى إنما يكون بجمع الأجسام والأجساد والأشباح والنفوس والأرواح والعقول والأعمال والعلوم والإدراكات والمقامات صريحة.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ﴾ من الأعيان الجمالية التي استخدمت المولود الجني والشيطاني ووافقها في مطالبها من غير أن يخالفها في اقتضاء النور الجمالي تكون ثابتة ﴿فِي الْجَنَّةِ﴾ ومربض السعادة والجمال ﴿وَفَرِيقٌ﴾ منهم ﴿فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7] إذا وافقت المولود الجني والمولود الإنسي في فردارية النور

والجمال، كما أشار إليه النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وله قرين من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير»، يعني أن الله تعالى إذا جمع الخلائق في الموقف الأول للحساب أولاً يحكم بالتفريق، فالتقدير فريق منهم في الجنة وفريق منهم في السعير.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم قابضاً على كفيه ومعه كتاب فقال: «أتدرون ما هذا الكتاب؟ فقلنا: لا يا رسول الله، فقال للذي بيده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نُظُفًا في الأصلاب وقبل أن يستقروا علقه في الأرحام إذ هم في الطيبة يجتذبون فليس بزائد منهم ولا ناقص منهم إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة. فقال عبد الله بن عمر: نقيم العمل إذا؟ فقال ﷺ: اعملوا وسددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل عمل صاحب النار، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل عمل أهل الجنة. ثم قال: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7] وعد من الله عز وجل».

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ  
وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الشورى: 8] قال ابن عباس: على دين واحد كما قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: 35]، ﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي جنته ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يدفع العذاب عنهم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: 8] ومعين ولا ظهير في دخول الجنة أو في دفع النار.

﴿أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿أَمْ أَخَذُوا﴾ أي ثم اتخذ الكافرون ﴿مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي دون الله ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ [الشورى: 9] أي وليك يا محمد، أو ولي من أتبعك واقتفى بأثرك ﴿وَهُوَ يُحْيِي

﴿الْمَوْقِنَ﴾ فيستحق الجنة ويتأهل من الله العناية والكرامة والهداية بحسب المتابعة وتتبع السنة وكمال المتابعة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مَّمْكِنٌ﴾ [الشورى: 9] يرجح وجوده أو عدمه على الآخر.

﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من أمور الدنيا أو الدين بيان لها ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي يرجع إلى كتاب الله وشريعته ودلائل الدين ومبادئه وحجته، وهي الكتاب والسنة والإجماع، والقياس عند البعض، فإنها تميز الحق من الباطل والثابت المحكم من الباطل ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾ أي الذي خصه الله بأن يكون دليل أحكام الله هو المعيار والقانون والميزان مخالفة لعباده في تعريف الأحوال والأفعال الإرادية والأعمال الاختيارية وغير الاختيارية ﴿رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في مجامع الأمور وجوامع الحوائج لأهل السفر وأصحاب الحضور وأرباب المسار أرباب السرور ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: 10] وأرجع إلى حكمه وكتابه، أو إلى الله إن كان من أهل الكشف والشهود تحصل منه الأحكام والحدود.

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خبر آخر لذكركم إذ ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكراً أو أنثى كما كان في عهد آدم، ويزوج آدم أحدهما للآخر ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ وخلق الأرواح من جنسها أزواجاً، وخلق لكم من الأنعام أصنافاً، أو ذكوراً وإناثاً ﴿يَذُرُّكُمْ﴾ يكثركم بالتوالد والتوليد من الدرة، وهو النسب، وفي معناه الدرّ والدرور، والضمير للناس والأنعام على التغليب ﴿فِيهِ﴾ في هذا التدبير، وهو جعل الناس والأنعام أزواجاً أو الدرّ هو الخلق، والضمير يرجع إلى الرحم والبطن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أي ليس مثل مثله شيء. واعلم أن المثلية نسبة مساوية بين الشئيين يتصف بها كل واحدٍ منهما فيصبح أن كلا منهما أنه مثل الآخر، فكل منهما مثل المثل متضمن لنفي المثل نفي مثل المثل تُعاد إلى هذه النكته ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ [الشورى: 11] الذي يسمع من كل شيء هذا التسييح

والتفديس ﴿الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] يبصر حقائق الأشياء ولو ازمتها الذاتية ولو احقها العرضية وأحوالها المشتركة والمخصوصة، وأجزاءها الوجودية والعقلية، والخارجية من الجواهر الفردة والوحدات الجوهرية، وهي حق، أو الجوهر الواحد المتصل في نفسه المتخصص بالحصص الجوهرية، أو العرضية كما ذهب إليه المشائون، يقال للجوهر: الهيولى، وللثاني الصورة الجسمية التي بها يصير ذات وضع مشكّلة بأشكال مختلفة تستتبع صورة أخرى.

تتميز تلك الخصائص عن بعض وعن غيرها وتتنوع بأنواع مختلفة جوهرية أو عرضية به تسمى بالاعتبار الأول صورة نوعية، والمركبة من الهيولى والصور الجسمية تسمى بالجسم الطبيعي، لأنها من الصورة النوعية تسمى بالجسم النوعي، والمقادير المتبدلة والهيئات المتبادرة عليها تسمى بالجسم التعليمي أي الأعراض لبنة لها وتطورها كالشمعة المتطورة استدارة واسطوانة ومخروطة ومضلعة ومكعبة وغير ذلك من الهيئات والأوضاع. وأما الإشراقيون فقد ذهبوا إلى أن حقيقة الجسم هو المقدار الجوهرية والامتداد الطوري والعرضي والعمقي، وما ذهب إليه المليون المسلمون وغيرهم من أن صيغة الجسم هي مركبة من الجواهر الغير المنقسمة وأن ما سوى الله تعالى مركب من أجزاء لا تتجزأ أو وحدات جوهرية كما حققنا في صدر سورة البقرة في عشر ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [البقرة: 22]، هذا هو الحق ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42]، وقد قدمنا الكلام فيه فليرجع إليه.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ

يَكُلُّ شَيْءٌ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ﴾ وخزائنها وبيده مفاتيح دفائها ﴿وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عَلِيمٌ﴾ [الشورى: 12].

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾

﴿شَرَعَ لَكُمْ﴾ وبين وعين لكم ﴿مِنَ الدِّينِ﴾ [الشورى: 13] ونواميسه الإلهية

﴿ مَا وَصَّى ﴾ وأخبر وأنبا وحكى ﴿ بِهِ نُوحًا ﴾ [الشورى: 13] هو أول نبي شرع في بيان أحكام الشريعة وخاض في بيان أعلام الطريقة، وخاض في إشهار الحقيقة، وفاض من بر الطبيعة ورد الحكمة ووضع قانون الدين، ورفع ميزان أهل اليقين عن زمان نوح إلى أوان إبراهيم الخليل، كانت الخلائق على دين نوح، ومن الأنبياء كان هود وصالح على دينه يدعون الخلق إلى دينه، وكان منحصرًا على تحليل المباحات التي أباح الله بلسان الأنبياء المتقدمين ويحرم الحرام الذي نطقوا به وحكموا بالانتهاه عنه، منه تحريم الأمهات والبنات والنساء المزوجة وغير ذلك. عن مجاهد: لم يبعث الله نبياً إلا أوصاه بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والتقرب لله بالطاعات بالتوحيد وتنزيهه عن الشرك والإشراك، فذلك دينه الذي شرع لكم. وقيل: هو التوحيد والبراءة من الشرك. وقيل: هو قوله: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَفْرُقُوا فِيهِ ﴾، وذلك الدين هو التوحيد وسائر العقائد نظراً إلى الله وسائر الخلائق وهو ثابت في الدهور والأحوار وكرّ الأعوام والأعصار، وهذه هي النبوة التعريفية.

﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَفْرُقُوا فِيهِ كَبْرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ﴾ التوحيد وبقي الشرك والإشراك، وعظم على الكافرين التقليد والإشراك والشرك ﴿ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ ويكلفون لهم إليه ما كانوا على أثره من الأفعال والأعمال الدينية وترك الشرك والعكوف على التوحيد، والتبري عن الشرك، والتجديد الموصول مع الصلة، فأصل (كبر) أي عظم على المشركين أمرهم بإهم بترك الإشراك والفعل القبيحة والخصال الفصيحة ودعواهم إياهم إلى التوحيد ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي ﴾ ويصطفى لدينه ويجتلب ويختار لدركه كما لبعثته ﴿ إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ من عباده ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [الشورى: 13] ويُقبل إلى طاعته وتوجهه إلى مطاوعة أوامره والانتهاه عما نهاهم عنه.

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا ﴾ وما يفرقوا الدين ﴿ إِلَّا ﴾ الذين أوتوا الكتاب ما أعطوه من الأمم السالفة والفرق الماضية ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ [الشورى: 14] بأن الفرقة ضلالة

والخرقة حماقة وجهالة ولكنهم فعلوا ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ أي للبغي والعداوة، أو طلبًا للدنيا ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ في تأخير العذاب عنهم وإمهالهم مدة وإمهالهم مدة ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو يوم القيامة أو آخر أعمارهم المقطرة ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ باستئصال المبطلين وإهلاكهم حين افترقوا لعظيم ما اقترفوا ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ واختاروا كتاب الله يعني أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ، أو المشركين الذين ورثوا الكتاب والقول حصل بعد أهل الكتاب ﴿لَفِي شَكِّ مِنْهُ﴾ أي من كتابهم لا يعلمونه كما هو أو لا يؤمنون به حق الإيمان أو من العذاب أو من محمد أو من مجموعهما ﴿مُرِيبٍ﴾ [الشورى: 14] ذا مرية وريب .

﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُ وَاَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تُلَٰغِ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُ﴾ أي لما وصى به الإنسان والأنبياء من التوحيد ونفي الشرك والإشراك، ادع الخلق بأجمعهم إلى الحق على قانون الحكمة وتوحيده وجمعيته من الألوهية والربوبية ومقتضيات الأدوار والأكوار أفرادًا وجمعًا معًا ﴿وَأَسْتَقِمَّ﴾ في تنفيذ أحكام الإرشاد والتكميل وتزكية النفوس وتصفية القلوب، وتأديب المبادئ النفسية، وترتيب أفعال القوى القلبية والإنسية والتعديل ﴿كَمَا أُمِرْتُ﴾ في المبادئ العالية والعوالم الثابتة في الجبروت والملكوت ﴿وَلَا تُلَٰغِ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الباطلة وآراءهم العاطلة ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ إلهي وخطاب رباني المنزل على الأنبياء ﴿وَأُمِرْتُ﴾ [الشورى: 15] في العهد الأزلي والمرصد الأولي في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأنعام: 172].

﴿لِأَعْدِلَ﴾ وأقتصد في المسالك، وأعتقد في طريق الانتصاف والقسط والعدالة في منهج المناسك ﴿بَيْنَكُمْ﴾ [الشورى: 15] في تبليغ أحكام الشرائع في الحكومات ورفع الخصومات، إشارة إلى الفقرة الأولى في الانتهاء عن اتباع الأهواء وابتغاء إفساد الآراء، وإلى تعديل القوى النظرية وتكميل القوة العملية،

فالأمر إشعار إلى التعديل في الأمور الإرشادية والتكميل والنهي بالانتهاء عن الموانع . والأمر الثاني إشارة إلى أن شرط كمال الإرشاد والهداية هو الاقتداء بالأنبياء والأولياء والاتباع بهدائيتهم والاستقصاء والتتبع بأحوالهم وحالاتهم لعلَّ يتقيد الطالبون، ويتقلدوا في مقام وحال نبيكم ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ نسبتنا ونسبتكم إليه، ونسبته إلينا وإليكم على السواء، إشارة إلى أن كل واحد من الموجودات أو أي فرد من الممكنات له صلاحية واستعداد وقابلية لجميع الكمالات الذاتية والسعادات الإلهية، فأحرى بكل طالب أن يقتنع بكل مقام وحال وأي سعادة وكمال يصل إليه، بل يكون طالباً لما علا من الإشرافات ولا يقف على حال ومقام وسعادة وكمال ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ﴾ في الدورة النورية الجمالية، ولكم في الدورة الثانية الجلالية أعمالكم لا نسأل عن أعمالكم ولا منكم من يُسأل عن أعمالنا كلنا مجزيون بالأعمال والأفعال إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا﴾ ولا خصومة ﴿وَبَيْنَكُمْ﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة، فالحق بنا ظاهر والصبح بتباشير السعادة السرمدية من أفق الأمر باهر ﴿اللَّهُ يُجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في المحشر العظمى والموقف الكبرى ﴿وَالِيَهُ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى : 15] ولديه يرجع الطويل والعريض والقصير والأعمى والبصير، وليس في الآية ما يدل على مناولة الكفار رأساً حتى تكون منسوخة بآية القتال .

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجِيبَ لَهُمْ مِنْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (١٦)

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ في إحاض دينه وإخفاض أعلام أصحاب يقينه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجِيبَ﴾ أي بعد استجابة الناس وقبولهم الدين فحينئذ اشتهر حال أهل الله من بين العباد ببركة صفات الاعتقاد إلى يوم التناد بقدر معرفة البدء والمعاد، فاستقلت كلمة الله واستقلت على الكل حكمة الله شرقاً وغرباً، عجمًا وعربًا ﴿لَهُمْ مِنْهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ زائلة ونازلة وباطلة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ﴾ بمعاندتهم وكمال دعواتهم ووفور معاداتهم ﴿غَضَبٌ﴾ وسخط ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى : 16] وعقاب عتيد لكمال عنادهم ووفور عداوتهم بأهل الله والمؤمنين .



﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ

قَرِيبٌ﴾ ﴿١٧﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ جنس أو كله ﴿بِالْحَقِّ﴾ متلبساً بالعدل والصدق، بعيداً عن تطرق الفساد وطريان التفرق والكساد ﴿وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ﴾ والشرع الذي يوازن به الحقوق، ويتميز به الصدق والفسوق، ويتعرف به أهل العناد والشقاق، وفرق الشقوق ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أي أي شيء يدريك الحق ويجعلك ذا إدراك وعلم بالكتاب وحقيقته، ما: إما موصوفة أو استفهامية، أي يجعل اليوم الموعود مدرگًا لك ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: 17] مجيئها ووقتها، أو يكون القريب ذات قريب، أي تكون الساعة ذات قرب أو تكون الساعة بمعنى البعث.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ آلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ

بَعِيدٍ﴾ ﴿١٨﴾

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ ولا يصدقون بوقوعها ومجيئها والاستعجال أشهر ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿مِنْهَا﴾ مع الاعتبار بها لترجي الثواب بها ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ الكائن الثابت في نفس الأمر ﴿آلَا﴾ تنبيه وإعلام أن الأعيان والأشخاص ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ﴾ ويجادلون أو يرتابون من المرية أو من مزيد النافية، أو مستجيب صرعها لشدة الجذب لأن كلاً من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة ﴿فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: 18] عن الحق، فإن البعث أشبه الغائبات إلى المحسوسات بمن لم يهتد لبحورها، فهو أبعد عن الاهتداء إلى ما وراءه.

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ، يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿١٩﴾

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: 19] أي كثير الإحسان بهم، قد يطلق على ما تتصف به الأعيان الجوهرية والمعاني الفرضية وهو ضد الجسم والكثافة، يقال: هذا الجسم لطيف، وهذا العرض لطيف، سواء كانا بسيطين كالماء والهواء

واللون، أو مركبين كالغذاء اللطيف والصورة المركبة اللطيفة، فعلى هذا يكون من صفات الأجسام والأجساد والأعراض القائمة بالجواهر والأجسام والأجرام، فلا يطلق على الله إلا بطريق المجاز والحقيقة، وقد يطلق على ما لا يدرك بالحواس الظاهرة، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 103] فاللطفة بهذا المعنى تطلق على الله وعلى الأعيان اللطيفة الفنائية على ما تقتضيه مراتب اللطافة في المأكولات والملبوسات والمشروبات، أو بحسب مراتب المحسوسات، فإن المسموعات ألطف من المبصرات، والمذوقات والملموسات، فكلما كان مراتب إدراكاته أعلى كان ألطف وفي مدارك الكيفيات أخف وأخفى ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رزقاً لطيفاً وخفيفاً لوفور كنفه ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: 19] المنيع لإدراك ذاته القاهرة على أعدائه في تمام ملكه وملكوته وعموم ممالكه وجبروته .

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ ﴿٢٠﴾

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ كالعلوم الحقيقية، والإدراكات اليقينية، والطاعات والعبادات والأحوال والمقامات ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ من التجارات والزراعات والمعاملات والجرف وسائر الجهات الظاهرة للمشاعر الشاعرة والحواس الظاهرة ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ لكمال لطفه وعموم إحسانه وكرمه . قال النبي ﷺ: «الله كريم يستحي أن يرده السائل صفرًا»، ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: 20] الدنيا حرام على أهل الآخرة، والآخرة حرام على أهل الدنيا، وهي حرامان على أهل الله تعالى، أي «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» الحديث .

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَوُا شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢١﴾

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَوُا﴾ [الشورى: 21] أي بدلهم شركاء، وهم شياطينهم ﴿شَرَعُوا﴾

لَهُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ» ولم يَرخص به بوحى أو إعلام وخطاب ووارد وإلهام، وإسناد الشرع إليهم استهزاء بهم لأنهم أسباب الضلالات وأصحاب الجهالات وأرباب الكسالات ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ أي القضاء السائق والحكم السابق، بتأخر العذاب وتأجيل العقاب، وإنما سماها بالفصل لأنها تفصل وتقطع ما قدره في سابق علمه وسابق تقديره وتدبيره ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ أي بين المشركين والكافرين، والمؤمنين والمشركين وشركائهم ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ المجاوزين عن الحد ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: 21] في الدنيا بالقتل والسبي والجلاء وضرب الجزية عليهم وإهانتهم بضراب شتى.

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ المجاوزين عن الحد، المشركين، يوم القيامة يوم الحشر والندامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ وجلين خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ واجتلبوا الآثام بعبادة الأوثان والأصنام ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ أي ما كسبوا، أي المكسوبات ترد عليهم آجلاً وعاجلاً ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ حال كونهم داخلين وخائضين ﴿فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ما تشتهي الأنفس وتلذذ به الأعين ﴿ذَلِكَ﴾ الأمر الذي يصيبهم الله به ﴿هُوَ الْفَضْلُ﴾ والإحسان والإعطاء ﴿الْكَبِيرُ﴾ [الشورى: 22] الذي يكرم الله به من يشاء من عباده المخلصين.

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾

﴿ذَلِكَ﴾ الفضل المذكور والجزل المزبور هو ﴿الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ﴾ في الدنيا بوقوعه ﴿عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وثبتوا عند الآخرة ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي على إيصال تلك البشارة وإفضالها، أو على الإيمان والتوفيق عليه ﴿أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ﴾ والمحبة ﴿فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: 23] وهي أهل بيت رسول الله ﷺ، وهم:

فاطمة، وعلي، والحسن، والحسين، وما يتولد منهم، وقد أنزل: ﴿لِيُذَهَبَ عَنْكُمْ الرَّجْسُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33]، صرَّح به الإمام الرازي في تفسير هذه الآية.

ونقل عن صاحب الكشاف هذا الحديث: «مَن مات على حب آل محمد مات شهيدًا، ألا ومَن مات على حب آل محمد مات مغفورًا له، ألا ومَن مات على حب آل محمد مات تائبًا، ألا ومَن مات على حب آل محمد يَزَفُ إلى الجنة كما تزَفُ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومَن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومَن مات على حب آل محمد مات على السنَّة والجماعة، ألا ومَن مات على بغض آل محمد لم يذق رائحة الجنة، ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه: آيسُّ من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرًا».

أقول: ألا إن آل محمد هم الذين يولى أمرهم إليهم، فكل ما كان مآل أمرهم إليه أشد وأكمل وأسد وأفضل كان اسم الدال إليه بالنسبة أتم وأشمل. ولا شك أن فاطمة وعليًا والحسن والحسين كان التعلُّق بينهم وبين رسول الله ﷺ أشدَّ التعلُّقات.

وأيضًا: اختلف الناس في الآل، قيل: هم الأقارب، وقيل: أمته، وقيل: هم الأتقياء لقوله ﷺ: «كل تقى ونقى آلي». فعلى كل حال هم أشد آلا وأسد مآلا. قال صاحب الكشاف: لما نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله من قرابتك؟ قال: «هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم، علي وفاطمة وابناهما» فثبت أن هؤلاء الأربعة هم أقارب النبي ﷺ، وإذا ثبت هؤلاء وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم لقوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: 23] وإذا ثبت ذلك وجب أن يجب على كل الأمة مثله لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: 158]، ولقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور: 63]، ولقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31]، وقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21].

قال الشافعي:

إن كان رفضًا حبَّ آل محمد فليشهد الثقلان أنني رافضي

لأن كان ذنبي حب آل محمد فذلك ذنبٌ لستُ عنه أتوب  
 همو شفعايني يوم حشري وموقفي إذا ما بدت للناظرين خطوبُ  
 والقربى مصدر كالزلفى والحسنى والبشرى بمعنى القرابة أي لا أسأل  
 عنكم من الأعمال والأحوال والأفعال إلا محبة أقربائي ومودتهم، وأهل بيت  
 رسول الله ﷺ وعترته لقول النبي ﷺ: «إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي  
 أهل بيتي». وعن زيد بن الأرقم أنهم آل علي، وآل عقیل أخ علي، وآل جعفر،  
 وآل عباس رضي الله عنهم. وقيل: هم الذين حرّمت عليهم الصدقة من أقاربهم،  
 وقسم فيهم الحسين وهم بنو هاشم، وبنو المطلب الذين لم يتفرقوا في جاهلية  
 ولا في إسلام. قيل: الاستثناء منقطع أي لا أسألكم أجراً قط ولكن أسألكم  
 المودة في القربى. روي أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله من قرابتك من هؤلاء؟  
 قال ﷺ: «علي وفاطمة وابناهما»، قيل: هي التقرب إلى الله.

﴿وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً﴾ وهي مزيد محبة أهل بيت رسول الله ﴿تَرَدَّ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾  
 جزاءً حسناً وثواباً مضاعفاً ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ بمبغضي أهل بيت الرسول ﷺ  
 وأعدائهم، وخصمائهم إذا تولّوا عمّا كانوا عليه إلى المحبة ﴿شُكْرُ﴾  
 [الشورى: 23] يقبل شكر هذه النعم الجليلة والمنح الجزيلة، أو يوفّق للشكر،  
 فمن أطاعه بتوفيقه للثواب والتفضل عليه بالزيادة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَوَمَحُ اللَّهُ  
 الْبَطْلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ بل يقولون ﴿افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي افترى محمد على الله كذباً  
 بدعوى النبوة وإنزال الوحي والقرآن ﴿فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ﴾ وأراد ﴿يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ أي فإن  
 أراد الله صدور الافتراء منك يختم ويطبّع على حقيقة قلبك استبعاد عن الافتراء  
 ومضان الاجترأ على الكذب والاجترأ عليه شعار بأن الافتراء على الله تعالى  
 إنما يكون ممن كان مختم القلب مكتوب الغيب معلوم الشكّ والرّيب، وأما من  
 كان ذا بصيرة كاملة وسريرة فاضلة شاملة فلا يخطر بباله الافتراء فضلاً عن  
 الاجترأ على ما يخالف فاعله العقل الصريح والنقل الصحيح، وقد جرت سنة  
 الله على أن يمحق المخالف العاطل ﴿وَمَحُ اللَّهُ﴾ [الشورى: 24] الدين ﴿الْبَطْلَ﴾

﴿وَبُحِّئٌ﴾ ويشبث الدين القويم ﴿الْحَقَّ بِكَلِمَتِيَّ﴾ وأسمائه وصفاته القاهرة ﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ  
يَدَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الشورى : 24] استئناف لنفي الافتراء ومنع الاجتراء .

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا  
نَفَعَلُونَ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾ والرجوع والإنابة إلى الحق وإلى حب أهل بيت  
رسول الله ﷺ ﴿عَنْ عِبَادِهِ﴾ الذين بغضوا أهل بيت الرسول ﷺ في الجاهلية ثم  
رجعوا وتابوا عنه ثم استقاموا على حبهم بالتجاوز عن سيئاتهم والعفو عن  
خطيئاتهم كما قال ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ الماضية ﴿وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾ [الشورى : 25]  
إذ لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء .

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ  
عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وإحسانه ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ  
عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى : 26] أي المبغضون الذين كانوا على بغض الآل أو المطلق .

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا  
يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٧﴾

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ والله يرزق من يشاء رزقاً صورياً : وهو الغذاء  
والقوت الذي يتقوم به البدن ومعنوياً : وهو ما تقوم به النفس والقلب والسرّ  
والروح والعقل الخفي من الإدراكات والعلوم التي تتقوم النفس بها ، وتتكوّن  
أفعالها البهيمية والسبعية والقلب من العلوم النظرية ، والإدراكات النفسية  
المكتسبة ، والضرورية والمعارف المتعلقة بالأخلاق الإلهية والملكات الكاملة .  
وأما رزق السرّ فهو شهود التجليات الإرادية ، وأما رزق الروح فهو التجلي الفعلي ،  
وأما رزق العقل الصريح فهو شهود التجلي الاسمي والوصفي ، ورزق الطور الخفي  
هو شهود التجلي الذاتي والفناء في الله والبقاء بالله ، والتحقق جامعاً بالله وصفاته  
وذاته لعباده ﴿لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى : 27] في مسالكهم وطغوا في مداركهم ،

أما الفرق تقيدوا في تدبير البدن سرّه قط لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ [العلق: 6، 7].

وأما النفس فإنها توغلت في إدراكات أفاعيلها وتمردت واعترضت عن إطاعة القلب، وأما القلب فلو تعمق في اكتساب الإدراكات النظرية احتجب عن المشاهدات وشهود التجليات الآثارية، وأضله الله على علم، وختم على سمعه وبصره، وهكذا احتجبت كل من الأطوار عن مشاهدة ما فوقها ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ووفور قدرته وإرادته ﴿يُنزِّلُ﴾ الأوراق من سماء خزائنه وفضائل دفائنه ﴿بِقَدَرٍ﴾ معلوم وتقدير مرسوم ﴿مَا يَشَاءُ﴾ أي بما تقتضيه المشيئة ﴿وَلَا يَمُنُّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَ مَا خَرَّابَتْهُ وَمَا نَزَّلَهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: 21]، ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: 27] يبصر ويرى ما كان أولاً وآخرًا، باطنًا وظاهرًا، وبما سيكون من الأجزاء، وبما كان ويكون في الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾

### الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ المطر الغزير والماء الكبير الأزيز الذي يغنيهم من الجذب ويخلصهم من البليات وآفات الكيد المفقور والمجذب ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ وتياسوا من الحياة الظاهرة والباطنة، فإن الله تعالى حبس المطر عن أهل مكة ظاهرًا وباطنًا، صورة ومعنى، سبع سنين لعدم تعرفهم ذات الله وصفاته السبع الذاتية حتى قنطوا، ثم أنزل الله المطر فذكرهم الله نفسه ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ الحافظ الناظر لأوليائه وأحبائه ﴿الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: 28] المحمود بالسنة العباد في عموم الأمكنة وجميع البلاد إلى يوم التناد. قال تعالى: «من أهان لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة، وإنني لأغضب لأوليائي كما يغضب الحر، وما يتقرب إليّ عبدي المؤمن بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعًا وبصرًا ويدًا ومؤيدًا، إن دعاني أحبته، وإن سألني أعطيته، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد منه، وإن من عبادي المؤمنين من سألني بآبًا من العبادة فأكفه عنه لئلا يدخله عجب فيفسده ذلك، وإن

من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالفقر فلو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصح إيمانه إلا السقم ولو صححته لأفسده ذلك» .

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى : 29 - 30] أي فبسبب اكتساب أيديكم من المعاصي والذنوب ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى : 30] قال الحسن : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده هو الله عز وجل أكرم من أن يثني عليهم بالعقوبة في الآخرة وما عفى الله عنه في الدنيا فالله أحكم من أن يعود عن عفوهِ» . قال عكرمة : ما من بلية أصابت عبداً فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفر إلا بها أو درجة لم يكن يبلغها إلا بها .

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَمَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ﴾ بما سنّ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي لا تعجزونني من تعذيبكم ومن إجراء العقوبة عليكم حيث ما كنتم ولا تتعبوني ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ في الدنيا وما فيها، وفي الآخرة وما لها من الحساب والصراط والنيران والثواب وما ضاهاها ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ ومنيع وحافظ ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى : 31] في إدراك حسن الجزاء والثواب .

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ﴾ جمع جارية وهي السارية ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ والسائحة في البر تُرى فيهما ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ [الشورى : 32] جمع علم، هو الذي يعلم به الأشخاص والأعيان، ومنه العلم وذلك كالجبال التي تراءى في البحار والبر، يعني بها السفن والفلك .



﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾

﴿إِنْ يَشَأْ﴾ الله ويريد، أي تظهر منه المشيئة وتحصل منه الإرادة ﴿يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ التي خلقها لمنافع العباد ﴿فَيَظْلَنَ﴾ أي يصير الجواري والسفن ﴿رَوَاكِدَ﴾ سواكن من الركد والركود وهو السكون والثبوت ﴿عَلَى ظَهْرِهِ﴾ أي ظهر البحر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي في جريان الجواري والفلك في البحر لعلامات ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: 33] أي كثير الصبر غفير الشكر، أي لكل مؤمن كامل الإيمان، فاضل الإيقان، شامل الاتقان في الإفضال والإحسان، فإن حال المؤمن دائرة بين الصبر والشكر. قال النبي ﷺ: «الإيمان نصفان نصف في الصبر، ونصف في الشكر».

﴿أَوْ يُوقِعَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ ﴿٣٤﴾

﴿أَوْ يُوقِعَهُنَّ﴾ ويهلكهن بإرسال الريح العاصفة المبددة المفرقة ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ أي بسبب كسب الأعمال القبيحة والأفعال الغير الفصيحة ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 34] أي يعفو الريح العاصفة كثيراً من الخلق ويعذبهم ويهلكهم بشامة فعالمهم وشامة خصالهم، وإسناد الفعل إلى (الريح) يجوز ومجاز مرسل من باب إسناد الفعل إلى السبب أو للإضمار أي ويعفو خالقها ومرسلها.

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾ ﴿٣٥﴾

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ وينكرونها على سبيل المكابرة، عطف على علة مقدرة أي لينتقم منهم ويعلم على تقدير النصب والرفع على الاستئناف والجزم على معنى إن يشأ يجمع من ثلاثة أمور: هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير قوم، أي وليعلم الله الذين يجادلون على وجه التكذيب في آياتنا ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [الشورى: 35] لا مخلص لهم إذا وقفت السفينة، وإذا عصفت الرياح يصير ذلك سبباً لإغراقهم فليس الإله النافع للإهلاك الواقع الرافع إلا الله المعبود الحق. لما ذكر دلائل التوحيد أرفدها تحقير الدنيا وتوبيخ من أثرها على الآخرة ونعيمها الباقية الشريفة وتعيير بأن آثروا الدنيا الدنية الفانية الحقيرة على الآخرة الشريفة الباقية العظيمة القدر.

﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمِنَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٣٦)

﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي أعطيتكم ورزقتكم من أمر حقير من ريش الدنيا وحطامها ومعاشها ﴿فَمِنَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي ما يتبع فيها من المطاعم والمشارب والملابس والمناخ التي هي في مطرح الزوال ومسرح الفصال والانفصال وزينتها وما يتحلى وما يتزين بها وما يتفاخر بها، وليس من زاد الآخرة ولا من مقدماته ومصالحه فلا يكون لها بقاء ودوام وثبات ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الأمور التي قدمها وأودعها عند الله من الخيرات الجارية، والحسنات السارية، إلى يوم القيامة، والطاعات والعبادات، والعلوم والمعارف، والإدراكات والأحوال والمقامات والمجاهدات المقتضية إلى المعاينة، والمشاهدات من التجليات، ودرجات الجنان ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: 36] في أمور الدنيا وأحوال الآخرة ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [المزمل: 20] الآية، وإنما دخلت الفاء في حيز الجملة الأولى لتضمن مبتدئها معنى الشرط دون الثانية.

﴿وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (٣٧)

﴿وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ أي الصغار والكبار، والمعصية الظاهرة والباطنة، أو الشرك والكفر ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ﴾ من حقوق الناس والأموال والدماء والعرض، عطف على (يجتنبون)، أي والذين ﴿يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: 37] ويتجاوزون وقت غضبهم، ويعفون ويتسامحون كالذين يتصرفون في ما لهم من الأموال والعرض والدية.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٣٨)

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ نزل في الأنصار حين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان وقبول أحكام الإسلام فاستجابوا وقبلوا هذه الدعوة وآمنوا بالله ورسوله وبما جاء به منه ودخلوا في الإسلام وقبلوا منه أحكامه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ وأقدموا على كل ما أمروا به في ذلك الوقت ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38] أي أمورهم دائرة بينهم

بالمشاورة من غير أن يستقل أحد منهم بشغل من الأشغال الدينية، وأن يستقل بفعل من الأفعال الدنياوية، وبعد ذلك يتوكلون على الله ﴿وَمِمَّا زَقَّاهُمْ يَفْقُونَ﴾ [الشورى: 38] على المستحقين من الفقراء واليتامى والمساكين وأبناء السبيل.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ (٣٩)

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ والظلم والعدوان والخروج على الوالي وأولي العهد ﴿هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الشورى: 39] على ما جعله لهم كراهة التذليل وهو وصفهم بالشجاعة بأن جعلهم منتقمين من ظالمهم بأن لا يتعدوا ويتجاوزوا عن الحد، فإن الله جعل المؤمنين صنفين: صنف يعفون عن ظالمهم كما مر ﴿وَإِذَا مَا عَضُّوا هُمْ يَفْقِرُونَ﴾ [الشورى: 37]، وصنف ينتصرون يجرون على ظالمهم إذا ظفروا عليهم ويأخذون حقوقهم والعيوض منهم مثل ما أجروا عليهم المساءة من غير زيادة حتى لا يكونوا ظالمين مجاوزين عن الحد ولا نقصان ليكونوا من المتظلمين، فإن الظلم والإنظام مذمومان والمساوي هو العدل، وبالعدل قامت السماوات والأرض والأقضية، وإليه الإشارة بقوله:

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الظَّالِمِينَ﴾ (٤٠)

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ في الكم والكيف ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ هذا هو ما اختص به المحمديون. عن كعب الأحبار قال في التوراة في السفر الأول: محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر. مولده بمكة، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام. قال الحسن: إذا كان يوم القيامة نادى منادي: من كان له على الله أجر فليقم ولا يقوم إلا من عفا ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: 40] هم الذين بدأوا وبادروا بالظلم.

﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (٤١)

﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ﴾ أي طلب النصرة من الغير في دفع الظلم عن نفسه ﴿بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ بعد ظلم الظالم عليه ﴿فَأُولَئِكَ﴾ المنتصرون ﴿مَا عَلَيْهِمْ﴾ ممن أجرى عليه منهم العقوبة ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: 41] بعفو أو ومؤاخذاة لأن ما صدر كان حقاً لا ظلماً.

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ  
أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤٢)

﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ﴾ وابتدأوا من غير سبق فعل منهم، ولذا قيل: البادي أظلم ﴿ وَيَبْغُونَ ﴾ ويسعون ويبتغون ﴿ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ويعملون فيها بالمعاصي والعدوان ويحدثون الخلق ويدعونهم إليها بالتواصي ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى: 42] جزاية الظلم.

﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (٤٣)

﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ ﴾ على الأذية وتحمل ما وصل إليه من الظلم والتعديّة ﴿ وَغَفَرَ ﴾ وعفى فلم يبادر إلى الانتقام، ولم ينتصر على من ظلم من الغير ﴿ إِنَّ ذَلِكَ ﴾ الصبر والعفو ﴿ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى: 43] التي أمر الله بها بالعزم وبالتوصية إليه بالجزم، فالصابر على ما يؤذيه فيفضي إلى ما يجزيه يرى ويعاين بصره الثواب أتم ثم أعزم وأحكم وأهم.

﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَائٍ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ  
يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (٤٤)

﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَائٍ ﴾ ومعين في ذلك الإضلال ﴿ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ أي بعد ظهور الإضلال وعرض الأعمال عند الله، وإجماع الخلائق بجميع العلائق، وتمام العوائق من المغارب والمشارك، في المحشر العظمى والطامة الكبرى ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ ﴾ من الجهال والعالمين ﴿ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ ﴾ حين معاينة العذاب ﴿ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [الشورى: 44] أي إلى مرجع ومكان يرد إليه ويعاد إليه من سبيل يوصلنا إليه لعله يتخلص من ذلك العذاب، ويتخصص بحسن الجزاء وجزيل الثواب.

﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ  
وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ أَلَّا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴾ (٤٥)

﴿ وَتَرَاهُمْ ﴾ [الشورى: 45] الكفار والظالمين، الفجّار والمشرّكين، المغدار

الغرار، الغير الكرّار ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي يطرحون على النار ﴿خَشِعِينَ مِنَ الدُّلِّ﴾ خاضعين في الغلّ، ناظرين إليه البرايا من الجزء والكل ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ﴾ أي من نظر ﴿خَفِيٍّ﴾ [الشورى: 45] يعني يخفون النظر إلى العذاب خوفاً منه، أو لكمال المذلة في أنفسهم لا يستطيعون رفع النظر لانتكاسهم ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: 12] كالعبد الذي أسلم نفسه لسيده وهو ينظر إليه نظراً خفياً، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ لتضييعهم إياها بأن صرفوها إلى أمور تكون وبالاً وذلاً وشقاوةً ونكالاً ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ لدعوتهم إياهم إلى ما كانوا عليهم أثر الضلالة والطغيان، والجهالة والخسران، وآثار الخسارة، وآثار الشقاوة والضرارة إنما تكون ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ويظهر عليه ضرار الذلة ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الشورى: 45] ثابت دائم محلّه لازم في عقاب عظيم.

﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ ءَٰوَلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ﴾

مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ﴾ في ذلك اليوم ﴿مِنْ ءَٰوَلِيَاءَ﴾ وأنصار وأعوان وأخلاء ﴿يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: 46] إلى الهداية، ولا برهان ودليل إلى مدار الهداية المفضية إلى دار السعادة.

﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ﴾

مَلَجًا يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّكَيرٍ ﴿٤٧﴾

﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ أي راد لذلك اليوم، أي يأتي من الله يوم لا يقدر أحد على ما قدر الله في ذلك اليوم، أي يوم القيامة، أو يوم الموت من العذاب وسكرات الموت، لا بالدفع بالكلية ولا بالنقص ولا بالتقديم ﴿مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ﴾ يقع به التخلص من الله تعالى والنجاء والأمان من العذاب ﴿مَلَجًا يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّكَيرٍ﴾ [الشورى: 47] في ذلك اليوم منكر ومانع ومغيّر، لأنه ما قدره الله في دفاتر أعمالكم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِلَّا أَلْبَلَعُ وَإِنَّا إِذَا  
أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ  
أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ ﴿٤٨﴾

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ أي الكفار عن اتباعك أو عن طاعتك ومطاعتك ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ  
عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ رقيباً تحفظهم عن الإعراض وتمنعهم عن الإضراب ﴿إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا  
أَلْبَعُ﴾ أي ليس عليك إلا تبليغ الرسالة وإيصال الأحكام والدعوة ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا  
وَأَشْرَبْنَا ﴿الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ وأنزل عليهم نعمة ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ إذ الإنسان عبد الإحسان  
﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي تتصل بهم بسبب اكتساب الأعمال  
الصالحة واجتلاب الأفعال الكالحة سيئة وحالة دنية توجب العذاب الأليم  
والعقاب العظيم ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ [الشورى: 48] كثير الكفر، كبير الكبر، ينسى  
النعمة، ويخشى الرحمة، ويمنع التأمل في المصنوعات، ويدفع التفكير في  
المبدعات، هذا الحكم وإن اختص بالمجرمين إلا أنه جاز إشارة إلى الجنس  
لغلبتهم واندراجهم فيه في تصدير الشرطية الأولى بإذا، والثانية بأن، إشعار بأن  
إذاعة النعمة وإزاحتها أمر محقق من حيث إنها عامة عادة، بخلاف إصابة البلية  
نحو: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾  
[الأعراف: 131] والآية، وإقامة الجزاء مقام الشرط، ووضع الظاهر مقام الضمير  
في الثانية دلالة على هذا الجنس، أعني نوع الإنسان موسوم بكفران النعمة.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا  
وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ ﴿٤٩﴾

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فله أن يقسم النعمة والبلية كيف يشاء ﴿يَخْلُقُ  
مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا﴾ ويريد ويختار في أي وقت ينفق ويوجد بأمره من غير  
إلزام وإيجاب، والتزام ومقام إعراض ومحل نقص وانتقاص ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ  
الذُّكُورَ﴾ [الشورى: 49] فلا يكون لا الذكور ولا الإناث لأحد إلا بإرادته ومشيتته،  
فيكون في نفسه منزهاً عن الولد والتولد والتوليد وأحوال العباد من التوليد  
والإيلاد وإنما يكون بإرادته ومشيتته.

﴿أَوْ يُرَوْجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ ﴿٥٠﴾

﴿أَوْ يُرَوْجُهُمْ﴾ ويولد لبعضهم ذكورا ﴿ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً﴾ كنبينا محمد ﷺ تولد له صنفان، ولإبراهيم تولد له ذكور ولا إناث، ولوط تولد له الإناث فقط، وذلك بإرادته ومشيئته ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ كعيسى عليه السلام ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ بحقائق الأشياء وأحوالها ولوازمها الذاتية والعرضية الوجودية ﴿قَدِيرٌ﴾ [الشورى: 50] على إيجادها وخلقها وإبداعها واختراعها.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ

رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ ﴿٥١﴾

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ أي ما يصح لإنسان كونه جامع عنصرى ﴿أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ بواسطة ملك، جبرائيل وميكائيل، الأولى مبدأ لظهور الأحكام الإلهية والأعلام النبوية والربوبية، والثانية لأحوالها كالأرزاق وما يتفرع عليها ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ﴾ البشرية ونقاب العنصرية ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ من جنس البشر إلى أشخاصهم ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ﴾ ويخبر هذا الرسول ﴿مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: 51] لمن يشاء، للإنس والجن، والتجلي الكلامي، وهو يكلم الحق بالخلق بالكلام الإلهي، وموسى الكليم قد اختص به، وأما محمد ﷺ قد تجلى الله له بجميع أنواع التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية ولأتمته، وقد أخبر عن جميع التجليات بلفظ عام يعم الكل بقوله ﷺ: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل». وأخبر عن شهود خصوصية التجلي الآثاري بقوله: «رأيت ربي في أحسن صورة شاب أمرد ققط»، وقال أيضًا: «رأيت ربي في أحسن صورة شاب ققط فقال لي: فيم يختصم المملأ الأعلى، فقلت: أنت تعلم أي ربي، هكذا إلى ثلاثة مرات، فقال لي: انظر، فنظرت في ملكوت السموات والأرض فقلت هذه الآية: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: 75]».

ربما يتجلى الحق ويتكلم لواحد من فقراء أمة محمد ﷺ في ساعة واحدة بل في أقصر ساعة، بل في آن واحد بتجليات غير متناهية، ويتكلم بكلمات إلهية من غير لفظ وحرف، وليس الخبر كالمعاينة.

## مبحث بيعة المصنّف للشيخ السيد محمد نور بخش

لَمَّا وَفَّقَنِي اللهُ لخدمة شيخِي وسَيدي وسندي، سيد محمد الملقب بنور بخش - قدس الله سرّه العزيز - فأمرني أولاً بالخدمة، ثم أجلسني بالخلوة وأمرني بالذكر الخفي، فلما بلغ خمسة أيام في الخلوة قد تجلّى الله لي على نحو لا يعلمه إلا الله فقال في حق حسام بدليسي: لا شبه له بكشف حالاته الكاملة، تجلّى عليه العلي العظيم ألوفاً ألوفاً، آدم يا كريم ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ﴾ عالي وفائق ومستعلي على عروش قلوب العارفين بأطوار شتى، وعلى هيئات أنوار لا تعدّ ولا تحصى ﴿حَكِيمٌ﴾ [الشورى: 51] حاكم على الطور السري بقبول التجليات الآثارية، وعلى الطور الروحي بشهود التجلي النوري والظهور العقلي والحضور التكويني، ومعاينة أنواع الخلق وأصناف الإيجاد والإبداع، وعلى الطور الخفي بظهور التجلي الإلهي والشهود الوصفي، وبمشاهدة الإدراكات الحضورية والصور العلمية الغير المتناهية، وعلى الطور الخفي وغيب الغيوب بالفناء في الله والاستهلاك الكلي والجزئي، وللكليات والجزئيات، ثم شرف العبد الفناء بتشريف خلقه بقاء، وبالتحقيق بذاته وبأسمائه في صفاته في الأدوار والأكوار الإفرادية الجمعية.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكَلِمَةُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا﴾ أي مثل أن أوحينا في الأدوار النورية والأكوار الظلية الإفرادية، أوحينا في الأدوار والأكوار الجمعية وجمعية الجمعية الأصلية والفرعية ﴿إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: 52] أي نوراً جمعياً وكماً نوعياً أصلياً وفرعياً، وتجلياً كلامياً متنوعاً مختلفاً بحسب المراتب في فردانية جمعية جمعية الأدوار النورية، وفي جمعية جمعية الأكوار الظلية.

واعلم أن التجليات الأسمائية والصفاتية بحسب المراتب في فردانية جمعية الجمعية الأدوار النورية لها أطوار مختلفة وأنواع متطورة، فإن التجلي العلمي في المرتبة الواحدية والجبروت إنما يكون بالعلم الشهودي الحضور في مرتبة الملكوت، وعالم الأمر والروح يكون بالعلم الروحي والعقلي، أو في عالم



البرزخ بالعلم الجناني، وفي العالم الشهادي ومرتبة الملك إنما يكون بالعلم الحسي في مرتبة الناسوت هي الصورة الجمعية والهيئة الكلية المعية، وكذا سائر الصفات سيما التجلي الكلامي، فإنه في مرتبة الواحدية. والجبروت إنما يكون من جنس الكلام النفسي الإلهي، كذا حروف عاليات لم يقل متنقلات في ذرى أعلى النقل، أنا أنت، ونحن أنت، وأنت هو، والكل هو، قل عمن وصل، وكذا في كل مرتبة يكون الكلام والحروف من جنس مقتضى تلك المرتبة إلى أن يصل إلى الناسوت، فإن الكلام الإلهي في هذه المرتبة إنما يسمع من جميع الجهات كما كان موسى عليه السلام يسمع من كل الجهات.

﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي﴾ في الأدوار النورية الإفرادية صريحاً ﴿مَا أَلْكَتُبُ﴾ أي التجلي الكلامي الجمعي الإلهي الظاهر في الأدوار الجمعية النورية ﴿وَلَا أَلِيمُنُ﴾ أي التجلي العلمي الكلي الذي نزل على المراتب إلى أن وصل إلى المرتبة الأخيرة التي انطبقت على المرتبة الأولى الكلية ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99]، ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ﴾ في المرتبة الأخيرة في نهاية الدورة الجمعية ﴿نُورًا﴾ جامعاً وظهوراً لا معاينة المعية ﴿نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ الواصلين إلى المرتبة الجامعة بين الإلهية والكونية الربوبية والعبودية ﴿وَإِنَّكَ﴾ [الشورى: 52] في الدورة الجمعية النورية ﴿لَتَهْدِي﴾ الأعيان النورية التي قد تطابقت المواليد الجنية الشيطانية بالمواليد الرحمانية الملكية، كما أشار إليه النبي ﷺ: «إن شيطاني قد أسلم بيدي لا يأمرني إلا بالخير»، ﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52] ومناطق قويم جامع لتمام الدورات الإلهية ومقتضاها.

﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ

### الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ﴾ أي الأدوار النورية الجمالية ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي الأكوار الظلية، والمراد من السماوات هي الأدوار والأكوار الإفرادية، ومن الأرض هي جمعية الجمعية للأدوار والأكوار ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ﴾ الذات الجامعة لتمام الأسماء والصفات ومقتضيات الدورات ﴿تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: 53] الدنياوية والأخروية في جميع الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية، قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة حمعسق كان يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له».



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل زخرف القول غرورًا لانتظام أمور الدنيا ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي قسم رحمته الامتنانية مطابقة لما جرى في الفطرة الأولى والدورة العظمى من المعاش الظاهرة والباطنة ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي حفظ أخلاءه الصادقين وأولياءه الواثقين من محبة الدنيا والإقبال إليها والتوجه لديها، وهم الذين ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62].

﴿حَمَّ﴾

﴿حَمَّ﴾ [الزخرف: 1] إشارة إلى الدورة العظمى النورية الجمالية.

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾

﴿وَالْكِتَابِ﴾ الحكيم الحاكم ﴿الْمُبِينِ﴾ [الزخرف: 2] أي ظاهر الحكم وبيّن الحكمة والعلم، إشعار بأن دنيانا تغاير دنيا سائر الأدوار، وأن أعيانها إنما هي الأعيان النورية العلمية الحكمية، وأن صورة الروح والنفس والجسم مختفية في اليقين العلمي ونعت القضاء والوصف الحكمي، ولذا وصف الكتاب بالحكيم، وكذا آخرتها تغاير سائر الأدوار وأن حشرها إنما هو حشر نوري ونشر حكمي.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ في الحضرة العلمية والنشأة الحكمية ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: 3]

إشارة إلى هذه الدورة والمرتبة جامعة لصور علمية شاملة لجميع الموجودات الجوهرية والعرضية، الفعلية والقولية، الجسمية والنفسية، والروحية والعقلية ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: 3] وتدركون على طريق التعقل الصريح بما ذكر إجمالاً، يعني أن شرط إدراك هذه الدورة إما هو العقل الصريح، وحقيقة الشهود الصحيح بالعقل الجزئي الجريح جمعية المولود الإنسي والمولود الجنى النفسى أي لكي يدركوا ويفهموا هذه الدورة النورية الصريحة ولمقتضياتها الصريحة ومرتضياتها الجريحة، وأسرارها وخصائصها، وعجائب أطوارها، وغرائب أنوارها، وعظمت تعيناتها، وجبروت تكويناتها الصريحة، وهي الأنوار الظاهرة، والجواهر النورية والفواخر العقلية، والملائكة العالية، والأكوان الضمنية السافلة التي تولدت معها وتواست بها، فكل عين من الأعيان النورية له توائم تولد معه دفعةً واحدة فتوأمات تمام الأنوار القاهرة العالية تسمى أهرمنيات، والأنوار المتوسطة المدبرة للأعيان السماوية توأمات مسميات بالأعيان، يظهر معها في الدورة الكبرى في فردارية اسم الحق كلما كانت تظهر الأعيان العالية بتوأماتها في توأماتها في فردارية تدبر اسم العليم، وكذا يتعين في الدورة الوسطى الأعيان المتوسطة البرزخية، والملائكة المدبرة، والنفوس المدبرة للأفلاك البرزخية، وكذا يظهر في فردارية اسم المرید الأفلاك الجسمية الجرمية، والعناصر الظلمانية، والمواليد الثلاثة الجسمية، وقبل ظهورها خلق الله الملائكة والعقول والنفوس وخلق الألسنة والجنانَّ والجنَّ والإنس وكل مولود إنسي تولد معه مولود من الجن، قال النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل عليه قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بخير» الحديث .

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ أي اللوح المحفوظ، والنفس الكلية، والعقل الكلي، فإنه أصل الكتب السماوية ﴿لَدَيْنَا﴾ محفوظاً عندنا ﴿لَعَلِيَّ﴾ أي رفيع وعالي الشأن .

واعلم أن بداية الأدوار الأربعة العظمى النورية والكبرى والوسطى،

والصغرى النورية الجمالية الوجودية الصريحة في كل منها هي الحقيقة المحمدية صريحاً وأصالةً، والماهية العلوية ضمناً وتبعاً، لأنهما متحدان حقيقة ومغايرتان اعتباراً، كما أشار إليه بقوله في خطبة البيان رواية عن النبي ﷺ: «إن أول ما خلق الله نوري، وأنا وعلي من نور واحد». وقال أيضاً: «أنا محمد المصطفى، وأنا علي المرتضى»، كما قال النبي ﷺ: «علي مني وأنا منه»، فإذا يجوز أن يعود ضمير (وإنه) إلى القرآن كما روي أنه قال: «أنا القرآن الناطق وهذا قرآن صامت» في واقعة معاوية.

﴿ فِي أُرِّ الْأَكْتَبِ لَدَيْنَا ﴾ أي إن القرآن عندنا لعلِّي وولايته ضمناً خفيًا في فردارية الدورة النورية الجمالية إذا كانت صريحة، وإذا انتقلت الدورة من النور إلى الظلّ ومن الجمال إلى الجلال الضمني انعكس الأمر وأصبح الظاهر باطنًا والباطن ظاهرًا، والدنيا آخرةً والآخرة دنيا، والولاية نبوةً والنبوة ولاية، وانعكس حكم علي وأنا منه ﴿حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: 4] يحتمل أن يكون بمعنى ذي حكمة بالغة وعلم ودراية وهداية كاملة وولاية شاملة ونبوة فاضلة، فيكون صفة للولاية إن كان بمعنى الأول، ووصفًا للنبوة إن كان بمعنى الثاني.

﴿ أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾

﴿ أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ الفاء للعطف على محذوف، أي أهملكم وأمهلكم فيضرب أي يعرض عنكم القرآن ونصرفه عنكم إعراضًا فيكون مفعولاً مطلقاً من غير لفظ أو مفعول له، وحال بمعنى صافحين معرضين. قيل: إنه بمعنى الجانب، فيكون طرفًا وحينئذ يحتمل أن يكون تخفيفًا صفح جمع صفوح بمعنى صافحين، والمراد إنكار أن يكون الأمر على خلاف ما ذكرنا من إنزال كتاب على لغتهم ليفهموه ﴿أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: 5] أي لأن كنتم مسرفين مشركين وهو علة مقتضية لترك الإعراض.

﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴾

﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا ﴾ للتكثير ﴿مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: 6] والأمم المتقدمين في الأزمنة المتقدمة والأدوار الماضية.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٧﴾

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الزخرف: 7] أي شأن هذه الطائفة وشيمهم مخالفة أمر الله وإنكار الرسل المبعوثه إليهم في الزمان السابق والآن الخالف تسليية لرسول الله ﷺ في مخالفة قومه واستهزائهم به .

﴿فَاهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأُولِينَ﴾ ﴿٨﴾

﴿فَاهْلَكْنَا﴾ قومًا أو أممًا كانوا في القرون السابقة والأزمة الفائقة ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ وأقوى مؤاخذه ومخالفة من قوم رسول الله ﷺ في مخالفة قومه واستهزائهم به فاهلكناهم ومضى وتقدم ﴿وَمَضَى مَثَلُ﴾ القوم ﴿الْأُولِينَ﴾ [الزخرف: 8] وحكايتهم وقصتهم عقوبةً وحلول بليتهم .

﴿وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ

الْعَلِيمُ﴾ ﴿٩﴾

﴿وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ﴾ أي سألت يا محمد قومك ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وما فيهما وعليهما من المخلوقات ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ﴾ القادر القاهر ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب على كل العالم ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: 9] بكل الموجودات والمعدومات بأحوالهما وأطوارهما إشعار بكمال عنادهم ووفور جهلهم وظهور مكابرتهم، وإنما ذكروا الله باسم العزيز العليم لكونهم في أنفسهم متفردين لدى ظنهم وزعمهم متعظمين فادعوا لأنفسهم العلم والدراية والإدراك والحكمة والاستدراك .

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ

تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٠﴾

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ أو متكأً ومستندًا ليستقروا فيها ويناموا عليها نوم الأطفال في المهد صفةً ثالثة لله ترتيبية على أهل الدنيا هم أطفال عالم الطبيعة، وأنهم رغباء سفهاء وخيلاء يشتغلون بما لا يعني، يلعبون فيها لعب الأطفال الحمقى ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ وبين لكم طرقًا، وجعل لكم في سلوككم فيها فرقًا، ونصب عليها دلائل ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ كي ﴿تَهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 10] إلى

مقاصدكم الدنيوية وإلى معالمكم الدينية ومقاصدكم الآخروية بالنظر فيها وبذل  
المجهود لديها .

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ

تُخْرِجُونَ ﴿١١﴾

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ بمقدار معين وكم متعدد لا يزيد ولا  
ينقص ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ﴾ وأحيينا بالماء ﴿بَلْدَةً مَيْتًا﴾ أي ما مات فيها من أصناف  
النبات والزرع والأشجار والأزهار والأثمار، وجعلنا منافعها منشورة منتشرة في  
أقطار البلاد وأطراف سكان العباد ﴿كَذَلِكَ﴾ أي مثل ذلك الانتشار ﴿تُخْرِجُونَ﴾  
[الزخرف: 11] أنتم يوم القيامة من الأرض منتشرة متفرقة منتشرة، فالقادر القاهر  
الحكيم الحاكم .

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأزواج والأصناف المزدوجة ﴿كُلَّهَا﴾ [الزخرف: 12]  
من كل نوع وصنف كما قال: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ﴾ [يس: 42] الآية، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ  
الْفُلْكِ﴾ الجارية في البحر ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ في البر ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف: 12] أي  
لركوبكم عليها، على تقدير (ما) مصدرية، أو لتركبوها فيهما على تغليب المتعدي  
بنفسه على المتعدي بغيره، إذ يقال: ركبت الدابة وركبت في السفينة، أو  
المخلوق للركوب على المصنوع له، أو الغالب على الشاذ، وكذلك .

﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا

سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾

﴿لِتَسْتَوُوا﴾ وتستقروا ﴿عَلَى ظُهُورِهِ﴾ أي ظهور مراكبكم، وإنما أفرد الضمير  
لكونه عائداً إلى ما وهو مفرد لفظاً وجمعه للمعنى ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ ظاهرة  
وباطنة ﴿إِذَا اسْتَوَيْتُمْ﴾ وتسلطتم واستعليتم ﴿عَلَيْهِ﴾ على المركوب بتسخير مراكبكم  
في البر والبحر، وتقولوا عند ركوب الدواب: ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا  
هَذَا﴾ المركوب ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: 13] مطيقين، من أقرن الشيء  
إذا أطاقه وحده قرينه إذ الصعب لا يكون قرين الضعيف رقيق الرعب، والقلب

والبدن النحيف بالتشديد، والمعنى واحد وعنه ﷺ: «أنه إذا كان رجله في الركاب قال: بسم الله، وإذا استوى على الدابة قال: الحمد لله على كل حال، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: 13].»

﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ ﴿١٤﴾

﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ أي فإننا بعد الموت الاختياري والنفوت الإرادي، أو الموت الطبيعي في القيامة الصغرى «من مات فقد قامت قيامته»، أو في القيامة العظمى ﴿لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: 14] منصرفون، وهذه متصلة بالآية السابقة لأن الركوب أعم من الركوب على المركب البدني الدنيوي والأخروي، أو البرزخي، فالراكب على أي وجه كان سيما على المركب الدنيوي لاستعلاء بدنه والتعظيم في نفسه الذي يورث الركوب في النار ولا بد لا يغفل عن الله، ولذا قيل: من ركب الدابة فقد نجا ومن تعدى عليها فقد هلك.

واعلم أن الله عيّن لكل ركوب ذكراً، فلركوب السفينة عيّن: ﴿بِسْمِ اللَّهِ جَرِّبُهَا وَمُرْسُهَا﴾ [هود: 41]، ولركوب الأنعام: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: 13].

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٥﴾

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ [الزخرف: 15] متصل بقوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ﴾ [الزخرف: 9] أي جعلوا له بعد ذلك الاعتراف جزاءً من عباده، ولذا قالوا: هو جزاء للرجل كما قالوا الملائكة بنات الله، ولعله سماه كما سماه بعضاً لأنه بضعة تلد بعد استحالته في مدارج الاستحالات دالة على كمال قدرة الفاعل الكامل في ذاته المستجمع بجميع أسمائه وصفاته ومن شأنه هذا منزه عن الولد والتوالد لاستلزامه الدور والتسلسل والمحال ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ لنعم الله ووفور حكمه وعموم إرادته وهجوم مشيئته ظاهراً وباطناً، صورة ومعنى، قال النبي ﷺ: «ابن آدم أنا خلقته فيعبد غيري، وأنا أرزقه فيشكر غيري» ﴿مُبِينٌ﴾ [الزخرف: 15] ظاهر الكفران ومن ذلك قيل نسبة الولد إلى الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

﴿أَمْ أَلْخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ يَا بَنِيَّ﴾ ﴿١٦﴾

﴿أَمْ أَلْخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ﴾ وأثركم واختاركم ﴿يَا بَنِيَّ﴾ [الزخرف: 16] تشنيع وتوبيخ عليهم وإنكار لهم على ما قالوا:



﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ

كَظِيمٌ ﴿١٧﴾

بأنه ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ﴾ بالأنثى اشتدَّ غمّه وامتدَّ حزنه وهمّه ﴿بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ وكان ﴿ظَلَّ﴾ وصار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ وسوادًا في الغاية وقلبه ممتلأ من الحزن ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف: 17] صاحب غيظ وألم أطيح ويتشاءمون بها ويتطيرون بقدموها .

﴿أَوْ مَن يُنَشِّئُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾

﴿أَوْ مَن يُنَشِّئُ﴾ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين أي يكبر وينبت ويكثر ﴿فِي الْحِلْيَةِ﴾ أي الزينة في طلب النساء ومقتضى طبيتهن ومرضى طبيعتهن الزينة واتخاذ الحلي لنقصان عقولهن وقصورهن في الفهم والإدراك، وفي من يليه وجوه الرفع على الابتداء أو على الخبرية للمبتدأ المحذوف والخفض ردًا على قوله على الموصول في مما يخلق أو بما ضرب الرحمن مثلاً أي إذا أخبر أحدكم ببشارة بما ضرب مثلاً وبين وأظهر للرحمن الولد أنثى أي لجنس الأنثى والحال أن الولد لا بد وأن يكون مثل الوالد والوالدة في الصورة والشكل والصفة، والله منزّه عن الشكل والصورة، فكيف يكون له ولد. وأما نصبه فعلى المدح ﴿وَهُوَ﴾ عائد إلى الموصول ولذا ذكر من ينشأ وتكرير الحلية ﴿فِي الْخِصَامِ﴾ والخصومة والمكابرة والمجادلة ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: 18] مظهر للحجة والبرهان على دعواه لنقصان عقولهن وطغيان نفوسهن، فكيف يختار القادر الحكيم الإناث وأنتم لا ترضون بهنّ .

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ

سَتَكُنُّنَّ شَهِدَاتُهُمْ وَيَسْتَلُونَ ﴿١٩﴾

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ﴾ وأشرفهم وأعرفهم وأعلمهم ﴿إِنثًا﴾ ناقصات العقل والدين، سخيفة الرأي والإيمان واليقين ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: 19] استفهام للإنكار، أي أنتم كنتم عند الله حاضرين حين الخلق وأشهدكم الله وأعلمكم وعلمكم مراتب المخلوقات ودرجات فضائل المكونات،

وشرف الممكنات، فتشهدون على ما اختاره الله لنفسه البنات ولكم البنين ﴿سَتَكْتُبُ سَهَدَتَهُمْ﴾ التي أشهدكم في بداية خلقه على ما أراد في بدء الفطرة وابتداء الخلقة وكيفية الصنعة، وهم ﴿وَسُئِلُونَ﴾ [الزخرف: 19] يوم القيامة في المحشر العظمى عن أداء الشهادة وكيفيةها.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾

﴿١٥﴾

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ عدم عبادتنا الملائكة ما عبدناهم طرفة عين، فاستدلوا على امتناع النهي عن عبادة الملائكة بنفي مشيئة عدم العبادة وذلك بطلان المشيئة هي ترجيح بعض الممكنات على بعض في الوقوع في بعض الأوقات المخصوصة ببعض الأحوال مأمورًا كان أو غير مأمور منها لا العدم ولذلك جهلهم بقوله: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ الترجيح والتخصيص، نفى مطلق العلم عنهم بقوله: ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ (من) للاستغراق أي ليس لهم بذلك علم أصلاً لا ظاهراً ولا باطناً ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزخرف: 20] يتمحلون تمحلاً باطلاً، أو ما هم إلا كاذبين كذباً صريحاً ومفترين افتراءً صحيحاً في قولهم بأن الله رضي منا بعبادتنا إياهم، وقيل: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ في قولهم: إن الملائكة إناث بنات الله.

﴿أَمْ أَلَيْنَٰهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾

﴿أَمْ أَلَيْنَٰهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ﴾ [الزخرف: 20] أي قبل نزول القرآن بأن يعبدوا غير الله، فإن قيل: والحال على ما قالوا لأن أفعال الأنام والمخلوقين من عباد الله المؤمنين والمشركين، بل ضمائرهم ومشيتهم إنما هي بخلق الله ومشيتته وقضائه وإرادته ﴿وَأَللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: 96]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: 30] الآية، بل علمهم بالأفعال والأعمال وبتمام الأفعال إنما هو بتعليم الله وإعلامه كما تقرر من أن الله تعالى عقيب أعمال الحواس الظاهرة والباطنة وترتيب مقدمات القياس، وتركيب موارد المعارف ومبادئ القول الشارح بخلق الله تعالى الإحساسات والإدراكات الحسية والدرايات النفسية إما وجوباً كما ذهب إليه الحكماء المتألهون أو عادة كما اختاره الملوك سيما

السموات أو توليداً كما صرّح به أهل الاعتراف ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَسْكِنُونَ﴾ [الزخرف: 21] قلت: نعم الحال على ما ذكروا إلا أنهم قالوا ذلك على سبيل التقليد لا التحقيق والتأييد، وهم قد ادعوا في هذا المقام التحقيق، فقد كذبوا في دعواهم التحقيق والتحقق بأن قالوا: قد جاءنا كتاب ونحن به مستمسكون في مطلبها وهم كاذبون في تلك الدعوى.

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٢٢)

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ إضراب وذكر فإنهم كالمتحير المتردد والغريق المتشبث بكل حسيس متبدد ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 22] وإلى مصانعهم وآثارهم مقتدون تسلية لرسول الله ﷺ على أن التعليل في نحو ذلك ضلال قديم ووبال عميم، وأن مقدمهم ومقتداهم أيضاً ضالون لم يكن لهم سند ولا سيد لهم إليه مستند، فإذن لا حجة لهم على ذلك لا عقلية ولا نقلية، بل احتجاجهم فيه ليس إلا التقليد المحض والتقيد الصرف.

﴿وكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا

آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ (٢٣)

﴿وكَذَلِكَ﴾ أي مثل القوم الذين اقتديتم بهم ولم يكن فيهم رسول الله فإذا جاءهم أنكروه ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ﴾ نبي مرسل ﴿نَّذِيرٍ﴾ مخوف بعذاب القبر والقيامة ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ متنعميها من أشرافهم وأغنيائهم ورؤسائهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ وطريقة وملة أو على طريق طائفة من المتقدمين ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23] الأولى عبارة عن الدورة النورية العظمى العلمية التي بها العلم، والثانية الدورة الكبرى النورية إشارة إلى أن مقتضيات الأدوار متطابقة ومرتضياتها متوافقة، وأن اقتضاء الدورة العلمية إنما هو الهداية والصواب والدراية وتتبع سائر الأدوار.

﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا

أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٢٤)

﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ﴾ [الزخرف: 24] بدين وطريق اعتقاد حق وكمال

يقين بأن يقتضيه سلطان فردارية العلم، فأعيان الأدوار الباقية إن كانت على مقتضى فردارية العلم واقتدوا به كانوا عليّ هداية وصواب وصدق ودراية، وإن كانوا على غير ذلك ﴿مَمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ من مقتضيات العلم ومرتضياته ﴿كَفِرُونَ﴾ [الزخرف: 24] لعدم مطابقة اقتضاء المولود الجني الظلي الجلالي بارتضاء المقتضى الإنسي النوري الجمالي كما أشار إليه النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وله قرين من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، إلا أن الله تعالى أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير».

﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُمُ ۖ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُمُ﴾ وعاقبناهم عقوبة شديدة ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الزخرف: 25] وعقوبة القوم المعاندين والرهط المكابرين.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ ذكر زمان قوله ﴿لِأَبِيهِ﴾ [الزخرف: 26] أزر ﴿وَقَوْمِهِ﴾ [الزخرف: 26] الذي أرسله الله إليهم وعدم التفاته إلى ما كانوا عليه من التقليد الفاسد والتقييد بالمنهج الباطل الكاسد، بل تمسك بما قاله الله من تمهيد دين الحق وتشديد بناء الطريق الواضح، الحنيفية البيضاء والملة المستحكمة الغراء بينها إلى أن طريق العقلاء هو الاقتداء بالنواميس الإلهية المؤيدة بالمعجزات الباهرة وخرق العادات الظاهرة كما ظهرت منه لدى التحري بالتحدي والمعارضة، كما فعل به نمرود، والاقتداء بقانون العقل الصريح بالاستدلال بالدليل الصحيح والبرهان الفصيح كما ظهر منه وصدر عنه في بداية الحال، حكى الله عنه وأشهده ملكوت السماوات والأرض، وأيده بطريق النظر والكشف ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ أَيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ إلى قوله: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 78-80]، و﴿إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: 9]، وقال: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: 26] من المعبودات الباطلة والمحدودات العاطلة والمورودات الباطلة.

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي﴾ ﴿٢٧﴾

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: 27] والخالق القادر الذي خلقني، استثناء منقطع

أو متصل على أن يعم ذوي العلم والإدراك وغيرهم من أولي الإنعراك، أو إنهم يعبدون الآلهة ويتخذون الأوثان إلهاً أو صفة على أن (ما) موصولة، أي إنني براء من آلهة تعبدونها إلا الذي فطرني وخلقني ﴿فَإِنَّهُمْ سَيِّدِينَ﴾ [الزخرف: 27] ويرشدني .

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٧٨)

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾ أي إبراهيم ملكة الهداية الثابتة والدراية الثانية، ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾ شافية في القلوب حتى يبقى أثرها من الدهور والأكوار وكرّ الشمسوس والبدور ﴿فِي عَقِيهِ﴾ وذريته وأحفاده من الأنبياء والأولياء والحكماء والأمراء والعرفاء والفقهاء، فتكون تلك الهداية في الملة البيضاء، والنحلة الغراء، باقية تشفي القلوب بماء حياة التوحيد، ويصفي أسمع سرّ الغيوب بزلال التفريد ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: 28] من غياهب الظلمات والتقليد وغرائب كدورات التقيد إلى نور الحق وظهور أمر الدين للخلق .

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَقًّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ (٢٩)

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ المعاصرين للرسول، القاصرين في قبول الحق وإظهاره لجمهور الخلق ﴿حَقًّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: 29] ظاهر النبوة، باهر الرسالة، شاهر الولاية، أو تبين من التوحيد وتعين الأحكام والتجديد بالحجج الواضحة واللجج الموضحة .

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣٠)

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ بالكتاب الفصيح عن الحكم الثابت ﴿قَالُوا هَذَا﴾ الرسول أو الكتاب ﴿سِحْرٌ﴾ يجعل الباطل حقاً والعمل حتماً، والمماطل المظلم ضياء وبرقاً ﴿وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف: 30] ومنكرون وجاحدون .

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١)

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ﴾ يعني الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي ﴿مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ﴾ وأحد الموضوعين مكة والطائف ﴿عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: 31] بالجاه والمال والبنين، والجاه والمنازل، فإن الرسالة أعظم المناصب وأكرم المناقب لا يليق ولا يجري ولا يليق به إلا من هو ذو نفس كاملة وشريفة فاضلة،

وصاحب مشاهدات غير متناهية .

﴿أَهْرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ<sup>٤</sup> نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا<sup>٥</sup> وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِرِيًّا<sup>٦</sup> وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿أَهْرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ<sup>٤</sup>﴾ أي النبوة الذاتية التشريعية والتعريفية، إنكار فيه تجهيل وتعجيب وتقبيح في حكمهم الباطل وجرمهم العاطل ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ﴾ حسبما يقتضيه القضاء الأزلي والحكم الأولي ظهورها ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ والنشأة الأدنى، وإنما غير أسلوب الكلام بينهما على أن عقولهم وأرواحهم بمعزل عن الأول لانغماسهم في ظلمات الطبيعة وأنهم لكونهم عاجزين عن تدبير المعاش وتقديره نفى جميع التصرفات عنهم وأضافهما إلى نفسه ونزلهم منزلة البهائم بل الجماد ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ في استيفاء الرزق وكميته وكيفيته وسهولة تحصيله وحلاله وحرامه وغير ذلك من الأحوال، وكذا في غيره من الأمور الظاهرة والباطنة ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِرِيًّا﴾ مسخرة، أو يستخدمهم في الحوائج وتحصيل الحوائج ﴿وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ من حطام الدنيا التي خلقها لمعاشكم وانتظم أحوال انتعاشكم من الأغذية والأشربة والأدوية والألبسة والأمكنة والأهوية وغير ذلك مما ينظم أحوال المبدأ والمعاد والمعاش ﴿مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: 32] ويدخرون بلا إنفاق منه .

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ولولا كراهية أن يجتمعوا على ملة واحدة وهو الكفر، وينطبقوا عليه ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا﴾، ﴿بِالرَّحْمَنِ﴾ متعلق بـ﴿يَكْفُرُ﴾، و﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾ بدل من لـ﴿يَكْفُرُ﴾ بدل اشتغال، أي لجعلنا لحقارة زهرة الدنيا عند الله للكفار بيوتًا ذات سقوف مرفوعة وسرر موضوعة ﴿مِّنْ فِضَّةٍ﴾ وذهب وجعلنا لهم زخرفًا ﴿وَمَعَارِجَ﴾ وممارق ومصاعد ﴿عَلَيْهَا﴾ أي موضوعة على البيوت ﴿يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: 33] يستعلون عليها .

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرُرٌ عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ﴾ ﴿٣٤﴾

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرُرٌ﴾ أي فيها أرائك ﴿عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ﴾ [الزخرف: 34].

﴿وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُنَّ لَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ

لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣٥﴾

﴿وَزُخْرُفًا﴾ وزينة وحلية، عطف على سقف أو على محل من فضة ﴿وَإِنْ كُنَّ لَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ المذكور من الحطام وما يتبعها من الزخرف ﴿لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ومبتغاها ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ وما فيها من النعم وشهود اللقاء، ومشاهدة التجلي بأنواعه، وهو الذاتي والصفاتى والأفعالي والآثاري ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ لتقدسها عن الكدورات وبقائها وشرفها، ونقائها عن ألوان الطبيعة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: 35] منخضين بحدسهم عن مخالفة مراد الله ومرتضاه، وفيه دلالة على أن التعظيم والكرامة والتكريم إنما هو في الآخرة لا في الدنيا لأنه يفضي إلى العصيان والفسق والكفران والجور والطغيان المؤدي إلى كمال المذلة والخسران يوم القيامة عن الجنة والرضوان.

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ ﴿٣٦﴾

﴿وَمَنْ يَعْشُ﴾ ويعرض ويبعد ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ [الزخرف: 36] وشهوده ناشئاً عن التوغل في أمور المعاش والانغماس في أمور الانتعاش ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 124] الآية، ﴿نُقِيضُ لَهُ﴾ من القيض وهو الظهور، وهو جمع متكلم من التفعيل، أي يظهر من انغمس في أمور الدنيا من المال والجاه والمناسك والأولاد غاية الامتثال ﴿شَيْطَانًا﴾ ويجعل له صاحباً فأغشاه وشغله عن ذكر الله ﴿فَهُوَ﴾ أي الشيطان ﴿لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: 36] حين الولادة إذ كل مولود إنسي يولد معه قرين من الجن كما قال النبي ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا وقد وكل به قرين من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير»، وفي رواية: «فهو قرين وقريب لا يفارقه أصلاً». روي أن الكافر إذا بُعث يوم القيامة من قبره أخذه شيطانه بيده ولم يفارقه حتى يدخله إلى النار.

﴿وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٣٧)

﴿وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي الشياطين يمنعون ابن آدم عن طريق الحق والإسلام ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ أي بنو آدم ﴿أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 37].

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَسَّ الْقَرْيَةَ﴾ (٣٨)

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾ العبد، وحينئذ ﴿قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَسَّ الْقَرْيَةَ﴾ [الزخرف: 38] أنت يا شيطان. عن أبي سعيد الخدري: إذا بعث الكافر راح واقرن بقرينه من الشيطان فلا يفارقه حتى يصير إلى النار. هذا بيان تحقيقه مصيره الدنيا وحبها وحب ما فيها من الأموال والمناصب والجاه وجهاتها تجعل للعبد بعداً وتعميه عن شهود الحق وتجلّيه.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَلَمْتُمْ أَنكُم فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (٣٩)

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ﴾ الخطاب للإنسان وقرينه الشيطان، يعني لا ينفع لكم في يوم القيامة الندامة ﴿إِذ ظَلَمْتُمْ﴾ لأنكم ظلمتم في الدنيا على أنفسكم وعلى غيركم ﴿أَنكُم فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الزخرف: 39] لأنكم قد ظلمتم أنفسكم. وإذا قرئ بفتح الألف يكون فاعلاً لينفع، أي لا ينفع الاشتراك في تخفيف العذاب لابن آدم ولا الشيطان، وإن قرئ بالكسر تكون إذ ظرفاً لقوله: ﴿يَنفَعَكُمُ﴾، وإن لعدم النفع يعني إن اشتراككم في العذاب يمنع النفع في تخفيف العذاب لأنهما لكونهما ظالمين استحقوا العذاب، فتخفيف العذاب عن أحدهما دون الآخر ترجيح بلا مرجح، وفيهما انجلت الحكمة إذ الغرض من تعذيب العباد إصلاحهم وتركيبهم من الأوصاف الرذيلة والهيئات الدنية كما كانوا في بدء الفطرة في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأنعام: 172] متقدمين عن الملكات الرديئة والصفات الذميمة ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَرَكَّبْتُمْ مَا حَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: الآية 94] فعلى هذا التقدير فاعل لن ينفعكم.

أما معنى: ﴿إِذ ظَلَمْتُمْ﴾ [الزخرف: 39] هو الوقت والزمان والمقدر كما أشرنا إليه، أو مضمون ينفع على تضمنه معنى الوقوع والظهور أي لا يقع ولا



يظهر لكم النفع في ذلك اليوم، وهذا نظير: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: 94] أي ظهر ووقع التقطع والانقطاع.

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْىَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ [الزخرف: 40] والطَّرْشُ الذي فطرهم الله عليه ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: 30]، ﴿أَوْ تَهْدِي الْعُمْىَ﴾ [الزخرف: 40] الفطري ﴿فَأَنْتَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ أُمَّدَّ بَيْنَ﴾ [الروم: الآية 52] الآية، ﴿وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزخرف: 40] عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين، فيه إشعار بأن الموجب للعمي تمكنهم في ضلال لا يخفى.

﴿فَأَمَّا نَذَهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾

﴿فَأَمَّا نَذَهَبَنَّ بِكَ﴾ وقبضناك قبل نصرك وظفرك على الأعداء (ما) مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استخلاف النون المؤكدة ﴿فَأِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ [الزخرف: 41] بعدك في الدنيا والآخرة بنصرة خلفائك كما فعلت بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، فإن بعد وفاة النبي ﷺ قد خرج اثنا عشر رجلاً على المسلمين فتبينوا منهم مسيلمة الكذاب وأسود العنسي وادَّعوا النبوة، فنصر الله تعالى أبا بكر وأهلكهم بيده، وفتح ملك مصر، وبعض العرب، وظفر عمر بعده فسخر ملك الروم والعجم وأهلك ملوك العجم وفتح ملكهم إلى نهر أمو، وبعد قتله نصر عثمان وفتح ملك ما وراء النهر إلى كاشغر، وإذا انتهى إلى فتح البلاد وقتل الخوارج وأهل العناد، وهكذا أعزَّ الله الإسلام ورفع أعلام الدين.

﴿أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾

﴿أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ﴾ أي أردنا أن نريك ما وعدناهم من العذاب في الدنيا من القتل والسبي والإجلاء عن الوطن وغير ذلك ﴿فَأِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الزخرف: 42] إكمال لتسليمة الرسول ﷺ بأنه تعالى يقتدر على انتقامهم وإمضاء الأحكام الدينية وإعلاء الأعلام الإسلامية.

﴿فَأَسْتَمِسِّكَ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾

﴿فَأَسْتَمِسِّكَ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن وأحكام الغفران واعمل بها، وأمر بالعمل ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: 43] وعلى دين قويم، فكل من استمسك به واستسلكه فاز بالسعادة الأخروية وجاءته الدولة الدنيوية.

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ وشرف خاص بك ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾ ولمن تبعك ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ عن القرآن وكيفية العمل به والذكر الجميل الذي يحصل من العمل والعلم به، فإنه قائم مقام الحياة الشريفة بل أشرف وأفضل منه إذ آثاره الجميلة باقية في الدنيا والآخرة، ولذا سأل إبراهيم بقوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: 84] واجعلني من ورثة الجنة والنعيم.

﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً

يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ من إبراهيم وصحفه، وموسى والتوراة، وداوود والزبور، وعيسى والإنجيل ﴿أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: 45] استفهام على سبيل الإنكار، يعني هل جعلنا وحكمنا في الملة السابقة والأمة السابقة بعبادة الأوثان وعبادة الأصنام وأهملنا التوحيد وأهملنا التوعد والزجر والتهديد في وقت من الأوقات وزمان من الأزمان في عهد نبي من الأنبياء وولي من الأولياء، إشارة إلى أن عبادة الأوثان وطاعة الأصنام ليست إلا من شيم الجهال الذين لا عقل لهم ولا نقل لهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ أي المعجزات السبع والتوراة، ومنها العصا والدم والطوفان والجراد والقمل ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ وأشرافه وأعيانه وأركان دولته ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزخرف: 46] الغرض من هذا الاقتصاص

تسليته الرسول ومناقضة أقوالهم: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبِينَ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: 31]، والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام إلى التوحيد بأنواعه، وهي التوحيد الذاتي والصفاتى والأفعالي والآثاري.

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَصْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَصْحَكُونَ ﴾ [الزخرف: 47].

﴿ وَمَا نُزِّيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَهُمْ بِالْعَذَابِ

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

﴿ وَمَا نُزِّيهِمْ مِّنْ آيَةٍ ﴾ من آياته العظمى وبيناته الكبرى ﴿ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ أي الباقية منها، إشعار بأن الآيات الإلهية وإن كان معادنها واحدة إلا أنها بحسب التأثير ومن حيث التصريف والتأثير متفاوتة الدرجة، فإن (آية) تكون بالنسبة إلى عموم الخلق كفلق البحر وغرق الكل أعظم درجة وأكبر نتيجة من اليد البيضاء وصيرورة العصا ثعباناً، وعلى هذا القياس ﴿ وَأَخَذْنَهُمْ بِالْعَذَابِ ﴾ كالدم والجراد والضفادع ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: 48] من الكفر والمعصية والشرك إلى الإيمان والطاعة وكمال الإيقان.

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ﴾ تسمية موسى ساحر إما بناء على المتعارف المشهور من تسمية العالم النحرير والماهر التدبير ساحراً، قال النبي ﷺ: «إن من البيان لسحراً»، أو لكمال وفور حماقة أو بناء على زعمهم الفاسد واعتقادهم الكاسد ﴿ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: 49] نظراً إلى الوجه الأول بأن يكشف عنا العذاب.

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ ﴾ في الدنيا ﴿ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ [الزخرف: 50] وينقضون

العهد وينقضون الوعد بالافتداء والمتابعة والافتقاء.

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ﴾ بنفسه وبمتابعة الغير وترجمانه ونيابته ﴿فِي قَوْمِهِ﴾ وأشياعه وأشرافه وملاه بعد كشف العذاب المعدود والعقاب الموعود مخافة أن يؤمنوا كلهم أو بعضهم بموسى ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ يعني الأنهار التي فصلوها وفرزوها من النيل وأعظمها أربعة: نهر الملك، ونهر طولوط، ونهر حباط، ونهر يلبس، كانت هذه الأربعة من الأنهار التي تجري من تحت قصره ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: 51] هذه الأنهار الجارية تحت قصري فتعظّموا سلطاني، فتلك هي حجتي وبرهاني ويجلو حالي وشأني.

﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾

﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ بهذه الحالات الشريفة والكمالات الأنيفة، والملكية الليفة، والبسيطة الكثيفة ﴿مِّنْ هَذَا﴾ الرجل ﴿الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير لا شيء معه حتى إنه عاجز في جميع الأمور سيما ما هو ملاك المقاصد وإكمال المراد، يعني الكلام إن فرعون قد أهان موسى وحقّره بأنه لا يليق بمصر وأنا أحق منه، (أم) إما منقطعة والهمزة فيها للتقرير، أو متصلة على إقامة المسبب مقام السبب. والمعنى أفلا يتعرفون أحوالي وكمال حكمتي وتمايم بسطتي إني خير وأليق من موسى لمُلك مصر وولايته، والحال أنه ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: 52] أي لا يقدر أن يبين ويظهر عن المطالب الظاهرة والباطنة، ولذا سأل الله تعالى بقوله: ﴿لِزِيكٍ مِّنْ ءِٰتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [الآيات 23 - 28] الآية.

﴿فَلَوْلَا أَلْتَمَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿فَلَوْلَا أَلْتَمَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ إذ عادة القوم قد جرت بأنهم إذا جعلوا واحداً منهم رئيساً أو واحداً فيهم مقدماً وأسساً سوروه مسوراً بسوارين من ذهب وفضة، وكذا طوقوه بطوق من ذهب، فإذا فرعون قد طلب هذه الحالة قياساً للنبوة على الإمارة والسلطنة والإيالة ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: 53]

ومقارنين معه في الوجود ليصدقوه ويقاتلوا الخلق على صحة دعواه النبوة.

﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ ﴿٥٤﴾

﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ﴾ أي طلب منه الخفة والسهولة في أمر الدعوة والإطاعة ﴿فَأَطَاعُوهُ﴾ فيما أمرهم به من الأحكام الإلهية والأعلام الدينية، والحال إن القوم قد تخلفوا عنه واختلفوا فيه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا﴾ وطائفة ﴿فَسِيقِينَ﴾ [الزخرف: 54] من شأنهم الفسق والخروج عن طاعة الله ومطاعة أمره وإطاعة حكمه.

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٥٥﴾

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ اغتضبونا بالإنفراد في العصيان والعناد منقول من أسف إذا اشتد غضبه وامتد تعصبه وعصبه ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ وأجرينا الانتقام والعذاب عليهم ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: 55] في اليم.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ ﴿٥٦﴾

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: 56] جمع سالف من سلف إذا تقدم وضده خلف. وقرئ بضم السين جمع سليف كرغف جمع رغيف.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ ﴿٥٧﴾

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ عيسى عزة وخلقا ﴿مَثَلًا﴾ [الزخرف: 57] أي ضرب الله ابن مريم وبينه مثلاً وقصةً وحكاية لسر الألوهية والتوحيد بأن الألوهية والربوبية لا تليق إلا بالذات الواحدة المنزهة عن نعوت الأجسام ونعوت الأجرام من الولد والتوالد، وبقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: 98]، وقد عبت النصارى عيسى زاعمين بأنه ابن الله، والحال إن الملائكة لتجردهم عن الصفات البشرية والهيئات العنصرية أحق بذلك، وأن الحقيقة المحمدية لكونها أقدم وأتم وأعم أليق بالعبودية ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ﴾ أي قريش من هذا المثل ﴿يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: 57] إذا كان الحال كذلك فإن قومك من هذا المثل والقصة يفرحون فرحاً ويضحكون ضحكاً لظنهم أن الرسول ﷺ صار ملتزماً به بأن يعبد كما عبد عيسى، يصدون من الصدود وهو الامتناع والإعراض.

﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ

خَصْمُونَ ﴿٥٨﴾

﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أي آلهتنا خير عندك أم عيسى، فإن كان في النار فلتكن آلهتنا معه أو آلهتنا والملائكة، فإذا جاز أن يعبد ويكون ابن الله في النار كانت آلهتنا أولى بذلك، وآلهتنا خير من محمد لنعبده وندع آلهتنا ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ ما ضربوا هذا المثل إلا لأجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصْمُونَ﴾ [الزخرف: 58] شدادون في الخصومة، سدادون باب النعمة.

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إِنَّ هُوَ﴾ أي محمد وعيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: 59] ينعم الوجود كسائر العباد حيث جعلناه كآدم آية بأن خلقناه من غير سب فآدم أعجب منه لوجوده بلا سب من أم وأب.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجْعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَلَوْ نَشَاءُ﴾ أمورًا عجيبة وطورًا غريبة ﴿لَجْعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ لولدنا منكم وأظهرنا أشخاصًا كثيرة وأفرادًا غفيرة بلا أب كخلق عيسى بلا أب وأم، فإن من اقتدر على خلق فرد بلا سب اقتدر على أسباب، أو نجعل ﴿مَلَائِكَةً﴾ بدلكم ﴿فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ [الزخرف: 60] ويحكمون على وجه الأرض بل في السماوات والأرض كما تحقق من أن الله تعالى خلق في فردارية الدورة العظمى النورية الوجودية الجمالية أعيانًا عظيمة وأكوانًا جسيمة لا يعلم عظمها وعجائبها إلا الله وهي الملائكة، وكذا خلق من نوبة فردارية الكورة العظمى مخلوقات عظيمة وأكوانًا عجيبة لا يعلم كميتها ولا كيفيتها إلا الله وهي الإهرمينات التي هي غيب الملائكة وباطنها يزينها باطن العلم وغيبه، وهكذا يخلق الله في الدورة الكبرى والوسطى النورية والوجودية، وفي الكورة الكبرى والوسطى الظلية الجلالية العدمية الإفرادية، مخلوقات لا يعلم كنه حقائقها كمًا وكيفًا، وعجائب وغرائب إلا عالم الغيب والشهادة، وبداية كل دورة وكورة ونهايتها هي آدم عليه السلام.

قال النبي ﷺ: «إن الله خلق آدم في سبعة أماد، والأمد هو الدهر الطويل لا

يعلمها إلا الله ونحن في الأمد الأخير».

﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمَّزَّتْ بِهَا وَأَتَّبَعُونَ هَذَا صِرْطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي عيسى ونزوله وظهوره علامة وأمارة وولاية على ظهور الساعة، وفيه القيامة يدل على قدرة الله وحكمته ووفور مشيئته وكمال إرادته. قيل: الضمير للقرآن، قال النبي ﷺ: «يُنزل الله عيسى على أرض مقدسة يقال لها أفيق، ويبيده حربة وبها يقتل الدجال، ويأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والإمام يؤم بهم فيتأخر الإمام فيتقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويحرق البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن». ﴿فَلَا تَمَّزَّتْ بِهَا﴾ فلا تشكوا بها، هذا من مقال عيسى ﴿وَأَتَّبَعُونَ هَذَا صِرْطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: 61] أي اتبعوني فيما أمرتم به من تكميل دين محمد ﷺ، فإن هذا الدين صراط قويم وسبيل مستقيم لا عوج فيه.

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ ولا يمنعكم عن متابعتة ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: 62] ظاهر العداوة وشديد الخصومة بأنه أخرجكم من الجنة وأوقعكم في الظلمة والغفلة.

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأَيِّنَ لَكُمْ بَعْضُ

الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ في البعثة الأولى بالمعجزات وخرق العادات أو بالآيات الإنجيلية والشرايع الواضحات المليية ﴿قَالَ﴾ عيسى ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ البينة والنحلة المبينة من الصفات الإلهية والأسماء الذاتية والأفعالية وتجلياتها ﴿وَلِأَيِّنَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف: 63] في أمر الدين الذي يتعلق بكيفيات الأعمال التي هي مطية الآخرة، يعني أن قوم موسى كانوا قد اختلفوا في أشياء من أحكام الشريعة وأعلام الطريقة واتفقوا على شيء من الحكميات الإلهية وهي ذات الله وصفاته وأسمائه وأفعاله، فجاء عيسى ليبين لهم الحق في تلك المسائل الخلافية، يعني أن أصول الدين محكمة لا يتطرق إليها الاختلاف لقوله

تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13]. وأما فروعه فهي التي تتعلق بالأعمال والأفعال التي يتعلق بها ظاهر الأحكام الإلهية. وإنما لم يبين بعض الذي اختلفوا فيه لأنه لا يجدي نفعاً ولا طائل لا في الدين ولا في الدنيا، قال النبي ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، وقال ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»، ﴿فَأَقْضُوا اللَّهَ﴾ في الكفر وفي ما لا ينبغي لقوله ﷺ: «من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه»، ﴿وَأَطِيعُوا﴾ [الزخرف: 63] فيما أمرتكم به من الأصول والفروع التي يبني عليها الوصول إلى ما توجهت إليه ذوات العقول.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٦٤﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ﴾ بيان للأصول والفروع ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾

[الزخرف: 64] إشارة إلى الدين الذي يبين الأصول والفروع.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ

أَلِيمٍ﴾ ﴿٦٥﴾

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ والفرق التي تتخالف وتفترق ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ [الزخرف: 65]

النصارى واليهود والمسلمين في الأحكام الدينية والفروع الإسلامية ﴿فَوَيْلٌ

لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من المتجبرين والفرق المتشيعين ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾

[الزخرف: 65] بيان للموتل أو للتبعيض.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٦٦﴾

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي الظالمون أو قريش ﴿إِلَّا السَّاعَةَ﴾ ويوم القيامة ﴿أَنْ

تَأْتِيَهُمْ﴾ بيان للساعة أو بدل منها ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة دفعة واحدة، وذلك لأن الساعة

إنما تظهر دون انتقال الدورة ونوبة البرية من اسم إلى اسم آخر وهو وقفي لا

يعلمه إلا الله ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزخرف: 66] مجيء الساعة وقيام القيامة.

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٦٧﴾

﴿الْأَخِلَاءُ﴾ الأحباء ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [الزخرف: 67] أي يوم القيامة ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ



عَدُوٌّ ﴿ يتعادون ويظهرون العداوة بينهم لانقطاعهم عن العلاقة وارتفاع المحبة والمودة من بينهم لاشتغال كل منهم بنفسه، وإظهار العداوة زعمًا منهم أن يخلصهم من عذاب هذا اليوم، وذلك لأنهم كانوا يتحابون في الدنيا لأغراض الدنيا، فتبدلت المحبة بالعداوة، والمودة بالبغضة والندامة ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: 67] فإن محبتهم كانت في الله فكانت نتائجها وثمراتها أبد الآباد باقية وخمور بهجتها للمتحابين في الله ساقية.

﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا

بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾

﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الزخرف: الآيتان 68، 69] صفة للمنادى، والواو حالية.

﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ والامر هو الله والملائكة ﴿أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ نساؤكم المؤمنات المتوافقات ﴿تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: 70] تسرون سرورًا يظهر نضارة آثارها في وجوهكم، أو تزينون أو تكرمون إكرامًا مبالغًا من الحبرة وهي المبالغة فيما وصف بالجميل.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ

وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ﴾ وهي التي يُطعم فيها ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ جمع كوب وهو كوز لا عروة فيها، الأولى إشارة إلى الطعام والمطعموم، والثانية إلى المشروب ﴿وَفِيهَا﴾ أي في الجنة ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ من المطعمات والمشروبات والمنكوحات والملبوسات ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ في الجميع إذ للعين لذة وراء لذة النفس ربما تكون ألدّ، وقد قيل: إن الأذن تعشق قبل العين، إشعار بأن لذة النفس إنما هي مقصودة بالذات دون السمع ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: 71] هذا أتم اللذات إذ فناء اللذة وزوالها ينقص اللذات وينقص السعادات والمشتهيات.

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: 72] تلك إشارة إلى الجنة المذكورة مبتدأ، والجنة خبره، والجنة صفة تلك التي صفتها، والمجموع مبتدأ خبرها محذوف.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف: 73] لكثرتها ودوامها.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكاملين في الإجمام وهم المشركون والكافرون لأنه جعل قسيم المؤمنين وحكى عنهم ما يخصهم من الكفار ﴿فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: 74] خبر (إِنَّ) والظرف مقدم على (خالدون) للتخصيص.

﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ﴾ لا يخفف من الفتر والفتور وهو الضعف والخفة ﴿وَهُمْ فِيهِ﴾ أي العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: 75] آيسون من النجاة والخلاص.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: 76] في أنفسهم على أنفسهم وعلى غيرهم بأن صدوهم عن الإيمان بالحق.

﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُوثُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ﴾ واطلب ربك ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ويحكم لنا بخفة العذاب ﴿قَالَ﴾ قال مالك في جوابهم ﴿إِنَّكُمْ مَرْكُوثُونَ﴾ [الزخرف: 77] في العذاب قدر ما يبقى من آثار الظلم.

﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَادِرُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ﴾ من تنمة الجواب أي بالكتاب الذي أنزل بالحق ونطق بالحق ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَادِرُونَ﴾ [الزخرف: 78] للصواب والصدق.

﴿ أَمْ أَرْبَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾ (٧٩)

﴿ أَمْ أَرْبَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾ [الزخرف: 79] أي بالغوا وتشددوا في تكذيب الحق وإنكاره ورده فإننا مبرون في مجازاتهم بالعذاب الشديد والعقاب العتيد.

﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْفُورُونَ ﴾ (٨٠)

﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ ﴾ حديث أنفسهم بذلك الأمر ﴿ وَنَجْوَاهُمْ ﴾ أي حديث خفي ﴿ بَلَىٰ ﴾ نسئعها ﴿ وَرُسُلْنَا ﴾ الملائكة الموكله على حفظ أعمالهم وضبط أفعالهم وأقوالهم وأحوالهم ﴿ لَدَيْهِمْ يَكْفُورُونَ ﴾ [الزخرف: 80] ذلك العمل والعقل والقول الصادر عنهم في صحائف الأعمال.

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴾ (٨١)

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴾ [الزخرف: 81] له وأولى به، فإن النبي يكون أعلم بالله وبما يصح لديه وبما لا يصح، وأحق بتعظيم من يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد لتعظيم الولد.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (٨٢)

﴿ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الزخرف: 82] فإن هذه الأجسام لكونها أصول الأجسام المتولدة تتنزه عما يتصف به سائر الأجسام المتولدة من التوالد وتوليد المثل، فما ظنك بمبدعها وخلقها.

﴿ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴾ (٨٣)

﴿ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا ﴾ في أباطيلهم ﴿ وَيَلْعَبُوا ﴾ في دنياهم ﴿ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴾ [الزخرف: 83] أي القيامة. هذا الكلام يدل على أن قولهم جهل مركب هو رداء أمراض النفوس واتباع هوى النفس، وإنهم مطبوعة قلوبهم عن ذكر ربهم ومعرفته، ومعذبون في الآخرة على مقتضى شركهم وكفرهم.

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ (٨٤)

﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾ مستحق لأن يُعبد فيهما ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾ [الزخرف: 84] الحاكم في ملكه على مقتضى الحكم الإلهية في الواحدية والجبروت

ومرتضى الربوبية في الملكوت والخليفة على ما يليق بكمال قدرته وإرادته في عالم الملك والشهادة والبرزخ الحائل بينهما ﴿أَعْلِيْمُ﴾ [الزخرف: 84] بما كان في الأدوار الأربعة النورية الجمالية الإفرادية، وفي الأكوام الظلية الجلالية الفردانية وفي جمعيتها.

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾

﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الزخرف: 85] من الكائنات والحوادث والهواء وما يتكون، وطبقات العناصر، فإن في كل من كرات النار والهواء والماء والأرض متولدات من الخلق والشياطين والأبالسة والحيتان، وفي طبقات الأرض، فإن في كل طبقة منها نوعاً من المخلوقات كما صرح ابن عباس في تفسير: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: 12]، ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف: 85] جميع المخلوقات دفعة أو تدريجاً.

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ

يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ ويعبدون ﴿مِن دُونِهِ﴾ الله من الأوثان والأصنام ﴿الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: 86] كما زعموا أنهم شفعاؤهم يوم القيامة عند الله إلا من شهد بالحق وهم يعملون بالحق والحقائق والتوحيد، وأصنافه من الذاتي والصفاتي والأفعالي والآثاري والجمعي بصورة الإنسان الكامل. والاستثناء متصل إن أريد بالوصول كل ما عُبد من دون الله لاندرج الملائكة والمسيح والكواكب وغير ذلك، ومنفصل إن اختص بالأوثان والأصنام.

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَهُمْ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾

[الزخرف: 87] يصرفون من عبادته إلى عبادة غيره.

﴿ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٨٨)

﴿ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ ﴾ يعني قول الرسول ﷺ، نصبه للعطف على الساعة أو لإضمار فعل، أي وقال قيلَ وجرُّه، وحمزة قرأ بالرفع على أنه خبر مبتدأ أو عطف على علم الساعة ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الزخرف: 88] بتقدير مضاف. قيل: هو قسم منصوب بحذف الجار أو مجرور بإضمار أو مرفوع بتقدير: وقيل: يا رب قسمي، وإن هؤلاء: جوابه.

﴿ فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَّمَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٨٩)

﴿ فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ ﴾ أي أعرض عنهم ودعوتهم آيسًا عن إيمانهم ﴿ وَقُلْ سَلَّمَ ﴾ على من أتبع الهدى ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: 89] وفي التفسير الكبير للرازي هذا منسوخ بالسيف.

وعندي التزام النسخ في أمثال هذه المواضع مشكل لأن الأمر لا يفيد إلا مرة واحدة فإذا أتى به مرة واحدة فقد سقط دلالة اللفظ، فأى حاجة إلى التزام الفسخ والنسخ، وأيضًا فمسألة يمين النذر مشهورة عند الفقهاء وهي دلالة على أن اللفظ المطلق قد يتقيد بحسب قرينته، وإذا كان الأمر كذلك فلا حاجة إلى التزام النسخ.

قال رحمة الله عليه: تمّ تفسير هذه السورة يوم الأحد من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعمائة والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهرًا وباطنًا.

**تمّ تفسير هذه السورة**



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل دخان نائرة محبته الذاتية وهو مقامات النفس ومجاهدتها شاهدةً على وقودها في مجمرة الفؤاد ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي بطش بيد قهرمان قدرته الجلالية أعيان أدوار النور في تربية الجمال دون انتقال دورة الدولة الوجودية، وارتحال السلطنة الشهودية إلى سلطان الظل والعدم وقهرمان الجلال ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي أمات المحبين بموت الاختيار وأدخلهم في جنات التجليات الذاتية التي لا يدوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى في الدورة الأولى والآخرة.

﴿حَمِّمٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝﴾

﴿حَمِّمٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝﴾ [الدُّخَانُ: 1، 2] القرآن والفرقان، عطف على ﴿حَمِّمٌ﴾ إن كان مقسمًا به وإلا فلقسم والجواب.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبْرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝﴾

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾ في ليلة القدر أو البراءة منتصف شعبان مبتدأ، وفيها إنزاله أو أنزله فيها جملة إلى السماء من اللوح ثم أنزل إلى الرسول ﷺ نجومًا وتركبها لذلك فإن نزول القرآن سبب المنافع الدينية والديناوية أو لما فيها من الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وإصابة الرحمة ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدُّخَانُ: 3] استئناف يبيِّن المقتضى للإنزال.

### ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

وكذلك قوله: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ أي في تلك الليلة يفرق ويميز كل من الأمور الدنيوية والأخروية والدينية، حكيم محكوم عليه بالثبات والسعادة، وبالتغير والزوال، أو المنبسط بالحكمة والمصلحة التي يعلم بها حقائق الأشياء أو خواصها ولوازمها على وجه نطق به القرآن وحقق لها مضمون الكتاب والفرقان. ويجوز أن يكون الظرف صفة ليلية، كقوله تعالى: ﴿ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر: 4].

### ﴿ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ ﴾

حال كون الأمر ﴿ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا ﴾ أعني بهذا الأمر أمرًا من عندنا على مقتضى حكمتنا ومرتضى مشيئتنا وقدرتنا وإرادتنا، ويجوز أن يكون المراد به مقابل النهي، ويجوز أن يكون حال على ثلاثة أوجه من أحد الضميرين في أنزلناه، وإما من ضمير الفاعل أي إنا أنزلنا أمرين أمرًا أو من ضمير المفعول أي أنزلناه في حال كونه أمرًا من عندنا بما يجب أن يعقل وأن يكون من كل أمر حكيم ﴿ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ [الدخان: 5] بدل من ﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ [الدخان: 3].

### ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ﴾

﴿ مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [الدخان: 5 - 6] أي أنزلنا القرآن لأن من عادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى العباد لأجل الرحمة عليهم، وإنزال النعمة لديهم، وضع المظهر موضع المضمحل للإشعار بأن الربوبية تقتضي ذلك، وأنه أعظم أنواع التربية. ويجوز أن يكون علة للتفرقة أو لأمر أو رحمة مفعول به أي يجعل فيها كل أمرين من قسمة الأرزاق والالتفات من التكلم إلى الغيبة، وأنه عند كونه متكلمًا هو من عند غيبته وبالعكس ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ﴾ أقوال العباد جهراً كان أو خفياً، علانية أو سراً، حالاً أو مآلاً، نطقاً أو جمعاً أو فرقاً ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ [الدخان: 6] بتمام الأعيان وعموم الأكوان في جميع الأدوار والأكوار وكل الأكوار وأحوالها إنه يعلم السر وأخفى.



﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ ﴾

﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي الأدوار النورية الجمالية الوجودية وأعيانها، والأكوار الظلية الجلالية والعدمية وأكوانها الإفرادية ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من الأكوار والأدوار الجمعية، بيان وتفصيل لما أجمل بدل من ربك أو استئناف وإن قرأ بالضم أو صفة لربك ﴿ إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ [الدخان: 7] أي صرتم من أهل الكمال والإيمان والقبول والإذعان في العلوم والاتقان والاستحكام في الاعتقاد واليقين.

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٨﴾ ﴾

﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴾ [الدخان: 8] لا يقال: ظاهر الآية لا يدل على أنه رب الكل لعدم انحصار العالم على المذكورة لأننا نقول: تنحصر الموجودات عليهما.

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ ﴾

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾ [الدخان: 9] يعني أن إقرارهم ليس عن يقين بل هو مشوب بهزاء وبعد إضراب مما سبق.

﴿ فَأَرْقَبُ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿ فَأَرْقَبُ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الدخان: 10] يعني انتظر يا محمد عذابهم، ويوم مفعوله، إن النبي ﷺ دعا بمكة لما كذبوه: «اللهم ارفع القطر، وخرّب الأرض بقطع الغيث ومنع المطر، واجعل عليهم سني يوسف» الحديث. فانقطع المطر ووقع القحط واشتدت المجاعة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاء فكان الرجل من شدة الجوع يرى بينه وبين السماء دخاناً لارتفاع بخار قدر المعدة من غليانه بنار الجوع، أو لقلّة المطر وشدة حرارة الشمس وانعكاس شعاعها واحتراق ما على الأرض يرتفع من الأرض دخان، فهذا الأمر عام يشمل الكل ويظهر لجميع الناس. والأول يختص بفرد فرد، أو المراد دخان يكون من أشرط الساعة كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الآيات: الدخان، ونزول عيسى عليه السلام، ونار تخرج من قعر عدن أبين، تسوق الناس إلى المحشر. قال حذيفة: وما الدخان؟ قال ﷺ: التي تملأ ما بين المشرق والمغرب، تمكث أربعين يوماً

وليلة. أما المؤمن يصيبه كهيئة الزكام، وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخره وأذنيه ودبره».

هذا موافق لما قد تقرر لدى أرباب التنجيم من أن طالع العالم وهو السرطان إذا انتهى إلى كوكب ثابت ناري وهو في الأسد يقال له قلب الأسد، فحيث يظهر طوفان النار ويهلك أكثر أهل العالم، بل الكل إلا من شاء الله، وذلك عند استكمال الدورة الوسطى من آخر أدوار الدورة الصغرى. عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «إنه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة ويدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيد، ويعري المؤمن كهيئة ويكون كلها كبيت أوقد فيه وليس فيه خصاص». قال حذيفة: يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا رسول الله ﷺ الآية وقال: «تملاً ما بين المشرق والمغرب، تمكث أربعين يوماً وليلة، أما المؤمن فتصيبه كهيئة الزكام، وأما الكافر فهو كهيئة السكران، يخرج من منخره وأذنيه ودبره».

عن ابن مسعود رضي الله عنه: خمس قد مضت: الروم، والدخان، والقمر، والبطشة، واللوازم. روي أنه قيل لابن مسعود: إن قاضياً عند أبواب كندة يقول: إنه دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأنفاس الخلق، فقال: من علمَ علماً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من علم الرجل أن يقول لشيء لا يعلمه: الله أعلم.

﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١١)

﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ ويشملهم ويلبسهم وهو في محل الجرّ صفة الدخان ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: 11] مؤلم موجه في الغاية.

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ (١٢)

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: 12] أي عذاب الدخان.

﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ (١٣)

﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ أي كيف يذكرون ويتعظون ويوفون بما عاهدوه من الإيمان بالله وبما جاء منه ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: 13] أي قد جاءهم ما هو أعظم وأدخل في وجوب الإذكار ولزوم الاتعاظ من كشف الدخان وهو ما ظهر على

رسول الله ﷺ من الآيات البيّنات من الكتاب المعجز والخطاب المحرز من الدعاء عليهم بحلول العذاب إليهم ونزول العقاب لديهم فلم يذكروا ولم يتذكروا .

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ وأعرضوا عن موعدته ودعوته إلى الله ﴿وَقَالُوا﴾ [الدخان: 14] في مقام الإجابة وقبول الدعوة: إن محمداً ليس رسول الله بل هو ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [الدخان: 14] بأن لا يتعقل ما يقول افتراء عليه وهو تعلم من غلام عجمي .

﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ أي عذاب الدخان الحاصل من المجاعة بدعاء محمد، فإنهم طلبوا وسألوا منه الدعاء لارتفاع القحط وإنزال القطر ونزول الغيث والمطر ﴿قَلِيلًا﴾ كشفاً قليلاً أو زماناً قليلاً وهو ما بقي من أعمارهم، فإن أكثرهم قد قتلوا في بدر ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان: 15] إلى الكفر والشك، فإنهم وعدوا محمد لو كشف العذاب عنا إنا مؤمنون، فإذا كشف ارتدوا ونقضوا العهد ورفضوا الشرط والوعد.

﴿يَوْمَ نَبِّئُشِ الْبُطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿يَوْمَ نَبِّئُشِ الْبُطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: 16] أي ننتقم يوم القيامة أو يوم بدر، منصوب بفعل يدل عليه (منتقمون). وقرئ: (نبطش)، بضم ونصب النون وكسر الطاء أي نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم، أو يحمل الملائكة على بطشهم. وقيل: البطشة الكبرى يوم بدر.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ وأوقعناهم في الفتنة والامتحان في الإمهال وطول الأعمار وتوسيع الرزق وتوقيع الترفه والرفق ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: 17] أي موسى الذي هو معظم ومكرم عند الله وعند المؤمنين، بل عندهم أو في أنفسهم لشرف نسبه وشرف حسبه .

﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِيَّيْكُمْ رَسُولٌ آمِينٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ﴾ وأدلو عليّ ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ (أن)، هي المفسرة، أو المخففة لأن مجيء الرسول وبعثته وورثته وهم الأولياء والعلماء بالله إنما هو لدعوة الخلق وتأديتهم إلى الحق، قال آدم الأولياء علي المرتضى: أنا الذي أحصي هذا الخلق وإن كثروا حتى أؤديهم إلى الله ﴿إِيَّيْكُمْ رَسُولٌ آمِينٌ﴾ [الدخان: 18].

﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِيَّيْكُمْ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أي لا تستكبروا عليه بالاستفهام وبرسوله ووحيه، أو لا تستكبروا على رسول الله أو بيئته ﴿إِيَّيْكُمْ بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: 19] علة للنهي، أي لا تعلوا على الله ورسوله لأنني آتيكم بالحجة الواضحة والمحجة الساطعة، فاتبعوا أمري إليه واقصدوا بي تهتدوا إلى الحق الصريح أي الأحق الصحيح.

﴿وَإِيَّيْكُمْ عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَإِيَّيْكُمْ عُدْتُ﴾ والتجأت واعتصمت ﴿بِرَبِّي﴾ و﴿رَبِّكُمْ﴾ إليه ﴿وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان: 20] من الرجم وهو الأذية والإيذاء بالضرب والقتل والإهانة والاستخفاف.

﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِي ﴿٢١﴾﴾

﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِي﴾ [الدخان: 21] أي كونوا بمعزل، يعني لا تعلوا عليّ ولا تعرضوا إليّ بسوء، فإنه ليس جزاء لمن دعاكم إلى الحق والسعادة وإلى الأحق والسيادة.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَتُولَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فَدَعَا﴾ موسى وتضرع وابتهل ﴿رَبَّهُ أَنْ هَتُولَاءِ﴾ بأن هؤلاء الذين كذبوني وهم فرعون وملأه ﴿قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾ [الدخان: 22] وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبه به ولذلك سماه دعاء، قرئ بالكسر على إضمار القول.

﴿فَأَسْرَ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿فَأَسْرَ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ [الدخان: 23] من أسرى أصلها سرى،

وفيه وجهان: إضمار، فقال: أسر بعبادي، ويجوز أن يكون جواب شرط محذوف كأنه قيل: إن كان الأمر كما تقول فأسر بعبادي، يعني فأسر بني إسرائيل فقد دبر الله أن يتقدموا نبيكم فرعون وجنوده فينجي الله المتقدمين ويفرق الآخرين المرذفين المتبعين.

﴿وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَبُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَبُونَ﴾ [الدَّخَان: 24] مفتوحًا ذا فتح وفتوح وفتوحة واسعة، أو ما كنا على هيئة بعدما جاوز به أن موسى لما جاوز البحر بقومه ثم أردفهم فرعون وأشياعه وهامان وأتباعه.

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدَّخَان: 25] في مصر من منازل حسنة ومحافل بهية مشتملة على أسحر رفيعة وأنهار منيعة.

﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَزُرُوعٍ﴾ بديعة ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدَّخَان: 26] ومقام نعيم.

﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَلَکِهِنَّ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَنَعْمَةٍ﴾ وتنعم عميم ﴿كَانُوا فِيهَا فَلَکِهِنَّ﴾ [الدَّخَان: 27] مترفين.

﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ۖ آخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي أعطينا تلك الجنة والعيون والمقامات ﴿قَوْمًا ۖ آخَرِينَ﴾ [الدَّخَان: 28] على طريقة الإرث ليس بينهم من القرابة ولا الولاء ولا العصابة، وهم بنو إسرائيل كانوا مستسخرين مستعبدين ومستضعفين فأهلكهم على أيديهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأمكنة لم يطأوها.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدَّخَان: 29] مجاز عن عدم الالتفات

بهلاكهم وانتفاء الاعتداد بوجودهم ولانتفاء الاعتناء بشأنهم وشهودهم، وعلى خلافة ما روي في الأخبار أن المؤمن لتبكي السماء على مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه. قيل: تقديره فما بكت عليهم أهل السماء والأرض. قالت العرب في تعظيم مهلكه: بكت عليه السماء والأرض، قال جرير: يبكي نجوم الليل والقمر، وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجريح والبكاء عليه والفرع ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: 29] ممهلين إلى وقت آخر، يعني لما جاء وقت الهلاك لم ينظروا ولم يؤخروا إلى وقت آخر ولم يمهلوا إلى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ أي عذاب ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ وملاؤه لبني إسرائيل بأن أهانوهم بأن استحيوا نساءهم واسترقوا أولادهم واستعبدوا رجالهم ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: 30 - 31].

﴿وَلَقَدْ أَخْتَرْنَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَخْتَرْنَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي حال كوني على علم وخبر بحالهم ﴿عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: 32] من أهل زمانهم لا جميع الأزمنة.

﴿وَأَلَيْنَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَتْوَأُ مُبِيتٌ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَأَلَيْنَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ والمعجزات كفلق البحر والنجوم وتقليل الغمام وإنزال المن والسلوى ﴿مَا فِيهِ بَلَتْوَأُ مُبِيتٌ﴾ [الدخان: 33] نعمة ظاهرة وعطية باهرة متضمنة للبلاء العظيم والآلاء العميم لأنها كانت على سبيل الاستدراج والمكر والاستخراج.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ الكفار من قريش، إذ الكلام كان منساقاً إليهم ووقعت حكاية موسى وفرعون معترضة في البين ﴿لَيَقُولُونَ﴾ [الدخان: 34].

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ ﴿٣٥﴾

﴿إِنْ هِيَ﴾ أي الموتة ﴿إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى﴾ [الدَّخَان: 35] المزيلة المضادة للحياة الدنياوية، يعني ما الموتة التي من شأنها أن يعقبها حياة إلا موتتنا الأولى دون الموتة الثانية، وما هذه الصفة التي يصفون بها الموتة من تعقيب الحياة إلا الموتة الأولى خاصة، فلا فرق إذن بين هذا وبين قوله: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ [الجاثية: الآية 24] في المصر، فإذًا ليس المقصود إثبات الموتة الثانية إذ الغرض من الصفة هي الصفة الكاشفة الموضحة لا الاحترازية كما قيل: حج زيد الحجة الأولى ومات ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ [الدَّخَان: 35] مبعوثين بعد الموتة الأولى.

﴿فَاتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٣٦﴾

﴿فَاتُوا بِآبَائِنَا﴾ خطاب لما وعدهم بالنشور من الرسول ﷺ والمؤمنين، أي جيئوا بالآباء الذين تقدموا ليخبروكم ويخبرونا ليكونوا لكم شهداء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الدَّخَان: 36] فيما وعدتمونا.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿٣٧﴾

﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ قوم القوة والشدة والمنعة من دونهم ﴿أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ﴾ [الدَّخَان: 37] استفهام على سبيل الإنكار، وقالت عائشة رضي الله عنها: كان تبعًا رجلًا صالحًا قال أبو عبيدة: كان في ملوك اليمن وإن كل واحد منهم يسمى تبعًا لأن أهل الدنيا كانوا يتبعونهم وموضع في الجاهلية موضع الخليفة في الإسلام وهم أعظم ملوك العرب. عن ابن عباس رضي الله عنهم قال: كان نبيًا، وعن النبي ﷺ: «ما أدري إن كان نبيًا أو غير نبي». وقال: «لا تسبوا تبعًا». قيل: بنى بلدة سمرقند. وقيل: كان كافرًا فهدمها. سمعت من أستاذي سعد الدين الخشني أنه قال: لما سلط على الأقاليم ووصل مكة وأهل مكة فما استقبلوه ولا عظموه ونوى وقصد أن يهدم الكعبة وكان في خدمته أربعة آلاف من الحكماء، فإذا امترض بمرض صعب شديد عام ووجع تام بجميع بدنه وتتن خاص لا يقدر أحد أن يتقرب منه، فجمع الحكماء وكان رئيسهم ورأسهم عمارسًا وعرض عليهم مرضه فعجزوا عن تشخيصه فقال عمارسا: يا ملك إن مرضك سببه سماوي إلهي لا أرضي فنحن

عن معالجتة عاجزين غير رضيٍّ ومرضيٍّ هل قصدت أن تهدم هذا البيت وتقتل أهله؟ قال: فغير نيتك وحسن أمنيته وأخلص سريرتك لعل الله يحدث بعد ذلك صحة. فصحَّ واندفع مرضه وارتفع عرضه، فقال لتبع عمارسا: يا ملك إن الله قد أنزل في كتبه وحكى رسله أن محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب سيظهر في هذه الأرض ويظهر الهداية، ويجد أهل الأرض والسماء منه أنوار النبوة وأسرار الولاية وأزهار الحكمة وأطوار الدراية، وأنا أريد أن أسكن في هذه الأرض لعل الله يهديني بأنوار هدايته. وهو يهجر من هذه الأرض إلى أرض طيبة في مدينته، فأجاز الملك تبع وقال: إني أبني له بيتاً في المدينة وأجعلك متولياً له فتكتب له صكاً وكتب فيه: هذا ما أنشأ تبع بيتاً لمحمد، أعني نبينا خاتم الأنبياء، وجعل عمارساً متولياً عليه نسلاً بعد نسل وبطناً بعد بطن، وقد تبعه أربعمئة رجل من تلك الحكماء والأنصار كلهم من نسل هذه الحكماء، وأبو أيوب الأنصاري من أولاد عمارسا، وكان تلك القبالة والصك عند أبي أيوب الأنصاري وقد وصل إليه بطناً بعد بطن، ولذا صارت الأنصار ناصرين للرسول محبين له لقوله ﷺ: «الحب يتوارث، والبغض يتوارث».

فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة تنازعت الأنصار في أن الرسول ﷺ ينزل إلى أي بيوتهم، فجاء بعضهم وقال: يا محمد، أرسل عنان مركبك ففي أي موضع ينزل ويجلس فهو بيتك ومنزلك، فبرك لدى باب أبي أيوب الأنصاري، فلما نزل رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب الأنصاري فجاء أبو أيوب إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله أنت نزلت في بيتك، وحكى له حكاية تبع وبناء البيت وأشار إلى ركن بيته وقال له: يا نبي الله إن في تلك الركن قبالة هذا البيت، وأشار النبي ﷺ إلى إخراجها فوجد فيه ما قال أبو أيوب الأنصاري.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كعاد وثمود وأحوال قوم الخليل ونمرود وغيرهم من آل فرعون وموسى وداوود ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ استثناف لقوم تبع الذين من قبلهم، أو حال بإضمار قد، أو خبر من الموصول فيكون مستأنفاً ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ قوماً وطائفة كاذبين ومكذبين ﴿مُجْرِمِينَ﴾ [الدخان: 37] بيان للجامع المقتضي للإهلاك.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَ﴾ بالطبقات السبع [الدخان: 38] ﴿وَمَا﴾



بينهما﴾ من الكواكب والملائكة والنفوس المطبقة والقوى العاملة والطبيعة والأدواح النباتية والصور النوعية المعدنية والحيوانية، والإنسان وأفرادها الصنعية، والآحاد الشخصية، والأعراض المكتنفة المشخصة من كائنات الجو من السحاب والرعد والبرق والصاعقة والنيازك وذوي الذؤابة وذوي الذنب والقوس القزح وغير ذلك من كرة البخار والكرة الزمهريرية وما يتولد منهما من الجبال والحيوانات قد نزل في زماننا هذا في تاريخ سنة ثمانمائة وثمانين وثمانمائة بين الشيروان والطوالس جبل عظيم طوله قريب من ميلين أو أكثر، وقد كتب الإمام جعفر كتاباً اسمه «ملحمة» مرتباً على اثني عشر باباً على عدد الشهور الشمسية، وعلى ثمانية وعشرين فصلاً مبنياً على المنازل القمرية، منقول من دانيال النبي عليه السلام بأنه لو نزل تراب أحمر وبرق والمن والسلوى وغير ذلك يدل على كذا وكذا، ولو سمعت أمراً غريباً أو شيئاً عجبياً لا تنكر، فإن غرائب صنع الله وعجائب حكمته وكمال قدرته مما لا يكاد يحصى ﴿لَعِبْتِ﴾ [الدخان: 38] حال كوننا مباشرين للعب ومزاولين للعبث واللهو والطرب، إذ الحكمة الكاملة تنافيتها، وتكرار الخلق إشعار إلى تعدد مقتضى طلق في الظاهر والباطن لما تقرر من أن مقتضى فردارية كل دورة نورية عظمية وكبرى، وكذا فردارية اقتضاء الكورات الأربعة المذكورة الظلية لكل منها خلق يغاير خلق الآخر، هذا إذا كانت الأدوار والأكوار إفرادية، وأما إذا كانت جمعية فكذلك يكون خلقها مغايراً لخلق الأدوار والأكوار الإفرادية .

﴿مَا خَلَقْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٩﴾

﴿مَا خَلَقْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي أكثر العقلاء وأكبر العرفاء والفضلاء الذين يتقيدون بدرجة مقتضى دورة ومرتضى كورة وما ساروا في الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: 39] نشأة جميع الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية، وفي المعنى علة لما ذكرنا من أن علم الإنسان بالأشياء من المبدعات الإلهية والمخترعات الغير المتناهية قليل جداً، فإذا سمعت أمراً من الأمور الغريبة لا بد وأن لا تنكر سيما من أمور الآخرة والأسرار الغيبية من مقتضيات الأدوار ومرتضيات الأكوار، والأحوط أن تتلقى إليه وترتقي لديه بالعقول . قال آدم الأولياء علي المرتضى :

قال الحكيم والمنجّم كلاهما لا يُحشر الأجساد قلت إليهما

فإنَّ صَحَّ قولكما فليسْتُ بخاسِرٍ وإنَّ صَحَّ قولِي فالخِسارة عليكما

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٠)

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ الذي يفصل بين دورتين، وهو يوم القيامة الذي كان في ضمن أيام تلك الأدوار وأعوامها وصار عند انقضاء دورة صريحة وانتقال إلى الدورة الخفية الضمنية وهو اقتضاء ظهور مرض الجدل الضمني صريحًا فصار مقتضى دورة النور والجمال باطنًا ضمناً ﴿مِيقَتُهُمْ﴾ ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل، يعني وقت موعد أعيان تلك الدورة بأن يوصل صور أعمالهم وثمرات أفعالهم ونتائج أقوالهم وأحوالهم التي كانت مثبتة في صفائح ديوان مرتضى الظل والجلال الضمني خفية من أعينهم وأبصارهم بهم وتعرض عليهم كما قال النبي ﷺ: «إنما هي أعمالكم تردُّ إليكم»، ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: 40] إن مع الاسم والخبر مفعول لا يعلمون، أي لا يفوت في يوم القيامة شيء عن علمه ولا يفلت شيء عن حكمه أصلاً لا ظاهراً ولا باطنًا ولا صورة ولا معنى، ولا صريحًا ولا ضمناً.

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٤١)

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى﴾ بدل من يوم الفصل، وصفة لميقاتهم، أو ظرف لما دل عليه الفصل لأنه للفصل ﴿عَنْ مَوْلَى﴾ أي أي مولى كان، أي لا يعبد ولا يمنع غني عن غني ﴿شَيْئًا﴾ من الأغنياء ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الدخان: 41] أي المولى الأول وجمع الضمير باعتبار المعنى لأنه عام.

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٢)

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ بالعمو عنه وقبول الشفاعة فيه، ومحل الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثناء ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب القاهر القوي ﴿الرَّحِيمُ﴾ [الدخان: 42] لمن أراد وفي حق من شاء من عباده.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾ (٤٣)

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾ [الدخان: 43] أي الثمر المرّ في الغابة يحصل منه

شجرة صغيرة.

## ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ ﴿٤٤﴾

﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ [الدَّخَانُ: 44] الفاجر المدّعي، المفاخر الكثير الآثام، الكبير الأصنام. عن أبي الدرداء: أنه كان يقرئ رجلاً وكان يقول: طعام اليتيم، فقال: قل طعام الفاجر يا هذا.

وبهذا يستدل على أن إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناه، ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهو أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير أن يخرم شيئاً منها.

قالوا: وهذه الشريطة شهد أنها إجازة لأن في كلام العرب خصوصاً في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرائب نظمه وعجائب أساليبه كلمه وغرائب مساقه في حكمه وخالفه صاحبه. روي عنه مثل قول صاحبيه من إنكار القراءة بالفارسية إذ ربما يكون نظمه في العربية في غاية الحسن والبلاغة وإذا غيّر إلى الفارسية انقلب الحسن بالقبح والفصاحة بالفظاظة.

## ﴿كَالْمُهَلِّ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ ﴿٤٥﴾

﴿كَالْمُهَلِّ﴾ [الدَّخَانُ: 45] بضم الميم وفتحها، وهو متجمّد الزيت يدل عليه: ﴿يَوْمَ نَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهَلِّ﴾ [المعارج: 8]، أو ما يهمل في النار حتى يذوب ويسيل ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ [الدَّخَانُ: 45] ذلك المأكول، أو الزقوم لا المهل.

## ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ [الدَّخَانُ: 46] أي الماء الحار، أخذوه على تقدير القول يقال للزبانية.

## ﴿حُدُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٤٧﴾

﴿حُدُوهُ فَاعْتَلُوهُ﴾ في الغلّ والقيد، أي جرّوه وقيدوه واحبسوه وقودوه بعنوة وغلظة، وهو أن يوجد بقلب الرجل فيجر إلى الحبس والاعتلال. وقيل: ومنه العتل، وهو الغليظ الجافي ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الدَّخَانُ: 47] أي وسطها أو معظمها.

﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ﴾ والأصل يصب منه فوق رؤوسهم بماء الحميم، فقليل يصب ﴿مِنْ﴾ فوق رؤوسهم ﴿عَذَابِ﴾ هو ﴿الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: 48] أي كالحار من الماء، وفيه مبالغة كما حرارة السعير وإحراقها قد صبت على رؤوسهم من جميع الجهات ثم أضيف العذاب إلى الحميم للتخفيف وزيد منه لتبيين يناسب المقام. قيل: إنها للتبعيض تبيهاً على أن بعض من هذا النوع منه العذاب.

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: 49] استهزاء وسخرية وتفريغاً على ما كان يزعمه ويستخف به، وإنما حذف مفعول ذق لثلاثا يتوهم أن العذاب منحصر على ما ذكر بل ينتقل إلى كل ما يطلق عليه اسم العذاب.

﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ [الدخان: 50] وتشكون فيه.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: 51] عن الشرك الإيقاعي والنفسي وعن مخالفة أمر الله ونهيه.

﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوتٍ ﴿٥٢﴾﴾

﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ في تجليات ذاتية وأسمائية وأفعالية وآثارية ﴿وَعُيُوتٍ﴾ معارف فطرية وعلوم نظرية وفكرية، والفكر عند أرباب الكشف والشهود هو الانتقال من الباطل إلى الحق، ومن الكثرة إلى الوحدة، وعلى وجه تكون الكثرة مرآة للوحدة والوحدة مرآة الكثرة، بحيث يشاهد العارف الوحدة عين الكثرة، والكثرة عين الوحدة، وكلاهما عين الحق، والحق عينهما، أو عين هوية العارف وإنيته أو بالعكس ﴿فِي مَقَامٍ﴾ [الدخان: 51] موضع إقامته ومحل قيام ومكان استكانته ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوتٍ﴾ [الدخان: 52] كائنين على أمن وأمان عن الإفافة والانتقال.

﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ (٥٣)

﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ﴾ هو ما رقّ من حرير ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ منه وهو معرب استبظر أو مشتق من البراقة ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ [الدخان: 53] في الحضائر والغرف أو في مجلس واحد ليستأنس بعضهم ببعض ليتمكنوا من كمال المشاهدة.

﴿كَذَلِكَ وَرَوَّجْتَهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ﴾ (٥٤)

﴿كَذَلِكَ﴾ أي الأمر المذكور كذلك مثل ذلك أو منصوب على معنى أعطيناهم مثل ذلك ﴿وَرَوَّجْتَهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ﴾ [الدخان: 54] أي قرناهم أو وصلنا بينهم وبين حور عينٍ ولذلك عدى بالباء، والحور جمع حوراء وعين جمع عينا وهي التي تكون عظيمة العين من النساء. واختلفوا في حور العين، قال الحسن: هي عجائزكم. قال أبو هريرة: إنهن لسن من نساء الدنيا بل هن التي خلقهن الله تعالى في الجنة على مقتضيات كفيات الأعمال والأحوال والأقوال، قال النبي ﷺ: «إنما هي أعمالكم ترد عليكم».

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمْنِينَ﴾ (٥٥)

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه ولا يتخصص شيء منها لمكان ولا زمان ﴿آمْنِينَ﴾ [الدخان: 55] متحصنين من الضرّ والبلاء والفتن والشرّ والعناء.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ

الْجَحِيمِ﴾ (٥٦)

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ [الدخان: 56] والاستثناء منقطع أو متصل، والضمير للأخرة والجنة، والمؤمن إنما يدخل فيها وينشأ لديها بالموت ويشاهدها فكأنه يتذوق الموت فيها، أو الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الاستثناء فكأنه قال: لا يذوقون فيها إلا ذكرى ذوق الموتة الأولى في المستقبل، يعني لا يذوقون فيها الموت ألبتة، فوضع قوله: ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ موضع ذلك لأنّ الموتة الأولى الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو ثابت التعليق بالمحل كأنه قيل: إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في

المستقبل فإنهم يذوقونها كناية عن تحقيق وقوعها ألبتة .

هذا وأقول وبالله التوفيق: قال النبي ﷺ: «موتوا قبل أن تموتوا، ومن مات فقد قامت قيامته». وقال الحكيم: مت بالإرادة تحي بالطبيعة. فالعارف إذا مات بالموتة الاختيارية اتصل بالآخرة ودخل في الجنة وهو في الدنيا، بل استوت دنياه بالآخرة فهو في الدنيا في الآخرة، وفي الآخرة في الدنيا، فإذا طرأ عليه الموت الطبيعي ويعتريه الفوت الوضعي وهو في هذه الحالة في الآخرة وفي الجنة، فإذا يصدق أن يقال: إنه ذاق الموت في الجنة لأنه متصل بالآخرة داخل في الجنة وهو لا يموت بل ينتقل من دار إلى دار.

قال النبي ﷺ: «المؤمنون لا يموتون بل ينتقلون من دار إلى دار ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ [آل عمران: الآية 169] الآية .  
قال علي كرم الله وجهه: لو كُشِفَ الغطاء ما ازددت يقيناً .  
﴿وَوَقَّهْمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: 56] لأنهم في الجنة ومن دخلها كان آمناً لأنها دار الخلد.

﴿فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٥٧﴾

﴿فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ﴾ يعني هذه الحالة، وهي الوقاية التي هي عبارة عن الخلود في الجنة، هي الفضل والإحسان من الله ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ﴾ أي الخير العميم والعدل ﴿الْعَظِيمُ﴾ [الدخان: 57] هو الفوز العظيم .

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ أي سهّلنا القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ حيث أنزلناه وجعلناه فذلّة السورة ونتيجتها ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: 58] يتعظون به ويتفقهون، فلما لم يتذكروا به ولم ينتفعوا به

﴿فَأَرْقَبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ ﴿٥٩﴾

﴿فَأَرْقَبْ﴾ ما قدره الله عليهم في الدنيا من أنواع العبر ونزول المحن ﴿إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ [الدخان: 59] ما سولت لهم أنفسهم من التخييلات الفاسدة والتمحلات الكاسدة من أنكم ستغلبون وتحلّ عليكم المصائب وأنواع النوائب .

عن النبي ﷺ: «من قرأ (حم) الدخان ليلة جمعة أصبح مغفوراً له» .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل المنافقين جاثية وفرقه مجتمعة على حب الكفر والنفاق، وأظهر الإسلام والوفاق، لما فهم من جمعية اقتضاء النور والجمال، وارتضاء الظل والجلال ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أوضح طريق الحق بهداية حبيبه محمد ﷺ وبكتابه الذي ينطق بالحق ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي بيّن الطريق المستقيم والمنهج القويم للخلق ليتبين أهل الحق وصاحب الجمع من الفرق الذي قال في حقه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عَٰلِرٍ وَخَمَّ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً﴾ [الجاثية: 23].

## ﴿حَمَّ﴾

﴿حَمَّ﴾ [الجاثية: 1] إشارة إلى الدورة الوسطى وأعيانها، كما أن (حم) الدخان و(حم) الزخرف يشير إلى الدورة الكبرى والدورة العظمى النورية، وهذه الأدوار الأربعة: النورية والجمالية الوجودية منسوبة إلى الأسماء الأربعة الأولى الذاتية وهي: العليم والحي والقدير والمريد. والحواميم الثلاثة الباقية إشارة إلى الأسماء الثلاثة الباقية، وهي: السميع والبصير والمتكلم. وليس لهذه الأسماء الثلاثة المركبة الأخيرة التي هي بمنزلة المواليد الثلاثة فردارية مستقلة بل تشرك الأربعة الأولى البسيطة وإليها الإشارة بقوله: ﴿حَمَّ﴾، ﴿عَسَقَ﴾. ﴿حَمَّ﴾ أي بحق الدورة الوسطى وربّها القدير وأعيانها النورية الجمالية، وهي المثل النورية والأشباح البرزخية.

### ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ ﴾ في عالم المبدأ البرزخي ثابت من الله، متعلق بتنزيل وإن جعلها تعديداً للحروف كان ﴿ مِنْ اللَّهِ ﴾ تنزيل مبتدأ والظرف خبره ﴿ الْعَزِيزِ ﴾ [الجاثية: 2] الغالب في إجراء أحكام الجمال وإعلام ﴿ الْحَكِيمِ ﴾ [الجاثية: 2] الجلال.

### ﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ ﴾ ويحتمل أن يحمل على ظاهره وعلى الحذف كما أشرت إليه ﴿ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴾ [الجاثية: 3] وأن يكون المراد من السماوات هو المجردات والعقول والملائكة المقربة أو الأدوار النورية، ومن الأرض الأجسام السفلية والأجرام العلوية والملائكة المدبرة والنفوس العاملة أو الأكوار الظلية.

### ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ ﴾ ابتداءً وانتهاءً، أو دنيا وآخرة ﴿ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ ﴾ أي وفي خلق يتفرق وينتشر في الأرض من جنس ما يتحرك حركة ثقلية، عطف على المضاف بأحد الاحتمالين، والعطف على الضمير المجرور بدون الفصل المؤكد قبيح نحو: مررت بك وزيد إلى إعادة الجار، ونحو: أبوك وعمرو وكذا إن أكدته وكرهوا أن يقولوا مررت بك أنت وزيد ﴿ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية: 4] بالرفع والنصب فمنه العطف على عاملين مختلفين على نحو قولك: إن زيداً في الدار وعمراً في السوق، محمول على محمل إن واسمها.

### ﴿ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

### مَوْتِهَا وَنَصْرَفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

﴿ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ أي مرتضى فردارية دورة الظل والجلال ومقتضى فردارية نوبة تربية النور والجمال ﴿ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ أي سماء الأسماء الإلهية والربوبية ﴿ مِنْ رِزْقٍ ﴾ [الجاثية: 5] من مطر هو سبب ظاهري لوجود النباتات الغذائية وغيرها والحيوانات التي تتقوم بالنباتات من باب المجاز المرسل تسمية للسبب باسم المسبب إشعاراً بأن أصل الرزق ومادته هو الماء، وأن أصل الأشياء



ومادتها هو أن يكون رزقاً للإنسان، وأن الغرض الأصلي من السماوات والنجوم وحركاتها وما يتفرع عليها من الليل والنهار وتعاقبهما هو الإنسان، وما يتقوم به من الرزق لكونه علة غايته ومقصوده من خلق السماوات والأرض ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ أي أنبت الله بالماء الذي نزل من السماء إلى الأرض والنبات في الربيع ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وأماتها في الشتاء عند اتصال شعاع الشمس بالأرض على غير زوايا قائمة وحادة فلا يتوفر الشعاع على سطح الأرض ولا تتراكم عليها بخلاف فصل الربيع والصيف، فإنه لقرب الشمس سمت رأس البلد فينعكس على زوايا قائمة أو حادة ليؤثر بأمر الله بل أمر الله وإرادته يتعلق بالأرض عند توفر الشعاع فينبت ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾ [الجاثية: 5] فإن شعاع الشمس وسائر النجوم يوصل ما ينزل من عالم الملكوت والجبروت وعالم الذات واللاهوت إلى عالم البرزخ وعالم الملك والشهادة في الفلك الأطلسي والعرش، ومنه إلى الفلك الثامن الكرسي، ومنه إلى سائر الأفلاك، ومنها ينزل بواسطة أشعة الكواكب إلى العناصر إلى الأرض ثم يرجع ويعود بواسطة أشعة السماوية وتصريف الرياح ونفوذها في منافذ الأرض والمعادن والنباتات فتكون المعدنيات وتنبت النباتات ﴿ءَايَاتُ﴾ أي هذه التكوينات والتكوينات آيات سائحات وعلامات بيّناات واضحات دالات على كمال قدرته وتمام حكمته حكومة خاصة ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: 5] ويتفكرون.

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾

﴿تِلْكَ﴾ الدلالات والبيانات ﴿ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ ونرتب ونركب إياها لديك ﴿بِالْحَقِّ﴾ متلبسين بالحق وملتصقين بالصواب والصدق ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾ وكلام ﴿بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ﴾ أي بعد إلقائه عليك والتقائه لديك وإظهار آياته وإشهار بيّناته بين يديك ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: 6] وهي إما القرآن أو المعجزات، كسف القمر وحديث الضب وشهادته بصدق رسول الله ﷺ في دعوى نبوته:

إنك صادق فنورك يهدي ومدحه هادياً	شرعت لنا دين الحنيفة بعد
عبدنا كأمثال الحمير الطواغيا	فيا خير مدعاً ويا خير مرسل
إلى الجن والإنس لبيك داعياً	أثبت ببرهان من الله واضح
فأصبحت ديناً صادق القول داعياً	فبوركت في الأحوال حياً وميتاً

وبوركت مولوداً وبوركت ناشياً

فقال الأعرابي الذي صاده بيده وقاده بقيده: وا عجباً ضبٌ أصيده من البرية ثم أتيت به يكلم محمداً ويشهد بهذه الشهادة، فأسلم الأعرابي بيده.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾﴾

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ونهاب قلاب ﴿أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: 7] كثير الإثم كبير الجرم.

﴿يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ

﴿الِيمِ ﴿٨﴾﴾

﴿يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى﴾ وتقرأ ﴿عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ أي يصير مصراً ومؤلفاً على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ على الإيمان بالآيات ومظهر عطفه ثم يستفاد منه الإصرار على الكفر والتكذيب بعد سماع الآيات والإصغاء للبينات ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ أي كأنه مخفف وحذف ضمير الشأن، والجملة في موقع الحال أي حال كونه غير سامع ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية: 8] على إصراره وتهكمه واستهزائه.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا حُزُوًّا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾﴾

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا﴾ [الجاثية: 9] قليلاً فكيف أن يكون كثيراً وعظيماً ﴿أَخَذَهَا حُزُوًّا﴾ سخرية من غير أن يرى فيها شيئاً مما يوجبه، والضمير للآيات، وفائدته الإشعار بأنه إذا سمع كلاماً وعلم أنه من الآيات بادر وتسارع إلى الاستهزاء بالآيات كلها، ولم يقتصر على ما سمعه أو بشيء إنه بمعنى الآية ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ﴾ أي المستهزئون المستخفون ثابت لهم ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الجاثية: 9].

﴿مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ

﴿أَوْلِيَاءَ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي قدامهم كونهم متوجهون ويستقبلون لديها، أو من خلفهم لأنه بعد آجالهم وإنهاء آمالهم ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ﴾ ما يمنعمهم من العذاب عنهم وهو ﴿مَا كَسَبُوا﴾ من الأموال ﴿شَيْئًا﴾ من عذاب الله في الدنيا ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام أو الأعيان من الأملاك، أو دوران الأفلاك ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ وأخذوها معبوداً من الأوثان ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الجاثية: 10].

﴿ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ ﴾ (١١)

﴿ هَذَا ﴾ أي القرآن والإتيان به، أو العمل به أو الرسول ﴿ هُدًى ﴾ هادي إلى الله وداع ونادٍ إلى امتثال أوامره ومنادي إلى مشاهدة تجلياته ومعانيه أنوار أسمائه وأسرار صفاته وتطورات أطوار مقتضيات فردانية دوراته ومرتضيات فردانية كوراته الأربعة الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ ﴾ التي ظهرت في تلك الأدوار والأكوار ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ ﴾ أشد العذاب ﴿ أَلِيمٌ ﴾ [الجاثية: 11] مؤلم في الغاية، موجه فوق الغاية مقطع في النهاية.

﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيَبْلُغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾

﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ﴾ جمع يفرق بينه وواحدة بقرينة تأنيث الفعل وهو يجري وذلك لمنافع الدنيا ومجامع الآخرة يدل عليه قوله: ﴿ وَلِيَبْلُغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾ وهو إخراج لآلئ المعارف الفطرية ومرجان العلوم النظرية والإدراكات الكسبية، يعني أن الله سَخَّرَ لكم البحر لأمرين دنيوي وأخروي، أما الأول وهو إجراء الفلك والسفينة في البحر وللتجارة والتنقل من بلد إلى بلد، ينقل الأمتعة من قطر إلى قطر ومن طرف إلى طرف. وأما الثاني فهو ابتغاء فضل الله وطيب مرضاته في اقتناص المعارف الإلهية واقتباس أنوار العلوم الحقيقية من مشكاة النبوة، وفي الجهاد الأصغر والأكبر، وفي الحج، وزيارة أهل الله لاستكمال النفوس وغير ذلك من شرب شراب التجليات من تلك الكاسين ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الجاثية: 12] هذه النعم المذكورة والمنح المزبورة.

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَنْفَكِرُونَ ﴿١٣﴾

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ من أعيان طبقاتها السبعة وما عليها من النباتات والحيوانات، وإنما ذكر ما في الأرض دون ما عليها تنبيهًا على أن ما في بطونها ﴿ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: 13] الأرض وطبقاتها ينقلون على التدرج إلى ظاهرها لتصل إلى مفاصل جميع المكونات ونماويتها وهو الإنسان، وبديهية

يصل إلى الله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ واضحات وعلامات دالات على كمال قدرته ووفور مشيئته الذاتية وإرادته الأولية ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 13] يعني أن ذلك الانتقال والاستدلال قد اختص بقوم من أهل الاستدلال وأرباب الشهود وأصحاب الاتصال، والتفكر على ضربين: حصولي وحضوري، أما الأول فهو الانتقال من المصنوع إلى الصانع بخطوات الفكر وإقدام النظر ويقال له: البرهان الآني. وأما الثاني: فهو الانتقال من الصانع المصنوع بأقدام المعاینات وخطوات الشهود والشاهدة، وهو ضربان: أن يكون الحق مشهوداً أولاً ثم الخلق ثانياً، فإن كان بطريق العيان والشهود دون البيان وطور البرهان والحد ويسمى تفكراً حضورياً شهودياً، وإن كان بطريق الحصول والخطور لا المشاهدة والحضور يسمى تفكراً خطورياً حدودياً برهانياً.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله وبرسوله وبما جاء: اغفروا وارحموا ﴿يَغْفِرُوا﴾ [الجاثية: 14] حذف المفعول لدلالة الجواب عليه، قل للمؤمنين اغفروا التي وقتها وعينها لنصر الله في الدنيا وظفرهم على أعدائهم. والمراد بالمؤمنين هو عمر وبعض المؤمنين اختلفوا في نزوله قال ابن عباس رضي الله عنه: نزل في عمر وعبد الله بن أبي حيث أرسل غلاماً لسقي الماء فأبطأ عليه، فلما أتاه قال: ما حبسك يا غلام؟ قال: عمر، فقال عبد الله متلبساً: ومثل هؤلاء إلا كما قيل من سمن كلبك يأكلك. فبلغ قوله عمر، فاستل سيفه من غمده ليقتله فنزلت الآية. قال مقاتل: شتم رجل من كفار قريش عمر بمكة فهم أن يببطش به فأمره الله بالعفو. وذهب البعض إلى أنه لما نزل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: 245] قال يهودي: احتاج رب محمد، فسمعه عمر، فاستل سيفه وخرج بسيفه في طلبه ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ وهم الكفار، وأيام الله أيام عذابه ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾ خالفوا الحق وعارضوه ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: 14] علة للأمر، وهم المؤمنون، ونكره للتعظيم كأنه قيل قوم وأي قوم من شأنهم الصفح والعفو عند المقدرة. قال النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس: التواضع عند الله، والعفو عند المقدرة،

والسخاء عند القلّة، والعطية بغير منّة، والنصيحة عند العامة».

عن كعب الأخبار قال: في التوراة في السفر الأول: محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صحّاب في الأسواق ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام. ويجوز أن يكون المراد المؤمنين والكفار، والمراد بالكسب إما الإيمان والمغفرة وكمال الإيقان والإساءة والعصيان والمخالفة والغفران وما يعمهما الإسناد ليجزي إما إلى الله أو إلى القوم إن قرئ مجهولاً.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ يعني ثوابه وجزاؤه الحسنة يرجع إلى نفسه ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ يعني وبال الإساءة عائدة، ونكال السوء والمعصية قائدة للعذاب إليها ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية: 15] فيجازيكم على أعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ التوراة والإنجيل والزبور ﴿وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ والحكمة النظرية والعلمية التي تنطوي على الأمور السياسية والأحكام المنزلية، ونظام الأحوال المدنية، والأفعال النفسانية من العبادات وأقسام الطاعات وأنواع الخيرات وأصناف الحسنات، وقطع الخصومات، ورفع الوقاعات، ودفع المخالفات في أحكام النبوات التي هي الإخبار عن انتظام أحوال الدنيا، واكتساب شعارات الآخرة، واستكمال النفس الناطقة، واستحصال الولد، الأطوار السبعة، واستحضار الحقائق الكونية، والتجليات الإلهية، والأسرار الغريبة الغيبية ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي الأرزاق الظاهرة الطاهرة التي تتقوم بها الأبدان، والباطنة التي تتقوم بها النفس الناطقة المطمئنة والقلب والسرّ والروح والعقل، وهي العلوم الحقيقية والإدراكات اليقينية، والتجليات الآثارية والأفعالية والصفاتية والذاتية ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ [الجاثية: 16] يعني لما أعطينا بني

إسرائيل النفس المنتقلة من الطور الأمازي إلى الطور اللّوامي والملهمي والمطمئني توراة الشريعة بنور الطريقة وإنجيل الحقيقة، استحقوا لأن نفضّلهم على أهل عالم الطور القلبي والنفسي الأمازي حيث أعطيناهم من طبيبات الأرزاق الظاهرة التي بها تتقوّم الأجزاء الجسمانية والأعضاء الجرمانية والأرزاق الروحانية والأقوات المعنوية التي تتقوّم بها الأجزاء الباطنة والقوى النفسانية، والمبادئ الروحانية، والأطوار السبعة القلبية الجنانية، وهي الأفعال النفسانية والإدراكات والعلوم الحسيّة، والمعارف الإلهية. والتجليات الغير المتناهية كليّاتها أربعة: ذاتية وصفاتية أسمائية وأفعالية وآثارية.

﴿وَأَتَيْنَهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ  
بِغِيَا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ  
يَخْتَلِفُونَ﴾

﴿وَأَتَيْنَهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أي العلوم الحقيقية والمعارف الفطرية والأحكام الإلهية والقضايا الغير المتناهية الناشئة من عالم الأمر والملكوت، المتعلقة بالتجليات والأفعال والأحوال والحالات والمقامات، والكشف والمشاهدات، وبخرق العادات، وبالكشف والكرامات وبغير ذلك من العلوم المتعلقة بالعوالم الظاهرة من الشهادة والملك وأعيانها الفلكية والعنصرية والمركبات المعدنية والنباتية والحيوانية وبأحوالها ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ أي الأعيان ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ النظري الخطوري الحاصل بطريق العقل المجرد الخالي عن الوحي، المتشبّث بأذيال الوهم الذي هو منشأ البغي ومنار الحقد والحسد، وسوء السعي ومدار الاختلاف والعداوة ﴿بِغِيَا بَيْنَهُمْ﴾ أي عداوة وحسدًا وجهلاً ناشئًا من اختلاف آراء العقل، ولذا قيل: طريق العقل واحد والعلم نقطة أكثرها الجهلاء ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية: 17] برفع الاختلاف فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا بحكم النظر العقلي فنجازيهم ثوابًا وعقوبةً وعذابًا.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٨﴾

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ أي على طريقة ومنهاج من أمر الدين أي بعد ظهور الأحكام النظرية وبلوغها إلى غايتها لما قرّر الله السنة الإلهية من أن كل شيء جاوز حدّه انعكس ضده، فحكم العقل إنما يرتفع بالشرع فلما بلغ الشرع وأحكامه إلى غايته عاد ثانيًا حكم الحكمة الطبيعية وغلب على الحكمة الإلهية، ثم تنعكس، فإن أمر النبوة التشريعية والحكمة الإلهية التقريبيّة قد تتبدل فتارة تغلب النبوة التشريعية على الحكمة الفعلية والنبوة التفريعية أعني الولاية، وأخرى تنعكس. كان في زمان أفلاطون حكم الشريعة شائعة وحكم الحكمة خفية ضائعة، لما أراد الله ظهور الحكمة الإلهية أحلّ في ذلك الزمان طاعونًا عامًّا ووباءً وبلاءً تامًّا فاستغاث أهل ذلك الزمان إلى أنبياء ذلك الزمان ليدعوا الله لاندفاع ذلك البلاء، فجاء الوحي بأنّ في الموضوع الخاص بالوعدة فلتضعفوها لتندفع تلك البلية، فكانت تلك البالوعة مسدسة فجعلوا بالوعدة في جنبها مسدسة فتضاعفت تلك البلية وازدادت نكاية تلك البلية، فرجعوا ثانيًا إلى الأنبياء، فلما دعوا جاء الوحي بأن يضعفوا المسدسة ليس كما فعلتم أنتم وذلك التضعيف لا يحصل إلا بطريق الحكم فارجعوا إلى أفلاطون ليضاعفها، فقال أفلاطون: قد ابتلاكُم بالوعدة حتى تكونوا محيي الحكومة. فأمر أفلاطون تلميذه أرسطو ليخرج خطًّا مستقيمًا بين خطين مستقيمين وهو من معضلات الحكمة، فأخرج الخط المستقيم بين الخطين المستقيمين وضاعف البالوعة المسدسة فاندفعت البلية.

﴿مِنَ الْأَمْرِ﴾ أمر الدين ﴿فَاتَّبِعْهَا﴾ وأطع أحكامها وامثل أوامرها، وائته عن نواهيها، واقتد بالحكمة، تضمنها تلك الشريعة إذ الحكمة هي التي اقتبست من مشكاة النبوة، فعليك أن تجعلها تابعة للشريعة التي هي مأخذها ومشكاة لأنوار معرفتها ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 18] تلك الشريعة التي هي مأخذ تلك الحكمة ومنبعها ولا يتعبدون بها ولا يتقلدون بأحكامها كحكماء الطبيعية الذين أسندوا الإيجاد والتأثير إلى الطبيعة ولم يعترفوا بصانع آخر، وإذا توجه إليكم من البلاء وشدة وعناء.

﴿إِنَّهُمْ لَن يُعْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ  
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٩)

﴿إِنَّهُمْ﴾ أي الحكماء الجاهلون والعقلاء المقلدون الذين سلكوا مسالك العقل المتشبه بأذيال الوهم والحس وظاهر الفهم ﴿لَن يُعْنُوا﴾ ولم يدفعوا بحكمهم الطبيعية وحكومتهم المموهة ولا يمنعوا ﴿عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ من العذاب وأمرًا من العقاب ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم ولغيرهم من الأعيان النورية الجمالية والأكوان الظلية الجلالية في فردارية النور والجمال ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ وأصدقائهم ينحاشون في الصورة النوعية والنعوت الأصلية والفرعية والمناسبة الكلية، وجهة الوحدة الذاتية بالجمعية ذاتًا وصفةً وفعلًا وحالًا، وهي التي تكون علة انضمام بعضها إلى بعض. قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى ملكًا يسوق الأهل إلى الأهل»، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية: 19] وناصر المؤمنين الذين اتقوا عن المعاصي وأقبلوا الوجوه إليه بالنواصي.

﴿هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٢٠)

﴿هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ﴾ أي الفوز والعلاء ببصيرة واستبصار من ربهم ﴿وَهُدًى﴾ [الجاثية: 20] ورشاد واستصواب وسداد من الضلالة والإضلال والإغواء والغواية ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ وعطية ونعمة منه ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: 20] ويتكلمون ويستقيمون على كمال الإيقان ووفور الإتيان.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٢١)

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ اكتسبوا واجترحوا المعاصي والذنوب، أم وضعت للاستفهام معطوفًا على شيء آخر مظهرًا كان أو مضمرةً أي أعلم المشركون هذا أم حسبوا أن يتولاهم كما يتولى المتقين والله أعلم والهمزة لإنكار الجواب ﴿أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مثل الذين استقاموا على الإيمان وثبتوا ورسخوا على الإذعان والإيقان ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي الطاعات المقبولة عند الله والعبادات اللائقة لحضرته ﴿سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجاثية: 21] أي سواء حالهم في محياهم



ومماتهم، يعني ليس حال العاصين والمسيئين والمطيعين والمحسنين مستوية .

قال الكلبي: نزلت هذه الآية في علي وحمزة وعبد الله بن الحارث وفي ثلاثة من المشركين: عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، قالوا للمؤمنين: والله ما أنتم على شيء وإن كان ما يقولون حقًا لكان حالنا أفضل من حالكم في الآخرة كما كان حالنا أفضل من حالكم في الدنيا. وأنزل الله عليهم هذا الكلام وبيّن أنه لا يمكن أن يكون حال المؤمنين المطيعين مساويًا لحال الكافرين العاصين في درجة الثواب وفي مراتب السعادة والصدق والصواب، وفي حسن الإجابة والجواب، حسب يستدعي المفعولين أحدهما (أن نجعلهم)، والثاني الجار والمجرور، والمعنى: أحسب هؤلاء المجرمون أن نجعلهم أمثال الذين آمنوا، ونظيره: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: 18] وكقوله: ﴿أَفَجَعَلُ النَّاسَ كَالْمُحْرِمِينَ﴾ [القلم: الآية: 35]، ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصفّات: 154]، يعني محياهم ومماتهم سيان على معنى أن محيا المسيئين وممات المجرمين في درجة السواء، يعني كل يموت على حسب ما عاش عليه فعلى هذا يكون بدلًا من الذين قال النبي ﷺ: «كما تعيشون تموتون، وكما تموتون تحشرون»، يعني محياهم ومماتهم سيان في المسرة والبهجة والكرامة كما هو حال المؤمنين .

﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: 21] أي ساء حكمهم هذا أو بنس شيئًا حكموا

به .

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي سماوات عقول الأعيان النورية في فردانية الدورة الوسطى الجمالية، وأرض أجسام الأعيان الوجودية في هذه الدورة، أي السماوات البرزخية الخيالية متلبسة وملتصقة ﴿بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: 22] والعدل والقسط والصدق، فكأنه دليل وبرهان جلي جليل على حكمه السابق من حيث إن خلق ذلك إنما هو بالحق المقتضي للعدل والاقتصار الذي يستدعي انتصار المظلوم من الظالم، وتطابق مقتضى الجمال والنور، عرضي الجلال والغمور،

وتوافق البطون والظهور، وامتياز الخلق من مرتضى اختيار الصدق والحق ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عطف على بالحق لأنه في معنى العلة، أو على علة محذوفة مثل ليدل بها على كمال قدرته وجلال حكمته، أو لأجل إظهار الحق (لتُجْزَى) يعني وخلق الله السماوات والأرض ليدل على كمال قدرته وجلال حكمته ولإظهار الحق وغير ذلك، ولتجزي كل نفس بسبب اكتساب النفوس ﴿وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ﴾ [الجاثية: 22] ببعض الثواب وتضاعف العذاب، وتسمية ذلك ظلمًا لأنه لو فعله غيره لكان ظلمًا كالاتيلاء والاختبار.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ  
وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ مهوبه أو ما يهوى ويميل إليه فكأنه يعبده ويعتكف على عبادته، قُرئ (آلهته هواه) أحبه ومال إليه لأنه كان أحدهم يستحسن حجرًا فيعبده فإذا رأى أحسن منه رفضه إليه ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي عالمًا بأن تلك الآلهة لا تجديه نفعًا لانتقال ميله إلى أحسن منه، أو لأن فطرته السليمة قد نقلته وحركته منه إلى ما هو كان عائدًا له في الفقرة الأولى فحينئذ يحصل له علم بأن من كان في عبادة هذه الآلهة يكون ضالًا مضلًا، إلا أنه كما كان هذا العلم مرجوحًا للهوى ما غلب حكمه وغلب سلطنته الهوى ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ وإنما قدم السمع لأنه أقرب إلى القلب من البصر ولذلك كانت النغمات الطيبة الملائمة أشد تأثيرًا من الصور الحسية، وربما ينقطع تعلق الروح بالبدن لما يجد أنه إلى ما هو أصل السماع تتوقف عليه الأحكام الشرعية والأعلام الأصلية والفرعية، وأن الدلائل الإسلامية وهي الكتاب والسنة والإجماع تتوقف عليهما، وأما البصر فلا يتوقف عليه إلا ما يغنيك السمع به عن البصر ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ فلا ينظر بعين الاستبصار ويظهر الاعتبار نظرًا يفيد الاستدلال ويفيد الانتقال من المصنوع إلى الصانع ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ﴾ إلى معرفة الله وكمال قدرته وجلال عظمته ووفور حكمته ﴿مَنْ بَعَدَ اللَّهِ﴾ أي بعد ضلاله وإغوائه وجعله متحيرًا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 23] فإن الهادي والمضل والمرشد والمخير هو الله لا غير.

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (٢٤)

﴿وقالوا﴾ لفرط حيرتهم ووفور جهالتهم بالحق والحقائق ﴿ما هي﴾ أي الحياة والحال والثانية هي نفس الأمر ﴿إلا حياتنا الدنيا﴾ التي كنا فيها متقلبين في لذاتها، ومتمتعين في خصوماتها، ومتوسعين في شهواتها ﴿نموت﴾ أي كنا نموت في الدنيا في مراتب استحالات النطفة علقة ومضغة ﴿ونحيا﴾ بعد ذلك التغير والاستحالات في الرحم أو في أصلاب الآباء ورحم الأمهات، أو نموت بأنفسنا بعد استيفاء أطوار حياة الدنيا في أنفسنا ونحيا بأولادنا واستمرار حياة أحفادنا، أو يموت بعضنا ويحيى بعضنا، أو يصيبنا في الدنيا الموت والحياة وليس وراء ذلك موطن حياة ومعطن ممات، ويحتمل أن يكون إشارة إلى أطوار النتائج ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ والزمان الطويل، وكذا الغداة من العشيات ﴿وما لهم بذلك من علم﴾ أي ليس على هذا الاعتقاد لهم من علم أو من دليل وبرهان يفيد العلم بشيء ﴿إن هم إلا يظنون﴾ [الجاثية: 24] أي ليس لهم في هذه إلا اعتقادات فاسدة ويعتقدون اعتقادًا كاسدًا ناشئًا من فرط الجهل المركب الذي هو أردأ أمراض النفوس.

﴿ وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢٥)

﴿وإذا نُنْتَلَىٰ عليهم﴾ أي نُنْتَلَىٰ بَيِّنَاتٍ واضحات الدلالات على ما يخالف عقائدهم ﴿مما كان حجتهم إلا أن قالوا﴾ بعد إفحامهم وإسكاتهم ﴿إننا بآبائنا﴾ ليشهدوا لكم ويصدقكم في دعواكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ [الجاثية: 25] في ادعائكم ودعوتكم.

﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٦)

﴿قل﴾ يا محمد ﴿الله يحييكم﴾ وأبائكم وإحياءكم وإحياءهم ليس إلا ممن هو كامل القدرة وفاضل الحكمة وشامل الإرادة والقوة ﴿ثم يميتكم﴾ [الجاثية: 26] في الدنيا ﴿ثم يجمعكم﴾ في الآخرة أو في القبر ﴿إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ [الجاثية: 26] لا يليق الارتياب في يوم القيامة وأمر الإحياء والجمع والحساب وإعطاء الجزاء

وحسن الثواب، فمن هو عاقل فطن فاضل في طور كمال التّفطن والتعقل فضلاً عن  
هو كامل في طور الكشف وكمال الشهود ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ الذين مقيدون بدرجة  
التقليد ومرتبة التقلّد والتقييد ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 26] هذا الأمر الدقيق والسرّ  
الحقيق.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمَبْطُلُونَ﴾ ﴿٢٧﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمَبْطُلُونَ﴾ [الجاثية: 27]  
يومئذ متعلق بخبر مقدم عليه لإفادة حصر الخبر، يعني إذا قامت وظهرت الساعة  
ظهر خسران أهل الإبطال والإمطال.

﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً﴾ مجتمعة من الحيوث وهي الجمع والاجتماع، أو بركة  
من البركة والبروك، وهي الجمع أيضاً، قرئ جارية حالة على أطراف أصابع  
الرجل ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ أي تُدعى وتُطلب ﴿الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ﴾ ظرف الفعل الذي قدم  
عليه ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: 28] قبل إجزاء أعمالكم. قالوا:

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٩﴾

﴿هَذَا﴾ الذي عرض علينا وفيه أعمالنا ﴿كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ﴾ بلسان الحال أو  
بيان البيان، ويتكلم القول الحق والكلام الصدق ﴿بِالْحَقِّ إِنَّا﴾ في عرضة الدنيا  
والموطن الأدنى ﴿كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: 29] فيها بالأعضاء  
والجوارح. هذا كلام الملائكة على حفظ الأعمال وضبط الأفعال.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ

الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ ﴿٣٠﴾

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فيها ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ ورياض  
جنّته، وحياض نعمته ﴿ذَلِكَ﴾ الإدخال أو الإيمان والعمل الصالح ﴿هُوَ الْفَوْزُ  
الْمُبِينُ﴾ [الجاثية: 30] والظفر المتين، أو التوفيق المحض والتحقيق الصرف.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الدنيا جواب (أما) محذوف، أراد أما الذين كفروا فيقال لهم ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ﴾ رسلنا وتكن ﴿آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان بها والعمل بما يقتضي، وكنتم في النشأة الأولى والمرتبة الأدنى ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الجاثية: 31] عادتهم الإجرام وارتكاب المعاصي والتوجه إلى اقترافها بالوجه الكامل والنواصي .

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِينَ﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ لهم في معرض الموعظة وموطن النصيحة ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ [الجاثية: 32] أي الموعود والمصدر ﴿حَقٌّ﴾ ثابت وصدق ثابت، أو متعلقه، وهو الأمر المعدود والحكم المعهود ﴿وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ أفراد المقصود عطف على اسم إن إذ ﴿قُلْتُمْ﴾ في الجواب حالة الخطاب ﴿مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ أي شيء الساعة، استغراب لها ﴿إِنْ نَظُنُّ﴾ أي يظهر منا الظن ولا نصدر ولا نمنع معاً ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ بأمر الآخرة وهو أنها بحيث لا تطابق نفس الأمر ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِينَ﴾ [الجاثية: 32] أي طالبين لليقين، إن القوم كانوا في هذه المسألة على حالين، منهم من كان قاطعاً بنفي البعث والقيامة وأحوال الآخرة فهم الذين ذكرهم الله في الآية المتقدمة حيث قالوا: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حِسَابُنَا الَّذِي نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: 37]، ومنهم من كان شاكاً متحيراً فيه وبلغ مبلغ الظن، وذلك لكثرة إيراد الرسول ﷺ دلائل صحة الآخرة ووقوع الساعة وقيام القيامة إلا أنهم ما بلغوا حد اليقين كما قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِينَ﴾ [الجاثية: 32] لإمكانه فضلاً عن وقوعه .

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ﴾ وظهر لهم ﴿سَيِّئَاتِ مَا عَمِلُوا﴾ [الجاثية: 33] أي قبح أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة إما بشهادة آثار قبائحها أو بإدراك قباحتها أو بسماعها أو بمطالعة الكتب السماوية الواردة في حقية الآخرة وأحوالها، إلا أنهم ما عملوا

على ما علموا إلا لضعف عقائدهم ووهن اعتقادهم بقلّة تدبيرهم وبله تفكيرهم ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الجاثية: 33] بأن أحاط بهم جزاء استهزائهم ووبال إنكارهم وأهلكتهم قبائح سيئاتهم على وجه الإحاطة .

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَسْنَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَأَكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ

نَّصِيرِينَ ﴿٣٤﴾

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ﴾ الذي أنكرتموه واستهزأتم به ﴿نَسْنَاكُمْ﴾ أي تعاملكم هذا اليوم معاملة التناسي ﴿كَمَا نَسَيْتُمْ﴾ أنتم في النشأة الأولى ﴿لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ والتقاءكم به ، أو ننزلكم في العذاب الأبدي والعقاب السرمدي ، هكذا إضافة اللقاء إضافة المصدر إلى ظرفه الذي هو في المعنى فاعله على المجاز المرسل ﴿وَمَاؤَأَكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ﴾ وميعادكم جزاء لأعمالكم وإجراء على معاملة أفعالكم ، وما لكم في هذا اليوم والساعة ﴿مِّنْ نَّصِيرِينَ﴾ [الجاثية: 34] من تعين العذاب الغليظ والعقاب المغلظ .

﴿ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ

مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَبُونَ ﴿٣٥﴾

﴿ذَلِكُمْ﴾ العذاب المخلد والعقاب المؤبد ﴿بِأَنكُمْ أَخَذْتُمْ﴾ أي بسبب اتخاذكم ﴿ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ وكتابه أو معجزاته ﴿هُزُوًا﴾ استخفافاً واستهتاراً ولهواً ولعباً ولم تتفكروا فيها تفكّر المتدبرين ﴿وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ وخدعتكم وحسبتم أن لا حياة سواها ولا سعادة إلا في الدنيا ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا﴾ في ذلك اليوم لا تخرجون من النار وعقوبتها ﴿وَلَا هُمْ يُسْعَبُونَ﴾ [الجاثية: 35] أي يطلب منهم أن يعتبوا ربهم ، أي يرضوه ويجاهدوا لاكتساب السعادة فإن الآخرة ليست دار الاكتساب بل دار الاستراحة .

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ﴾ أي رب الأدوار النورية الجمالية وأعيانها وربّ الأكوار الظليّة الجلالية وأكوانها ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الجاثية: 36] وأعيانها الداخلة تحت حيطة تربية الأدوار والأكوار .

والعالم بكليته نوعان: صوري ومعنوي، أما الصوري فقسمان: فلكي وشهادي، وهو عالم الأجسام فلكي وعنصري، وما يتركب من العناصر وهو المعادن والنبات والحيوان، وأما ذو الإدراك مكلف بالعبادة والطاعة وهو إنسان وجن ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، أو غير إدراك، ومكلف وبرزخي مثالي وهو حد فاصل بين الأجسام والأرواح، وهو نوعان: مبدئي وهو الذي يلي عالم الأرواح والنفوس المجردة العاقلة في عالم الصورة اللطيفة، وهي التي تقبل الإشراقات الإلهية النازلة من شمس السماوات، وعالم العقول والأملاك المقربين. ومعادي: وهو الوجه الذي يلي عالم الملك والشهادة الذي تتحقق فيه أحوال الآخرة من الجنة والنار والصراف، وأطوار النبوة وأسرار الولاية من الوحي والمعجزات والكرامات والمشاهدات، وشهود التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية، والمنامات والرؤيا الصالحة والتعبيرات.

ويتمثل الملك والجن بالصور المختلفة، والأشكال المتطورة وغير ذلك من عجائب عالم الآخرة وغرائب أسرار عالم المعاني والصورة، وسؤال المنكر والنكير، وعذاب القبر ﴿وَمِن رَّأْيِهِمْ بَرِّخٌ إِلَى يَوْمِ يُعْتَوْنَ﴾ [المؤمنون: 100]، ﴿وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]. وأما عالم المعاني وهو عالم الأمر والأرواح والنفوس وعالم العقول وعالم الجبروت والواحدية، فالعالمان اللذان يدخلان تحت التربية صوري والآخر معنوي، فالعالم الذي يقبل التربية والتدبير وهو أربعة، ومدبره أربعة، وهو: العليم والحي والقدير والمريد، وقد مرت الإشارة إلى تفصيلها في صدر السورة.

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣٧﴾

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ والعظمة، وهي رداء الألوهية وإزار الربوبية، قال الله تبارك وتعالى: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما أدخلته النار»، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي الأدوار النورية والأكوار الظلية الإفرادية، والمراد من السماوات هي الأدوار والأكوار الإفرادية، ومن الأرض هو الأدوار والأكوار الجمعية وجمعية الجمعية ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: 37] القاهر الغالب

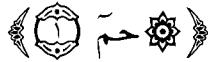
القادر على خلق السماوات والأرض ، الحاكم على الأشياء على ما تقتضيه حكمته البالغة وقدرته الكاملة . ومن تحقَّق بمثل هذه الكمالات فحقّه أن يكبّر الله حقّ الكبرياء ويعظّمه حقّ التعظيم . عن رسول الله ﷺ : «من قرأ سورة الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكّن روعته يوم القيامة» .



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي دور سرّ خليفة آدم في مراتب استكمال النشآت في أصلاب الآباء العاليات في الأدوار الأربعة الفرعية التي تتضمنها كل دورة من الأدوار الأربعة الأصلية النورية الوجودية الجمالية التي أشار إليها الله تعالى بقوله: «خَمَرْتُ طِينَةَ آدَمَ بِيَدَيَّ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»، في فردارية الأسماء الذاتية الأربعة الأولية، أعني العليم والحَيّ والقدير والمريد ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذي دبرها في ظهور رحم أرض الاستعداد الذاتي وعرض القابليات الأولى في الأطوار الثلاثة في شهر النطفة النطفية العلقية والمضغية بعد تنزلها من موطن بسائط العقول العشرة في المراتب الأربعة المحققة بالجبروت والملكوت والبرزخ والملك، التي تضمنت نهاية مرتبتها، وهي العشرة، تلك عشرة كاملة (ع 10123) إلى مراتب التركيب الثلاثة في المبادي الأولى، وهي الثلاثة الأخيرة من السبعة الذاتية، وهي السميع والبصير والكليم، وفي المبادي الأخرى أعني المعادن والنبات والحيوان، وفي النفوس الثلاثة وهي: السبعية والبهيمية والإنسانية ﴿الرَّحِيمُ﴾ الذي أجاب دواعي المؤمنين، وأصاب سهامًا في قلوب العارفين إلى صدق موالاتهم وصدق دور مؤملاتهم مشروطًا بالصبر، ومربوطًا بالتوفيق والنصر والفوز والظفر، إلى أن بلغوا مبلغ الرسالة والنبوة وكمال الجزم ووفور العزم.



﴿حَمَّ﴾ [1] قال ابن عباس: الحاء حرف المؤمن مع نفسه

بلغه بترك الدنيا ورفض زينة الهوى وردود فعله على بسائط المولى . والميم ملك العارف على ثلاث: على الدنيا بالزهد، وعلى النفس بالجنة، وعلى الهوى بنور المعرفة . وأقسم بأن الكتاب كتاب الفرد الشريف من اعتز به صار عزيزاً على سرير ملكه بما أنذره الله عن غيره وأواه في كرمه وإحسانه .

قال الصادق: الحاء حبّ الحبيب بمحبة مولاه، والملك العارف بمعرفة مولاه . قال الله تعالى: (خلقهما بالحق وجعل لهم أجلاً) فأجل العارف برّه، وأجل المحب إحضاره، وكرامة العارف بمعرفة مولاه لا تنزل إلا عند اللقاء والرؤية .

واعلم أن حواميم السبع إشارة إلى الأدوار السبعة النورية الوجودية الجمالية، أربابها هي الأسماء السبعة الذاتية، الأربعة الأولى وهي: العليم والحي والقدير والمريد لقسطه . والأدوار الأربعة الأولى المزبورة بهذه الأسماء المنسوبة إليها إنما هي إفرادية مستقلة، والثلاثة الأخيرة إنما ينسب إليها بالاشتراك لا بالاستقلال، وهي: السميع والبصير والمتكلم . ومدة أدوار تدبير هذه الأسماء هي مدة أدوار تلك الأسماء الأربعة الأولى، وبداية مدة الأدوار الاستقلالية والاشتراكية واحدة بالنوع مختلفة بالشخص، ولذا عبّر عنها بالكتاب الذي هو كناية عن النقل الأول بعبارات متغيرة، فإن لكل دورة من هذه الأدوار بداية ومفتحه .

### ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ ﴾ [الأحقاف: 2] أي تنزيل الحق من سماء الواحدية واسم الأحدية الجمعية، كتاب التعيين الأول العقل لكل إشارة إلى الدورة الصغرى التي ربّها ومدبرها ومربيها المريد . وتتضمن الأدوار الأربعة المنسوبة إلى الأسماء الأربعة الذاتية الظاهرة آثار أنوار كل واحد منها في مرتبة من المراتب الأربعة المحققة فيكم، فإن العليم يظهر آثاره في مرتبة العلم والعقل والجبروت، والحي في مرتبة الملكوت، والقدير في مرتبة البرزخ والمثال، والمريد في مرتبة الملك والشهادة .

وإن لكل اسم من هذه الأسماء الذاتية ثلاث اعتبارات، أحدها إلى الذات الأحدية، والثانية إلى الكثرات الواحدية، والثالث إلى الأحدية الذاتية . وإذا نسبة

لكل واحد من هذه الأسماء الأربعة بهذه الاعتبارات الثلاثة إلى سماء كل مرتبة من هذه المراتب الأربعة ظهرت في كل سماء من سماوات هذه المراتب الأربعة اثنتا عشرة نسبة كليّة وهي البروج الاثنا عشر المشهورة، تحصل في كل مرتبة اثنا عشر برجًا مجموعها ثمانية وأربعون، وإن الحوادث الظاهرة في عالم الشهادة إنما هي من جنس مقتضى فرد الكونين العلويين، أعني زحل ومشتري في المثلثات الأربعة النارية والهوائية والمائية والترابية، فهما عبارتان عن باطن العلم وظاهره وهما غيب الولاية والنبوة الذاتية والعرضية، يظهر بأن الحقيقة المحمدية والماهية المرتضوية «يا علي كنت مع الأنبياء سرًّا وضربت معي جهرًا».

وفي كل مثلث يقاربان اثنا عشر مرة، وإلى هذا أشار بقوله رحمه الله .  
 وأيضًا إن الأدوار والأكوار متداخلة مندمجة بعضها في بعض اندماج الليل في النهار وبالعكس، وإذا ضربنا الأربعة في الأربعة حصل ستة عشر، وقد عرفت أن لكل واحدة من الأرباب الأربعة المدبرة لها ثلاثة نسبة أحدية إلى الأحدية الذاتية، والثانية إلى واحدة الكثرة، والثالثة إلى خصوصية إنيتها وصورة جمعيتها الإلهية ومعيتها الربوبية . وإذا اعتبرت الأدوار الستة عشر مع أربابها بالأحوال الثلاثة في المراتب الأربعة ظهرت ثمانية وأربعون دورة كلية، لكل دورة اقتضاء خاص ودنيا وآخرة، ولذلك الاقتضاء مدة معينة، فإذا اقتضى اقتضاءً ظاهرًا تلك المدة دامت قيامته وظهرت ساعته، وانتقلت فردارية تلك الدورة من ظاهر الدنيا إلى اقتضاء الباطن وهي الآخرة، وهو البطون والخفاء، فتصير الدنيا آخرة والآخرة دنيا كانقلاب طور النهار إلى طور الليل وبالعكس إذ الدنيا والآخرة في الحقيقة يوم وليلة ربانية، أو كانت الدورة دورته الصغرى الإرادية الظاهرة في مرتبة الملك والشهادة، والدورة الوسطى التي تظهر سلطنتها في المرتبة البرزخية بتدبير القدير، ويوم ليلته إلهية إذا كانت بالدورة الكبرى، يجري آثار اقتضاءها بسلطان الحي في مرتبة الملكوت وعالم الأرواح، ويوم وليلة ألوهية سرمدية إذا كانت الدورة العظمى التي سرى سلطنة فردانيته في مرتبة الواحدية وعالم الجبروت بتدبير السلطان العليم .

ومقدار هذه الأيام متفاوتة، فإن مقدار يوم الألوهية السرمدية ثلاثمائة وستون سنة، كل سنة مقدارها ثلاثمائة وستون يومًا، ومقدار كل يوم من أيام

الدورة العظمى ثلاثمائة وستون، وكل يوم من أيام هذه السنة خمسون ألف سنة من سني ما دونها، وهي الدورة الكبرى ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 4 - 5].

ومدة الدورة الكبرى ثلاثمائة وستون سنة، وكل سنة ثلاثمائة وستون يوماً، وكل يوم مقداره ألف سنة من سني الدورة الوسطى ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: 47]. والدورة الوسطى عبارة عن ثلاثمائة وستين ألف سنة، وكل سنة مقدارها ثلاثمائة وستون يوماً، وكل يوم من أيامها عبارة عن مائة سنة ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُمْ مِائَةَ عَامٍ﴾ [البقرة: 259].

ومدة الدورة الصغرى عبارة عن ثلاثمائة وستين ألف سنة، وكل سنة ثلاثمائة وستون يوماً، وكل يوم أربعة وعشرون ساعة. وهذه الدورة منطوية على أربعة أدوار أسمائها الأدوار الكلية الأصلية، وهي: العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، إلا أنها بعد الإضافة إليها بأن نقل إليها العظمى والصغرى أو عظمى الدورة الصغرى الفرعية، ومقدار مدتها قد عرفتها بأن كل يوم من أيام هذه الدورة مقدار الألف سنة، ومقدار يوم الدورة الكبرى مائة سنة، ويوم الدورة الوسطى ثلاثة آلاف وستمائة، والكبرى ستة آلاف وثلاثون ألف سنة، والعظمى ثلاثمائة ألف وستون ألف سنة، وعلى هذا القياس سائر الأدوار، فيكون مجموعها من ضرب الأربعة في الأربعة ست عشرة دورة.

فإذا اعتبرنا أربابها وهي الأسماء الأربعة الذاتية، أعني العليم والحي والقدير والمريد، بما فيها من النسب الثلاث التي اعتبر نسبتها إلى الأحدية الذاتية والواحدية الأسمائية، والنسبة الأحدية الجمعية، والوحدة الآتية من حيث هي في المراتب الأربعة، ترتقي كلها بهذا الاعتبار إلى ثمانية وأربعين دورة. وإليه الإشارة بقوله: ﴿حَمْدًا﴾، ففي بداية كل دورة من هذه الأدوار الأصلية ينتقل الحكم من فردانية دورة إلى دورة أخرى فحينئذ تظهر الساعة وتقوم القيامة العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، وينتقل طور الدنيا إلى طور الآخرة، وطور الآخرة إلى طور الدنيا، وتبدل السماوات والأرض ﴿يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48]، ويظهر الطوفان الكلية الترابية والمائية والهوائية والنارية والسماوية والطبيعية والنفسية والعقلية والربانية

والإلهية، بأن يحيط في عالم العناصر ويقلب سلطنة كل من العناصر على الباقية بأن ينقلب جميع العناصر وينتقل إلى ذلك العنصر ويصير صوراً لكل صورة ذلك العنصر لاشتراك الهيولى في الكل، مثلاً إذا كان طوفان النار يحيل صورة الكل إلى صورتها ويحيط بجمعها بأن لا يظهر منها إلا صورة النار إما بالفساد والكورة وبالتخلخل والتكاثف أو بالاختفاء والكمون، وكذا باقي العناصر.

وعلى هذا القياس الأفلاك والسموات، فإن الهيولى الذاتية ما اشتركت بين الكل يمكن أن تتخلخل صورة فلك القمر وتحيط بجميع صور الأفلاك وذلك عند انتقال السلطنة إلى اسم المرید واقتضائه سلطان فردانيته واستيلائه على الكل، واختفاء سائر الأسماء في اسم المرید، واستعلاء الوحدة الذاتية واستيلاء الأحدية الذاتية على سلطان اقتضاء المرید واختفائها في اسم المرید، واقتضائه. وقس على هذا سائر الطوافانات.

وأما الدورة الجزئية المنطوية تحت هذه الأدوار، ففي كل منها تظهر أعيان مخصوصة وأكوان منصوصة مناسبة لتلك الدورة، وتبعث إليه في كل منها أنبياء ورسلاً، وينزل فيها عليهم كتباً على وفق اقتضاء كل دورة كما قال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ القوي الغالب على إنزال الكتب وإرسال الرُّسل لإظهار الحقائق المخفية والدقائق البحت الجنية ﴿الْحَكِيمِ﴾ [الأحقاف: 2] الحاكم على الموجودات باتباعهم العالم بتفاريع أحكام النبوة الذاتية والعرضية، وأعلام الحكمة النظرية العملية المنزلية والمدنية والسياسية. وأما الحكمة النظرية فأصولها أربعة: الموسيقى والهندسة والحساب والهيئة وعلم النجوم وفروعها كثيرة.

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ﴾

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ﴾ الأدوار الإلهية ﴿وَالْأَرْضَ﴾ أي الأدوار الكونية ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الأحقاف: 3] من الأدوار الجزئية والحوادث الزمانية، والأعيان النورية الإلهية من الملائكة المقربة، والمجردات العقلية، والنفوس والملائكة العاملة المدبرة، والأكوان الظلية الكونية الجلالية من الأبالسة والشياطين وغير ذلك من

كائنات الجو كالنيازك والشهب وذوات الأذنان، والخيال من البرد والمكونات النارية والهوائية والمائية والأرضية، ومن الأرض مثلهن، وتنزيل الأمر بينهن ليعلموا أن الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأحقاف: 3] أي خلقاً متلبساً بالعدل والقسط والتسوية الإلهية على ما تقتضيه الحكمة الإلهية البالغة.

واعلم أنه قد يتكوّن في جو السماء ما بين السماء والأرض مكونات كثيرة وكائنات عجيبية صغيرة وكبيرة من الحيوانات والأحجار والجبال وغير ذلك، قد نزل في زماننا سنة ثمانٍ وسبعين وثمانمائة تقريباً جبل من جو السماء طوله قريب من فرسخين وقريب منه في موضع من الشيروان والطوالش قريب من تبريز في ساحل بحر يقال له قلزم، وقد كان في هذا الجبل شيء يشبه برقشنا الذهبي وقد تواتر الخبر بسقوطه.

﴿وَلَعَلَّ مُسِيءٌ﴾ هو منتهى آجال الكل، وهو يوم القيامة الذي ينتهي إليه آجال أعيان الدورة المنسوبة إليها ذلك اليوم، يعني أن الله تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما وقدر لأعيان هذه الدورة فراداً فراداً على اليقين ومجموعاً عند انقضاء هذه المدة، وهو يوم القيامة الذي هو نهاية مدة هذه الدورة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: 3] المجرور متعلق بما بعده، أي معرضون عن إنذار ذلك اليوم والإخبار عنه.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴿٤﴾

﴿قُلْ﴾ يا محمد ومن داخل تحت حيطة حكمه من الأمة والاتباع من الصحابة والأتباع ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أي أخبروني عن آجال آلهتكم بعد كمال التأمل في حقيقتها والتحمّل في تصور إدراكها وغرور دراياتها ودور تعرفاتها، هل حورتم أن يكون لها دخل في خلق جزء من أجزاء العالم وتكون عضو من أعضاء بني آدم لتستحق بها أن تعبد وتشرك في خلق جزء السماوات فضلاً عن كلها ﴿مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأصنام والأوثان ﴿أَرُونِي﴾ [الأحقاف: 4] أمر من باب الإفعال من يراؤون، حذفت الهمزة على خلاف القياس، ثم الياء بعد نقل حركتها إلى ما قبلها، فإذا حذفت التاء

والياء لالتقاء الساكنين عادت الهمزة التي كانت مفتوحة صارت أُرِياً أروا، والنون نون الوقاية، والياء ياء المتكلم ﴿مَادَا﴾ أي شيء ﴿خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ بالاستقلال بلا مشاركة الغير ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ ومشاركة ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ وخلقها وتكوينها ﴿أَتُنُونِي﴾ وأعطوني ﴿يَكْتَبِ﴾ يكون ويحدث ﴿مَنْ قَبْلَ هَذَا﴾ الكتاب المحمدي والخطاب الأحمدي لينطق بالتوحيد وكمال القدرة والإرادة ﴿أَوْ أَتْرَقْتُمْ عَلِيمٌ﴾ أي ما فيه من آثار علم من علوم الأولين من الأنبياء المرسلين والحكماء المتألهين من قولهم: سمت الناقة على أثاره من شحم أي بقية من شحم كان بها من شحم ذائب فرئي أثره، بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء المثلثة، والاثرة بالكسرة بمعنى الأثر، وأما الأثرة فهي المرة من مصدر أثر الحديث إذا رواه. وأما الأثر بالضم فهو اسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به، أي انظروا في آثار الأولين وأطوار الآخرين هل يحصل لكم علم بأن لها ما يستحق به العباد ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: 4] في دعوكم الشرك والإشراك.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ  
وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالاً من عبادة الأوثان الذين هم المشركون ﴿مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ حيث تركوا عبادة الموجود الواجب الوجود، السميع البصير المجيب، القادر الخبير، إلى عبادة من لا يستجيب لهم وانتفى عنه السمع والبصر والقدرة، والعلم والخبرة، والإدراك والحكمة، فلا يقضي لهم حاجة لأنه جماد محض، فكيف يجوز لمن له أدنى مسكة أن يعبد ويشرك بواجب الوجود المتصف بكل الكمالات وهذا النقص منه مستمر إلى يوم القيامة ﴿وَهُمْ﴾ أي المعهودات من الموجودات الجامدة ﴿عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف: 5] جاهلون لانتفاء العلم والإدراك عنهم، وفي إرجاع الضمير المخصوص بذوي العقول لإشعار بأن المعبود أعم من الحال لأن منهم من عبد الملائكة والكواكب والشمس وعيسى وهم في حد ذاتهم معدومون خالون عن العلم والإدراك.

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءَ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ﴾ يوم القيامة العظمى والمحشر الكبرى ﴿كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءَ﴾ [الأحقاف: 6] أي أظهرت الأصنام للناس العابدين لهم عداوة ومخالفة إما بلسان الحال أو بلسان النطق والمقال ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: 6] إشارة إلى أنواع الأصنام وأصناف المعبودات الباطلة، فإن منهم جمادًا بالفعل، ومنهم له علم وقدرة إلا أن العلم والقدرة وغيرهما ليست أصلية ذاتية لهم بل هي من الله، فكانوا في حد ذاتهم جامدين كالأصنام المنحوتة، عالية في العلم كالملائكة وأشخاص الإنسان كعيسى وأمه عليهما السلام كما قال تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: 14]، كما قال تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: 116] الآية.

﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ

مُبِينٌ ﴿٧﴾﴾

﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيَّنَّتْ﴾ ووضحت في أنفسهم أو بينات وموضحات ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله وتوحيده وبرسوله وكتابه ﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي لأجل الحق كما قال الذين آمنوا أي لأجل الأعيان الذين آمنوا، والمراد بالحق هي الآيات والكتاب، وبالذين كفروا المتلو عليهم، فوضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر للمتلو إضراب عن ذكر تسميتهم إياه سحرًا إلى ذكر ما هو أشنع وأقبح وإنكار له وتعجب ﴿هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: 7] أي القرآن ومحمد سحر ظاهر.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْنَاهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا

فُيْضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ وزعمتم ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْنَاهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي إن عاجلني الله بالعقوبة على ما صدر عني من الجرائم والمعصية ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ﴾ [الأحقاف: 8] فلا تعتذرون على دفع شيء منها فكيف أجتري عليه وأتجاسر لديه وأنا جازم له من فعله وأقدم لديه وجب عقوبته وبرئ خصومته من الله تعالى



عبد الله بن سلام، وقيل هو عيسى عليه السلام أخبر بما وجد في التوراة والإنجيل، أو في التابوت أو بالوحي أو بطريق آخر إن أمكن ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ أي مثل القرآن وهو التوراة والإنجيل والمعاني المصدقة للعنوان المطابقة لها، أو مثل ذلك وهو كونه من عند الله ﴿فَتَأْمَنُ﴾ الشاهد بالقرآن لما رآه من جنس الوحي مطابق للحق ﴿وَأَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن الإيمان بمحمد وبالقرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف: 10] استئناف مشعر بأن كفرهم لضلالتهم المسببة عن ظلمهم على أنفسهم وعلى غيرهم بصدودهم عن سبيل الله، أو دليل على الجواب المحذوف مثل الشيعة الظالمين تقديره أن يقال: إن كان هذا الكتاب من عند الله ثم كفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على حقيقته وكمال صحته ثم استكبرتم فكنتم من الخاسرين، ثم حذف هذا الجواب، نظيره: إن أحسنت إليك أو أسأت أو أعرضت عني فقد ظلمتني.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسِيحُونَهَا هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي لأجلهم لو كان الإيمان والتصديق بالقرآن أو بمحمد وبما جاء به خير في الأولى والآخرة ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ أي ما تقدمونا إليه وما تسارعونا لديه، وهو كلام كفار مكة، قالوا: قد أسلم عامة الفقراء الذين كانوا حقراء في نظرهم، فقراء في بصرهم كعمار وصهيب ومقداد وابن مسعود، وبلال وسلمان، ومعاذ بن جبل وأشباههم.

قيل: لما أسلمت جهينة ومزينة وغفار قال بنو غطفان وأسد والسجع: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ إنكاراً عليهم. وقيل: لما أسلمت أمة عمر وكان عمر يضربها ويقول هذا، أو اليهود قالوا حين أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ (إذ) ظرف لمحذوف مثل ظهرت عبادتهم ولم يهتدوا ﴿فَمَسِيحُونَهَا هَذَا﴾ أي القرآن هو ﴿إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: 11] أي القرآن قد قدم وثبت في الزمان القديم كقولهم: هو أساطير الأولين.

وأعرض نفسي والطعن في آياته ووحيه وتسميته سحرًا وكهانة أخرى ﴿كَفَىٰ بِهِ﴾ أي حسبي الله ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي يشهد لي بالصدق وعليكم بالكذب والجحود، وذكر العلم والشهادة وعيد بالجزاء ﴿وَهُوَ الْعَفُورُ﴾ يتجاوز عما فعلوا وتجاوزوا عن الحد ﴿الرَّجِيمُ﴾ [الأحقاف: 8] يعطي الرحمة لمن تاب ورجع إليه وأتاب، إشعار بكمال حلم الله لهم والتجاوز عنهم مع عظم جرمهم ووفور معصيتهم وجهالتهم.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنِّي إِنَّمَا مَآءٌ يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ صفة المشبهة بمعنى البدع لما طعنوا في القرآن بأنه من مخترعات الرسول ومقترحات نفسه، فأمره الله بأن قال: ﴿مَا كُنتُ بِدْعًا﴾ ومبدعًا منفردًا بهذا الأمر من بين الرسل، بأن افتريت على الله بانتساب كلامي ومخترعات نفسي إلى الله. قال ابن عباس: لما اشتد البلاء على الصحابة بمكة واشتكوا إلى رسول الله ﷺ رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض طيبة ذات نخل، استبشروا بذلك وفرحوا لأنه استخلاص من أذى المشركين. ثم إنهم مكثوا برهة من الدهر وما رأوا أثرًا من ذلك، فقالوا: يا رسول الله رأينا الذي قلت وهي تهاجر إلى الأرض التي رأيتها في المنام، فسكت رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ وقال: هي شيء في المنام وأنا: ﴿إِنِّي إِنَّمَا مَآءٌ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ فلا أتجاوز، وهو جواب عن اقتراحهم الإخبار عما يلوح له من الغيوب أو استعجال المسلمين أن يتخلصوا من أيادي المشركين وأذى الكافرين ومناذي المنافقين ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ ومخوف ومخبر عن عذاب الله وشديد عقابه ﴿مُبِينٌ﴾ [الأحقاف: 9] يبين الإنذار بالشواهد المبينة والقواعد المثبتة والمعجزات المصدقة.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَمَأْمَنَ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أي أخبروني وآتوني ﴿إِنْ كَانَ﴾ القرآن وكتاب الله ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِءِ﴾ يجوز أن تكون عاطفة على الشرط وكذا ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأحقاف: 10] إلا أنها تعطف بما عطف عليه على ما حمله ما قبله، والشاهد هو

﴿وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا  
لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٢﴾

﴿وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ﴾ أي قبل كتاب محمد كتاب موسى التوراة حال كونه ﴿إِمَامًا﴾ لبني إسرائيل وأهل زمان دين موسى ﴿وَرَحْمَةً﴾ من الله ونعمة لمن آمن به منهم وعمل بما فيه ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كَتَبَ مُصَدِّقٌ﴾ ومثبت لما قبله ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال كونه نزل على لسان العرب ولغته وهي لغة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وهو مفعول لمصدق ﴿لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ علة الصدق ﴿وَيُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: 12] عطف على محل ينذر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ  
يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٣﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ في هذا القول جمع التوحيد الذي هو خلاصة العلم وصفوته، والاستقامة التي هي نهاية العلم وغايته، وثم للدلالة على تأخير رتبة العلم عن العمل المتعلق بالتوحيد، ويتوقف على التوحيد ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: 13] أي لحوق المكروه عن فوات أمر محبوب أو شيء مرغوب.

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤﴾

﴿أُولَٰئِكَ﴾ الذين آمنوا عن الخوف والحزن ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: 14] من اكتساب الفضائل العلمية والخصائل العملية (جزاء) حال من المكتسب أو مفعول مطلق حذف عامله نحو جزوا جزاء أو مفعول له أي خالدين لأجل الجزاء.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا  
وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ  
أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا  
تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٥﴾

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أي حكمنا على أفراد الإنسان وآحاده ﴿بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ

أُمَّهُ كُرْهًا» ذات كره، وأكثر الحمل تسعة شهور وعشر «وَوَضَعْتَهُ كُرْهًا» أي بالمشقة والتعب، ومدة «وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ» وهو الفصام، وهو القطع عن الرضاع «ثَلَاثُونَ شَهْرًا» [الأحقاف: 15] إشارة إلى أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وأكثر الرضاع حولان، فمجموعه ثلاثون شهرًا. قال الأطباء وأهل التنجيم بأن الله تعالى دبر عالم الكون والفساد بالعالم العلوي وهو الأفلاك والنجوم، قال الله تعالى: «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» [السجدة: 5]، فابتداء تربية الجنين من زحل وفعله وتأثيره، وهو إحالة النقطة من صورتها وتعنفها في مدة شهر ثم ينتقل التدبير منه إلى المشتري فتقعد النقطة ويصلحها في شهر واحد ويجعلها، ثم ينتقل إلى المريخ فيجعل العلقه مضغة بأمر الله وتقديره، ويجعلها حصصًا ويجعل كل حصة مادة كل جزء من الأجزاء وأصل كل عضو من الأعضاء، فإذا انتقل التدبير إلى الشمس صور تلك الأجزاء كلاً منها مما يليق به في مدة شهر وعشرًا، فإذا تم هذا التدبير في أربعة أشهر وعشرًا نفخ الله تعالى الروح الحيواني الذي هو مبدأ الحركة الإرادية في الجنين كما قال الله تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلْطَانٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾» [المؤمنون: 12 - 14]. وفي الحديث: «إن الله يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين نطفة، ثم أربعين علقة، ثم أربعين مضغة، ثم يبعث ملكًا بأربع كلمات...» إلى آخره.

ثم تنتقل التربية والتدبير إلى الزهرة، فيعقد القوة الشهوية التي هي مبدأ النشوء والنماء ويتم أمرها في شهر، ثم ينتقل إلى العطارد فيظهر في فردانية تدبيره القوة العاقلة التي هي مبدأ الإدراكات التي تتوقف عليها الأمور الإرادية والحركات الاختيارية، ثم ينتقل التدبير إلى القمر الذي يستكمل البدن من الرأس إلى العظم، ومن الظهر والبطن وما فيه من الأحشاء من الرية والطحال والأمعاء وغير ذلك من الأجزاء والجوارح والأعضاء، فيمكن التولد في هذه المدة وهي سبعة أشهر وفي السنة أيضًا.

فإذا تولد الجنين في هذين الوقتين يعيش ويبقى، وأما إذا انتقل التدبير مرة أخرى إلى زحل في ثمانية أشهر، وهي بيت الموت والنكته، فإذا تولد لا يعيش بل

يموت لأنه نحس أكبر لا يفيض الحياة والسعادة. وفائدة إسقاط الموانع وارتفاع القواسم واندفاع النجوم من الطوالع، ثم تتحول التربة والتدبير إلى المشتري الذي هو السعد الأكبر في تسعة أشهر، وهي عدد آدم لانطوائه عليه (هـ/ 123547) ومجموعه (65) وهو آدم (65) فيتولد المولود في تسعة أشهر وعشر، فاستكمال المولود من حيث الصورة والظاهر والأجزاء والأعضاء في ثلاثين شهراً، أو من حيث المعنى والباطن وقوة المبادئ والقوى ثلاثون سنة وهي نهاية الشباب كما أشار إليه ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأحقاف: 15] وهو غاية قوة القوة ووسط مرتبة النبوة، وبداية الوقوف إلى أن بلغ أربعين سنة، وهو نهاية الوقوف وبداية الكهولة، ونزول سلطان النواميس الإلهية، وحلول نور برهان النبوة الذاتية والوحي، فإن الوحي على الأنبياء إنما يكون في أربعين، وهو أتم الأعداد وأعم العشرات والآحاد، فإن عقود عشرين هي أربعة أشرف أعداد الآحاد لاحتوائه على كمال مرتبة وهو العشر ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: 196] (1236) والمجموع (10) ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ [الأعراف: 142] ميقات ربّه أربعين ليلة وبه استكملت مرتبة خلقه آدم في الظاهر، خمّرت طينة آدم أربعين صباحاً وبه يتكامل صورة ومعنى، وظاهراً وباطناً «مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ»، ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: 142] إلخ.

﴿قَالَ﴾ الإنسان وفرده ﴿رَبِّ أَوْزَعَيْتَ﴾ أعلمني وألهمني وعلمني أو لقني من أودعته بكذا إذ ألقيته ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [الأحقاف: 15] ظاهراً وباطناً كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبِاطِنَهُ﴾ [لقمان: الآية 20]، ﴿وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ [الأحقاف: 15] نزلت هذه الآية في أبي بكر رضي الله عنه لأنه لم يكن أحد أسلم إلا هو في هذا الوقت، وأبوه أبو قحافة وأمه أم الخير. وفي تفسير الإمام الرازي معلوم أن المراد ليس كل إنسان يقول هذا القول فوجب أن يكون المراد من هذه الآية إنسان معين قال هذا القول. وأما أبو بكر فقد قال هذا القول في قريب هذه السن والنبي ﷺ بعث عند الأربعين، وكان أبو بكر قريباً من الأربعين، وهو قد صدق النبي ﷺ وآمن به. فثبت بما ذكرنا أن هذه الآيات صالحة لأن يكون المراد منها أبو بكر. فإذا ثبت القول بهذه الصلاحية فبقول ادعى أنه المراد من هذه الآية، ويدل عليه قوله تعالى: قال في آخر الآية:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: 16]، وهذا يدل على أن المراد من هذه الآية أفضل الخلق لأن الذي يتقبل الله عنه أحسن أعماله ويتجاوز عن كل سيئاته وسوء أحواله يجب أن يكون من أفاضل الخلق وأكابرهم. واجتمعت الأمة على أن أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعلى أنه لا يجوز أن يكون المراد من هذه الآية علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأن هذه الآية إنما تليق بأبي بكر، وعلي بن أبي طالب ما كان كذلك، أي يكون بالغاً وبلغ أربعين. هذا وأقول: إن النبوة إنما تنزل بعد الأربعين لشرف هذه المرتبة وكمال هذا العدد وشرفه، إذ كمال الإنسان ظاهراً وباطناً إنما يظهر فيها، وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقوله: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»، وكانت الرؤية ستة أشهر وزمان النبوة ثلاثة وعشرون مدة حياة النبي ﷺ ثلاثاً وستين، ومدة النبوة ثلاثة وعشرون كما أشار إليه الرسول ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»، ومدتها ستة أشهر ليلاً، وستة أشهر نهاراً، فالمجموع ستة وأربعون.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ نكارتة للتعظيم أو للتنويع الذي يستجلب رضى الله عنه ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ أي اجعل الصلاح سارياً في تمام ذريتي ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ ورجعت وأنبت لديك عما لا ترضاه ﴿وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: 15] والمخلصين لك.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ﴾ أي الله ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ وهي الطاعات المقرونة بالإخلاص والعبادات الخالصة عن الرياء ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ ومعاصيهم الصغيرة والكبيرة مقرونة بالتوبة، داخلين ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ واصلين في عدادهم، حاصلين في حدادهم. قال صاحب الكشاف: معنى هذا الكلام مثل قولك: أكرمني الأمير في ناس من أصحابه، يريد أكرمني الأمير في جملة من أكرم منهم، وتطمئن في عدادهم حال على معنى كائنين في أصحاب الجنة ومعدودين منهم ﴿وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: 16] وعد مصدر مضاف إلى صفة مؤكدة

لنفسها أي ويتقبل ويتجاوز عن الذين كانوا يوعدون في الدنيا والنشأة الأولى والأخرى.

﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفِي لَكُمْ أْتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْبِرَانِ اللَّهُ وَبِكَ ءَامِنُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ﴾ الأب والأم ﴿أَفِي لَكُمْ﴾ أولئك الذين حق خبره، والمراد الجنس، وإن صح نزولها في عبد الرحمن بن أبي بكر كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام فيأبى وهو يقول: ﴿أَفِي لَكُمْ﴾. فإنه لما كتب معاوية إلى مروان بأن يبايع الناس يزيد قال عبد الرحمن: أتبايعون لأبنائكم؟ فقال: يا أيها الناس هو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفِي لَكُمْ﴾، فلما سمعت عائشة هذا القول غضبت عليه، فإنها قد أنكرت نزول الآية فيه، إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر، واللام للبيان والاختصاص أي هذا التأنيف والتضجر خاص لكما فلا يملكه غيركما ﴿أَتَعِدَانِي﴾ بالنونين أو بالإدغام أو بأحد النونين ﴿أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ أي أن أبعث وأخرج في الأرض، ويجوز أن لا يكون المراد منه شخصاً معيناً، بل المراد منه كل من كان موصوفاً بهذه الصفة وهو كل من دعاه إلى الدين الحق، وهو الصحيح. ولا شك أن عبد الرحمن قد آمن وأسلم وحسن إسلامه وكان من سادات المسلمين ﴿وَهُمَا﴾ أي الوالدان ﴿يَسْتَكْبِرَانِ اللَّهُ﴾ بأن يقولوا: الغياث بالله منك ومن قولك، وهو استعظام لقوله بأن يغيثه للإيمان ﴿وَبِكَ﴾ دعاء عليه بالشبور في ترك الإيمان به بالحث والترغيب على الإيمان والإغراء على الإيقان والتحريض على التثبيت عليه ﴿ءَامِنُ﴾ أي صدق الوعد والبعث أي ذا أمن وأمان من عذاب الله وسخطه وعقابه ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ بأي يجزي كل أحد بثواب أو عقاب ﴿فَيَقُولُ مَا هَذَا﴾ القرآن والكتاب والقائل إما عبد الرحمن في بدء الحال أو الذي حق عليه كلمة العذاب، أو الشخص المنكور الغير المذكور ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف: 17] أي الأباطيل التي سولوها في أنفسهم وليس لها حقيقة وثباتاً.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقِفَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظَامُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ وهو كلمة العذاب ﴿فِي أَمْرٍ قَدْ حَلَّتْ﴾ وسلفت وتقدّمت قبلهم ﴿مِن قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأحقاف: 18] بيان الأمم وتعليل للحكم المتقدم على الاستثناف قد تقدم الكلام فيه قبيل هذا ولكن لما ذكر الله الولد البار ثم أردفه بالعاق قال: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ﴾ تفصيل لهما، أي لكل من البار والعاق، والباطل والحق، واليسر والشاق درجات ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ من البر والعقوق ﴿وَلِيُوقِفَهُمْ أَعْمَلَهُمْ﴾ وليعطيهم الله جزاء أعمالهم وافياً كافياً ﴿وَهُمْ لَا يُظَامُونَ﴾ [الأحقاف: 19] بنقص ثواب وزيادة عقاب.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدَّبْتُمْ طَيْبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ متعلق بيعرض أي عذبوا بالعرض على النار من قولهم: عرض له فلان إذا التقوا به كما يقال: عرضت الناقة على الحوض ﴿أَدَّبْتُمْ طَيْبَاتِكُمْ﴾ أي قيل أزلتم، وضيعتم طيباتكم وحالاتكم من الأطعمة اللذيذة والألبسة النعيمة، والثمرات، بالاستعمال في المواضع المجربات ﴿فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ أي تلذذتم بها في الحياة الدنيا ﴿فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ ظرف مقدم على عامله، الهون والهوان الجفاء والاستهانة ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: 20] وتعظون وتعظمون وتتحيرون في مراتب النفوس بالأعمال البدنية والنفسانية والجنانية والروحانية طاعة والعمل بما أمرتم به ونهيتم عنه.

﴿وَأَذَكَّرَ أَعَا عَادٍ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَأَذَكَّرَ أَعَا عَادٍ﴾ [الأحقاف: 21] أي هود وحكاية دعوته قوم أخيه إلى الله ﴿إِذْ



أَنْذَرَ ﴿ عن طول العذاب ونزول العقاب ﴿قَوْمُهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ جمع حقف وهي دخان طويل ودهر مديد جليل أي خوف قومه بعذاب يقع في الأحقاف والأدوار والأكوار، والمراد رمل مستطيل مرتفع فيه الخناء محقوف الشيء ذا عوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشجر، يعني شط البحر من بلاد اليمن ﴿وَقَدْ حَلَّتِ النَّذْرُ﴾ أي مضت الرُّسل ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ﴾ أي من قبله ومن بعده، يعني أن الرسل قبله كنوح وإدريس وشيث وآدم والذين بعده كصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وشعيب وموسى إلى محمد ﷺ وعليهم، وغاية كلهم يندرون ويخوفون الخلق إلى الحق إلى يوم القيامة ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ أن للبيان، يعني أن الغرض من بعثتهم هو الدعوة إلى الله والطاعة لمرضاة الله ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ أن يجعلهم من هنا لأمر ﴿عَذَابِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف: 21] في الآجل والعاجل، وإن السبب الكلي والغرض الأصلي ليس إلا لمعرفة المتضمنة للإيصال والاتحاد لا الزندقة والإلحاد.

﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكَ عَنْ ءِٰهْتِنَا فَأَنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿قَالُوا﴾ أي قوم هود ﴿أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكَ﴾ بأن تصرفنا ﴿عَنْ ءِٰهْتِنَا﴾ أي عبادتها التي وجدنا عليها آباءنا التي مضت عليها من كان من قبلنا من الأجداد ﴿فَأَنَّا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب وشدة العقاب ﴿إِن كُنْتَ﴾ في الإنذار والتخويف والإخبار ﴿مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: 22].

﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِكُمْ قَوْمًا

بَجَهْلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿قَالَ﴾ هود في جواب قومه: ﴿إِنَّمَا أَلِمْ﴾ بحلول العذاب ونزول شدة العقاب ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا يعلم وقته ولا يدري ولا يحكم بمعرفته ولا بكميته وكيفيته إلا الله فيأتيكم في وقته ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ [الأحقاف: 23] من الأحكام الإلهية والنواميس الربوبية ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ﴾ [النور: 54]، ﴿وَلَكِنِّي أَرِكُمْ قَوْمًا بَجَهْلُونَ﴾ [الأحقاف: 23] أي يظهر فيكم الجهل ويصدر بينكم الحماسة وأسرار الجهل.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا بَلْ هُوَ مَا  
 اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا﴾ أي سحابًا عزمًا طرأ في أفق ماطرة من السماء ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ أي توجه إليهم من الأودية، والإضافة لفظية، فإذا ﴿قَالُوا هَذَا﴾ السحاب نشأ ﴿هَذَا عَارِضٌ﴾ ظاهر في الأرض ﴿مُطْرُنًا بَلْ هُوَ﴾ أي يظهر المطر لنا، بل هو أي قال هود: ليس هذا مطر بل هذا ﴿مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ﴾ من العذاب الإلهي ﴿فِيهَا﴾ في الدنيا من القوي ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: 24] بيانها وصفاتها.

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي  
 الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿تُدَمِّرُ﴾ وتهلك ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ أصابته من نفوسهم وأموالهم ومساكنهم ومنازلهم ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: 25] وقوته وكمال قدرته، فإن الله قد أسكن الريح في طبقة من طبقات الأرض فإذا أراد إهلاك قوم أمر تلك الريح ليخرج شيء منها، وهبَّ على ذلك القوم كما أهلك قوم عاد وصالح. قد ورد في الخبر: إن الله أخرج مقدار ثقبه خاتم من الريح التي أسكنها في طبقة من الأرض ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾ مواضع سكونهم وأراضي ركوبهم، أي أصبحوا وظلوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى إلا أرضًا كانت مساكنهم. روي أن الريح حمل الفسطاط والطبقة فرفعها في الجو حتى ترى كأنها حرازة. قيل: أول من أخبر بالعذاب امرأة منهم قالت: رأيت ريحًا فيها كشهد النار. وروي أن أول ما عرفوا به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رجالهم ومواشيهم ورعائهم من أمامهم يطير بهم الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابها فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأنزل الله عليهم الأحقاب، فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم، ثم سكنت الريح عنهم فأجمعتهم وطرحتهم في البحر. روي أن هود لما أحس بالريح خطَّ على نفسه وعلى المؤمنين خطًا إلى حيث عين تنبع.

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: 25] عن ابن عباس: اعتزل هود ومن معه من المؤمنين وهم أربعة آلاف من الذكور والإناث في حظيرة ما يصيبهم من

الريح إلا ما يلين به الجلود وتلذ الأنفس وتستطيب كأنها ريح صبا تهب في غاية الحر، وإنها لتمر من عاد وقومه بالطعن بالسماء والأرض، وتدمغهم بالحجارة. عن النبي ﷺ: كان إذا رأى هبوب الريح فزع وقال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما أرسلت بها، وأعوذ بك من شرّها ومن شرّ ما أرسلت بها». وإذا رأى مخيلة وسحابة قام وقعد وجاء وذهب وتغيّر، فيقول الناس: يا رسول الله إنك ما تخاف؟ فيقول: «إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّطْرًا﴾ [الأحقاف: 24]».

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْعِدَّةً  
فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعِدَّتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا  
يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٢٦)

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ﴾ أي جعلناهم متمكنين ﴿فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ (إن) بالكسر نافية، أي فيما أمكناكم فيه، الأحسن في اللفظ لما في مجامعة (ما) مع مثلها من التكرير المستتبع، ومثيله محبب: ألا ترى أن الأصل في مهما ماما، فلبشاعة التكرير قلبوا الألف هاء، ويأول بأننا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه أو بالعكس، والوجه هو الأول ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرَ وَأَفْعِدَّةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعِدَّتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أغنى من الإغناء وهو الدليل أي ما منعهم لا بصر ولا سمع ولا أفئدتهم من شيء من العذاب اللاحق الذي استحقوه بسوء فعالهم وبؤس خصالهم وذلك ﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ علّة لما أغنى، وهو ظرف آخر جرى التعليل من حيث إن الحكم مرتّب على ما أضيف إليه، وكذلك ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: 26] أي العذاب اللاحق الذي أحاط بهم من جميع الجهات فأهلكهم.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٧)

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿مِنَ الْقُرَىٰ﴾ بحجر ثمود وقرى قوم لوط وغير ذلك ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ وغيرناها بتكريرها بإيتاء بعض وإذهاب بعض ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحقاف: 27] غيرا كفرهم إلى الإيمان ويعودون من عصيانهم إلى الإحسان.

﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ  
وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٢٨)

﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾ [الأحقاف: 28] أي فهلاً منعهم من الهلاك آلهتهم الذين يتقربون بهم إلى الله حيث قالوا: ﴿شَفَعْتُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: 18] والمفعول المحذوف راجع إلى الموصول، وثانيهما قرباناً وآلهةً بدل عنه، أو عطف بيان آلهة أو قرباناً، أو مفعول به بمعنى التقرب ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾ وبما يؤول ﴿عَنْهُمْ﴾ نصرهم فلم يقوموا بنصرتهم وامتنعوا أن يستمدوا بهم امتناع الاستمداد أيضاً، وذلك الاتحاد المذكور إفكهم وكذبهم الذي عمدوا إليه وصرفهم عن الحق ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف: 28] عطف على إفكهم، أي ذلك الاتحاد الذي هذا أثره وقد صرفهم عن الحق وصاروا مبشرين.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا  
أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (٢٩)

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ﴾ وعرفنا لك ﴿نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ وهو دون العشرة وجمعه أنفار. وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه: لو كان لنا هاهنا من أنفارنا ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: 29] حال محمول على المعنى ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي القرآن أو المحل الذي يتلى فيه القرآن ﴿قَالُوا﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: 29] أو أسكنوا سبعين. روي أن الجن كانت تسترق السمع ورجموا بالشهب قالوا: ما هذا إلا نبأ عظيم قد حدث، فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشرف الجن من نصيين فضربوا وساروا حتى لقوا تهامة، ثم اندفعوا إلى وادي نخلة فوافوا رسول الله ﷺ وهو قائم في جوف الليل يصلي، أو في صلاة الفجر، فاستمعوا قرآنه، وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به سفهاءهم. ويروي سعيد بن جبير رحمه الله أنه ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم، وإذا كان يتلو في صلاته قرأوا فوقه مستمعين وهو لا يشعر، فأنبأه الله بسماعهم. وقيل: بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم، فعرف وأمال إليهم بقراءته جمعهم له فقال:

«إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني؟ قالها ثلاثاً، فأطرقوا إلى عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: لم يحضر ليلة الجن غيري أحد، فانطلقنا حتى أدركناه على أكمة في شعب فخط لي خطاً وقال: لا تخرج منه حتى أعود إليك. ثم افتتح القرآن وسمعت لغطاً شديداً حتى خفتُ على رسول الله ﷺ وعَشِيَّتُهُ أسودة كثيرة حالت بينه وبينني حتى ما أسمع صوته، ثم انقطعوا قطع السحاب فقال لي رسول الله ﷺ: رأيت؟ قلت: نعم رجالاً سوداً، فقال: أولئك جن نصيبين» وكانوا اثنا عشر ألفاً والسورة التي قرأها عليهم ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: الآية 1]، فلما فرغ من قراءته ﷺ عند منصرفه من الطائف قرأ في تهجده

﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ وإنما قالوا ذلك لأنهم كانوا يهوداً وما سبقونا عيسى عليه السلام ولم يكونوا بأمر عيسى ولذا قالوا من بعد موسى ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب المتقدمة ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ لمطابقته في الأحكام ﴿وَإِلَى طَرِيقٍ﴾ أو دين الحق والاعتقاد المطابق للحق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: 30] والدين القويم.

﴿يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

﴿يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ﴾ بداعي الله وأمره وحكمه ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ التي هي حقوق الله لا حقوق الناس لأنه لا يغفر إلا بالإيمان ﴿وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: 31] وبهذا ما يشعر بأن الجن يكلفون بما يكلف بني آدم. قال الإمام الرازي في «التفسير الكبير» نقلاً عن «تفسير القاضي»: إن الجن يكونون يهودياً ونصرانياً ومجوسياً ووثنيّاً وعبدة أصنام، وإن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن ويكلفهم بالإيمان بالله وبرسوله وبما جاء به.

سئل ابن عباس: إن للجن ثواباً وعقاباً؟ قال: نعم، لهم ثواب وعقاب.

واعلم أن ثواب الجن بالنسبة إلى ثواب الإنسان قليل كمًا وكيفًا، وعقابهم ونقمهم وعذابهم كثير وشديد وكبير والتشدد الذي قد وقع في عذاب أهل النار أكثره بالنسبة لهم هو بالحق .

﴿وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ  
أَوْلِيَاءٌ أَوْلِيَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

﴿وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ﴾ الداعي ثلاثة: محبة الله، ورسوله، وكتابه . فالكتاب يدعو إلى الخدمة، والرسول يدعو إلى الضيافة، والله يدعو إلى اللقاء والمشاهدة، فمن أجاب الرسول صار سنيًا، ومن أجاب الكتاب صار شريفًا أنيسًا في حظائر القدس، ومن أجاب المولى صار عزيزًا ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أن يذله ويجعله شقيًا، ولا ينجو من العذاب الأليم ومن العقاب العميم ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ﴾ أي ليس لمن يجيب من الجن والإنس من دون الله ﴿أَوْلِيَاءٌ﴾ يمنونه من ذلك العقاب ﴿أَوْلِيَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأحقاف: 32] أي جهل ظاهر وعصيان باهر حيث أعرضوا عن إجابة داعي الله وامتنال أمره .

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ يَقْدِرِ  
عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ أي الأكوار النورية والجمالية الوجودية وأعيانها الثابتة وما بها من الحكمة والحقائق الإلهية دبرها الله تعالى في الدورة العظمى النورية باعتبار الوجود والنور بظاهر العلم الذي هو ظاهر الذات والأعيان الروحية، والدورة الكبرى، والمثل النورية في الدورة الوسطى النورية والأكوان الشهادية الملكية في الدورة النورية ﴿وَالْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: 33] هي الأكوار الظلية الجلالية العدمية وأكوانها الجلالية العدمية، أي عدم الأعيان الثابتة وحقائق الماهية النورية والجواهر الأهرمانية أدوارها الذات والبحت ومطلق الوجود باعتبار العدم الذي هو مفهوم المطلق والبحت الذي هو جزء مفهوم الذات الواجب الوجود، وهو امتناع العدم، والرب هو الذات البحت باعتبار تقيض العلم وهو الجهل الذي هو اختفاء من العلم وباطنه . قال الشيخ

ابن العربي: الحمد لله الذي خلق الوجود كما خلق العدم. نظم:

بكررز وجود باعدم ساز      زيراکه عدم عدم بنامست

میدان بیقین کز عدم خواست      مرجاکه وجود وانظامست

وقس على هذا سائر الأكوان أي الكبرى التي تختص بالممات الذي هو ضد الحياة، والروح خلق الموت والحياة، وكذا في الأكوار الوسطى والصغرى التي هي مربوبة للذات البحت باعتبار تدبير العدم الذي هو مفهوم البحت والأطوار بذريعة ضد القدرة والإرادة.

﴿وَلَمْ يَعَىٰ بِخَلْقِهِنَّ﴾ [الأحقاف: 33] أي لا يفتر ولا يضعف ولا يعجز، فإن قدرته تامة متكاملة ليست بغرض ينتهي ولا يجاذب حتى يضعف، ولا ينقص بكثرة الإيجاد وقوة الفعل أبد الآباد ﴿يَقْدِرُ﴾ والباء صلة يدل عليه قراءة يعقوب بقدر ذلك لتأكيد النفي ﴿عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ فإنه مشتمل على (أن) و(ما) في حيزها ولذلك أجاب عنه ﴿بَلَىٰ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: 33] تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود، كأنه لما صدر السورة بتحقيق المبدأ أراد ختمها بأسباب المعاد.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ

فَدُوفُوا أَلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ يحكى قول مضممر يكون ناصب الظرف ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ العذاب ﴿بِالْحَقِّ﴾ الثابت ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ﴾ من قال أليس بالحق ﴿فَدُوفُوا أَلْعَذَابَ﴾ [الأحقاف: 34] الذي جحدتموه وأنكرتموه ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأحقاف: 34] بالله وبتوحيده وبما جاء منه من الوحي والكتاب.

﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ

مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ

الْفٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

﴿فَأَصْبِرْ﴾ يا محمد على إيدائهم واستهزائهم ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: 35] العزم: الجد والاهتمام والثبات والصبر وهو الجزم في النية،

والجزم في الهمة والأمنية، بحيث لا يتزلزل في نيته ويتقلقل في أمنيته بحلول الشدائد والمحن ونزول النوائب والفتن. وأصحاب العزم سبعة: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وداوود، وعيسى، ومحمد ﷺ وعليهم. ويجوز أن يكون (من) للتبعيض، ويراد بأولي العزم بعض الأنبياء، قيل: هم صبروا على أذى قومهم وكانوا يصبرون حتى لقوا الله عليه وأجرهم على الإلقاء في النار والذبح، وإسماعيل وإسحاق على الذبح، ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف على الجب، وأيوب على الصبر وأنواع البلاء، وموسى على ما قال قومه: ﴿إِنَّا لَمَذْكُورُونَ﴾ [١] قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ [الشُّعْرَاءُ: 61 - 62]، وداوود يبكي على خطيئته أربعين سنة، وعيسى على صدق قومه له وعدم التفاته للدنيا وانتفائه وبقائه ما عمر بيننا ولم يضع لينة على لينة ولا حجرًا على حجر، وغير ذلك من الأنبياء الذين آتاهم الله. قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَشَدَّ الْبَلَاءِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ ثُمَّ عَلَى الْأَمْثَلِ فَالْأَمْثَلُ».

﴿وَلَا سَتَعَجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ﴾ استقصروا من طول مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة. وإنما قيل: ﴿مِّنْ نَّهَارٍ﴾ لأنها مكشوفة دون ساعات الليل ﴿بَلَّغْ﴾ أي هذا بلاغ، أي هذا الذي وعظتم به كفاية في النصيحة والموعظة، أو هذا تبليغ من الرسول ﴿فَهَلْ﴾ مبتدأ ﴿يُهْلِكُ﴾ خبره ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: 35] الخارجون عن زمرة المطيعين والعمل هو جهته ومقتضى ما فيه. عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ (الْأَحْقَافِ) كَتَبَ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بَعْدَ كُلِّ رَمَلَةٍ فِي الدُّنْيَا»، صدق رسول الله ﷺ.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل الحقيقة المحمدية في المعنى واسطة في إبداع المجردات في الأدوار الإلهية وفي الصورة رابطة في إيصال الحقائق الألوهية بالشقائق الكونية أولاً في بداية الدورة الكبرى النورية بذريعة حقيقة الحياة والروح الأعظم بتعلق النفس الكلية بالجسم الأقدم والفلك الأكرم في مرتبة الأمر وعالم الملكوت الأعظم ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أجرى في رياض عالم البرزخ ورياض حدائق الطبيعة في الدورة الوسطى الجمالية أنوار التجليات الأربعة: نهر ماء التجلي الآثاري، ونهر لبن التجلي العقلي، ونهر عسل التجلي الأسماوي والصفاتي، ونهر خمر التجلي الذاتي بذريعة القدرة ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي دَوَّرَ بإرادته الوصفية أفلاك عالم الملك، ودَبَّرَ بمشيئته الذاتية أملاكه المفوضة لتدوير أجرام عالم الشهادة وتدبير أجسام العاليات والسافلات في الدورة الصغرى النورية الوجودية ليظهر مراد الذاتية الكامنة في سرادقات الجلال التي تضمنتها الدورات النورية الجمالية الوجودية في الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله وبتوحيده الذاتي والأسماوي والأفعالي والآثاري الإفرادي والجمعي ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وطريقه وسلوكه واستطراقه، وهم شياطين الإنس والجن ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: 1] أبطلها الله وأحبطها وضيعها وجعلها ضائعة، من

ضلّ الماء في اللبن، وأصلها إذا اختفى فيها وأخفاه وأبطل ما عملوا في طريق الدين، وأبطل الله أعمالهم من الكيد والحيلة، وتحريك الأعداء من الأعراب على رسول الله ﷺ وغير ذلك بنصرته عليهم وإظهار دينه على الأديان كلها.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [محمد: 2] يعم المهاجرين والأنصار والذين من أهل الكتاب والمشركين ﴿وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ يخصص المنزل عليه بما يجب الإيمان به تعظيمًا له وتفخيماً لشأنه وإشعارًا بأن الإيمان لا يتم إلا به، وبأنه الأصل في حقيقة الإيمان لأنه من شأنه «لولاك لما خلقت الأفلاك»، ولذلك أكد بقوله: ﴿وَهُوَ﴾ أي محمد والمنزل ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ وهو جملة معترضة أو ردها للتأكيد تعظيمًا لشأنه وتكريماً لحكم برهانه وحقيقته إنما يكون ناسخاً غير منسوخ، وراسخاً غير مرسوخ ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ بسبب الإيمان به وبما أنزل والعمل الصالح ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: 2] وأنجح آمالهم وأفلح أحوالهم في الدارين بإسعادهم في الدارين. والبال هو القلب باعتبار الميل ووفور النيل. قال عيسى عليه السلام: «ضعوا آمالكم حيث بالكم، واجعلوا في السماء الذين كفروا». أما الأكوان العدمية الضمنية الظليّة الجلالية التي تولدت ضمناً مع الأعيان الوجودية الصريحة النورية الجمالية، وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقوله: «ما من مولود إلا وله قرين من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، إلا أن الله أعاني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير».

فالكافر إنما يكون كافرًا إذا كان هذا المولود الجني الضمني كافرًا فحينئذ يصدّ المولود الإنسي الصريح عن سبيل الله والدين الحق، وأضلّ أعمالهم أي أخفاها عن الأبصار كما قيل: ضلّ الماء في اللبن وأضله إذا خفي واختفى فيه، وأتمها في صحيفة الأعمال وديوانها هذا في طور الآفاق، وإما في طور الأنفس والذين كفروا هم النفوس الأمارة التي هي إما نفس ذلك المولود الجني، أو مظهره، فإنها تكفر أولاً ثم تتبع سائر النفوس وقواها، أعني القوة الشهوية

والغضبية والحواس الظاهرة والباطنة، فتصدّها عن سواء السبيل ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ  
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: الآية 36].

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي والأعيان النورية الوجودية آمنوا صريحًا، والأكوان  
الظليّة العدمية ضمناً ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إشارة إلى إيمان القوى والأجزاء  
والأعضاء، فإنّ إيمان القلب إنما يظهر في الأجزاء والأعضاء والقوى النفسانية  
بالأعمال الظاهرة والأفعال الباطنة. والأحوال الباطنة قوله: ﴿تُرَلَّ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ﴾ في  
النشأتين بالنبوة الذاتية في الدورة العظمى النورية، وبالنبوة العرضية المتضمنة  
لذاته اللازمة لكمال الجمعية في الدورة الجمعية في السر في الله ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ أي  
الكتاب الجامع الرافع للدرجات، البادع للتجليات أو صاحبها الظاهرة ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾  
[محمد: 2] بداية ونهاية، كما قال ﷺ: «نحن الأمرون السابقون»، ذلك الإضلال  
والتكفر والإصلاح والتدبير.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَّبِّهِمْ  
كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي إن ضلالهم بسبب كفرهم بالله وبما جاء به من  
عنده ﴿اتَّبَعُوا﴾ الأمر ﴿الْبَاطِلَ﴾ والحكم الفاسد العاطل ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في الفطرة  
الأولى ﴿اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾ والدين والشريعة الحنيفة البيضاء المحققة ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: 3]  
جملة معترضة أوردتها لتأكيد تعظيم شأنه وتكريماً وتعميماً لحكم برهانه وحقيقته  
إنما يكون إذا كان باستخدام غير منسوخ كفر عنهم سيئاتهم وستر خطيئاتهم وأصلح  
بالهم بحسن الأخلاق والإخلاص في عبادة الخلاق. والحاصل أن الأعيان والكفر  
إنما يبقون أولاً في الأعيان والأكوان الجنية ثم ينتقلون ثانياً إلى المولود الإنسي،  
فمن كان مولوده الجني كافراً والمولود الإنسي مؤمناً كان أو منافقاً، ومن كان  
بالعكس فهو مؤمن عند الله، كافر عند الناس، فأكثر الناس منافق وأغلبهم كافر،  
وأما المؤمن الحق الذي أسلماً معاً وتحققاً بالأعيان جميعاً ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا  
لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنفال: 4]، وأما الكافر فبالعكس، أي غير متناهية كما  
أشار إليه النبي ﷺ.

فأما الذين آمنوا ظاهراً وباطناً، صورة ومعنى، فاتبعوا الدين والقول والمذهب والاعتقاد الحق الثابت الذي يطابق الواقع أو يقابله الباطل، بمعنى أنه ارتفع الحكم الذي يطابقه الواقع عن هذه المواقع من ربهم حال تلك المطابقة ثابتة من الله الذي يراهم ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الضرب والبيان ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [محمد: 3] أي أمثال الفريقين وأحوالهما وأحوال الناس جميعاً، أو يضرب ويبين أمثالهم وأحوالهم بأمثالهم وأحوالهم بأن جعل اتباع الباطل مثلاً وبيانا لعمل الكفار، والإضلال مثلاً لخبيثتهم، واتباع مثلاً للمؤمنين، ويكفر السيئات مثلاً لنورهم بطريق الحق وبيانا لفوزهم واتباعهم السبيل الواضح.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْتَمْتُمُوهُم فَشَدُّوا الوَثَاقَ فَمَا مَتَّأ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الحَرْبُ أَوَّارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّبَلَّوْا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٤﴾

﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ظاهراً وباطناً صورةً ومعنى ﴿فَضَرْبِ الرِّقَابِ﴾ أي اضربوا رقابهم ضرباً شديداً، فحذف الفاعل على سبيل الجواز ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخْتَمْتُمُوهُم﴾ أي غلبتموهم وأكثرتم قتلهم من الشخن وهو الغليظ المتين والكثيف المبين ﴿فَشَدُّوا الوَثَاقَ﴾ فأسروهم واجعلوهم أسرى بفتح الثاء المثناة والكسر اسم الموثوق به ﴿فَمَا مَتَّأ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ أي فتمنون منّا وتفدون فداءً، وإنما وجب حذف العامل إذ المصدر هاهنا قد وقع تفصيلاً لأثر مضمون جملة متقدمة وهي (شدوا الوثاق)، والمراد التخيير بين الأمرين بعد الأسر بين أن تمنوا عليهم فتطلقوهم، وبين أن تفادوهم وهو ثابت عندنا، وأما عند أبي حنيفة وأصحابه فأحد الأمرين، إما قتلهم واسترقاقهم أيهما رأى الإمام وثبت لدى رأيه، ﴿فَمَا مَتَّأ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ المذكورين في الآية، نزلت في بدر ثم نسخت ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الحَرْبُ أَوَّارَهَا﴾ هي الانتهاء وأثقالها وأدواتها كالسلاح والكرع أو الرماح الطوال والخيول الفحول، (حتى) متعلق إما بالضرب والشد أو بالمن والفداء. قيل: هذا إنما يكون عند نزول عيسى وظهور المهدي وانتفى الظلم والجور وتفشى العدل والقسط بين الناس في تمام الدور ﴿ذَٰلِكَ﴾ الأمر الذي ذكرنا من النصر والفتح ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾ انتقم منهم وأهلكهم ﴿لَأُنصَرَ مِنْهُمْ﴾ [محمد: 4] لانتقم منهم والحد منهم الحيف واستأصلهم وأهلكهم جميعاً ﴿وَلَكِن

لَيْلُوا» ويمتنحن ﴿بَعْضَكُمْ بَعْضًا﴾ أسباب الهلكى من خسف أو رجعة وما ضرب أو غرق أو موت أو حارق وغير ذلك ولكن أمركم بالقتل والمقاتلة والجهاد ليظهر صدقكم ويشهد رفقكم وكمال جدكم في الدين والإسلام ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جاهدوا في أمور الدين ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: 4] ولا يبطل أفعالهم .

### ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ إلى طريق الحق، ويوصلهم إلى دقيق الصواب والصدق ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: 5] باستعلاء أطوار أنواره البهية واستيلاء الأخلاق المرضية والصفات الملكية والنعوت الإلهية. قال النبي ﷺ: «تخلقوا بأخلاق الله إن الله تسعاً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة» .

### ﴿وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ الَّتِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾

﴿وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ﴾ [محمد: 6] جنّة الجنات الذاتية والأسمائية والأفعالية والإشارية، أو الجنة النورية الجمالية الوجودية في الأدوار الشهودية وأطوار التجليات العبودية في المرتبة الجمعية النورية الأربعة، فإن في كل دور من الأدوار الأربعة الجمالية دنيا وآخرة، وفي كل آخرة جنة ونار مناسبة لها، ولكل دورة عند انتهاء مدتها وانقضاء دورتها وانتقال فردانية التوبة من دورة إلى دورة أخرى جمالية قيام، وظهور ساعة، فإذا انقضت مقتضيات الأدوار الأربعة النورية الفردانية انتقلت الدورة وفردانيتها بالأمر ذاته إلى فردانية جمعيتها، وانتقلت أعيان المراتب من بعضها إلى بعض، مثلاً انتقلت عند انقضاء الدورة العظمى الوجودية النورية للنوريات الذاتية من مرتبة الوحدة الذاتية والأحدية الجمعية التي هي نهاية اللاهوت وبداية الجبروت إلى وسط الجبروت، وتعينت بصور الأعيان الثابتة والماهيات الكونية والحقائق الإلهية، وتصور الجواهر النورية والعقول المجردة في الملائكة العالية التي وُكِّلت بها، أي إسرافيل وميكائيل وعزرائيل، تصور أعيانها، وتصور سائر العقول المدبرة والعالم الملكوت وأعيانها، واستقلت الأعيان الثانية من مرتبة عالم الملكوت إلى عالم الأمر والملكوت، وتعينت الجواهر العقلية والأعيان الثابتة والصور العلمية تصور النفوس المدبرة والأرواح المجردة والأرواح القدسية، ثم انتقل من هذا العالم إلى عالم البرزخ وتمثّل بالمثل النورية والأعيان

البرزخية والأكوان الخيالية والصور المثالية، وهذه الصور تنتقل إلى مرتبة الملك والشهادة، وتمثل بصور الأفلاك وصفات الأملاك والأفلاك، تنتقل من هذا العالم إلى عالم الناسوت، وتصور بصور الإنسان والكون الجامع لجميع الأعيان الواصلة إليه وصولاً عينياً، تنتقل بانتقاله إلى عالم اللاهوت وتتحقق بالألوهية والعبودية «لي وقت مع الله لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل»، يا عبدي، المعنى أمثلك مثلي وليس لي مثل هذا عند استعمال الأدوار الأربعة النورية الجمالية الوجودية الإفرادية، وتتخمس بصورة جمعية الكل، ثم تنتقل من الأدوار الخمسة الوجودية.

أقول: وروح القدس ألتقت في نفس وجود الحق من عدد خمس إلى الأفراد والعبد بين الظلة الجلالية المربعة الإفرادية وصون جمعيتها الخاصة التي هي عند الأدوار النورية وباطنها وسرّها، فتكون منطبقة عليها موافقة لها في جميع ما كان بها من الدنياويات والأخرويات والأراضي والسموات، والسعرات والجنات، وشهود التجليات، وغير ذلك من مراتب الجزئيات والكلّيات، فأكوارها الكلية خمسة، أربعة منها إفرادية، والواحدة منها هي الجمعية الكلية مجموعها عشر أفلاك، عشر كاملة قد تعتبر الجمعية من هاتين الجمعيتين، أي جمعة الأدوار النورية الجمالية وجمعة الأكوار الظلية الجلالية بما يكون بالإضافة كمال جمعية جمعية الدورة النورية الجمالية، وجمعية الجمعية الظلية الجلالية، وهذه الدورة إنما هي الدورة الإلهية وسمائها هي الأحدية الذاتية.

والأدوار التي تنتج منها نورية جمالية بروج سماوية، والأكوار الظلية الجلالية هي ستة بروج جنوبية، فمجموعها اثنا عشر وجهاً من السماء الإلهية، فشمس التجلي الذاتي تبدل نسبتها إلى هذه الأدوار والأكوار التي هي كالبروج لسماء الدورة الإلهية، ويحصل منها يوم وليلة إلهية، فالיום عبارة عن الأدوار الستة الإلهية النورية، والليله هي الأكوار الستة الظلية، ومدة الأدوار والأكوار لا يعلمها إلا الله تعالى.

﴿عَرَفَهَا هُمَّ﴾ [مَحَمَّد: 6] بالتعريف الإلهي في الدورة العظمى، وبالتعريف الرباني في الدورة الكبرى وبالبرزخ في الدورة الوسطى، وبالملك الشهادي في الدورة الصغرى، وبالتعريف الجمعي في الدورة الجمعية في المرتبة الناسوتية.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصِرُوا اللَّهُ يَضُرَّكُمْ وَيَتَيْتَ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصِرُوا اللَّهُ يَضُرَّكُمْ﴾ بنصر أوليائه وإعانة أخلائه ﴿وَيَتَيْتَ﴾ على عدوكم ظاهراً وباطناً، وهو النفس. قال النبي ﷺ: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك». ﴿أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمَّد: 7] في الدنيا لدى مقاتلة الأعداء ومحاربة الخصماء، وفي الآخرة على الصراط والمحاسبة والسؤال.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّا لَهُمْ﴾ أي عشوراً وانحطاطاً وتزلقاً واحتباطاً، منصوب بمضمرة هو خبر الموصول المتضمن للشرط ولذا أدخلت الفاء في الخبر، يعني أن الذين كفروا فتعسهم الله وأزلقهم تعساً شديداً وإزلاقاً سديداً ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمَّد: 8] عطف على الفعل المضمر وهو في الدنيا التزلزل والتزلق والتقلقل.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾

﴿ذَلِكَ﴾ التعس والتزلزل ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطُوا أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمَّد: 9] أي بسبب كراهتهم الكتاب المنزل وما تستنبط منه من الأحكام الإلهية والشرائع النبوية.

﴿﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ﴾﴾

﴿عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾﴾

﴿﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ سير اعتبار وسفر استبصار ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ نظرة عبرة إلى أعيان العالم وأحوالها ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ﴾ واستأصل وضيق ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بما اختص بهم من أنفسهم وأولادهم وآبائهم وأموالهم ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ [محمَّد: 10] أي يحصل ويثبت للكافرين تلك العاقبة السيئة وارتفاع حسن العاقبة وشدة المؤاخذة وحِدَّة العقوبة.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾﴾

﴿ذَلِكَ﴾ المتقدم من العقوبة وهي العاقبة ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ أي بسبب كون الله ﴿مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ منهم وناظرهم وحافظهم ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمَّد: 11] في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ ﴿١٢﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي الأعمال التي تصلح لأن تكون مقبولة لله ستقع في حيز القبول، والآخرة لظهور آثار القبول فيها، أما في الدنيا فالنصر على الأعداء وفتح القلاع والصور، وأما في الآخرة ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الأربعة التي هي مظاهر التجليات الأربعة الذاتية والصفاتية والأفعالية والآثارية، المنسوبة إلى الأدوار الأربعة التي تظهر أحكام فردانية كل منها في العالم على أعيانها كل مرتبة من المراتب الأربعة على مقتضى رب تلك الدورة، فإن رب الدورة العظمى في مرتبة الجبروت وعالم الواحدية هو العليم، ورب الدورة الكبرى في مرتبة الملكوت وعالم الأمر والأرواح هو الضمني، وفي مرتبة البرزخ هو الخبير، وفي الملك وعالم الشهادة هو المرید، وفي مرتبة الناسوت وعالم الكون الجامع في المرتبة الجامعة هو الله ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله وبرسوله ﴿يَتَمَنَّوْنَ﴾ ويتنعمون باللذات النفسانية والشهوات الحيوانية ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ والبهائم، حريصين على التمتع البدنية والشهوات النفسانية، غافلين عن السعادة الآخروية والنعم السرمدية واللذات الدائمة الأبدية، وجنات التجليات، وشهود اللقاء، ورفيع الدرجات، والنار التي هي ثمرات الشهوات ومقتضيات النفس الأمارة بالسوء التي تجر صاحبها إلى ما يجانسها وهي نار القطيعة وأنوار السعيرة وغار عار الندامة وهاوية الحسرات، فتكون ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمّد: 12] ومأوى ومكان.

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَةٍ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ

لَهُمْ﴾ ﴿١٣﴾

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ﴾ أي وكثير من أهل قرية ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً﴾ وأكثر أهلاً ومالاً وأوفر زراعة وعمارة ومنالاً ﴿مِّنْ قَرْيَةٍ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ أعيانها ومكانها منها ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بأنواع العذاب ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمّد: 13] يدفع عنهم العذاب ويرفع شدة العقاب وحدة النكبات.



﴿أَفَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ ﴿١٤﴾

﴿أَفَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ وجهة وبرهان دليل وثبت ﴿مِّن رَّبِّهِ﴾ من القرآن والمعجزات وأمور هي خرق العادات ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُ﴾ أي مثل من ليس له من ربه حجة ولا برهان وبينة، بل لا يكون له دليل أصلاً وفصلاً عن أن يكون قرآناً وحجة وبرهاناً، وإنما زُيِّنَ له ﴿سُوءُ عَمَلِهِ﴾ كالشرك والمعاصي والإفك يجبر صاحبه على الوجوه والنواصي إلى النار من الأداني والأقاصي ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ في مدارك الإدراك ومسالك الشور والهلاك ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمَّد: 14] الفاسدة وآراءهم الكاسدة التي أدتهم إلى النار وأهوتهم إلى دار البوار، وأنت خبير بأن طريق الحق لا يهتدى إليه بمجرد العقل ومفرد النقل عن الأهواء الفاسدة والأهواء الكاسدة، بل لا بد له من إمام كامل ومرشد فاضل يرشد الطالب إليه ويهدي السالك الراغب لديه.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّن حَمْرٍ لَّدَّةٍ لِلشَّرِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُل الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَن هُوَ خَلدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ ﴿١٥﴾

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ هذا الكلام في صورة الإثبات في معنى النفي والإنكار لانطوائه تحت حكم كلام معبر بحرف الإنكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله: ﴿أَفَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ وكأنه قيل: إن مثل الجنة وأهلها كمثل النار وأصحابها، يعني جزاء أهل الجنة كجزاء أهل النار الذين هم خالدون فيها ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ﴾ في حكم الدليل على عدم التماثل بين أهل الجنة وأهل النار التي هم فيها خالدون ﴿مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ استئناف شرح المثل، أو حال من العائد المحذوف أو خير مثل الآسن هو التغيير والنقص، أو تغيير في الطعم واللون ﴿وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ﴾ لم يصر رخوًا أو خاشراً ﴿وَأَنْهَارٌ مِّن حَمْرٍ لَّدَّةٍ لِلشَّرِبِينَ﴾ لا فيها مرار ولا قبض ولا حراقة ولا عفونة ولا حرافة ولا حموضة كما هي من شأن خمر الدنيا ﴿وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمَّد: 15] من الشمع والكدورة والصمغ وفضلات النحل.

واعلم أن أرباب الأدوار ومبادئ الأكوار الإفرادية أربعة لا بد أن تكون مقتضى التربيع ومرتضى الأصل والتنوع ساريًا في أعيان الأدوار وأكوان الأكوار، وإذا كانت المثليات تجليات الأكوار المفردة أربعة كانت مظاهر صورتها في الظاهر والباطن أيضًا أربعة، فيظهر الماء مظهر التجلي الآثاري ونهر اللبن مظهر التجلي الأفعالي، ويظهر نهر العسل مظهر صورة التجلي الأسماوي، ونهر الخمر مظهر صورة التجلي الذاتي، والنهر المائي هو الإرادة، ورب النهر اللبني هو القدرة، ورب النهر العسلي هو الحياة، ورب النهر الخمري هو العلم.

وإن في كل دورة من الأدوار الأربعة النورية، وكذا في كل كورة المربعة الظلية الإفرادية، دنيا وآخرة، وسماء وأرضًا، وأن في الآخرة كل منها جنة و نارًا، وفي كل جنة من جنات الأدوار أنهار أربعة، وكذا في جنات الأكوار هذه الأنهار الأربعة جارية، وهذه الأنهار متحدة بالنوع وبالشخص، وإنما وصف الأنهار الثلاثة دون الخمر بالأوصاف الفردية تنبيهًا على أن الشيطان قد يدخل في التجليات المستوية بها، وتروي نفسها بالنعوت الإلهية للسالك، ويتجلى له إلا أنه لا يخلو عن العيوب والنقائص، أو لم يوافق الجلال والجمال. وأما إذا وافقت في الأمور كلها طابقه وحينئذ لم يخالف كما أشار إليه النبي ﷺ بقوله: «فلا يأمرني إلا بالخير».

وأما الخمر الذي هو مظهر الجنة الذاتية والذات نسبت إلى الكل على السواء فلا سلطان له فيه وعلته ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: الآية 42]. رأيت يومًا أن حقيقة الخمر وهي المحبة الذاتية قد اشتكت إلى الله من الرسول ﷺ بأن جرم مظهري هو الخمر مع أنه يتبع عبادك ظاهرًا، وهو ظاهرًا وباطنًا، فإن بعض النفوس تسلط عليه عقل المعاش وتبعده عن حصنك لكثرة الأفكار الفاسدة عليه والأنظار الكاسدة، والخمر يزيل ذلك العقل ويقرب العبد إليك، قال الله في جوابها: «أنت قريب إلي وجعلتك نفسي وذاتي ولذلك بعدت مظهرك عن عبادي».

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ التي هي نتائج الأعمال الظاهرة والباطنة، قال النبي ﷺ: «إنما هي أعمالكم تُرد عليكم» الحديث ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: 15] عطف على محل من ربكم، فإنه في المعنى إما مبتدأ قدّم خبره و(من) لإفادة الاستغراق أو فاعل الظرف وهي عبارة عن نعمة من نعم الله التي لا عين رأت ولا

أذن سمعت ولا خطر ببال بشر قط ﴿ كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي فأصحاب الجنة في الجنة مخلدون مثل أصحاب النار وهم خالدون في النار، والتشبيه حال أصحاب الجنة بحال أصحاب النار في الثبات والخلود ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا ﴾ كما سقي أهل الجنة من الأنهار الأربعة المذكورة ﴿ فَقَطَّعَ ﴾ الماء الحميم ﴿ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمَّد: 15] لفرط سميته وحرارته وحرقته .

﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ  
مَاذَا قَالَ ءَأِنْفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ ﴿١٦﴾

﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ ﴾ وهم المنافقون قالوا بعد أن خرجوا من مجلس الرسول ﷺ واستماع كلامه ﴿ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ أي علماء الصحابة كعبد الله بن سلام وكعب الأخبار وغيرهم ﴿ مَاذَا قَالَ ﴾ الرسول ﴿ ءَأِنْفًا ﴾ أي الساعة يسأله استهزاء واستخفافاً من قولهم: أنف الشيء لما تقدم منه استفاد من الممازحة ومن أسايف وهو ظرف بمعنى وقتاً مؤقتاً أو حال من الضمير في قال ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ وختم عليها ﴿ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [محمَّد: 16] الفاسدة .

﴿ وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَءَانَّهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ ﴿١٧﴾

﴿ وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا ﴾ وجدوا الهداية وصادفوا المعرفة والدراية بتوفيق الله تعالى وكمال إلهامه ﴿ زَادَهُمْ هُدًىٰ وَءَانَّهُمْ ﴾ الله بكمال لطفه وعموم رحمته ووفور رأفته بمقالة الرسول وحسن إرشاده إياهم ﴿ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمَّد: 17] أي بين لهم طريق اكتساب التقوى واجتلاب معنى الورع والزهد والهدى، وأعطاهم إياه جزاء لكمال إيمانهم وإتقان إيقانهم .

﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا

جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴾ ﴿١٨﴾

﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ وينتظرون ﴿ إِلَّا السَّاعَةَ ﴾ أي غير الساعة ﴿ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ﴾ في تأويل المصدر بدل من الساعة بدل اشتمال أو بيان لكيفية ظهور الساعة ﴿ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمَّد: 18] أي إذا جاءتهم الساعة بغتة وفجأة وأشراط الساعة وبعثه محمد ﷺ كما قال ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ». والأشراط هي العلامات

والأمارات، وهي التي سألتها جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ حيث قال: «أخبرني عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: صدقت يا رسول الله»، ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ [محمّد: 18] أي فكيف ينفع لهم ذكراهم وإتعاظهم وتذكّرهم يوم يتذكر الإنسان، وأنى له الذكرى؟ يعني إذا ظهرت أشراط الساعة وعلاماتها تعقبها الساعة، وذلك عند انتقال الفردارية من دورة إلى الدورة الأولى، والانتقال رفعي فلا ينفع النيّة والتوبة والاتعاظ والرجوع والإنابة إلى الله، ومنها الدجال وخروج الأياجوج والمأجوج. وبالجملة إن بعثة الرسول ﷺ أول الأشراف، وكلما ظهر في أيام دورة أمر فيه من الغرائب والعجائب فهو من أشراط الساعة.

### مطلب الذكر الخفي

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ﴾ أي الشأن أن وظيفة المؤمن أن لا يغفل عن ذكر الله سيما ذكر ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ إذ لا يعلم أن الساعة متى تجيء، وكيف تظهر القيامة، سيما القيامة الصغرى التي هي الموت. قال النبي ﷺ: «من مات فقد قامت قيامته»، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمّد: 19] إشارة إلى أن الهداية إلى الله تعالى وإلى أن الطريق إلى الهداية وإلى الله ومعرفته وشهوده ومشاهدته إنما هو كلمة التوحيد تكون على هذه الصيغة والترتيب والمواظبة عليها والاستغفار، سيما في آخر الليل وبالأسحار، وتكون خفية كما يقول تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: الآية 205] وهو ألا يرفع الصوت.

والجهر في الذكر يغفل القلب ويشغله عن الله ومشاهدته والتوجه إليه لأنه من الشواغل الحسيّة والغوائل النفسية، وملاك الأمر وأصله في الجهاد الأكبر والأصغر إنما هو التوجه إلى الله ونفي الخواطر مطلقًا سواء رحمانية أو شيطانية، إذ المراد من الذكر والطاعة والفكر إنما هو معرفة الله وشهوده ومشاهدته والتحقق بالله وأسمائه وصفاته ومعانيه وتجلياته، فكل ما هو غير هذا فهو حجاب بطريق

الذكر، ووظيفته وهو أن هذا الذكر مشتمل على الدائرة الحاصلة من قوسين، قوس الترقى وهو كلمة النفي، وقوس التنزل وهي كلمة الإثبات. وفي قوس الترقى إلى بدوه أن يبتدئ من مركز القلب المسامت لمركز الأرض ومركز العالم والترقى في ألفين من مراتبه من مرتبة إلى أخرى أي من العناصر إلى الأفلاك واحداً بعد واحد، إجمالاً وتفصيلاً، إلى أن ينتهي إلى العرش، وفلك أفلاك شخوصه في عالم الجبال ومرتبة المنال المطلق، ويرتقى منه إلى عالم الملكوت والأرواح ومنه إلى عالم الجبروت والمرتبة الواحدة إلى أن ينتهي إلى الوحدة الذاتية والأحدية الجمعية ومقام قاب قوسين.

فينبغي كلما وقع في مسيرة في قوس الترقى والتلقي من الأعيان الملكية والأكوان الملكية والصور البرزخية والمثل النورية والنفوس العالمية والأرواح القدسية والعقول المجردة إلى أن ينتهي في مدارك نفسه إلى الوجود المطلق في مد النفي وانتهاه لم يزل من الوجوه الذاتية التي هي نهاية القدس والترقى والغنى وبداية القوس أثر وإثبات شأنه فحينئذ يشاهد الحق والوجود المطلق ويعاينه متنزلاً من هذه المرتبة واحدها بعد واحدها، ومتجلياً باسم بعد اسم وصفة بعد صفة في عالم الأمر والملوك والمنال والملك والشهادة إلى أن ينتهي إلى عالم الناسوت ومركز القلب، فحينئذ يرى الحق بجميع الأسماء والصفات في مرآة قلبه دائرة الذكر بقوسها ماثلة وأشباهاها. فوظيفة السائر الذاكر الدائر أن يكون ذكر على هذا الخط، وأن يسلك في كل ذكر هذا المسلك. هذا هو ذكر الخواص.

وأما ذكر أخص الخواص من العارفين هو أن يسعى في القوس الأول ويعبر إلى جمع الأدوار الأربعة: النورية وما فيها من أعيان النورية، والظلية صريحاً وضمناً، ظاهراً وباطناً ومعنى، وفي القوس الثاني والإثبات يشاهد الحق بتمام تعيّنات أعيان الأدوار الأنوارية بصورة جمعه الكلّي بأن لا يعزب عن نظره من هذه التعيّنات شيء منها، هذا في طور الأدوار النورية الوجودية الجمالية. وأما في طور الأكوام الأربعة الظلية العدمية الجلالية التي هي عكس أطوار الأدوار الإفرادية، فالذكر منها بعكس ذكر الأدوار الوجودية الجمالية، وكذا الطاعات والعبادات في الأدوار النورية الجمالية يخالف الطاعات والعبادات والأذكار والأنظار والأفكار العدمية الجلالية، فإن النفي عند أعيان الأدوار النورية إثبات

عند أكوان الأكوار الظلية، وإيمانهم كفر عندهم، وكفرهم إيمان عندهم، وكذا الطاعات والعبادات عندهم معصية، ومعاصيهم عندنا طاعة وعبادة. فالتوحيد عندهم هو الكثرة، والكثرة توحيد، وإن الدنيا عندهم آخرة والآخرة عندهم دنيا، وأن عالم الملك والشهادة عندهم معقول، وعالم البرزخ وما فيه محسوس، وإنَّ النور عندهم ظلمة والظلمة نور، والتنزيه عندهم والتقديس دونهم تشبيه والتشبيه تقديس وتنزيه، والظاهر عندهم باطن والباطن ظاهر، والولاية عندهم نبوة والنبوة ولاية، والسموات عندهم منخفضة وإلا ربيعة ﴿يَوْمَ بُدِّلُ الْأَرْضُ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48] فتحين القيامة والساعة التي تكون في الأدوار النورية، وكذا الجنة والنار، وكذا جميع الحالات تتعكس، وعلى هذا قياس سائر الأحوال.

فالسائر العارف هو الذي يدور ويسير في الأدوار وأعيانها ومراتب تعيناتها، ومدارج تنزلاتها، ومعارض ترقياتها، ومخارج بروزاتها وكموناتها، وغير ذلك من حالاتها. كذلك لا بد وأن تدور في أكوان الأكوار الظلية الأربعة الإفرادية وأحديتها الجمعية، وكذا تدور في جمعية جمعيتها ويشاهد التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية والجمعية الأحادية وغير ذلك من الحالات والأحوال والمقامات في مظاهر النور والجمال، ومظاهر الظل والجلال، إفرادًا وجمعًا، لتتحقق خلافته ظاهرًا وباطنًا، صورة ومعنى.

وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ﴾ وانقلابكم في الأدوار الإفرادية والأكوار الفردانية ﴿وَمُتَوَلِّكُمْ﴾ [محمد: 19] في الجمعية وجمعية الجمعية، فإنَّ في كل دورة نورية وجمالية وجودية من البداية إلى النهاية لك تطورات وتقلبات في أصلاب إما الأعيان النورية الجمالية الصريحة، أو في بطن الأكوار الظلية التي تعمل معًا من المبدأ الأول إلى المنتهى المأول الذي عبر عنه بالمشوى، أو المراد هو التقلب في الذكر عند العروج والترقي والنزول والتدني إلى أن ينتهي إلى مركز جمعية القلب وشهود تجلياته بالأسماء والصفات الإلهية والكونية. أو المراد هو التقلب في الأطوار السبعة النورية مبدأ من النور الأخضر إلى النور السابع ونور الأنوار الذي ينتهي إليه الكل. أو المراد هو التقلب في أطوار البروزات وأدوار البرزات.

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ﴾

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ بالله وبرسوله وبكل ما جاء به في تمام الأدوار والأكوار ﴿ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ ﴾ هلا أنزلت سورة محكمة من سور القرآن في أمر الجهاد والمجاهدة، وهي محكمة دالة على المقصود قطعاً لا تحتمل معنى آخر ﴿ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ ﴾ أي الأمر به ثابت إلى يوم القيامة بلا نسخ وفسخ وتبديل ومسوخ في الجهاد الأكبر والأصغر ﴿ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ [محمّد: 20] جهل بسيط أو مركب، وهو أردأ أمراض النفوس واعتقاد ضعيف فاسد أو الأخلاق الرديئة والأوصاف المردية والهيئات الدنية كالحقد والحسد والبخل والجبن والظلم والغضب وغير ذلك، فإن هذه الصفات إذا كانت حالة حادثة تكون مرضاً، فإذا استحکم ورسخت صارت ملكة، وكان كل منها كالموت للقلب. قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه:

والجهل قبل الموت موت لأهله وأجسادهم قبل القبور قبور  
وإن امرأ لم يحيي بالعلم ميّت وليس له حتى النشور نشور

﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ [الأنعام: الآية 122]، ﴿ يُنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ نظراً يكون مثل ﴿ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ ﴾ حال كون ذلك الغشي حاصلًا وثابتًا ﴿ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ [محمّد: 20] الذي تشخص به أبصارهم، وهو صفة المنافقين ومآلهم كما قال: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: 10]، ﴿ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ﴾ [محمّد: 20].

﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾

﴿ طَاعَةٌ ﴾ من الولي وهو القرب، وعيد ودعاء عليهم بأن يقرب بهم ويل ومكروه ﴿ وَقَوْلٌ ﴾ [محمّد: 21] وهو خبر محذوف الابتداء يدل عليه ما سبق وهو الموت لأن الله تعالى لما قال: نظر المغشي عليه من الموت، قال: فالموت

أولى لهم من الحياة لأن الحياة إذا لم تكن في طاعة الله ورسوله فالموت خير له من تلك الحياة. ويجوز أن يكون المعنى: فأولى لهم طاعة ﴿مَعْرُوفٌ﴾ أي طاعة لهم وخير، وقول معروف خير لهم كلام مستأنف مبتدأ محذوف الخبر تقديره وطاعة خالصة وقول معروف خير لهم وأحسن وأمثل ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ [مَحَمَّد: 21] وقصده على الحزم والجزم وإنما أسند الفعل بالأمر مجازاً لملاسته بالأمر ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: 43]، وذلك تنبيه على أن الأمر لا بد وأن يكون عزمه بالغاً إلى مرتبة الجزم، وهو كمال التوجه والنية، أو المقصود بحيث تكون جميع الأعضاء وتمام القوى والأجزاء موافقة له في التوجه إلى ذلك الأمر ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [مَحَمَّد: 21] فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو الإيمان بالله لو طابقت قلوبهم فيه ألسنتهم لكان ذلك الصدق خيراً.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ متوقع ومرتجى منكم ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ وتحفظتم أو تكلفتم حفظ أمور الناس وتأمرتم عليه أو أعرضتم وتوليتهم ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [مَحَمَّد: 22] فكانهم لحرصهم على الحكومة والولاية واتخاذهما، أو رجوعاً إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من المقابلة بكمال محبة الدنيا مع الأقارب، يعني لضعفهم في الدين ومخالفتهم في الإيمان وأمر اليقين أحق بأن يتوقع منهم ذلك من عرف حالهم ويشعر ما في قلبهم وبالهم ويقول لهم: عسيتم ويتوقع منهم الفساد في الأرض وقطع الأرحام، هذا على لغة أهل الحجاز بإلحاق الضمير وجمعه، وأما بنو تميم فيقولون: عسى أن يفعل وأن تفعلوا بلا إلحاق الضمير في عسى بل يضمرم معموله.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾

﴿أُولَئِكَ﴾ الأعيان المذكورون ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ [مَحَمَّد: 23] لإفسادهم وقطع الأرحام لأجل الدنيا ومحبتها ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع الحق وإصغاء كلام الصدق ﴿وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ [مَحَمَّد: 23] عن رؤية آياته ومشاهدة بيناته لانتفاء ما يوجبه من الإدراك السمعي والإحساس البصري.



﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ أَلْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿٢٤﴾

﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ أَلْقُرْآنَ﴾ ولا يتأملون فيه حق التأمل من المواعظ الحية والزواج حتى يجترئوا على المعاصي ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمّد: 24] فحينئذ يستحيل عليهم التدبر والافتكار والتفكير، وتتكثر القلوب وتتكدر النفوس فلا يصل إليها ذكر ولا يحصل عندها فكر ونظر، فلا ينكشف لها أمر من الأمور الدينية لتعقلها الكفر والشرك لكمال قساوتها ووفور صلابتها وفرط جهالتها. قيل: (أم) منقطعة، ومعنى الهمزة فيها التكرير، وتكثير القلوب لأن المراد بعض القلوب أو للإشعار بأنها مبهم أمرها في القساوة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُرْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ

الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُرْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ إلى ما كانوا عليه من الكفر ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ بالدلائل الواضحة والمعجزات الصالحة ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ ويشهد عندهم اقتراف الكبائر من السؤال وهو التمني ﴿وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمّد: 25] أي أمد لهم من الإملاء وهو الإمداد أو الإمهال دون الإعجال، إما حال أو استئناف.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ

الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿ذَلِكَ﴾ الأمر الذي ذكرنا ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أن اليهود ﴿قَالُوا﴾ أي كفروا بالنبي بعدما تبين وتيقن لهم نعتة وصفته في التوراة ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ أي للمنافقين أو العكس أو أحد الفريقين قالوا ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي أمر الجهاد ومعاداة الكفار والمشركين ومقاتلتهم بأنهم قعدوا عن الجهاد ولم يخرجوا مع المؤمنين إلى قتالهم وأسروا المخالفة والمعاداة بالمؤمنين ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمّد: 26] الخفية وهي التخلف عن المؤمنين.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَصْرِيحُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ﴿٢٧﴾

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [محمّد: 27] أي قبضهم أرواحهم بعد ذلك

﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [مَحَمَّدٌ: 27] عند قبض أرواحهم وتوفتهم أشباحهم .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ

أَعْمَلَهُمْ﴾

﴿ذَلِكَ﴾ القبض والتوفي الموصوف ﴿بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ﴾

[مَحَمَّدٌ: 28] من الكفر وكتمان نعت رسول الله ﷺ وعصيان أمر الله بالإيمان به وبما جاء عنه ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ ورضاه بالإيمان والجهاد في سبيل الله وغير ذلك من الطاعات البدنية والعبادات النفسانية ﴿فَأَحْبَطَ﴾ [مَحَمَّدٌ: 28] الله ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ [مَحَمَّدٌ: 28] وضيعها ولم تقع في حيز القبول .

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ﴾

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ﴾ وظنَّ الأشخاص الذين ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ونفاق وكثرة العداوة والشقاق ﴿أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ﴾ [مَحَمَّدٌ: 29] أجسادهم وأحقادهم .

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾

﴿وَلَوْ نَشَاءُ﴾ إفشاء ما في صدورهم من الحقد والحسد ﴿لَأَرَيْنَاكُمْ﴾ أي جعلنا

أحوالهم مسومة لك ومبصرة عندك وجعلناك مطلعًا على أسرارهم وعالمًا بما في ضمائرهم ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ﴾ أي جعلناك عارفًا بهم وبأحوالهم ﴿بِسِيمَتِهِمْ﴾ [مَحَمَّدٌ: 30] بعلاماتهم التي تظهر في وجوههم وجباههم . عن أنس رضي الله عنه: ما خفي على رسول الله ﷺ بعد هذه الآية شرٌّ من المنافقين وأحوالهم، كان يعرفهم بسيماتهم، ولقد كنا في بعض الغزوات فيها تسعة من المنافقين، فناموا ذات ليلة وأصبحوا على وجه كل منهم مكتوب: هذا منافق . اللام الأولى جواب كما في ﴿لَأَرَيْنَاكُمْ﴾، وأما الثانية فهي مع النون ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ جواب قسم محذوف، ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ عن ابن عباس: هو قولهم: ما لنا إن أطعنا من الثواب، ويقولون: ما علينا إن عصينا من العقاب؟ . قيل: اللحن هو أن يلحن ويميل بكلامه إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبه كالتعريض والتورية ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [مَحَمَّدٌ: 30] فيجازيكم على حسب قصدكم إذ الأعمال بالنيات .

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوا أَعْبَارَكُمْ﴾ (٣١)

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ بالأمر بالجهاد وسائر الأعمال الشاقة ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾ ليظهر علمنا بالمجاهدين منكم ولا يلزم أن يكون علم الله حادثاً، أو لنعامل بكم معاملة الاختبار والابتلاء والاعتبار ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ على مشاقها وشدائدها ﴿وَنَبْلُوا أَعْبَارَكُمْ﴾ [محمّد: 31] ما يخبر به عن أعمالكم فيظهر حسنها وقبحها واختبارها في إعتابهم وموالاتهم المؤمنين في صدقهم وكذبهم .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ

الهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ﴾ (٣٢)

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ﴾ وخالفوه بالغيث إلى حدّ الشقاق وشدائد النفاق ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ وهم قريظة والنضير والمظعون يوم بدر ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ أي رسول الله، حذفه للتعظيم ﴿وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ﴾ [محمّد: 32] ثواب حسنات أعمالهم بذلك أو مكائدهم التي يصيبونها في مشاقته فلا يصلون بها إلى مقاصدهم فيما أصابهم من القتل والجلء من الأوطان والجلء عن الأقارب والإخوان .

﴿يَتَأَيَّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٣)

﴿يَتَأَيَّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمّد: 33] أي ما أبطل كفر هؤلاء ولا النفاق ولا الرياء والعجب والمن والأذى حسنات أعمالهم، دليل على عدم إحباط الطاعات بالكبائر .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ

لَهُمْ﴾ (٣٤)

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [محمّد: 34] عام في كل من مات على كفره وإن صح نزوله في أصحاب القلب، ويدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم يمتهن على كفره سائر ذنوبه .

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ  
أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿٣٥﴾

﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ ولا تضعفوا، من الوهن وهو الضعف ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ أي لا تدعوا إلى الصلح والسلامة جوازاً وتذلاً، ويجوز نصبه بإضمار أن ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ والأعلون في كل الأمور ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ﴾ ويضيعكم ﴿أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمّد: 35] من وترت الرجل إذا فتلت منقلباً، أو من قريب أو حميم وصديق فأرددته عنه .

﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَإِنْ تُوْمِنُوا وَتَنْفِقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ ﴿٣٦﴾

﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ﴾ أي لا ثبات ولا انتفاع ولا خلود ولا إثبات لها ﴿وَإِنْ تُوْمِنُوا وَتَنْفِقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ﴾ ثواب إيمانكم وجزاء أعمالكم و عوض إيقانكم ﴿وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ [محمّد: 36] أي لا يطلب جميع مالكم بل يقتصر على جزء يسير .

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَضْعَانَكُمْ﴾ ﴿٣٧﴾

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ فيجهد ويطلب الكل من الإحفاء والإلحاق وهو المبالغة والبلوغ في إنعامه . يقال: أحفى الشيء إذا استأصل البخل ﴿تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَضْعَانَكُمْ﴾ [محمّد: 37] ومعنى أنت لو طلبت جزءاً قليلاً من المال يبخل ولا يعطي لك شيئاً يسيراً فكيف جميع المال وكله .

﴿هَاتِئِنَّ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ  
وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ  
تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ ﴿٣٨﴾

﴿هَاتِئِنَّ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ﴾ أي أنتم مخاطبون هؤلاء الموصوفون ﴿لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ استئناف مقرر لذلك، أو صلة هؤلاء على أنه موصول بمعنى الذي هو يعم النفقة والزكاة وغيرهما ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ﴾ [محمّد: 38] أي ناس يبخلون،

وهو كالدليل على الآية المتقدمة ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ﴾ فإن نفع الإنفاق ومضرة البخل عائدان إليه، والبخل يُصدى بعن وعلى لتضمنه معنى الإمساك والتعدي فإنه إمساك عن مستحق ﴿وَاللَّهُ الْعَنِيُّ﴾ فيما له من الكمالات الذاتية والأسمائية والأفعالية والأثرية عن غيره ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ في هذه الأمور كلها وفيما تتوقف هي عليه من الوجود والماهية ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يخلق قوماً سواكم على خلاف صفاتكم راغبين في الإيمان والتقوى ويقوم مكانكم قوماً آخرين ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا امْتِلَاكُكُمْ﴾ [محمد: 38] في التولي والاستخلاف وفي الزهد والنورع.

قال النبي ﷺ: «من قرأ سورة (محمد) ﷺ كان على الله حقاً أن يسقيه من أنهار الجنة».



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي فتح مدائن أقاليم الوجود لأرباب الكشف وأصحاب الشهود، ومنح خزائن مواهب الكرم ومناصب الجود ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي نصر أعيان أدوار أطوار الجمال والوجود إذ كانت صريحة على أكوار أكوان الجلال والعدم الضمني بالنفوذ الغير المحدود ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين لدى حضور صورة التجليات ورهب عساكر الواردات وغارات الجذبات .

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ [الْفَتْحُ: 1] ونصرناك بالمؤمنين على أهل مكة الوجود وأصحاب مكة الشهود في الأدوار النورية الصريحة، وجعلنا أكوان أكوار الظلية الجلالية موافقة لأعيان أدوار الجمال ليحصل الكمال الجمعي والجمع الكمالي الأصلي والفرعي، ووعد في بداية الدورة العظمى النورية بفتح مكة الكمال الجمعي والجمع الكمالي الأصلي والفرعي للحقيقة المحمدية والوحدة الذاتية النورية الجمالية في كل دورة من الأدوار النورية الوجودية الكبرى والوسطى والصغرى النورية الوجودية في النشأة الناسوتية لأنَّ الحقيقة المحمدية لها في كل دورة من الأدوار النورية اقتضاء مخصوصًا وارتضاء منصوصًا من التعينات والظهورات النورية صريحًا وظلّية ضمّنًا، وفي الأكوار الظلية الجلالية الأربعة تكون السلطنة لباطن الحقيقة المحمدية كما قال ﷺ: «خلقت أنا وعلي

من نور واحد»(\*) . وقال أيضًا: «أول ما خلق الله نوري أنا وعلي من نور واحد» وغير ذلك من الأخبار الدالة على اتحادهما حقيقة ومعنى .

فإذا كان حكم الفردانية للحقيقة المحمدية صريحًا بكون النبوة ظاهرة صريحة وحكم الولاية خفية ضمنية، وإذا انتقلت الفردانية إلى الماهية المرتضوية عند انتقال الفردانية من الأدوار النورية إلى الأكوار الظلية فحينئذ يصير الظاهر باطنًا والباطن ظاهرًا، والدنيا آخرة والآخرة دنيا، والجسم روحًا والروح جسمًا، والنبوة ولاية والولاية نبوة، والأرض سماء والسماء أرضًا، وكذا تتبدل الأدوار ومقتضياتها بالأكوار وخصائصها .

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ

صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾﴾

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ [الْفَتْحُ : 2] أي التقصيرات والتي كانت في

(\*) هذا من حيث مقام الجمع الباطن وأما من حيث الظاهر فكل شيء مخلوق من النور المحمدي، فكل عين من حيث الظاهر لها خصوصيتها يعني لها استعدادها وقابليتها، ومن حيث الباطن هي منظوية ومتلاشية في الحقيقة الكلية المحمدية وهي مستهلكة في الحقيقة الإطلاعية الإلهية .

الرد على السؤال الأول: الأسماء والصفات الإلهية تكون منظوية في التوحيد المطلق ولا اعتبار لها من حيث الظهور أي تكون كامنة أو ساكنة، وهذا يسمى العماء من وجه، وتجلي الأحدية من وجه، والهوية الذاتية أو الصرافة الذاتية من وجه، أو الذات الساذج، أو الكنز المخفي، أو الوجود المطلق المنزه عن الأسماء والصفات الحقية والخلقية .

الرد على السؤال الثاني: الأعيان إذا كان يراها السالك قائمة بنفسها فليس لها قدرة على إعطاء شيء يعني أنها من حيث هي أعيان هي عدم وخيال ووهم وباطل ومن حيث هي قائمة بالله تعالى تستمد الفعل والصفة والذات من فعله وصفته وذاته تعالى هي حقيقة، قال الشيء الأكبر .

إنما الكون خيال وهو حق في الحقيقة

كل من يعرف هذا حاز أسرار الطريقة

لذلك يقول الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية: الله تعالى يوجد المسبب عند السبب وبالسبب إذا اعتبرنا السبب غيره من حيث قيامه بنفسه وبالسبب إذا اعتبرناه عينه أي قائمًا بذاته تعالى يستمد منه الفعل والصفة والذات تعالى، فإذا اعتبرناها أعيانًا تعطي الغم، وإذا اعتبرناها أعيانًا تعطي الفرح والسرور قال الشيخ النابلسي:

وما عذابي إلا حجابي وما نعيمي إلا وصالي



الأدوار الإفرادية الصريحة النورية من الكلمات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية من الكمالات الجمعية وحالات جمعية الجمعية ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ في الأكوار الظلية الضمنية التي تولدتا معاً من حقيقة الحقائق والمبدأ الفائق والنور البارق من الجمال والجلال والوجود الظلي والعدم الأصلي، والنور والظلمة هما توأمان ساريان في المراتب متداخلان في تمام المآرب، تداخل النهار في الليل والليل في النهار، والنور في النار والنار في النور، والآخرة في الدنيا والدنيا في الآخرة ﴿وَبِتَّ نِعْمَتُكَ عَلَيْكَ﴾ أي نعمة الكمال الجمعي والجمع الكمالي بين النبوة والولاية إلى صاحب الزمان المعهود، والمظهر الكامل الغير المحدود ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: 2] أولاً وآخراً، باطنًا وظاهرًا نحن الأولون السابقون.

﴿وَيُضْرِكُ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾

﴿وَيُضْرِكُ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: 3] في النشأة الأخيرة والجمعيتين، جمعية الجمالية والجلالية وجمعية جمعيتيها.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۗ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة والوقار والتمكين والقرار في الطور الجمعي و﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الجامعين أطوار أدوار أسرار الأكوار ﴿لِيَزْدَادُوا﴾ في مراتب الظهور ومآرب البروزات على ما تقتضيه الجمعية ويرتضيه جلال المعية ﴿إِيْمَانًا﴾ تغليباً كشافياً وإيقاناً رضياً ﴿مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح: 4] أي مزيداً في كمال اليقين شيئاً بعد شيء إلى غير النهاية في النشاطين في ميدان البروزات ومضمار البرزات واليقين هو الله لقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾، وقد يطلق على تطوره وتنوع ظهوره، قال النبي ﷺ: «الإيمان ثابت في القلب واليقين خطرات»، وهو على كلا المعنيين غير متناه نتيجة العبادة الكاملة ولذا أمره بها ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99]، ﴿وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفتح: 4] أي أنواع أعيان الأدوار وأشخاصها، وأكوان الأكوار وأجناسها وأصنافها، يدبر أمرهم ويقرر نسبة بعضهم إلى بعض، ويوقع فيما بينهم من السلم والاتفاق، وبالصلح والصلاح أو المباينة

والخلاف والفلاح ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: 4] عالمًا بالمصالح الدينية والإنجاح، والمناهج الدنيوية وبحقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر، وحاكمًا عليهم بالأعمال الإرادية وبأعمال تلك المصالح واستعمال تلك الأحكام ليستحق بحصول السعادات الدنيوية والأخروية.

﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٥﴾

وإليه الإشارة بقوله: ﴿لِيَدْخُلَ﴾ أي ليسعدوا بتلك الأعمال الإرادية والأفعال الاختيارية لأن ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي من تحت الأشجار والقصور والأثمار الأنهار الأربعة المذكورة التي هي تجري في الدنيا وتتصل هذه الأجناس الظاهرة بتلك الأنهار وتستمد منها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الفتح: 5] إذ ليس هناك شيء ليكون سببًا لخروجهم منها، وتلك أنهار تخرج من تحت العرش الإلهي وتجري أولاً في عرش الرحمة وهو الفلك الأعظم للدورة الكبرى، ومنه إلى عرش المجيد والفلك الكلي للدورة الوسطى منه إلى العرش الكريم ومنه تجري إلى السماوات ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: 7] وتجري في الجنة ويسري منها في الدنيا وجنة عرضها عرض السماوات والأرض، وكل نهر من أنهار الدنيا وهي أربعة مشهورة وهي: سيحون وجيحون والنيل والفرات، وكل نهر يستمد من دورة من الأدوار الأربعة المذكورة ومن ربها ﴿وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي يمحو الله سيئات المؤمنين والمؤمنات ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الغفر والإدخال ﴿عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 5] فضلاً ومنه وإحساناً ونعمة ورأفة تامة ورحمة عامة.

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَلَمَ السُّوءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿٦﴾

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾ [الفتح: 6] أي الأعيان النورية والأكوان الظلمية التي لم تستكمل في الأدوار النورية الإفرادية والأكوان الفردانية، ولم تتطابق المولودات الإنسية والمتولدرات الجنية، ولم تتوافق توافقاً تاماً ولا تطابقاً عاماً،

وقد انتقلوا إلى الدورة الجمعية النورية للاستكمال في الأدوار والأكوار الإفرادية ﴿وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ [الفتح : 6] أي الأكوار الظلية الإفرادية التي قد رسخت المباينة وثبتت العداوة المخالفة بين المولود الإنسي والجني سواء كان في الدورة النورية الصريحة أو الكورة الظلية الصريحة، والمولود الإنسي في الدورة النورية الصريحة إذا خالفه المولود الجني، وكذا إذا كانت الدورة الظلية صريحة وكان المولود الإنسي ضمناً والجني صريحاً مخالفاً له كان المولود الإنسي مخالفاً للمولود الجني موافقاً له في المواصفات، يتناول في الأدوار والأكوار إذ حكم الفردانية والسلطنة الربانية إذا كانت للأدوار النورية للبدن أن يتبع المولود الجني الإنسي، وإذا كانت الأدوار الظلية يكون المولود الإنسي تابعاً للمولود الجني، فالنفاق إنما يكون من جانب المولود الإنسي، وكذا الكفر والشرك إنما يكون للمولود الإنسي إذ السلطنة والألوهية قد انتقلت من الجمال إلى الجلال ومن الوجود إلى العدم ومن النور إلى الظل ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَنَ السَّوْءَ﴾ بأن الله لا ينصر رسوله ولا يعلمون أن الفردانية والسلطنة والألوهية إنما تكون صريحاً لسلطان النور والجمال والوجود الظلي إنما يتبعه الكمال والنقص والمتابعة، والنقص إنما يكون للجلال والعدم والظلال ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ أي على الأكوان الظلية وعلى المولود الجني كما في فردانية الجلال لسلطنة الأكوان الظلية والمولود الجني ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحديد: الآية 6]، ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الرؤم: الآية 19] إشارة إلى الدورة العظمى ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ إلى الدورة الكبرى ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾ إلى الدورة الوسطى ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ إلى الدورة الصغرى وهذه المبالغة والحدة ووفور القهر والشدة إنما تكون على المنافقين والمنافقات لا المشركين ولا المشركات لكون المنافقين في الدرك الأسفل من مراتب النقص وفقدان الكمال ﴿وَسَاءَتْ جَهَنَّمُ﴾ وصارت دار سوء ﴿مَصِيرًا﴾ [الفتح : 6] مرجعاً ومثوى .

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿٧﴾

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تكرراره إشارة إلى أن جنود أعيان الأدوار تغاير جنود أكوان الأدوار ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ قاهراً غالباً قادراً ﴿حَكِيمًا﴾ [الفتح : 7] وإنما

زاد في الأدوار النورية ﴿عَلِيمًا﴾ إشعارًا بأن علم جنود الأدوار ظاهر صريح،  
وعلم جنود الأكوار ضمنى، والحكم والحكمة فيهما صريحان ظاهران .

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ﴿٨﴾

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا ﴾ في الأدوار النورية الوجودية الجمالية على الأعيان  
الوجودية والنورية المشهودية وعلى الأكوان الظلية فرادًا وجمعًا ﴿ وَمُبَشِّرًا ﴾  
للمؤمنين المخلصين من الأعيان النورية والأكوان الظلية أي المولود الإنسي  
والجني اللذين أطاع أحدهما الآخر في الفردانية الصريحة، فإذا كانت السلطنة  
للنور والجمال فالواجب على المولود الجني أن يدخل في حكم المولود الإنسي  
فيكون سعيدًا، وإلى السماء الربوبية مترقبًا سعيدًا، وفي سلطنة المولود الجني إذا  
كان حكم الفردانية للظل والجلال لا بد وأن يطيع المولود الإنسي للمولود الجني  
الذي هو مربوب سلطان الجلال ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ [الفتح : 8] للكافرين والمنافقين من  
الأعيان النورية الجمالية والأكوان الظلية الجلالية .

﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّزُوا وَتُوقِرُوا وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾

﴿٩﴾

﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ ﴾ متعلق بنذيرًا، أي الحقيقة المحمدية السارية في جميع  
الأعيان الوجودية والجمالية الصريحة، وفي الأكوان الظلية العدمية الجلالية  
الضمنية، يُنذِرُ وَيُخَوِّفُ المولود الجني ويدعوه إلى طاعة المولود الإنسي كما  
أشار إليه بقوله ﷺ : « ما من مولود إنسي إلا وله قرين من الجن، قالوا: وإياك يا  
رسول الله؟ قال: وإيائي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم على يدي فلا يأمرني إلا  
بالخير»، ﴿ وَرَسُولِهِ ﴾ وبما جاء منه ﴿ وَتَعَزَّزُوا ﴾ وتؤيدوه وتعينوه بالنصر والظفر  
﴿ وَتُوقِرُوا ﴾ وتبجلوه وتعظموه آجلاً وعاجلاً ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح : 9]  
غداةً وعشيًا أو مستمرًا دائمًا بلا تخلف وفترة .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا

يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿١٠﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ ﴾ [الفتح : 10] ويتابعونك في الدورة الوجودية أو في

الدورة العظمى ثم في الدورة الكبرى ثم في الدورة الوسطى، ثم في الدورة الوجودية، أو في الدورة العظمى، ثم في الدورة الصغرى في كل من هذه الصور الأربعة بمناسبتها كما مرت الإشارة إليها ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ إذ الحقيقة المحمدية التي هي التجلي الذاتي بعنوان الذات لها وجهان: وجه إلى الذات البحت ومطلق الوجود بل هو عينها، ووجه إلى أمن حقيقتها من حيث إنها منطوية على نسب وصفية وهي الأعيان الذاتية والصور العلمية، أما الوجه الأول فهو تجلي ذاتي بعنوان ذاتي، وفي هذا المشهد للمعارف الباقي بالشهودات، أما أول شهود تجلي الذات بعنوان الذات الثاني وشهود الذات بعنوان الذات الساذج، الثالث شهود الذات بعنوان مطلق الذات، الرابع: شهود الذات بعنوان المطلق. الخامس: شهود الذات بعنوان الذات المقيّد. السادس: شهود الذات بعنوان الذات المقيد والمطلق معاً. السابع: شهود الذات بعنوان الذات المطلق على وجه ينطوي على أنحاء غير متناهية ونسب ذاتية وإضافات غير محصورة على وجه لا يعلمه إلا الله والعارفون بالاقون بالله، وهذه النسب والأنحاء والوجوه هي الشؤون الذاتية.

وأما الوجه الثاني، وهو التجلي الذاتي بعنوان وصفي لهذه الوجوه السبعة يسري في الأمر الذاتي على ما لا يخفى، وأنت خبير بأن الحقيقة المحمدية بهذه الوجوه وبهذه الخصلة هي بعينها هي التجلي الذاتي، بل الذات بعينها إذ اليقين والتجلي الذاتي هو الأمر الاعتباري، فالحقيقة المحمدية والأحدية الجمعية ليست إلا الذات الأحدية والذات البحت ومطلق الوجود والمولود الإنسي الذي هو النور والجمال، والوجود والظل والجلال، والعدم، فالمولود الإنسي وهو مظهر النور والوجود والجمال، والمولود الجني هو مظهر البحت والمطلق الذي هو مفهوم العدم والجلال والجمال. وكذا الوجود والعدم، والنور والظل، توأمان قد تولدا معاً فإذاً لا بد أن يتوافق المولودان ويطباقا المربوبين، وذلك إنما يتطابق في الأدوار والأكوار، ويتحدان في الصورة الجمعية والهيئة الكلية المعية الإلهية والكونية وهما متحدان حقيقة ومعنى، ومتغايران اعتباراً ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ في الصورة الظاهرة ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ في الحقيقة والمعنى، كما قال النبي ﷺ: «من رأني فقد رأني، والشيطان لا يتمثل بي»، ﴿يَدُ اللَّهِ﴾ أي يد الرسول إذ العبد الفاني حالاً واعتباراً وما في يده وتحت تصرفه لمولاه ﴿فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10] عند

المبايعة ﴿فَمَنْ نَكَتَ﴾ العهد ونقضه ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُتُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ويرجع وبال النكث على نفسه وهو أن يجد الديار بلاقع ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورِيهِ﴾ يعطيه ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 10] جزاءً حسناً و عوضاً جسيماً كريماً وهو شهود لقاء الله والتحقق ببقاء الله وحق كلياته وشهود أنوار أسمائه وصفاته .

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿١١﴾

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن الجهاد والمقاتلة بالكفار والتشدد والشداد ﴿مِنْ﴾ بعض ﴿الْأَعْرَابِ﴾ في مقام الاعتذار ﴿شَغَلَتْنَا﴾ وغفلتنا ﴿أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ من الأولاد والنساء والأحفاد ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ من الله على التخلف عن رسول الله ﴿يَقُولُونَ بِآلْسِنَتِهِمْ﴾ في مقام الاعتذار والاستغفار ﴿مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من المعذرة والاعتذار ﴿قُلْ﴾ يا محمد في الرد عليهم ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي من ينفع لكم برد العذاب من الله وشديد العقاب ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ لعاد إليكم شراً ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح: 11] في التقديم حصر والخبرة على النية بالأعمال الإرادية ظاهراً وباطناً، صورة ومعنى .

﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ آلِهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ ﴿١٢﴾

﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ﴾ إضراب للترقي من التخلف إلى أشد ضرراً وهو أن ﴿أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ﴾ وينصرف من الجهاد إلى المدينة والبلاد ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ آلِهِمْ أَبَدًا﴾ (أن) للتفسير وهو عدم الانقلاب والمراجعة إلى الأهل والمسكن والبيت ﴿وَزُيِّنَ ذَلِكَ﴾ الظن الفاسد والتخييل الباطل الكاسد ﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وفؤادكم وسركم وغيبكم، والمزين هو الله والشيطان، أو بعضهم لبعض وهم شياطين الإنس ﴿وَظَنَّتُمْ ظَنًّا سَوْءًا﴾ أي الظن المذكور الذي سجل عليه بالسوء أو هو سائر الظنون بالله ورسوله من الأمور السابقة ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: 12] هالكين عند الله .

﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾

﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ﴾ وكفر ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: 13] وضع المظهر موضع المضممر والعام موضع الخاص إيذان بأن من كفر بالله وبما جاء من الله فقد سجل عليه بأن السعير أحق به وهو أوفق وأليق .

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي سماوات الأدوار الأربعة النورية، والأكوار الظلية المربعة وأراضيها وما يسكن فيها من الملائكة والجان، وما تعلق بها من الجواهر النورية والمفاخر القلبية والنفوس العاملة والملائكة والقواهر الظلية ﴿يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من عباد الله المجرمين الملحقين بالاختيار لا الوجوب والاضطرار ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفتح: 14] لمن تخلف عن رسول الله واعتذر، رحيمًا لمن عجز عن الخير، فإن المغفرة والعفو والرحمة من حيث إنه خير وصلاح إنما يكون مراداته بذريعة أسمائه وصفاته، وأما التعذيب والعقوبة والتأديب فهو وإن كان من ذاته إلا أنه بواسطة أسمائه وصفاته القهرية التنزيهية التي هي تظهر وتثبت في المرتبة الثانية إذ التنزيه فرع التشبيه الذي يظهر في المرتبة الثانية كما قال الله تعالى: «سبقت رحمتي غضبي» .

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا

نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ

اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونُنَّ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ الذين تخلفوا عن الحديبية ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ﴾ وسعيتم ﴿إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ أي مغانم خيبر ﴿لِتَأْخُذُوهَا﴾ أي تكسبوها وتغادروها إذ الرسول ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست أقام بالمدينة، قيل: كل الحرم ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: 15] ويغيروا موعد الله إلى أهل الحديبية، وذلك أنه وعدهم أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر إذا فعلوا ورجعوا مواعدين لا يصيبون شيئًا، يعني أن غنيمة خيبر لمغانم لمن شهد الحديبية

منهم ﴿اللَّهُ﴾ وقيل: هو قول علي: «لن يحزنونا معي أبداً»، والظاهر أنه في تبوك، والكلام اسم للمتكلم على الجملة المقيدة ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾ بمعنى النهي ﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ﴾ تعالى ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ أي قبل تهيئتهم للخروج إلى خيبر ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونُنَّ﴾ إذا تشاركتهم في الغنائم ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ ولا يعلمون على ما يكون عليه هو ظاهراً أو باطناً ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح: 15] أي فهماً قليلاً أو زماناً سبيراً، أو هو نصر لأمر الدنيا والدين كقوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ [الرؤم: 7] والإضراب الأول ومنهم أن يكون حكم الله أن لا يتبعوه وثبات الحسد الثاني رد من الله ذلك وإضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أكثر وأعظم وأكبر وأتم منه وهو الجهل وقلة النفع.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأْسِ شَدِيدٍ نَّقُولُ لَهُمْ أَوْ يَسْلُمُونَ فَإِنْ يَنْتَهِبُوا يَنْتَهِبُوا وَإِنْ يَنْتَهِبُوا يَنْتَهِبُوا وَإِنْ يَنْتَهِبُوا يَنْتَهِبُوا﴾

﴿يُعَذِّبِكُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١٦﴾

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم بالخلف، وإشعاراً بشفاعة التخلف، وإشارة إلى تحرر هذا الأمر وتصوره عنهم ﴿سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأْسِ شَدِيدٍ﴾ يعني هي حقيقة قوم مسيلمة الكذاب وغيرهم من الأعراب من أهل الردة الذين حاربهم وغزاهم أبو بكر الصديق أو ثمان من مشركي العرب المرتدين ﴿نُقَلِّبُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾ [الفتح: 16] أي لا يقبل منهم إلا الإسلام أو الصمصام، وأما من عداهم من مشركي العجم وأهل الكتاب والمجوس فيقبل منهم الجزية.

وعند الشافعي: لا تقبل الجزية من أهل الكتاب والمجوس دون مشركي العرب والعجم، وذلك لأن الله غني عن العالمين وإسلامهم وكفرهم وإيمانهم كما قال الله تبارك وتعالى: «يا بني آدم لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كان على قلب عبد فاجر لما نقص من ملكي شيء، ولو كان أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم على قلب عبد بار لما زاد في ملكي شيء». «رأيت ربي في يوم اكتسبت هذا المقام فقلت: يا رب إن العباد الغاصبة الفاجرة كلهم ملكك».

فإذا غير متناه وإن كفر العبيد إنما كانت مقتضيات استعدادهم وكذا الإيمان



والطاعة إنما كانت مكتوبة في قابلياتهم فإذا ظهرت كانت في تلك الأحوال والكمالات ما كانت حاصلة في ملكي من الخارج شيء بل كانت داخلة في ملكي مختفية عن البعض لارتفاع شرط الظهور بالنسبة إلى ذلك البعض، فلو حصل الشرط ظهرت تلك الحقيقة بالنسبة إلى البعض المذكور، وأما بالنسبة إلى السواء فالكل ظاهر بل الجميع عندي حاضر أزلًا وأبدًا ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: 61].

هذا فلنرجع إلى القصة في سنة ست استنفر رسول الله ﷺ وأصحابه إلى العمرة، فأسرعوا وخرجوا واستخلف ابن أم مكتوم، ولم يخرجوا إلا بالسيوف، فبلغ خروج المسلمين المشركين، فأجمعوا وتجهشوا فسار المسلمون وتوجهوا حتى نزلوا على غدير الأنمار من الحديبية وهو قليل الماء، فوضع فيها سهمًا من كنانته فحصل لهم الرواء، فجاء بديل بن ود، وقال: جئناك من قومك يا رسول الله قد استنفرنا لك الجيوش قد أقسموا بالله لا يخلون بينك وبين البيت، فقال رسول الله ﷺ: «لم نأت لقتال أحد إنما جئنا لنطوف البيت، فمن صدنا عنه قاتلناه». فرجع بديل وأخبر قريشًا فبعثوا عروة بن مسعود بنحو ذلك، فأخبر قريشًا فقالوا: نرده عن البيت في عامنا هذا ويرجع قابل فيدخل ويطوف. فأرسل عثمان ابن عفان إلى أهل مكة، فأخبر أن رسول الله قد بايعه الناس بيعة الرضوان تحت الشجرة، فأجمعوا على الصلح، فكتبوا: هذا ما صالح محمد بن عبد الله وسهيل ابن عمرو، واصطلحا على وضع الحرب عشر سنين، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فليفعل، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فليفعل، فإن محمد يرجع عامه هذا بأصحابه ويدخل علينا قابلاً في أصحابه يقيم به ثلاثاً لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر السيف. فشهد أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن وكتب علي وكان هذا الكتاب عند رسول الله ﷺ، فلما رجعوا إلى المدينة خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر فلما وصل دخل المسلمون حصونهم وقاتلوهم فقتل منهم ثلاثة وتسعون رجلاً واستشهد من المسلمين خمسة عشر، ففتحتها المسلمون حصناً حصناً وخرج مرحب فقتله علي كرم الله وجهه وكان الفتح على يديه.

﴿فَإِنْ تَطِيعُوا﴾ في كل ما تؤمروا فحينئذ ﴿يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ وهو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة ولقاء الله وتجلياته ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وتعرضوا عما ذكر ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ [الفتح: 16] عن الحديبية وجهادها حيث صالحوا ورجعوا ﴿يُعَذِّبُكُمْ

عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: 16] في الدنيا بغلبة الكفار وقتلهم إياكم وسبي نساءكم وغنيمة أموالكم، وفي الآخرة بأنواع العذاب وأصناف العقاب.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذِبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٧)

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ في التخلف عن الجهاد، استثناء عن الوعيد الذي أوعد به المتخلفون وهذا الاستثناء دليل ثان بأن المراد من الآية السابقة هم المؤمنون المتخلفون، وإنما كرر إشعاراً بأن منه العلل المذكورة مستقلة في الحرج ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في الأوامر والنواهي ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ تكرار الجنة والنار وغير ذلك في الكتاب إشارة إلى تكرار الأدوار والأحوال، وإلى أن كل دورة محتوية على كل ما ذكر في الكتاب ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذِبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: 17].

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (١٨)

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الصادقين المخلصين الثابتين على الإيمان ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ روي أنه عليه السلام لما نزل الحديدية بعث ابن أمية الخزاعي إلى أهل مكة، فلما وصل هموا وقصدوا أن يقتلوه فمنعه أناس، فلما رجع دعاه عمر ليلبغه فقال: إني أخاف على نفسي، لما عرف من عداوتي إياهم وما بمكة من معين، فدعا عثمان فنفذ فأخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت تعظيماً لحرمة، فواقروه وقالوا: إن تطوف بالبيت فافعل، فقال: ما كنت لأطوف حتى يطوف الرسول، فاحتبس عندهم فأرجف بأنهم قد يقتلوه فقال رسول الله ﷺ: «لا تبرح حتى نأتمر القوم»، ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانوا ألفاً وثلاثمائة أو أربعة وخمسمائة على أن يقاتلوا قريشاً ولا تفروا عنهم وبايعوه على الموت ﴿فَعَلِمَ﴾ الله أو الرسول ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الإخلاص وصدق النية ووفور الهمة وصفاء الطوية ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: 18] أي كمال الطمأنينة والثبات

﴿وَأَنْبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 18] فتح خيبر عند انصرافهم من مكة .

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٩)

﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: 19] أي غنائم خيبر وكانت أرضًا ذات عقار وأموال قسمها الرسول ﷺ عليهم ثم أتاه عثمان بالصلح فصالحهم بذلك .

﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (٢٠)

﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ وهي ما يغني المؤمنين إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ المغانم الخيبرية ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ أي أيدي أهل خيبر وحلفائهم من بني أسد وغطفان، أي أيدي قريش بالصلح ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أمانة وعلامة تدل على أن النصر والظفر آية للمؤمنين، أو على صدق الرسول ﷺ في وعدهم فتح خيبر حين رجوعه عن الحديدية، أو وعد الغنائم وأخذ الغنائم، أو فتح مكة عطف على محذوف وعلّة للكف، أو لياخذوا أو لعلّة محذوف ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: 20] أي يزيدكم نصرة وثباتًا في دين الله وبفضل الله وكرمه ووفور عنايته وكثرة عاطفته .

﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرًا﴾ (٢١)

﴿وَأُخْرَى﴾ أي ومغانم أخرى، عطف على هذه، أي فعجل هذه المغانم ومغانم أخرى أتم وأكثر وأجدى منها ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ ولم تستطيعوا ولم تقدرُوا على اقتنائها واكتسابها ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح: 21] التساوي نسبة إلى الكل وكون الجميع في حيز الإمكان في درجة السواء .

﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا

نَصِيرًا﴾ (٢٢)

﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الفتح: 22] أي لو عمدوا لقتالكم وقصدوا حربكم

وعداءكم ولم يصلحوا ﴿لَوْلَا الْأَدْبَرُ﴾ وانهزموا أو رجعوا القهقري وفروا فراراً شديداً ولم يكروا كراراً عتيداً ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك ﴿لَا يَجِدُونَ وِيَاءً﴾ خليلاً جليلاً يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيْرًا﴾ [الفتح: 22] ومانعاً يمنع منهم الخزي ولا يدفع عنهم النكبة والخزي، ولا يرجع عنهم القتل والسبي.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾  
 ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل هذا الزمان ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: 23] ونعمة الله رافعة تحويلاً.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ﴿٢٤﴾

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ أي أيدي كفار مكة حين عمد بموتهم وحبسوا رسولكم ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ [الفتح: 24] وأصلح بينهم وبينكم ليظهر العدالة بين اسم الهادي والمضل ومقتضاهما إذ الكافر والمؤمن كلاهما ملك الله والله مالك الملك والإيمان والكفر أيضاً ملكه وماله ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ تَوْقِي الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: 26].. إلى آخر الآية، ولثلا يفوت منكم فتح خيبر وغنائمهم ﴿بِطْنِ﴾ داخل ﴿مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ وجعلكم منصورين ومظفرين وإياهم مخزيين أو مكسورين، وذلك أن عكرمة بن أبي جهل في خمسمائة نفر في الحديدية أقبلت من رسول الله ﷺ، خالد بن الوليد على رأسهم حتى أدخلهم حيطان مكة وأظهر الله المسلمين بالحجارة حتى أدخلوا البيوت ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بأعمالهم من القتال والإطاعة والحيلة والمكر برسوله وبأصحابه وبقوله إذ هموا بكم ﴿بَصِيرًا﴾ [الفتح: 24] شاهداً لها، أي حاضرة عنده وهو ناظرها بحيث لا يغيب عنه شيء منها.

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَى مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَجَلَّهُ، وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَلَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿٢٥﴾

﴿هُمُ الَّذِينَ﴾ [الفتح: 25] أي الأعيان المخصوصون من قريش أو من العرب

أو المطلق، الذين ﴿كَفَرُوا﴾ بالله ورسوله وبما جاء به من الكتاب والنواميس الإلهية والشرائع الإلهية ﴿وَصَدُّوكُمْ﴾ ومنعوكم ﴿عَنِ﴾ طواف ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وزيارة البيت المعمور، فيكون المراد منهم هم الأشخاص المخصوصون من قريش وهم عكرمة ومن تبعه ﴿وَالْهَدْيِ﴾ يجوز التشديد والتخفيف وهو ما يهدي إلى الكعبة بالنصب عطفًا على الضمير المنصوب في (صدوكم) بالجر عطفًا على (المسجد) يعني منعوكم عن نحر الهدى ﴿مَعْكُوفًا﴾ محبوسًا عن ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ أي الهدى وما يهدي ويؤتى ويعطى إلى الكعبة من البدنة والبقرة والكبش فينحر ويصل إلى محله ومكانه فيكون في حيز القبول.

فإن قيل : كيف حلّ رسول الله ﷺ ومن معه من الأصحاب وإنما نحررت بدنهم بالحديبية؟ نجيب : بأن الحديبية من الحرم.

روي أن مضارب رسول الله ﷺ ومحل ضرب خيامه والعساكر كان بالحديبية وهو في الحرم، والمراد من المحل هو المحل المعهود وهو منى ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ أي لم تعرفونهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ وتوقعوهم غير عالمين بهم، والوطء والدوس عبارة عن الإيقاع والإبادة والإهلاك، يعني أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطين بالمشركين غير متميزين ولا معروفين الأماكن.

فقيل : لولا كراهة أن تهلكوا أناسًا مؤمنين بين ظهرائي المشركين وأنتم غير عارفين بهم ﴿فَتَصِيبِكُمْ﴾ بإهلاكهم مكروه ومشقة لما كفت أيديكم عنهم ﴿مِنْهُمْ﴾ من جهتهم ﴿مَعْرَةً﴾ مكروه كوجوب الدية والكفارة والمؤاخذه بالتنصير في البحث عنهم مفعلة من عَرَّ يَعْرُ إذا كره ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ متعلق بـ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ أي تطؤونهم غير عالمين بحالهم جواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه، والمعنى : لولا كراهية أن تهلكوا ناسًا مؤمنين بين أظهر الكفار جاهلين بهم فيصيبكم بإهلاكهم مكروه لما كفت أيديكم عنهم ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ علة لما دلّ عليه كفت الأيدي عن أهل مكة صوتًا ووقاية لما فيها من المؤمنين، أي كان ذلك ليدخل الله في رحمته ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ [الفتح : 25] أو في توبته لزيادة الخير والإسلام

﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ أي تعرّفوا إلى بعضهم ببعضهم عن بعض ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ بالقتل والسبي ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: 25] مؤلماً في الغاية وموجعاً بلا نهاية .

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿٢٦﴾

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منصوب باذكر، أو ظرف لعذبنا أو لصدوكم ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ العار والأنفة والعجب والناموس ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ المانعة للدعاء الحق وقبوله، المقتضية للإصرار على الكفر والاستكبار والضلالة والاستنكار ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ ثباته واطمئنانه وهي الوقار والتمكن في الدين والقرار في كمال اليقين، لما روي أنه عليه السلام لما همّ قتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى وبكر بن حفص ليسألوه أن يرجع من عامه على أن تخلي له قريش مكة من القابلة ثلاثة أيام، فأجابهم، وكتب بعضهم كتاباً فقال ﷺ لعلي كرم الله وجهه: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل وأصحابه: ما نعرف هذا، فقال ﷺ: ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة، فقالوا: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك عليه ولكن اكتب: هذا ما صالح محمد بن عبد الله أهل مكة، فقال ﷺ: اكتب ما يريدون: فأنا أشهد أني رسول الله، وأنا محمد بن عبد الله، فهم المسلمون إن يأتوا ذلك ويتشمرؤا منه» ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فتوفروا ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله، اختارها لهم والثبات والوقار والطمأنينة إضافة الكلمة إلى التقوى، أي كلمة تقتضي التقوى وتكون سبباً وأساساً وأصلاً له ﴿وَكَانُوا﴾ أي المؤمنون الكاملون في التقوى ﴿أَحَقَّ﴾ وأولى وأليق ﴿بِهَا﴾ من غيرهم ﴿وَأَهْلَهَا﴾ والمستأهلين لها ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: 26] من الأعيان النورية الوجودية والأكوان الظلية والعدمية وأحوالها ولوازمها وخصائصها ولواحقها الوجودية والعدمية الإيجابية والسلبية التشبيهية والتنزيهية .

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ﴿٢٧﴾

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا﴾ أي جعل الله ما رآه الرسول قبل خروجه إلى الحديبية مكان أصحابه في مكة بأن يدخلوا المسجد الحرام ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ فقصد تلك الرؤيا لأصحابه وفرحوا وجزموا بأنهم داخلون فيها من عامهم هذه، فلما تأخر قال بعضهم لبعض: والله ما خلقنا ولا قصرنا وما رأينا التعب، فنزلت ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي متلبسًا بالصدق والثبات والصواب والجمع بغير الفرق في الوقت المقدر له من غير الفتق والرتق ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الأدوار الخفية والأحوال المكتوبة الحبيبية من الحكمة في تأخر ما رآه ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ [الفتح: 27] الذي رآه وتأخر ظهوره ليبتلبي عقائد المؤمنين ومعاهد المسلمين ومراتب ثباتهم في أمر الدين ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج: الآية 11] الآية إلخ، ﴿فَتَحًّا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 27] فتح خبير وغيره من بلاد العرب والعجم والروم وفارس والهند والسند وغير ذلك.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿٢٨﴾

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ متلبسًا ﴿بِالْهُدَىٰ﴾ أو لأجله ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ أي دين الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ ويغلبه ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ بنسخه الأديان كلها حقًا كانت أو باطلًا بإظهار فساد ما كان باطلًا أو بتسلط المسلمين على أهله إذ ما من ملة من الملل إلا وقد قهر أهلها المسلمين كما قهر أبو بكر في زمن خلافته اثني عشر متنبئًا منهم مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وفيه تأكيد لما وعده من الفتح ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: 28] على أن وعده كائن، أو على صدق نبيه، وصفة ثبوتها بإظهار المعجزات وإشهاد خرق العادات.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا  
سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ  
ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ  
فَأَسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِ يَعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ  
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ جملة مبنية للمشهود به، ويجوز أن يكون رسول الله صفة أو مبتدأ أو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ والخبر محذوف ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ عطف عليه وخبرهما ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ جمع شديد، ورحماء جمع رحيم، يعني أنهم يغلطون على غيرهم من أرباب الأباطيل لكمال حق بينهم ويتراحمون فيما بينهم رحماء على المؤمنين أعزّة على الكافرين ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾ ويرضون ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ ورضاء ﴿وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ﴾ أي علامتهم، والمراد التي تحدث في جباه السجّاد من كثرة السجود والصادرة من العباد ومن أعيان الزهاد ﴿ذَلِكَ﴾ الوصف المذكور أو إشارة إلى مبهم مفسرة كزرع أي وصفهم المذكور كان ﴿مَثَلُهُمْ﴾ كائناً وثابتاً ﴿فِي التَّوْرَةِ﴾ [الفتح: 29] عن كعب الأحبار قال في التوراة في السفر الأول: محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، لا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام. وفي السفر الثاني: محمد رسول الله أمته الحمّادون يحمدون الله في السرّاء والضراء، يحمدون الله في كل منزلة ويكثرونه في كل شرف رعاة الإبل، يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كنانة، ويتزرون على أوساطهم يتوصون أطرافهم وأصواتهم بالليل كدوي النحل في جو السماء.

عن النبي ﷺ: «لما نزلت التوراة على موسى وقرأها وجد هذه الأمة، قال: يا رب إنني لأجد أمة خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ويقاتلون أهل الضلال حتى يقاتلوا الأعور الدجال، قال: فقال موسى: يا رب اجعلهم أمتي، قال: هم أمة



محمد. وقال أيضًا: إني لأجد في الألواح أمة يؤتون العلم الأول والعلم الآخر، فيقتلون قرن الضلالة المسيح الدجال، فاجعلها أمتي، قال: تلك أمة محمد. وقال أيضًا: إني أجد في التوراة أمة مضاجعهم في صدورهم يصفون في صفوفهم كصفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار منهم إلا من يرى من الحسنات مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر. وقال موسى: اجعلهم أمتي، قال: هم أمة أحمد.

وأمثال هذه الأخبار في حق هذه الأمة الأخيار والزمرة الأحرار كثيرة في التوراة، فلما عجز موسى عليه السلام من الخير الذي أعطى الله محمدًا وأمة قال: ليتني من أصحاب محمد.

﴿وَمَثَلُهُ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [الفتح: 29] عطف على مثلهم في التوراة، وأوصاف هذه الأمة في هذين الكتابين وفي غيرهما من الصحف كثيرة ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ [الصَّف: 6] الآية، ﴿كَزَّرَجٍ أَخْرَجَ﴾ تمثيل مستأنف أو تفسير أو مبتدأ وكزرع خبره ﴿سَطْعُمُ﴾ فراخه، يقال: أشطأ الزرع إذا أفرخ واعشوشب وبقل ﴿فَأَزْرَعُ﴾ من المؤازرة وهي الإعانة والتقوية والمعاونة ﴿فَأَسْتَغْلَظُ﴾ يدرج من الدقة إلى الغلظة ﴿فَأَسْتَوِي عَلَى سُوقِهِ﴾ استقام على قصبته جمع ساق كدور ودار وسود وساد، وهو ما يقوم ويستقيم عليه الشجر والنبات والإنسان، هذا مثل، وقصة ضربها الله للإسلام وبدوة ترقيه وازدياده يومًا فيومًا إلى أن يتكامل ﴿يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: 29] الزرع المذكور لكثافته وقوته واستكمالها، أي توقدت نار الغيظ في قلوبهم فاحترق الكفار بغيظهم، فموتوا بغيظكم باستشراف المؤمنين وعلو حالهم.

لما تجهز رسول الله ﷺ بغزاة الفتح أخفى أمره وقال: «اللهم خذ على أبصارهم» إلى من حوله من العرب وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم، وكان المسلمون عشرة آلاف، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وخرج يوم الأربعاء لعشر ليال خلون من رمضان، وعقد الألوية والرايات بعد بدر ولم يبلغ قريشًا مسيره، فبعثوا أبا سفيان ليحيىء بالأخبار وقالوا: إن لقيت محمدًا فخذ لنا منه أمانًا. فخرج أبو سفيان وحكيم بن حرام وبديل بن ورقاء، فلما رأوا العسكر فرعوا، فسمع العباس صوت أبي سفيان فقال: يا أبا حنظلة، قال: لبيك، قال:

هذا محمد رسول الله في عشرة آلاف مسلم، فأجازه ودخل به وبصاحبيه على رسول الله فأسلموا وجعل لأبي سفيان أن من دخل داره فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن، فقال أبو سفيان للعباس: لقد أصبح مُلك ابن أخيك عظيمًا، فقال: ويحك يا حنظلة فإنه ليس بملك ولكنها نبوة.

ونهى رسول الله ﷺ عن القتال جيرانه وقصدوهم بقتل ستة نفر وأربع نسوة، عكرمة بن أبي جهل، وهرب ثم استأمنت له امرأته أم حكيم بنت الحارث فأمنه رسول الله ﷺ، ومعاذ بن الأسود وعبد الله بن سعيد بن أبي سرح فاستأمن له عثمان، فكان أخاه من الرضاعة، ومقيس بن ضبابه قتله غيلة ابن عبد الله بن هلال بن حنظلة، أو قتله أبو برزة، وهند بنت عتبة فأسلمت ويسار مولاة عمرو ابن هاشم قتلت وقريبه قتلت قريبة أو أمنت حتى آمنت في خلافة عثمان. وكل جنود رسول الله ﷺ لم يلقوا جمعًا غير خالد، فإنه لقيه صفوان بن أمية، وسهيل ابن عمرو، وعكرمة في جمع من قريش بالخذق يمنعونه من الدخول وشهروا السلاح ورموا بالنبل، فصاح خالد في أصحابه، فقاتلهم فقتل أربعة وعشرين من قريش، وأربعة من هذيل. فلما ظهر رسول الله ﷺ قال: «ألم أنه عن القتال؟» فقتل خالد مقتل وضربوا لرسول الله خيمته بالحجون ودخل مكة عنوة فأسلموا طائعين وكارهين.

وظاف بالبيت على راحلته وحول مكة والكعبة ثلاثمائة وستون صنمًا فجعل كلما مر بصنم منها يشير بقضيب في يده ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: 81] فيقع الصنم لوجهه، وكان أعظمها هبل وهو وجه الكعبة فجاء إلى المقام وصلى خلفه ركعتين ثم جلس ناحيته وأرسل بلالًا إلى عثمان بن أبي طلحة فدفع إليه المفتاح وقال: خذوها يا بني أبي طلحة، ودفع السقاية إلى العباس، وصلى رسول الله ﷺ الضحى يومئذ ثمانى ركعات، فأذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة وكُسرت الأصنام وخطب رسول الله ﷺ على الصفا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ حين سار إلى مكة سعد الصفا فخطب الناس فقال الأنصار بعضهم لبعض: أما الرجل فأخذ به الرأفة بقومه، فأنزل عزًّا وجل الوحي بما قالت الأنصار فقال: يا معشر الأنصار تقولون: أما الرجل فقد أدركته رأفة بقومه ورهبة في قربته، فمن أنا؟ كلا والله إنني

عبد الله ورسوله، الحياة محياكم والممات مماتكم، قالوا: والله يا رسول الله ما قلنا ذلك إلا مخافة أن تفارقنا، قال: أنتم صادقون عند الله وعند الرسول، قال: فوالله ما منهم إلا مزيد يجره بالدموع. قلت: لما جلس رسول الله ﷺ على الصفا بايع الناس على الإسلام وبايع النساء، وكان يوم الجمعة لعشر من رمضان، وأقام بها خمس عشر ليلة، وخرج واستعمل على مكة عباب بن أسد يصلي بهم، ومعاذ بن جبل يعلمهم السنن والفقه.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 29]، قال النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الفتح) فكأنما كان شاهداً مع محمد في فتح مكة كما فتح مكة»، أتت أشراف هوازن وثقيف بعضها إلى بعض فجاءوا بأموالهم ونسائهم وإمائهم حتى نزلوا أوطاس، وجعلت الأمداد بأنهم خرجوا ودريد بن الصمة وهو أعمى ابن مائة وسبعين سنة، فخرج رسول الله ﷺ من مكة في اثني عشر ألفاً، فلما وصل إلى حنين صف أصحابه صفوفاً وركب بغلته للدلدل ولبس درعين ومغفرة والبيضة فاستقبلتهم هوازن وحملت حملة واحدة فانهزمت الجيوش، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «يا أنصار الله وأنصار رسول الله»، فرجع رسول الله ﷺ إلى المعسكر وثبت أبو بكر وعمر وعلي والعباس والفضل وأبو سفيان بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وأسامة.

قال ابن مسعود: كنت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فولي عنه وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار فانقلبنا على أديارنا والرسول على بغلته فمال عن السراج فقلت: ارتفع رفعك الله، فقال: «ناولني كفاً من تراب» فضرب بها وجوههم وامتلات أعينهم تراباً، فقال: «أين المهاجرون والأنصار؟» قلت: تولوا، قال: «اهتف بهم»، فجاءوا بسيوفهم ورماحهم كأنها الشهب، وولى المشركون أدبارهم.

قال العباس: شهدت مع رسول الله ﷺ وما معه إلا أنا وأبو سفيان، فلزمنا رسول الله ﷺ فلم نفارقه، فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين وظنوا رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار، وقال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلته وأبو سفيان آخذ بمقود رسول الله ﷺ فقال: «يا عباس ناد أصحابي»، قال: كان رجلاً جهيراً فقلت بأعلى صوت: أين أصحاب الله ورسوله؟ فوالله لكان

عطفهم حين سمعوا صوتي عطف البقرة على أولادها فقالوا: يا لبيك، وأقبل المسلمون واقتتلوا هم والكفار فنظر رسول الله ﷺ إلى قتالهم فقال: هذا حمى الوطيس. ثم أخذ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار فقال: انهزموا ورب الكعبة. فما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى خدمهم كليلاً وأهرمهم مدبراً حتى هزمهم الله وكنت أنظر إلى رسول الله ﷺ يركض خلفهم على بغلته فلم يبق منهم أحد إلا امتلأت عيناه وفمه تراباً وسمعنا صلصلة من السماء والأرض كإمرار الحديد على الطشت الحديد.

عن البراء قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أخذ بمقود النبي ﷺ وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي أدب المؤمنين بأن لا يأتوا الحضرة الختمية من وراء الحجرات وأكثرهم لا يعقلون ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أحيا المولود الإنسي بالمولود الجني، فأصلحوا بين إخوانكم فاتقوا الله لعلكم تفلحون، ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي دبر كلا الطائفتين المولود الإنسي النوري والمولود الجني الظلي بخصائص الوجود ونصائص العدم ونقائص العلم ونقائص الشهود، ثم دبرها بالجمعية والهيئة الكلية والمعية ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: 9] الجمعية والكمالي، والجمع الكمالي وأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَانفُوا لِلَّهِ إِنَّا لِلَّهِ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله ورسوله في فردارية النور والجمال وفردارية الظل والجلال ﴿لَا تَقْدُمُوا﴾ أمراً من أمور الدنيا والآخرة ﴿بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إلا ما يليق بهما وأمراً يستحق أن يعرض لدهما ويصلح لأن يعرض إليهما، ﴿لَا تَقْدُمُوا﴾ متعدي أجري مجرى اللازم وأسند ما يتضمنه إلى مصدره، أي لا بد أن يقع منكم التقدم أصلاً إلى ما يرضي الله ورسوله وذلك مثل يحيي ويميت أي يقع منه الإحياء والإماتة ﴿وَانفُوا لِلَّهِ إِنَّا لِلَّهِ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم وندائكم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: 1] بأحوالكم الظاهرة والباطنة.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ  
كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ وأقوالكم ﴿فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ وكلامه بحيث لا يفهم كلامه وأقواله ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ مخافة ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَلِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات : 2] وكرامية أن يحط ويحبط أقوالكم، فهو علة للنهي إذ في رفع الصوت استحق من أن يرفع عليه وعدم امتثال بما يجهر لديه . روي أن ثابت بن قيس كان رجلاً وقوراً ذا أدب إلا أنه كان رفيع الصوت، فلما نزلت هذه الآية وعرف ما أنزل على النبي وتخلف عنه، فتفقدته الرسول ﷺ ودعاه فقال: يا رسول الله قد نزلت هذه الآية وإني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط، فقال ﷺ: «إنك تعيش بخير وتموت وأنت من أهل الجنة».

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾ ويحفظونها عن الجهر والارتفاع رعاية لحسن الأدب وإتياناً لأفضل الأدب ﴿عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أي يعمل لهم عمل الامتحان والاختبار ﴿لِلتَّقْوَى﴾ أي لتقوى القلوب وحفظها عن الخسارة وآثار سوء الأدب، وهي الإقدام على المعصية والإبرام عليها ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ أي حسن الأدب بالله لهم، أي في حقهم من الله مغفرة ومتجاوزة عن الذنوب وماحية للعيوب ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات : 3] وثواب عظيم وجزاء كريم في الآخرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ [الحجرات : 4] من خارجها وخلفها وقدامها من ابتدائية، وإن المناداة نشأت من جهة الورا وفيه دلالة إلى أن المنادى داخل الحجرة بفتح الجيم وسكونها جمع حجرة، وهي القطعة، والمراد حجرات نساء النبي ﷺ، وفيه كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها إما أنهم أتوها حجرة حجرة فنادوا من ورائها وهو في غاية سوء الأدب، أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين فأسند فعل بعضهم إلى الكل. قيل: إن الذي ناداه

عينة بن حصين والأقرع بن حابس وقت الظهر: يا محمد اخرج إلينا، وإنما أسند إلى الكل لأنهم رضوا بذلك وأمروا به وهم سبعون رجلاً من بني تميم ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: 4] أي انتفى عنهم العقل أو مناط حسن الفعال والأدب، بل الأفعال كلها هو العقل.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ يا محمد من الحجرات ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ إشعار بأن الصبر مفتاح الفرج وحتى يستتبع كل الخير، ولذا حصل نصف الأعيان. قال النبي ﷺ: «الإيمان شطران: صبر وشكر»، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 5].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ

فُضِّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ خارج عن الإنصاف وعن الاتصاف بالانصاف ﴿بِنَبَأٍ﴾ أي خبر نبأ عن الفساد والإفساد ﴿فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا﴾ تأملوا فيه وتفحصوا عن حاله وتفحصوا عن مآله ولم يتخامروا على أعماله وإفضاء حكمه واقتضائه وتقبله وإمضائه. روي أنه ﷺ بعث وليد بن عتبة مصدقاً إلى بني المصطلق وكان بينه وبينهم أحنة وكدورة فلما شارف ديارهم ركب أهل هذه الديار لاستقباله، فحسبهم أنهم سيقاتلونه فرجع وقال لرسول الله ﷺ: قد ارتدوا وامتنعوا عن الزكاة، فجاؤوا وقالوا: نعوذ بالله، فغضب رسول الله ﷺ، فنزلت. وهو أخو عثمان، فلما أتى الكوفة وكان سعد بن أبي وقاص والياً فيها فولاه فيها فكان يصلي بالناس وهو سكران، فكان يوماً يصلي صلاة الفجر وهو سكران، فإذا فرغ قال للناس: هل أزيدكم؟ قالوا: لا، فعزله عثمان عنهم ﴿أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ﴾ أي كراهية إصابتهم قوماً بجهالتهم ﴿فُضِّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: 6] أي تصيروا آخذين في أفعالكم، نادمين هاميين محزونين غامين دائماً، إن الندامة هي الهم الدائم والغم الثابت القائم والأخذ والشروع في الوصف والتوصيف، واستدل على المبالغة في الصيرورة في الوصف وأضحى التوسيط في الضرورة في التوصيف.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ (أن) بما في خبرها سادُّ مسدِّ مفعولي اعلم ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ ويوافقكم ويشايعكم في أموركم الدنيوية ﴿لَعَنِتُمْ﴾ لدفعتم في العنت والمشقة الجده والمحنة ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ﴾ ومعرفة الحق وطاعته ﴿وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ﴾ التكريه هو إظهار الكره والكراهية ﴿الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ﴾ جعل الله الفسوق والكفر مكروهاً إليكم بحيث لو أكره على أحد منكم الكفر حتى بينه وبين الموت لاختار الموت على الإيمان كما اختار صاحب أبي ذر الغفاري القتل على الإيمان، وكذا الكفر هو ﴿وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحُجْرَات : 7] الواصلون إلى الهداية .

﴿فَضَلًّا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾

﴿فَضَلًّا مِّنَ اللَّهِ﴾ إشعار بأن ثبوت الرشد والاهتداء ليس لهم بثبوت محبة الإيمان وكره الكفر والعصيان، بل هو فضل الله ورحمة عامة ونعمة تامة ﴿وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بحقيقة الكفر والإيمان والمعصية والطغيان ﴿حَكِيمٌ﴾ [الحُجْرَات : 8] عالم بحقائق الأشياء على ما هي في نفس الأمر وبأحوالها ولوازمها وخصائصها وخواصها الظاهرة والباطنة وأحكامها .

﴿وَإِن طَافَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْنَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْنَلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿وَإِن طَافَيْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْنَلُوا﴾ الأمر وهي عرض جلي بل الأمر دنيوي و عرض نفساني ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى﴾ بأن تخرج عن إطاعة الوالي والإمام بالحق العالي وحيطة حكمه ﴿فَقْنَلُوا الَّتِي﴾ الطائفة ﴿تَبَغَى﴾ على الطائفة التي فيها الإمام ﴿حَتَّى تَفِيءَ﴾ وترجع ﴿إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحُجْرَات : 9] وحكمه



﴿فَإِنْ فَآتَتْ﴾ ورجعت عن مخالفة الإمام ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ متخافتين عن الحيف والميل ﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الدِّينِ أَحَدًا﴾ [الحجرات: 9] المظهرين العدل والقسط.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في الدين والشرع ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ وضع المظهر موضع المضمرة إشعاراً بأن الإصلاح بين الأخوين من أنفع أمور الدين وأنجح أمر الدنيا، فإن العاقبة وحسن العافية والصلاح وكمال الفلاح إنما هو منوط بالصلاح والصلح ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفة حكمه وترك الصلح والإصلاح ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 10] وتحزبون على التقوى بالرحمة التامة والنعمة العامة.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغَابِ بِحَدِّ النَّاسِ إِلَّا سِمًا الْمَفْسُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ﴾ ولا يستخف ولا يستحقر قوم، من السخرية أي الاستخفاف والاستهزاء ﴿مِنْ قَوْمٍ﴾ [الحجرات: 11] المراد من القوم هم الرجال خاصة لأنهم قوامون بأمور النساء والأطفال ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: 34]. وقال النبي ﷺ: «النساء لحم على وضم إلا ما ذب عنه».

والقوم في الأصل جمع قوم كصوم وزور جمع صائم وزائر، وأما قوم هود وصالح وقوم فرعون وقوم موسى فهم الذكر والأنثى، والظاهر أن القوم إذا استعمل مفرداً بلا إضافة فالمراد منه هم الرجال، وبالإضافة أعم من الرجال والنساء، إن الله تعالى نهى عن السخرية والهزاء والتمسخر والاستهزاء والمزاح لأنها في الأكثر تؤدي إلى العداوة والخصومة، وأن المسخر والمهزول مما يكون خيراً من المتسخر والمهازل والمستهزئ كما قال: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾ يعني إن هذا الحكم لا يختص بالرجال بل يعم النساء ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: 11] ولا تعيبوا أنفسكم، أي لا يعب

بعضكم بعضاً ولا يغتب أحدكم أيضاً الآخر، يعني أن البشر لا يخلو عن النقص والعيب ولا يجوز لأحدكم أن يظهر عيب أخيه المؤمن لا في الحضور ولا في الغيبة، ولا تلمزوا: إظهار العيب وإفشاء النقص فإنه يؤدي إلى الفساد ويفضي إلى العداوة والإفساد. إن العدو والصديق المتأذي إنما يسند الإلماز إلى النفس إشعاراً بأن النفس المدبرة البدن ناقصة مكدرة بالكدورة أي الطبيعية تأوي إلى الشر وتهوى إلى البغض والضرر ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِاللَّعْنِ﴾ أي لا تخاطبوا بعضكم بعضاً باللقاب السوء والذم إذ النبز هو اللقب السوء والذم ﴿يَسَّ الْأَسْمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ المراد بالإثم هنا الذكر من قولهم: طارَ الاسم بين الناس أي الذكر بالكرام أو اللثام أي ليس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجريمة أن يذكروا بالفسق. وفي قوله: ﴿يَسَّ الْأَسْمَ﴾ ثلاثة أوجه، أحدها: استقباح الجمع بين الإيمان وبين الفسق. الثاني: إنه كان شيطانهم يقول لمن أسلم من اليهود يا يهودي، يا فاسق، فنهوا عنه وقيل لهم: بسّ الذكر أن يذكر الرجل الفسق واليهودية بعد الإيمان. والجملة على هذا التقدير متعلقة بالنهي من التناز. والثالث: أن يجعل من فسق غير مؤمن كما يقول للمحول عن التجارة إلى الفلاحة: بسّ الحرفة الفلاحة بعد التجارة، وبالعكس في المدح نحو: نعم التجارة بعد الفلاحة ﴿وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ﴾ من هذه الأمور ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحُجْرَات: 11] الواضعون الأمور في غير موضعها والمتجاوزون عن الحد.

﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبَوْا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّتْ بَعْضَ الظَّنِّ إِنَّتْ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾

﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبَوْا﴾ وابتعدوا واحترزوا ﴿كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّتْ بَعْضَ الظَّنِّ إِنَّتْ﴾ [الحُجْرَات: 12] وعصيان وفسق وهو الذي يستحق صاحبه العذاب من الله والعقاب، ومنه قيل: يعقوبية إلهام، فقال: منه كالتكال، والعذاب والوبال والظنون بما يجب أن يجتنب منها من غير شين لذلك ولا يتعين لثلا يتجرى أحد على ظنّ إلا بعد نظر صادق وفكر ثاقب وتأمل فائق، والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها أن كل ما لم يعرف له أمانة صحيحة وسبب ظاهر من وجوه صريحة كان

حرامًا واجب اجتنابه، وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وأرست منه الأمانة في الظاهر فظن الفساد، وكما أن الله تعالى حرّم على المسلم عرضه وماله حرّم أن يُظنّ به ظنّ السوء، وأن الفاسق إذا ظهر فسقه وهتك ستره وإذا أسفر لم يظهر الله عليه لعله أن يتوب، وأن الإثم كما يكسر الأعمال ويحبطها بكسر العوض وتضييع الأموال ويؤدي إلى هلاك النفس وبورها ﴿وَلَا يَجَسَّسُوا﴾ [الحُجَرَات: 12] ولا تفحصوا من الجسس وهو الإدراك والشعور والحس، ولذا يقال لمشاعر الإنسان: الحواس الخمس الظاهرة والباطنة الحساس ﴿الْحَنَاسِ﴾ [الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ] [الناس: 4 - 6].

والغرض من النهي المنع عن تتبع عورات المسلمين والاطلاع على عيوبها ومعائبهم ظاهرًا وباطنًا. قال النبي ﷺ: «سلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم»، والمنع عن الاستكساب عما سرّوه عن مجاهد رضي الله عنه: «خذوا ما أظهره الله ودعوا ما ستره الله». قال النبي ﷺ: «والسرائر، وكان الخطاب فرجع صوته حتى أسمع العوائق في خدورهن قال: اتقوا من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، ومن تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته». وأما الذين يتجسسوا على الناس فليس لهم أن يتجسسوا، فإن هذا النهي عام في حق المسلمين كلهم. وقيل: إن عمر رضي الله عنه كان يدور في الليل فوصل إلى بيت قد ظهر منه أصوات منكرة فقصد أن يدخله وكان بابه مسدودًا مغلقًا فصعد إلى سقفه وهبط إلى البيت ودخل فيه وكانوا يشربون الخمر، وكان صاحبه من أعيان الصحابة، فلما رأى عمر قال: يا عمر إني وإن فعلت منكراً إلا أنت قد فعلت ثلاث منكرات، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَا يَجَسَّسُوا﴾ [الحُجَرَات: 12]، وقال: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: 189]، وقال أيضاً: ﴿يَتَأْتُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النور: 27]، فسلم عمر له واعترف به واعتذر وقال: إني عفوتك وبعد اليوم لا أحكم عليك، فقال صاحب البيت: يا عمر أنت عفوتني فالله أرحم منك وأحكم، إني تبت إلى الله.

فالمحتسبون في أهل الزمان قد بالغوا في الاحتساب والتجسس في حد قد خرج من حد الشرع ودخل في المنكر الذي هو أنكر المنكرات، ولو اعتقدوا أن

هذا حق ليس ببعيد أن يدخل تحت الكفر. هذا ما ذكر على المثاني سند علي الهمداني قدس سره في كتابه «خيرة الملوك في باب الاحتساب» ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ يقال: غابه واغتابه كاله واكتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهو ذكر مساوي الشخص في غيبته. سئل رسول الله ﷺ عن الغيبة، قال: «هي أن تذكر أخاك بما يكرهه، فإن كان فيه فقد اغتبهته وإن لم يكن فيه فقد بهته» عن ابن عباس: الغيبة إدام كلاب الناس ﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ حال من لحم أخيه، تمثيل وتصوير لما يتناوله المغتاب من عرض المغتاب على أفضح وجه وأقبح طور وأفحشه، وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام التي معناه التقرير، ومنها ما جعل ما في ألقابه من الكراهة موصولاً بالمحبة، ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحداً منهم لا يحب ذلك، ومنها إن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أحاً واللحم ميتاً ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي جعلتم ذلك على كراهة ﴿وَأَلْقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ قابل للتوبة من الغيبة ومن العدول من الطاعة إلى الإثم، وصيغة المبالغة تدل على أن الله تعالى يقبل التوبة وإن كثيراً في يوم واحد من شخص واحد إلى سبعين مرة ﴿رَجِمٌ﴾ [الحجرات: 12] لمن يشاء من التوابين.

واعلم أن الغيبة هي إنما تكون إذا ذكر معائب الناس على وجه يكون ويوجد في المغتاب وهو يتأذى من أن يطلع عليه أحد، أما إذا كان لا يتأذى عنها ولم يخفيها عن الناس كالمدمن على شرب الخمر ظاهراً ولم ينل منه، فإنه ليس بغيبة كما ورد في الحديث: «لا غيبة للفاسق».

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ من نفس واحدة ﴿مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ﴾ [الحجرات: 13] من آدم وحواء، وخلقنا كل واحد منهم من أب وأم في المرتبة الثانية، فاستوى الكل في ذلك، فلا وجه بالنسب لهذا الوجه، وأما إذا كان الأبوان فاضلين بفضائل علمية وعملية، فلو تفاخر أحد بهذا الوجه فله وجه وجيه، وهذا هو الحساب. وأما مجرد النسب المتخيلة بالإمارة والسيادة فلا وجه للتفاخر فيها إذ لا ينتفع

منهما لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولنا العلم والعمل، فهما مما يصل منه إليه في الدنيا والآخرة كما قال الخضر عليه السلام: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: 82]، وقد كان أبوهما السابع صالحًا. وقال النبي ﷺ: «يموت ابن آدم وينقطع عمله إلا عن ثلاثة: عن ولد صالح يدعو له، والعلم النافع، والخيرات الجارية». ويجوز أن يكون الاستفهام تقرير للآخرة المانعة عن الاعتياب في الحقيقة لكونهم متحدين في الإيمان يكونان كنفس واحدة لا اشتراكهما في الجهة الواحدة العرضية ويمكن أن يقال في الجهة الواحدة الذاتية إذ الكمالات العلمية تكون النفس كالروح، فكأنه ندم لنفسه، وليس هذا من شعار العقلاء ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾ جمع شعب، وهي الصفة الأولى من الصفات الستة التي عليها العرب هي الشعب ﴿وَقَبَائِلَ﴾ جمع قبيلة، قيل: الشعوب بطون العجم والقبايل بطون العرب ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ ليعرف بعضكم بعضًا لا للتفاخر والتقاتل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ﴾ فالحق للتفاخر هو التقوى إذ به تتكامل النفوس وبه يحصل التفاضل والأمثال والتمائل، فمن أراد شرفًا فليلتمس منه، قال النبي ﷺ: «فمن سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله»، وقال: «أيها الناس، إنما الناس المتقي هو العالم بالله المواظب به رجل مؤمن تقي كريم على الله، وفاجر سفيه معين على الله». ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بأحوال العباد ﴿خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13] يعلم سرائرهم وعلاانيتهم.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا﴾ نزلت في مؤمن بني أسد قد قدموا المدينة في ستة مدن وأظهروا السيادة وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أتيناك بالأنفال ولم نقاتل كما قاتلك هؤلاء ويريدون الصدقة ﴿قُل لَّمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ﴾ إذ الإيمان تصديق قلبي وإذعان وقبول مع ثقة وطمأنينة، ولم يحصل لكم الإيمان وإلا لما مننتم على رسول الله ﷺ، وترك المقاتلة كما يدل عليه آخر السورة ﴿قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: 14] فإن الإسلام انقياد ودخول من السلم وإظهار الشهادة وترك المحاربة وعمل بالأركان كما قال النبي ﷺ في جواب جبريل عليه السلام: «شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ

محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً»، وقال: «الإيمان آمنتُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله». وكان نظم الكلام أن يقول: لا تقولوا آمنة ولكن قولوا أسلمنا! أو لم يؤمنوا ولكن أسلموا، فعدل منه إلى هذا النظم ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ لا يقال هذا القول مع قوله سابقاً: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ توهم بالتكرار لأن هذا القول هو تكذيب دعواهم الأول وتوقيت لما أمروا به أن يقولوا مكانه: ﴿أَسْلَمْنَا﴾ حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لأسبابكم لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير في ﴿قُولُوا﴾ وما في لما فيها معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بالإخلاص وصفاء الطوية بلا شائبة النفاق ﴿لَا يَلْتَكُمُ﴾ لا ينقصكم ﴿مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً﴾ قليلاً حقيراً ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ متجاوز عن سيئاتكم ﴿رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 14] فضلاً وإحساناً.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١٥)

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بالإخلاص الكامل وتصميم القلب ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ ولم يشكوا، من ارتاب مطاوع رأيه وقع في الشك وطاوعه في الريب، وإلى المرية في الريب مع التهمة. والمعنى اتهم بالإخلاص ثم لم يقع في قلوبهم شك فيما آمنوا به ولا إيهام لمن صدقوه واعترفوا بأنه الحق. ثم الإشعار بأن أشرط الارتباب في اعتبار الإيمان فقط وما يستقبل فهو كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وطاعته، وكمال مطاوعته والجهاد في الأموال والأنفس يصلح للعبادات المالية والبدنية بأمره ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: 15] في ادعاء الإيمان بأنه من صميم القلب وكمال الصدق ووفور الرفق.

﴿قُلْ أَعْلَمُونَ أَنَّ بِيَدِنَا مَقَادِيرَ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٦)

﴿قُلْ أَعْلَمُونَ أَنَّ﴾ [الحجرات: 16] وتخبرونه بقوله بإيمانكم تجعلون الله

محيطًا ﴿بِدِينِكُمْ﴾ فيعلم ظاهرًا وباطنًا وتفصيله وفوائده ونتائجه تجهيل لهم لإشعاره بأن الله كان عالمًا به، قد كان عالمًا بأخبارهم وأعلامهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ومن جملته بيوتهم وما هم عليه، فيكون برهانًا على تجهيلهم إشارة إلى الدورة العظمى النورية ومقتضاها ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: 16] قد يرى كيد بما ذكر ردًا عليهم.

﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٧)

﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ المنة أي النعمة التي لا تشتهي ولا تطلب الثواب من مبدئها ومفصلها من المن الذي هو القطع، أي بها تنقطع حاجته من غير أن يروم مثوبة إن أسلموا أي مبدون إسلامهم عليك من غير طلب أمر آخر ﴿قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ﴾ أي بإسلامكم فيكون نصبه بنزع الخافض أو للتضمن من الأعداد ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ﴾ أي يعد هذه النعمة عليكم وهي الهداية ﴿لِلْإِيمَانِ﴾ أي يحصي نعمة الهداية علي ومعكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: 17] في ادعاء الإيمان ودعوى الامتثال والإذعان إن صدقتم في هذه الدعوى، فالمنة لله عليكم لأن اقتداره عليكم وإظهار قدرتكم لديه إنما هو من الله، وكذا التوفيق وهو أسباب الخير أيضًا، إنما هو منه، فليس لكم ومنكم إلا القبول والاستعداد والقابلية، وهو أيضًا من قبضة الأقدس.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨)

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحجرات: 18] وهو ملكوتها العلوية والسفلية والمتوسطة، وكيفية تأثيرهما في السماوات العالية النورية، والسماوات البرزخية الخيالية وجبروتها.

والغيب يتناول الجبروت والجواهر النورية والقواهر الأهرمانية والفواخر الربانية والعقول والنفوس المجردة، والملائكة العالية والمدبرة في السماوات الجسمانية والروحانية والربانية والإلهية في الأدوار الأربعة الوجودية النورية الجمالية وهي العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، وكذا في الأكوار العدمية

الظلية الجلالية المربعة الأرضية ﴿وَاللَّهُ بِصِيرُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحُجَرَات : 18] في الأدوار النورية والأكوار الظلية بما عمل الأعيان النورية والأكوار الكونية فيها ظاهراً وباطناً، صورة ومعنى . قال النبي ﷺ : «مَنْ قرأ سورة (الحجرات) أعطى الله له من الأجر بعدد من أطاع الله أو عصى» .

**تَمَّ فِي ثَامِن صَفَر**



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جبل قاف قدرته علة لإظهار المكوّنات كما جعل قاف قلمه الأعلى سبباً ليتصور نفوس الشؤون الذاتية على ألواح القابليات من ذوات الاستعدادات الأولية ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرَّحْمَنُ: 1-4]، ﴿الرَّحِيمُ﴾ الذي أزلف الجنة وقلبها إلى المؤمنين وبعدهم من نار توقد على الأفتدة جزاء لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

## ﴿قَافٌ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾

﴿قَافٌ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: 1] هي عبارة عن قاف التي قدرت مظاهرها في تصوير صور الكائنات وبواطنها وهي البطن الأولى من بطونها السبعة الظاهرة في الدورة الصغرى النورية، فلا يجوز أن يراد به ما ذكر في ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: 1] والإلزام التكرار والإعادة بلا إفادة، ولا يرضى به العباد فضلاً من أن يرضى به خالق الخلق لظهور الفساد في كل البلاد، والمجيد هو الشريف.

أما صفة القرآن لشرفه على سائر الكتب السماوية، إما في نفسه أو لشرف محله وهو خاتم الأنبياء الذي هو أشرف الأنبياء وأمجدهم، أو صفة موصوف محذوف، أي بحق القاف القادر القيوم القوي القادر المجيد، ولذا ذكره في صدر السورة وآخرها وختمها إشعاراً بأن أوله يطابق آخره في عدم طريان التغيير والانحراف بخلاف سائر الكتب التي انخرقت في الآخر، وقاف اسم جبل يحيط العالم وهو

قسم وطرق القسم في الكتاب كثيرة بعضها بالأداة نحو: والفجر والسماء، وبعضها بتركب الأداة وهو إما حرف واحد نحو (ص) و(ق) و(ن) وبعضها بحرفين نحو (طس) أو بثلاثة نحو (طسم) وبعضها زائدة من ذلك إلى خمسة أحرف نحو (كهيعص) ولا يكون أزيد منه أو كلمة واحدة معهم نحو (والذاريات) (والعاديات) و(ط) (والصافات) تنيبها على أن الله تعالى قد استأثر علم هذه الكلمات بنفسه لنفسه لا يطلع عليها إلا الله والراسخون في العلم ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: 7] الآية. والدليل على أن (ق) قسم عطف، (والقرآن المجيد) بالجر، والمجيد هو العظيم كثير الكرم، فالقرآن كريم إذ كل من يجري منه مقصوده وجد، فالمجيد هو الكريم البالغ في الكرم.

﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾

﴿بَلْ عَجِبُوا﴾ عطف على مقدر هو جواب القسم، يعني بحق قاف قدرة الله وقلمه الأعلى إِنَّا أَرْسَلْنَا مُحَمَّدًا لِأَهْلِ الْعَالَمِ وَإِرْشَادِهِ لَهُمْ وَهَدَايَتِهِمْ وَهُمْ الْكٰفِرُونَ، بل عجبوا وقالوا: هذا شيء عجيب ﴿أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ تفسير للمتعجب به والحال إنه ليس مقام التعجب إذ إرسال الرسل وإنزال الكتب وإنذارهم أمر ممكن مستمر من زمان آدم إلى زمان محمد لا يمتنع ليكون أمرًا عجيبًا ﴿فَقَالَ الْكٰفِرُونَ﴾ لعدم تدبرهم في الأمور ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: 2] إرسال محمد واختياره لأمر الرسالة شيء عجيب وشأن غريب حكاية عن تعجبهم يجوز أن يكون عطفًا على عجبوا بإلقاء الشعر بالغلبة وتنزيل المظهر موضع المضمرة تسجيلاً عليهم بالكفر وبكمال الفاقة ووفور الجهالة والشفاعة حيث تعجبوا بما ليس فيه تعجب إصلاح أنهم ما تعجبوا من خلق قاف جبل عالم الأجسام والأرواح والأنفس وعالم الطبيعة والعناصر والمواليد الثلاثة والأبدان الإنسانية والكمالات الجسمانية وغير ذلك من الأنوار والظلمات والبهتان والطمأنينة.

﴿إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾

﴿إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ أي متنا وتفرقت أجزاءنا وبليت وصرنا ترابًا ﴿ذَلِكَ﴾ الرجوع ولا حياة ولا إعادة ﴿رَجْعٌ﴾ ورجوع ﴿بَعِيدٌ﴾ [ق: 3] وإرجاع ممتنع عتيد عن قبول العقل المستقيم والتلقي إليه امتناعًا عقليًا من مقالات المنكرين للبعث.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كَنْزٌ حَفِيظٌ﴾

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ وتأكل منهم الأجسام البالية والأجرام النالية منهم جواب القسم على وجه يكون جواباً لإنكار البعث وقد حذفت اللام لطول الكلام ﴿وَعِندَنَا كَنْزٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: 4] حافظ لتفاصيل الأشياء وتفصيل أحوالها عن وجه تكون كلها حاضرة عنده أو محفوظ عن النقصان والتغير والفساد. والمراد إما تمثيل إحاطة عمله بالأشياء أو تفصيل أحوالها وتفصيل أفعال بعضها على بعض، أو كتاب محفوظ فيها صور الأشياء، أو كيفية أجزائها وتركيب أعضائها وكميات أجزائها الأصلية وبسائطها الأولية على وجه تكون باقية لا يتطرق عليها التغير والفساد ولا النقصان والبعاد، أو تأكيد لعلمه بها أو لثبوتها في اللوح المحفوظ، فمن كان عمله بهذه الصفات وقدرته وقوته مناسبة لكمال علمه وحكمته لا يصعب عليه ولا يمتنع له شيء إلا من الإبداء والخلق ولا من الإعادة والجمع والفرق، بل هذا أهون.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ﴾

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ أي القول الثابت في ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ العين أو الكتاب أو الرسول الصادق في إخباره عن الحق وصفاته وأسمائه وأفعاله الموصوف بالصواب وكمال الصدق وظهور الحق وحسن الثواب وإضراب المترقي في الإنكار لمحبتهم بما هو أقطع وأقبح وأشنع من تعجبهم لإثبات ما ادعاه من النبوة بأظهر المعجزات وأشهر خرق العادات لمن له عقل سليم وطبع مستقيم لا يرتاب في حقية دعواه ﴿فَهُمْ﴾ في إنكارهم وإعراضهم وإضرابهم عن الحق الواضح ﴿فِي أَمْرٍ مَّرِيحٍ﴾ [ق: 5] مضطرب من مرج الخاتم في أصبعه إذا اضطرب وتحرك وسقط وذلك قولهم في شأن محمد تارة: هو شاعر، وأخرى: هو مجنون وساحر وغير ذلك.

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ ورفعناها بلا إعانة وظهير وإمداد ونصير، وأوجدناها بلا شريك بصير بلا عمد وأوتاد وسط ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالذراري والكواكب والنجوم الثواقب ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: 6] من داخل وخروج ولا من

فاصل ودارج ودرج، إشارة إلى أن السماء البسيطة متساوية الأجزاء متشابهة المقادير والأعضاء، ولذا كانت مستديرة تجديداً وشعراً من جملة الدليل على قوته قادراً فاعلاً مختاراً، فمن كان قادراً على خلق هذه الأجرام البسيطة والأجسام الغير الخليطة على هذا النمط البديع والنظام المستحكم الرفيع، قادر على إحياء الموتى والبعث على وجه نطق به الكتاب وحققه ذو الألباب.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (ق: 7)

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ [ق: 7] بسطناها ودحوناها، وإنما قدم بناء السماء على هذه الأرض ودحيتها والمد في مقابلة البناء إذا كمل وضع البناء ورفع إشارة إلى دورة النور والجمال وحيث تقدم الأرض على السماء كما في قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [البقرة: 22] إشارة إلى كورة الظل والجلال وكيفية تدبيرها، فإن تدبير النور والجمال يخالف تدبير الظل والجلال في جميع الأحوال ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ﴾ أي أطرحنا على كرة الأرض وأطرافها ليسكن ويتمكن في وسط الأرض الكل بحيث ينطبق مركزها على مركز العالم ويكون نسبة أجزائها إلى أجزاء عالم السماوي على السواء، فالأرض إلى السماء، والسماء إلى الأرض، نسبتان إحداهما التجاذب والثانية التدافع من جميع الجهات على السوية، فثبت الأمر أن أحدهما كونها في الوسط الحقيقي، والثاني اللزوم واللازم الترجيح بلا مرجح، فالرواسي هو التجاذب والتدافع عند من قال بالإيجاب والجمال والشامخات عند المسلمين القائلين بالاختيار ﴿وَأَنْبَتْنَا﴾ وأخرجنا ﴿فِيهَا﴾ [ق: 7] في جوف الأرض وباطنها إشعار بأن المركبات أولاً تمتزج وتتكون في باطن الأرض كالمعادن ومواد النباتات وأصله وعروقه، وكذا الحيوانات فإن أصلها ومبدأها إنما يتكون أولاً في الأرض كالخراطين والديدان والحيات.

﴿تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ (ق: 8)

﴿تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ﴾ [ق: 8] ثم يخرج على وجه الأرض ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [ق: 7] أي من كل صنف وكل نوع من كل جنس بهيج ويسر كل من الزوجين وصاحبه، والبهيج ما يسر أو يحسن ﴿وَذَكَرَىٰ﴾ والسرور ليتبصر ويتذكر ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: 8] أي يتعظ ويتنبه كل عبد رجاء يرجع إلى ربه ويرفع إلى

نصب عينيه متفكراً في بدائع صنعه ومتدبراً في غرائب مصنوعه، متذكراً في عجائب موضوعه.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾﴾  
 ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا﴾ مطراً كثير المنافع كبير المصانع ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ وبساتين كثيرة الأشجار وفيرة الثمرات، بيان المبارك ومضمون معناه ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق: 9] أي الزرع الذي من شأنه أن يحصد ويزرع للاقتيات من الحنطة والأرز والشعير والجوارس والبر وغير ذلك.

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ عاليات مرتفعات طويلات إلى السماء ﴿لَهَا طَلْعٌ﴾ زهر نور أو عنقود ﴿نَضِيدٌ﴾ [ق: 10] منضود، مضموم بعضها فوق بعض. فالمراد إما كثرة الطلع وتراكمه، أو كثرة ما فيها من الثمرات.

﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾

﴿رِزْقًا﴾ أي مخلوقاً لها حصل منه لأجل ﴿لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾ أي عمّرنا موضعاً حال كونه خراباً بالماء النازل من السماء، أو البناء والزرع وغرس الأشجار وثمراتها وإظهار بني آدم وخلقهم ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: 11] أي كما أحيا هذه البلدة الميتة وخلق فيها أشخاص نوع آدم فلما ماتوا ودفنوا في الأرض كذلك تخرجون منها في المحشر العظمى، أو المكان بمعنى الميل مبتدأ (الخروج) خبره أي مثل الإحياء الخروج والعرض والتمثيل والتأكيد لقوله رجع بعيد.

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيسِ وَنَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ

لُوطٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيسِ وَنَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾﴾

[ق: الآيتان 12، 13].

﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمِ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمِ تُبَّعٍ﴾ [ق: 14] قد مر بيان الكل، وإنما نزلت بالفعل

المتعدي موضع اللازم إذ الغرض الإخبار عن وقوع الكذب والتكذيب من هؤلاء القوم عن طريقة اللوم والتحقيق نحو هو يحيي ويميت، وقع الإحياء والإماتة ﴿كُلُّ﴾ من هؤلاء الأقسام ﴿كَذَّبَ أُرْسِلَ﴾ يجوز أن يكون الكل إفرادياً أو مجموعاً، فتوحيد الضمير وتذكيره بناء على اللفظ دون المعنى ﴿حَقَّ وَعَبِدَ﴾ [ق: 14] أي ثبت ووقع الموعود، وهو كلمة تدل على العذاب الشديد وسوء العقاب، وفيه تسلية للرسول ﷺ وتهديد للكفار.

### ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (15)

﴿أَفَعِينَا﴾ فعل ماض جمع المؤنث الغائب ﴿بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ من الخلق وهو عدم الاقتداء بوجه العمل من قولهم: عيي بالأمر إذ لم يهتد بوجه عمله أي أعجزنا هذه الأقسام عن الخلق الأول ليعجز عن الخلق الثاني، والإعادة والهمزة كذلك إشارة إلى أن المخلوق الأول هو الإنسان على ما ذهب إليه المليون الحكماء الإلهيون، قال النبي عليه السلام: «أول ما خلق الله نوري». قال الحكيم الآخر: أول ما خلق آدم ولذا كان باب الأبواب، وأن نفوس الأفلاك مستنسخات نفوس الأفراد الإنسانية وهو بداية الأدوار والأكوار، قال النبي ﷺ: «نحن الآخرون السابقون»، ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15] بل للترقي، أي كيف ينكرون الخلق الثاني ولهم في كل زمان في آن من خلق جديد وحشراً ونشراً نفسي فإن الممكن من حيث إنه ممكن يحتاج إلى المؤثر ليخرج مادة الوجود على العدم الآخروي أي العدمي على الوجود أنا فأننا. قيل: المراد باللبس لبس الشيطان فإن الكل من الرحمان، والشيطان بالنسبة إلى أفراد الإنسان وآحاده الأعيان نسبه ولم يدعو إلى الخير والشر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَأَيْتَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: 52] وذلك في كل زمان وأن. وهذه الآية دليل آخر على صحة البعث والإيجاد، يعني من قدر على إنشاء الممكنات بعضها بلا مادة ومدة وبعضها بالمادة كالفلك الأعظم والباقي بهما كسائر الأفلاك والعناصر والمركبات في الدنيا، قادر على إعادتها بعد الممات والهلاك في العقبى بل هو أقدر عليها.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ

### الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسَهُ﴾ والوسوسة هو الصوت الخفي ووسوسة نفس الإنسان ما يخطر بباله فحينئذ كان النفس فاعلاً ومفعولاً لأنهم يقولون: رجل حدث نفسه بكذا و(ما) يجوز أن تكون موصولة أو مصدرية ﴿وَنَحْنُ﴾ هذا إما من تنمة الدليل المذكور أو دليل آخر ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أي إلى الإنسان ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16] لأنه تعالى روحه وحقيقته كما قال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [ص: الآية 72] وحبل الوريد هو العرق الحامل للروح الحيواني ولا شك أن الروح الإنساني هو أقرب إليه من الروح الحيواني فضلاً من حامله .

### ﴿إِذْ يَنْفَلِقُ الْمَتَلِقِيَّانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿إِذْ يَنْفَلِقُ الْمَتَلِقِيَّانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: 17] يعني يمين العبد وعن شماله ملك قاعد عنده، والمتلقيان على هذا الوجه هما الملكان اللذان يأخذان روح العبد الصالح من ملك الملك وينقلانه إلى السور إلى يوم الحشر، والأخذ بأخذ أرواح الصالحين ونقلها إلى الويل والثبور إلى يوم الحشر من القبور. قال النبي ﷺ: «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران». وللعبد أيضاً ملكان أحدهما يكتب حسناته والآخر يكتب سيئاته، عن النبي ﷺ: «إن مقعد مليكك على ثنيتك ولسانك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت تجري فيهما لا بعينك، لا تستحي من الله ولا منهما، فقال قوم: أي وقت خلقهما وسؤالهما من العبد في القبر، أنه من أي القبيلتين فإن يكون عند الرجل قعيد» أي ملك قاعد عن يمين العبد، وقعيد عن الشمال، يعني أن الملكين ينزلان عن العبد وعنده ملكان آخران يكتبان أعماله ويسألانه من أي القبيلتين، فإن كان من الصالحين يأخذ روحه ملك السرور ويرجع الملك الآخر الذي كان يكتب سيئاته محروماً مأنوساً حيث لم يكن ممن يأخذه ويؤيده ما ذكرناه من قوله تعالى: ﴿سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: 21] فالسائق هو العبد المتلقي يتلقاه والآخذ روحه من ملك الموت، فتشوقه إلى منزلته في الحشر والإعادة، فالقعيد بمعنى القاعد كالجليس يعني الجالس يكون عن يمينه وعن شماله فترك أحدهما لدلالة الآخر عليه .

### ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

﴿ مَا يَلْفِظُ ﴾ العبد ويتكلم ﴿ مِنْ قَوْلٍ ﴾ صادق أو كاذب ﴿ إِلَّا لَدَيْهِ ﴾ أو عند اللفظ واللافظ أو التلفظ ﴿ رَقِيبٌ ﴾ [ق: 18] ملك موكل على العبد يرقب قوله ويحفظه. قال الله تعالى: «قد وكل على العبد أملاً كماً يكتب كل منهم ما وكل عليه»، كملك الأرزاق والأنفاس والماء وأفعال الأعضاء والجوارح والنفوس والفؤاد وغير ذلك ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: 36]، ﴿ عَتِيدٌ ﴾ [ق: 18] حاضر، فالرقيب الحافظ هما الملكان الموكلان يكتبان كل شيء من الفعل والعمل والقول حتى أنين المريض في مرضه، فلا يكتبان إلا ما يؤجر عليه ويثاب أو يؤزر به يدل عليه قوله ﷺ: «كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يساره، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرة وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبِّح ويستغفر». قيل: إن الملائكة تجتنب الإنسان عند غائظه وعند جماعه.

### ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ ﴾ شدته الزاهية بالفعل ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ [ق: 19] الباء للتعدية، يعني وأحضرت الموت حقيقة الأمر الذي أنطق به كتبه وبعث به رسله أو حقيقة الأمر الدائر وحقيقة الحال الحاضر من سعادة صاحب السكره وشقاوته. وقيل: الحق الذي خلق الإنسان ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: 185] أي جاءت متلبسة بالحق وحقيقة الأمر أو بالحكم الثابتة ﴿ ذَلِكَ ﴾ الموت الثابت والحق الثابت ﴿ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق: 19] وهو من حاد يحيد حيداً إذا ضرب وفلت ونفر، والخطاب للإنسان.

### ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ والناقور ﴿ ذَلِكَ ﴾ النفخ والوقت نفخ فيه الصور ﴿ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ [ق: 20] عطف على جاءت، فالمراد إما النفخة الأولى فيكون بياناً لما يكون عند مجيء السكره أو الثانية وهي أظهر بقريته يوم الوعيد، فسكرة الموت إشارة إلى



الإماتة التي هي قيامة لصاحب الموت خاصة لقوله عليه السلام: «من مات فقد قامت قيامته». فنفخ في الصور إشارة إلى المعاد الأولى والثانية وفي الكشف ذلك إشارة إلى مصدر نفخ أي النفخ وهو ضمير ما فيه من الإضمار، فالأولى ما ذكرنا من أنه إشارة إلى الوقت الذي أعم.

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ إنسانية محشورة مسوقة إلى الموقف ومنه إلى مقعد إما في النعيم أو النار والجحيم ﴿مَعَهَا سَائِقٌ﴾ أي ملك يسوقه إما إلى الجنة أو إلى السعير ﴿وَشَهِيدٌ﴾ [ق: 21] أي ملك حاضر عنده يكتب أعماله وهو القعيد.

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ﴾ وجهالة ﴿مِّنْ هَذَا﴾ الأمر الذي يشاهده في هذا الوقت، والقاتل هو الله، والملك والخطاب عام للكافر والمؤمن الذي أغفلته هول القيامة وحالاته الهائلة ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ﴾ وأنزلنا ورفعنا عنك ﴿غِطَاءَكَ﴾ غفلتك وغطائك البشرية ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: 22] أي في الدنيا كانت كليلة أو يوم الآخرة لشدة الأهوال. قيل: الخطاب للرسول ﷺ والمعنى: كنت في غفلة من أمر الدين والنبوة ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكُذْبُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52]، فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وإلقاء الأعيان والنبوة والقرآن، فبصرك اليوم حديد نافع لا مانع لإدراكها ولا دافع لإحساسها.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ أي الملك الموكل والمولود الجني كما أشار إليه ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وله قرين من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي ولا يأمرني إلا بالخير» ﴿هَذَا مَا لَدَىٰ﴾ أي أمرها الذي تحيله في هذا اليوم ما لدي أي أمر مكتوب لدي ﴿عَيْنِي﴾ [ق: 23] حاضر بين يدي من الثواب في الدرجات وشدة العذاب وحدة العقاب والدركات، يحتمل ملك الثواب وملك العذاب والعقاب والقرين الحق

المذكور، ف(ما) إن جعلت موصوفة، فعتيد مرفوع صفتها وإن جعلت موصولة فهي بدل أو خبر مبتدأ محذوف أو خبر بعد خبر.

﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾﴾

﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ أمراً إلى الملكين السابق والشهيد، أو الملكين من خزنة النار ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق: 24] والمتابعة إما باعتبار الكيفية أو الكمية، أي كثير الكفر وسديده إما من الكفران وهو إنكار نعم الله، أو من الكفر والشرك أو جحوده، وعتيد إما بمعنى الفاعل أي المعاند برسوله.

﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ والكلام فيه كالكلام في الكفار أي كل المنع لمطلق الخير والإسلام هو أيضاً كل الخير ﴿مُعْتَدٍ﴾ معتد متجاوز عن الحد ﴿مُرِيبٍ﴾ [ق: 25] شاكّ ذا ريب وشكّ في الله وفي دينه.

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [ق: 26] صفة لكل كفار ولكمال تخصيصه بالصفات العديدة بلغ طريق المعرفة نظيره: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الْفَاتِحَةُ: 2] إلى قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الْفَاتِحَةُ: 5]، (فألقياه) أمر للمقربين والفاء جزاء الشرط المحذوف، أي قيل في جراب كل كفار شأنه كذا وكذا ألقياه ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ [ق: 26] والعطف بلا تراخي الذي هو أحد العذاب وأشد العقاب ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ [النساء: 48].

﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتَهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ الشيطان في جواب دعوى الكافر حيث قال: هو أضلني وأطعاني ﴿رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتَهُ﴾ وإنما عطف في الأول دون الثاني لأنه واجب في الأول للدلالة على الجميع بين في الحصول، عنى حق كل نفس مع الملكين وقول قرينه ﴿وَلَكِنْ كَانَ﴾ في نفسه ونهايته، إنما قضى عليه في الفطرة الأولى ﴿فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [ق: 27] وكفر وشرك شديد، المعنى بضربه وأعنته لا إن الشيطان الذي هو قرينه الجنى وتوأمه الذي ولد معه وكان معه ضمناً كالجلال مع الجمال في صراحة فردارية

النور والجمال أو بالعكس، إنما كان يضل ويغوي من كان مختل الرأي والنظر ومعتلّ العقل والبصر ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلُومُنِي وَلُؤْمُؤًا أَنْفُسِكُمْ﴾ [إبراهيم: 22].

﴿قَالَ لَا تَخْضِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ (٢٨)

قال الله تعالى في هذه الحالة والوقت بعد طول المناظرة وكثرة المظاهرة بين الشياطين والكفار والعاصيين في موقف الحساب: ﴿قَالَ لَا تَخْضِمُوا لَدَيَّ﴾ ولا تخاصموا بين يدي لعدم إفادتها النفع بل ينظر لسوء الأدب ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ﴾ على السنة الرسل وترجمان الأنبياء على كثرة السبل ﴿إِلَيْكُمْ﴾ وأنزلت عليكم ﴿بِالْوَعِيدِ﴾ [ق: 28] والنذير والنذر الشديد، أي حال فيه تعليل للنهي ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُفَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: 1] أي لا تتقدموا ولا تتخاصموا عالمين بأين أوعد بكم، والباء مزيدة أو للتعدية على أن قدم بمعنى تقدم يجوز أن تكون بالوعد حالاً والفعل واقعاً على قوله:

﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٢٩)

﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ﴾ تقرير للمنع من الاختصاص وتصوير لعدم فائدة الانتقام، كأنه يقول: قد قلت لكم بأنكم إن تبعتم الشيطان تدخلون النار، وقد وقع عليكم الاتباع وارتفع عنكم الاتباع. ويجوز أن يكون مفعول قدمت محذوفاً فتكون الباء للمصاحبة أي قدمت إليكم ما يجب عليكم مع الإنذار والوعيد، ﴿مَا يُبَدِّلُ﴾ تعليل للمحذوف أي ما وجب عليكم وصرحته لديكم ثابت غير متغير لأنه ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: 29] نفي المبالغة في الظلم في الجملة لأنه عادل من جميع الوجوه متصرف في ملكه وملكوته فلا يتصور منه الظلم إذ لا غير في ملكه لأنه لا موجود سواه، ولا شاهد ولا مشهود ما عداه، فلا يعذب، الأمر له استحقاق العذاب فلا ينعم إلا من هو أهل له ويتأمل به ولا يضيع سعي أحد بلا مجازات، ولا يلزم من نفي المبالغة في شيء ثبوت ذلك الشيء كما تقرر من أن الكلام المنفي إذا اشتمل على قدر توجه النفخة إلى ذلك العبد إذ المبالغة إنما تتعلق إلى مورد ذلك الشيء ومتعلقه إلى ذلك الشيء يلزم منه نفي القيد بثبوت القيد، يعني أنه ليس بظالم أصلاً حتى إنه لو كان ظالمًا فظلمه بالنسبة إلينا وعرضنا لا بالنسبة

إليه لما أنه واحد حقيقي بداية وبأسمائه وصفاته، فكل وصف ونعت يعتبر فيه فهو غير ذاته كافية في كل الكمالات الذاتية والأسمائية التي هي في الحقيقة غير ذاته، فلا ظلم بالنسبة إلى ذاته من ذاته هو ظاهر، ولا بالنسبة إلى عينه لامتناعه فلا ظلم إلا بالنسبة إلينا وعرضنا وأحوالنا ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الرُّوم: الآية 9] إذ لو ظلمنا كلياً يخالف الحكمة والمصلحة، ولو ظلم بعضها لزم التحكم بالنسبة إلى رأينا وإعراضنا لا بالنسبة إليه تعالى لتصرفه في ملكه على أي وجه يريد وعلى أي طور في أي جود، ولا ينقص ولا يزيد، ويقول إن المبالغة تشعر بكثرة الأفعال الممكنة. يدل عليه قوله للعبيد:

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (٣٠)

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ﴾ انتصابه إما بظلام أو بمضمرة نحو: اذكر، وخوف، وأنذر، ويجوز أن ينتصب بينفخ أي ينفخ في الصور يوم يقول لجهنم ويسأل عنها من باب التبجيل والتمثيل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتشبيهه في القوة المتخيلة والخيال، وعلى هذا الوصف رفع المحذور إذ الظلم والعدل إنما يتصوران ويعتبران في يوم الجزاء، وفيه معنيان أحدهما: إنما يمتلئ مع اتساعها وتباعد أطرافها حتى لم يسعها شيء ولا يراد على امتلائها من السعة بحيث لا يدخلها من أراد أن يدخلها وقتها موضع للمزيد، وقالت: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: 30] استكثاراً للداخلين واستشعاراً بأنها امتلأت، إلا أنها لكمال اتساعها لا تمتلئ بحيث لا يبقى فيها موضع للدخل، وهذا طلب للزيادة غيظاً للكفار وزيادة ونقصاً بعذاب العصاة والفجار.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ (٣١)

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ وقربت ودُنيت للمتقين ﴿لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: 31] أي ما بقيت محلة في الجنة ترى بعيداً لكل من كان فيها، فإن كل واحد من أهل الجنة يرى ويشاهد جميع المواضع لا يخفى عليه موضع من مواضعها لأن بصره في ذلك اليوم حديد إشارة إلى القرب والبعد أي هو من خصائص الدنيا لا الآخرة لأن الدنيا تخالف الآخرة في جميع الخصائص ولذا أكد القريب بغير بعيد يجوز أن يكون حالاً ويذكره لكونه على زنة المصدر كالمزيد والقليل، والمصادر يستوي فيها

المذكر والمؤنث، أو على حذف الموصوف أي شيئاً غير بعيد.

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ (٣٢)

﴿هَذَا﴾ الثواب والجزاء أو النفي ﴿مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ ورجاع منيب إلى الله وعوداً إليه ﴿حَفِيظٍ﴾ [ق: 32] وحافظ حدود الله وأحكام شريعته وأعلام طريقته من الحلال والحرام، والمباح والمندوب والمكروه لذوي أرباب الصلاح.

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ (٣٣)

﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ﴾ وخاف من شدة عذابه وحدة عقابه ﴿بِالْغَيْبِ﴾ [ق: 33] حال من الفاعل أو المفعول، أي حال كونه أو كوني متلبساً بالغيب الناشئ من أحوالنا لا منه لأن الغيبة والخطاب والتكلم بالنظر إليه على التسوية لتواردها في آن واحد باعتبار واحد توارد الظهور والبطون عليه في زمان واحد وأن متوحد، باعتبار واحد، إذ ذاته باعتبار كونه ظاهراً هو باطن، وباطن باعتبار كونه ظاهراً، إذ الظاهر والباطن في آن واحد هو ذاته، وكذا الموجود في الاعتبارين هو ذاته، فباعتبار كونه ظاهراً هو بعينه باطن وبالعكس ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] فغيبته إنما تكون بالنسبة إلينا وبأحوالنا لا بالنسبة إليه لأنه حاضر وغائب، لا حاضر ولا غائب ﴿وَجَاءَ﴾ الخائف الخاشع ليوم الوعد والوعيد ﴿بِقَلْبٍ﴾ سليم مما لا يليق بحضرته ولا يفتق إلى غيب هويته ﴿مُنِيبٍ﴾ [ق: 33] إلى الله، راجع إلى مطالعة وجه الله وملاحظة أنوار جماله وأسرار جلاله في ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) ﴿إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: 88، 89] وغيب كريم.

﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلْمٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ (٣٤) ﴿هُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (٣٥)

﴿أَدْخُلُوهَا﴾ أي جنة الذات والصفات والأفعال، أو جنة الآثار التي هي مطرح أكثر العابدين ومسرحة أكبر أعيان الزاهدين ﴿بِسَلْمٍ﴾ مستصحباً بالسلامة عن الأوصاف الرذيلة والأخلاق البديلة، أو مسلماً عليكم بسلام بهدية واصله من الله والملائكة إليكم، والمسلم إما بعد أن كان العبد الداخل من أهل الله صاحب التجليات وصاحب المشاهدات وكاسب أنوار الرياضات وأسرار المجاهدات وإلا فالملائكة لم تكن كذلك ﴿ذَلِكَ﴾ [ق: 34] التشريف أو الاستشراف والدخول

أو السلام التكريم والإكرام ﴿يَوْمَ الْخُلُودِ﴾ [ق: 34] في الجنة بعد الدخول ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ ﴿٣٥﴾ [ق: 35] بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر ببال بشر قط من مشاهدة لقاء الله ومطالعة أنوار جلاله، وملاحظة أسرار جماله في فردارية أدوار النور والجمال الإفرادية والأكوار الظلية الجلالية الوجدانية، هذا لخواص الأعيان المتوحدية في الدورة النورية الوجدانية ولصعاليك أكوان الأكوار الظلية المنفردين بالعدمية فإنهم مشاهدون للتجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية بعنوان الوجود، وفي فردارية الأدوار.

وأما صعاليك الأكوار فإنهم يعاينون ملك التجليات بعنوان العدم، فإن الوجود والعدم يقعان للذات الأحدية، يظهران في الذات البحت ومطلق الوجود، يتعاقبان في الوجود المطلق، والوحدة الذاتية. وأما المحققون المتحققون تبعث جمعيتها في جمعية مقتضيات الأدوار أو معية مرتضيات الأكوار فردًا وجمعًا وأصالة وتبعًا لأنهم يشاهدون ويعاينون في الجنة العليا، وهي الجمعية العظمى الإفرادية، تلك التجليات الذاتية بعنوان الجمعية الإفرادية، فإن للذات في مقتضيات كل دورة له تجلي خاص على مقتضى خصوص الاقتضاء وعلى مقتضى جمعية الأدوار تجلي خاص ذاتي يغير تلك التجليات الذاتية الإفرادية، وكذا الحال في التجليات الأسمائية والأفعالية والآثارية في الأدوار كإفرادية الجمعية، وكذا في الأكوار العدمية الإفرادية والجمعية لا يدرك أسرار هذا المقام إلا من خصه الله تعالى بكمال توفيقه الميسر والذوات وفي هذه الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية والتحقيق بهذه التجليات وبمقتضيات الظهورات وبمبدئها.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ

مَحِيصٍ﴾ ﴿٣٦﴾

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أي قرن أعيان ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ [ق: 36].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ﴿٣٧﴾

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: 37] الأدوار وأكوار الفردارية

والجمعية وجمعية الجمعية هم أشد منهم أي أعيان الدورة المتقدمة أشد نعتاً من أعيان الدورة المتأخرة على الترتيب إلى أن يصل إلى الدورة الأخيرة، ونحن فيها فبقوا في البلاد أي حفروا وبعثوا في بلاد كل دورة وفطرة من البعث وهو النقم والتصرف فيه أو الجولان والدور والحولان، فالفاء على الأول سبب، وعلى الثاني لمجرد التعقيب، هل لهم مختص من مفر ومخلص من الله ومن الموت.

قيل: الضمير في بعثوا لأهل مكة أي ساروا وسافروا أو داروا في بلاد كل دورة حتى تعبت أقدامهم أو أخفاف مراكبهم أراضي كل بلدة، فلم يجدوا من صدمة قهرمان دين الله وضربة [ديوسة] الإسلام معزولاً لإقامة حكمه [مقرآن] حتى هلكوا بغيظهم وما ملكوا لإمضاء أغراضهم الفاسدة مكر الإهلاك وعدم التملك والإملاك لذكرى تذكرة وموعظة ونصيحة وغيره لمن كان له قلب سليم وعقل مستقيم داع للحقائق وداع للأنوار الإلهية والدقائق.

﴿أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ﴾ وإصغاء الاستماع للحق والانتفاع به ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37] حاضر بكليته وناظر إلى وجه الله وأنوار جماله الجبلية لا يشغله شأن عن شأن، فلا يفوت من إدراكه شيء إشعار بأن حق القلب ووظائف الأعضاء والجوارح هو الاطلاع والإدراك مطاوعة لسلطان القلب ومطبيعة لحكام الغيب. ثم الاتفاق بتصاعد الإدراكات وبالانطباق يتباعد حضيض دركات الكثرات إلى أوج حضرات القرب من شهود التجليات.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا

مِن لُّغُوبٍ﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ﴾ أي الأدوار النورية والجمالية ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [ق: 38] أي الأكوار الظلية والجلالية والجمعية وجمعية الجمعية وما بينهما من الدورات والكورات الإفرادية في ثلاثة أيام وهي المراتب إليه كما أشار إليه بقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3]، وسبب اختيار هذا العدد أنه كامل لانطباق أجزائه وكورة كليته ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُّغُوبٍ﴾ [ق: 38] إعياء وتعب في خلقها، وذلك لأن الإعياء والتعب من خواص الأجسام المركبة من الطباع المتضادة لتعارضها بطبيعة حقيقة الجسم المركب وتخالفها لها

قد وقع في التوراة والحديث وسائر الكتب السماوية، إن الله تعالى خلق السماوات وما فيها وما في جوفها من الأرض يوم الأحد وفرغ منه في آخر يوم الجمعة بعد العصر، واستراح يوم السبت، ووقع التعطيل، واستعلى على العرش، ولذا عظم المليون وأرباب الدين هذه الأيام، المسلمون عظموا الجمعة، واليهود السبت، والنصارى الأحد، ونظر المسلمين أتم وأدق.

﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ  
الْغُرُوبِ﴾ (39)

﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ق: 39] المشركون من إنكار البعث، فرد عليهم بأن قدر على قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [ق: 38] المذكورة من المخلوقات التي لا يعلم عدّها ولا حدّها إلا الله تعالى، وهو قادر على البعث والإعادة والخلق ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ ونزّهه وقُدّسه مما شبّهوا ونسبوا إليه ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ أي العصر والفجر، كما قال: ﴿بُكْرَةً وَأُصِيلًا﴾ [الفتح: 9].

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُودِ﴾ (40)

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ [ق: 40] أي بعضه أولاً وآخرًا إشارة إلى أوقات الصلاة المكتوبة وقبل طلوع الشمس عبارة عن وقت صلاة الفجر وما هو بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، ومن طلوع الشمس إلى الغروب وقت الظهر والعصر، وتعين المظهر من قوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ إلى غسق الليل وقبل الغروب عبارة عن آخر وقت العصر وأوله مبهم، وأول الظهر متعين وآخره مبهم إشعار بأن وقت الظهر والعصر موصول كما ذهب إليه مالك، وأول مغرب معلوم بالالتزام بطريق المفهوم المخالف، وآخر وقت العشاء والعتمة أيضًا، معلوم بالالتزام بقوله: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ [الإسراء: 78]، وكذا إيهام وقت المغرب والعشاء إشعار بأن وقتها موصول ووقت صلاة التهجد الذي كان واجبًا على النبي ﷺ وأتباعه من الصحابة والتابعين من الأولياء والعلماء الربانيين الذين أوجبوا على أنفسهم صلاة التهجد، وكان قدامهم وقت التهجد إشعار بأن إحياء الله أمر محبوب عند أرباب التحقيق ومرغوب.



﴿فَسَمِعَهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودَ﴾ [ق: 40] أي أعقاب الصلاة، مجاز مرسل من باب ذكر الحق، وإرادة الكل إشارة إلى الأدوار التي تقرأ بعد الصلاة.

### ﴿وَأَسْمَعُ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (٤١)

﴿وَأَسْمَعُ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ﴾ أي جبريل وإسرافيل مناديان يوم القيامة بالأموات وإجزائها فيقولان: يا أيها العظام البالية والأعصاب الرابطة التالية للأعضاء والغضروف الحاملة بين العظام واللحوم والعروق، الحاملة للأرواح الحيوانية الفانية من مقر الكبد إلى القلب، وسمي بالسريان الوريدي أو من محدب الكبد الحاملة للدم إلى سائر الأعضاء، وسمي بالأرواح النباتية، وهذه العروق الثابتة من القلب الحاملة للروحاني إلى الأعضاء سمي بالشرابين والذي يتصل بالكبد سمي بأسمائها وتأمراً بأمر الله كلها ليتحقق، وظهر البدن منها لا يعنيه وإلا ظهرت يوماً بخصائصها ولوازمها لأنها من جملة شرائط البدن المعين بل مثله، فيتعلق بنفسه، وبهذا يتحقق البعث والحشر فلا يحتاج إلى إعادة المعدوم بعينه، وهذا الأمر عطف على سبِّح، والمخاطب هو النبي ﷺ وكل من له أهلية هذا الخطاب، أي سبِّح واستمع ﴿مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: 41] إشارة إلى ما مر من ارتفاع العقد بين الأعيان من خصائص يوم القيامة، وأن جبريل وإسرافيل قريب من الكل فيكون عين الأعيان قريباً بالكل إذ اليوم من خصائص المسافة الدنياوية.

### ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ (٤٢)

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾ والنفخة الثانية التي بها تحيا الأموات وتجتمع أجزاءها الأولية وهي الجواهر الفردة، والثانية وهي العناصر، والمركبات وهي النباتية والحيوانية، والثالثة وهي الأعضاء والجوارح، فهذه الأجزاء كلها تسمع الصيحة والنفخة الثانية إذ لها قوة استماع كما لها قوة التكلم والشهادة على صاحبها ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التور: الآية 24]، ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بالصيحة، والمراد به البعث والحشر ﴿ذَلِكَ﴾ البعث والإحياء يكون ويظهر ويثبت ﴿يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ أي يوم القيامة، فإنه اسم من أسمائه وسماع الأجزاء والأعضاء والأبدان البالية في القبور إنما هو بخلق الله كما كانت شهادة الأعضاء على صاحبها بخلق الله وأمره، فقال الله تبارك وتعالى لعباده ﴿يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ [ق: 42].

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ ﴾ في الدنيا والنشأة الأولى ﴿ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴾ [ق: 43] والرجوع في الآخرة والنشأة الأخرى.

﴿ يَوْمَ تَشْقُقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ ﴿٤٤﴾

﴿ يَوْمَ تَشْقُقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ ﴾ اذكر يوم يقع انشقاق الأرض الحسية والنفسية، وهي أرض الاستعداد والقابلية للجزاء ﴿ سِرَاعًا ﴾ مسرعين إلى الداعي، متسارعين إلى النادي المنادي، إجابة للأمر الإلهي وإطاعة لما قدر لهم من الجزاء والثواب والعذاب وشدة العقاب الغير المتناهي ﴿ ذَلِكَ حَشْرٌ ﴾ الإحياء والخلق الثاني والإعادة ﴿ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ [ق: 44] متعلق بالمتأخر، أي ذلك الإحياء الأخرى أمر يسير علينا لا عسير لدينا، وذلك للتخصيص، يعني يسير مثل ذلك الأمر العظيم على القادر الحكيم والقاهر العليم الذي لا يشغله شاغل عن شأن كما قال: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنِينَ وَجَدَةً ﴾ [لقمان: 28].

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ ﴾

وَعِيدٍ ﴿٤٥﴾

﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ في حقي وفي حقك يا محمد وبما يعقلون سرًا وجهراً، تهديد لهم وتسلية لرسوله ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ وقهار متغلب ليجبرهم ويقهر عليهم ويتسلط عليهم بالإيمان، بل إنما أنت عليهم داع ومنذر وباعث ﴿ فَذَكَرَ ﴾ وعظ وادع إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴿ بِالْقُرْآنِ ﴾ بما فيه من الأحكام والموعظة والنصيحة ﴿ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٍ ﴾ [ق: 45] بكسر الدال لحذف ياء المتكلم اكتفاء بالكسرة مفعول ليجازي. عن النبي ﷺ: «مَنْ قرأ سورة (ق) هَوَّنَ اللهُ عَلَيْهِ أَمَارَاتِ الْمَوْتِ وَسَكَرَاتِهِ».

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل امتداد نفسه الرحمانية مادة للرياح الذاريات وجادة لثبوت اللقاح الحاملات ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي جعل السماوات والأفلاك ذوات الحبك والطرق الطوارق الأملاك المقسمات الأرزاق بذريعة الرياح والأمطار في حدود الأملاك ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي قسم الأرزاق روحانية وصفاتية وجعل الروحانية ذريعة لشهود التجليات والجسمانية وسيلة للدخول في درجات الجنات .

## ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾

﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ أي الرياح التي تذرّو التراب وتنسّفها ، والذري اسم لما ذرته الريح ، يقال : ذرّوته أي طرف منه ولم يتكامل ، ويقال : فلان يذرّو ذرّوًا أي يمر مرًا سريعًا ، وذرّت الريح التراب وغيرته وتذروه وذرته ﴿ذُرُوءًا﴾ [الذَّارِيَاتِ : 1] وذرّيًا أي سفته ، منه قوله : تذروه ، ومنه ذرى حبًّا وأذريته إذ ألقيته بزرع ذرّوًا مفعول مطلق .

## ﴿فَالْحَمَلَاتِ وَقَرًا﴾

﴿فَالْحَمَلَاتِ وَقَرًا﴾ [الذَّارِيَاتِ : 2] أي السحب الحاملة للأمطار والرياح الحاملة للسحاب ، والنساء الحوامل والوقور هو الثقل المحمول . عن علي رضي الله عنه : «إن الذاريات هي الحاملات السحاب» .

## ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾

﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ [الذَّارِيَاتِ : 3] أي السفن الجارية في البحر سهلًا لينًا هينًا ،

أو الرياح الجارية في مهاهبها، والكواكب التي تجري في مفازتها على الاستقامة، فإن لكل كوكب منزلاً خاصاً وحركة مختلفة تارة راجعة فيها أو بطيئة أو مستقيمة، وقد يرى معتمداً لا تدركه حركة، وأفضل حالاته وأسهله وأيسره أن يكون مستقيماً .

### ﴿فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾

﴿فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: 4] أي الملائكة التي تقسم الأمطار والأرزاق والأنفاس وغيرها من الحالات الواردة على الإنسان. قال النبي ﷺ: «جاءني ملك الأمطار وملك الأشجار وملك الأرزاق». والمقسمات هي التي تفرق الأمطار على الأرجاء والأقطار، ويحتمل أن يقال: هذه أمور أربعة بها يتمنى الإعادة ويبين كیفيتها لأن الأجزاء تفرقت في أقطار الأرض وأطراف الأملاك وطبقات العناصر، فبعضها في نجوم الأرضين، وبعضها في قعور البحار، وبعضها في كرة النار والعناصر قد تفرقت ورجعت إلى أصولها فمن قدر على جمع هذه الأجزاء المتنامية الأخبار والمتخالفة المراكز والاختيار، ونفخ الروح فيه بأمر الله فهو قادر على أجزاءها وعده.

فقوله: ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ هي الجامعة للذاريات والتفرقات من الأرض على الدائرة وهي التي تذر التراب من وجه الأرض. وقوله: ﴿فَالْحَمَلَاتِ وَقَرًا﴾ إشارة إلى الملائكة التي تجمع الأجزاء المائية. وقوله: ﴿فَالْبُرْدَاتِ يُسْرًا﴾ إشارة إلى الموكولات على الهواء تجمعها في جو الهواء وتحفظها، و﴿فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات: 4] إشارة إلى التي وكلها الله على النار وتحفظ الأجزاء النارية في حيزها فلكل واحد من الأشخاص الإنسانية أملاك موكلة على أجزائها العنصرية لتحفظها من الاختلاط كما كان قد وكل على كل عضو من الأعضاء ملكاً يحفظه من الآفات، بل قد وكل الله على كل جزء العنصرية وهي الجواهر الفردة التي قد تركبت العناصر منها، ففي كل جزء من الأجزاء العنصرية التي هي مادة الأبدان جواهر فردة تحفظها الأملاك الموكلة عليها، فإذا أراد الله حشر الأبدان أمر أملاك الأجزاء العنصرية، وكذا أمر الأملاك الموكلة على جواهر فردة كل عنصر من عناصر كل بدن ليجمع تلك الأجزاء الأولية والثانية، فلو كان كل جزء من الجواهر الفردة في المشرق والآخر في المغرب لسعى مجتمع مدقق البدن ويترتب

ويتركب ويظهر بها البدن، فينفخ فيه الروح، فلا يختلجن في قلبك أن هذا محال لأن كل شيء قليل وكثير، صغير وكبير له يرجع، وكل ذات ملكي وبرزخي وكوني وجبروتي ولاهوتي، فالملك عبارة عن ملكوته وروحه وأمره، ألا الله الخلق والأمر، سبحانه الله بيده ملكوت كل شيء.

فالملكوت علوي وسفلي، أما العلوي فهو روحه وأمره. وأما السفلي فهو الموكل على حفظ البدن وأجزائه القريبة كاليد والرجل والبصر والسمع وغير ذلك، والمتوسط كالعناصر، والبعيدة كالأجزاء التي لا تتجزأ والجواهر الفردة والوحدات الإلهية وهي الأعيان الثابتة والنسب الإلهية والشؤونات الذاتية والخصص الوجودية الذاتية قربي، وهذه إما مجرورات على القسمة وإما منصوبات على المصدرية، وقرئ منصوب على أنه مفعول به، ويسراً منصوب على أنه صفة مصدر يعني جريان اليسر، وكذا مفعول الأبعاض أي قسم أمر الرزق أو مأموره، وإنما وحد وقرأ لأن الحاملات على ما ذكرنا صفة الرياح وهو يتوارد على وقرأ واحد فإن ريحها تهب وتسوق السحاب عنه، ويسراً لسبب اختلاف السحاب وكذا الكلام في المقسمات أمراً والفاء للترتيب في المقسم كأنه يقول: أقسم بالرياح الذاريات، ثم بالسحب الحاملات، ثم بالسفن الجاريات، ثم بالملائكة المقسمات.

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ ﴾

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ ﴾ [الذاريات: 5] جواب القسم، أي بحق الذاريات والمعطوفات عليها أن الذي وعدكم الله به من الجنة ونعيمها الصادق حكم مطابق وأمر موافق لما في النفس والأمر.

﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ ﴾

﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الذاريات: 6] أي يوم الجزاء الثابت، استدل باقتداره على هذه الأشياء المتقنة والأمور العجيبة المتبينة على وقوع الوعد والوعيد والبعث ذي اليوم الشديد وما يحتمل المصدرية والموصول.

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ ﴾

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ ﴾ [الذاريات: 7] أي الطريقة والممر للكواكب والسماء

إما حسية أو نفسية أو روحية أو عقلية، ولكل منها دورة خاصة ومدة ماضية، ولكل منها دنيا وآخرة، وفي كل دنيا سماوات وكواكب وأرض، ولكل منها حركات، ولحركاتها مقدار، وللمقدار امتداد، فإن كانت الأفلاك حسية كانت الحركة حسية، وامتدادها هو الدخان يكون هو موجوداً حسياً أو لوازمها حسية، وإن كانت الأفلاك حسية كانت الحركة نفسية وامتدادها وهو المسمى بالعنصر سمي نفسياً وإذا كانت الأفلاك والسماوات روحانية كانت الحركة روحانية وامتدادها وهو الدهر يكون روحانياً والمرتبة الربوبية لا تسبوا الدهر فأنا الدهر يقول: أنا إلهي الليل والنهار يقول: أنا أجده وأبليه وأذهب بملوك وأتي بملوك. وإذا كانت الأفلاك عقلية فالحركة عقلية وهي الانتقالات الفكرية والانتقالات الفكرية هي الحركات العقلية، وامتدادها عقلي وهو الوقت الذي تقع فيه الحركة الإبداعية والنقلة التكوينية، ولكل من هذه المدة مقدار معين إذا انتهى هذا المقدار انقضت مدة دنيا تلك المرتبة فحينئذ يقوم ما يناسب تلك المرتبة فيسمى قيامه المرتبة الواحدة القيامة العظمى، وقيامه المرتبة الثانية من الكثرات العينية هي القيامة الكبرى، وقيامه المرتبة الثالثة وهي البرزخ، سمي بالقيامه الوسطى، وقيامه المرتبة الرابعة وهي الأجسام وعالم الملك والشهادة سمي بالقيامه الصغرى.

### ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾﴾

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾﴾ [الذَّارِيَّاتُ: 8] في حق الرسول كالشاعر والساحر والمجنون والكاهن، أو في القرآن إنه شعر أو سحر وأساطير الأولين، وأن كلام محمد مفترى، أو يوم القيامة أو أمر الديانة، ولعل المنكبة في هذا القسم فيشبه أقوالهم في اختلافها ونبه في إعراضها في طريق السماوات وتباعدها واختلاف غاياتها.

### ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنَ أُنْفَكُ ﴿٩﴾﴾

﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ﴾ يصرف ﴿عَنْهُ﴾ عن الرسول أو القرآن أو الإيمان بهما، أي تؤفك وتصرف عنه ﴿مَنْ أُنْفَكُ﴾ [الذَّارِيَّاتُ: 9] وصرف عنه الصرف الذي لا صرف أشد منه كقوله: «لا يهلك على الله إلا هالك» حتى تصرف عنه في سابق علمه، أي علمه فيما لم يزل ولا يزال، ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون، أو للذين أقسم

بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق، ثم أقسم بالسماء على أنهم في قول مختلف وقوعه، فمنهم شك، ومنهم جاحد ومناقض، أما في الحشر ما قالوا: لا حشر ولا حياة بعد الممات، ودليلهم التقليد بأن قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ أُمَّةً وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 23]، ثم قال: يؤفك بالاعتداد بأمر القيامة من هو المأفوك، ووجه آخر وهو أن يرجع إلى قوله يختلف، وعن مثله في قوله: ينهون عن أكل وعن شرب، أي يتناهون في السمن بسبب الأكل والشرب، أي تصدر تناهيهم في السمن عنهما، وكذا يصدر إفكهم عن القول المختلف وعن ارتداد من على يأفك عنه من أفك أي يصرف الناس عنه من هو مأفوك في نفسه، وعنه أيضًا يأفك عنه أي أفك أي يصرف الفاعل عنه من هو أفك كذاب من الإفك وهو الكذب.

### ﴿قِيلَ الْخَرَّاصُونَ﴾

﴿قِيلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ [الذاريات: 10] الكذابون من أصحاب القول المختلف، دعاء عليهم بالقتل والهلاك، فيكون إنشاء أي اللهم اقتلهم وأهلكهم، أجرى اللعن أي لعن الله عليهم وبعدهم من رحمته بعد قتلهم.

### ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرٍو سَاهُونَ﴾

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرٍو﴾ أي منغمسون في جهل تغمر منهم وتراهم ﴿سَاهُونَ﴾ [الذاريات: 11] غافلون عن الله وأحكامه التي قد أمروا بها.

### ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ﴾

﴿يَسْأَلُونَ﴾ عن محمد ونعته وحكمه وبما جاء به، فقد كذبوه وكل ما أخبر عنه من أحوال القيامة بحال ﴿أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الذاريات: 12] ويوم البعث والقيامة، أي متى يقع يوم الجزاء.

### ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: 13] يحترقون، جواب القسم، أي يقع لهم يومهم في ذلك اليوم يفتنون يقومون بالإشراف على النار، نصب اليوم بفعل مضمير يدل عليه السؤال أي يقع ويجوز أن يكون مفتوحًا لإضافته إلى غير متمكن وهو الجملة منصوبًا بالمحل المضممر ومرفوعه: يوم هم فيه على الناس يفتنون.

﴿ذُوقُوا فَنَّتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿ذُوقُوا فَنَّتَكُمْ﴾ على القول المضمّر ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات : 14] هذا اليوم وعذابه ويجوز أن يكون بدلًا من فتنتكم .

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَأَخِذِينَ مَا ءَأَنَّهُمْ رِئُوسٌ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات : 15] تعريض وتزعيم لهم وترغيب للمؤمنين ﴿ءَأَخِذِينَ﴾ قابلين ﴿مَا ءَأَنَّهُمْ رِئُوسٌ﴾ أعطاهم راضين به ، مرضيين عند ربهم ، فتلقوا له بحسن القبول ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ القبول والتلقي والإعطاء ﴿مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات : 16] قد أحسنوا ، وما صلة أو موصولة أو مصدرية . أما على الأول فلا أنهم ﴿كَانُوا﴾ في الدنيا ينامون ﴿قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ وبعضًا منه يقومون الليل ، وعلى الثاني والثالث كان هجوعهم في قليل من الليل أو كان ﴿مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات : 17] فيه من الليل قليلًا ، ولا يجوز أن تكون نافية لأن ما بعدها لا يعمل فيما قبلها ، وفيه إشارة ودليل على قلة منامهم وقلة كلامهم ، وندرة طعامهم ، وعلى الذكر بدوامهم وعلى الصلاة بقيامهم ، وعلى الصيام بإقدامهم ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا .

﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات : 18] أي والحال أنهم مع قلة تهجعهم يستكثرون في الأسحار الطاعات ويستغفرون الله بخلوص النيات وخصوص الأمانيات ونصوص الطويات ، فإنهم إذا دخلوا في الأسحار والأجزاء الأخيرة من الليل القريبة بالأنهار بعد الأفجار يشتغلون بعد كثرة الأذكار بالابتهاال وبالاستغفار في حضرته لدى أداء لطائف مقتضيات الأطوار في الأدوار والأكوار ، وإنما مدحهم بقلة الهجوع دون كثرة السهر تنبيهاً على أن نومهم أيضًا عبادة وصدقة .

قال النبي ﷺ لأبي ذر : «يا أبا ذر الفقراء ضحكهم عبادة ، ومزاجهم تسييح ، ونومهم صدقة ، ينظر الله تعالى إليهم كل يوم ثلاث مرات» .



### ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ﴾ (١٩)

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ﴾ من المأكولات والمشروبات والملبوسات وغير ذلك مما يحتاج إليه الإنسان في حفظ الحياة وصيانة الصحة ودفع المضارّ ودفع البليات ﴿حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ﴾ [الذاريات: 19] المتردّد بالأبواب الذي لا نطق له في الطلب والسؤال أو الكلاب والهرّات، أو المراد بالمحروم الفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض، ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِن تَعَفُّفٍ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَتِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: 273].

### ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ (٢٠)

﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ وعليها ﴿آيَاتٌ﴾ وعلامات ودلائل وأمارات بقيد ﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: 20] أي لأهل الأعيان وأرباب اليقين للاستدلال على الصانع وعلى كمال قدرته ووفور حكمته، أي في تبدل أحوال الأرض من النشوء والنماء وفي صفائها وقوتها أو ضعفها بأن بعضها مسخ وبعضها حجر وبعضها طين ومغرق في الماء، وبعضها ينبت الزعفران والزنجبيل والفلفل وسائر البقائل، وبعضها معدن لأنواع الجواهر الشريفة كالذهب والفضة، وبعضها مؤمن وبعضها كافر وعاصٍ، وبعضها معدن للأنبياء ومدفن لهم ومسكن للأولياء والعلماء والحكماء وغير ذلك. ومن المعين أن هذا الاختلاف ليس من نفس الأرض لأنها بسيطة، والبسيطة لا يختلف اقتضاؤها بل كل ما يظهر فيه ومنه لا بد أن يكون على نهج واحد فلا بد وأن يستند إلى الفاعل المختار كما هو قانون الحكمة الإسلامية لا الفلاسفة الأولى والثانية، هذا ما في الآفاق.

### ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢١)

وأما في الأنفس ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [الذاريات: 21] ما في العالم الآدمي والربوبي والكوني ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: 53] الآية، فإن الإنسان لكونه مرآة للحق لا بد وأن ينعكس ويوجد ما في الحضرة الإلهية والربوبية والكونية من الكمالات الذاتية والأسمائية والأفعالية، وفي الإنسان كمالات أخرى تابعة لكمال ماهيته وهي ظهور الذات بتمام الأسماء والصفات فيه

«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أظعنني يا عبدي أجعلك مثلي، وليس لي مثلي»، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21] الحق فيكم بتمام أسمائه وصفاته وأفعاله وآثاره إفرادًا وجمعًا ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72].

### ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (٢٢)

﴿وَفِي السَّمَاءِ﴾ أي سماء الذات وسماء الأسماء وذلك الصفات ﴿رِزْقُكُمْ﴾ عقلاً وروحاً ونفساً وبدناً، والرزق ما يتقوم بالمرزوق ويقوم به ظاهراً وباطناً، صورة ومعنى، لما بين أرض القابليات وما لها من الحالات وتمام الكمالات من العلوم والإدراكات والأحوال والمقامات إشارة إلى سبب ظهورها مما كانت هي كائنة فيها وهي الذات بالأسماء والصفات، ويمكن أن يكون المراد بالسماء سحاب الأسماء الذاتية والأفعالية، ومن الرزق هو أمطار العلوم التي تظهر في كل مرتبة بيقين خاص وكونها كما تقرر أن صور الأشياء هي العلوم والإدراكات الإلهية والنسب الربانية، هذه هي الأرزاق الدنياوية ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 22] وهي الجنة التي هي على نهر السماء السابعة تحت العرش، أو المراد بالسماء هي سماء الدنيا التي نزل منها إلى الدنيا بسبب خفي ومؤكد إلى وقت معلوم.

### ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ (٢٣)

﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ أي ما توعدون به في الآخرة ثابت في علم الله وكتابه المبين وفي نفس الأمر إنه لحق جواب القسم ﴿مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ [الذاريات: 23] يعني أن ما ذكرته من الآيات والرزق الظاهر والباطن وما وعدتم به من نعيم القيامة ولذاتها ثابت ومتحقق تحقفاً يكون مثل تحقق نطقكم وتكلمكم، فإنهم غير شاكين في تحقق نطقكم وكلامكم فلا بد أن لا تشكوا في وقوع يوم الوعيد وما يقع فيه من الجنة الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية.

### ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤)

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الذاريات: 24] في الأصل مصدر يطلق على

الواحد والكثير. قيل: كانوا إثنا عشر ملكًا أو ثلاثة إسرائيل وميكائيل وإسرافيل، وإنما سموا به لأنهم كانوا على صورة الضيف ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: 24] عند الله أو عند إبراهيم أو عندهما لأنه خدمهم بنفسه وبزوجته.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ (٢٥)

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ ظرف لحديث أو لضيف ﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾ نسلّم سلامًا ﴿قَالَ سَلَّمَ﴾ مبتدأ أي سلامي ثابت عليكم (قوم) أي أنتم ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: 25] مجهولون من النكارة وهي الشيوع والانتشار الغير المعين لأنهم ما كانوا من المعارف أو من نوع الإنسان وأصنافه، أو رأى وشاهد منهم حالًا وهيئة وشكلًا خلاف شكل الإنسان فقال لهم: عرفوني من أنتم.

﴿فَرَأَىٰ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾ (٢٦)

﴿فَرَأَىٰ﴾ إبراهيم ﴿إِلَيْكَ أَهْلِيهِ﴾ وذهب إليهم خفية من الضيف، أو منه، وأبى الضيف أن يخفي أمره ويبادر إلى القرى والضيافة من غير أن يعرف به الضيف لئلا يجفه ويعذره وقد كان عامة، قال إبراهيم الخليل في ذلك اليوم ﴿فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: 26] مشوي.

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٢٧)

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ ووضعه بين أيديهم وهم غير ملتفتين إليه ولم يمدوا يداً إليه ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: 27] والهمزة للعرض والحث على الأكل على طريقة الأدب.

﴿فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (٢٨)

﴿فَأَوْحَسَ﴾ إبراهيم ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي أحسّ وشعر من الضيوف خوفًا فقالوا ردًا ومنعًا للخوف ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ منا ومن حالنا فإننا رسول الله. قيل: مسح جبريل العجل بجناحيه فقام فعرف جبريل وصاحبيه فأمن منهم ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ﴾ هو إسحاق ﴿عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: 28] قد كمل علمه شيئًا فشيئًا إلى أن بلغ.

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَوقٍ فَصَكَتُ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (٢٩)

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ﴾ [الذاريات: 29] إشارة، وقيل: هو إسماعيل وامرأته هاجر

﴿ فِي صَرْفٍ ﴾ في صريحة في ربح صرصر منصوب المحل على الحال أو المفعول الأول لأقبلت ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ أي لظمت بأطراف الأصابع وجهها من الحياء . قيل : وجدت حرارة دم الحيض فضربت وجهها تعجباً وحياء ﴿ وَقَالَتْ ﴾ امرأة إبراهيم والحالة هذه ﴿ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ [الذاريات : 29] عاقر فكيف يكون لي ولد .

﴿ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٠)

﴿ قَالُوا ﴾ أي الملائكة للمرأة : أنت ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي مثل الولد الذي بشرناك به ﴿ قَالَ رَبُّكَ ﴾ يا امرأة إبراهيم ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ ﴾ ما قال الله وما يقول فهو واقع وثابت لأنه حكيم يعلم الأشياء على ما هي في نفس الأمر ويعقل على ما ينبغي لما ينبغي ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ [الذاريات : 30] بحقائق الأشياء وأحوالها ولوازمها وخصائصها وأوقات تحققها وشرائطها، ورفع ما هو يعرف، فيكون قوله حقاً وحكمةً وعدلاً وصدقاً .

﴿ قَالُوا مَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٣١)

﴿ قَالُوا ﴾ إبراهيم للملائكة المرسلة ﴿ مَا خَطْبُكُمْ ﴾ وشأنكم وأمركم وبغيتكم ﴿ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ [الذاريات : 31] لما علم إبراهيم أنهم ملائكة مرسله أرسلهم الله لحكمة عظيمة ومصالحة عميمة كليتة جسيمة ، وما أنزلهم الله جميعاً إلا لأمر خطير وشأن كبير .

﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ (٣٢)

﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ [الذاريات : 32] يعملون عملاً قبيحاً وفعالاً مكروهاً وقبيحاً صريحاً، يعنون قوم لوط .

﴿ لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ (٣٣)

﴿ لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِجَارَةً ﴾ يكون أصلها ومادتها ﴿ مِّن طِينٍ ﴾ [الذاريات : 33] قد صلب و متن وتحتجر يعني السجيل فإنه طين مدحرج متحجر صلب متصلد .

﴿ مُّسَوِّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ (٣٤)

﴿ مُّسَوِّمَةٌ ﴾ [الذاريات : 34] معلّمة من السومة وهي العلامة التي وُضِعَتْ على كل واحد منها وكتب عليها اسم ملك من ملائكة العذاب، أو علّمت بأنها من

حجارة العذاب . وقيل : بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الذاريات : 34] المجاوزين الحد في الفجور في الطور العرضي .

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥)

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ في قرية لوط ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات : 35] وهم لوط ومن آمن به من قومه .

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٦)

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات : 36] استدل به على اتحادهما ولكنه ضعيف لأن ذلك يقتضي صدق المفهوم الموافق والمخالف على دأب واحدة .

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٣٧)

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾ وعلامة دالة على كمال قدرته وشدة سخطه وقوة غضبه ونعمته ، أو على نزول البلية وهو العذاب والفتنة الجليلة حال كونها مخصوصة ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الذاريات : 37] وهم المؤمنون المعترفون بوحدانيته وكمال قدرته وعموم إرادته ومشيتته .

### مطلب نزول الجبل في زمان المصنّف

واعلم أنها قد دلت الشواهد النقلية والقواعد العقلية على جواز الأمور المذكورة ، فقد كتب الإمام الصادق قدس سره العزيز كتاباً مشتملاً على ثمان وعشرين باباً في بيان الحوادث اليومية كنزول الأحجار والصفدعة وغير ذلك من السماء ، وقد نزل وهبط في زماننا هذا في تاريخ سنة (878) جبل بين الطوالش وشيروان وكنت في ذلك الزمان في بلدة الشارابية بتبريز وتواترت الأخبار بوقوعه بأصوله وفروعه .

رأيت شخصاً صديقاً طالباً للمصنّف أخبرني بأني وصلت إلى هذا الجبل ووجدت فيه جوهر يشبه الزرنينخ المصعد في المرتبة الثانية والمرنشيشا ، فأرانيه فرأيته كما أخبر عنه . وأما الذي قد دلت القاعدة الحكيمة على صحته أن الأجزاء الماهية والهوائية إذا اختلطت وارتفعت في الجو صارت سحاباً ، فلما [صارت]

إلى كرة البحار والزهمير ثقلت الأجزاء الهوائية المخلوطة بالأجزاء الواشمة المائية وانقلبت ماء مخصصة منشئة، ولما كانت الأجزاء المجتمعة في كل حصة متشابهة متساوية الطبيعة والقوة، ومالت إلى أحيازها الطبيعية ومركز العالم وتحركت، حصلت لكل واحدة منها هيئة مستديرة وصورة كرية وأصابها البرد وصارت برودة ونزلت، وإذا أصابها البرد قبل الاجتماع صارت ثلجًا، وإذا لم يصبها البرد وكانت على تفرقتها وتشتتها وتراكت من غير اجتماع نزلت ضبابًا، ولو اجتمعت ثم نزلت صارت مطرًا، ولو اجتمعت الأجزاء الدخانية المختلطة بالأجزاء النارية والهوائية والترابية وتساعدت إلى الجو فلما وصلت إلى الهواء المسخنة وتفرقت الأجزاء النارية والهوائية منها وبقيت الأجزاء المائية والترابية واختلطت اختلاطًا كاملاً نظمت منه لما كانت متساوية الاقتضاء ومتشابهة الأجزاء، عرضت لها هيئة مستديرة وصورة كرية، فلما تكامل مكثها في الجو تحجرت، وإذا أراد الله بقوم سوءًا وهلاكًا أمطرها عليهم حجارة، وقد يرد على القاعدة الحكمية أن الأجزاء الطبيعية كيف تقف وتسكن في الجو وقد بطلت الحركة إلى المركز.

وأما على القاعدة النقلية الإسلامية فقد تقرر أن الله قد وكل بكل جزء من الأجزاء العنصرية وكذلك الفلكية ملكًا يضبطها ويحفظها، قال النبي ﷺ: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، إن السماء أظت وحق لها أن تتط وليس فيها موضع إصبع إلا وفيها ملك واضع جبهته ساجد لله عز وجل» الحديث إلخ. وكذا بكل شيء من الأشياء وكل الله وسلط عليه ملكًا، وهو كما علمت من ملكوت الأشياء، «فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» [يس: 83]. وقال النبي ﷺ: «جائني ملك الأشجار وملك الأنهار وملك الأمطار»، وقد مر بيان أن كل حجر قد كتب عليه اسم ملك من ملائكة العذاب.

﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ﴾ [الذاريات: 38] عطف على وفي الأرض أو على ﴿وَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الذاريات: 37] إذ أرسلنا ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ظرف لجعلنا المقدر، يعني وتركنا فيها وجعلنا في موسى أنه وقت إرسالنا ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الذاريات: 38] وبرهان ظاهر متين وهو معجزاته كالعصا والظوفان والجراد والضفادع والقمل وغير ذلك.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرْكَيْهِ ۖ وَقَالَ سَجْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾﴾

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرْكَيْهِ﴾ أي أعرض الفرعون عن الإيمان، كفر ونأى بجانبه أو تقوى مما كان يتقوى به ﴿وَقَالَ﴾ هو ﴿سَجْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: 39] كأنه جعل ما ظهر من موسى عليه السلام من الخوارق منسوباً إلى الجنة والسحر ثم تردّد في أنه حمل ذلك باختياره وسعته أو بغيرهما .

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ وأطرحناهم وألقينا بهم بأجمعهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ فأغرقتناهم في البحر، وهو نيل مصر ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الذاريات: 40] لومه ويغطيه الإيلام وتسلط عليه وجنوده وأتباعه بما يلائمه من الكفر والعناد، والجملة حالية من مضمّر فأخذناه .

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا﴾ عطف على (وفي موسى) ﴿عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: 41] سماها عقيماً لأنه أهلكهم وقطع دابرهم، أو لأنها لم تتضمن معرفة وسوق وسجية لأنها تهب من مصاقع العرب وهو الدبور، ومقاطع الجنوب وهي تخالف الحياة الحقيقية وهي العلوم الحقيقية والمعارف الإلهية .

﴿مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿مَا نَذَرُ﴾ وتترك ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ من الأشياء ﴿أَنْتَ عَلَيْهِ﴾ ومرت وهفت وعزت لديه ﴿إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ﴾ [الذاريات: 42] بيان حال هذه الريح التي هبت من تهادي النفس ومغارب عالم الحس، فإنها تصير مزارع العلوم الروحانية وأثمار الجواهر النورية، منه رم يرم إذا بلي وتفتت من البدن وأجزائه وأعضائه من اللحوم والعظام والشحوم والعروق والأعصاب والأيدي والأقدام وغير ذلك من الأشجار والنبات والأحجار وصارت كالرمام .

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَفِي ثَمُودَ﴾ أي قوم ثمود ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ [الذاريات: 43] أولها بل هو الله

والملائكة التي وكلهم الله عليه ﴿تَمَعُّوْا﴾ أو تغشوا واستمعوا ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الذَّارِيَّاتُ: 43] أي وقت معيَّن وهو ثلاثة أيام.

﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (٤٤)

﴿فَعَتَوْا﴾ وعصوا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ واستكبروا عن امتثال أمر الله واستنكفوا واستنكروا الانتهاء عن المناهي ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ﴾ والعذاب بعد الموعد وهو الثلاث ﴿وَهُمْ﴾ بعد هذا الزمان والوقت ﴿يَنْظُرُونَ﴾ [الذَّارِيَّاتُ: 44] إليها لأنها جاءتهم بالنهار معاينة.

﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ﴾ (٤٥)

﴿فَمَا اسْتَطَعُوا﴾ ولا اقتدروا ﴿مِنْ قِيَامٍ﴾ ليفروا منها ويأووا إلى مؤمن متين وحصن حصين عنها ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ﴾ [الذَّارِيَّاتُ: 45] ممتنعين.

﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٤٦)

﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ﴾ أي أهلكننا قوم نوح أو ذكر خبر إهلاكهم وكيفية إغراقهم، ويجوز أن يكون عظيمًا على محل في عاد، ويؤيده قراءة عمرو وحمزة والكسائي بالضم لأن محله مرفوع لعطفه على وفي الأرض له وهو مرفوع الفعل ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ أي قبل هؤلاء المذكورين ﴿إِيَّاهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الذَّارِيَّاتُ: 46] خارجين عن حد الاستقامة بالكفر والطغيان وترك الطاعات والإيمان.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٤٧)

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ وكمال قدرة ووفور قوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذَّارِيَّاتُ: 47] قادرون، من الموسع وهو القوة والطاقة الكاملة على بناء السماء وخلقها، وتكرار بناء السماء إما إشارة إلى الأدوار وكثرة اقتضائها وهو خلق السماوات لما مر من أن لكل دورة اقتضاء خاصًا وهو بناء السماوات.

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ (٤٨)

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ مهدناها وبسطناها لتستقروا عليها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الذَّارِيَّاتُ: 48] نحن، ماهدون فاعله، والمخصوص بالمدح محذوف.



### ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٩)

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: 49] ظاهرين من اسمين متقابلين هما توأمين لفسادهما وهما الجمال والجلال وهما مظهران لمفهوم مطلق الوجود والذات البحت، فالجمال مظهر الوجود والذات، والجلال مظهر المطلق والبحت المترادفين، ومفهومهما العدم والجمال والجلال يقتضيان في الآفاق أن يكون مظهرًا هما أشياء مزوجة مما قال: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [التبّٰ: 8] وفي الأنفس بأجناد وهو أن يكون مظهر أحدهما ظاهرًا ومظهر الآخر باطنًا كما إذا كانت الفردانية للجمال كمون مظهره ظاهرًا ومظهر الجلال سرًا وباطنًا. وإذا كانت الفردانية للجلال لكان الأمر بالعكس، كما ورد في الحديث: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي لا يأمرني إلا بالإيمان»، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: 49] تتعظون وتتفطنون في خلقتكم بأنكم حظًا من الجمال والجلال ظاهرًا وباطنًا وسرًا وعلانية مزوجة في الآفاق والأنفس، وأن الله تعالى منزّه عن الازدواج والتركيب والامتزاج.

### ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٥٠)

﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ في جميع الأحوال وعموم الأدوار وكل الأطوار من عقابه وشدة عقابه إلى كمال ثوابه وحسن جوابه بالإيمان وتمام الإتيان في الأعمال والإيقان، وفي التوحيد الذاتي والأسمائي والأفعالي والآثاري والجمالي والجلالي الإفرادي والجمعي على سعة طاعته في أطوار الأدوار والأكوار ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: 50] من عقابه وشدة عذابه.

### ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٥١)

﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ﴾ أي الذات الجامعة لجميع الأسماء والصفات الذاتية والأفعالية والآثارية في الأدوار والأكوار في كل الأطوار ﴿إِلَهًا آخَرَ﴾ [الذاريات: 51] مطلقًا لا بتلك الجامعة ولا غيرها لامتناعه في حد ذاته كما دلت عليه الشواهد العقلية والمعاهد الثقيلة والكثيف الصحيح والشهود الصريح في جميع

الأدوار النورية والأكوار الظلية ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ﴾ أي حصل لي من الله لأجلكم ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: 51].

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿٥٢﴾  
 ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ما قالوا، أكد بانتساب الجنة والسحر إليك ﴿مَا أَتَى﴾ أي ما جاء القوم ﴿الَّذِينَ﴾ كانوا ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي من قبل قوم محمد ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ فاعل أتى، (ومن) لتأكيد النفي والاستغراق أي ما جاء القوم الذين تقدموا على قومك رسول أصلاً ﴿إِلَّا قَالُوا﴾ في نفيهم أنهم ليسوا برسول ولا نبي بل هو ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: 52].

﴿أَتَوَصَّوْا بِهِءَ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ﴾ ﴿٥٣﴾

﴿أَتَوَصَّوْا بِهِءَ﴾ أي أوصى بعضهم بعضاً بهذا القول حتى قالوا ما قالوا من نفي الأنبياء قاطبة ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ﴾ [الذاريات: 53] ضالون مضلون من جملة مقالات الكفار والأضراب للترقي من التواصي إشعار بأنهم بأسرهم مشركون في أمر الكفر والإشراك.

﴿فَقَوْلٌ عَنَّهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ ﴿٥٤﴾

﴿فَقَوْلٌ عَنَّهُمْ﴾ الرسول وأعرض أي الأنبياء عن مجادلتهم وعبادتهم وسوء مقالته بعد أن كرر عليهم الدعوة إلى الله فأبوا وانشقوا من قبولها وما ظهر منهم من الإضراب والعتاب، ويحتمل أن يكون توارداً من يتولى ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: 54] ومطعون ومذموم على إعراضهم بعدما بذلت جهدك واستفرغت قوتك في دعوتهم.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٥﴾

﴿وَذَكِّرْ﴾ وعظ على هؤلاء بلا فترة وانقطاع ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55] بالله وبما جاء منه، فإن الإيمان يمددهم ويعينهم على قبول الذكر والنصيحة والموعظة فازدادوا إيماناً وهداية وثباتاً واستقامة.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ﴾ [الذاريات: 56] في الأدوار والأكوار، والمراد

بالجن ما عدا الإنس يشمل جميع المخلوقات إذ الغرض من خلق الجميع هو المعرفة الناشئة من العبودية «وكنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف»، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُون﴾ [الذاريات: 56] أي يعرفوني في تمام الأدوار والأكوار بطريق العبودية بالوجوه المختلفة والطرق المتغايرة، إذ المعرفة الكاملة والمشاهدة الشاملة العاملة لا تتأتى إلا بالعبادة العامة والطاعة التامة، فإن بينهما تلازم كلي وتلاطم أصلي وتراكم أزلي كما يشعر به اتحاد العلم والعمل في جو من الخوف.

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ في الدورة النورية ﴿وَمَا أُرِيدُ﴾ في الكورة الجلالية ﴿أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ [الذاريات: 57] بكسر النون فيهما دلالة على أن الباء في الموضوعين محذوف إشارة إلى أن أصل المعرفة والعبادة في الدورتين مخفي لا يطلع عليهما أحد إلا الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ﴿٥٨﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ أعيان الأدوار كلها ظاهرًا وباطنًا وأكوان الأكوار ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ الكاملة في الأدوار ﴿الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 58] في الأكوار في الأول يرزق الوجود بالإضافات وما يتبعه من الجواهر النورية والفواخر البرزخية والمثل الشبحية بالعلوم والإدراكات والشعور بالمشاعر الغيبية والأعيان الشهادية فما كان مبادئ الإدراكات الحسية فبالشعور والإحساسات، وما لم يكن كذلك كالأجسام الفانية فبالشؤونات الواردة المتبدلة الأشكال والإضافات المتجددة بالأمثال، الممتدة بتواتر الأحوال. والبعض قد ذهب بأنه دور اختص بالأعراض ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: 45] ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29]، ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15]، ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَسَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: 115] هذا في البسائط.

وأما رزق المركبات فالذي قريب العهد بالبسائط فرزقه وغذاؤه ليس رزق البسائط بل هو بشيء آخر، وهكذا يتزايد العبد في الترزق إلى أن يبلغ إلى النهاية وهو رزق بدن الظاهر. هذا هو بيان الرزق الإلهي للممكنات، وأما إذا كانت الممكنات بأسرها غذاءً ورزقًا للوجود المطلق فهو رجوعها وعودها إلى ما كانت

هي عليه من الإطلاق ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ بِمِقْدَارِهِ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: 5].

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ﴾ (٥٩)

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الرسل بالتكذيب والإهانة ومنعهم الذين أرادوا إجابة دعوتهم ذنوبًا وعصيانًا ﴿ذُنُوبًا﴾ تكون ﴿مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ في الكمية والكيفية لاتباعهم واقتدائهم بهم وهم الرؤساء والأصول ﴿فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ﴾ [الذاريات: 59] جواب ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: 48].

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (٦٠)

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالبعث والحشر والنشر في يوم القيامة وما يظهر فيها من الجنة والنار ﴿مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: 60] يعني من يوم القيامة أو يوم بدر، وإنما أضافه إليهم لأن أحوالهم إنما تظهر فيه وهذه الإضافة لتحقيق أمرهم وتقبيح أحوالهم وتغييرهم.

عن النبي ﷺ: «مَنْ قرأ سورة (والذاريات) أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ربح هبت وجرت في الدنيا».

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل طور السر والفؤاد مجلى التجليات الآثرية ومحلاً لظهور أنوار الأسرار الإلهية ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي طوّر أنوار طور الطور العلي، وصيّر صور حقائق الكيفيات الدورية مسطورة في الرق الغيبي المنشور ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي عين البيت المعمور، والذي هو اللطيفة الإلهية والحقيقة الربانية مهبط أملاك المعارف الأزلية والعلوم الأولية.

### ﴿وَالطُّورِ﴾

﴿وَالطُّورِ﴾ [الطور: 1] وهو جبل كان موسى عليه يرتقي ويتصعد إليه للمناجاة بالله لإنجاح الحوائج.

### ﴿وَكُتُبٍ مَّسْطُورٍ﴾

﴿وَكُتُبٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور: 2] في اللوح المحفوظ أو كتاب النورية الذي نزل على موسى في الطور وهو طور سنّي، وبين أو كتاب كتب الله فيه أعمال الخلق والفرقان المنزل على محمد ﷺ.

### ﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾

﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: 3] متعلق بمسطور إشارة إلى الوجود العيني الكتابي وما بينهما إشارة إلى الوجود اللفظي والذهني ونفس الأمر.

### ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطور: 4] هو بيت في السماء العليا عند العرش يطوف به جم غفير من الملائكة، أو بيت الله المعمور الذي هو معمور بالحجاج والطائفين به العاكفين دونه .

### ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ [الطور: 5] هو السماء الذي بناها الله ورفع سمكها وسواها في الأدوار في كل دورة بهية ونعت تناسبها .

### ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: 6] هو المملوء والموقد نارًا، يقال: سجر التنور إذا أوقد نارًا. قيل: هو البحر المملوء ماءً مملوحًا وهو بحر معروف يسمى بحر الحيوان، ولشرف هذه الأماكن الثلاثة أقسم الله بها .

أما البيت المعمور فهو موقف محمد ﷺ في المعراج حيث خاطبه الله تعالى بقوله: سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

أما طور فهو موقف موسى عليه السلام ومحل كلامه بالله ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُنَا تُضَلُّ بِهَا مَن نَّشَاءُ وَتَهْدَى مَن نَّشَاءُ﴾ [الأعراف: 155] .

أما البحر المسجور فهو مسكن يونس عليه السلام حيث نادى الله: ﴿سُبْحٰنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87] وتنكير الكتاب وتعريف حاشيته للإشعار بأن لكل نبي كتابًا، وهذه الأماكن معينة والكتاب نكرة مشتركة، هذا في طور الآفاق .

وأما في طور الأنفس فالطور عبارة عن الطور السري الذي هو مرقى موسى الطور الروحي مرتبة الطور النفسي بشهود التجلي الفعلي وتوحيده، والكتاب هو الطور الجمعي بين كل الأطوار السبعة التي يتصاعد إليها صور الأعمال ومعاني الأقوال وحقائق الأحوال ودقائق الأفعال وشقائق العلوم والإدراكات والمعارف الإلهية وأنوار المقامات القلبية وأسرار الوظائف الغيبية من أرض الاستعدادات

الذاتية ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10].

ثم نزلت تلك المعاني من سماء الأحدية الجمعية والوحدة الذاتية التي هي مرجع وموضع تعانق الأطراف ومجمع تمام البرازخ والأعراف، وتمام السبل إلى مجمع مجرى الغيب والشهادة، وهو طور كمال جمعية الناسوت التي تعانقت واجتمعت فيها تمام الأطراف من التفصيل والإجمال ومقتضيات الجمال والوجود ومرتضيات العدم والجلال بكمال المشاهدة والشهود، وهي أحدية الجمعية الناسوتية.

ثم تنتقل تلك المعاني إلى حريم اللاهوت والأحدية الذاتية إن استكملت واستعدت في حد ذاتها وتجردت عن القيود وعن تمام الجهات والحدود، ثم ينزل منها اللاهوت إلى الجبروت ومنه إلى الملكوت، ومنه إلى عالم البرزخ إلى الملك والناسوت، ويتصاعد منه أسفل سافل الناسوت إلى الأطوار واحد بعد واحد إلى أن ينتهي إلى غيب الغيوب، وأنت خبير بأن الأول من مقتضيات جمعية الأدوار وجمعية الأكوار، والثانية من أدوار العارفين في طور السر إلى الله ومن الله، والأولى إنما تكون في أمر في الله، قال الصادق عليه السلام: «الطور كلام الله، والكتاب خليل الله، والمسطور أنبياء الله، ورق منشور عيسى عليه السلام، والبيت المعمور فاطمة الزهراء، والسقف المرفوع علي المرتضى، والبحر المسجور محمد المصطفى عليه وعليهم السلام، المستتاب بك عن أمتك، ما له دافع من الله لو توجه إليهم ويرجع إليك». وقال الصادق: «ليس في القرآن آية بهذه الأمة من هذه الأمة».

قال محمد الباقر عليه السلام: «الطور أبو بكر الصديق، وكتاب مسطور عمر الفاروق، ورق منشور عثمان بن عفان، والبيت المعمور علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين عمره بخراجه على الامتداد، والسقف المرفوع الحسن، والبحر المسجور الحسين، أقسم الله بجميع الصحابة وأهل بيت المصطفى ﷺ بأن عذاب الشقاوة واقع عن أمتك ومدرك لأهل القطيعة منهم».

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ [الطور: الآيتان 7، 8] هذه النار

التي كنتم بها تكذبون، وهم الذين يقولون إن المصطفى ﷺ ساحر، فيقول لهم يوم القيامة: أسحر هذا أم لا تبصرون هو جزاؤكم بما كنتم تعملون. ويقال: مثل الكافر مع المصطفى ﷺ كمثل الأعمى يسمع صوتاً ولا ينظر شيئاً.

انظر يا أيها المنصف المتصف بكمال العدل والإنصاف إن اعتقاد معظم أهل بيت رسول الله ﷺ في حق أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم هكذا، وأن الطائفة المبتدعة التي هي الروافض - أصلح الله شأنهم - يسبونهم وينسبونهم إلى ما لا يليق بأدنى أحد من المؤمنين، ويجعلونهم مادة الفتنة والطعن والتكفير زمانهم الوهن في الدين وطعنًا ولومًا على أرباب اليقين ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: الآية 7]، هذا ما نقلت من كتاب تأويلات منسوب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام وأمثال هذا الكلام في حق الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم كثير.

### ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: 9] أي تضطرب اضطرابًا من المور وهو التردد كاضطراب في المشي للتكدي وطلب المعاش.

### ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا﴾

﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا﴾ [الطور: 10] عن وجه الأرض فتصير هباء منثورًا وذلك لدى انتقال فردارية حكم الله والتربية من دورة إلى دورة أخرى ومن مرتبة إلى مرتبة أخرى فحينئذ ترجع وتعود أعيان الدورة السابقة لانقطاع المدد الوجودي والفيض الجودي بارتفاع اقتضاء الرب الجمالي المخصوص، فإظهار ارتضاء الجلالي إلى أصولهم وهي الجواهر الفردة السماوية والجواهر الهيامة الأرضية بتبدل السماوات والأرض سماء جلالية وأرض ظلّية عدمية بعكس السماوات والأرض النورية الجمالية الوجودية ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48]، فإن سماء الدورة النورية الجمالية ترى فوق الأرض تحتًا، وأما سماء الدورة الظلية الجلالية بالعكس، يعني ترى السماء فيها تحتًا والأرض فوقًا كما في الإناء المملوء والأحواض، فإن السماء وما فيها من الكواكب والأرض وما عليها يشاهد بالعكس، فترى السماء والكواكب منتكسة والأرض وما عليها من



الأشجار وما يتصل بها من الأصول، فالأولى ترى منكسة والثانية مستعلية .

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكذِبِينَ﴾ (١١)

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكذِبِينَ﴾ [الطور: 11] يوم القيامة وما فيه من البعث والحشر والنشر والجنة والنار .

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ (١٢)

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ﴾ في أمر باطل وشيء عاطل ﴿يَلْعَبُونَ﴾ [الطور: 12] يشغلون بما لا يعني وأمر لا ينبغي ولا ينفي ففات منه ما ينبغي وينقى من اشتغل بما لا يعنيه، فإنه ما يعينه .

﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ (١٣)

﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾ [الطور: 13] أي تدفعون إليها وتطرحون فيها بعنف وغاية خوف، وذلك بأن تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم بأقدامهم فيدفعون إلى النار، فيقال لهم في هذه الحالة :

﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ﴾ (١٤)

﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ﴾ [الطور: 14] في دار الدنيا .

﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا بُصِيرُونَ﴾ (١٥)

﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ [الطور: 15] أي كنتم تقولون الوحي هذا، فهذا المصداق أيضاً سحر وتقديم الخبر لأن المقصود الإنكار والتوبيخ والتغيير ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا بُصِيرُونَ﴾ [الطور: 15] أي ممتنع منكم الرؤية والإبصار ليتحقق منكم الأمر إلا من يرى معكم شيئاً ولا يكون الأمر على ما يراه، وذلك يكون لأجل أحد الأمرين: إما إلى المرئي، وإما إلى الرائي، والاستفهام للإنكار أي هذا ليس بسحر بل هو وحي حق جاء بالحق من الحق إلا أنكم لا ترون الحق لأنكم معاندون .

﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٦)

﴿أَصْلَوْهَا﴾ [الطور: 16] فجزاؤكم في إنكار الحق أن تؤمروا بدخول النار، أي

قيل لكم: ادخلوا في النار جزاء لكم فإنكم تشاهدون انشقاق القمر وغيره من المعجزات وتنكرونها وتقولون: هذا سحر أم قد سحرت أبصارنا ﴿فَاصْبِرُوا﴾ في هذا اليوم يا معاشر الكفار ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ أي استوى هوان الأمران في هذا اليوم إذ لا مختص في هذا اليوم ولا مخلص عنها أبداً ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ الأمران المذكوران في عدم النفع ﴿إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: 16] تعليل الاستواء، فإنه لما كان الجزاء واجب الوقوع فالصبر وعدمه في منعه سيان وفي دفعه شيء واحد لا شيان.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ ﴿١٧﴾

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ [الطور: 17] أية جنة وأي نعيم مخصوصين بهم يصيبه الحمل على طريق التفصيل.

﴿فَكَفَّهِينَ يَمَاءً أَنَّهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّهَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ﴿١٨﴾

﴿فَكَفَّهِينَ﴾ قرئ بالنصب والرفع، أما النصب فعلى الفاعلية من فاعل الظرف وجعل الظرف مستقر، وعلى الثاني خبر والظرف أي ملتذين ومتنعمين ﴿يَمَاءً أَنَّهُمْ رَبُّهُمْ﴾ متعلق بفكفهم على التقديرين ﴿وَوَقَّهَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الطور: 18] عطف على ما آتاهم أي جعل (ما) مصدرية أو على جنات أو حال على تقدير قدمه المستكن في الظرف أو من فاعل (أتى).

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٩﴾

فيقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أكلاً وشرباً ﴿هَنِيئًا﴾ سهل الانحدار بلا تنغيص ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: 19] أي بسبب خلوص عملكم وحسن فعلكم.

﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ ﴿٢٠﴾

﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ﴾ جمع سرير وهو الغرفة والعرش والأريكة مما يرفع من الأرض ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾ مصطفة ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: 20] عطف على حور أي قرنائهم بحور وبالذين آمنوا أي بالرفقاء الملائكة والجلساء الموافقة المطبوعة التي شرب نفوسهم بلقائهم فيتمتعون وينتفعون تارة بلقاء الإخوان والأحباء المؤمنين وتارة بمعاشرة الحور والولدان.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ﴾ فاعل الفعل ﴿بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بسبب الإيمان الذي يقتضي رفعة الدرجة وعلو المرتبة وتوثر فيهم وتصحح نسبتهم بهم ولذا سقط الكافر من درجته وحرموا على الإرث إشارة إلى شفقة الأبوة كما هي متوفرة كذلك في الآخرة، ولهذا طيب الله تعالى قلب عباده ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ﴾ وما نقصناهم من ثواب عملهم وجزاء حسن فعلهم وقولهم ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ قليل ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: 21] كل عامل بما اكتسب من الأعمال مرهون عند الله، فإن عمل عملاً صالحاً فلها وإلا أهلكها.

﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ﴾ وزدناهم وأضعفناهم ﴿بِفِكَهَةٍ﴾ متنوعة وأثمار متفرقة ﴿وَلَحْمٍ﴾ طير ﴿مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور: 22] وقتاً بعد وقت بلا انقطاع.

﴿يَنْزُرُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿يَنْزُرُونَ فِيهَا﴾ أي يتقاتلون، ويمكن أن يقال: التنازع التحدّث، فتحادثهم بحادث ملاطفة وملاعبة، وفيه نوع لذة، فيتعاطفون ويتعاورون جلساءهم من أقربائهم وأبنائهم وإخوانهم ﴿كَأْسًا﴾ فيه خمر من شأنها لا لغو فيه ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا﴾ أي كلام لا معنى له كما هو شأن أهل الشرب في الدنيا فإنهم يتحدثون بحديث لا طائل تحته ويعربدون عربدة قبيحة ويتكلمون بكلمات وقيحة ﴿وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ [الطور: 23] إثم ومعصية.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زُلَمَانٌ لَهُمْ كَأْتِيمٌ لَوْلَوْ مَكُونٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ وتدور لديهم ﴿زُلَمَانٌ لَهُمْ﴾ أي ولدان هم مماليكهم مخصوصون بهم. وقيل: هم أولادهم يسقوهم كما قيل إن الحور العين هن نساءكم العجزة، وليس هذا مانعة الجمع بل مانعة الخلق ﴿كَأْتِيمٌ لَوْلَوْ مَكُونٌ﴾ [الطور: 24] مستور ومكمون في الصدف من بياضهم وصفاتهم. قيل لعبادة هذا الخادم: كيف المخدوم؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن فضل

المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» .

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٢٥)

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الطور: 25] يسأل بعضهم بعضًا عن أحواله وأعماله وأفعاله .

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ (٢٦)

﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾ هذه الحالات في الدنيا في أهلنا وأولادنا وأقاربنا ﴿فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: 26] أرقاء القلوب مترفقين، أصفياء القلوب مترفعين عن النقايس والعيوب من خشية الله وكمال المودة الكائنة بين المحب والمحبوب .

﴿فَمَرَّتْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ (٢٧)

﴿فَمَرَّتْ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ وأنعمنا بكامل نعمته ووفور رحمته ورأفته علينا ﴿وَوَقَدْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ [الطور: 27] عذاب النار التي تتحد في العروق وأقاصي البدن وأعماقها والشقوق، كما شأن ريح السموم السارية في جميع أجزاء البدن على الخصوص والعموم .

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ (٢٨)

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾ أي قبل لقاء الله والمصير إليه في الدنيا والنشأة الأولى ﴿نَدْعُوهُ﴾ ونعبده بكامل العبادة بحسن توفيقه ونحن مع كثرة المعاصي والذنوب محور رحمته وإحسانه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: 28] أي المحسن كثير الرحمة كبير النعمة .

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (٢٩)

﴿فَذَكِّرْ﴾ وتوعظ وتنصح وتثبت على الفكرة في التذكر وقبول النصيحة والموعظة الحسنة، ولا يثبطك ويمنعك قولهم وطعنهم فيك بأنك كاهن وساحر ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ وبكامل عنايته وحسن توفيقه ﴿بِكَاهِنٍ﴾ من شأنه الكهانة ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: 29] لا يعرف النعمة ولا المنعم، ويجري في أحواله وأموره كالبهائم، فإن الكاهن يحتاج في كهانته إلى فطنة وبذل حدس ودقة نظر وحدة

بصر بحيث يغفل عن النعمة والمنعم، والمجنون مغطى في عقله على غفلة وجهالة واختفاء نور العقل واحتياط فهم واختلاط خيال ووهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ (٣٠)

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أن محمداً ليس نبي ولا رسول بل هو ﴿شَاعِرٌ﴾ ومثبت وساحر ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: 30] أي ننتظر أمر محمد بأن نظن ونرتاب بل نجزم بأنه سينقطع ويهلك من حوادث الزمان وحوادث الدوران، فإن ريب المنون هو الموت أو المنون هو مفعول بحق منا إذا انقطع. قيل: هو الموت قبل الموت هو الدهر والريب وحوادثه.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ﴾ (٣١)

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ وانتظروا نكبتنا وانهلا كنا ﴿فَأِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ﴾ [الطور: 31] أتربص وأنتظر هلاكهم كما تنتظرون هلاكي.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلُمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ (٣٢)

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ﴾ بالجزم بوقوع هذا الأمر ﴿أَحْلُمُهُمْ﴾ عقولهم، مجاز مرسل من باب ذكر السبب والدليل وإرادة السبب والمدلول وقريش كانوا يدعون أن نفوسهم صاحبة الحكم والنهي وكمال الفضل وحسن تدبيره في إدراك حقائق الأشياء ﴿بِهَذَا أَمْ هُمْ﴾ قريش وأعيانهم ﴿قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ [الطور: 32] قد جاوزوا حد النهي، كل شيء جاوز حده انعكس ضده، أو القول في العباد وتهيج التعيين والعناد.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٣)

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الطور: 33] بالله وبما جاء من عند الله من الكتاب والوحي والرسول فيرجون عنده الطاعة بكفرهم وعيبتهم وعنادهم والإدلال إلى كتمان الحق وإظهار الفساد ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ﴾ اختلقه واستخرجه من تلقاء نفسه ومن غيب طبيعته وجيب حسه ﴿بَلْ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٣٤)

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ [الطور: 34] أي مثل القرآن، يعني إن كان طعنكم

وجحدكم بأن محمداً اختلق القرآن واخترعه من قريحته ونفسه وغيب طبيعته وجيب حسه إثم فما لقي به أحواله وأطواره سميّه ومثله، فليأتوا بمثل ما أتى به في الطبيعة النوعية لو اقتضت أمراً نوعياً في فرد لا بد وأن يقتضي ذلك الأمر في جميع الأفراد وإلا لزم التحكم والترجيح من غير مرجح ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: 34] في دعواهم ومقالاتهم.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ لما تحقق عجزهم بالأشياء وبالمثل تحقق أنه ليس من مختلقات النبي، فلو لم يكن من الله تعالى يجب أن يكون مخلوقاً من غير شيء مع أنه ممكن لا بد وأن يكون بخلقهم علة وسبب ﴿أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: 35] قد خلقوا القرآن واخترعوه لما تحقق من الوحدة المحققة من أن كل ممكن لا بد من خالق.

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿٣٦﴾

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الطور: 36] أم منقطعة بمعنى بل في البعض وهي قرينة الهمزة للإنكار للبعث والحشر والتوحيد، وذكر الإنكار أمور بعضها ضروري القبول وهو خلقهم من التراب أولاً، ثم من النطفة والعلقة والمضغة واللحم والعظام وغير ذلك من الأعصاب والغضروف والعروق والرباطات وغير ذلك، فهذه أمور حادثة لها محدث خالق مرتب، ورابطة مركب بعضها ببعضها، وإنكار هذا مكابرة وعناد لا بد أن يسقط من درجة الاعتبار قائله. وأما خلق القرآن فليس بضروري استدلل على نفيه بقوله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ [الطور: 34].

وأما خلق السماوات والأرض فخلقهم يحتاج في إثباته إلى دلائل قاطعة ووسائل ساطعة ولهذا ذهبت طائفة من الملحدين الجاهلين بحقائق الأشياء، فإن خلقهما اتفاقي لا عن سبب وعلة، فرد الله عليهم بظهور التعريض والتوبيخ بأنهما ممكنان بالذات، وكل ممكن لا يوجد إلا بعلة وسبب وإلا لزم الترجيح والتحكم، فلو لم يكن لخلقهما سبب وعلة أفأنتم خلقتموها، وإذا ثبتت الخالقية لا بد وأن تثبت في جميع أحوال الدنيا والآخرة، بل الخلق في الآخرة أهون لوجود مادة الخلق وهي الأجزاء الأصلية المخصصة التي وضع الله منهم التماثل والجنية،

والتماثل حتى لو كان بعضها في كرة النار وبعضها في كرة الأرض إذا أراد الله أن يجمعها شاعت وتسارعت كل منها إلى ما يلزمه كما علمت في سورة (ق).

﴿بَلْ أَصْرَرْتُمْ، يَعْنِي أَنَّهُمْ نَفَوْا الْخَالْقِيَةَ إِلَى أَنْ لَوْ أوردت عليهم دلائل قاطعة وبراهين واضحة ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: 36] لا يؤمنون ولا يظهر منهم يقينهم اليقين التام والاعتقاد العام.

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمْ الْمُصِيطِرُونَ﴾ (٣٧)

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ﴾ رحمة ﴿رَيْكَ﴾ حتى يعطوا النبوة إلى داود، أو عندهم خزائن علمه حتى علموا أن الأحق بالنبوة اختياراً واتهاماً وحكمةً ومصلاًحةً ﴿أَمْ هُمْ الْمُصِيطِرُونَ﴾ [الطور: 37] الأرباب الغالبون في التدبير حتى تدبروا أمر الربوبية واتبعوا الأمور على مقتضى إرادتهم ومرضى اختيارهم ومشيتهم.

﴿أَمْ لَهُمْ سُمٌّ يُسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَاتِ مُسْتَعِمُّهُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ﴾ (٣٨)

﴿أَمْ لَهُمْ سُمٌّ﴾ ودرجة منصوبة إلى السماء حتى صعدوا إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ وسمعوا كلام الملائكة ﴿فَلَيَاتِ مُسْتَعِمُّهُمْ﴾ ما سمعوا من ملائكة السماء ﴿بِسُلْطَنِ﴾ بوجه الدليل وبرهان على ما ادعيتهم ﴿مُبِينٍ﴾ [الطور: 38] واضح وظاهر.

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ (٣٩)

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ﴾ وهذا تشنيع وتوبيخ، قالوا إن الملائكة بنات الله ﴿وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ [الطور: 39] تشبيههم وتجهيلهم وتنبيه على أن من هذا رأيه ونظره وفكره لا يعدم أولي النهى وصاحب الإدراك والعلم فضلاً أن يرقى إلى السماء وعالم الملائكة فيطلع على المغيبات.

﴿أَمْ سَأَلْتَهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّتَقَلُونَ﴾ (٤٠)

﴿أَمْ سَأَلْتَهُمْ أَجْرًا﴾ وعضاً على تبليغ الرسالة ليستنكفوا عن قبولها ﴿فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّتَقَلُونَ﴾ [الطور: 40] ليحصل لهم من التزام الغريم ثقل وكلالة وكدورة وملالة.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ (٤١)

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ [الطور: 41] الحاصل الثابت في اللوح المحفوظ من

الأحكام الغائبة والأحوال المختلفة من المشاعر الظاهرة ﴿فَهُمْ﴾ أي الكفار الجاحدون للحق ﴿يَكْتُبُونَ﴾ [الطور: 41] فيهم تلك المغتاب ويجمعون فيه لينعكس منه فيهم ما هو مسطور فيه .

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ الْمَكِيدُونَ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ حين اجتمعوا في دار النبوة صنديد قريش ليقتصدوا رسول الله ﷺ ويكيدوا كيداً إما بالإخراج أو بالإهلاك أو بالحبس والانهماك وغير ذلك ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يحتمل الخصوص والعموم، فوضع المظهر موضع المضمّر للتسجيل على كفرهم والدلالة على أنه الموجب للحكم عليهم ﴿هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ [الطور: 42] أي الذين يحيق بهم الكيد وآثاره ويعود عليهم وبال كيدهم ومكرهم ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: 43] وهو قتلهم يوماً فإنه عاد عليهم ولحق بهم ما قد قدره للنبي في دار الندوة .

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ يقيهم ويحرسهم ويحميهم عن عذابه ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: 43] عن إشراكهم أو عمل ما يشركون به .

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ ﴿٤٤﴾

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا﴾ قطعة ﴿مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ لخلوها عن حفظ المقتضى ووقاية الإكمال المقتضى واستغنائه وانتقال التربية والوقاية والمحافظة من اسم إلى اسم آخر، فتقطع تربيتها وترتفع محافظتها، فتقطع سموات فردارية اسم الأول وينحل إلى الأجزاء الفردة والجواهر الهائمة التي كانت في الفطرة الأولى السابقة، ويشاهد بصورة السحاب ﴿يَقُولُوا﴾ هذه السماء التي كانت شاهدة ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور: 44] يتراكم بعضها على بعض، هذا جواب لقولهم: فأسقط علينا كسفاً من السماء، وإن ذكر في موضع آخر إلا أن كلام الله كلام واحد قائم بذات الله تعالى .

﴿فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ ﴿٤٥﴾

﴿فَذَرَهُمْ﴾ يا محمد واتركهم ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: 45] وهو عند النفخة الأولى وانتقال الفردارية من اسم إلى اسم .



﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي﴾ ولا ينفع ولا يدفع ﴿عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الطور: 46] بدفع العذاب عنهم.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٧﴾

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ العام والخاص ﴿عَذَابًا﴾ في الدنيا بالقتل والسبي وإجزاء الجزية ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾ العذاب الذي أعدّه الله لهم في الآخرة أوله عذاب القبر ثم عذاب يوم القيامة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: 47] ذلك العذاب قبل الوقوع.

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ ﴿٤٨﴾

﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم وإهمالهم واتقانهم في عنادك وذلك لا يضرك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي محفوظ ومنظور بالحضور عنده وإن كنت تتكلم لهم ويسمعون كلامك ويشاهدون بينهم مقامك، ويرون في الظاهر مرامك، فلا تحزن ولا تخف إذ لا يخفى علينا من أحوالك شيء قط لا ظاهراً ولا باطناً، وجمع العين وإن كان جمع قلة قد يطلق على العشرة وما دونها بلا قرينة، وعلى ما فوقها بقرينة إلا أن أعين الناس وأبصاره لكونها غير متناهية قد نزلت عنا منزلة جمع الكثرة التي أطلقت على العشرة وما دونها بالقرينة وعلى ما فوقها بلا قرينة، وإشعار بأن النبي ﷺ منظور الله من جميع الجهات كما أن الله تعالى قد يتجلى على العارف عن تمام الجهات، وكذا يسمع كلامه من جميع الأطراف كما كان حال موسى على هذا النمط ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: 48] أي نزه الله وقدسه من كل ما يدرك العقول عند ثنائك عليه بالنعوت التشبيهية، أو إشارة إلى أن التسبيح والتنزيه في الحقيقة هو الحمد والتشبيه لأنه إثبات وحكم على الذات وإن كان بأمر في عدمي.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُورِ﴾ ﴿٤٩﴾

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ أي بعض الليل ﴿فَسَبِّحْهُ﴾ [الطور: 49] وإنما خصّ الليل بالذكر إذ الطاعات والعبادات في الليل من حيث إنه ماحي الكفارات التي يعرف القلب،

ومن حيث إنه زمان الاستراحة يكون فيها أشقّ على النفس وأشدّ على الطبيعة  
 ﴿وَادْبَرَ النُّجُومِ﴾ [الطور: 49] أي إذا أدبر النجوم في آخر الليل .

قال النبي ﷺ: «مَنْ قرأ سورة (الطور) كان حقاً على الله أن يؤمنه من عذابه  
 وينعمه من جنّته» .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي تجلَّى نجم تجلّيه الآثاري للطور السري الذي هو الفؤاد الذي هو غيب الصدور ﴿الَّذِينَ﴾ الذي أوحى إلى عبده ما أوحى ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: 11]، ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي رقى إلى الأفق الأعلى ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَدَّنَ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: 8، 9].

### ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾

﴿وَالنَّجْمِ﴾ [النجم: 1] أي بحق النجم الآثاري الذي أشهده خليله أولاً بصورة الكواكب حيث قال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: 76]، ثم كلّمه بصورة شجرة العين فلما جاءها نور من شاطئ الوادي الأيمن ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ أن ﴿يَمُوسَىٰ إِذْ أَنَا اللَّهُ﴾ [القصاص: 30] رب العالمين، وحيته الصورة الكاملة والهيئة البشرية «رأيت ربي في أحسن صورة، شاب أمرد قطط» ﴿إِذَا هَوَى﴾ [النجم: 1] فنزل من سماء الأحدية الذاتية إلى الواحدية الأسماوية، إلى عالم الملك والناسوت لدى قيام القيامة الأنفسية دون الموت الاختياري حيث قال ﷺ: «مَن مات فقد قامت قيامته».

### ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ [النجم: 2] في مشاهدة نجم التجلي الآثاري بصورة آدم،

وإنما عبر عن محمد بالصاحب إشعاراً بأن الحقيقة المحمدية السارية بالنكاح الساري في جميع الذراري بعموم سريانها تستصحب جميع الأشياء وتمام الذراري ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: 2] إشارة إلى عموم سريانه في المدارك العلمية والعملية والمسالك النظرية والمعارك الفكرية والعلوم الحضورية والإدراكات الشهودية والإحساسية البصرية، ففي النفي الأول إشارة إلى شجرة الطريقة العلمية التي ثمرتها هي الوصول إلى مقام قوسين الوجود الذاتي والإمكان الذاتي، أو العروج والنزول، أو الولاية والنبوة والتحقيق بالجمعية الذاتية الأسمائية التي هي عبارة عن مقام هو أدنى، وفي الثاني إلى كمال القوة النظرية والفكرية التي ينتجها قبول الوحي وبيان الحكم الإلهي والنواميس الإلهية.

### ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

﴿وَمَا يَنْطِقُ﴾ بأحكام النبوة الذاتية التي الولاية أحكامها هي الفناء في مدد البقاء بالله والمظهرية والكلية والتحقيق بالذات والأسماء والصفات وشهود التجليات الذاتية والأسمائية، وهي معاينة الآثارية والصورة الجمعية واستكمال الأطوار السبعة القلبية التي تتبع الأنوار السبعة وهي مظاهر صفات السبعة الذاتية ومقتضياتها، وهي جبروت هذه الأنوار بأحكام النبوة العرضية التي هي صورة تلك الأحكام ومظاهر آثار أنوارها هي الشواهد الطريفة ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: 3] أي بمجرد النظر العقلي بلا تأييد إلهي وتوفيق رباني وتأکید سبحانه.

### ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ﴾ أي ليس القرآن وما فيه وما استنبط منه من الأحكام المذكورة إلا وحي وعلم إلهي ﴿يُوحَىٰ﴾ [النجم: 4] الله يهيئه ويعلمه بطريق الفيض لا الكسب ولا الاجتهاد، والبعض هو الجهد والقوة في القرآن لاستنباط الأحكام الإلهية، والقرآن إنما يظهر بمجرد الفيض والوحي والإيحاء والتعليم الإلهي بذريعة الملك.

### ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [النجم: 5] شديد قواه، وهو جبريل، فإنه واسطة في

إبداء الخارق . روي أنه قلع قرى قوم لوط ورفعها إلى السماء ثم قلبها ، وكذا صاح صيحة بتمود فأصبحوا جاثمين ، كيف وأن الدنيا بما فيها في حسب عظمة جبرائيل وقوته كنسبة خردلة في كف أحد منا ، بل لا نسبة بينهما أصلاً إلا أن هذا التصوير لكمال خاصة قوته وتمكنه في تصرفه كما ورد في وصف ذلك أحد من الملائكة الأربعة .

### ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴾

﴿ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴾ [النجم: 6] أي صاحب شدة في جسمه ، وإنما وصف جسمه بالشدّة لا بالكبر والعظمة إشارة إلى أن جسمه ليس من جنس أجسادنا وأجساد العالم غاسق مظلم ، وجسمه نور مضيء يؤثر في العالم الروحاني والجسماني بخلاف باقي الأجسام فلكية كانت أو عنصرية ، فإنها ليست بمؤثرة أصلاً ، والمؤثر هو النفوس لا الجسم ، بخلاف جسم جبريل فإن تأثيره أشد وأقوى من تأثير نفوس الأفلاك كما سمعت آنفاً .

وذكر أوصاف النبي ﷺ وحقيقة جسمه هي الوحدات الربانية التي مظهرها الجواهر الفردية والأجزاء التي لا تتجزأ ، وعدم انقسامها ليس بصغرها كما لزمه الظاهريون ، بل هو وجه علمي لا يشاركه وجهاً آخر أصلاً ، فإن الله تعالى يعلم ذاته بوجوه ذاتية ووجوه وصفية كل وجه في حد ذاته غير منقسم لعدم اشتراكه فيه ، فالوجوه الذاتية هي حقيقة ومادة للجسم الجبرائيلي ، والوجوه الوصفية هي مادة وهيولى للجواهر الأخرى ، وهذا سر لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم الذين تحقّقوا بعلم الله وسائر صفاته كما قال تبارك وتعالى : «كنت سمعه وبصره فبي يسمع وبي يبصر» إلى آخر الحديث . وقال أيضاً : «يا عبدي أطعني أجعلك مثلي وليس لي مثل» ، ولذا ما رأى جبرئيل أحد من الأنبياء سوى محمد ﷺ ، قال : «يراه مرة على صورته في السماء ، ومرة في الأرض» ، يعني أن السماء والأرض تكونان طرفين لرؤيته بمعنى أنه أراه نفسه بنفس التعلق تارة وأخرى بصيغة السفلى . وقيل : استوى لقوته على ما جعل له من الأمر وفي سائر الأوقات كان يتمثل بصورة كانت تناسبه ، وفي أكثر الأوقات كان يتمثل بصورته الروحية فإنه كان أحب الناس على النبي ﷺ .

### ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾

﴿وَهُوَ﴾ أي وجبريل كان ﴿بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ [النجم: 7] والأفق عبارة عن دائرة عظيمة تتصل بما ترى وما لا ترى من الفلك حسيًا كان أو نفسيًا أو روعيًا أو قدسيًا أو عقليًا أنسيًا، أما الحسي فهي دائرة عظيمة تمر على وجه الأرض، وأما الأفق الحقيقي فهي دائرة عظيمة تمر على مركز العالم، وتتصل كرة الأرض بنصفين متساويين توازي الأفق الحسي والبعد بينهما نصف قطر الأرض، وسمي أعلى لأنه فوق الأرض ويكون قريبًا من المعدل، وقطباهما القطب الرأس والقدم والرسول نظر إلى جبرائيل وهو على الأفق الأعلى وهو الحسي لشاهد جميع أجزائه، فلو كان على الأفق الحقيقي لا يرى بجميع أجزائه إذ نصف الأرض حائل فلا يكون قريبًا بجميع أجزائه، هذا هو الأفق الصوري.

وأما الأفق المعنوي الأعلى فهو عبارة عن الحد الفاصل بين عالم الملك وعالم الملكوت الأدنى، وهو عالم النفس والبرزخ بين الملكوت الأعلى والأدنى، وهو الأفق النفسي. وأما الأفق الروحي فهو برزخ فاصل وحد حائل بين عالم الملكوت وعالم الجبروت، وهو عالم العقل. وأما الأفق العقلي فهو حد فاصل وبرزخ حائل بين عالم الجبروت واللاهوت، هذا هو الأفق الأعلى وبرزخ البرازخ. وقد يطلق الأفق الأعلى على اللوح الحفوظ وهو عبارة عن النفس الكلية الحائلة بين العقل الكل والجسم الكل، وهو العرش الكريم. هذا هو المراد بالأفق الأعلى. وأما الأفق الأعلى الذي هو برزخ البرازخ وهو الحقيقة المحمدية والوحدة الذاتية فجبرائيل لا يصل إليه كما قال النبي ﷺ: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل». وقال جبريل عليه السلام: «لو دنوت أنملة لا احترقت».

### ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ محمد وقرب في مدة هذه المرتبة إلى التجلي الذاتي وهو شهود الذات بعنوان الذات على وجوه لا تتناهى وأنحاء لا تعد ولا تحصى، ويقال لها الشؤون الذاتية ﴿فَتَدَلَّى﴾ [النجم: 8] بالذات وبالتجلي الذاتي.

## ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾

﴿فَكَانَ﴾ قبل هذا ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: 9] في الأفق الأعلى أي وصل فيه واجتمع قوسا الوجوب الذاتي والإمكان الذاتي، وقوسا الولاية والنبوة أو الظهور والبطون والأول والآخر.

## ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾

﴿فَأَوْحَىٰ﴾ وأنهى علم الله ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: 10] في الأفق الأعلى بلا واسطة جبرائيل أو بواسطة جبرائيل، إذ المراد بالأفق الأعلى اللوح المحفوظ.

## ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾

﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: 11] وهو الوجه القلبي الذي يلي الروح وهو الطور السري أو التجليات التي تشاهد وتصور أعيان علم عالم الملك وهو غيب القلب والصدر وهو الوجه الذي يلي النفس وهو صورة القلب تنطبع فيه المعاني النفسية فمن ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يُبْسَخِ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: 125] الآية. قال الإمام الصادق عليه السلام: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: 1] النجم حبيب الله إذا عمد بنوره إلى السماء ليلة الخلق مع المولى فاستقره الله بالأفق ورفع الأستار، ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: 8] حتى كان ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: 9] يعني فأدنى فتناجى مع الله ما نجاه ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: 11].

## ﴿أَفْتَمْرُؤُهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾

﴿أَفْتَمْرُؤُهُ﴾ أتجادلونه وتخاصمونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: 12] في مشاهدة شهوده ومعارج عروجه ومراجع رجوعه في السير إلى الله ليلة الإسراء من الغرائب وعموم العجائب من شهود التجليات ووجود المشاهدات وورود الأسرار الغائبات، يعني ليس هذا المقام مقام المجادلة والمخاصمة إذ هو مقام المجاهدة ومحل الشهود والمشاهدة، وليس هذا باكتساب القيد واختلافه بإرادته واختياره بل هو محض هداية الله وكمال عنايته يعطي من يشاء من عباده.

### ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ وشاهد الحق ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: 13] أي مرة أخرى، عند النزول من ذلك المقام والحال إلى عالم الكثرة ومقام البشرية للاستكمال، أما الغير إذا تكلمت وحقيقته أو لنفسه وأطوار شهوده وأدوار وجوده إما على طريقة الجزئية في نشآت العنصرية أو على طريقة الكلية وهي في الأدوار النورية والأكوار الظلية ثم تعود ثانيًا وثالثًا إلى الانتهاء.

### ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾

﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: 14] وهي نهاية العروج والرجوع، أما نهاية الرجوع وهي الأحادية الجمعية الإلهية، وأما نهاية النزول والرجوع وهي جمعية الذات والأسماء والصفات في كون جامع ومظهر كامل، وهذه الجمعية هي منتهى التنزلات، فتكون سدرة المنتهى للرجوع والنزول كما كانت الجمعية الأولى سدرة المنتهى للعروج والترقي، وهذه الجمعية تطابق تلك الجمعية.

### ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾

﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم: 15] أي جنة تأوي إليها أرواح الكاملين وأشباح الواصلين وتنتهي إليها قلوب العارفين المحققين وتنطبق إليها انطباق المراكز على مركز العالم.

### ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾

﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ﴾ ويسترها ﴿مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: 16] إشارة إلى البناء الكلي لجميع الأعيان التي هي نسب أسمائية تعتبر في الحقيقة المحمدية، فإن نسبة تلك النسب إلى الذات تسمى نسبًا وشؤونًا ذاتية، فباختبار الأول إذا عرجت الحقيقة المحمدية إلى الأحادية الجمعية والمرتبة الجامعية الأحادية والواحدية ومنها إلى الذات من حيث هي التي تظهر وتنكشف بذاتها لذاتها بعنوان الذات بوجوه لا تتناهى استبقت تمام الأعيان المندرجة في حيطتها استتباعًا طبيعيًا ونفسيًا لما فيها من الأعيان عند سدرة منتهاها، فتغشى تلك الأعيان وتفنئ الحقيقة المحمدية، فإن لم يكن شعور بهذه الحالة ويستكملون باستكمالها استكمالًا ذاتيًا ولا تكون



بهم بهذا الاستكمال أيضاً شعور وعلم، وذلك كاستكمال الإنسان لجميع ما فيه من الأجزاء المعدنية والنباتية والحيوانية والإنسانية، فإنها لكل منها ليس شعور بكماله المخصوص بخلاف الكل، فإن له شعوراً بكمال ذاته وبكمالاتها الخاصة، بل تقع كل النفس منها مرآة لشهود كمالات الكل من حيث الكل ومن حيث خصوصه بالكل، وفي هذا المشهد شهودات يتعذر تفاصيلها.

قيل: سدرة المنتهى هي شجرة النبوة في السماء السابعة عن يمين العرش، ثمرها كتلال، وورقها كأذان الفيول، ينبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله في كتابه، يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها. والمنتهى موضع الانتهاء والنهاية، كأنها في منتهى الجنة وآخرها. قيل: لم يجاوزها أحد، إليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم، لا حد لما وراءها. وقيل: تنتهي إليها أرواح الشهداء.

واعلم أن لكل ممكن ينتهي إلى الله والله غير متناه وإلا لكان ممكناً بالإمكان الخاص، وهو محال وإلا لزم تعطيل الصانع وهو ظاهر الاستحالة.

### ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ ﴾ ما مال بصر رسول الله ﷺ عما رآه ﴿ وَمَا طَغَى ﴾ [النجم: 17] وما جاوره بل ثبته على ما رآه نوعاً لا شخصاً. قال السلف: أي غير متناه حدًّا ولا نوع لتجلياته عدًّا كما قال المحققون: إن الله لا يتجلى في صورة مرتين ولا في صورة اثنين فلا ينتهي حدًّا ولا عدًّا، إذا قد ثبت على شهود تجلياته وداوم على مشاهدات تطوراتها أدواراً وأكواراً بلا عدولٍ عن رؤية العجائب ولا أقول عن رؤية الغرائب التي أمر بشهودها بلا انصراف منها أو انعطاف عن مشاهدتها، وقد عرفت أن جميع الأعيان الكونية من حيث إنها نسب أسمائية داخلية تحت الحقيقة المحمدية تابعة سابقاً جميع الكمالات الذاتية والأسمائية وتحصل لها ضمناً وتبعاً تلك الكمالات في الأدوار النورية، إلا أن تلك الحقيقة لانطوائها على مقتضيات الجمال ومرتضيات الجلال، ومما يكون حكم مقتضيات النور والجمال غالباً بتلك الكمالات ظاهرة ومرتضيات الجلال متعلق به، وتلك الكمالات في الأدوار النورية مخفية باطنة صريحة في صراحة فردانية\* النور والجمال ونقائص نقائصها

(\*) فردانية: كلمة مشتقة من كلمة يونانية معناها [الفترة الكوكبية].

تكون ظاهرة، فالمؤمن والكافر من أمة تلك الحقيقة تبين مقتضياتها وتعين مرتضياتها اللتين هما توأمتان قد تولدتا معاً، فتلک الحقيقة بالأعيان النورية الجمالية والأكوان الظلية الجلالية لا تزال تكون دائرة وسالكة، سائرة إلى الذات الجامعة بتمام الأسماء والصفات، فكل من كان من تلك الأعيان والأكوان يكون أكثر مناسبة وأقوى ملائمة لتلك الحقيقة، تظهر كمالاتها وتشتهر مقاماتها، وتزداد شيئاً فشيئاً حالاتها، ولذا أمر الله تعالى بالصلاة وغيرها .

### ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ ﴿١٨﴾

﴿لَقَدْ رَأَى﴾ محمد ﷺ في الأدوار النورية الجمالية الإفرادية والجمعية ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: 18] أي التجليات الذاتية المتضمنة لسائر التجليات الأسمائية والأفعالية والآثارية والكمالات الجمعية والجمعية الكمالية. فإن للحقيقة المحمدية المتضمنة للماهية العلوية كما قال عليه السلام: «أول ما خلق الله نوري، وأنا وعلي من نور واحد». وكذا النبوة الذاتية المنطوية على سر الولاية بروزات وكمونات وتطورات في الظهور وتنوعات في البروز، ففي الأدوار النورية تكون النبوة وصاحبها - أعني محمداً ﷺ - صريحة، والولاية وصاحبها - أعني علياً - ضمنية، وفي الكورة الظلية الجلالية يكون الأمر بالعكس، أي تكون الولاية صريحة والنبوة ضمنية على ما كانت مع الأنبياء سرّاً وضرب معي جهرًا، وربما تكون النبوة والولاية صريحة كما ظهر في صاحب الزمان المهدي، وهي الآية الكبرى في دورة الجمعية العظمى، فإن الآية الكبرى والجمعية العظمة مكونة في أحيان الأدوار والأكوار الإفرادية تكون الجمعية الإلهية والكونية في الأفراد الإنسانية «أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري».

### ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [النجم: 19، 20] هذه أصنام كانوا يعبدونها، فاللات كانت لثقيف بالطائف، ولقريش نحل مأخوذة من لوى لأنهم كانوا يلون عليها ويعتكفون للعبادة، وقرى بالتشديد على أنه سمي به إذ

وهذه الكلمة فردارية وردت في الأصل المخطوط (فردازنة) وارتأينا تصحيحها بكلمة فردارية.

هو صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم، والعزى شجرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن وليد فقطعها تأنيث الأعز. ومناة كانت لهذيل وخداعة ولثقيف، وهي فعلة من مناة فإنهم كانوا يذبحون عندها القرابين، والثالثة الأخرى للتأكيد كقوله: يطير بجناحيه، أو لأخرى من التأخير في الرتبة وهي في شجرة الطور النفسي من النفوس الثلاثة الأمانة واللؤامة والملهمة، فإن من يعتد بها ويقلد بحكمها وانصرف من الحكم القلبي إليها فقد عبدها.

### ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ (٢١)

﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ [النجم: 21] إنكار لقوله: الملائكة بنات الله وهذه الأصنام أيضًا بنات الله، وكانوا يعبدونها مع أنوثتها.

### ﴿تِلْكَ إِذَا قَسَمَةٌ ضَيْرَى﴾ (٢٢)

﴿تِلْكَ إِذَا﴾ القسمة والحكم والحكومة ﴿قَسَمَةٌ ضَيْرَى﴾ [النجم: 22] جائرة ذات خبث حيف جعلتم له ما تستنكفون منه وهو فعلى من الضيز وهو الجور والحيف لكنه أكثر قساوة لتسلم الياء كما فعل في بعض قراءة ابن كثير بالهمزة من ضأزة إذا ظلمه على أنه مصدر. الكم البنين والله البنات؟ قسمة غير عادلة مكروهة، وتجعلون لله ما تكرهون، وإذا بالتنوين مقطوع الإضافة للظرف، يقول: آتيك إذا طلعت الشمس، فهي مضافة إلى طلعت، أي وقت طلوع الشمس. فإذا قائل آتيك فتقول له إذا أكرمك، فهي إذا جواب وجزاء، وضيزى قراءة، وغير الهمزة، فعلى الأول مصدر وصف كرجل عدل أي قسمة ضائرة غير عادلة مكروهة. وعلى الثانية هي فعلى كان أصله ضوزى فكسر الفاء وقلبت الواو ياء، فعلى هذا ضيزى للمبالغة من ضائرة، تقول: ضايزة وضوز وضوزة، وعلى هذا أضيض من ضايز وضيزى من ضايزة وتكون مثل أسود وسود وبيض وأبيض.

### ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ (٢٣)

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ﴾ أي ليس الأصنام إلا أسماء، أي مجرد الألفاظ ﴿سَمِيَّتُوهَا﴾ أنتم وعاباؤكم [النجم: 23] وما فيها ألوهية أو صفات تدل عليها، وتجعلون بها

أَهَّةً وَشَفِيعًا ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة ودليل وبرهان ليتمسكوا ويشهدوا بها على مقاصدهم ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ الفاسد والوهم الكاسد والتقليد الحاسد ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ أي الذي يشبه ويريد أنفسهم، والموصول مع الصلة عطف على الظن ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ والواو حالية ﴿مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: 23] الرسول والكتاب الذي يهدي إلى الحق فتركوه بالتقليد المحض والتخيل الصرف.

### ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾

﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ﴾ (أم) منقطعة، ومعنى الهمزة فيها للإنكار، والمراد نفي طمعهم في شفاعاة الألوهية ﴿مَا تَمَنَّى﴾ [النجم: 24] أي حاصل الإنسان ما تمنى وطلبه وهو مستعد إلى الشفاعاة، أو قولهم: إن لي عنده الحسنی أو الولد والمال، أو الدرجة الرفيعة وهي النبوة.

### ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾

﴿فَلِلَّهِ﴾ وما فيها من الدرجات الرفيعة والجنات الينعية والنعيم الوسيعة ﴿الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ [النجم: 25] أي الدنيا وما فيها، أي السماوات وما فيها، والأرض وما فيها وما عليها فيعطي منها ما يشاء لمن يريد ويشاء ولا يجري في ملكه إلا ما يشاء، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

### ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ﴾

### ﴿اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ﴾ أي كثير من الملائكة التي يكونون ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ وهي ملكوتها يدبر أحكامها ﴿لَا تُغْنِي﴾ لا تغني ولا ترد ولا تمنع ﴿شَفَعَتُهُمْ﴾ ودعائهم ﴿شَيْئًا﴾ [النجم: 26] من العذاب وذكر الكبر مع أن جميع من كان في السماوات لا يملك الشفاعاة، وإنما ذكر الكثر ولم يقل: ما منهم من أحد يملك الشفاعاة لأنه أقرب إلى المنازعة مع المقصود وحاصل به إذ الغرض الرد عليهم في قولهم: هذه الأصنام تشفع لنا، فهذا الرد يحصل بنفي الشفاعاة في الجملة إذ الموجبة الكلية تنتفي وترتفع بالسابقة الجزئية، والمراد من نفي الشفاعاة هو الشفاعاة المقبلة، وهي شفاعاة من غير إذن كقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255]، ولا

يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته ربهم مشفقون ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ في القيامة ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ إما من الملائكة أو من الناس، أي يشفع له ﴿وَبَرِّضَ﴾ [النجم: 26] ويراد أهلاً لذلك، فكيف تشفع الأصنام الجمد والأوثان الكمد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ ﴿٢٧﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ﴾ أي كل واحد منهم ﴿تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ [النجم: 27] بأن سموه بتأ.

﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ

شَيْئًا﴾ ﴿٢٨﴾

﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ﴾ أي بما يقولون وقرئ بها، أي ما الملائكة وحققتها وخصائصها ولوازمها الذاتية ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ من الاستغراق، أي ليس لهم بما يقولون وبالملائكة علم أصلاً ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: 28] أي لا يتبعون في الأدوار والأكوار الظلية التي هي الأعيان والأكوان وأحوالها إلا الظن بل الوهم لأنهم بمعزل عن العلم.

﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ

الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَىٰ﴾ ﴿٣٠﴾

﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ [النجم: 29، 30] في الأدوار والأكوار ﴿بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَىٰ﴾ [النجم: 30] فيهما.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ

الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٣١﴾

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ أي في الأدوار النورية الوجودية ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [النجم: 31] أي الأكوار الظلية العدمية، أو المراد سماوات القوة الفاعلية وأرض القابليات وعرض الاستعدادات ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ أي بسبب عمل الأعيان في الأدوار وفعل الأكوان في الأكوار على ما يقتصر باطنهما وسرهما ضمناً ﴿وَيَجْزِيَ

الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنِ ﴿النَّجْم: 31﴾ على ما يقتضي ظاهرهما صريحًا بالمشوبة الحسنی وهما الجنة الحاصلة الظاهرة في ارتضاء اقتضاء مدة الدورة الجمالية والكورة الجلالية، متعلق بالحسنى أو بأحسن أعمالهم أو بسبب أعمال الحسنی .

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾﴾

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ﴾ أي الآثام الكبيرة والذنوب الكثيرة ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ ما ظهر من الكبائر على سبيل الإباحة ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ أي أقل وأصغر، فإنه منفور من مجتنبى الكبائر والاستثناء منقطع، أو محل (الذين) النصب على الصفة أو المدح أو الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ لأهل الكبائر والصغائر وله أن يغفر ما يشاء من الكبائر، وإنما عقب به وعد المحسنين ووعيد المسيئين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من غير الاجتناب من رحمته الواسعة ورأفته البارعة ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ وبأحوالكم الخفيفة وأعمالكم الخبيثة المستورة على ما يسألكم والمشبه لاستعداداتكم وقابلياتكم في الأدوار أو الأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية ﴿إِذْ أَنْشَأَكُمْ﴾ وأبدعكم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ الاستعدادية والربض لاستدعائه تارة بنعت النور ووصف الوجود وكمال الظهور، وصفه بالشهود في الدورة العظمى أو الكبرى والوسطى أو الصغرى، وأخرى بالطور الظلي والطور العلي في الكورة العظمى والكبرى والوسطى والصغرى الجلالية ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين، وهو ما صفى من الرحم حال كونكم ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ في الشؤون الدورية والنشآت الكورية ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي لا تدعوا تزكية أنفسكم عن الهيئات الدنية والملكات الردية وتطهرها عن الأفعال القبيحة والأقوال الوقيحة، أو مما يكون مطابقًا لنفس الأمر فضلًا أن لا يكون مطابقًا له، أو حسن الظن بجعلها أعلم عن عيوبها لقوله عليه السلام: «حبك الشيء يعمي ويصم»، وقال بطليموس: المحبة والمبغضة لولا أن الفكر عن الإصابة. وقال أيضًا ﷺ: «المسيء من ظن أنه محسن، والمحسن من ظن أنه مسيء»، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: 32] نفسه عن الآثام والمعاصي في عموم

الآثام ورؤية معائب الأنام إذ لا يخفى عليه شيء في أرض ولا في سماء .

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ (٣٣)

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ [النجم: 33] وأعرض عن اتباع الحق وأعرض نفسه عن مسالمة وحسه عن إضاعته .

﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ (٣٤)

﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا﴾ من المال في سبيل الله ﴿وَأَكْدَى﴾ [النجم: 34] وقطع ذلك الإعطاء، أو منع منه فذلك أكدى الحافر إذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة، ومعنى تولى: ترك المركز يوم أحد فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأعمل، والأكثر على أنها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله ﷺ فغيره بعض المشركين فقال: تركت دين الأشياخ ومللهم، فقال: حسبي عذاب الله. فترك المبايعة وارتدّ وحل بالباقي. وفي الكشف روي أن عثمان رضي الله عنه كان يعطي ما لا في الخير، فقال أخوه عبد الله: أعطني أنت ناقتك برحلتها وأنا أحمل عنك ذنوبك كلها، فأعطاها وأشهد عليه وأمسك عن العطاء فنزلت.

﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ (٣٥)

﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ [النجم: 35] ويعلم أن ما قال أخوه الرضاعي من احتمال أوزاره حق .

﴿أَمْ لَمْ يُبْنَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ (٣٦)

﴿أَمْ لَمْ يُبْنَأْ﴾ ولم يخبر ولم يعلم على طريق الإنباء في الخبر ﴿بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ [النجم: 36] وكتابه، وهو التوراة .

﴿وِإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (٣٧)

﴿وِإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: 37] مخففاً ومضعفاً، وفي التضعيف مبالغة في الوفاء بالعهد مع الله، أو بمعنى وفّي وأتم كعدّ وأتمهّن من التوفّي والتوفية إن كان من الوفاء وهو التمام. يقال: وفاه أي أعطاه تاماً أو يقال: وفا بالتشديد أي أتمهّن وإطلاقه يتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغ بالإتمام واستقلاله بقاء النبوة والصبر

على ذبح ولده وعلى نار نمرود وقيامه بحق أمر الضيافة والأضياف بالإصغاء بنفسه وأهله بالإخلاص وأنه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسحاً ليجد الأضياف ليضيفه ويكرمه ويرافقه في أكل الطعام، وإن كان صائماً ينوي الصوم وربما وصله يومين وثلاثة، وما أمره الله بشيء إلا وفى. وكان بين نوح وإبراهيم الخليل عليهما السلام يوجد الرسل تحريريه وغيره ويقبل بابنه وابن عمه وخاله والزوج بامرأته والعبد بسيدته، وأول ما خالفهم إبراهيم عليه السلام وأنه عهد أن لا يسأل أحداً، فلما قذف في النار قال له جبرائيل وميكائيل: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا.

وعن النبي ﷺ: «وفى عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار»، وهي صلاة الضحى. روي أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بسمي الله خليله ربي، كان يقول إذا أصبح وأمسى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الرُّوم: 17] إلى حين الظهر، أو في سهام الإسلام» وهي ثلاثون عشرة في التوراة، وعشرة في الأحزاب أن المسلمين إلخ، وعشرة في (قد أفلح) من أولها.

### ﴿أَلَا نَزَرُ وَزَرَةً وَزَرَّ أُخْرَى﴾

﴿أَلَا نَزَرُ وَزَرَةً وَزَرَّ أُخْرَى﴾ أن هي المخففة من المثقلة، وهي بما بعدها في محل الجر بدل بما في صحف موسى، أو الرفع في جواب من قال: ما في ﴿صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: 19]. قيل: ﴿أَلَا نَزَرُ وَزَرَةً وَزَرَّ أُخْرَى﴾ [النجم: 38] أي ما تقرر فيما تقدم في بني إسرائيل: ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32]، قال النبي ﷺ: «من سنَّ سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

### ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: 39] أي إلا سعيه، فإن كان في الخير والصلاح فهو الخير والصلاح، وإن كان بالعكس فبالعكس، ولا يثاب ولا يعاقب أحد بفعل الآخر. وأما ما وقع في الخبر: «الصدقة عن الميت والحج عنه فيشفعان له» وقال الأحناف: فيه وجهان، أحدهما: أنه يسعى غيره لما كان نية الغير والقصد له كأنه يفعل بنفسه، إنما الأعمال بالنيات. الثاني: أنه كان في



ذلك الفعل كالوكيل والنائب منابة القائم مقامه، وذلك بحكم الشرع.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (٤٠)

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (النجم: 40) في الدنيا وفعله وعمله في النشأة الأخرى، فجزاؤه ثوابًا وعقابًا و عوضًا ومقابلًا له في النشأة الأخرى سوف يرى في النشأة الأولى أيضًا.

﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ (٤١)

﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى﴾ (النجم: 41) تعدى بمفعولين وجزاؤهم بما صبروا جنة وحريراً، أو قال: جزاك الله خيراً. هذه الآية بيان وتفصيل للآية السابقة، يعني أن الإنسان يجزى لسعيه وعمله في النشأتين، إلا أن جزاء النشأة الأخرى هي أتم وأوفى وأعم وأخفى. قال: جزى الله العبد بعمله وجزاه على عمله، فيكون نصبه على نزع الخافض يجوز أن يكون الضمير ليجزي للجزاء الأول والجزاء الأوفى بدل منه أو تفسير له.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (٤٢)

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (النجم: 42) معنى ينتهي إلى الله الخلق كلهم، وإليه يرجع وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده. (المنتهى) مصدر ميمي بمعنى الانتهاء.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (٤٣)

﴿وَأَنَّهُ هُوَ﴾ أي الرسول ﷺ ﴿أَضْحَكَ﴾ من عجائب صنع ربه ورب السماوات ﴿وَأَبْكَى﴾ (النجم: 43) من خوف النار واللظى، والضمير يصير أي الله أضحك وأبكى بمعنى خلق الضحك والبكاء في عبده، والضحك هو المسرة والبهجة في الخلق والسعادة، والبكاء عن خلق السامة والكآبة عبارة عن ذروة الجمال وإظهارها النكتة والمخافة والخوف، وفي الحديث: «إن الله ضحك حتى رأيت نواجذه».

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (٤٤)

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (النجم: 44) في الدورة الجمالية والكورة الجلالية.

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ ﴿٤٥﴾

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [النجم: 45] والتوأمين من المولود الجمالي والجلالي، إما بدلان أو تفسيران لهما.

﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ في المرتبة الثانية ﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: 46] مضارع مجهول، وبضم التاء من منى يمني إذا جامع وأدقق المنى، يدقق المنى في الرحم على التلذذ أو بخلق أو بقدر.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَىٰ﴾ ﴿٤٧﴾

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: 47] في الآخرة وانتقال الفردانية من دورة إلى دورة بالإحياء والإماتة.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ ﴿٤٨﴾

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم: 48] أي أعطى الغنية والمال ما نلت وعزمت أن لا تخرجه من يدك.

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ﴾ ﴿٤٩﴾

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ﴾ [النجم: 49] كوكب كبير دري في آخر السرطان، والشعري كوكبان يقال لأحدهما: الشعري الشامية، وللأخرى اليمانية. ويقال لأحدهما: العبور، والآخر العميصا. قد عبدها أبو كبشة وعظمها وهو من أجداد الرسول ﷺ قد خالف قريشاً في عبدة الأوثان ولذلك سمي الرسول ابن كبشة.

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ ﴿٥٠﴾

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ [النجم: 50] قوم هود وعاد الأخرى إرم.

﴿وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ﴾ ﴿٥١﴾

﴿وَتَمُودًا﴾ قوم صالح ﴿فَمَا أَبْقَىٰ﴾ [النجم: 51] الله الفريقين المذكورين.

﴿ وَقَوْمٌ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى ﴿٥٢﴾ ﴾

﴿ وَقَوْمٌ نُوحٍ ﴾ كانوا ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ قوم عاد وثمود ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى ﴾ [النجم: 52] من هذين الفريقين ولذلك استؤصلوا وأهلكوا رأسًا.

﴿ وَالْمُؤْنَفَكَةُ أَهْوَى ﴿٥٣﴾ ﴾

﴿ وَالْمُؤْنَفَكَةُ ﴾ هي قري قوم لوط ﴿ أَهْوَى ﴾ [النجم: 53] رفعها إلى السماء على جناح جبرائيل ثم رماها وأسقطها إلى الأرض وقلبها وغشاها.

﴿ فَعَشَلَهَا مَا عَشَّى ﴿٥٤﴾ ﴾

﴿ فَعَشَلَهَا مَا عَشَّى ﴾ [النجم: 54] تهويل وتعظيم لما صب عليها وعلى أهلها من شدة العذاب وأمطر عليهم من الصخر المنضود والحجر المدر والممدور.

﴿ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكَ نَتَمَارَى ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكَ نَتَمَارَى ﴾ [النجم: 55] ترتاب وتسلك، والخطاب لرسول الله ﷺ وللإنسان في جميع الأفراد، وقد عدّد أنواع نعمائه وآفاته ونعمائه وسمى الكل آلاءً ونعمًا.

﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى ﴿٥٦﴾ ﴾

﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَى ﴾ [النجم: 56] أي بعضها، والكتب السماوية النازلة على الأنبياء السابقة وهي مائة وأربعة عشر، أربعة منها كبيرة والباقية صحف منشورة.

﴿ أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ ﴿٥٧﴾ ﴾

﴿ أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ ﴾ [النجم: 57] مثل وقعت الواقعة، أي قريب القيامة وشدايدها ووقائعها، أو قريب الموصوفة أو قربت الموصوفة بالقرب في قوله: ﴿ أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ [القمر: 1].

﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾

﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم: 58] رافعة أي من لتأكيد النفي، أي

ليس للمقيمة نفس قادرة على كشف الساعة وشدائدها .

﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ والقرآن النازل لصلاح دنياكم وفلاح عقباكم ﴿تَعْجَبُونَ﴾ [النجم: 59] إنكارًا .

﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً وسخريةً ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ [النجم: 60] تحزُّنًا وتحسرًا وندامةً على ما فاتكم من عبادة الله وطاعته، وعلى ما فرطتم في جنب الله من كمال قساوة القلب وظلمة الغيب .

﴿وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾ [النجم: 61] سابعون مترطمون، وقيل: لاهون ولاعنون وساهون ومفتخرون ومباهون .

﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾﴾

﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ وتواضعوا وتخشعوا ﴿وَاعْبُدُوا﴾ [النجم: 62] أي خصصوني بالعبادة ولا تشركوا في عبادتي أحدًا .

قال النبي ﷺ: «من قرأ (والنجم) أعطاه الله عشر حسناتٍ بعدد من صدق بمحمد وصحبه بمكة» .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل انشقاق القمر في الآفاق وعالم المُلْك والشهادة بالاتفاق دليلاً لقرب القيامة الآفاقية، وسبيلاً لاقتراب ظهور الساعة الإشراقية ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي قَدَّر للساعة ساعة وللقيامه مدة لا يعلمها إلا الله ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي صير اقتران ختم النبوة ببداة ظهور سلطان الولاية مقرونة بالقيام وظهور الساعة كما أشار إليها ﷺ: «بُعِثتُ أنا والساعة كهاتين» وأشار إلى اقتران الوسطى بالسبابة، أي الولاية والنبوة.

### ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾

﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [1] أول السورة مناسب لآخر ما قبلها، وهو قوله: ﴿أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ﴾ [التَّجْم: 57] فكأنه أعاده مع دليله. قد طابق المفسرون قاطبةً ووافق المحققون قاطعةً على انشقاق القمر، واختلفوا في مدته ووقوع كفيته تأويلاً وتنزيلاً، قال المفسرون: المراد أن القمر قد انشق وحصل فيه الانشقاق. وقد دلت الأخبار الصحيحة والآثار الصريحة على صحة حديث الانشقاق بعينه معجزة. والشق في الصحيحين خبر مشهور وورد في صحته رواية جمع من الصحابة وقالوا: سئل ﷺ أن يرى الانشقاق؟ فسأل ربه فشقه. ولو كان مستحيلاً لما سأل ربه، وكان ربه يمنعه عن السؤال، ومن جوده لا يحتاج إلى

التأويل إلا من أراد التطابق بين الآفاق والأنفس، أما البغاة الذين نفوه وردوه من الفلاسفة الذين قالوا بامتناع الخرق والالتيام على الأفلاك وطريقهم عن طريقة أرباب الملل والدين والنحل، فقولهم الذي يكون على طريقة قاعدة العقل وطوره لا يكون حجة على أصحاب النبوة والولاية الذين بنوا مقاصدهم على التأكيد الإلهي والتوحيد الرباني وجعلوا الفعل بمعزل عن إدراك الحقائق الإلهية والدقائق الربانية. قال النبي ﷺ: «العقل لإقامة العبودية لا لإدراك سرّ الربوبية». نظمه آدم الأولياء علي كرم الله وجهه:

كيفية المرء ليس المرء يدركه فكيف كيفية الجبار في القدم  
هو الذي أنشأ الأشياء مبتدعاً فكيف يدركه مستحدث النسم  
فكل ما وصل إلينا من المعجزات وخرق العادات التي ظهرت من الأنبياء  
السابقة فهو مما يأباه العقل ويمتنع منه الفهم، فليس هذا أول قارورة كسرت في  
الإسلام. وأيضاً أن الأدوار الإلهية النورية والأكوار اللطيفة الربانية لكل منها  
اقتضاء خاص من الدنيا وما فيها من السماوات والأرض والآخرة وما فيها من  
الجنة والنار والنعيم ودار البوار وغير ذلك من كثرة الأطوار، ولكل دورة منها،  
وكذا لكل كورة مدة معينة وبرهة مبينة يجري فيها فردارية سلطنة اقتضاء أرب كل  
منها ومن الأسماء الأربعة الذاتية وهي: العلم والحياة والقدرة والإرادة، فإذا  
انقضت مدة فردارية كل منها انقضى وانقرض طور الدنيا وانتقل إلى طور الآخرة،  
وطور الآخرة إلى طور الدنيا، فصارت الدنيا آخرة والآخرة دنيا. وقد استوفينا  
الكلام في هذا المقام في صدر الكتاب.

قال الإمام الجعفر: واعلم أن من أمارات اقتراب الساعة أشياء منها: ذهاب  
العلم والقرآن عن القلوب، وذهاب الركن والمقام عن الحرم، وذهاب المساجد  
والصلاة من بين الخلق، وانفتاق القمر، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة  
الأرض، وخروج الكفرة الدجال وأجوج ومأجوج، وكان ذلك اليوم حشر يجب  
على المؤمن خمسة أشياء: أن لا يخالط مع الناس، ولا يشتغل بالمعاصي، وأن  
يقرب من الله على نفسه، وأن يخرج الغيوب لأن كل غيب بمنزلة أجوج ومأجوج  
ودابة الأرض بمنزلة عقل العقلاء، والهواء بمنزلة الدجال، فلا يجب دعوته  
وتحول عنه واخشع واخفض بصر قلبك قبل أن يدعوك إلى الفراق ويغروك عن

الوصول، وكن مع الله في جميع الأحوال، وأن لا تطع قمر الشقاوة عن نفسك ولا قمر الغيضة عن قلبك، وهي الإخسار والافتخار، والتجئ إلى ربك كما التجأ نوح النبي عليه السلام فدعا ربه: ربي إنني بلمة الهوء، فنظره الله بقدرته وفتح باب العقوبة على أعدائه وأبواب السعادة على أوليائه.

﴿وَأِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾

﴿وَأِنْ يَرَوْا﴾ أصحاب أطوار العقول السميعة الذين حصروا المقاصد الإلهية في الظاهر على مدركات العقول وردوا ما عداها ﴿آيَةً﴾ دالة وأمارة هالة على كمال قدرة الله ووفور حكمته البالغة، وعلى أن العقل لا يهتدي مجرداً عن التأكيد الإلهي إلى إدراك الأنوار الربوبية والأسرار الإلهية ﴿يُعْرِضُوا﴾ عنها وعن اعتبارها والإيمان بصحتها والإذعان بحقيقتها ﴿وَيَقُولُوا سِحْرٌ﴾ هذا الكلام الإلهي والرسول المؤيد ﴿مُسْتَمِرٌّ﴾ [القَمَر: 2] ممتد مستقر غير متبدل ومتغير ومتحول في كل زمان غير منقطع فإن الرسول معجز.

﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾

﴿وَكَذَّبُوا﴾ كل ما جاء من عند الله من الكتاب والرسول وما يدل على صحته وحقيقته من الآيات البيّنات وخرق العادات وكل ما أخبر الله عنه من ظهور الساعات، وقيام القيّامات، والبعث والحشر والنشر ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القَمَر: 3] الناشئة عن طبيعتهم الناشئة وتفرعوا عن عقولهم الخاشمة وآرائهم الغاشية وهي التي زينها لهم الشيطان ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ [فَاطِر: 8] وإنما عبر بالماضي إشعاراً بأنهما من عاداتهم القديمة المستمرة ﴿وَكُلُّ أُمَّرٍ﴾ من أمور الدنيا والآخرة ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ [القَمَر: 3] ومثبت، فإن كان الأول فله غاية ونهاية، وإن كان الثاني فله غاية ونهاية في الأدوار، فإن كل دورة وما فيها من الدنيا والآخرة فلها مدة معينة. وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك، وأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك، أما في العقول فإن كل آت فهو آت، أو في نفس الأمر، فإن من توجه إلى مقصد وبينهما ألف فرسخ فالتوجه إلى ذلك المقصد أقرب إليه، والمقصد يكون أقرب إلى

المقاصد من الساكن، فإن قيل: فرق بين الساعة أو يوم القيامة، قلت: نعم، فإن الساعة أمر غريب وشيء نجيب يترتب عند اقتراب انقضاء مدة فردارية الدورة كالصيحة الظاهرة من اصطكاك أجرام السماوات بعضها ببعض والزلزلة ﴿بَتَائِهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: 1].

ويوم القيامة إنما يظهر لدى انتقال التدبير من اسم إلى اسم آخر، فإن ذلك يوجب تبديل السماوات والأرض ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاجِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48]. وللساعة أشراط كطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال واليأجوج والمأجوج وغير ذلك.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ﴿٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ﴿٤﴾﴾ [القمر: 4] أي قرآن فيه مزدجر، أي تهديد وزجر وتعذيب، وتجويز اسم مفعول من الزجر من باب الافتعال.

﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾﴾

﴿حِكْمَةٌ﴾ علم بحقائق الأشياء على ما هي في نفسها، والأمر بقدر الطاقة البشرية والعمل بما فيها ﴿بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ [القمر: 5] نفي واستفهام للإنكار، أي إغناء يغني. النذر جمع نذير بمعنى النذر أو النذر عنه أو مصدر بمعنى الإنذار.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ ﴿٦﴾﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [القمر: 6] أي أعرض يا أيها الرسول المبلغ عن الكفار إذ ليس على الرسول إلا البلاغ والتبليغ لا الإغناء والحفظ والإهداء، فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظًا فتولى أمر من يتولى. هذه هي الحكمة البالغة ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125]، ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ والداعي هو إسرافيل فاعل يدعو، يوم منصوب بيخرجون أو باذكر ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾ [القمر: 6] فظيع مكروه ينكر ويكره النفوس لأنها لم تعهد مثله وهو هول القيامة ودهشته.

﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾

﴿خُشَعًا﴾ جمع خاشعة خائف ﴿أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ﴾ [القمر: 7] أي يخرجون



يوم دعوة الداعي من قبورهم أذلاء خائفة أبصارهم وغير قادرة على أحوال القيامة وأهواله ﴿الْأَجْدَاثُ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القَمَر: 7] أي أهل القيامة يشبه الجراد المنتشرة في الكثرة والانتشار والضعف.

﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ ﴿٨﴾

﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ مسرعين ماديين أعناقهم إليه، ناظرين إليه ﴿يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القَمَر: 8] صعب شديد.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ﴾ ﴿٩﴾

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل كفار مكة وصناديدهم ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ وجماعتهم الرسل الذي جاءهم فكذبوا نوحًا، تفصيل لما أجمل. قيل: معناه كذبوا ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ أي كذبوا تكذيبًا بعد تكذيب كلما مضى منهم قرن يكذب تبعه قرن آخر مكذب، وكان دأب قوم نوح وعادتهم أن يوصي الآباء أبناءهم بتكذيب نوح ويزرعون في أراضي قلوبهم بروز عداوة نوح إلى أن أغرقهم الله، أو كذبت قوم نوح الرسل، فكذبوا عبدنا أي التكذيب من شيمهم وخصائصهم ومن عادتهم القبيحة ﴿وَقَالُوا﴾ أن نوحًا ﴿مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ﴾ [القَمَر: 9] وسدد وخوف ومنع عن التبليغ بأنواع الأذية من الضرب والتغريب والإخراج من بينهم وغير ذلك.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ ﴿١٠﴾

﴿فَدَعَا﴾ نوح ﴿رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ بغلبة قومي عليّ ﴿فَأَنْصِرْ﴾ [القَمَر: 10] فانتقم منهم وقني منهم بعذاب تبعته عليهم، وإنما دعا بذلك بعدما طمَّ عليه الأمر وبلغ السيل الزبى. روي أن واحدًا من أمته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيًا عليه فيفيق وهو يقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنَمَّرٍ﴾ ﴿١١﴾

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنَمَّرٍ﴾ [القَمَر: 11] منصب، وذلك أن السماء بأسرها على الماء الذي خلقه الله قبل السماوات والعناصر ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: 30]، وقال أيضًا: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: 7]. عن ابن عباس رضي الله عنه: لما خلق الله العرش خلق بعده بحرًا عظيمًا من الماء يقال له

المسجور، بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هُود: 7]. وفي التوراة: أن الله خلق ياقوتة حمراء ثم نظر إليها بالهيبه فصارت ماء يرتعد، ثم خلق الريح فخلق على متنها، ثم خلق ثم وضع المؤمن على الماء على طور الوحي والكشف وهو وراء ظهور العقل وهو مقدم وأصل جميع العلوم الحكمية كلها لأنها مقتبسة أنوارها من مشكاة النبوة، ثم بعد ذلك حال الفعل فيها حولاً بأن تفرد في الإدراكات عن أنوار الوحي واشتغل برأسه، فقد خبط خبط عشواء وقال ما هو يقول وافتراء وكلام منه براء.

﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدِّدَرٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ لأنها في الوضع الطبيعي في جوف الماء والماء في أجزاء الأرض ولذا لوجوب الأرض خرجت منها الماء عيوناً، نصبه على التمييز فصارت الأرض كلها كأنها عيون منفجرة ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدِّدَرٍ﴾ [القمر: 12] أي ماء السماء وماء الأرض قدره القدير في الكتاب الأول من غير تفاوت وحال، قدرت وسويت وهي تكون ما أنزل على قدر ما أخرجه أو على أمر قدره وعينه على أهل كل قوم نوح على وجه لا يزيد عليه ولا ينقص منه في الطوفان، أو على أمر قدره في اللوح المحفوظ قدر ازدياد الماء وسمكها وبسطها وعدد أفراد القوم وغير ذلك.

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ [القمر: 13] أي أخشاب عريضة، المراد منها السفينة وكيفية صنعها. ودسر جمع دسار وهو جبل من ليف تشد به ألواح السفينة.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا ﴿١٤﴾﴾

﴿تَجْرِي﴾ السفينة والفلك في الماء ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا أي محفوظ عندنا أو بحفظنا ﴿لِمَنْ كَانَ كُفِرًا﴾ [القمر: 14] نوح لأنه مكفور حاله ومستور ماله، ولأن النبي ﷺ في الحقيقة من البدء رحمة لعباده ونعمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]، فكان نوح نعمة مكفورة ومن هذا يحكى أن رجلاً قال لهارون

الرشيد: الحمد لله عليك، فقال: ما معنى هذا الكلام؟ قال: أنت رحمة الله، فحمدت الله على نعمه ورحمته وقرأ: ﴿جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفْرًا﴾ [القَمَر: 14] أي للكافرين.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ﴾ (١٥)

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَهَا﴾ أي السفينة أو الفعلة، أي جعلناها ﴿آيَةً﴾ يُعتبر بها أو شاع خبرها واستمر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ﴾ [القَمَر: 15] أي متعظ ومعتبر لأن الله تعالى قد نزلها في أرض جزيرة أو جبل فيها يقال لها الجودي لتبقى دهرًا طويلًا وتكون عبرة للناظرين وموعظة للذاكرين ونعمة للشاكرين، وهو اسم فاعل من الذكر من باب الافعال.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ (١٦)

﴿فَكَيْفَ كَانَ﴾ ووقع وثبت ﴿عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ [القَمَر: 16] يحتمل المصدر والجمع، الاستفهام للتعظيم والوعيد إما عام أو خاص بقوم نوح.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ﴾ (١٧)

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ أي سهّلناه وبَيَّنَّاهُ وأنزلناه للذكر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ﴾ أي قائل ومعدّ للاتعاظ ومعتبر. روي: إن كنت من أهل الإيمان كالتوراة والزبور والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى وغير ذلك لا يتلوها إلا نظرًا ولا يحفظها حفظًا كما هو أهل القرآن ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّرٍ﴾ [القَمَر: 17].

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ (١٨)

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ [القَمَر: 18] والتكرار يُشعر بالأدوار والأكوار.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ (١٩)

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصَرًا﴾ شديدًا ﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ﴾ شؤم ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ [القَمَر: 19] ممتد دائم حتى أهلكهم جميعًا، ولم يبين فيه أحدًا ابتداء من الإبقاء في آخر الشهر.

﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمِ اعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ﴾ (٢٠)

﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ [القَمَر: 20] ينزع ويقلعهم عن أماكنهم آخذين بعضهم بأيدي

بعض ويدخلون السعائر ويحفرون الحفر فيتذكرون فيها حفظًا فينزعههم ويكبهم ويدق رقابهم ويصرعهم موتى ﴿كَانَتْهُمْ أَعْجَازٌ نَّخْلٍ﴾ أصول أشجار نخل وعروقهم ﴿مُنْقَعِرٍ﴾ [القَمَر: 20] عن مداسه، ساقط على الأرض. قيل: شبهوا بالأعجاز لأن الريح ضرب برأسهم وطرحت أجسادهم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ﴿٢١﴾

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [القَمَر: 21] وتكرار العذاب يُشعر بأن الإنسان منشؤه الغفلة والسيان.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ﴿٢٢﴾

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ وأنزلناه للاتعاظ والعبرة ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القَمَر: 22] وشخص متذكر قد يذكر من العهود الأزلية والعقود الأولية والحدود الأصلية.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ ﴿٢٣﴾

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ [القَمَر: 23] والإنذار والمنذرين.

﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾ هذا من باب إضمار العامل على شرائط التفسير، فالرفع بالابتدائية والنصب مختار بعد حرف النهي والاستفهام واحدًا صفة (بشراً) على تقدير النصب، أي قال قوم ثمود: نتبع بشراً واحدًا يكون من جملتنا وبعضاً منا. فاتباع البعض الكل يخالف العقل والعرف فإذا هو ضلال بعيد دون العكس ﴿إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ [القَمَر: 24] أي جنون في طور الدنيا أو في نار وسعير في طور الآخرة والعقبى، وهو جمع سعير، وجمعيتها باعتبار كثرة الدركات أو الأبواب أو باعتبار كثرة الحالات وشدائدها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: 56] ليدوق العذاب أو لكمال سعتها.

﴿أَلَيْسَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿أَلَيْسَ الذِّكْرُ﴾ وأنزل الوحي أو الكتاب وعلم النبوة ﴿عَلَيْهِ﴾ أي على البشر الواحد، وهو النبي، أعني صالح ﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾ [القَمَر: 25] هذا إنكار آخر بأن إنزال

الوحي وعلم النبوة علينا أولى ونحن به أليق وأحق منه، كما قال تعالى في حق طالوت وقومه: ﴿أَنِّي يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ [البقرة: 247]، ولم يؤت سعة من المال، قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: 247]، ﴿بَلْ هُوَ﴾ صالح ﴿كَذَّابٌ أَشِرٌّ﴾ [القمر: 25] للإضراب وللترفي في النفي والمبالغة، أما في المبالغة ففي الكمية، أو في الكيفية، أي كثير الكذب أو شديد، أي كذب لا يقبله العقل لقباحته وكثرة فضيحته.

وقوله: ﴿أَشِرٌّ﴾ إشارة إلى أنه كذب لا للضرورة وخاصة إلى الخلاص كما يكذب الضعيف ربما يكذب بطراً أو أشراً طلباً للرياسة عليكم وداعياً لاتباعكم له.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ﴾ [القمر: 26] منا ومنكم يوم القيامة أو في الدنيا حين حلول العذاب ونزول شدائد العقاب بعد إرسال الناقة وعقرها، وإنما بالغوا في تعاطي الكذب أو الأشر لا لحاجة وضرورة.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِئْتَهُ لَّهُمْ فَأَرْقَبَهُمْ وَأَصْطَبِرُ﴾ ﴿٢٧﴾

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِئْتَهُ لَّهُمْ﴾ إما بمعنى الماضي أو المستقبل بيان لقوله: سيعلمون غداً ﴿فَأَرْقَبَهُمْ﴾ وانتظرهم، خطاب لصالح عليه السلام وأمر لانتظار هلاكهم واستئصالهم وأمر بالصبر ﴿وَأَصْطَبِرُ﴾ [القمر: 27] لأن الصبر على الأذية وحسن النفس عليهما يوجب كمال توجههما إلى الله بالتذلل والخشوع وإصابة سهام الدعاء إلى هداف الإجابة.

﴿وَيَنْبِئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْضَرٌ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿وَيَنْبِئُهُمْ﴾ أخبرهم ﴿أَنَّ الْمَاءَ﴾ المعهود ﴿قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ مقسومة بين قوم صالح، يوم لهم ويوم لنا فيه ﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾ أي ماء مشروب ﴿مُحْضَرٌ﴾ [القمر: 28] يحضره صاحبه في نوبته ويحضره عنه غيره. قيل: يحضرون الماء في نوبتهم واللبن في نوبتها.

﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَطَعْنَاهُ فَغَرَّ﴾ ﴿٢٩﴾

﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ﴾ [القمر: 29] ومقدمهم قدارين سالف بن أصمير بن ثمود

﴿فَعَاطَى﴾ أقدم وأخبر وتجاسر على ارتكاب الأمر الخطير ﴿فَعَقَرَ﴾ [القَمَرُ: 29] الناقة وقصد إهلاكها وتعاطى السالف فقتلها .

### ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [القَمَرُ: 30] وإنذاري وتخويفي، وإنما ذكر هذه الآية في ثلاثة مواضع إشارة إلى أن الأدوار وما فيها من الأعيان والأكوان متطابقة، وأن كليات الأدوار والأكوان الإفرادية والجمعية ثلاثة: دورة جمالية مفردة، وكورة جلالية مفردة، وصورة جمعيتها على وجه يتساوى اقتضاء الجمال والجلال .

### ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَجِدَةً﴾ صيحة جبرائيل، فنفدت الصيحة في أحشاء كل واحد منهم من الأعيان والأكوان وأثرت فيها ﴿فَكَانُوا﴾ وصاروا وأصبحوا ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [القَمَرُ: 31] أي كالشجرة اليابسة المهشمة المنكسرة، والمحتظر من يعمل الحظيرة ويحتظره بنفس طول الزمان ويطريه ويتوطأ البهائم فيتحطم ويتهشم ويتشت .

### ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ وتكرارها في ثلاثة مواضع إشارة إلى عدد مظاهره، وهي ثلاثة أحدها: ذات الله، والثاني: اللوح المحفوظ، والثالث: سماء الدنيا، وهي فلك القمر وهو من أن أجزاء أسماء الله السبعة الذاتية تناسب السماء السابعة ومن الأطوار السبعية القلبية ثلاثة تكون مخلها أحدها: الطور السري المسمى بالذات بالفؤاد، والثانية: الطور الروحي، والثالثة: الطور الخفي ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القَمَرُ: 32] قائل للتذكر والموعظة، وإنما ذكره في خمس مواضع إشعاراً بأن الأطوار القابلة للتذكر من العهود الأزلية والمواثيق الأولية خمس: الطور النفسي، والطور القلبي، والطور السري، والطور الروحي، والطور الخفي .

### ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ﴾

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ﴾ [القَمَرُ: 33] بالنبى المنذر، وإنما عقب كل إنذار مبين بينها على أن كل قوم قد أهلكهم الله قد عقبهم نبي قد دعاهم إلى الله وهم

لكمال غيهم ووفور جهلهم وعنادهم قد تخلفوا عن إجابته واختلفوا في قبول دعوته، فصار ذلك سبباً لإهلاكهم ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا مِّنْهُمْ فَتَرَفْنَا مِنْهُمْ خَبْرًا ﴿١٦﴾ [الإسراء: 15، 16].

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ لَّوَّطَيْنَاهُمْ إِسْحَارًا﴾ (٣٤)

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً عظيماً يحمل الأحجار والحصباء ويمطر عليهم بحجارة، ومن الريح ما يهب من ثقبه كثقبه الخاتم فإذا أراد الله أن يهلك قومًا أو بقاعاً أو أرضاً أرسل من ذلك الثقب ريحاً كما أرسل على قوم عاد وقوم لوط ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ وأهله ومن تبعه إلا امرأته ﴿لَّوَّطَيْنَاهُمْ إِسْحَارًا﴾ [القمر: 34] في سحر وهو آخر أجزاء الليل والعمية.

﴿نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ (٣٥)

﴿نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا﴾ إنعاماً ونعمةً من عندنا ومنة من لدنا وهو علة (نجينا) ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ [القمر: 35] نعطي جزاء نعمتنا بالإيمان وكمال العرفان ووفور إتقان الإيقان والتجافي عن الفسق والظلم والطغيان للاستنكاف عن الجود وكثرة العصيان.

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ (٣٦)

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا﴾ أي مؤاخذتنا وشدة نعمتنا ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ [القمر: 36] قوم لوط.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ (٣٧)

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ﴾ [القمر: 37] راد يروود إذا جاء وذهب لطلب شيء، ومنه الرائد لأن المطالبة تستعمل في الأعيان والمرادة لا تستعمل إلا في العمل. والضمير في راوده إن كان عائد إلى لفظهم فضمير أعينهم أيضاً عائد إليهم، فيكون قد طمست بأعينهم إذا دخلوا دار لوط، فإن جبرائيل ضرب بعض جناحه على وجوههم فأعماهم في آخر الليل وهم متقهون فما جاءهم بأشياء إلا أن قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف: 5]، ﴿عَن ضَيْفِهِ﴾ شكوا وارتابوا من المرية وهما الشك والريب متساكين فيه بالنذر ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ فمسخنا أعينهم وأبصارهم وجعلناها مسطحة

كسائر أجزاء الوجه لا يرى لها من شق لما عالجوا باب بيت لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلفهم: لا يدخلوه إنا رسل ربك نحرسك ونحو ذلك: لن يصلوا إليك، فصعقهم جبرائيل صعقة فتركهم يترددون ولا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [القَمَر: 37] ونقلنا لهم ذوقاً على ألسنة الملائكة.

﴿وَلَقَدْ صَبَحَهمْ بُكَرَةً عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ ﴿٣٨﴾

﴿وَلَقَدْ صَبَحَهمْ بُكَرَةً﴾ أول النهار ﴿عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ [القَمَر: 38] ثابت قد استقر عليهم إلى أن يمضي بهم إلى عذاب الآخرة.

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿وَلَقَدْ

جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ﴾ ﴿٤١﴾

﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ﴾ ﴿٤١﴾ [القَمَر: الآيات 39 - 41] موسى وهارون ومن وجدوهما.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقَدِّرٍ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ ومعجزاتنا الظاهرة بأيديهم كالعصا وقلق البحر والظوفان والجراد والقمل والضفادع ﴿كُلِّهَا﴾ أي التسع ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ قوي شديد قهّار غير مندفع ﴿مُقَدِّرٍ﴾ [القَمَر: 42] وقدرة كاملة وقوة شاملة.

﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ﴾ يا معشر العرب أو يا أهل مكة من الكفار المعدودين قوة وعدة وآلة ومكانة في الدنيا، هم قوم نوح وهود وصالح ولوط وقوم إبراهيم وموسى عليه السلام، يعني أن كفاركم مثل أولئك بل هم أشرّ منهم ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [القَمَر: 43] أي أنزلت عليكم يا أهل مكة براءة في الكتب المتقدمة من كفر منكم وكذب الرسل كان آمناً من عذاب الله فأمتهم بتلك البراءة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنْتَصِرٌ﴾ ﴿٤٤﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنْتَصِرٌ﴾ [القَمَر: 44] ممتنع من عذاب الله لا يرام ولا يضام. وعن أبي جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في الصف وقال: نحن



منتصرون اليوم من محمد وأصحابه، فنزلت :

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ (٤٥)

﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ﴾ أي الجماعة المعهودة ﴿وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القَمَر: 45] أي الإدبار رجع القهقري. عن عمر رضي الله عنه قال: لم أعلم ما هي، فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يلبس الدرع ويقول: سيُهزم الجمع، فعلمه.

﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾ (٤٦)

﴿بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ﴾ أي موعد عذابهم الأصلي وما يحيق بهم في الدنيا وأن ﴿وَالسَّاعَةُ أَذْهَى﴾ أعظم وأشد وأقطع. والداهية الأمر العظيم المنكر الذي لا إليه ﴿وَأَمْرٌ﴾ [القَمَر: 46] من الهزيمة والقتل والأسر.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ (٤٧)

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾ [القَمَر: 47] ونيران في الدنيا، أو في نيران وسعير في الآخرة.

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (٤٨)

﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ ومناخرهم ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ [القَمَر: 48].

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤٩)

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القَمَر: 49] منصوب بفعل مضمير يفسره الظاهر وقرار بالرفع والنصب أولى أي خلقنا كل شيء مقدراً أو مقداراً محكماً مرتباً على حسب ما اقتضته الحكمة، أو مقدراً ثابتاً مكتوباً في اللوح المحفوظ، معلوماً قبل كونه، قد علمنا حاله وزمانه.

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِلَبْسٍ﴾ (٥٠)

﴿وَمَا أَمْرُنَا﴾ وحكمنا ﴿إِلَّا﴾ فعلة ﴿وَاحِدَةٌ﴾ بلا معالجة ومباشرة آلة، ومباشرة أداة، أو كلمة واحدة ﴿كَلِمَةٍ بِلَبْسٍ﴾ [القَمَر: 50] أي حركة العين في

السرعة واليسر واليسرة.

﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر والضلالة والشرك والبطالة والقساوة والعطالة من قبلكم ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القَمَر: 51] متعظ ومعتبر.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ [القَمَر: 52] في صحائف دواوين الحفظة.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمال وقليل وكثير من الأحوال والأعيان والأقوال ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ [القَمَر: 53] في اللوح المحفوظ.

﴿إِنَّ اللَّئِيفِينَ فِي جَنَّتِ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾﴾

﴿إِنَّ اللَّئِيفِينَ﴾ الفائزين بكمال الإيمان واليقين ﴿فِي جَنَّتِ وَنَهْرٍ﴾ [القَمَر: 54] وأنهار، اكتفى باسم الجنس وهو السعة وأيضاً من النهار. وقرئ بسكون الهاء وبضمين جمع نهر كأسد وأسد وفلّك وفلّك.

﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾

﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ﴾ [القَمَر: 55] مبهم أمر في الملك والاقْتدار فلا شيء إلا وهو يجب، وملكه وقدرته، فأى منزل ومنزلة أكرم من تلك المنزلة أو جمع للقبط كلها والسعادة بأسرها.

عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ (القمر) فِي كُلِّ غَيْبٍ بَعَثَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجْهَهُ مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ».

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي خلق الإنسان في الفطرة الأولى وعلمه وحكم عليه بالإيمان، وجزم لديه بالكفر والعصيان ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي بيّن أسرار قرآنه، وعيّن أنوار فرقانه، ورتب قلبه بأطوار بيانه وأنهار تبيانه، ومكّن في حجته وبرهانه طريق شهوده وعيانه ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي جعل شمس الروح وقمر القلب وبدر الصدور محل البيان ومجلى الكشف ومجلى العرفان ومظهر ظهور العيان.

## ﴿الرَّحْمَنُ﴾

﴿الرَّحْمَنُ﴾ [1] لما كانت السعادة السرمدية والسيادة الأبدية منوطة بتعداد النعم الدنيوية ومربوطة برشاد الحكم الدينية، صدرّ السورة بما يدوم به منافع النشأتين، ويقوم فيه مجامع الدارين، وهو الرحمن، ثم أشار بخلق ما هو أفضل الكونين وهو الإنسان.

## ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾

﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [2] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [3] أولاً في الفطرة لأن النشأة العليا في المرتبة القصوى ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [التحل: 4] صوّره بصورته. قال ﷺ: «خلق الله آدم على صورة الرحمن». قال بعض العارفين: بالصورة النوعية الإنسانية في مقام البسملة. قال الحكيم الفاضل الإلهي: أول ما خلق الله آدم وأن النفوس السماوية هي النفس الإنسانية المستنسخة وأنها باب الأبواب.

### ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾

﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرَّحْمَنُ : 4] أي بيان الحكمة الإلهية والنبوة الذاتية التعريفية والتشريعية أي الولاية والنبوة الدائرة في الأدوار النورية الوجودية والأكوار الظلية العدمية، تارة تكون النبوة ظاهرة صريحة، والولاية حقيقته ضمنية، والأخرى تكون بالعكس، فقوله: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرَّحْمَنُ : 2] إشارة إلى أن القرآن قائم بالروح الإلهي المنفوخ في البدن، المسوى الإنساني المخمر باليد الرحماني ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الحجر : 29، 30] وتنزل باستصحابه على المراتب الجبروتية والملكوية والبرزخية والملكية الشهادية إلى المرتبة الناسوتية فخلق الإنسانية وعلمه البيان.

### ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾ [الرَّحْمَنُ : 5] وهما آفاقي وأنفسي، أما الآفاقي فهما للحسبان وهو الحساب يَعْتَوِرُ عليها نظام الدين في الدنيا، أما الأنفسي فشمس الروح وهو محل إشراقات الأنوارية وقمر القلب الذي هو مجمع أنوار الربانية ومرتع الأطوار المختلفة الكتابية تتداول عليه التكاليف الإلهية الشرعية والتعاريف الفرعية ويعلم بحلولهما في البروج وبنزولهما في المنازل في الهبوط والعروج، حساب الأوقات وكتاب المعاملات ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ﴾ [يونس : 5].

### ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ﴾ [الرَّحْمَنُ : 6] النفس النباتية التي نزلت من عالم المجردات إلى عالم الماديات تثبت أولاً بالصورة المعدنية ثم بالهيئة النباتية، وخرجت من جنب الأرض، وغيب امتداد الطول والعرض على وجه الأرض فتنكس رأسها ولم ينفصل عن غيب الأرض، وملكويتها هو عرقها وأصلها ورجلها وهو أغصانها قد تفصل، إلا أن بعضاً منها لم يقو التعلق به فلم يرتفع عن الأرض كثيراً، وبعض منها يكون كثير التعلق قوي التحقيق فيرتفع بقدر التعلق، وهكذا دائرة القوة والتعلق والارتفاع إلى أن يصل إلى الحد الفاصل والبرزخ الحائل بين النبات والحيوان وهو

النخل . قال النبي ﷺ: «أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من بقية طين آدم». كما أن المرجان فاصل بين المعدن والنبات، وإذا أردت القوة النباتية وارتفعت تخمر نفسها من أفق عالم الحيوان فحينئذ ينفصل رأسه عن أرض أفق عالم الحيوان كالجنات والخراطين، وهكذا تزداد النفس الحيوانية ارتفاعاً إلى أن تستوي قامتها ويحصل منها استعداد لأن ترتفع عن عالم الحس والبشرية والناسوت إلى عالم النفس وعالم الربوبية ومنها إلى عالم الإنسان الكبير وهي الجمعية العظمى، ومنها إلى عالم اللاهوت. فالنجم أي النبات الذاتي الذي لا ساق له، والشجر الذي له الساق من حيث إن رأسهما يتصلان بالأرض ﴿يَسْجُدَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 6] أبداً لأن السجدة عبارة عن وضع الرأس على الأرض. ويحتمل أن يراد بالنجم الكوكب الثابت، فإن السماء الثانية مملوءة من الكواكب الثابتة، وبالشجر الكواكب السيارة السبعة، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، إن السماء أظت وحق لها أن تنط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك واضع جبهته ساجداً لله عزَّ وجلَّ»، وهذا يناسب السابق واللاحق.

### ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ [الرَّحْمَنُ: 7] خلقها مرفوعة محلاً ومرتبة، فإنها جعلت محل أحكامها ومحل أعلامه ومصدر قضاياه ومجمع تدييرات ربوبيته، ومرتع تقديرات ألوهيته ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السَّجْدَةُ: 5]، ومسكن ملائكته الذين يهبطون إلى الأرض بالوحي على أنبيائه ويأنزال فيضه في عالم العناصر والمركبات، ونبه بذلك على كبر شأنه وعظم سلطانه وسطوع برهانه. وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرَّحْمَنُ: 7] والقسط والعدل. قال النبي ﷺ: «بالعدل قامت السماوات والأرضون» إشارة إلى أن كل ما ينزل من سماء الربوبية إنما يكون بالوزن والقسط لا بالانخراق والتخمين، فعليكم أن تفعلوا الأمور بالوزن والعدل.

### ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾

وعليكم ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 8] (ألا) مفسرة، وقرئ بألا على إرادة القول أي عدلوا الميزان واعملوا الاستقامة في الأمور حذراً عن الطغيان،

ووفوا لكل مستحق حقه، ووفوا كل ذي حق ما هو أحقه، فيه انتظم أمر العالم واستقام كما مر من قوله ﷺ: «بالعدل قامت السماوات». أو ما يعرف به أحوال القلب وأطوار الغيب، والنفس الناطقة والعقل في الإفراط والتفريط والضلالة والتغليظ، واتحاض الحق، نجانا عن اتحاض الباطل والتخليط، وغير ذلك مما يتفرع من الأخلاق الحميدة والذميمة والملكات الفاضلة والهيئات النازلة العاضلة.

### ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ﴾ بيان لما أجمل وتفصيل وتوضيح لما أعضل ﴿بِالْقِسْطِ﴾ [الرحمن: 9] والاقتصاد والوسط ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: 143] خير الأمور أوسطها ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: 9] وضع المضمرة مكان المظهر إشارة إلى تنوعه وتعدد أصوله وتفرعه وتكثُر موارده وتكثير مشاربه من المعاملات البدنية والمقالات الضلالية، والرياسات المنزلية، والسياسات المدنية، والهيئات النفسانية، والملكات الروحانية، والحالات الجسمانية، والمقالات الجنانية، والانتقالات من القوة إلى العاقلة، وإشارة إلى تعادل مقتضيات الأطوار والأدوار بمرتضيات الأكوان الإفرادية وتكافؤ البسائط الفردارية والوسائط الوحدانية، والجمعية المعدلة، فإنه لو اقتصدت وتولدت مقتضيات النور بمرتضيات الظل والحرور في الأعيان الشخصية والأكوان النوعية والجنسية لظهور العدالة الحقيقية وبهرة السعادة المرادية، وجهرة السيادة الأبدية الديمومية.

### ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾

﴿وَالْأَرْضَ﴾ الاستعدادية والعرض القابلية ﴿وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: 10] أي الأعيان النورية الجمالية والتعينات الوجودية البينية والنسبية البرزخية والشهادية.

### ﴿فِيهَا فَكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾

﴿فِيهَا فَكِهَةٌ﴾ من المعارف النظرية والإدراكات النظرية والضرورية ﴿وَالنَّخْلُ﴾ أي نخل العلوم الحالية والمشاهدات الغيبية والمعانيات الشاهدية والمكاشفات الذوقية الحاصلة في الدورة النورية الجمالية الصريحة ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ [الرحمن: 11] أي الحجب النورية والتعب الظلمية.

### ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ (١٢)

﴿وَالْحَبُّ﴾ أي العلوم الشرعية والإدراكات الفرعية، والعلوم الإلهية، والحكمة العملية اللازم للصورة النوعية والهيئة الجمعية ﴿ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرَّحْمَنُ: 12] أي ورق الألفاظ والعبارات، وريحان الذوق وحسن الفهم، وروح الحدود والإضافات والتعريفات أو الرسوم والانتقالات.

### ﴿فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (١٣)

﴿فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 13] الخطاب للأعيان النورية الجمالية والأكوان الظلية الجلالية، والآء هي النعم الظاهرة والمنح الباطنة من القوة النظرية والعملية، والأحوال المعنوية والمقامات القلبية، والحالات الغيبية، والتحقق بالكمالات الذاتية والأسمائية، والتجليات الذاتية والصفاتية والأفعالية والآثارية، والنشأة المتطورة والشؤونات المتنوعة، والبرزات المتقنة المتذكرة وغير المتذكرة، وغير ذلك من الكمالات الأنسية والحالات الأنسية. وللتقلين في الدورتين، وإنما قدم من الآء المعهود العدالة واستواء الوزن والاستقامة لشرفها وعموم عرفها كما تقدمت الإشارة في الكلام الختمي.

### ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (١٤)

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ﴾ أي الطين اليابس الذي له صلصلة وصوت لدى الاصطكاك ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 14] الطين المسخن المطبوخ، وهو الخرق.

واعلم أنه اختلف الكلام في هذا المقام في خلق الإنسان المتضمن لخلق سائر الأعيان صريحاً في الأكوان ضمناً بعبارات مختلفة ومقالات متقاربة نحو: ﴿مِنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26]، ﴿مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: 11]، ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: 59]، والكل في المأل واحد إلا أنه خلق الله تعالى آدم من أنواع أربعة: من التراب الأسود والأبيض والأحمر والأدهم، فالعبارات المذكورة إشارة إلى الاختلافات، ويجوز أن تكون إشارة إلى أن مادة تكوينه تختلف بحسب اقتضاء خصوصية كل دورة من الأدوار الأربعة النورية وحقيقة الكل وأصله هو التراب.

## ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ [الرَّحْمَنُ: 15] أي الجن، أو أبا الجن. وقيل: هو إبليس.

اعلم أن الله تعالى خلق النار السموم وهو النار الخالص الصافي من الدخان، وخلق منها خلقًا عظيمًا يقال له مارج، وما كان على صورة ذئب ثم خلق منه زوجته على هيئة الأسد وسماها مارجًا، وخلق منها الجان كما قال، وخلق الخ ﴿مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ﴾ [الرَّحْمَنُ: 15] ثم تولد من الجان الجن، فمنه تفرعت قبائل الجن والشيطان، ومنه إبليس واسمه عبد الحارث، وتولد منه الجان والجن والشياطين الذكر والأنثى توأمين وهذا الطور سارٍ في جميع الكائنات وتمام المكونات، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: 14].

وهذا التوالد قد استمر إلى أن صار المواليد سبعين ألفًا من الذكر والأنثى، ثم تكثروا إلى أن صاروا كورد الأمطار وأقطار البحار وعدد الرمال وأوراق الأشجار لا يحصيتها إلا الله، وتزوج إبليس بامرأة من الجان فتولدت بلقيس وفتونة في بطن واحد، وتكثروا إلى أن لا يعلم عددهم إلا الله، وكانوا يسكنون المفاوز والقفار والغياض والآجام والبطحاء والبراري وكرة البحار وغير ذلك، قد بعث الله فيهم رسولًا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب ويدعوهم إلى الله وإلى عبادته، ووضع بينهم الشريعة وقانون الحكمة الإلهية والطبيعية والرياضية.

واعلم أن الله عزَّ وجلَّ خلق باقتضاء أسمائه الأربعة الذاتية من السبعة: العلم والحياة والقدرة والإرادة العوالم الأربعة من الجبروت والملكوت والبرزخ والملك، وخلق في كل منها أعيانًا وجودية وأكوانًا شهودية، أعني العقول والأرواح والنفوس والأجسام، ثم خلق الاسطوانات الأربعة العناصر المرتبة على حسب ما تقتضيه العوالم المذكورة، فخلق من جنس عالم العقول العنصر الناري، ومن جنس الأرواح الهواء، ومن جنس النفوس الماء، ومن جنس الأجسام التراب، وعيَّن لكل دورة مناسبة لتلك المرتبة والعالم، وأمضى ونفذ وأجرى في كل دورة أحكامًا، وعيَّن لأعيانهما أحوالًا وأعلامًا، فدورة عالم العقل تسمى بالدورة العظمى، ورب هذه الدورة هو ظاهر العلم، ودورة عالم الأرواح تسمى بالدورة الكبرى وربّه هو الحيّ، ودورة عالم البرزخ تسمى بالدورة الوسطى وربّه هو



القدير، ودورة عالم الملك تسمى بالدورة الصغرى وربّها هو الإرادة. وفي كل مرتبة وعالم من هذه المراتب والعوالم الأربعة أفلاك وسماوات وأرض ودينا وآخرة، فسماوات عالم الجبروت وأفلاكها عقلية، وسماوات عالم الأمر والملكوت روحية، وسماوات البرزخ خيالية ونفسية، وسماوات عالم الملك جسمانية حسية.

ولكل فلك وسماء من هذه الأفلاك والسماوات حركات مناسبة لتلك المرتبة والعالم، فحركة مرتبة الجبروت عقلية، والملكوت روحية، والبرزخ خيالية، والملك جسمانية شهادية. ولكل حركة مقدار معين وامتداد مبين هو مدة تلك المرتبة، وفي كل مرتبة عالية يندمج فيها ويندرج لديها سائر المراتب لما فيها من الأعيان والأكوان وأحوالها ولوازمها، وكل مرتبة ودورة سافلة تنطوي على المراتب العالية، وعلى ما فيها من الأدوار وما فيها، ولكل رب من أرباب هذه المراتب اقتضاء مخصوص وارتضاء منصوص، ولذلك الاقتضاء فردارية معينة ومدة مبينة، وإذا انقضت تلك المدة وانتهت تلك الفردارية ونوبة من مرتبة، ونوبة تربية من اسم إلى اسم آخر تبدل طور الدنيا إلى طور الآخرة، وطور الآخرة إلى طور الدنيا، فقامت القيامة وظهرت الساعة، وتبدلت السماوات والأرض، فكما أن كل مرتبة ودورة تنطوي على أفلاك وحركات مناسبة لا بد وأن تحتوي على عناصر مناسبة، وعلى ما يتركب منها من أنواع المركبات الأهرمانية والقولية والشيطانية والجنية، وفردارية الجمال إذا كانت صريحة، وفردارية النور والجمال ضمناً أو سلطان الجمال والجلال توأمان، وكذا مقتضاهما من الملائكة والأعوان والسلاطين وكمالته والعقول والنفوس والأرواح والأجساد والإنس والجن، والنور والسماء والأرض، والوجود والعدم، والظهور والبطون، وغير ذلك.

فالدورة العظمى النورية تنطوي على ضرورة العناصر الأربعة، والكبرى على ملكوتها، والوسطى على طبيعتها البرزخية، والصغرى على جسمها وملكها، فمن جبروت النار خلق الله الأمر من الأكبر، ومن ملكوت الهواء يخلق الأحوال، ومن طبقة الماء وملكوتها يخلق الشياطين، وصورة الأرض ومملكته وملكوتها الأدنى يخلق الجن، ومن جمعية الكل آدم ابتداءً وانتهاءً، ومن جنس كل مرتبة وعالم يخلق الله تعالى ملكاً ملكياً وهو جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل، وخلق الله لكل

منهم أَعْوَانًا لا تَتَنَاهَى، وفرض تدبير العوالم كلها وتربية أَعْوَانِهَا إِلَيْهِمْ. ويتجلى مطلق الوجود والذات البحت أولاً بذاته لذاته بنعت جمالي معاً، وفرض تدبير هذه العوالم وأعيانها صريحاً وجهرًا بالنور والجمال والوجود، وبالظل والجلال والعدم ضمناً، وهو المطلق والبحت. والأول مقتضى الوجود والذات فما من موجود من الملائكة ولا مؤمن والأغوال والشياطين والجن والإنس إلا وللجمال والجلال وللنور والظلمة وللوجود والعدم تأثير في مدخل في وجوده وظهوره، وما من مولود إنسي إلا وقد يوجد معه مولود جنّي، بل ينطوي على جميع الموجود لقوله عليه السلام: «ما منكم من أحد إلا وقد وكلّ عليه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإيائي إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي ولا يأمرني إلا بالخير».

وقد علمت لكل من النور والجمال والظل والجلال أدواراً أربعة، ولكل دورة اقتضاء مخصوص وارتضاء منصوص، ويقع في كل دورة من الأدوار طوافانات فلكية وعنصرية، كلية وجزئية، تامة وناقصة، وقد استوفينا الكلام في هذا المقام في تفصيل هذا المرام في صدر الكتاب في التأويل والتنزيل.

### ﴿فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

﴿فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرَّحْمَنِ: 16] الخطاب للجن والإنس والآلاء، وقد مر ذكرها وتوثيقها وتفصيلها وتفريعها، ومنه في مارج للبيان والتكرار إشارة إلى تكثار الآلاء وتكرارها في الأدوار بالنوع لا بالشخص، ويشعر بأن أعيان كل دورة مركبة من العناصر الأربعة، وأن العناصر لها وجودات في المراتب الأربعة المذكورة، وأن امتياز الأعيان إنما هي بغلبة كل عنصرٍ من العناصر كمّاً وكيفاً، وإنما تنبت تلك الأعيان إلى ذلك العنصر تكوُّناً وتحيزاً وتمكناً لمكان الجن وحيزها هو كرة النار، ومكان الأغوال هو الهواء، ومكان الشياطين والأبالسة والجن هو الماء، ومكان الإنس وحيزه هو الأرض، فلتعارض مقتضيات العناصر وبنائها اختلفت أحوال أعيان مركبة منها، فيصدر من كل منها في كل آنٍ وزمان تطورات متغايرة ومشكلات متكاثرة، وحالات متناقضة، وتناكير وإنكارات لتلك النعم الظاهرة والمتجددة والملح الباطنة المتحددة.

## ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ (١٧)

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرَّحْمَنِ: 17] أي مشرق النجوم النورية الجمالية، ومشرق الكواكب الظلية الجلالية، أو مشرق الجنوب ومشرق الشمال على وجه كل طريق، ولما كانت مقتضيات النور والجمال مخالفة لمرتضيات الظل والجلال لا بد وأن يكون مغرب الجمال مشرق الجلال وبالعكس كما في الحدث في أشرط الساعة من أن الشمس تطلع من المغرب.

## ﴿ فَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا كَذَّبْتُمْ بِالْآيَاتِ الَّتِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (١٨)

﴿ فَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا كَذَّبْتُمْ بِالْآيَاتِ الَّتِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الرَّحْمَنِ: 18] أي النعم الظاهرة تظهر من تعدد المشارق والمغارب إذ لكل منها خاصية تظهر آثارها وتجهر أنوارها في الآفاق وفي الأنفس وفي الشهادة والحس، أما في الآفاق فلأن كل أفق من الآفاق الاستوائية والمائلة خاصة واقتضاء لا تظهر بالأوضاع المخصوصة بالنجوم طلوعًا وغروبًا، استواءً وأقوالًا، ومسائمة لرؤوس سكانها ومباعدة عنها، وأن للشمس المتحركة على مدار هو في سطح دائرة منقطة البروج شمالية من معدلاتها والنصف الآخر خبرتي شمالًا وجنوبًا في كل يوم مشرق ومغرب، وكذا سائر الكواكب السيارة بل الثابتات الواقعة على منطقة البروج في كل يوم، بل في كل آن مشرق ومغرب، وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَلَا أُقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: 40]، فقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ و﴿رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرَّحْمَنِ: 17] إشارة إلى تنوع المشارق والمغارب الكليتين. وقوله: ﴿فَلَا أُقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: 40] إشارة إلى المشارق والمغارب الشخصية الجزئية. قوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [الشُّعْرَاءُ: 28] إشارة إلى وحدة المشرق والمغرب الثابتة الغير المتبدل، وهي المشرق الاعتدالي الربيعي والخريفي في تمام الآفاق الاستوائية.

والمائلة مختلف إذ مقداره في خط الاستواء محصور بين مطلع الاعتدال الربيعي ومطلع النقطة الصيفية والشتوية وهو ثمانية وأربعون جزءًا، ومفاعيل هذه الأجزاء هو المغارب. وأما مشارق الاعتدال فواحد لا يتبدل أبدًا إلا في الآفاق الاستوائية ولا في المائلة.

وأما مقدار القوس الشرقي بالنسبة إلى الآفاقي المائل بالنظر إلى العرض

فمختلف إذ كلما ازداد العرض ازدادت سعة المشرق، وكلما ازدادت سعة المشرق ازدادت المطالع والمشارك حتى إنه لو بلغ العرض إلى مقدار يساوي تمام الكل وهويته صارت سعة المشرق ربع الدور، وكذا المشرق صار ربع الدور. وهكذا يزداد المشرق إذا ازداد العرض إلى أن يبلغ ربع الدور وانطبقت منطقة البروج على الأفق حين انطباق قطبي البرج على شمس الرأس والقدم، فحينئذ يكون الدور المشرق والنصف الآخر المغرب بأن يطلع نصف الدور وهو البروج الستة دفعة واحدة ويعرف النصف الآخر بعينه وقت انصراف قطبي الروح عن الطباق اسمي الرأس والقدم، وإذا انتهى العرض إلى ربع الدور وانطبق قطبا معدل النهار على قطبي الأفق معدل النهار على الأفق الحسي.

فإذا وصلت الشمس إلى إحدى نقطتي الاعتدال فإن كانت نقطة الاعتدال الربيعي طلعت الشمس وكان الدور بتمامه مشرقاً لها فترى الشمس في هذا اليوم على علم الأفق حركة رخوية ويرتفع يوماً فيوماً فوق الأرض إلى ثلاثة أشهر إلى أن بلغت الانقلاب الصيفي، ثم بعد ذلك تنحط إلى أن بلغت نقطة الاعتدال الخريفي فحينئذ يغرب ويصير في هذا اليوم مغربها تمام الدور ويندرج في الانحطاطي ويختفي إلى أن يصل إلى الانقلاب الشتوي، ثم يصعد شيئاً فشيئاً إلى أن يصل مرة أخرى إلى الاعتدال الربيعي، ويتم دورتها بحركتها الخاصة في يوم وليلة، يومها ستة أشهر، وكذا ليلها ستة أشهر، فتمام السنة في هذا العرض المسمى بالعرض التشبيهي يوم وليلة نصف السنة نهار، والنصف الآخر ليل.

وأما العرضي الذي يساوي المثل الكلي فأطول نهاره أربع وعشرون ساعة، وهكذا يزداد النهار طولاً والليل قصرًا، ففي عرض السبعين يصير أطول نهاره أربعة أيام، وهكذا يزداد النهار إلى أن يبلغ العرض تسعين ربع الدور، فإذا انتقلت الشمس إلى النصف الجنوبي من منطقة البروج انعكس الحكم ويزداد طول الليل وينقص النهار مقيسًا على النصف الشمالي، فالنهار يندرج ويندمج ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحديد: 6] الآية.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ ۚ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ ۚ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرحمن: الآيتان 19، 20]

بحر الروح والجسد وبحر الدورة النورية الجمالية، وبحر الكورة الظلية الجلالية، أو بحري المشرق والمغرب، وبحري النهار والليل لدى اندراج أحدهما في الآخر طردًا أو عكسًا، أو بحر الوجوب والإمكان، أو الوحدة والكثرة، أو بحري الوجود والعدم والحدوث والقدم، وغير ذلك من المفهومات المتقابلة صار شيئًا واحدًا بالاجتماع بأن أحاط بهما صورة جمعية ومعية وأحاط كلية ووحدة إحاطية وهي كمال جمعي ووصال معي .

﴿فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾

﴿فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾ [الرّحمن: 21] ونعمائكما الإفرادية والجمعية تكذبان وتكران مع كمال وضوحهما ووفور خصائصهما .

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ﴾ والدرّ الأبيض الشفاف، وهو ليس بمعدي ولا نباتي ولا حيواني، وقد جمع خصائصها من حفظ صورة النوعية كتركيب النار والتوليد وهو صورة الوحدة الجمعية الذاتية بين الواحدية والأحادية، وهي برزخ البرازخ والبرزخ الأعلى وصورة علم التوحيد فيه ومظهر المعارف الإلهية، ولذا تغير بالمعارف الإلهية الحقيقية والحقائق الكلية إذا رأى السالك في مسالك سلوكه ومدارك إدراكه .

﴿وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرّحمن: 22] وهو الخرز الأحمر المثقوب والمنظوم والدرّ نوع منه غير منضود وهو حد فاصل وبرزخ حائل بين المعدن والنبات . قيل: الدرّ هو كبار الدرّة والمرجان هو صغاره .

﴿فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾ وَ لَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فِي آيِ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾﴾ وَ لَهُ الْجَوَارِ﴾ [الرّحمن: 23، 24] والله الجوّاري جمع جارية موصوفها محذوف، أي السفن الجارية، قرئ بحذف الياء ورفع الياء بأنه مبتدأ وخبر ﴿الْمُنشَآتُ﴾ [الرّحمن: 24] المرفوعات من نشأة السحاب إذا ارتفعت، وأنشأه الله إذا رفعه، أو المحدثات الموجودات من إنشاء الله أي خلق الله، فيكون أكثر بيانًا وأكبر تبيانًا للقدرة إذ السفن كالجبال والجبال لا تجري إلا بقدرة الله

وكمال حكمته ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ متعلق بمنشآت أو الجارية ﴿كَلَّا عَلَّمِ﴾ [الرَّحْمَنُ : 24] جمع علم وهو الجبل الطويل الثابت على الأرض .

﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تُكذِّبَانِ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تُكذِّبَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ : 25] المجرورة بالفعل المتأخرة من خلق مواد السفن والإرشاد إلى أخذها وكيفية تركيب أجزائها وترتيب ألواحها وأجزائها في البحر بأسباب خفية وأمور خبيثة لا يقدر على خلقها ولا يقوى على إجرائها إلا الله .

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أي على كرة الأرض وبسيطها ، وإن لم يتقدم أي كل ما يمكن على الأرض واستقر بها من المعادن والنباتات والحيوانات ﴿فَانٍ﴾ [الرَّحْمَنُ : 26] هالك ، أو في حد ذاتها مستهلك ، والمراد من الأرض ما عدا السماء من العناصر الباقية ، أي كلما ثبت في جوء السماء من طبيعة الماء وكرة الهواء والبخار وهي موطن السحاب ومعطن الرعد والبرق وغير ذلك من ثوان النجوم وكائنات بحور الشياطين والجان وكرة النار وما يتكون فيها فانٍ وهالك .

﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ﴿٢٧﴾

﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ﴾ [الرَّحْمَنُ : 27] القائم به . واعلم أن لتمام الموجودات الممكنة ثلاثة أوجه : وجه إلى الذات ، ووجه إلى ما عداه من الممكنات ، ووجه إلى نفسها . فالوجه الأول من حيث هو قائم بالحق وقيوم للخلق باقٍ وغير هالك . والوجهان الآخران كل منهما فانٍ هالك ، والمستغني هو الوجه الأول فإنه من حيث هو قائم بالحق باقٍ أزلاً وأبداً سرمداً . والوجه الأحسن أن يعتني بالأرض الاستعدادية والقابليات الاستعدادية ، وفي المعنى الحقيقية هي الإمكان الذاتي الذي هو برزخ بين الوجود والعدم وبين الحدوث والقدم ، والصور والتعينات الوجودية التي هي نسب عدمية وإضافات أولية أو وهمية وتعينات رسمية تفنى وتنعدم وتتبدل بحسب مقتضيات فردارية النور والجمال صريحاً ، وتتحول مرتضيات الظل والجلال ضمناً وخفياً ، أننا دفعة واحدة أو تدريجياً

كلياً أو جزئياً اختبارياً واضطرارياً آفاقياً أو نفسياً جسمياً أو نفسياً أو قلبياً أو سرّياً أو روحياً أو عقلياً أو خالياً، أو رحماً إنسياً وجنياً أغوالاً وشياطين وأبالسة وأملاكاً يغطيهم وأفلاكاً بكثرة حركاتها بأطوارها، وكواكب بكثرتها، وعناصرها وما يتركب منها، وأدواراً وأكواراً وأعياناً وأكوانها أفراداً وجمعاً، فهذه الأمور الوجودية والعدمية المستقرة والثابتة المستمرة في حد ذاتها فانية مستهلكة غير ثابتة في زمان، فإن كل واحد وزانها وزان الأعراض الغير القائمة بأنفسهم، المتبدلة لحظة بعد لحظة، المتجددة تجدد الأمثال ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [الثل: 88] الآية. ﴿ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 27] أي الباقي هو الوجه الأول الجمالي والجلالي إشارة إلى دوام التجلي الذاتي بعنوان النور والجمال، وتبعه الظل والجلال وإلى دوام مقتضياتها في الأدوار والأكوار.

### ﴿فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

﴿فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 28] يعني نعمة الوجود والبقاء وما يتفرع عليهما من المنح العملية والمواهب الإلهية، والعطايا النسبية الغير المتناهية من الحالات القلبية والمقامات اللاربيبة.

### ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي يطلب أهل السماوات والأرض الحسيّة والروحية والنفسية والعقلية وأعيان سماوات الأرض الأدوار النورية والجمالية وأكوان أرض الأكوار الظلية والجلالية وأسماء العلة الفاعلية، وأرض العلة القابلية، والقوة الإمكانية الاستعدادية، نعمة الوجودات الغيبية والظهورات العينية وما يتبعها من الكمالات الذاتية والأسمائية والحالات القلبية، والمقامات الغيبية بلسان الحال وترجمان المقال، تسأل أهل السماوات والأرض والملائكة المعروفة وأهل الرزق والمغفرة، وأهل السماء الإيصال عليهم الرزق والمغفرة.

والمراد من الرزق هو رزق الحياة والوجود والإدراكات والعلوم الحقيقية الحضورية والشهودية، والتكرار بتجدد النعم المذكورة صورة معنى، ظهرًا وبطنًا إلى سبعة أبطن ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29] تفصيل لما أجمل وتحليل لما أحمل وأعضل، والمراد من اليوم هو النفس الإنساني الذي يتم دورته بالانقباض

والانبساط ويطابق النفس الرحماني الدائر على مركز القلب، وهو النقطة السويدائية التي هي نهاية الجسم التصويري المخروطي، وبحركته الانقباضية والانبساطية يعني جميع العوالم الإمكانية متوجهاً بجميع أجزائها وأعيانها الملكية وتعيناتها الفلكية وهيئات الجواهر النورية المثالية والروحية والعقلية والنفسية، وأكوانها الحسية إلى غيب الغيوب في آن، وفي آن آخر توجد ويبقى نفي كل نفس من الأنفاس الإنسانية يعني العوالم الممكنة، وتعدم وتوجد وتكون وتلبس لباس الوجود مرة وتخلع أخرى ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ حَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15].

والعجب أن يوم النفس للإنسان الصغير تنطبق على نفس الإنسان الكبير المشتمل على الانبساط وهو مدة الأدوار الأربعة وامتدادها، وعلى الانقباض وهو عبارة عن امتداد مدة الأكوار المربعة الظلية والجلالية إلى مركز قلب الإنسان الكبير وهو غيب الأحدية الذاتية وجيب الهوية الغيبية. ولا ارتياب أن مدة أيام الأدوار الأربعة النورية الجمالية الإفرادية، ومدة الدورة الجمعية النهارية مساوية لمدة أيام الأكوار الظلية الإفرادية ومدة جمعيتها الليلية.

وها هنا جمعيتان أخر بأن الجمعية النورية الجمالية، والجمعية الظلية الجلالية وبالعكس، إثنتا عشر دورة إلهية بمنزلة إثنا عشر برجاً بشمس الأحدية الذاتية في عرض تسعين «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»، فسنة منها للنهار الإلهي، وستة أخرى لليل الإلهي، فاليوم الإلهي بالثلاثة هي مدة الأدوار التي لا يعلم عدد أيامها وسنتها إلا الله والراسخون في العلم المتحققون بالله وبأسمائه الذاتية، الدائرون بالله في الأدوار الإلهية والأكوار الغير المتناهية، منطوق ومساوٍ وموافق لليوم النفسي الإنساني كما وكيفاً تساوي الدائرة العظيمة الحادثة على مجرد الفلك الأعظم، وعلى محدث السماء الأقدم، الموازنة للدوائر الصغيرة المرسومة في سطحها إلى أن حدثت على مركز العالم ومبدأ الدائرة عبارة عن سبع نقاط كما حققه أرشمندس من أن كل دائرة عبارة عن ثلاثة أمثال قطرها وسبعها فشان الحق وأمره أن يعطي في اليوم النفسي وزمان النفس نسبة لأهل العوالم الكلي ولأعيان الأدوار الإلهية وأكوان الأكوار المتناهية، سيما لأن لكل بل لجزء من أجزاء العالم شيئاً يساوي جميع ما أعطاهم في الأدوار والأكوار الغير المتناهية من النعم الظاهرة والمنح الباطنة، هذا مما



استشعر به من ليس له رؤية في هذا الفن .

### ﴿فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾ [الرَّحْمَنُ: 30] نزلت في نفر من اليهود حيث قالوا: إن الله لا يقضي في يوم السبت شيئاً. قال المفسرون: إن الله تعالى من شأنه أن يفعل ما شاء وما يشاء أو ما يريد من الإحياء والإماتة والتخليق والإبداء والترزيق والجمع والتفريق، ويعزّز مَنْ يشاء، ويذلّ مَنْ يشاء، ويعطي الملك من أراد، ويزيد وينزع الملك ممن أراد ويزيد، ويشفي ويفك عائناً، ويفرج مكروباً، ويسرح مسجوناً ومغلوباً، ويجيب داعياً، ويثيب ساعياً، ويصيب راغباً، ويغفر ذنباً، ويعذب من لم يكن تائباً.

عن ابن عباس رضي الله عنه: خلق الله لوحاً من درة بيضاء وحاملاً ياقوته حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، ينظر الله كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويفعل ما يشاء، وذلك قوله تعالى عزّ وجلّ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرَّحْمَنُ: 29].

قال سفيان بن عيينة: الدهر كله عند الله يومان، أحدهما: مدة أيام الدنيا، والآخر: الآخرة يوم القيامة. ففي يوم الدنيا شأنه الاختبار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع، وشأن الآخرة بالجزاء والحساب من الثواب والعقاب. قيل: شأنه عزّ وجلّ أن يخرج ويرسل كل يوم وليلة ثلاثة عساكر: عسكرياً من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، وعسكرياً من الأرحام إلى الدنيا، وعسكرياً من الدنيا إلى القبور، ويرتحلون جميعاً إلى الله، منه بدأ وإليه يعود، هذا معنى ما قدمناه في خلاصة مبناها ما أقدمنا إليه من الأعيان الوجودية والأكوان العدمية الجودية، يتعلق بها من الدورة العظمى إلى الدورة الكبرى ومنها إلى الوسطى، ومنها إلى الصغرى الإفرادية، ومنها إلى جمعيتها، ثم ينتقلون من الأدوار إلى الأكوار الأربعة الإفرادية، ومنها إلى جمعيتها، ومن جمعيتها الإفرادية إلى جمعية الجمعية في مرتبة كلية الناسوت، ومنها إلى كمال جمعية اللاهوت، ثم ينزل منها إلى الجبروت ويستأنف الدورة العظمى في الجبروت، ومرتبة الواحدية، وينتهي الكل إليها بعد انتقال ما في الناسوت إلى اللاهوت وما في اللاهوت إلى الجبروت

والواحدية، وتصير لاهوتية مجردة عن جميع المفهومات والاعتبارات، وينتقل ما في الجبروت والواحدية من الأعيان الثابتة والحروق العالية للمائيات الكونية والحقائق الإلهية إلى عالم الملكوت والأمر، ومن شأن الشؤون النيرة أن تنتقل إلى الأعيان الثابتة وتصير صورًا علمية، والصور العلمية شأنها أن تصير عقولًا مجردة، والعقول المجردة تنزل من عالم الواحدية والجبروت إلى عالم الملكوت، وتصير أرواحًا قابلية من اسم الحي آثار الحياة والأرواح، تنتقل من الملكوت إلى عالم البرزخ وعالم المثال تصير نفوسًا وطبيعة قابلة لآثار كمال الفطرة وأشباهًا ظليلة ومثلاً نورية وصور جسدية وضعية جسمية خيالية مثقلة بصور الأعمال الجسمية والأفعال النفسية، تعاطاها التعبيرات وتتصاعد إليها الهيئات الخيالية والحالات الغيبية المثالية والمقامات القلبية وشأن الأشباح البرزخية والمثل النورية والصور الخيالية تنزل إلى عالم الملك والشهادة، وتكون أجرامًا فلكية وأجسامًا عنصرية، ومن شأن الأجرام السماوية وما فيها من الكواكب والطبيعة والنفوس والأشباح والملائكة والعقول والأرواح وما لها من الصباح أي صباح إلى الناسوت، وكانت أشخاصًا كاملةً وأفرادًا فاصلةً، مرآة مشاهداتها الذات بتمام الأسماء والصفات، لما تقرر من أن حركات الأفلاك للتشوق والوصول بمقام الإنسان وحصول الاستعداد ليتحقق بما قد تحقق به الأشخاص والأعيان، هذه لكامل جامعيتهم وعموم كليتهم ووفور رأفتهم يتحلون من الناسوت إلى اللاهوت، بل يتحققون بالفناء في الله وفي اللذات، وبالبقاء بالله وبذات الله البحت وبمطلق الوجود، هذا هو شأن ظاهر التجلي الذاتي.

وفي الأدوار النورية الوجودية الإفرادية تبعه سلطان الجمال، وكذا في الأكوار الظلية العدمية بوصف شأن باطنه قهرمان الجلال، إفرادية أو جمعية، وكذا في شأن جمعية الجمعية النورية الجمالية بالجمعية الظلية الجلالية طردًا وعكسًا، وهذه الشؤون التي هي إثنا عشر ربيعة ذاتية منيعة أسمائية لا يشاهدها على ما هي عليها إلا من خصه الله بشأن رفيع ووجه حسن بديع، وأراه تمام الأدوار والأكوار الإفرادية الجمعية وجمعية الجمعية، وأشهده تمام هذه الشؤون على وجه أظهرها لذاته بذاته في ذاته بتمام أسمائه وصفاته فحينئذ يشاهد من العجائب والغرائب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿فِي آيَةِ الْآءِ رَبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ : 30] خطاب بالأعيان النورية الوجودية الجمالية، وبالأكوان الظلية العدمية الجلالية، والمراد بالآلاء هي النعم الوجودية الظاهرة والمنح العدمية الباطنة التي هي وسيلة لإظهار النعم الوجودية الظاهرة في نفسها المبنية في الوصول بالمحل والحصول بطريق التفصيل والمجمل على العدمية بأن تكون شرطاً أو وسطاً أو ارتفاعاً للموانع والقواصر، فإن كانت من الفضائل العلمية والفواضل العملية فشرطها هي تزكية النفس، وتزكية القوة المدركة عن العبادة وتتابع النفس وإن كانت من الأحوال والمقامات والكشف والمشاهدات والمعانيات وإظهار الكرامات فشرطها هي التجنب عن المعاصي والسيئات .

### ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ مستعار من قول الرجل لمن يهدده: سأفزع لك، يريد سأتجرد، وارتفع المانع عن الإيقاع بك عن كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه. والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه، ويجوز أن يراد سنجدكم لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة لدى شؤونات الخلائق من أمور الدنيا إلى أمر الآخرة، وتوال إلى شأنٍ واحدٍ وهو جزاؤكم، فجعل ذلك فراغاً لهم على طريق المثل من النعم السابقة لدينا إلى المنح اللاحقة الأخروية، وليس فراغاً من شغل إلى شغلٍ آخر لأن الله لا يشغله شأن عن شأن، بل هو وعيد ووعد قريب لا بعيد من الله تعالى للعاصين وللمطيعين بالتبع مقروناً بالوعد ضمناً لئلا يفتروا بعملهم ولا ييأسوا من فضل ربهم ﴿أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ : 31] الإنس والجن وأعيان الجمال وأكوان الجلال، فيتناول المخلوقات المكلفة بمعرفة الله وعبادته من الملائكة والأهرمانية والأغوال والشياطين والأبالسة والجن وغير ذلك مما لا يحيط بعلمه إلا الله. والمراد ما يزيد على أصل الاستعداد الذاتي والقابل الأولي الذي أفاده الذات بفيضه الأقدس، والتجلي الذاتي، أو التركيب إذ الخفة ثلاثم البسيط والوحدة والشغل تلازم التركيب، وما سوى الوحدة الذاتية مركب من تكرارها وتعقلها وإدراكها مرة بعد مرة. وإلى هذا ذهب فيثاغورس الحكيم والمليئون إلى أن ما سوى الله وهو العالم الإمكانى مركب من الوحدات من الجواهر الفردة وأجزاء لا تتجزأ .

﴿فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾﴾ [الرَّحْمَنُ : 32] والنعماء التي أفاضها عليكم ظاهراً وباطناً، وصورة ومعنى، تكذبان وتكران عناداً ومكابرة .

﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ وجماعتهما، وإنما قدم الجن لكونه مقدماً في الخلقة لتقدم مادته وهي النار كما تقدم ﴿إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ﴾ وتمكنتم واقتدرتم ﴿أَنْ تَنْفُذُوا﴾ أن تخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرَّحْمَنُ : 33] وجوانبها وأطرافها وأقطارها وأكنافها هاربيين من غضب الله وسلطان قهرمان حكمه ﴿فَانْفُذُوا﴾ واخرجوا على أي وجه كان وتمكن ﴿لَا تَنْفُذُونَ﴾ بل لا يمكن لكم النفوذ أصلاً لاندرجاه في حيز الامتناع العادي، بل العقلي، لاستلزامه المحال والعرض إما بالفرار من الموت والاطلاع على المغيبات وعلى أحوال أهل السماوات وسكانها من الأعيان الجواهرية النورية كالملائكة أو النارية كالجان والشياطين، أو الظلمة والظلمانية . والحال أن النفوذ لا يكون ﴿إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ [الرَّحْمَنُ : 33] أي بسطان القوة الإلهية والقدرة الربانية كما وقع للأنبياء والأولياء والحكماء .

﴿فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾ [الرَّحْمَنُ : 34] أي نعمة غريزة القوة العاقلة التي تفرق بين الحق والباطل والممكن ليتعدى بالحق ويهتدي إلى الأفق الأليق، ويتجنب عن الباطل ويبتل الممكن ويتحيز عن الممتنع .

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ وينزل إليكما ﴿شَوْاظٌ﴾ شهب فيه سواد وظلمة، أو الأخضر المرتفع من النار والشعب المنقطع ﴿مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ دخانٍ أو صفر مذاب يصب على رؤوسهم ﴿فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ : 35] ولا يمنعان من العذاب، ولا يرتفعان عن العذاب في الشأتين .

## ﴿فَيَأْتِي آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَيَأْتِي آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرَّحْمَنُ : 36] فإن عدم امتناعهما عن العذاب نعمة جليلة وعطية جميلة من حيث متضمن لظهور نعمة الإسلام الفطري والإيمان الضروري الذي أودعه الله تعالى في كل نفس، وأبدعه في كل ذي إدراك وحس رحمة كلية، ورحمته أصلية وعطية أزلية، إذ النار من شأنها أن تجمع المتماثلات وتفرِّق المتخالفات، فالإيمان والمعرفة والأمر فإن للنفس ذاتي والكفر والعصيان عرضي، وما بالذات لا يزول بالعرض ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَرُ : 53].

## ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ وانفجرت وانفتحت فيها أبواب تنزل الملائكة منها ﴿فَكَانَتْ﴾ السماء وصارت ﴿وَرْدَةً﴾ حمراء كالورد الأحمر، هذا أمر ممكن للسماء، فانفتاح الأبواب فيها وانشاقها دال على استيلاء كمال قهرمانه واستعلاء مقتضى غضبه وسخطه ﴿كَالدِّهَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ : 37] وهو اسم لما يدهن به كالحرام، أو جمع دهن وهو الأديم الأحمر، يعني ترى السماوات يوم القيامة، أو يوم الساعة، حمراء كالورد الأحمر أو كلون الزيت أو كالزيت أو الأديم الأحمر.

## ﴿فَيَأْتِي آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿فَيَأْتِي آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾﴾ [الرَّحْمَنُ : 38] بما كان قبل الانشقاق وبعده.

## ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾﴾

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ﴾ أي يوم الانشقاق لا يسأل إنس ﴿وَلَا جَانٌّ﴾ [الرَّحْمَنُ : 39] عن ذنب كل منهما لأنهم يعرفون بسيماهم حين خروجهم ونشرهم عن القبور وحشرهم لأن ذلك الوقت ليس وقت السؤال والحساب إذ وقتهما الموقف الثاني للحساب والسؤال، وأن لكل مقام مقال، وما منهما إلا له مقام معلوم.

### ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تُكذِّبَانِ﴾ (٤٠)

﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تُكذِّبَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 40] أي ترك السؤال في هذا المقام نعمة من نعم الله لاستيلاء الدهشة وكمال الحيرة فيها كما هو دأب الملوك والسلاطين، فمحل السؤال والحساب هو المجمع والموقف بعد قيامهم في المحشر مدة أربعين سنة حيارى .

### ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ سِيمَتَهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (٤١)

﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ﴾ في المجمع والموقف وكذا المطيعون ﴿بِسِيمَتِهِمْ﴾ بما يظهر في وجوههم ونواصيهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود لظهور آثار ظلمة الكفر في وجوههم أو أنوار الإيمان في بشرتهم وجباههم ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 41] فردًا فردًا أو مجموعًا في سلسلة واحدة وذلك لكمال قهره ووفور غضبه عليهما بحيث لا يتمكنون بالحركة، إذ جميع الأعضاء والأجزاء داخل في حكم هذين الجزأين .

### ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تُكذِّبَانِ﴾ (٤٢)

﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمْ تُكذِّبَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 42] به حفظكم الله من هذه الحالات والشدائد والمعاقبات والخجالات والانفعالات .

### ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٤٣)

﴿هَذِهِ﴾ النار التي يشاهدها المؤمنون والكافرون والعواصي والمطيعون ﴿جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [الرَّحْمَنُ: 43] من الكفار الجاحدين والعصاة المعاندين .

### ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ (٤٤)

﴿يَطُوفُونَ﴾ يترددون ويتحركون ﴿بَيْنَهَا﴾ أي النار التي بلغت في الحرارة إلى الغاية في الشدة وإلى النهاية فيغلب عليهم العطش والكرب فيحتاجون إلى الماء ويستغاثون إلى التبري ويعرضون على الماء الحميم كما قال: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرَّحْمَنُ: 44] وإن يستغيثوا يغاثوا، الماء كالمهل يشوي ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ [الكهف: 29] الآية، إن

اسم فاعل من أنى يأنى أي أنيني في الحرارة وبلغ في الشدة والإحراق في الغاية ﴿فِي أَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 45] وهذا النوع من العذاب لكونه معدًّا لظهور كائنه ومنحة كاملة كامنة في أفراد الإنسان وأشخاص الجن والشياطين والأغوال والأهرمينات وهي المعرفة الكاملة والمعاناة والمشاهدة التامة والمكاشفة العامة الفاضلة، والعبادة الصامته الحاصلة، وإن كانت صورته عذابًا لكن هو نعمة جليلة وسعادة جليلة إذ كل أمر وإن كان ظاهره صورة شرّ لكونه مقدمة لإظهار السعادات ووسيلة لإجهاز الخيرات فهو حيز محض ونعمة حض. لا يقال: إن الآخرة ليست دار العبادة والكسب إذ بحال أن العبادة الدنيوية المناسبة لطور ظاهر الدنيا قد انتفت في دار الآخرة، لا مطلق العبادة أو انتفاء الخاص لا يستلزم انتفاء العام.

﴿فِي أَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٤٥﴾

﴿فِي أَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 45] أي انقلاب هذه النار نورًا، وهذه البوار حورًا، والهموم سرورًا، وصيرورة العذاب عذابًا.

﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي مقامه عند ربّه للحساب، إشارة إلى مقام الإحسان، وهو «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، وأن من جعل قلبه حاضرًا بين يدي الله بحيث لم يشغله شاغل عن ملاحظة قهرمان سلطانه فصار من شدة الخوف حاضرًا بنفسه لكمال عبوديته ووفور عبادته بعد استقامته في مقام العبادة ﴿جَنَّاتٍ﴾ جنة عدن وجنة النعيم، أو جنة الخوف وجنة ترك الهوى ورفض الشهوات ودعة المشتبهيات ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿٤٦﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النَّازِعَات: 40، 41]، أو لمن خاف رافة الله سرًا وعلانية. قال النبي ﷺ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا أَنْ سَلَعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنْ سَلَعَةَ اللَّهُ الْجَنَّةَ». عن أبي الدرداء: أنه سمع رسول الله ﷺ بعض على المنبر وهو يقول: ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرَّحْمَنُ: 46]، قلت: وإن زنى، وإن سرق؟ فقال رسول الله ﷺ: «الثانية والثالثة، فقلت ما قلت فقال: على رغم أنف أبي الدرداء وإن زنى وإن سرق».

المراد جنة النور والجمال وجنة الظل والجلال، أو الجنة الصورية وهي جنة جسمانية بعضها من جنس نعيم الحيوانات كالحور والأنهار والبساتين والقصور والولدان والأشجار والخمور وغير ذلك، والجنة المعنوية هي جنة النفس ونعيمها من جنس نعيم الأفعال كالقهر على الأعداء أو البذل والسخاء، والإفاضة والاستعلاء، كالملاطفة مع الحياة هو من الأصدقاء وغير ذلك من الأفعال الحميدة والأعمال السنية، كما تقرّر أن الحمد العقلي أتم من الحمد الفعلي، أو المراد جنة التجلي الآثاري والتجلي الأفعالي والتجلي الأسمائي والتجلي الذاتي، أو المظهرية والتحقيق بالأسماء والذات والصفات والفناء في الله والبقاء في الله، والسير إلى الله ومن الله، واستكمال القوة النظرية والعملية، وتكميل الفعل المستفاد والعقل بالفعل، أو جنة الصور ووجوه الانشراح والهناء والاستعداد لأن يتحقق بكمال جمعية القلب وهو اكتساب المبادئ النظرية واجتلاب المقدمات الفكرية، واستفاضة المعاني عن غيب الطور السري وفيضان النتائج العقلية من المبادئ العالية، أو تركية النفس عن الهيئات الردية الشيطنة والصفات البهيمية والسبعية وتصفية القلب وتجليه بالملكات الفاضلة والصفات الكاملة الملكية، وهي العفة والشجاعة والسخاوة، قال ﷺ: «يا علي كن غيوراً فإن الله يحب الغيور، وكن سخياً فإن الله يحب السخي، وكن شجاعاً فإن الله يحب الشجاع» الحديث. ومن يأتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً والعدالة.

﴿فَأَيُّ آءِآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾

﴿فَأَيُّ آءِآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ [الرَّحْمَنُ: 47] وهي هذه النعم الجليلة والمنح الجميلة، والمواهب الجزيلة.

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [الرَّحْمَنُ: 48] تشنية ذات بمعنى صاحبتان، أفنان جمع فنن وهو الغصن الطويل المستقيم. والمراد الأشجار من باب المجاز المرسل، ذكر الجزء وأراد الكل أي في تينك الجنتين فنون وأنواع من الأشجار، وفنون وأطوار



من الأثمار والأشجار المتنوعة والأثمار المتفرعة.

﴿فَيَأْتِيءُ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾﴾

﴿فَيَأْتِيءُ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾﴾ [الرَّحْمَنُ: 49] من أشجار التجليات وثمرات المعارف الكونية والمسائل الطبيعية، والمسائل الرياضية من إلهية وأرسماطيقي والهندسة والحساب.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [الرَّحْمَنُ: 50] حيث تساوي الأعالي والأسافل، وهما عينا النور والجمال، والظل والجلال، أو عينا التجلي الذاتي والأسمائي، أو عينا العلوم النظرية والعملية، أو عينا الولاية والنبوة، والنبوة الذاتية والعرضية، أو الألوان المطلقة، أو الحكمة النظرية العملية، أو مقتضى النفس الذاتية والوجوب الذاتي الظاهر الأحكام، الأول في حقيقة الولاية، وأعلام الثاني في صورة النبوة ويستمد من غيب الأول اسم الله الأعظم (كهيعص)، ويستعد لاستفاضة الأنوار من حينه. والثاني الاسم الأعظم الآخر أعني (جمعسق).

### مبحث الاسم الأعظم

وفي ليلة أربع وعشرين من ربيع الأول سنة (898) هجرية كنت أكتب هذا المقام، رأيت ذا الحضرة وخاطبني وأمرني على المواظبة على قراءة هذين الاسمين وقال: إن هذين الاسمين من أسماء الله العظمى، فمن أراد أن يعظمه الله في الدنيا والآخرة فعليه أن يصلي على النبي ﷺ ثم يداوم على قراءة هذين الاسمين ما استطاع. فاشتغلت به فشهدت في الحال والساعة تأثيرهما، ثم قال: والأمرية في أن هذين الاسمين مما يواظب عليه صاحب الزمان المظهر الموعود مهدي آخر الزمان (الخ وزم ١٤١١/٥١٠٠٩).

﴿فَيَأْتِيءُ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾﴾

﴿فَيَأْتِيءُ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾﴾ [الرَّحْمَنُ: 51] خاصية اسم الله الأعظم أم كمال قدرته وتأثير قوته.

### ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ ﴿٥٢﴾

﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ ﴿٥٢﴾ [الرَّحْمَنُ: 52] أي في الجنتين المذكورتين، ثابتة في كل فاكهة صنفان ونوعان، أحدهما مقتضى النور والجمال، والثاني مرتضى الظل والجلال، أو من خصائص الولاية والنبوة، فخصائص الولاية هي التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية، وخصائص ثمرات شجرة النبوة هي أقسام العلوم الحكمية وأصولها وفنونها وفروعها من الشرائع العلمية وهي العقائد العلمية الدينية والقواعد الإسلامية والعملية، وهي الأعلام البدنية أعني الشريعة والطريقة اللتين هما طريقة الحقيقة ومسلكها، وهي دين الحق ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْسِنَةٌ ﴾ [آل عمران: 19]، ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا ﴾ [الشورى: 13].

### ﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿٥٣﴾

﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿٥٣﴾ [الرَّحْمَنُ: 53] من النعم الدينية والمنح المليية الفرعية والأصلية.

### ﴿ مُتَّكِعِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ ﴿٥٤﴾

﴿ مُتَّكِعِينَ عَلَى فُرُشٍ ﴾ وبساط ﴿ بَطَائِنُهَا ﴾ أي الوجوه الباطنة جمع بطانة وهي الوجه الباطني من الثوب وغيره ﴿ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ وهو عجمي من استبطر ومن ديباج سخين. ولما كانت حال البطانة هذه فما ظنك بالظهير ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرَّحْمَنُ: 54] اسم فاعل من دنى يدنو دنوا إذا قرب، أي يتعاطى من أثمار الجنتين ويتناولها القاعد والمضطجع والقائم والمفترش والنائم، وجنى مصدر مضاف إلى مفعول فيكون بمعنى المفعول أي مجني أثمار أشجارها قريب من كل قاعد ومضطجع ونائم، إشارة إلى أن دار الآخرة دار السلام، سكانها سالمون من التعب والعناء، جنى بي حال الأكل والوطء.

### ﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿٥٥﴾

﴿ فَيَأْتِيءُ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿٥٥﴾ [الرَّحْمَنُ: 55] فإن سهولة تعاطي ثمار دار

الآخرة أيضًا نعمة إذا أينعت، والعنا ينغص العيش وينقض اللذة والذوق والتلذذ والشوق ويزيد الطيش.

﴿فِيهِنَّ قَصِرَتْ الْظُّرُفُ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾﴾

﴿فِيهِنَّ قَصِرَتْ الْظُّرُفُ﴾ أي زوجات قد قصرت وانحصرت أبصارهن على أزواجهن لا يلتفتن إلى غيرهم ليشوش خاطرهم ويتفرق ضمائرهم ويتخرق سرائرهم ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ﴾ ويمسهن ولا يصيبهن ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: 56].

﴿فِي أَيِّ آيَةِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾

﴿فِي أَيِّ آيَةِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 57] هذه النعم والمنح الظاهرة لا تحتاج إلى البيان.

﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾

﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: 58] صفات النساء المذكورة، أي بشرتهن كالياقوت الأبيض ووجوههن وشفاههن في الحمرة كالمرجان.

﴿فِي أَيِّ آيَةِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾﴾

﴿فِي أَيِّ آيَةِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 59] في كمال حسنهن.

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾﴾

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: 60] أي ليس جزاء الإحسان إلا الإحسان الصادر عن المحسن إلا الإحسان الأحسن، والجزاء الأجهر الأبين ﴿وَلِذَا حُيِّتُمْ بِنَجِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: 86].

﴿فِي أَيِّ آيَةِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾

﴿فِي أَيِّ آيَةِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 61] وحكم الآية عام للمخلوق والمخلوق.

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾﴾

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾﴾ [الرَّحْمَنُ: الآيتان 62، 63] لما ذكر الجزاء ذكر بعده مثله وهو جنتان أخريان كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونُس: 26]، والمراد من دونهما أي هاتان الجنتان دون تلك الجنتين في الشرف، هاتان الجنتان لمن هو دون الخالفين المقربين من أصحاب اليمين. قال أبو موسى الأشعري: جنتان من ذهب للسابقين، وجنتان من فضة للتابعين. وقال بعضهم: هنا أربع جنات، جنتان للمؤمنين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان، وجنتان من فضة للخالفين من أصحاب اليمين، والجنتان الأوليان من ذهب والأخريان من ياقوتة.

### إشارة وتأويل

واعلم أن الذات من حيث إنه ذات ظاهرة بعنوان الذات لا بعنوان الأسماء والصفات بأغيار النور والجمال والظل والجلال الذاتي لا الوصفي جنتين، ومن أنها ظاهرة بعنوان الأسماء والصفات الذاتية جمالاً وجلالاً أيضاً جنتين، ومن أنها ظاهرة بتجلية الأسماء الآثارية بوصف النور والجلال أيضاً جنتين، ولا شك أن الجنة الذاتية أعلى وأشرف وأبهى وألطف من جنة الأسماء الذاتية، وأعلى وأرفع من جنة الأسماء الأفعالية، وجنة الأفعالية أرفع من الجنة الآثارية. فقله: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ إشارة إلى الجنتين اللتين هما غير جنتي الذات وأدنى الجميع من الجنة الآثارية والخوف كالقرب والسنن متفاوتة بالقلة والكثرة والشدة والضعف والثبات والدوام والزوال.

﴿مُدَّهَمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾﴾

﴿مُدَّهَمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ [الرَّحْمَنُ: 64] من هذه الجنتان.

﴿فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾﴾ [الرَّحْمَنُ: 65] من هذه الجنات. اسم فاعل من

ادهام يدهام ادهمًا اخضرارًا في غاية الخضرة يضرب إلى السواد.

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا ۖ وَإِلَيْهِمَا يَأْتِي ۖ آيَاتُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٦﴾ ﴾

﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَا ۖ ﴾ [الرَّحْمَنُ: 66]. فوارتان بالماء وظاهرتان على طريق النبع والانفجار، وهو أيضًا أقل مما وصف به إلا أنهما لا ينقطعان من النضح والغليان والازدياد والفوران. قال ابن عباس: ينفجران بالخير والبركة على أهل الجنة أو ينضحان وينفجران نضح المسك والكافور على أولياء الله وينضحان بالمسك والعنبر في ديار أهل الجنة.

﴿ فِيهِمَا فَكِكُهُ ۖ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿ فِيهِمَا فَكِكُهُ ۖ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرَّحْمَنُ: 68] قال بعضهم: النخل والرمان ليسا من الفاكهة، والحق أنهما من الفاكهة، ذكرهما للتعظيم وإشعار بعموم المعنى وكثرة احتياج الناس إليهما غذاءً وتداويًا. وذهب أبو حنيفة على الأول وقال من خلفه: أنه لم يأكل فاكهة فأكل رطبًا أو رمانًا لم يحنث.

﴿ فِي أَيِّ ۖ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿ فِي أَيِّ ۖ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرَّحْمَنُ: 69] في عدها من الفاكهة.

﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٥﴾ ﴾

﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ [الرَّحْمَنُ: 70] أي في الجنات الأربع المذكورة نعم كثيرة ومنافع غفيرة وفوائد كبيرة.

﴿ فِي أَيِّ ۖ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ ﴾

﴿ فِي أَيِّ ۖ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرَّحْمَنُ: 71] من الآلاء المذكورة والنعماء المسطورة فيها.

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [الرَّحْمَنُ: 72] أي قصرهن في خدورهن. يقال: امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة إذا كانت مقصورة محتجة، ومقصورات الطرف والأبصار على أزواجهن متمكنين وتممكتات في الخيام، يدل على كمال اللطف والعناية وهو أن المؤمن في الجنة في غاية التنعم حتى إذا أراد شيئًا

واشتهى أمراً لا يتحرك إليه بل المراد والمشتهى يميل إليه ويتحرك بالطوع لله، فإن الحور في بيوت، والمؤمن في قصور، فالحور ينتقل من الخيام أو البيوت إلى المؤمنين إذا أرادوا واشتهوا.

﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٧٣﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٧٣﴾﴾ [الرحمن: 73] تنكران مع كثرتها وجلالتها.

﴿لَمْ يَطْمِئِنَّا بِإِنْسٍ قَبْلَهُمْ وَلَا بِنَارٍ ﴿٧٤﴾﴾

﴿لَمْ يَطْمِئِنَّا بِإِنْسٍ قَبْلَهُمْ وَلَا بِنَارٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الرحمن: 74] وإنما كرر إشارة إلى ما في الجنتين من الحور وأحوالهن من كونهن غير مطموسة في الجنات وأنهن محفوظات إلى أن يصل المؤمنون، أي لم يتصرف فيهن أحد من الإنس والجن قبل المؤمنين.

﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِبِينَ عَلَى رُفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيِّ

حَسَانِ ﴿٧٦﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِبِينَ عَلَى رُفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيِّ حَسَانِ ﴿٧٦﴾﴾ [الرحمن: 75، 76] نصب على الاختصاص والتذكير على التغليب ﴿رُفْرَفٍ﴾ جمع رفرة وهي السرير أو رياض الجنة ﴿خُضِرٍ﴾ بضم الخاء وسكون الضاد جمع خضر بضميتين ﴿وَعَبَقَرِيِّ﴾ اسم بلدة من بلاد الجن في عالم البرزخ والخيال ينسبون إليه كل شيء عجيب ﴿حَسَانِ﴾ [الرحمن: 76] جمع حسن محمول على المعنى.

﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٧٧﴾﴾

﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبَانِ ﴿٧٧﴾﴾ [الرحمن: 77] من النعم الإنسية والجنسية والغرائب المستحسنة والعجائب المستغربة.

﴿بِنُورِكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

﴿بِنُورِكَ﴾ وتعالى وتعظم ﴿أَسْمُ رَبِّكَ﴾ وهو عين المسمى ﴿ذِي الْجَلَلِ﴾ صاحب النعم الجلالية ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 78] والمنح الجمالية. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الرحمن) شكراً أنعم الله عليه».

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي عين عند انقضاء كل دورة وانتهاء كل كورة ووقوع واقعة، وقيام قيامة ساطعة ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي ميز أصحاب اليمين عن أصحاب الشمال ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي ميز السابقين بقصبات السبق بالتحقيق بحق اليقين.

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: 1] وحدثت القيامة وظهرت الساعة ودامت، وإنما سماها واقعة لتحقق وقوعها، وإذا منصوبة بمحذوف مثل اذكر أي إن وقتاً تظهر فيه ساعة وتقوم قيامة فإذا وقعت كان كيت وكيت.

﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ﴾

فإذا ﴿لَيْسَ لَوْعِنَهَا﴾ ووقوعها ومجيئها ﴿كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: 2] كذب أو نفس كاذبة أي لا تكون في وقت تقع فيه وتظهر فيه نفس تكذب على الله لأن كل نفس حنيفة مؤمنة صادقة، يعني إذا وقعت القيامة الواقعة والزلزلة الواقعة الدافعة يعترف بها كل أحد إن رأى وكان موجوداً ولا يتمكن أحد من إنكارها ولا يبطل عناد المعاندين، ولا يزعجه ولا يرتفقه لججاج المنافقين واحتجاج الكافرين واستشاح الملحدين الجاحدين، فينخفض الكافرون في دركات النار ويرتفع المؤمنون الموحدون في درجات الجنات والمحققون في جنات التجليات،

ويتردد الملحدون الموحدون في البرزخ بين الدركات والجنات. فإذا غلب حكم السلطان التوحيد جذبته إلى الجنة، وإذا غلب حكم الإلحاد جذبته إلى النار ومنعه التوحيد لقوله عليه السلام: «لا يدخل النار أحد يقول لا إله إلا الله» إلا يكون مع الإلحاد كبر لقوله ﷺ: «لا يدخل الجنة عبد في قلبه مثقال ذرة كبر».

فإذا وقعت الواقعة تزلزل الناس فينخفض المرتفع، ويرتفع المنخفض، فيجعل الأرض عالية، والسماء سافلة ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: 48] ﴿وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48] والعامل إذا ليس جزاء الشرط.

### ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾

﴿خَافِضَةٌ﴾ تقوم في الدرك الأسفل ﴿رَافِعَةٌ﴾ [الواقعة: 3] تقوم في أعلى عليين لأن الوقائع العظام من الطوفانات التمام والحادثات من شأنها رفع أقوام ورفع خواص وعوام، كما أن الانتقال من دورة إلى دورة تبديل الأرض غير الأرض وتنزل السماء في الطول والعمق والعرض، وتحول العذاب عذاباً، والعذب عذاباً، والنار جنة، والجنة ناراً، والنبوة ولاية، والولاية والربوبية عبودية، والعبودية ربوبية، والظاهر باطناً، والباطن ظاهراً، والجسد روحاً، والروح جسداً، والبر بحرراً، والبحر برراً، وكذا أحوال الأعيان من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان وغير ذلك من الأكوار.

والطوفان مثل إذا انتقل حكم النور والجمال وسلطنة فردانيته إلى الظل والجلال صارت الدنيا آخرة والآخرة دنيا، وكانت السماوات أرضاً والأرض سماءً، والجنة ناراً، والنار جنة، والنبوة ولاية والولاية نبوة، وانتقلت نعوت اللاهوت جبروتية، والجبروت ملكوتاً، والملكوت برزخاً، والبرزخ ملكوتاً، والملك ناسوتاً، والناسوت لاهوتاً، والمتبدل ما في المراتب من الشؤون الذاتية والأعيان الثابتة والجواهر النورية والأنوار القاهرة والنفوس العاملة المجردة، والأرواح المقدسة والأشباح المدنسة والأملاك العالية والسافلة، والأفلاك النورية والغاشية، والعناصر والمواليد الثلاثة، وهذه الإشكالات كلها تنتهي إلى مرتبة الناسوت ومنها ترتقي وتتصاعد إلى أعلى المراتب، وهو غيب الغيوب والأحادية واليقين النوري الجمالي الوجودي أو الظلي الجلالي العدمي الإفرادي.



ثم بعد ذلك إلى الكمال الجمعي والوصال المفرد، وذلك إما بعد مضي الأدوار الأربعة والأكوار المربعة الإفرادية والأطوار الجمعية المعية، وإما بالنسبة إلى تمام المراتب وما فيها من الأعيان والأكوان، أو بالنسبة إلى الأعيان المنفية والأشخاص الفاصلة المبينة إما في زمان معدود أو في زمان مجدود بالنسبة إلى فرد فاصل واحد كامل والذي هو عابد ومعبود وهو يسع الكل ولا يسعه موجود «ولا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن، لا يسعني شيء ووسعني قلب عبدي المؤمن»، هو ثبت توحيددي وموضع سري «الذي أودعته تسعة وتسعين رحمة» الحديث. فإن تمام المراتب وما فيها وجميع الأدوار والأكوار وما يشتمل عليها من الآزال والآباد وأزل الأزال وأبد الآباد كائن وحاضر في الوقت الحاضر الذي هو مظهر الآن الدائم الذي هو مجمع الأزل والأبد وأحايينه وعين مطلق الوقت الذي هو طرف التكوين الأول والإبداع والخلق والاختراع، وذلك الفرد هو صاحب هذا الوقت حاكم عليه، فإذا هو طاوٍ على الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية كلها، حاوٍ على المراتب وما فيها من الأعيان والأكوان، وما لها من الأحوال جلّها وقلّها، فإن كل ما رفع في أزل الدورة العظمى، وأزل الدورة الكبرى والوسطى والصغرى، فهو حاضر لدى أمد الفرد الكامل، وكذا كل ما ظهر في دنيا كل دورة وكورة، وكذا كل ما خفى وجهر في آخرتها، فهو حاضر عنده ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: 61] الآية. وهذا الحكم وإن كان عامًّا نظرًا إلى الكل إلا أنه ليس لصاحب هذا الأمر شعور بهذه الكلية، والمراد هو هذا الشعور.

### ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ [الواقعة: 4] أي تحركت الأرض الاستعدادية التي هي خزينة الدورة النورية الجمالية التي كانت أعمال أعيان كل دورة من هذه الأدوار وأفعالهم وأقوالهم وأحوالهم كاملة فيها، كامنة لديها قبل تعييناتهم، فإذا ظهرت فيهم شيئًا بعد شيء وتفصلت بعد الإجمال، وازدادت وتفصلت بالأحوال، على ما كانت عليها من الاتصال والانفصال وعادت إلى ما كانت عليه، وصارت فيها ثابتة، فإذا انتهت فردارية حكم النور والجمال وانتقلت

الفردارية إلى دورة أخرى تبدلت سماوات تلك الدورة وأرضها، وقامت منسوبة إليها، ووقعت الواقعة التي اقتضتها هذه الدورة الثانية.

### ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾﴾

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾﴾ [الواقعة: 5] أي تفتت وتفرقت أجزاءها.

### ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾﴾

﴿فَكَانَتْ﴾ الجبال أو الأوتاد والأغوال والتلال ﴿هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ [الواقعة: 6] متفرقة ورجعت الأجسام إلى أصولها وهي الجواهر الفردة والوحدات الأولية والنسب الذاتية والإضافات الأولية فحينئذ نزلت الأرض الاستعدادية التي كانت للدورة الأولى خزنة، قد ثبتت أعمال أعيانها فيها ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْفَاقًا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْنَاءًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة: 1 - 8].

### ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾﴾

﴿وَكُنْتُمْ﴾ في فردارية سلطنة رب تلك الدورة ﴿أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: 7] أصناف مثلثة لما تقرر من أن كل شخص أحواله ثلاثة واعتبار مثلثة أحدها إلى نفسه، والثاني إلى ما فوقه، والثالث إلى ما دونه، وهي أحوال تسمى التساوي في الإلهيات والكونيات أحدها ثلاثة، وكذلك كل نسبة، وأصنافه حاوية على هذه الوجوه الثلاثة.

### ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾﴾

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾﴾ [الواقعة: 8] وهي الجهة الأقوى، أعني اليمنى. قال النبي ﷺ: «إن الله يحب المتيامن»، وأهل هذه هم السوداء كما روي أن النبي ﷺ رأى آدم عليه السلام على يمينه السوداء من أولاده وعلى يساره الأشقياء منهم.

## ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾﴾

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾﴾ [الواقعة: 9] بيان الوجوه الثلاثة الأقوى والأعلى، وهو مكان الكبد وموضع الروح النباتي، والأصغر والأدنى وهو مكان الطحال الذي لا قوة فيه، والوسط وهو مقام القلب الذي هو منبع الروح الحيواني الذي يتصاعد إلى الجهة الحقيقية التي لا تتبدل أصلاً وهي الفوق ويقابلها التحت، وهذه الوجوه الثلاثة وهي التثليث الذي هو أصل السعادات ﴿إِنَّ اللَّهَ تَالِكٌ لِّدَلَّتْهُ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَحِدٌ﴾ [المائدة: 73].

## ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الواقعة: 10] القاصدون الجهة الحقيقية، وهي جهة العليا والفوق، المتصرفون من جهة السفلية التي يتوجهون إليها، الأجسام الكثيفة والنفوس الخبيثة.

## ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة: 11] إلى الله العلي العالي، المسبقون المنصرفون عن الجهة السفلية وعالم الطبيعة التي هي المشأمة والشؤم والشأمة.

## ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾

﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [الواقعة: 12] أي جنات يكون نعيمها من جنس نعيم الدنيا من المآكل والمشارب والمناجح.

## ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الواقعة: 13] فرقة من أصحاب اليمين الذين أسلم فريقهم، الذين هم توأمان على أيديهم، ولا يأمرونهم إلا بخير. والحاصل أن المعلول الأول والتعين الأول والعقل الكل الأول ثلاثة أوجه: وجه إلهي يلي الإله، ووجه كوني هو النظر إلى نفسه، ووجه إمكاني نظر إلى ما دونه، فظهر الوجه الأول الذي هو أشرف الوجوه الموجودة ذو الجوهر الأشرف وهو العقل الثاني، وعن الوجه الثاني هو الأوسط النفس الكلية وهي اللوح المحفوظ، وعن

الوجه الأحسن وهو الإمكانية الموجودة والجوهر الأحسن وهو الجسم، وهذه الوجوه الثلاثة سارية في جميع الموجودات الممكنة الشريفة والخسيصة هي الأرواح الثلاثة التي تظهر في كل فرد من الحيوانات بصورة الدماغ والقلب والكبد والجسم، وكذا كل من هذه الأعضاء والأجزاء الثلاث حاوٍ على الوجوه، وجه إلى ربه، وبهذا الوجه يستفيض، ووجه إلى ما دونه، فهذا الوجه يفيض عليه، ووجه يقبل من الأعلى وهو ربه. والوجه الأول هو القائم بالله وبالرب وهو الوجه الإلهي الذي هو باقٍ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القَصَص: 88]، «أن الله هو ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد»، وأيضاً كل مولود إنسي يولد معه مولود جني، فإن وافقه في الأحوال والأعمال كان هذا المولود من أصحاب اليمين وهم السابقين، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة: 13].

### ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾

﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: 14] إشارة إلى من خالفه المولود الجنّي وهم فرقتان: فرقة يخالفهم المولود الجنّي في بعض الأعمال وتوافقهم في بعض، وهم الفساق. ومنهم من يخالفهم في تمام الأحوال والأعمال فهم الكفرة والمشركون، وهذه الفرقة من أصحاب الشمال. ومنهم من قال: إن السابق هو الذي نشأ من أول العمر إلى آخره على الطاعة والعبادة بالإخلاص، ومنهم من خالف أمر الله وانصرف إلى المعصية ثم تاب ورجع إلى الله، وهم أصحاب اليمين، ومنهم من نشأ من أول العمر على المعصية والكفر فهم من أصحاب الشمال.

### ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾

﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ جمع سريرة وهي ما ارتفع عن الأرض ويُجلس عليها ترفهاً وتنعماً ﴿مَوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة: 15] منسوجة من الذهب كما يوضب حلق الدرع في الدرر والياقوت فيها صفة لسرر من خبر آخر.

### ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾

﴿مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا﴾ حال من ضمير موضونة أو من على سرر أي يستقرون عليها حال كونهم متكئين عليها ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ [الواقعة: 16] أي حالة المقابلة والتقابل حال

من فاعل متكئين ، والمقابلة خير من المقاربة والمواجهة ألد وأولى من المجانبة .

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ ﴾ للخدمة ﴿ مُّخَلَّدُونَ ﴾ [الواقعة: 17] باقون ثابتون على هيئة الولدان ونعت الغلمان بلا تغيير وتبدل إذ الآخرة دار الخلد والبقاء مع ما فيها من النعيم .

﴿ يَا كُوبٍ وَأَبْرَقٍ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿ يَا كُوبٍ ﴾ بأقداح مستديرة ﴿ وَأَبْرَقٍ ﴾ جمع إبريق وهو كوز لها عروة وخرطوم ﴿ وَكَأْسٍ ﴾ قدح مملوء ﴿ مِّن مَّعِينٍ ﴾ [الواقعة: 18] خمر من خمور الدنيا .

﴿ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا ﴾ صداع الخمر أي لا خمار له كما هو شأن خمور الدنيا ﴿ وَلَا يُزْفُونَ ﴾ [الواقعة: 19] أي لا تزول عقولهم .

﴿ وَفَكَهَّةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿ وَفَكَهَّةٍ ﴾ وثمار رطب ﴿ مِّمَّا يَتَخَيَّزُونَ ﴾ [الواقعة: 20] ويختارون بطيب أنفسهم ومثل خواطرهم .

﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [الواقعة: 21] ويريدون بالاختيار واستطابة القلب .

﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ ﴿ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ [الواقعة: الآيتان 22، 23] عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أو فاعل الظرف المحذوف، أي منها حور .

﴿ جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الواقعة: 24] أي لأجل جزاء أعمالهم ومعمولاتهم .

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيَمًا ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ﴾ مهملاً لا طائل تحته وباطلاً لا فائدة له ﴿ وَلَا تَأْتِيَمًا ﴾ [الواقعة: 25] أي أمراً يودي به إلى الإثم، أو إلى أمر يقال له إثم .

## ﴿إِلَّا قِيلاً سَلَمًا سَلَمًا﴾

﴿إِلَّا قِيلاً﴾ ومآلاً ومقالاً وقالاً، والقييل والقال مصدر قال ﴿سَلَمًا سَلَمًا﴾ [الواقعة: 26] بدل من قِيلاً، أي لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً، وتكراره يُشعر بأن المسلم والمسلم له متعدد.

لما علمت أن كل مولود إنسي محتوٍ على مولود جني وبالعكس إذ الإنسان باب الأبواب، ولكون الإنسان بداية الكائنات ونهاية المكونات لأكوان حال منها كما قال: «لولاك ما خلقت الأفلاك»، و«أول ما خلق الله نوري»، «نحن الآخرون السابقون».

## ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: 27] وفي هذا الاستفهام بإيراد الموصول للإبهام تفضيخ وتبجيل وتعظيم وتعميم مع أنه بيان وتفصيل لما تقدم، فيه مبالغة من الفرق التي غلب عليهم مقتضى الوجود الذاتي والوجه الإلهي الذي اقتضى انقياد المولود الجنى للمولود الإنسي في الوجه الإنسي.

## ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾

﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة: 28] أي شجرة النبق بالفارسية كنار أي التي لا شوك فيها من خضده إذا قطعه أو ثنى أغصانه من كثرة حملة من خضد بالعضد إذا تناقره وقطعه، سدر مخضود أي مقطوع الشوك.

## ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾

﴿وَطَلْحٍ﴾ شجرة موز وغيلان وله أنوار كثيرة وأزهار كبيرة طيبة الرائحة ﴿مَّنْضُودٍ﴾ [الواقعة: 29] متراكم من نفث السحاب إذا تراكم استعير من طلح يقدمونه أنضاد القوم جماعتهم، ونضد الرجل إذا تقوى نحو أشبه أقاربه من الأعمام والأخوال.

## ﴿وَوَظَلٍّ مَّمْدُودٍ﴾

﴿وَوَظَلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: 30] منبسط ممتد لا ينقص ولا يتفاوت.

﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾﴾ [الواقعة: 31] ومناض منصوب أي يصيب لهم ماء كيف شاء وأين شاء وكما شاء بلا تعب لما شبه السابقين الذين غلب عليهم الوجه الإلهي والوجوب الذاتي، وقلّ أحكام الإمكان بحيث غلب حكم المولود الإنسي على المولود الجنّي بأن هاجم سلطان النور والجمال على الظل والجلال.

﴿وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الواقعة: 32] الأجناس والأنواع.

﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾

﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ مطروحة على الأرض لتقل الرغبة بها ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: 33] تناولها ولا ممتنع تعاطيها وجنسها بأن تكون على الأشجار الرفيعة على المواضع الشاهقة وغير ذلك من المواضع والقواسر.

﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الواقعة: 34] القدر أو منضدة مرتفعة. وقيل: المراد هن النساء وارتفاعها على أنها على الأمائل والأعظم أو هي يكنى بها بالفرش المرفوعة على الأرائك لقوله تعالى: ﴿هُمُ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [يس: 56].

﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾﴾

﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾﴾ أبداناً وخلقنا منهن ابتداءً جديداً من غير توالد أم وأب في بداية كل دورة وأول كل كورة. عن رسول الله ﷺ حين سألت أم سلمة عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً﴾ [الواقعة: 35] قال: «يا أم سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شممطاً عمشاً رمصاً، جعلهن الله بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن».

﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾

﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾ [الواقعة: 36] قال رسول الله ﷺ: «سمعت عائشة ذلك فقالت: وأزواجنا؟ قال: ليس هناك رجوع لأنه دار السلام والسلامة، فقالت

لرسول الله: ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: إن الجنة لا يدخلها العجائز. فولت وهي تبكي، فقال ﷺ: أخبروها أنها ليست يومئذ عجوز» وقرأ الآية.

### ﴿عُرْبًا أَرَابًا﴾ (٣٧)

﴿عُرْبًا أَرَابًا﴾ [الواقعة: 37] جمع عرب وهو العاشق، أي هن عواشق متحبات إلى أزواجهن. قيل: غنجات أو حسنات الكلام مستويات في السن. قال النبي ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جُرْدًا مُرْدًا بِيضًا جَعَادًا مَكْحَلِينَ، أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طوله ستون ذراعًا في سبعة أذرع أهل الجنة، لكل واحد ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة، وينصب له فيه من لؤلؤ وزبرجد وياقوت، وإن أدنى لؤلؤ يضيء ما بين المشرق والمغرب يكون عليها سبعون ثوبًا لا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقهن من وراء ذلك».

### ﴿لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٣٨)

﴿لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: 38] متعلق بأنشأهن أو صفة لأبكارًا.

### ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٩)

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الواقعة: 39] قليلة من أعيان دورة الجمال.

### ﴿وَتِلْكَ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (٤٠)

﴿وَتِلْكَ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: 40] أي من أكوان كورة الجلال التي استقرت مقتضيات النور والجلال بمرتضيات الظل والجلال، فإن كانت الموافقة من جانب المولود الجني يصير صاحبه مجذوبًا، وإن كان بالعكس يصير سالكًا.

### ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ (٤١)

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ أي الغالب عليه الأحكام الإمكانية. واختلف الحكم بين المولودين، وغلب حكم الظل والجلال ﴿مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ [الواقعة: 41] في الدورة الكبرى والوسطى والصغرى.

### ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ (٤٢)

﴿فِي سَمُومٍ﴾ على ما يقتضي المولود الجني الضمني في الدورة الكبرى، وهو



كيفية متممة نافذة تخرق أي موضع يصل إليه من الأعضاء والأجزاء ﴿وَمِيمٍ﴾ [الواقعة: 42] ماء حار يقطع الأحشاء في الدورة الوسطى.

﴿وَضَلَّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾

﴿وَضَلَّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: 43] أي دخان شديد السواد. يقال: أسود يحموم إذا كان شديد السواد يهلك بشدة سواده هولاً وتخفيفاً بهذه الدورة الصغرى.

﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾

﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: 44] أي لا بارد النظر والمنزل. روي عن عبد الله بن عمر قال: كنا مع رسول الله ﷺ في قبة فقال: «أترضون أن تكونوا ربيع أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة»، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأحمر. وذهب جماعة إلى أن الثلثين من هذه تامة، وجماعة أخرى إلى أن ثلثة من الأولين من سابقى هذه الأمة، وثلثة من الآخرين من هذه كرامة في آخر الزمان وهي المطهر الموعود وأتباعه.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ الأمر المذكور الأخرى وهو الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾ [الواقعة: 45] متنعمين منعمين في أجزاء اللذات النفسانية.

﴿وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْهِنِّ الْعَظِيمِ﴾

﴿وَكَانُوا يُصْرُونَ﴾ يبالغون ويقىمون ﴿عَلَى الْهِنِّ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: 46] الذنب الكبير والعصيان الكثير وهو الشرك، أو اليمين الغموس، فذلك أنهم يخلقون ولا يمتنعون.

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ﴾ في البعث والحشر ﴿أَيُّدَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا﴾ بالية وأجزاء هبائية متفرقة بعضها في كرة النار وبعضها في طبقة الهواء، وبعضها في مرتبة المادة، وبعضها في قعر البحر ﴿أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [الواقعة: 47] تجتمع أجزاءنا

المتفرقة على المنهج المذكور والنهج المزبور، وتتكوّن أبداننا. وتكرار الهمزة الإنكارية للمبالغة في الإنكار.

﴿أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوْلُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوْلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الواقعة: 48] وإنما أفردوا بالذكر لشدة استحالته.

﴿قُلْ إِيَّاكَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿قُلْ إِيَّاكَ الْأَوَّلِينَ﴾ من الآباء والأمهات في الأدوار السابقة والأكوار السابقة ﴿وَالْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: 49] الذين يأتون من بعد.

﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿لَمَجْمُوعُونَ﴾ يوم البعث والحشر ﴿إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: 50] ووقت معين معلوم، وهو الجمعية العظمى والكلية الكبرى التي يجتمع فيها الأولون والأعيان النورية في الأدوار النورية الوجودية والأكوار الظلية العدمية الأولية والآخرية، إشارة إلى أن القيامة نوعان: جزئية، وهي قيامة الدورة المخصصة والكورة المنصوصة الإفرادية. وكلية، وهي قيامة الجمعية في الأدوار والجمعية في الأكوار الإفرادية وجمعية جمعيتها، ومر أيضاً أربعة، فأصل القيامات إثنا عشر، أربعة للأدوار النورية، وأربعة للأكوار الظلية الإفرادية، وأربعة لجمعيتها وذلك عند انتهاء فردارية كل دورة منها تظهر الساعة وشرائطها.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿ثُمَّ﴾ عند انتقال الفردارية تقوم القيامة وتدوم الندامة بعد تبدل السماوات وانشقاقها وانصكاكها وانفطارها وإثبات النجوم وانفكاكها ﴿إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذِبُونَ﴾ [الواقعة: 51] أي الأعيان النورية التي غلبت مقتضيات الصفة الإمكانية والصفة الجلالية والهيئة الظلية تكذبون القيامة العظمى والكبرى والوسطى والصغرى لانتفاء شرط التصديق بها، وهو عليّة حكم الوجوب الذاتي وموافقة المولود الجني المولود الأنسي.

﴿لَأَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾﴾

﴿لَأَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الواقعة: 52] أي تأكلون من شجرة تكذيب

القيامة ثمرة الزقوم الإنكار، والزقوم تجتمع فيه الجهات المهلكة تدرکہا الحواس الخمس الظاهرة وهي الحرارة المهلكة المفرطة السمية والرائحة الكريهة المنتنة، والحرارة المحرقة المهلكة، والصورة الهائلة الموحشة، والأسود في الغابة حتى بلغ مبلغ الإهلاك وله كيفية مقطعة الأحشاء والكبد والأمعاء، وتحرق الأرواح والنفوس والأشباح.

﴿فَالْتَوَىٰ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿فَالْتَوَىٰ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الواقعة: 53] فمن الأولى الابتدائية الثانية للبيان والثالثة للتبعيض.

﴿فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾

﴿فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي على أكل الزقوم وامتلاء البطن منه عند غلبة العطش ﴿مِنَ﴾ الماء الحار في الغاية وهو ﴿الْحَمِيمِ﴾ [الواقعة: 54] البالغ حرارته إلى حد يحرق ويفتت ويقطع ما يصل به.

﴿فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ ﴿٥٥﴾﴾

﴿فَشَرِبُونَ﴾ تلك الماء الحارة القطاعة شرباً يكون مثل ﴿شُرْبَ الْهَيْمِ﴾ [الواقعة: 55] أي مثل شرب الإبل التي لديها داء. يقال: الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء، وهو جمع الهيم. وقيل: الهيم الرمال ووجهه أن يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي يتماسك. والمعنى أنه يسلط عليهم الجوع بحيث لا يملكون أنفسهم بأن يمسكوا بها عن أكل الزقوم كما لا يمسك بعض الرمال بعضاً وهو كدردي الزيت الحار في الغاية قد اكتسبها من نار جهنم لا من نار الدنيا التي هي أنزل سبعين مرتبة من نار الآخرة ولا يعلم حدّة حرارتها ولا شدة حرارتها إلا الله، فإذا ملأ بطونهم من الزقوم غلب الكبريت والعلق وشدة العطش، واضطروا إلى شرب الحميم الذي يقطع أحشاءهم أي تقطعت أبدانهم وأمعائهم فيشربون شرب الهيم الماء بأن لا ينتفي بنفي كيفيتها في الرمل، فإن يشربون الحميم كما يشربون بعد الحميم في أحشائهم وأمعائهم ويحرقها ويقطعها يكفيه عن عينه يختفي فيها ويكتفي. قال النبي ﷺ: «لو أن قطعة قطرت في الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معاشهم»،

فكيف عمن يكون طعامهم من هذا القدر الذي أكلوا من الزقوم .

﴿ هَذَا نُرُؤُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ (٥٦)

﴿ هَذَا نُرُؤُهُمْ ﴾ وما حضر منه لهم حال نزولهم ضيافة لهم ، فكيف عن أدوارهم ونصيبهم ﴿ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الواقعة : 56] يوم الجزاء الذي يجازون فيه بأعمالهم .

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ (٥٧)

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ ولم تكونوا شيئاً وأنتم تعلمون ذلك ومع هذا تشركون بالله ﴿ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ [الواقعة : 57] تحضيض على التصديق إما بالخلق لأنهم وإن كانوا مصدقين به إلا أنهم لما كانوا ندبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم يكذبون به ، وإما بالبعث ولأن من خلق أولاً مادة وإن كان لم يمتنع عليه ثانياً وثالثاً ورابعاً في الأدوار والأكوار عند انقضاء فردارية الدورة وانتقالها إلى فردارية دورة أخرى إفرادية كانت أو جمعية .

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ (٥٨)

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴾ [الواقعة : 58] رد على المشركين الطبيعيين ، فإنه تعالى قال : ﴿ خَلَقْنَاكُمْ ﴾ [الواقعة : 57] ، قالوا : نحن موجودون في النطف ، فكل أحد منا نطفة أحد آبائنا ، فقال رداً عليهم : هل رأيتم ما تمنون ، (ما) مصدرية أي حاصل للمصدر يعني منيكم هذا وأنتم جئتم من حقير ، والمني ما أبين يحملهن غير قادر على الازدياد والنشور والمعاناة والتصوير من الكدة والتربيع والتثليث والاستدارة والتكليف ، والمخروطة والاسطوانة والتضلع والتجويف والتصحيف وغير ذلك من الأشكال أو الأطوار . وكذا نبات لا روح فيها ولا حس ولا حركة ، ولا إدراك ولا الأفعال المختلفة والأعمال المتقطعة ، ومن البين أن النقطة لا تقدر على شيء في نفسها من هذه الأمور بل لا بد فيها من فاعل ومؤثر آخر يكون واجب الوجود عيناً بذاته غير الجهات والمجهود لا يحتاج إلى شيء أصلاً لا في التكوين والإدراك والإحساس والشهود ، بل يكون في ذاته كاملاً بذاته ، كافيًا في كماله .

﴿ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ (٥٩)

﴿ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ﴾ [الواقعة : 59] أي المنى آلة الأمر في الظاهر في المرتبة الثانية

مادة أبدانكم وتنصرفون فيه لتبليغ غاية كماله ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ [الواقعة: 59] المنى أولاً في أصلاب الآباء، ثم ننزله في رحم الأمهات ونقره فيها ونقله من طور إلى طور، ومن حالة إلى حالة إلى أن بلغ الغاية ووصل النهاية، وإذا انتهى بطوراته وانتهت استحالاته في تدبير ثلاثين يوماً، وكذا في تدبير المشتري والمريخ أربعين يوماً، فلما بلغ التسبب والتسبب في أربعة أشهر وعشراً إلى تدبير الشمس وهي منبع الحياة، نفخ الله تعالى في الجنين في شمس واحدته وجبروته وأمره وملكوته روحاً إليها وفرحاً وروحاً زمانياً، وهذا ينصرف ويتدبر فيه بإعطاء الشهوة التي هي مبدأ حفظ الشخص وإبقاء النوع بتوليد المنى الذي هو سبب الظاهر لتوليد المثل، ثم إذا انتهى التدبير الإلهي إلى عطارده واسم البصير الذي هو مدارك تنزل الحياة والعلم والإدراك وتمّ عليهم التدبير الرباني في ستة أشهر أمكن أن يلد المولود كاملاً مدرّكاً ويعيش كما أشار إليه بقوله: ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15]، وقال: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: 233] مدة الإرضاع، فيبقى الحمل والفصال ست أشهر لمنزلة أدنى مسكة من الإدراك. ومن تأمل في هذه التدبيرات والتصرفات وبكل حقيقة هذه المعارف والإدراكات يحكم بالضرورة بوجود خالق واجب الوجود، غني بذاته عن غيره في كماله في الجهات الست وتمام الحدود.

﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾

فإذا ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ والحياة، رد على المنجمين الذين يسندون التأثيرات والخلق والتدبيرات إلى الكواكب والنجوم وأوضاعها واتصالاتها الكلية والجزئية، وكذا ينسبون الموت والحياة إلى الأنظار التي تقع بينها وإن كان بخاراً انتهى سير الطالع إلى كوكب أو موضع نحس قاطع فيقطع عن صاحبه، وإن كان بالعكس فبالعكس ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة: 60] بمغلوبين في القسمة والتدبيرات إشارة إلى من رد إسناد الخير إلى الله تعالى والشر إلى أمر من الشياطين وهم المجوسيون الذين وضعوا هذه العقيدة في العالم أربعة آلاف سنة إلى أن جاء الإسلاميون فدخل الله بهم فلم يبق منهم إلا شردمة قليلة منهم، وعلى أهل القدر حيث قالوا: إن العباد خالقو أفعالهم وهم المعتزلة التي هي مجوس

هذه الأمة. قال النبي ﷺ: «القدرى مجوس هذه الأمة». فبقي أهل الحق من أهل السنّة والجماعة من أرباب الكشف والشهود والصوفيين المتحققين والحكماء المتألهين.

### ﴿عَلَىٰ أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿عَلَىٰ أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ﴾ جمع مثل، أي على أن نبدل أشباهكم ونظائركم من الخلق، أي لسنا بعاجزين عن إهلاككم وإبدالكم بأمثالكم وأشباهكم ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾ فيها ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: 61] أي في صور لم تكونوا تعلمونها، صور القردة والخنازير والذئاب، وصور سائر السباع والحيات، وهيئات باقي الحيوانات من الطيور والدواب، وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا من أمثالكم ما فرضنا في الكتاب من شيء، يعني خلقناكم في الأدوار النورية في شؤونات متعددة وشؤونات متبددة، وبهيئات متجددة، فإن في كل دورة من الأدوار الأربعة النورية، وكذا في الكورة العظمى الظلية ينعنون بتعينات مختلفة غريبة، وتظهر الهيئات متعاطفة عجيبة، تارة بالنعوت الملكية، وأخرى بالتكوينات الأهرمانية، وأخرى بصور ظهورية كالسيمرغ والعنقاء والرخ والقفص والنثر والبدال والميران والشامباز، أو بالصور السبوعية كالهَرَّ والأسد والنمر وغير ذلك كما قدمت في مفتتح سورة ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرَىٰ﴾ [الإسراء: 1] في السماء بتصرف، وكذا في الدورة الكبرى النورية الوجودية والوسطى النورية لكم نشأت شتى وشؤونات لا تعد ولا تحصى بصور متناسبة وهيئات متقاربة لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم في الشؤونات والناسوت في تطور الشؤونات وتنوع البرزات.

### ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: 62] تحضيض في التذکر وتحريض على الاعتبار والعبرة في ما تقدم من الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية، فمن العارفين من له نشأة في أدوار كثيرة وتطورات غفيرة في أكوار كبيرة وبروزات متطورة وسرورات غير متكررة على وجوه وجهه وشكره بهجة.

## مطلب

## حكاية ردّ المؤلف - نفعنا الله بأنفاسه القدسية - على الخضر - عليه السلام وقدّس سرّه -

واعلم أنني رأيت حضرة الخضر عليه السلام وعلى رأسه تاج بصورة تاج درة عمر عليه الرحمة، فسألت عنه: ما هذا التاج؟ قال: منذ وضعته في رأسي عشرون ألف دورة من الأدوار الإلهية، قال لي: أردت أن أضع في رأسك تاجًا ساذجًا مشتملاً على أربعة وصلية وترك وليكن أرفع خضر وقد أخبرته بتسعون ألف دورة كل دورة عبارة عن ثلاثمائة وستين ألف سنة، وكل سنة ثلاثمائة وستون يومًا، ومقدار كل يوم خمسة آلاف سنة، فإذا بعد ساعة رأيت درة عمر فسألت عن هذه النشآت وما لها من الحالات والمقامات والشؤونات، فقال: لي من هذه الدورات ومما بها من الأحوال والمشاهدات، فذكرته وجعلته متذكرًا منها، فقال: نعم تذكرت بعضًا منها. ثم قال لي الخضر: أتعرف هذه النشآت؟ قلت: نعم، فقال لي: سر ودُر معي. فأخذت في السير فسرت على هذه الأدوار أولاً وثانيًا فرأيت في كل دورة من الأدوار وفي كل كورة من الأكوار من عجائب قدرته وغرائب حكمته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الرُّوم: 17، 18].

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الواقعة: 63] تذرونه وتنشرونه بالبرز.

﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة: 64] المنبتون.

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ هشيماً تذروه الرياح ﴿فَظَلْتُمْ﴾ أصله فظللتم فحذفت إحدى اللامين أي لصرتم ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة: 65] تعجبون مما نزل بكم في روعكم، أو تندمون مما قدمتم بأيديكم من المعصية والتفكّه والتنقل بصنوف الفواكه، وقد يستعير للتنقل بالحديث.

﴿ إِنَّا لَمُعْرَمُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾

﴿ إِنَّا لَمُعْرَمُونَ ﴾ [الواقعة: 66] لملزومون والملتزمون غرامته، أو مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك.

﴿ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾

﴿ بَلْ نَحْنُ ﴾ قوم ﴿ مُحْرَمُونَ ﴾ [الواقعة: 67] حررنا رزقنا أو مهدودون أي حررنا عما نطلبه من الزرع وتحصيل المنافع والربح.

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾ ﴿٦٨﴾

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾ [الواقعة: 68] وتمتعون به وتنتفعون به.

﴿ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾

﴿ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ﴾ السحاب الممطر ﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة: 69] أي ثبت لنا الإنزال من السحاب.

﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٧٠﴾

﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾ مالحًا جدًا أو مرًا في الغاية بالغة في الكيفيتين في النهاية ﴿ فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ [الواقعة: 70] تحضيض وترغيب وتحريض على الشكر.

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ ﴿٧١﴾

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ [الواقعة: 71] تقدمون وتستخرجون النار من الزند والعرب تقدح بعودين بحك أحدهما واصطكاك واحد منهما على الآخر ويسمّون الأعلى الزند والأسفل الزنده وسهوما بالحك والطروقة.

﴿ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾ ﴿٧٢﴾

﴿ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا ﴾ التي منها الزند ﴿ أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴾ [الواقعة: 72].

﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمتَعًا لِلْمُقْوِينَ ﴾ ﴿٧٣﴾

﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا ﴾ [الواقعة: 73] أي صيرنا النار من الزناد أو الشجرة التي منها



الزناد ﴿تَذَكَّرَ﴾ للنار الكبرى إذا رأى النار الناظر ذكر نار جهنم وخاف منها، قال بعضهم: جعلها موعظة للمؤمن يتعظ بها ويعتبر منها. قال النبي ﷺ: «نار بني آدم التي توقد من جزء إلى سبعين جزء من نار جهنم، قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: فإنها فضلت عليها تسعة وتسعين»، ﴿وَمَتَّعًا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الواقعة: 73] أي بلغة ومنفعة للمسافرين ينتقلون بها إلى شعابهم، وللحاضرين والمسافرين يستضيئون بها في الظلم ويصطلون بها من البرد، وينتفعون بها في الطبخ والاستنجااء المقوي وهو النازل في الأرض قيل للمقرنين المقيمون بها من الناس أجمعين المسافرين والحاضرين في جميع المنافع.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٧٤﴾

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: 74] الدالة على التنزيه عن التشبيه الجمالي النوري.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ ﴿٧٥﴾

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: 75] بمنافعها ومنازلها أي فلا يكون الأمر على ما أنتم عليه يا معاشر الكفار، أقسم على صحة ما ذكرنا.

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ ﴿٧٦﴾

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: 76] اعتراض وإعراض لأنه اعترض بين القسم والمقسم عليه.

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٧٧﴾

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: 77] واعترض لو تعلمون بين الموصوف وصفته وهو عظيم. وقيل: مواقع النجوم أوقات وقوع نجوم القرآن ونزولها إذ أوقات نزولها ولها شرف وكرامة على غيرها عند الحق والخلق لأنه يخبر عن خالق الأشياء وأحوالها وخصائصها ولوازمها، وعن أوقات حدوثها ووقوعها بأن للقرآن وآياتها بل لكلماتها وحروفها دلالات على حوادث غير متناهية دلالة مطابقة وتضمنية والتزامية بطريق الرمز والإشارات والإيماء والبلوغ والكفايات والتعليم وغير ذلك كما دل قوله: ﴿الْمَ ﴿١﴾ غَلَبَتِ الرُّؤْمُ ﴿٢﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ﴾

بَعْدَ غَلْبِهِمْ سَيْغِلُونَ ﴿٧٤﴾ فِي بَضْعِ سِينٍ<sup>٤</sup> [الرُّوم: 1 - 4] على خروج بحور وحسن بك غلبة الروم وحسن بك وكذا ﴿الْمَصَّ﴾ [الأعراف: 1]، وقوله: (ص وق وان دي اك رب ل ال ذي بكف رواق س ع زه وش قاف) سيطلع الليل من النور مشرق بمطلع اعتراف قسيمه، يختبر ال م ص سيما ال م ص ٨٧١ سنون في هذا التاريخ مفصلاً ببضع (ح س ن) وفي نهاية بضع (٨٧١) قد صار مغلوباً بغلبة سلطان محمد رومي والقوال مستحون بأمثال هذه الرموز والدلالات.

### ﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾

﴿فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة: 78] محفوظ مصون بتمام أجزائه بما دل عليه من الإشارات والدلالات ثابت في اللوح المحفوظ.

### ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: 79] أي لا يطلع على اللوح من كتاب الله ولا يصل إلى اللوح المحفوظ إلا من تطهر من روث العلائق البدنية ولوث العوائق المدنية والنخاس الشيطانية والرجاس النفسانية.

### ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة: 80] صفة ثالثة أو رابعة للقرآن وقوانينه بلا منصوب بمقدر.

### ﴿أَفِيهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿أَفِيهَذَا الْحَدِيثِ﴾ والقول الفاصل بين الطيب والخبيث أنتم يا معشر الكفار ﴿أَنْتُمْ﴾ لها ﴿مُدْهِنُونَ﴾ [الواقعة: 81] ومدهنون كما يدهن في الأمر أي يمهل حابه ولا يتصلب ولا يسعى فيه تهاوناً وتكاملاً.

### ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي شكر رزقكم ونعمته الظاهرة والباطنة انقسام الرزق بينهما ﴿أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: 82] لو وضعتم الكذب المتعمد موضع الشكر كما وضعتم نعمة شكر كتاب موضع تكذيبه والشرك، يعني جعلتم نصيبكم من القرآن تذليلكم.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [الواقعة: الآيتان 83، 84] في هذه الحالة حالكم لخطاب: لو جعل المحتضر كائن وإلى حالاته ناظر، والواو للحال.

﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ أي إلى المحتضر منكم ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: 85] لا تدركون كنه حال تجرى عليه، وإني أقرب من أهل المحتضر إليه.

﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الواقعة: 86] مملوكين أو مجانبيين أو غير محرومين أو غير مقيمين في مدن من قولهم: إذا تدين إذا أقام في مدن، وهو حينئذ فعل. ومنه المدينة وجمعها المدائن بلا تاء، وعلى هذا الوجه معناه غير مقيمين في العذاب الدائم إذ منهم من شكره دائم. قالوا: لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة.

﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

فحينئذ يقال لهم: إن كان كذلك: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ أي فلم لا ترجع إلى الدنيا إن لم تكن الآخرة دار الإقامة. والحاصل أن هذه الآية جواب ورد على المكذبين، منهم من كذب العذاب، ومنهم قال بالتعطيل وأحال الأمر إلى الاتفاقيات ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الواقعة: 87] ومنهم من قال بالاختيار ومنع الحساب والعذاب مطلقًا. فمن قال بالاتفاقيات قيل في ردهم: إن كان كذلك ولم يكن محيي ومميت وقابض الأرواح، فإذا بلغت النفس والروح إلى الحلقوم فليرجعوا روحهم ونفسهم البالغة إلى الحلقوم إلى بدنهم، رد عليه وإن كان كذلك لا بد وأن يكون رجوعكم وعودكم إلى الدنيا والاختيار ومن قال بالاختيار، وقس عليه سائر النوع والردود، فإذا أبطلت هذه الأقوال صدق الله وصدق رسول الله وكتابه.

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الواقعة: 88] من السابقين من الأزواج الثلاثة.

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ (٨٩)

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ أي استراحة واستطابة ورزق طيب ﴿وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ [الواقعة: 89] ذات نعم ونعمة كاملة، يعني من كان قد تقرب إلى الله صار ذا قرب وتجليات ذاتية وأسماوية وأفعالية وأثرية كل منها إلى ما يناسبها.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٩٠)

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: 90] أي السالكون الغير المحدودين، وهم الزهاد من العباد من غير أن يصلوا إلى مقام التجليات في الطور السري.

﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ (٩١)

﴿فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: 91] خطاب للنبي ﷺ بأن أصحاب اليمين سلامتهم حاصلة بأمر صادق به عليك فإنهم في أعلى عليين، هذا كما يقال لرجل قلبه تعلق بولده الغائب عنه فحينئذ أنت تقول له: كن فارغاً من جانب ولدك فإنه في روح وراحة، ويحتمل أن يكون المراد من الكلام النبي ﷺ وأحواله ليكون تسلية لقلبه، فإنهم ادعوا بأنهم لا يحتاجون إلى شفاعته ولا إلى شيء من أحكام النبوة، فسلام وسلامة لك يا محمد منهم فلا يعبأ بهم ولا بتمردهم عنك وعن دعوتك إلى الحق، فالمدعو إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك حاصل من جانب جانبهم، فاللام هنا على هذا المعنى للأجل أي السلام والسلامة حاصل لأجلك من جانب أصحاب اليمين التابعين لك، فإن الله سلمهم وجعلهم سالمين من الكفار ومن دخله كان آمناً.

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ﴾ (٩٢)

﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ﴾ [الواقعة: 92] وهم من أصحاب الشمال الذين قد يقتدوا بدرجة التقليد وبمرتبة التقليد والتجريد، وأنكروا المواعيد الشرعية وجحدوا التجليات الإلهية شهودها ومشاهدتها.

﴿فَنُزِّلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ (٩٣)

﴿فَنُزِّلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ [الواقعة: 93] إذا اطلعت على أفئدتهم نار الندامة والتحسر

وفقدان شهود تلك التجليات وقد قدت شرارة تهب نار الحرمان عن مشاهدتها .

### ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾

﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة: 94] أي الدخول فيها، إن هذا الأمر المذكور في بيان أصحاب اليمين وحالاتهم وشهود تجليات الله وصفاته وأفعاله وآثارها ومعاينة أنوارها والاطلاع على أسرارها .

### ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ [الواقعة: 95] واعلم أن للعلم ثلاثة مراتب : علم اليقين سواء أفاده الاستدلال والدليل والبرهان والضرورة، وعين اليقين وهو الذي أفادته المشاهدة، وحق اليقين وهو التحقيق بها علم وبالعلم إن شاهد بغير اليقين أبان وجوده وعلمه وسمعه وبصره ولسانه وظاهره وباطنه وهو وجود الحق وعلمه علم الحق، وسمعه وبصره ولسانه وظاهره وباطنه هو الحق، كما قال : «كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه» الحديث، مثلاً أن السالك علم أولاً بأن الله علم وجوده حي عليم قدير مريد سميع بصير متكلم أول وآخر وظاهر وباطن، محيط بالكل سواء علم بالسمع والتقليد أو بالبرهان والدليل والتعليم، فإذا استحكم علمه وبلغ درجة اليقين، وارتفع حجاب العلم الحضوري، ونقاب الحكم الضروري، انتقل إلى العلم الحضوري الشهودي بأن صار المعلوم والمحكوم عليه مشاهداً حاضراً عنده، ويكون ناظراً له بلا حجاب، وإن ارتفع الحجاب اليقيني والنقاب الشهودي بارتفاع الإثنية واندفاع الهوية الغيبية والماهية العينية، اتحد الشاهد بالمشهود، والواجد بالموجود، والموجود بالوجود، فإذا تحقق العارف بالمعروف وصار في نفس الكل الظاهر والباطن، الآخر والأول ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] .

### ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

﴿فَسَبِّحْ﴾ وبعده ونزه الذات المستجمع لجميع الأسماء والصفات عن التشبيه النوري الجمالي ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ الجلالي ﴿الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: 96] في فردانية الجمال وفي فردانية الجلال الصريح، قدس وسبح الذات المستجمع للأسماء والصفات

الجلالية ومن باطن الأسماء الجلالية وعينها على التشبيه الحاصل غير التسبيح والتقديس الجلالى، هذا في السير إلى الله ومن الله .

وأما في السير في الله فسبَّح و قدس للذات عن خصوصية الأسماء والصفات الجلالية، وهي باطن هذه الأسماء، فتسبيح الذات في السير في الله هو التشبيه في غير التنزيه، وتنزيه في غير التشبيه، فلا تشبيه ولا تنزيه لأنه في هذه الحالة عين التشبيه والتنزيه بوجه وغيرهما بوجه، والغيبية والغيرية كلاهما في نظر العارف حاضر، وهو في هذه الحالة قد تشاهد نفسه عين الكل والكل عينه إفراداً وجمعاً فراداً ومعاً .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي حديد السياسة من سماء قهره وقضاء قضائه وإمضاء قدره في عموم البلاد لحفظ نظام أحوال العباد إلى يوم التناد ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي بيده الملك والملكوت يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي استوى على العرش الإلهي، وهو الجمعية العظمى والكلية الكبرى بإحاطة علمه بما يلج في الأرض الاستعدادية وبما يعرج إلى سماء الأحدية والقضاء الواحدة، وهو الكل ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ وما في ﴿وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: 1] والسموات النورية الجمالية في الدورة الوجودية هي من الأعيان الكونية والأكوان الربوبية الظاهرة في الأدوار الجمالية تصريحًا من الملائكة المقربة والعالية، والأرواح القومية والنفوس العالية والطبائع القابلة والأجسام العالية الفلكية والكونية، والكواكب السيارة والثابتة في الفردانية الأربعة العظمى الكبرى والوسطى والصغرى.

خص الله تعالى كلاً من هذه الأعيان بأمر من الإدراكات والتأثيرات والأفعال والتأثر والقبول كما سيأتي، مسبحين عدا تسبيح أهل السماوات والأرض الأربعة المذكورة، أعني سماء الدورة الإلهية والربوبية والبرزخية والملكية الشهادية والأرضية، ومن الأكوار الأربعة الظلية الجلالية التي كانت في

ضمن الأدوار النورية الجمالية إذا كانت فردارية الأدوار صريحة إفرادية وجمعية، ففتح أعيان الأدوار باعتبار انطوائها على الأكوان الجلالية وهي الموالاة الجنية والشيطانية التي أطاعت المولودات الإنسية، فإن كل مولود إنسي ينطوي على مولودات الأدوار الأربعة النورية وهي الشؤون الذاتية والأعيان الثابتة والجواهر النورية والقواهر العقلية والأشباح العينية والأرواح البرزخية والأجساد المثالية والأجرام السماوية والأجسام العنصرية بالمواليد الثلاثة.

كذلك تنطوي على نقائص هذه الأعيان وهي غيب الشؤون الذاتية وحسب الصور العلمية والأعيان الثابتة ونقائص الخواطر النورية، وهو القواطر العقلية أعني الأهرمانية المنسوبة إلى الكورة العظمى، ويقبض الروح وهو القول، ويفيض الأشباح وهو الشياطين للفيض الجسد والجسم هو الجن، فالأعوان هي مرتضيات الأكوار الكبرى، والشياطين مرتضيات الكورة الصغرى، ولكل من هذه الأكوار نوع عبادة وطاعة، وهي تقتضي العبادة المنسوبة إلى الأعيان النورية الجمالية، فغاية الأعيان العقلية هي الفكر الصحيح ونقيضه هو مقتضى الأهرمي الذي هو باطن الفعل والجهل والفكر الفاسد، وعبرة الروح والنفس من أفعال النفسانية والتصرف في الطبيعة المنسوبة إلى الكورة الوسطى، وهي قبول الأعمال الروحية والأفعال النفسية على وجه أمرها العقل وسلطان القلب وعبادة الجسم والبدن، وهي الأفعال المخصوصة بالأعمال المعلومة المنصوطة على وجه حكم بها للصدر.

وإذا انقادت نقائص هذه الأعيان بأصواتها ظهرت عبادات هذه الأعيان والأصول على وجه أمر بها الرب، وإن خالفتها وغلبت عليها ظهرت نقائصها مثلاً إن سلطان الوهم والخيالات رجلاً تحت سلطان القلب ووافق وزير الحق الصريح صارت تمام أحكامه مقرونة بالصدق والصواب، وإن خالفه في أكثر أحكامه. وكذا في سائر الأحوال، فإن الوهم قد استعمله المولود الجني ويخالف المولود الأنسي، ويصير شيطاناً مغبوناً، قال النبي ﷺ: «ما منكم إلا وله قرين من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير».

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القوي القادر على اتحاد السماوات والأرض، القاهر على الأغيار والمواقع لسلطان قهرمان عزّه وجلاله ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الحديد: 1] الحاكم على



الأعيان النورية الجمالية الوجودية والظهور على الأكوان الظلية والجلالية بالعدم والخفاء والإخفاء .

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ﴾ وهو مقتضى النور والجمال بالاتحاد والإظهار ﴿وَالْأَرْضِ﴾ وهي مرتضى الظل والجلال بالظلمة والخفاء والإخفاء وما فيها من الأكوان العدمية الضمنية في ضمن الأعيان النورية والجمال، وهي المولودات الجنية الخارجة عن أحكام المشاعر الظاهرة، وهي الخارجة وكذا حكم الحكيم بأنها ليست بموجودة في الخارج أي ليست محسوسة بالحواس الظاهرة ﴿يُحْيِي﴾ بالنور والجمال ﴿وَيُمِيتُ﴾ [الحديد: 2] بالظل والجلال في الأدوار النورية الجمالية الوجودية، فمقتضى الدورة العظمى النورية هي الطبائع البرزخية والأشباح المثالية والمثل النورية، ومقتضى الدورة الصغرى النورية هي الأجرام السماوية والكواكب السيارة والثابتة والأفلاك الدائرة والدراري الدوارة، والتعبير عن جميع الأعيان النورية والأدوار الأربعة الجمالية الوجودية الصريحة بالشؤونات وعن الأكوان الظلية والأكوار الأربعة الجلالية العدمية المتضمنة بالأرض إشعار بأن الأدوار والأكوار كل منها مشتمل على أفلاك متناسبة وسماوات متقاربة، وكذا لكل دورة منها أرض ضمنية، وأيضًا لكل منها دنيا وآخرة، ولكل دورة مدة معينة وبرهة مبرهنة كما تقدمت، ولكل سماء فلك مدة معينة مخصوصة، ولكل حركة امتداد معين ومقدار متبين، في أفلاك الدورة العظمى النورية العقلية وكذا حركتها أيضًا عقلية، وامتدادها ومقدارها يسمى بالوقت المنصرف المقيد، وغيبه وباطنه هو الوقت المطلق، ولأن الدائم الذي هو ظرف للتكوين والإبداع «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل» الحديث.

يندرج فيه الأزل والأبد والوقت الحاضر محضه، والحال الظاهر مظهره، وأعيان هذه الدورة الصريحة هي العقول والضمنية هي الدهرية، ورب الأولى ومربيها ومدبرها هو ظاهر العلم وهو الجمال، ورب الأعيان الثابتة الضمنية هو غيب العلم وباطنه، وكذا رب الدورة العظمى النورية الجمالية هو العلم، وسماء الدورة الكبرى النورية حسية ونفسية، وكذا حركتها روحية، ومقدارها هو الذي

هو ظرف التكوين الثاني والاختراع، ورب هذه الدورة هو الحي، وأعيانها هي الأرواح والنفوس العاملة: «لا تسبوا الدهر»، قال الله عزَّ وجل: «أنا الدهر، لي الليل والنهار، أنا أجدده وأبنيه وأذهب بملوك، وآتي بملوك».

وسماء الدورة الوسطى طبيعية نوعية شخصية خيالية، وحركتها خيالية برزخية، وامتدادها ومقدارها تخيلية حاصلة ثابتة في حضرة الخيال، سمي ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكْفُورٌ ﴿١﴾ [العصر: 1، 2]، وهي ظرف الحركات الخيالية والقوة الخيالية وأعيانها هي المثل النورية والطبائع النوعية، وأرباب الأنواع وربها هو القدير، وسماء الدورة الصغرى النورية هي الأفلاك المحسوسة وحركاتها الحسية، ومقدارها وامتدادها محسوس، سمي بالزمان وهو ظرف الحوادث الزمانية وأعيانها هي المحسوسات، وربها هو المرید.

أما عالم الناسوت وهو عالم الإنسان الصغير صعدةً والكبير معنى، فربه هو الذات لجميع الأسماء والصفات، وسماؤه هو فلك كمال الجمعية العظمى والمعية الكبرى في الدورة الأولى والأخرى ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّجِدٌّ﴾ موجود ومعدوم وجود وعدم، حدوث وقدم، إحياء وإماتة، فرح وندامة ﴿فَدَيِّرُ﴾ [الحديد: 2] محيط علمه وقضائه وحكمه.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣﴾

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3] في الظهور والإظهار، والصدور والإصدار والإحضر. قال البعض: إنه أول لأنه قبل كل شيء، والآخر لأنه بعد كل شيء، وأنه ظاهر بحسب الدلائل إذ الدليل أظهر من المدلول، والباطن لأنه باطن الحواس الظاهرة والباطنة، أو أنه ظاهر الدلائل وباطن عن الأبصار، محتجب عن الأنظار.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٤﴾

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ [الحديد: 4] العقلية والروحية والنفسية والجسمية

الحسية النورية الجمالية ﴿وَالْأَرْضُ﴾ الاستعدادية الظلية الجلالية وهي تطابق العقلية والروحية والنفسية والجسمية من الأعيان والأكوان الظاهرة في فردانية الأكوار والأدوار ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا وهي معروفة على ما هو ثابت في علم الله وفي قضائه وفراغ حكمه وخلاء غيبه يجوز أن تكون أيام الآخرة وأن يكون المراد المراتب الستة وهي : اللاهوت والجبروت والملكوت والبرزخ والملك والناسوت، وهو صورة جمعية الكل، وإيثار الستة لكونه عددًا كاملاً إشعارًا بأن فعله تعالى كاملاً لا ينقص فيه أصلاً لا حالاً ولا مستقبلاً ومآلاً ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي عرش إلهية الجمعية والصورة الكلية الحاصلة من جمعية الكل المذكور، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وسماوات الأرض والأدوار والأكوار ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي ما ينزل من ظاهر سماء الإلهية إلى عالم الربوبية وعالم الأمر والملكوت ومنه إلى عالم البرزخ والطبيعية الجسمية، ومنه إلى عالم الملك في الأرض أي أرض مرتبة الأجسام، وعرض مادة الأجسام وهيولياتها، وأرض عالم العناصر والمواليد إلى الناسوت مما يقتضيه سلطان فردانية النور والجمال من ظاهر الكمالات الذاتية والأسمائية صريحاً ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ أي من أرض عالم الناسوت الذي هو نهاية الولوجات وغايتها، عطف على (يلج) على تقدير الحذف، أي يعلم ما ينزل من سماء الألوهية ويندرج في الأرض أو على منزل المقدر ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنْ﴾ أي باطن سماء الألوهية إلى عالم الربوبية على الترتيب المذكور، وإلى الناسوت مما يرتضيه سلطان فردانية الظل والجلال من غيب الكمالات الذاتية والأسمائية، باطناً ضمناً وتبعاً إذا كانت فردانية اقتضاء النور والجمال صريحاً، وفردانية فردانية الظل والجلال ضمناً وتبعاً، وإذا كان بالعكس انعكس الأمر ﴿السَّمَاءَ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4] أي في السماء بعد استكمال التنزلات واجتماعها في غاية التعيينات، أعني الناسوت إشارة إلى تنوع الولوج والنازل والعارج وتطورهما. ويحتمل أن يكون احتمالاً راجحاً.

الفقرة الأولى إشارة إلى ارتضاء الظل والجلال نزولاً وعروجاً، والثانية إلى اقتضاء النور والجمال ولوجاً وعروجاً.

قال آدم الأولياء في قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3]:

الذي لم يسبق له حال حالًا فيكون أولًا قبل أن يكون آخرًا، ويكون ظاهرًا قبل أن يكون باطنًا، كل مسمى بالوحدة غيره قليل، وكل عزيز غيره ذليل، وكل قوي غيره ضعيف، وكل مالك غيره مملوك، وكل عالم غيره متعلم، وكل قادر غيره لا يقدر ويعجز، وكل سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات، وكل ظاهر غيره باطن، وكل باطن غيره ظاهر، فعلى هذا يكون الحق لا ظاهرًا ولا باطنًا، يعني هو ظاهر في غيب البطون، وباطن في غيب الظهور، وأول في عين الآخر، وآخر في عين الأول.

قال النبي ﷺ: «إذا أراد أحد أن ينام فعليه أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول: اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر ما أنت أخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر والشين، هو في الأول والآخر والباطن معكم أين ما كنتم»، لأنه روحكم وخمر بنيتكم، وصور بدنكم، فمعيته بكم لا بالمقارن لأنه ظاهركم وباطنكم إذ الظاهر والباطن هو لا غير، فلا ينفك عنكم لا صورة ولا معنى، ولا ظاهرًا ولا باطنًا، وهو غيركم لا بالانفصال، ويكون مقدمًا عليكم لا بالزمان والعصر ولا بالدهر لأنه في ذاته منزه عن الكل ومقدم عليه بالذات وبالوقت الذي هو أصل الكل، وهو امتداد ديمومة ذاته وهو الآن الدائم الذي هو ظرف التكوين الأول «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل»، يا حي يا قيوم حين لا حي في ديمومة ملكه وبقائه بل بالذات كالمعية فإنها ليست زمانية، فإن ذاته تحيط بكم كذلك يحيط الزمان والمكان، فلا يكون الزمان ظرفًا لأنيته الغيبية كما لا يكون المكان محلًا لهويته الذاتية لامتناع إحاطتها بإهاها، بل الأمر بالعكس لأن مجرد العقل لكونه محاطًا لذاته تعالى لا يدرك هذه المسألة، فسبحان من اختفى عن العقول لشدة ظهوره وكمال عظمته وتمام إحاطته، يا كبير، أنت الذي لا تهتدي العقول لوصف عظمته.

كما أنه تعالى أول كل شيء بالذات وبالزمان، استدل كثير من العلماء على أنه واحد بالذات بقوله: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ» [الحديد: 3]، وبالأول هو

الفرد السابق، وبهذا المعنى لو قال أحد: أول مملوك اشتريت فهو حر، ثم اشترى عبدين لم يعتقا لأن شرط كونه أولاً حصول الفردية هاهنا لم يحصل، فلو اشترى بعد ذلك عبداً واحداً لم يعتق أيضاً إذ شرط الأولية كونه سابقاً وهاهنا لم يحصل، فثبت أن الشرط في كونه أولاً أن يكون فرداً، فدل على أن صانع العالم فرد وموجود واحد.

قال الإمام الرازي روح الله روحه: اعلم أنه قد ثبت أن كل ما عدا الواحد أكثر، فهو ممكن لا يوجد إلا بإفادة الواجب الوجود لماهيته، فهو جل وعلا متوسط بين كل ماهية ووجودها، فإن هو أقرب من وجود تلك الماهية إلينا، فمن هنا قال المحققون: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله. وقال المتوسطون: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله معه. وقال الظاهرون: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله بعد هذا.

أقول: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّبٌ﴾ [البقرة: 148]، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: 115]. قال المتكلمون: هذه المعية إما بالعلم أو بالحفظ والحراسة، وعلى التقديرين قد انعقد الإجماع على أنه تعالى ليس معها بالمكان والحين والجهة، فإذا لا بد من التأويل فإذا جوزنا التأويل في موضع وجب في سائر المواضع.

واعلم أن في هذه الأبواب ترتيباً عجيباً وتركيباً غريباً، وأسراراً لطيفة، وأطواراً أيضاً يدركها من له طور وراء طور العقل، ووصل في هذا الطور إلى غاية مقتضى كل الدورة ومرتضى تمام الكورة من التشبيه والتقديس والتسبيح والتنزيه، وهو طور الولاية وبور غيب النبوة.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ في جميع الأدوار وعموم الأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية ﴿بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4] عليماً حضورياً وإدراكاً شهودياً لأنكم بجميع ما أنتم عليه حاضررون لديه.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ على وجه ما علمت ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾

[الحديد: 5] والتكرار مشعر بكثرة الأطوار والأسرار والأكوار.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٦﴾

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ أي يخفي مرتضيات أطوار الأكوار في مقتضيات أنوار أعيان الأدوار كخفاء طور الليل الحسي في ظهور النهار النوري إذا كان حكم سلطان النور والجمال صريحًا والجلال ضمناً ﴿وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ إذا كان الأمر بالعكس إشارة إلى تبدل ظهور مقتضيات الأدوار وخفائها في الأكوار والأدوار ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الحديد: 6] أي بما يعرج من أرض استعداد النفس من الأعمال والأفعال الإرادية وترجع إلى سماء القدس وفلك السر والفؤاد متلبسة بالصور الحسية والخشنة، ثم ينزل منه إلى عالم الحس أولاً في الحس المشترك، ومنه إلى خزينته، ثم إلى المعبر بغير حسب ما يقتضيه المتخيل على ما يرتضيه طور الولاية على وجه نظرة النبوة، أو بما ينزل من سماء الواحدية وعالم العقل من النسب العقلية والمعارف الإلهية مصورة بصور الإدراكات عند قضاء القلب، وبالهيئات الأفعالية والصفات النفسانية من أنواع الأخلاق وأصناف الأصناف من الفقه والشجاعة والحكمة والعدالة، وما يصدر منها من الفناعة والصبر والجرأة والزكاء والتودد وغير ذلك مما يهبط من فلك الذات المستجمعة لجميع تمام الأسماء والصفات.

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا

مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿٧﴾

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي الحقيقة المحمدية التي أرسلت أولاً إلى الأعيان الثابتة والماهيات الكونية والحقائق الإلهية، ثم إلى الأرواح والنفوس والأشباح، ثم إلى أعيان الأكوان إلى مرتبة الناسوت ورتبة الإنسان ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ متمكنين ومتصرفين فيه بصرف المالك في المملوك من الأموال الظاهرة والباطنة من المعارف الإلهية والإدراكات الشهودية والتجليات المتبوعة، ونتائج الأوصاف السنية، وثمرات أشجار الأخلاق المرضية والملكات الفاضلة الرضية ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ بالله وحسن تجلياته وتطابق مشاهدات أنواع ظهوراته ورسوله وأحكام شرائعه وأعلام طريقته وأسرار حقيقته وعملوا الصالحات ﴿وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: 7] وهو التحقيق بالكل والتخلق بالجزء والكل،

وشهود تجليات الصورة الجمعية والهيئة الكلية .

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ  
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ جملة فعلية خالية عن معنى الفعل في ما لكم كما تقول: ما لك قائماً، يعني ما تصنع قائماً، أي وما لكم كافرين بالله ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ [الحديد: 8] إلى الإيمان، والواو للحال في فاعل لا تؤمنون أي لا عذر لكم في ترك الإيمان بالله وبالرسول، والحال أن الرسول يدعوكم إلى الإيمان وأنتم تتركون الإيمان بلا دليل وبرهان وحجة قاطعة وبراهين ناطقة من معجزات بارعة وخرق عادات غير طابقات، وهذان الحالان متداخلان، وقد أخذكم الله قبل ذلك في مقام ألسنت بربكم ميثاقكم بالإيمان وبما جاء منه حيث جعل قبلكم تلك الحقيقة التي سمعت ذلك الخطاب وقبلت تلك الحقيقة العهد والميثاق منه قبلكم، ونصبت لأجلكم ما تصرفكم إلى ذلك المقام الأزلي والمراد الأولي، ويذلكم نحو: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾﴾ [طه: 2، 3] إن كنتم مؤمنين بالله وبما جاء من عنده .

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى  
النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾

﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ وأمارات واضحات ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي ظلمات الكفر والشرك والظلمات والمعاصي والجهل المركب والإفك والنفاق والشك ﴿إِلَى النُّورِ﴾ أي نور الأعيان وظهور الإسلام وكمال التعيين والإيقان، ونور العلم والتجليات والكشف والمشاهدات ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ﴾ [الحديد: 9] وعطوف بعباده حيث بعث منهم فيهم على اتباعهم عن مصالح دينهم ومعالج يقينهم وأنزل عليهم كتاباً فيه هداية ونور ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: 9] يرحمهم برحمته الواسعة وينعمهم بنعمته البارعة .

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُوَلِيَّكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ مما منحكم من الأموال المعنوية والصورية والأحوال القلبية والمعارف العينية والعوارف الغيبية ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي ما لكم تركوا النفاق بإظهار النفاق، والحال إن ميراث وجودات السماوات والأرض كلها ترجع إليه عند فنائها بطريق الولاء ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ أي قبل الفتح أي فتح مكة أو فتح الحديبية، إشارة إلى تفاوت مراتب المنفقين، فمنهم أنفق جميع ماله كأبي بكر الصديق، ونصفه كعمر، وهكذا. وعلى هذا القياس حال العارفين السائرين في الله والسالكين إلى الله ومن الله، فإن العارفين قد أنفقوا تمام أموال الوجودات الغيبية والعينية والذهنية والخلجية العلمية والعملية بخلاف السائرين إلى الله، فإنهم وإن أنفقوا مال الوجود العيني إلا أنهم ما أنفقوا مال الوجود الغيبي ﴿وَقَتْلَ﴾ في الجهاد الأكبر بالأنفس والمال والعرض والمنال ﴿أُوَلِيَّكَ﴾ السابقون المقربون، جمعه باعتبار المعنى ﴿أَعْظَمَ دَرَجَةً﴾ وأعلى وأعظم منزلة ﴿مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ﴾ نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإنه أول من أنفق جميع ماله في سبيل الله في مكة في حال ضعف الإسلام وقلة المسلمين حين لا يتوقع الفتح ولا يرتجى النصر والظفر، وكان يسأل ظاهر فؤاد المؤمنين من الغصة ونشر القصة الدم والقيح ولا يهب من رياض الأمل على شمائم المرتجين من ورود النصر والفتح.

عن ابن مسعود رضي الله عنه: أول من أظهر الإسلام بالسيف من غير الميل والحيف النبي ﷺ وأبو بكر، فإنهما خاصما الكفار وضاربا ضرباً شديداً معهم حيث أشرفوا على الهلاك خوفاً ﴿وَقَتْلُوا﴾ وعلت كلمة الله بالقتل والجرح. قال الإمام الرازي في تفسيره: فإن قيل: بل صاحب الإنفاق هو علي كرم الله وجهه لقوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ [الإنسان: 8]، قلنا: إطلاق القول بأنه أنفق لا يتحقق إلا إذا أنفق في الوقائع العظيمة أموالاً عظيمة. أقول: إنفاق عند تفاقم الحاجة إلى الطعام له ولعياله لدى الإسراف على إهلاكه أعظم ﴿وَكُلًّا﴾ [الحديد: 10]



من المنافقين من قبل ومن بعد، هذا تسلية للذين أسلموا من بعد الفتح وأنفقوا وأظهروا الإنفاق وأشهروا الوفاق واستبعدوا عن الشقاق ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُسْفِينَ﴾ [الحديد: 10] الجنة كما قال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: 26] لما وبخ الكافرين على ترك الإيمان والمؤمنين على ترك الإنفاق، ووعد المؤمنين الحسنى والثوبة بنية الفرق المذكورة لأنه عالم بجميع أفعال العباد بقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: 10] أي يعلم أعمالكم ظاهراً وباطناً، جهراً وخفياً، سراً وعلانية، من الأعمال والكفر والطاعة والعصيان، والإنفاق والتقتير، والجهد والتقصير.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ ۗ وَاللَّهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿١١﴾

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ يعني من ذا الذي ينفق مالا في سبيل الله من الجهاد والإنفاق على العباد رجاء من الله التضاعف والازدياد، (من) استفهامية مبتدأ و(ذو) خبره الذي صفته أو بدل منه قد مر باقي الكلام فيه في البقرة ﴿فَيُضْعِفُهُ لَكُمْ﴾ في الدنيا في المال بالازدياد، وفي الآخرة بالأجر والثواب ﴿وَاللَّهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: 11] في العقبى أجراً للشهداء وجزاء للسعداء وهو التجلي واللقاء.

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ يَوْمَ جَنَّتْ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٢﴾

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ طرف الأجر وكريم صفته أي ذو كرامة وتكرمة ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُمْ﴾ يتحرك نور إيمانهم وضياء علومهم ومعارفهم وصفائهم، أو نور الأطوار السبعة القلبية، أعني القالبي والنفسي والقلبي والسري والروحي والخفي وغيب الغيوب، وهو النور الأخضر الممتزج والأبيض والأصفر والأحمر والأزرق والأسود والنور الساذج الأول نور الكلام منزله البدن والقلب، والثاني نور البصر الذي يدبر النفس، والثالث نور العلم الذي ينمي القلب، والرابع نور الإرادة الذي يحكم على السر، والخامس نور القدرة الذي يقضي على الروح، والسادس نور أسود الذي يلائم الخفي، والسابع نور العلم الذي يلازم غيب الغيوب والعالم في يوم يحتمل أن يكون مقدرًا وهو اذكر ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: 12] وتلقاء وجوههم وبأيمانهم، إذ السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من

هاتين الجهتين وهما أشرف الجهات التي يتردد فيها الشيطان ثم لا يغيرهم من بين أيديهم ومن خلفهم ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الحديد: 12] فمنه كمل الطور القلبي والجزء البدني بأنواع العبادات البدنية مقرونة بالإخلاص يتلألاً نوره بين يديه ويقوده إلى الجنة الجسمانية، ونور النفس قد يرى لونها وقد يرى رزقاً به وهو نتيجة تركية النفس عن الأعمال الرديئة والأفعال الدنية البهيمة والسبعية والشيطانية ومستعدها لأن يعرج إلى السماء الثانية ويدخلها إلى الجنة الفعلية وهي القدرة على الخلق والاتحاد والتحقق بالتكوين، كما أن النور الأول مقتضاه وهو تجلي البدن بكمال الصفاء بحيث يصير مضاهياً للفلك يقتضي الصعود إلى السماء الأولى القمري .

وهكذا من كمل الطور القلبي ونوره بالنور الأبيض بعد التصفية عن الأخلاق الذميمة والأوصاف الرذيلة، والتحلية بمجمل المعارف والإدراكات الحقة، يستعد لأن يصعد صاحبه إلى السماء الثالثة ويدخله في الجنة العلمية، وكذا للقوة النظرية والقدرة العملية اللتان تلازمان الطور القلبي ويعينان له في الاستفادة والاستفاضة من المعاني الحسية والمبادئ العالية القدسية، أي يصدر منها من العلوم والإدراكات النفسية والدرايات الأنسية ومن الأعمال الصادرة عن الملكات الفاضلة أيضاً ومبادئها والأخلاق والأوصاف الراسخة أيضاً أنوار متلونة وأسرار متنوعة، وهكذا يتصاعد سماء سماء إلى أن يصل إلى سماء زحل .

وبكمال جمعية الكل لما دخل في السماء الثامنة ويدخل في جناب التجليات الأربعة: الآثارية والأفعالية والأسمائية والذاتية الأولى بعد رفعة استكمال السري، والثانية بواسطة تكميل الطور الروحي، والثالثة الوسيلة لتقديس الخفي، والرابعة بسبب تحليل ذاته عن الأجزاء وكثرات الأحوال لعرضيات المبادئ النفسي ومقتضات القوى الروحانية، وعن آثار الأعضاء والإفناء المكمل للطبيعة الثامنة من طبقات الجنة وهي جنة الصورة الجمعية والإلهية الكلية، صاحبها هو صاحب الكمال الجمعي والجمع الكمالي، وأنت خبير بأن هذه المعاملات المذكورات ظلمات كثيرة أعدت لصاحبها .

﴿بُشِّرْكُمْ أَيُّوْمَ﴾ أي يحصل لكم البشارة العظمى بعد استكمال الأطوار السبعة والاستعلاء الجمعي، والعرش المعني أو يقال: بشري لكم اليوم، والقائل إما الملائكة أو الحق أو هما معاً، وكلاهما معاً لهم ﴿جَنَّتْ﴾ [الحديد: 12] ثمانية أو

أربعة أي جنات تجليات أربعة ذاتية وأسمائية وأفعالية وآثارية ونورية وجمالية وظلية جلالية، أو ظاهرة وباطنة، و(جنات) مبتدأ ولكم خبره مقدراً عليه، وهذه الجملة بيان للبشرى، والجملة مقولة القول المقدر ﴿بَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الأربعة النابعة من سماء الأسماء الأربعة الذاتية التي هي مبدأ الأدوار الأربعة النورية الجمالية ﴿خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ﴾ النور الكلي المتناول لتمام الأنوار والأمر المذكور وهو البشرى ﴿هُوَ الْقُوَى الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: 12].

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ﴾ بدل من: يوم ترى ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا﴾ واقبلونا وتوجهوا إلينا، فإنهم أسرع بهم إلى الجنة كالبرق الخاطف فلم يستضيئوا بهم فإنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم فيستضيئون بنورهم ﴿نَقْتَسِبْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ نكتسب من نوركم ﴿قِيلَ ارْجِعُوا﴾ وأعيدوا ﴿وَرَاءَكُمْ﴾ أي الدنيا التي خلفتموها وخفاها خلفكم فإنها مزرعة الآخرة وموطن اقتناص السعادة السرمدية ﴿فَالْتَمِسُوا﴾ واقترحوا منها ﴿نُورًا﴾ أي نور الإيمان والمعارف وكمال الإيقان وضياء الأخلاق الفاضلة، وسناء الملكات الكاملة الملكية ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ﴾ بين المؤمنين والمنافقين والمنافقات ﴿بِسُورٍ﴾ بحائط حائل وبرزخ فاصل ﴿لَمْ يَأْبَ بَاطِنُهُ﴾ أي باب الباطن أو السور، يدخل منه المؤمنون ويرد منه المنافقون، لأن فيه الرحمة، لأن الدخول فيه وسيلة الوصول فيه ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ الذي يلي النار ﴿وَوَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: 13] أي من جهته يدخل في العذاب.

﴿يَأْتِدُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾﴾

﴿يَأْتِدُونَهُمْ﴾ ويطلبون إقبالهم ويقولون ﴿أَلَمْ نَكُنْ﴾ في الدنيا والنشأة الأولى ﴿مَعَكُمْ﴾ مصاحبين بكم ﴿قَالُوا﴾ في جواب ندائهم ﴿بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ وأوقعتكم في فتنة العذاب بالنفاق ﴿وَوَرَبَّصْتُمْ﴾ وانتظرتهم بالمؤمنين دائرة السوء ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ وتساءلتم في كتاب الحق أو خبر رسول الله ودينه الذي أتاكم به ﴿وَوَرَّكُمُ﴾

﴿الْأَمَانِيُّ﴾ أي التمني الباطل والرجاء الفاسد والعاطل ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ وموته وعذابه ﴿وَعَزَّكُم بِاللَّهِ الْعَزُّورُ﴾ [الحديد: 14] قرأ بضم الغين وفتحها، أما الأول فهو مصدر بمعنى الإغراء على تقدير المضاف، أي أن الكفار يتمنون نزول الدوائر بالمؤمنين حتى جاء أمر الله، وهو الموت والقتل، يعني إن الكفار ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى ألقاهم الله في النار وأسقطوا في العذاب في البوار بأن إغواءهم وإغراءهم بأنكم بالله ومع كمال عنايته بسلامة من عذابه. وأما على تقدير الفتح فهو الشيطان يقول لهم: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ مَحْزُونُونَ﴾ [الزخرف: 68].

واعلم أن في هذا المقام احتمالات أربع:

**أحدها:** أن يكون الناس كلهم في الظلمات والمؤمنون يسعون بنورهم، ويبقى المنافقون والكافرون في الظلمة يطلبون منهم النور.

**الثاني:** أن يكون كلهم في النور فإذا سعى المؤمنون وتحركوا بنورهم بقي الكافرون في الظلمة.

**والثالث:** أن المؤمنين والكافرين في الظلمة.

**والرابع:** أن يكون المؤمنون في الظلمة والكافرون في النور مما لم يقل به أحد. واعلم أن الاحتمال الأول: إنما يكون في القيامة التي تكون في الكورة الجمعية التي انصبغت في أعيان النور والجمال وأكوان الظل والجلال بصنع الظل والجلال وهو الظلمة التي [هي] استعلاء سلطانه وحكمه.

**والثاني:** أن يكون في القيامة التي تكون بالدورة الجمعية النورية التي انصبغت في أكوان الجلال بصنع أعيان النور الجمالي وهو النور دون استيلائه حكمة فردارية النور والجمال.

**والثالث:** إنما يكون في القيامة التي تقوم في انقضاء نوبة سلطنة النور في الفردارية.

**والرابع:** إنما يظهر في انقضاء تدبير الظل والجلال الذي تقوم به القيامة الجلالية الإفرادية.

هذا وفي ليلة استولى عليّ الضعف، في ليلة السادس وأربعين اتفق في ليلة تقرير سنة ٨٩٨ كنت أردد كلمة: لا إله إلا الله، بحيث قد تمّت قوس دائرتها في الأدوار الأربعة النورية الجمالية، وهي العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، وقوس النصف الآخر في الأكوار الأربعة الظلية الجلالية، وهي غير هذه الأدوار

وباطنها، فرأيت أن نور هذه الكلمة قد انبسط وسرى في تمام الأعيان والأدوار من الأعيان الثابتة والحقائق الإلهية والشؤونات الذاتية والجواهر النورية والأهواء الثقيلة الجبروتية، والنفوس المجردة، والأرواح القدسية الملكوتية، والأشباح البرزخية، والأملاك المدبرة، والأفلاك الدائرة والمدبرة، والعناصر الأربعة، والمواليد الثلاثة، والأكوان الظلية الجلالية التي تظهر في الأكوار المربعة وهي غيب الأدوار وباطنها، فتمت دائرة دورة كلمة لا إله إلا الله، التي قد أحاط نورها بتمام أعيان الأدوار الأربعة التي هي بدايات الأدوار الأربعة النورية، وشملت بضيائها جميع أكوان الأكوان في غيوب تلك الآزال، أو هي مفاتيح الأكوار وهي باعتبار أنها عين غايات الأدوار التي يظهر منها أسرار أكوان الأكوار مسمى بالآزال الجمالية وباعتبار أنها يستبطن فيها بأنوار الوجود والجمال يقال لها الآباد وأبد الآباد، فأنتصت حالة الذكر جميع أعيان الأدوار الأربعة وأكوان أكوار المربعة الجلالية نور التوحيد وضياء الوحدة الذاتية، نقلت كل واحدة من تلك الأعيان والأكوان نور التوحيد وضياء الوحدة حتى خرج ذلك النور منهم إلى فصرت إلهًا مألوهًا وعبودوني بكمال التوحيد، وأصبحت عابدًا معبودًا واجدًا في نفسي، فأشهدت كلاً منها جميع التوحيدات الحاصلة بليته، فصار كل منها واحدًا كثيرًا فانيًا باقياً مستمراً في تلك الأدوار والأكوار، وفتحت دائرة كلمة التوحيد المشتملة على الأدوار والأكوار الغير المتناهية لكل واحد من تلك الأعيان والأكوار في آن واحد.

وأما الثلاثة الأولى فقد قال بكل منهم قوم: وإن نور المؤمنين على طبقات، فنور بعضهم كالشمس، والبعض كالقمر، وبعضهم كالكوكب الدرية. وأما نور العارفين فلبعضهم عالم كبير، ولبعضهم عوالم كثيرة، ولبعضهم عوالم غير متناهية، إذ نورهم نور الإيمان الكامل والعرفان الشامل والتجلي الفاصل والتجليات الغير المتناهية نوعاً وصنفًا وشخصاً، فنور بعضهم هو نور الأنوار، ولبعضهم نور العلم الإلهي والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام كما قال: «أطعني يا عبدي أجعلك مثلي وليس لي مثل، لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإن أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه» الحديث. ونور بعضهم هو نور الأخلاق الرضية والملكات المرضية، وهذا أيضًا متفاوت.

واعلم أن لفظ النظر مستعمل على ضروب:

أحدها: باقٍ، نحو: نظرت إلى الله.

والثاني: بمعنى التأمل والتدبر نحو: انظر كيف ضربوا لك الأمثال، وانظر كيف يفترون على الله الكذب، انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض، وهكذا قد يتعدى بأن نحو: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [العاشية: 17]، وفي نحو: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 185].

والثالث: قد يراد بالنظر الرؤية، نحو: نظرت إليك فلم أرك، ﴿قَالَ رَبِّ ارِنِّي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 143] إلخ.

والرابع: أن يكون بمعنى الانتظار نحو: إلى طعام غير ناظرين إياه، أي غير منتظرين إدراكه. ومنه نظرت بمعنى انتظرت وذلك كثير لا كثيراً، يجيء فقلت وأقلت بمعنى واحدٍ مثل سرت وأسرت، وحفرت وأحفرت، فعلى هذا انظرونا في هذا المقام بمعنى انتظرونا، لأن المؤمنين أسرعوا إلى الجنة كالبرق الخاطف، والكافرون ماكثون في مقامهم.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانِكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾ أي ذكر اليوم المعهود وهو يوم القيامة التي لا يقبل فيها منكم فداء ولا ما يخلص به من عذابه أحد ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي لا يقبل في ذلك اليوم من الكافرين أيضاً فدية ﴿مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ﴾ ومصيركم ﴿هِيَ مَوْلَانِكُمْ﴾ ومصيركم وصاحبكم ولا بكم غير مثل عنكم ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحديد: 15] الدار والمأوى.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ﴾ أي ألم يأن وقته، يقال: أن يأن آناً وآنية بالتشديد إذا جاء وقته. قال بعضهم: نزلت في المنافقين الذين أظهروا للخلق الأمان والإيمان وفي بيوتهم النفاق المبين للخشوع، والقائلون بهذا القول ذهبوا إلى أن المؤمن لا يكون في الحقيقة إلا مع الخشوع والخشية والخضوع ﴿ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: 16] أي تتضرع وتخشى قلوبهم بذكر الله وأمره، نزلت في

المنافقين بعد الهجرة بسنة، وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسي رضي الله عنه ذات يوم فقالوا: حدث الناس عن التوراة فإن فيها العجائب، فنزلت: ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: 3]، فأخبرهم أن القرآن أحسن من غيره، فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله، ثم عاد فسأله مثل ذلك فنزل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا﴾ [الرؤم: 23] فكفوا عن السؤال الدائم ثم عادوا وقالوا: حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب، فنزلت هذه الآية. فمعناها: ألم يأن للذين آمنوا في العلانية وبالذات، قال بعضهم: لما لم يكن لبعض المؤمنين مزيد خشوع وخشية ومزية خضوع ولا رقة فنزلت تحثيثاً لهم عليه والآخرين لما كان لبعض المؤمنين خشوع كثير ثم زال عنهم ذلك فنزلت لإعادته.

عن الأعمش: أن الصحابة لما قدموا المدينة أصابتهم النار في العيش والرفاهية فغيروا عنه بعض ما كانوا عليه فعوتبوا بهذه الآية. عن أبي بكر الصديق: إن هذه الآية قرئت بين يديه وعند قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاءً شديداً، فنظر إليهم فقال: هكذا كنا في بدئ الوحي حتى قست قلوبنا. قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله إلا أربع سنين. قال ابن مسعود: استطاب قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاثة عشر سنة من نزول القرآن، فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ﴾ أي ألم يحسن للذين ﴿ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ﴾ أي ترق وتلين وتخضع ﴿قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ وهو القرآن ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ متمردين عن قبول الحق ومتابعته عطف على تخشع، والمراد النهي عن ممايلة أهل الكتاب ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ في الحديث: الأمد هو الدهر الطويل لا يحصيه إلا الله، والمراد ها هنا الزمان الطويل ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ بطول الزمان أو بتمادي آمالهم، ويطول ما وقع بينهم وبين الأنبياء بعدهم عن مجالستهم وسماع موعظتهم ونصيحتهم ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 16] خارجون عن أحكام أنبيائهم، فرحون لما في كتابهم لفرط قسوة قلوبهم.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ

تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: 17] أي أفاض على أرض

القابليات صور الأعيان وهيئات الأكوان وأنوار الأسماء الإلهية على أرض القلوب التي كانت قبل هذا ميتًا خاليًا عن حياة الإيمان والعلوم وكمال الإيقان بعد موتها بعد خفائها وبقائها على الخفاء، أو تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالإيمان، والخشوع واللين والرفقة والخضوع، وترغيب في الخشوع وكمال الرفقة وتمام اللين والخضوع وزجرًا عن المساواة ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: 17] أي كملت عقولكم.

﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعُفُ لَهُمْ  
وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾

﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾ قرأ بالتخفيف ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ والقرض الحسن أفضل من الصدقة لأنه في الأكثر لا يقبل إلا المحتاج العاجز المضطر، ولا يكون إلا على طيب القلب وكمال الرغبة وخلوص النية وضياء الطوية، والصدقة ربما لا تقع عن طيب القلب ووفور الرغبة في الموقع كما وقع في الحديث، سيما الصدقة المقروضة خصوصًا في زماننا هذا ﴿يَضَعُفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: 18] ولا غاية للتضعيف والمضاعفة، خبر (إن) وهو مسند إلى (لهم) وإلى ضمير المصدر.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ  
لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ  
أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد: 19] أي أولئك عند الله بمنزلة الصديقين ومرتبة الشهداء، لهم أجر كريم، فإنهم هم المنفقون في الصدقات، إذا هم آمنوا وصدقوا جميع الأخبار لله وكل ما جاء منه من الرسل والكتب، وهم القائمون بالشهادة لله لهم أو على الأمم يوم القيامة. قيل: (الشهداء عند ربهم) مبتدأ، والمراد هم الأنبياء ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41]، والذين استشهدوا في سبيل الله. وقال بعضهم: الصديق كل من آمن بالله وبالرسول. وقال الضحاك:



هم ثمانية نفر من هذه الأمة سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، ومسعود، وحمزة، وقد ألحق عمر ابن الخطاب بهم. اختلفوا في نظم هذه الآية فمنهم من قال: إنها متصلة بما قبلها، والواو والنسق، وأرادوا بالشهداء المؤمنين المخلصين. قال مجاهد: كل مؤمن صدّيق فهو شهيد. وقال ابن عباس: الواو واو الاستئناف ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ بما عملوا واعلموا علماً أي فعلاً وعملاً صالحاً ﴿وَوُزُّهُمُ﴾ على الصراط أي مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف لتحصيل التفاوت أو لإجراء النور الموعودان لهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد: 19] فيه دلالة على أن الخلود والنار مخصوصان بالكفار وكثافة حجابهم لكن من حيث التركيب يشعر بالاختصاص والصحة والمصاحبة تدل على الملازمة والتلازم عرفاً.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُمْصَفًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: 20] لما ذكر حال الفريقين في الأجر حَقَّرَ أمور الدنيا وهي ما لا يتصل به إلى النور الأجل والنور الأذل على الظلية بأن بيّن أنها أمور خيالية وغرور وهمية سريع الزوال، منيع الوصال. هذا إذا استقلت بالقصد، وأما إذا جعلت ذريعة الآخرة مزرعة لحرث السعادة الآجلة فعظيم النفع جسيم الدفع عميم النجع، إذ لا تحصل سعادات أخروية ولا سعادات نفسية وكمالات إنسية ولا حالات إنسية ولا تجليات قدسية وغير ذلك بالدنيا. قال النبي ﷺ: «لا تسبوا الدنيا فنعم مطية المؤمن عليها، تُبْلِغُهُ الْجَنَّةَ، وبها ينجو من النار» الحديث. هل يظهر سرّ الله وسرّ الذات والأسماء والصفات، وهل يصل المؤمن بل أعيان الإنس والجن وعموم الخلق إلى كمالاته اللائقة بدون الدنيا. وأما ما وقع من المبالغة في مذمتها فهو باعتبار شغلها من أحبها وتعلق بمعالق زخارفها ومنعها

الوصول إلى الحق، بل ما منعت أحداً من الحق أصلاً، بل هو يقيد لها قيلاً منبوعه عن السعادة الأخروية. وهذه المذمة لا تختص بالدنيا بل كل طاعة وعبادة جعلها العابد والمؤمن مقصودةً بالذات بل الجنة، [أما] التي تمنع المؤمن عن شهود التجليات الإلهية، فهي دنيا له يستحق المذمة كلها للشرك، فما مذمة الدنيا إلا من حيث الصفات والعوارض كما ذكرها في الآية. قال النبي ﷺ: «كل ما شغلك عن ربك فهو دنياك».

﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ أي مثل الدنيا وخصائصها إذا جعلت مستقلة مقصودة من غير أن تجعل مزرعة للسعادة الأخروية وذريعة للدولة السرمدية كمثال غيث أعجب الكفار كثرة نباته وقوة إنباته. لا يقال: الغرض من التمثيل إعلام بأنه حقيقة الدنيا، فهذه بهذا الاعتبار مذمومة في نفسها لأننا نقول: الدنيا من حيث إنها غير ذريعة لتحصيل أمر باقي وهو شهود التجليات الإلهية والتحقيق بها فهي فانية مذمومة، وأما إذا جعلت ذريعة لخير كثير أنيف شامق ووسيلة لتحصيل أمر شريف باقي فهي ليست دنيا بل هي آخرة، ثم بعد الاخضرار ووفورة الإنبات تهبج وتزداد في النشور والنماء ثم ينحط ويبس ﴿ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتُرَبُّهُ مُصْفَرًّا ﴾ هشيمًا مغبرًا معتبرًا ﴿ ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ﴾ منكرًا أو مفتتًا، ويكون هباءً منثورًا وأجزاء منثورة، إشارة إلى وجه محمده الدنيا، فإن العاقل الفطن إذا نظر إلى تبدل حالات الدنيا وتحول انتقالات النشأة الأولى تحدس إلى معرفة طالعها. وأما ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ فله ﴿ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ وعقاب مديد سديد وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴿ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: 20] وبالنظر إلى العاقل لا الغافل العالم الغير العامل.

﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
أَعَدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ  
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الحديد: 21] أي سارعوا إلى ما يوجب المغفرة والتجاوز عن السيئات والدخول في الجنات وصفتها كذا، يعني أن جعلت السماوات السبع والأرضون السبع صفائح وألزقت

وتساوت الجنة الواحدة في العرض، هذا على سبيل التمثيل والتصوير والتسهيل، ولأن السماوات والأرضين من أجزاء الدنيا وهي عالم الشهادة والملك بالنسبة إلى عالم الميثال والبرزخ كالقطرة إلى بحر المحيط، ومنه تقرر أن من ورائهم برزخاً إلى يوم يبعثون، وكذا نسبة البرزخ إلى عالم الأمر والروح والملكوت مثل هذا وهو بالنسبة إلى عالم الجبروت كذا، وعالم الجبروت وهو عالم الملك والعقول بالنسبة إلى عالم الذات واللاهوت مثل ذلك، ولكل عالم من العوالم الأربعة وهي: الملك والبرزخ والملكوت والجبروت جنة مناسبة له، فجنة عالم الملك والشهادة في عالم البرزخ، وجنة البرزخ في عالم الأمر، وجنة الأمر والروح في عالم الجبروت، وجنة الجبروت في عالم اللاهوت والذات.

روي عن ابن عباس: أن الجنات أربعة كما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرَّحْمَنُ: 46]، ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرَّحْمَنُ: 62]، وهذه الجنات بالنسبة إلى النور والجمال وبالنسبة إلى الظل والجلال تصير ثمانية، وذكر العرض يعني عن ذكر الطول والسمك إذ السماوات والأرض مستديرة تتساوى فيها الأبعاد. ولما تحقق أن البسيط لكون أجزائه متساوية في الاسم والحد والرسم والحقيقة والوسم يقتضي شكلاً تتساوى نسبته إلى الداخل والخارج. وأما ما قيل من أن المستدير لا يقبل الخرق والالتئام فهو بالنسبة إلى الطبيعة القابلة، وأما بالنسبة إلى القدرة الفاعلية سيما إذا كان الفاعل مختاراً فلا كما ثبت في موضعه ﴿سَابِقُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ دليل على أن الجنة مخلوقة مضلعة أو مكعبة أو مستديرة، وإن كان التحقيق قد اقتضى أن تكون مستديرة كما نبهت عليه، وأن الإيمان كان في استحقاقها ﴿ذَلِكَ﴾ الإعداد ووجودها ﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾ وإحسانه وعطيته ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: 21] وكمال فضله وإن كفى في إعطائها ومرتبها إلا أن المناسبة والجنسية التامة لازمة. قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى ملكاً يسوق الأهل إلى الأهل».

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الحديد: 22] كعاهة وحرب وقتل وجذب

﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ كمرض وآفةٍ وسوء غرض وفساد مادة وزوال عرض ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22] أي (في) مكتوبة في الكتاب الأول واللوح المحفوظ وفي علم الله مثبتة .

﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ  
كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ﴿٢٣﴾

﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا﴾ أي أثبت الله وكتب لثلاث تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: 23] من نعيم الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ بما أعطاكم الله من حطامها، فإن من علم أن كل أمرٍ مقدّر بتقديره ومقرر بتدبيره هياً عليه عروض المصائب وحدث النوائب كما قيل: المستريح من أطلعه الله على سرّ القدر ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: 23] لأن الفرح بلحوقه حظ من حظوظ الدنيا يعظم في نفسه واختال أي وقع في خياله وقوة توهمه رجل معتبر وشخص فاضل، وتكبر في الفتنة، ويعظم في اعتقاده وجهه. لا يقال: لا يمكن لأحد أن يملك نفسه عند نزول نائبة ومصيبة وحلول نازلة وزوال مسرة وظهور نعمة ووصول عطية، أن لا يحزن ولا يفرح لأنهما أمران طبيعيان لا اختيار لأحد في ورودهما لأننا نقول: هو الحزن والفرح والاختيار بأن اللذان تكلف صاحبهما في ورودهما كما مر في قوله تعالى في آخر سورة البقرة: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوا يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: 284] بأن هذه الآية لما نزلت اضطربت الصحابة، فقال النبي ﷺ: «المراد ما كان بالاختيار». وأما الحزن والسرور اللذان يقالان بالقبض والبسط كما يكون لبعض أهل الله ما روي عن يحيى وعيسى عليهما السلام فلا بأس بهما لكونهما في الحقيقة داخلين في الغير الاختياري .

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ  
الْحَمِيدُ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ بدل من كل مختال، أو مبتدأ خبره ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ محذوف، وهذه الجملة بيان وتفسير للمختال ومن يتولى ويعرض عن الإنفاق ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ [الحديد: 24] بالذات وكمال الأسماء والصفات

عنه ﴿الْحَمِيدُ﴾ [الحديد: 24] محمود في كمال ذاته وتمام أسمائه وصفاته، فلا يضره التولي والإعراض عن شكر وفور نعمه، والحمد على ما أنعمنا من فضائل جوده وكرمه .

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَضُرُّهُ وَيُرْسِلُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٢٥﴾

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ الملائكة إلى الأنبياء، أو الأنبياء إلى الأمم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالوحي والنواميس الإلهية، أو هي المعجزات الظاهرة والحجج الباهرة ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ لتبيين الحلال والحرام وتعيين للخلق وعموم الأنام مقتضيات الأحكام بيان وتفسير للبيان ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ ليستوي ويعدل الحقوق ويقام به العدل والقسطاس كما قال: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ في الأمور الدينية وفي الأيام والشهور الدنياوية ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ يعني السيف والحسام. قال النبي ﷺ: «الجنة تحت ظلال السيوف، وأنا نبي السيف». أو مجاز مرسل من باب ذكر العام وإرادة الخاص ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ تقام به أحكام السياسة، ويداوم معه أعلام الرياسة ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ عمومًا وخصوصًا. أما الأول فهو في حفظ الدماء وصيانة العرض ووقاية الأموال وإقامة حدود الله وأداته أوضاع شريعته. وأما الثاني فلأن الصنائع والحرف لا تتم ولا تحصل إلا بالحديد ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَضُرُّهُ﴾ أي ليظهر للخلق أنه تعالى يعلم من ينصر دينه عطف ليقوم إشارة إلى القوة النظرية والعملية وما يترتب عليهما من المنافع والفوائد ﴿وُرْسُلُهُ﴾ بالمال والبدن والجاه باستعمال الأسلحة ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال من فاعل ينصره، أي ينصره مخلصًا بالقلب متخصصًا بما يكون في الغيب من محافظة ظهر الغيب أي لا يكون نصره على النفاق ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ بنصر أوليائه وعلى دفع أعدائه ﴿عَزِيزٌ﴾ [الحديد: 25] قاهر على أهل النفاق، بل على كمال الطباق .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ ﴿٢٦﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ [الحديد: 26] وأولادهم وأعقابهم

وأجنادهم ﴿الْأُنْبُوءَ﴾ الحكمة والحكومة والإيالة والإمارة مع تبليغ أحكام الرسالة ﴿وَالْكِتَابَ﴾ إما الخط والكتابة، أو القوة النظرية ﴿فَمِنْهُمْ﴾ رأى بعضهم ﴿مُهْتَدٍ﴾ ملابس للهداية والرشد والإرشاد إلى معرفة الله وتبليغ أحكامه من حيث النبوة أو شهود تجلياته ومشاهدة الغاية من حيث الولاية ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ من الذرية ﴿فَسِفُونَ﴾ [الحديد: 26] خارجون عن الطاعة وإظهار المطاوعة.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِفُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ أي أرسلنا متعاقباً لهم ﴿بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً﴾ عطوفة ورقة وشفقة على الخلق العظيم، الأمر لله والشفقة على خلق الله ﴿وَرَحْمَةً وَرَهَابِنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ وهي ترهبهم واختيارهم المسكن في الجبال خوفاً ورهبة من أن يقع في الفتنة في الدنيا والدين، مخلصين نفوسهم للعبادة وذلك أن الجبابرة قد غلبوا على المؤمنين من بعد رفع عيسى إلى السماء فقاتلوا ثلاث مرات، فقاتلوا حتى لم يبق منهم إلا قليل، فخافوا على دينهم فاختروا الانزواء من الخلق وآثروا الرهبانية المنسوبة إلى الرهبان وهو المبالغة في العبادة، أو إلى الرهبة وهي الخوف. والرهبان جمع راهب كالركبان والفرسان جمع راكب وفارس ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ وما فرضنا عليهم ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ وطلباً لمرضاته، استثناء منقطع. قيل: متصل، بمعنى قيدناهم بها وهو كما ينفي الكتاب المقصودة من دفع العذاب بنفي العذاب المطلوب منه بمجرد حضور مرضاة الله وهو يخالف قوله: ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ إلا أن يقال: ابتدعوها ثم ترونا إليها وابتدعوا بمعنى استحدثوا واخترعوا من تلقاء أنفسهم ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: 27] أي فما رعوا الرهبانية وما حفظوها حق الرعاية والحفظ، بل ضيعوها فكفروا عيسى فتهودوا وتنصروا ودخلوا في دين ملوكهم، وخص أهل الرهب لأن منهم من ثبت على الرهبانية وأقامها إلى أن أدركوا محمد ﷺ فآمنوا به، وذلك ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ وهم الذين

ثبتوا عليها، وهم أهل الرأفة والرحمة ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ خارجون عن الرهبانية وكفروا بأصل دين عيسى. قال النبي ﷺ: «يا ابن مسعود اختلفوا من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة، نجا منهم ثلاثة وهلك سائرهم، فرقة أرباب الملوك وقتلوهم على دين عيسى وأخذوهم وقتلوهم، وفرقة لم يكن لهم طاقة بموالاته الملوك ولا بأن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى فاسحوا في البلاد وذهبوا وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: 27]»، فقال النبي ﷺ: «من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ  
وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالرسول المتقدمة ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما نهاكم عنه ﴿وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ يعطكم ﴿كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ نصيبين وسهمين ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ﴾ ووفور نعمته لإيمانكم بمحمد ﷺ وإيمانكم بمن قبله من الأنبياء. ولا يبعد أن يثابوا على دينهم السابق وإن كان منسوخاً وذلك ببركة الإسلام. وقيل: الخطاب للنصارى الذين من آفاقي عصره ﴿نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: 28] يراد النور المذكور في قوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: 12]، أو الهدى الذي يسلك به إلى جنات القدس ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ويتجاوز عن سيئاتكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: 28] باعتبار الجمال والجلال، وكذا كل اسم يردف اسماً آخر مثل عزيز حكيم.

﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ  
بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٢٩﴾

﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: 29] لا مزيدة وليس بصلة بل إشارة إلى كلمة الترادف ومتعلقة بمضمر، أي لا تغفلوا عن ترادف اسم باسم فإنه إشارة إلى تداخل النور والجمال والظل والجلال، أي لا تغفلوا عن سر التداخل والترادف الدال عليه لئلا يقعوا في حرمان تداخل النور والجمال والظل والجلال ﴿إِلَّا يَقْدِرُونَ

عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ﴿﴾ هي المخففة وضمير لا يقدرّون يجوز أن يعود إلى المؤمنين والكافرين، وذلك أن أهل الكتاب، وهم بنو إسرائيل، زعموا أن النبوة والرسالة والوحي قد اختصت بهم ولا تكون لغيرهم، وأن دين موسى مؤيد لا يتغير ولا يزال ولا ينسخ أصلاً، فالله تعالى رد عليهم وأمرهم بالإيمان بمحمد ﷺ ووعدهم الأجر مرتين وجعل النور فيهم، وهو الإسلام، وبالمغفرة والتجاوز، فإذن لا بد لهم أن يؤمنوا بالله وبالرسول لثلا يحرموا عما وعدهم لأنهم يعلمون أنهم لا يقدرّون ولا يتمكنون على شيء ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ عطف على (لا يقدرّون) ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الحديد: 29] من أي فرق كانت، فيه بشارة عامة وإشارة تامة إلى أن فضل الله لا يختص بالمسلمين، فحكم هذه الآية وإن كانت بحسب المورد خاصة إلا أنها عامة ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: 53].

قال النبي ﷺ: «لو علم الكافر ما عبد لما قنط من رحمة الله» الحديث.

وعن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الحديد) كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: 29]».



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي قد سمع الله استدعاء الاستعدادات الأولية ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أعطى الاستدعاءات الأزلية على مقتضى الاستعدادات الذاتية، فموطن الاستدعاء هو الجبر وما يليها، ومعطن الاستعدادات وبداية الواحدية والجبروت وما يتصل بها من الملكوت ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي رفع المجادلة عن أعبائه، وأعطى المجاهدة والمشاهدة والمعاناة لأوليائه .

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ مُّحِيطٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ روي أن خولة بنت ثعلبة قد ظاهر عنها زوجها أويس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت، فاتبعت رسول الله ﷺ فقال: «حُرِّمَتْ عَلَيْهِ»، فقالت: ما طلقني، فقال: «حُرِّمَتْ عَلَيْهِ». فاغتمت لصغر أولادها وشكت إلى الله، فنزلت هذه الآيات الأربع. وقد يفسر بأن رسول الله ﷺ قد أظهر المجادلة يتوقع أن يسمع الله مجادلتها حيث قالت: اللهم إني أشكو إليك، فإن ضممتهم إلى أبيهم ضاعوا، وإن أضمتهم عندي جاعوا، اللهم إني أشكو بشي وحزني إليك إنك أنت أرحم الراحمين ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ مراجعتكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: 1] بأحوال العباد والضعفاء والمضطرين، خبير لا يضيع عباده ولا يقطع بغير موجب ولا مجرب بلاؤه .

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَأَ بِهِمْ مَا تُهْتَبُ بِهِ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا  
الَّتِي وَلَدْنَاهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ

عَفُوفٌ ﴿٢﴾

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَأَ بِهِمْ﴾ الظهار في الشرع هو قول الرجل لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي، مشتق من الظهر، وألحقه به الفقهاء لشبهها بخبر مجزوم بأن يقول: رأسك كراس أمي، ويدك كيد أمي وغير ذلك ﴿مَا تُهْتَبُ بِهِ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَاهُمْ فلا يلحق بهن في الحرمة إلا من ألحقها الله بهن كالمرضعات وأزواج النبي ﷺ، أي والحال أنها ليست أزواجهن أمهاتهم ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي الجهال من الكفار الذين ﴿لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ﴾ الذي أنكره الشرع ﴿وَزُورًا﴾ كذبًا وباطلاً منحرفًا عن الحق ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ﴾ يعفو ويصفح ويتجاوز ﴿عَفُوفٌ﴾ [المجادلة: 2] سائر على العبد الذنب.

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ  
يَتَمَاسًا ذَلِكَ يُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي فكفارة من عاد أن يحرر رقبة لم يماس المظاهر منها ﴿مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا﴾ أي الاستمتاع، أي لا يحل له مماسها إلا بعد تقديم الكفارة زوجة آخر (ثم يعودون لما قالوا) ثم يتداركون ما قالوا لأن المدارك الظاهر عاد بالإصلاح والتلاقي بالكفارة المذكورة فيعاد بها إلى ما كان قبل المظاهرة.

ووجه ثالث هو أن يراد بما قالوا ما حرموه على ألسنتهم بلفظ للظهار تنزيلاً للقول منزلة المعتدي فيه نحو ما ذكرنا في قوله دون ما يقول، ويكون المعنى: ثم يريدون العود للتماس والمماس والاستمتاع بها من جماع أو لمس أو قبلة أو معاهدة وغير ذلك ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم بالكفارة ﴿تُوعَظُونَ بِهِ﴾ أي يقبلوا النصيحة والإصلاح والاتعاظ ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي بعملكم أو معمولكم ﴿خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 3] عالم ظاهرًا وباطنًا، صورة ومعنى.

﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ  
فَأَطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ  
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ﴾ يعني المظاهر الرقبة المذكورة ﴿فَصِيَامُ﴾ أي فعلية صيام  
﴿شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ﴾ من غير فرق وانفصال بينهما ﴿فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾  
الصوم المذكور الموصوف لمرض أو ضعف أو هرم وغير ذلك ﴿فَأَطْعَامُ سِتِّينَ  
مِسْكِينًا﴾ لكل منهم صاع من بر وصاع من غيره عند أبي حنيفة، وعند الشافعي:  
مد من طعام بلده الذي يقتات فيه، ولا يحصر الظهار وصيغته فيما ذكر، بل بنحو  
لأن يكون مكان الأهم كل محرم نسيباً أو رضاعاً ويذكر مكان الظهر عضواً آخر  
محرمًا النظر والمس من الأم كالفخذ والبطن وغير ذلك كما تقول: أنت كظهر  
ابنت أخي، أو أختي، أو فرجك كفرج أختي أو عمتي أو خالتي أو غير ذلك  
﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ البيان والتعظيم للأحكام، منصوب بمقدر الكل معلق بقوله:  
﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي فرض الله ذلك التحريم وبيانه لتصدقوا بالله ورسوله  
في قبول شراكة ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم، وتلك الفرائض في الكفار  
حدود الله وشرائعه لا يجوز رفضها وتركها ﴿وَرَسُولِهِ﴾ المجاوزين عن الحد  
﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 4] مؤلم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا  
ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعادونهما، فإن كلاً من المعادين والمحادين في  
حدٍّ غير حظ الآخر ويضعون الحدود في غير محلها، أو يختارون حدوداً غيرها  
باعتبار ما كتبوا أفراداً في الاستئصال أو أهلكوا ﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾  
من الكفار المعاندين الذين مضوا ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ عليهم فأنكروها كما  
أنكر قومك يا محمد من شبه أهل زمان أن يكذبوا الرسل وينكروا السبل الموصلة  
إلى الحق ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [المجادلة: 5] يذهب عزتهم وتسلب  
مكانتهم، هذا على مقتضى الجمال والأول على مرتضى الجلال.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَنَهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ  
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٦﴾

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ منصوب بمهين أو باذكر، أي يحشر الكافرين يوم  
القيامة جميعًا بحيث لا يهمل أحداً، ومجتمعين لا متفرقين ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ ويخبرهم  
﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ أي بأعمالهم وكيفية ظهور أفعالهم وصدور أقوالهم كمية وكيفية  
على رؤوس الأشهاد، ويجادلهم بما يستمعون ﴿أَحْصَنَهُ اللَّهُ﴾ أحاط به عددًا لم  
يغيب عنه شيء منها ﴿وَسُوهُ﴾ في الدنيا لكمال غفلتهم وقلة مبالاتهم وكثرة  
تهاونهم به ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: 6] إبداءً وإعادةً وإماتة مرة بعد  
مرة، وإحاطة بحيث يغيب ولا يفوت عنه واحد لأمر كسب وجمع وفرد.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ  
ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا  
أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ  
شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي في الأدوار النورية الجمالية الوجودية  
﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي في الأكوار الظلية الجلالية العدمية من الأعيان والأكوان «لا  
يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»، ﴿مَا يَكُونُ﴾ أي  
من متكلم سرًا «من» أي لا يقع أشخاص ثلاثة يتساوون ﴿نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾ أي الحق  
﴿إِلَّا﴾ [المجادلة: 7] في الوجود والنجوى من النجوة، وإما ما ارتفع من الأرض  
وإنما أثر الثلاثة لعمومها جميع الموجودات لما تحقق في طور الحكمة، إن كل  
موجود يحتوي على ثلاثة جهاتٍ وأوجهًا حدها إلى ما فوقها، والثاني إلى ما  
تحتة ودونه، وتنازلت إلى نفسه ووجوده وإنيته وخصوصية هويته، والله بكمال  
إحاطته موجود لكل شيء، ومحيط وراء الجهات الثلاث، والوجه الثلاثة فهو  
رابعه كوجه الأول، منتفٍ في حق الله، نهاية الموجودات كلها إليه، فلا يكون  
وراءه موجود ولا معدوم انتفاء تمام المفهومات عند ذاته الأحدية لرجوعها إليها  
وصيرورتها إلى ما كانت عليه من العدمية والعدم لا يكون مفعولاً ومعتبراً إلا بعد

وجوده تعالى وظهوره ﴿هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا حَمْسَةَ إِلَّا﴾ على وجه ما علمت ﴿هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ﴾ الاثنيين والواحد ﴿مِنْ ذَلِكَ﴾ من السابع والثامن وغير ذلك ﴿وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا﴾ معية معنوية لا يعلمها إلا الله، فإن الله تعالى من حيث إنه خمر طينة آدم مدة أربعين صباحًا ونفخ فيها وخلقه على صورته له معه وراء أنواع المعيات. قال علي كرم الله وجهه: «مع كل شيء لا بالمقارنة وبدون كل شيء لا بالمزايلة»، وهو معهم فإذا كان مع كل شيء لتضمنه الكل ﴿هُوَ مَعَهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة، في الأرض والسموات، في الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية، في السير إلى الله ومن الله وفي الله آفاقًا وأنفسًا ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ بعد الانتقال من دورة إلى دورة إلى كورة صريحة أو ضمنية عند ظهور الهمة في انقضاء مدة فردانية تدبير كل دورة وكورة ﴿ثُمَّ يُنْتَهُمْ﴾ في الدورات ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ القائمة لدى انتهاء التدبير وانقضاء الدورة المتقدمة ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 7] علمًا حضورياً ولا يغيب شيء عن ظهوره أزلًا وأبدًا لا جمعًا ولا فردًا.

﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ التَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْآثِمِ وَالْعُدُودِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيْ أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسُ الْعَصِيدَ﴾

﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ التَّجْوَى﴾ عن التحدث والتكلم سرًا، نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون ويتسارون عن فعله ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين، فنهاهم الرسول عنه، فقبلوا وتركوا ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾ إلى مثل ما كانوا عليه من التغامز والنفاق ﴿لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ التلامز والشقاق كما هو من شيمهم وعاداتهم وشعارهم ﴿وَيَتَنَجَّجُونَ بِالْآثِمِ وَالْعُدُودِ﴾ بالمؤمنين وأهل الحق ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ مصدر مضاف إلى الفعل والعقل متروك بغضًا بهم للرسول ومعاداتهم ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ﴾ ويظهرون لك التحية بأن يقولوا: السلام عليك، وهو السبق ﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ [المجادلة: 8] حسدًا وبغضًا وعداوة، قال الله تعالى: ﴿وَسَلِّمْ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَى﴾ [النمل: الآية 59]، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ في أنفسهم أي بينهم سرًا وخفية ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا﴾ أي هلا يعذبنا الله ﴿بِعُذْبِنَا اللَّهُ﴾ أي بهذا القدر من الكلام والقول ﴿بِمَا﴾ أي كافيهم ومجازيهم ﴿بِمَا﴾ عذابًا وجزاءً وعقابًا ﴿نَقُولُ﴾ يدخلون في جهنم

ويصل العذاب لجميع أجزائهم وأعضائهم ظاهراً وباطناً، جهراً وسراً ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَيَنسُ الْمَصِيرُ﴾ [المُجَادِلَةُ: 8] جهنم، والمصير مخصوص بالذم.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجُّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوْنَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُوْلِ وَتَنَجُّوْا بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ وَأَتَقُوْا اللّٰهَ الَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [المُجَادِلَةُ: 9] بالله وبما جاء منه حق الإيمان ﴿إِذَا تَنَجَّيْتُمْ﴾ وتحدثتم سراً، أو تتناجون ﴿فَلَا تَنَجُّوْا﴾ كما هو من عادة اليهود والمنافقين ﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوْنَ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُوْلِ وَتَنَجُّوْا بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَىٰ وَأَتَقُوْا اللّٰهَ الَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المُجَادِلَةُ: 9] في آخر الأمر.

﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ وَعَلَى اللّٰهِ فليَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ﴾ بالإثم والعدوان تظهر ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ لأنه المزين بها والباعث عليها والحامل ﴿لِيَحْزُنَ﴾ الأشخاص ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي لتوقعهم في الحزن والكآبة والحال إنه ﴿ولَيْسَ﴾ الشيطان والمتناجي ﴿بِضَارِّهِمْ شَيْئًا﴾ أي موقفاً بهم في المضرة ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ﴾ ومشيئته وحكمه وأمره وإرادته ﴿وعَلَى اللّٰهِ فليَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المُجَادِلَةُ: 10] الذين تبتلوا إليه تبتلاً.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللّٰهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللّٰهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بكمال قدرته وعموم رحمته وهجوم نعمته ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾ واتسعوا ﴿فِي الْمَجَالِسِ﴾ وابسطوا في المحافل والمجالس وليتفسح بعضكم من قوله: انفسح عني أي تنح وابتعد عني برفع كلفة الصيغ أو في مجلس رسول الله ﷺ فإنهم كانوا يتضامون به تنافساً على القرب منه وحرصاً على استماع كلامه لتنبهاته إلى التحقق بحاله ومقامه ﴿فَأَفْسَحُوا﴾ وتوسعوا لغيركم وتضامون بعضكم ببعض لينفسح بينكم ويتمكن غيركم بالجلوس بينكم ﴿يَفْسَحِ اللّٰهُ لَكُمْ﴾

ويوسع لكم الجنة لما كان النبي ﷺ يكرم أهل مدين والمهاجرين والأنصار، فجاء ناس منهم وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا بين يدي النبي ﷺ، فسلموا على النبي ﷺ فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم منتظرين ليوسعوا لهم فلم يوسعوا، فشق ذلك على النبي ﷺ، فإذا بعضهم يقوموا عن مكانهم، فإذا قام من المجلس فشق ذلك على القائمين وعرف ذلك النبي ﷺ من سيماهم، فأنزلها الله. قيل: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وقد ذكرنا في سورة (الحجرات) قال النبي ﷺ: «لا يقومن أحدكم أخاه يوم الجمعة» قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَأَنشُرُوا﴾ وارتفعوا عن مكانكم ومواضعكم وانتهضوا ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ﴾ بطاعتهم وامتثالهم وإطاعتهم لرسوله وقيامهم من مجالسهم لإخوانهم ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ من الذين تفضل عليهم وسابقهم فأخبر الله تعالى أن رسوله مصيب فيما أمر، وأن أولئك المؤمنين مثابون فيما اتتمروا به وامتثلوا لأمر رسوله، والعلم إذا قارن العلم ازداد فضله وأجاد العالم علمه وعمله. قال النبي ﷺ: «من عمل بما علم الله علم ما لم يعلم، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11] تهديد لمن لم يمتثل أمر الله ورسوله واستكرهه. وقال أيضاً: بين العالم والعابد مائة درجة ما بين كل درجتين حفر الجياد بمصر سبعين سنة كان في فضل العالم ما قال الله: ﴿إِنَّمَا يَخْتَفَى اللَّهُ مِنَ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28] برفع الله ونصب العلماء.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ

خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرٌ فَإِن لَّمْ يَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بكمال قدرته وعموم حكمته ورسوله وحقية شريعته ﴿إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ وناديتم لأمر ديني أو دنيوي ﴿فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ﴾ [المجادلة: 12] أي صدقة تطوع، فقدموا صدقة ليعظم الرسول، أو الاختيار والابتلاء للمؤمنين كيف حالهم في امثال الأمر الإلهي وتتميز محبة الدنيا عن محبة الآخرة ويتعرف درجة المحبين المتحققين عن درجة المتقلدين، واختلف في هذا الأمر في أنه للندب أو الوجوب عن علي كرم الله وجهه: ما عمل بها أحد

غيري، فعل هذا للوجوب ولا يعمل بها أحد بعدي كان لي دينار فكنت أنا ناجيته وتصدقت بدرهم قيل فلعل لم يصل هذا الأمر إلى الأغنياء وإن وصل لم ينفق ظناً منه أن وقته موسع، اختلف في بقاء الحكم لأمر قيل بقي عشرة أيام أو ساعة فعلى الأول الأمر المشكل ﴿ذَلِكَ﴾ التصديق والامثال ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأَطَهَّرْ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا﴾ عند المناجاة ما يتصدقون به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المجادلة: 12] يرحم له على ما يقتضي النور والجمال والظل والجلال وقال علي لما نزلت دعاني الرسول عليه فقال: «ما تقول»؟ قلت: لا يطيقون، قال: «كم»؟ قلت: حبة أو شعيرة، قال: «إنك لزاهد». فلما رأوا ذلك أسند عليهم وارتدعوا وكفوا. أما الفقراء فلعزته، وأما الغني فلشحه. قال ابن عباس: نسخها الله في الدنيا للآية التي بعدها.

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُبُونِكُمْ مَا كُنْتُمْ فَاعِلِينَ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّادِقِينَ أَجْرُهُمْ يَوْمَ تَحْتَسِبُ فَأُولَٰئِكَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ كِفَاتًا إِنَّهُمْ لَا يَأْمُرُونَ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَالْقَنَاطِئِرِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ سَاعَةً وَمَا أَصْحَابُ الْأَعْيُنِ مِنْكُمْ أَلَّا يَنظُرُوا إِلَىٰ مَا أُنزِلَ عَلَيْهِمْ لِيَتَذَكَّرُوا أَلَّا يَكُونَ مِنْكُمْ جِثَّةٌ حَقِيرَةٌ لَّا يَمْلَأُونَ فِي الْأَعْيُنِ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المجادلة: 13]

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ أي خفتم ﴿أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُبُونِكُمْ مَا كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ أي بتقديم التصديقات من الفقير ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: 268] أي خيراً كثيراً وما لا كثيراً جمع الصدقات إما للجمع للمخاطبين أو لكثرة التناجي ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المجادلة: 13] بأن رخص لهم بعد الإيجاب أن لا تفعلوا وفيه إشعار بأن إشفاقهم ذنب وعصيان يجاوز الله عنه ويغفره ﴿فَأَقِمْوُا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ الواجبة فيغنيكم عن هذه الصدقة ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في سائر الأوامر فإن القيام كالجابر للتعويض في ذلك ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: 13] ظاهراً وباطناً وسراً وعلانية وليس في عدم الامثال هذا الأمر من الصحابة واختصاصه بعلى الإشعار بكمال اتحاده بالنبي عليه السلام ظاهراً وباطناً كقوله ﷺ: «لحمك لحمي ودمك دمي»، هذا هو الاتحاد البدني أما الاتحاد الحقيقي فقوله عليه الصلاة والسلام: «أول ما خلق الله نوري، وأنا وعلي من نور واحد» (\*). وقال علي رضي الله عنه: أنا محمد المصطفى وعلي المرتضى،

(\* من حيث إنه أي الإمام علي وارث للحقيقة المحمدية وفي هذه الحقيقة يوجد ثلاث اعتبارات لكل عين ثابتة: اعتبار الحقيقة الإلهية والجبروت، واعتبار الحقيقة المحمدية =



كما قال النبي عليه السلام: «علي مني وأنا منه»، وهذا الاتحاد سار مع جميع الأنبياء علي كنت مع الأنبياء سرًا وصرت معي جهراً.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَوْلُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [14]

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَوْلُوا قَوْمًا﴾ وتوجهوا طائفة من اليهود ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ومن المشركين سخط الله لديهم ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ ولا أنتم منهم لتباينهم في الأمر الذي هو كالحقيقة النوعية وهي الأعيان والمعرفة الذاتية فإنه في الحقيقة هو نفس العقل والروح إذ ماهية الأعيان الثابتة والحقائق الإلهية هي الصور العلمية والنسب العقلية فيكون مضادًا للجهل ومعاندًا للكفر والكافر ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ﴾ وهو ادعائهم أن إيمانهم وإسلامهم إنما هو من صميم القلب وكريم الغيب إشارة إلى جهة التباين الحقيقي والتغاير الذاتي بين المؤمن والكافر ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: 14] لأن المحلوف عليه كذب محض وعلمهم هذا وإظهارهم خلاف ما في قلبهم جهل مركب. روي أنه عليه السلام كان في حجرة من حجراته فقال لأهله ولمن فيها: «يدخل عليكم الآن رجل قلبه جبار وينظر بعين الشيطان» فدخل عبد الله بن نفيل المنافق فقال عليه السلام: «علام تشتمني أنت وأصحابك؟» فحلف بالله ما فعل ثم جاء بالصحابة فحلفوا فنزلت:

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [15]

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ هو نوع متفاقم من العذاب ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: 15] مستمرين على ذلك مصرين عليه.

﴿أَتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [16]

﴿أَتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ التي حلفوا عليها ﴿جُنَّةً﴾ يتحصنون بها ويتصنونون من دمائهم وأموالهم وعروضهم وجهلهم ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المجادلة: 16] للناس

والملكوت، واعتبار الحقيقة الملكية والملك، فالوارث الكامل تارة يتكلم بلسانه المتعين الحادث في عالم الملك، وتارة يتكلم بلسان الحقيقة المحمدية الملكوتية، وتارة يتكلم بلسان الحقيقة الحقية الجبروتية.

ومنعوهم عن سلوكها ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المجادلة: 16] مذلل محقر. قيل: هو عذاب القبر وعذاب الآخرة.

﴿لَنْ نُنْفِىَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ

فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾

﴿لَنْ نُنْفِىَ﴾ ولن يمنع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ من عذاب الله ﴿شَيْئاً﴾ حقيراً وأمرًا قليلاً صغيراً ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المجادلة: 17] ما دام يكون سماوات تلك الدورة وأرضها ثابتة.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ

أَلَّا إِنَّمَا هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ أي هو على أنهم مسلمون مخلصون في إسلامهم كما يحلفون لكم في الدنيا أنهم منكم ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ في حلفهم الكاذب أي ينفع لهم في الآخرة كما ينفع لهم في الدنيا يعني ليس العجب من حلفهم لكم على الكذب في الدنيا فإنكم بشر ويخفى على البشر السرائر وإنما العجب في حلفهم بعد على الكذب وهو خالق البشر وما يجوز على البشر كيف يجوز على خالقه وذلك من خصائص النفاق فإنه إذا تمكن ورسخ في نفوسهم خلفهم بالأيمان، والحالف الكاذب كما يروجوا الكذب في الدنيا يروجوا الكذب في الآخرة وذلك لكمال جهالتهم وقوة غفلتهم التي أفادها النفاق ﴿أَلَّا إِنَّمَا هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة: 18] البالغون في الكذب في الهداية حيث سرى بعالم الغيب والشهادة وعالم الحس (ألا) للتنبية تنبيهه على شناعة وفساد مآلهم.

﴿أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَّا إِنَّ

حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾

﴿أَسْتَحْوِذَ﴾ واستولى ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ ظاهراً وباطناً صورة ومعنى من حوذت الإبل في جريها وسيرها إذا استولى عليهم ﴿فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [المجادلة: 19] لا يذكرون الله لا بالقلوب ولا باللسان لا في الأمن ولا في الخوف والحروب لا في

الصحة ولا في المرض ولا في القلق والكروب ولا عند النزع والعطوب ﴿أُولَئِكَ﴾  
الأشخاص والأعيان هم ﴿حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ وفرقه وأتباعه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ﴾  
وجماعتهم ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: 19] في الدنيا والآخرة بأن أعمالهم وهي رأس  
مال التجارة لهم وفوتوا أرباحها وهي النعيم السرمدي وألبسوا الجحيم والعذاب  
الأيام.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إِنَّ﴾ الأشقياء ﴿الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ويخاصمونه ويخالفونه أمره  
﴿أُولَئِكَ﴾ [المجادلة: 20] قد انخرطوا واندرجوا ﴿فِي﴾ زمرة الأعيان ﴿الَّذِينَ﴾  
[المجادلة: 20] الأذلين أفعل التفضيل أي أشد الرذالة والحقارة والذلة والبذالة  
كتب الله في اللوح المحفوظ والكتاب الأول وحكم في حضرة علمه ونصرة  
قضائه وحكمه، لاعين على الكفار والمخالفين.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بطريق العقل فالاحتجاج بالبراهين القاطعة  
والأساطين الساطعة، هذا أمر عام يتناول جميع الأنبياء والمرسلين إلا أن منهم  
من ضم إلى الاحتجاج السيف كما قال: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ  
لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: الآية 25] بالسيف أي هي ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ على نصرته أنبيائه وإتياء  
فرصه أو لقاءه قادر على دفع خصمائه ﴿عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: 21] غالب قاهر على من  
يخالف أمر الحق فلا نظير له ولا نصير ولا ظهير في حكمه ومشيبته.

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ

عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ

وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [المجادلة: 22] ويصدقونه وبكل ما

جاء من عنده ﴿يُؤَادُونَ﴾ ويحبون ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وخالف أمره وجادل من باب التخيل إنه قد تخيل إنه يجوز أن يكون المشرك والكافر ظهر المؤمن فيحبه، فالله ينفي هذا التخيل ويمنعه بأن لا يسعى أن يكون مؤمن ليستظهر الكافر ويطلب منه النصر والظفر لأنه من المستحيلات العادية ليعاند الأعيان بالشرك والإشراك مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسة ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ المخالفون المحادون ﴿ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ تأكيد النهي يعني يا محمد لا تجد قوماً يحبون المشركين لأن الإيمان بالله يصاد الكفر ويخالفه واجتماع التقدير في محل واحد فحينئذ ولو كانوا أي الكافرون أبا لهم أي أبناء المؤمنين وأبناءهم وعشيرتهم ﴿أُولَئِكَ﴾ المؤمنون المنافقون ﴿كَتَبَ﴾ في الأول في مقام ألت بربكم ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي ماهيتهم الأولية وحقائقهم الإلهية وأعيانهم الثابتة وهو الصور العلمية التي هي الهيئة الجمعية بين الأحدية والواحدية ﴿الْإِيمَانُ﴾ [المجادلة: 22] وهو شهود بعين ذات الحق ووجوده في ضمن شهوده ذاته بداية أولاً في التجلي الذاتي بعنوان الذات بنعوت الشهودات الذاتية في التجلي الاسمي بعنوان العلم والحياة والقدرة والإرادة أو السمع والبصر أو الكلام فرادى أي مثنى أو مثلثاً ومربعاً إلى المسبع ثم في المرتبة العقلية بعنوان العلم والفعل ثم في المرتبة الروحية بعنوان الحياة ثم في المرتبة البرزخية بعنوان القدر بالصورة الشبحية ثم في مرتبة الشهادة بعنوان الإرادة بالصورة الجسمية بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: الآية 5]، ثم في مرتبة الناسوت بعنوان الإنسانية بالصورة النوعية والهيئة الجمعية خلق الله آدم على صورة الرحمن أو على صورته هذه الجملة في المعنى هي تعليل للنهي ودليل على انتفاء المودة واختفاء المناسبة والمحبة بين أصحاب الضلالة وأرباب الهداية ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي نور في القلب أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء أو القرآن أو اليقين الكامل واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴿وَيَدْخُلْهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [المجادلة: 22] الأربعة الجارية تحت أشجارها وقصورها ودليل آخر على تباين حقيقة المؤمن والكافر فإن طبقة أهل الجنة من الجنة وطينتها وطينة أهل النار من طين الدنيا .

### مطلب أنوشروان وهارون الرشيد

قال النبي عليه السلام: «خلق الله الأغنياء من طين الأرضين وخلق الفقراء والأنبياء من طين الجنة»، واعلم أن الله تعالى خلق السلطان العادل العالم العامل أيضاً من طين الجنة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «إذا مات السلطان العادل العالم العامل لم يأكل الأرض جسده بل يبقى طرياً». روي أن هارون الرشيد قد جمع العلماء وقال لهم أريد أن أظهر صدق هذا الحديث على أهل العلم فقال من كان في هذه الصفة من الملوك والسلاطين؟ فقالوا: أنوشروان عادل فأمر أن يخرج من قبره وقد كان مدفوناً في المدائن فوجده في صندوقٍ وتابوت من مرمر صحيحاً سليماً من التعفن والتفريق طرياً ناضراً كأنه حي قد نام ووضع على جانب رأسه لوحاً من زبرجد مكتوباً: كل سلطان وحاكم يريد قهراً للأعداء وتوسيع دائرة الملك والظفر على الخصماء فليربي الجيوش ويحسن إليهم فإن أراد الخزان فليرع الرعية ويعدل وإن أراد بقاءهما على صاحبهما فليكرم العلماء والفقراء ويقوي الضعفاء ﴿خَلِّدِينَ فِيهَا﴾ خلوداً منوطاً وممدوداً بجنود سماوات دورتهما ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ببركة طاعتهم وخاصة عبادتهم المقرونة بالإخلاص ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ عند المجازاة ﴿أُولَئِكَ﴾ المؤمنون هم ﴿حِزْبَ اللَّهِ﴾ وجنوده وممنونة ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ وجنوده ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22] الفايزون والصالحون المصلحون. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (المجادلة) كُتِبَ من حزب الله يوم القيامة» صدق رسول الله عليه الصلاة والسلام.



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي حشر أموات المجاهدين في القيامة الأنفسية في عرصة الرياضات ومضمار المجاهدات بحسن المجازات ولطف المكافآت بأنواع التجليات وأصناف المشاهدات ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أحيى أموات أجدات الأجساد بحياة ماء المعارف الفطرية والنظرية والإدراكات الفكرية ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي تالأت الأنوار في وجهه الباقي على مجالي قلوب العارفين ليشهدوا أسرار الأدوار وأنوار الأطوار القلبية وأطوار شؤونات الأكوار كائنة ما كانت في النشآت مقتضيات دورات مبادئ التجليات وبروزات الأعيان ورموزات الأكوان تصور الكائنات وهيآت غرر الحالات ودرر المقامات .

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الحشر: 1] أي أعيان سماوات الدورة الكبرى النورية الجمالية التي ظهرت في فردانية اسم الحي وصفة الحياة بصورة الأرواح صريحاً وبنعوت الأغوال التي تولدت بالأرواح في مدة سلطنة النور والجمال من بطن واحد ضمناً وبهذا كل عين من أعيان دورة النور والجمال من العقل والنفس والروح والطبيعة والجسم التي هي أجزاء سريرتك وبسائط أنيتك يتولد من مولود آخر من مرتبات اسم الخليل ويكون معه ضمناً وتبعاً وبطناً مثلاً تولد مع العقل الأول واليقين الأول النوري الجمالي الأهرمن الذي قال به المجوسي فإنه خالق الشر

والله خالق الخير والنفس والروح يتولد معه القول وهو معلول ومخلوق له عشرة رؤوس واحد منها رأس آدم والباقي رأس سائر الحيوانات التي هي المستنسخات كالقردة والخنزير وعبدة الطاغوت والكلب والفرس والأسد والحية والسمك والسلحفاة وهذه الرؤوس العشرة بإزاء العقول العشرة والحواس الظاهرة والباطنة التي قد اجتمعت مبادئها في الدماغ والرأس وتولد مع النفس العاملة والطبيعة العاملة والأشباح البرزخية والشياطين ومع الجسد والبدن الجن لقوله عليه السلام: «ما منكم من أحد إلا وله قرين من الجن قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي».

﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الحشر: 1] الاستعدادية التي ينبىء إلى الحلال وفي الحقيقة صحيفة الأعمال وديوان الأفعال وكتاب الأحوال من هذه الأرض التي في كل عين من الأعيان وفي كل كون من الأكوان حصة من هذه الأرض قد كتب الله تعالى في هذه الحصة جميع ما يجري في تلك الدورة ويصدر من هذا المتن في خارج تلك الدورة والعين، فإذا انتهت مدة اقتضاء دورة من الأدوار النورية الجمالية وانتقلت التربية من تلك الدورة واسمها المدبّر إلى دورة أخرى واسم الآوار قامت قيامة منسوبة إلى هذه الدورة بتبدل سماوات هذه الدورة وأرضها ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: الآيات 2 - 4] إلى آخر السورة، ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عِثْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاجِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: الآية 48] فصلنا الكلام في هذا المقام في مفتتح الكتاب في تفسير الفاتحة وتأويلها فارجع إليه.

روي أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة صالح بني النضير على أن يكونوا له لا عليه فلما وقعت واقعة يوم بدر قالوا: إنه هو النبي المنعوت في التوراة، فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا وتشككوا وخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكباً إلى مكة فأمر رسول الله محمد بن مسلمة الأنصاري فقتل كعباً وكان أخاه من الرضاعة ثم صحبهم الرسول الكتاب والعشائر وهو على حمار مخصوم فقال لهم: اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أحب من ذلك فتنادوا بالحرب قيل: استمهلوا رسول الله عشرة يتهياً أو للخروج إلى الشام يعني النصر فدرس إليهم عبد الله بن أبي وقيل: لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن



معكم . فلما مضت إحدى وعشرون ليلة قذف الله الرعب وألقى الخوف وعمّ الهيبة في قلوبهم وظهر خلاف ما وعد المنافقون لهم وآيسوا من نصرة المنافقين طلبوا الصلح بالنبي فأتوا النبي ﷺ ومنعه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: 1] .

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنزَلْنَاهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني بني النضير ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الحشر: 2] بيان الدين ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ لا ابتداء الغاية يعني ابتداء خروجهم يكون من ديارهم إلى الشام ثم يدرکہم الساعة هناك ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ أي فأول حشرهم من جزيرة العرب أو في أول حشرهم للقتال والجلاء إلى الشام وآخر حشرهم أن عمر أجلاهم من خيبر إلى الشام قيل آخر حشرهم هو حشر القيامة و(الحشر) هو إخراج جمع من مكان إلى آخر ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ من دياركم قال ابن عباس إن المسلمين ﴿وَقَدَّوْا أَنَّهُمْ﴾ لوفور قوتهم وكثرة معاونتهم وقلة قوة أهل الإسلام خصوصًا في هذا المحل لا يتمكنون عن إخراج النضير فكان إخراجهم وخروجهم من أهل النعمة للمسلمين ليتخلصوا من مكائد اليهود وظنوا أي المنافقون حيث منعوا النضير عن الخروج واستمالوهم بأنا معكم وناصروكم أنهم ﴿مَانِعَتُهُمْ﴾ من الخروج عن ديارهم ﴿حُصُونُهُمْ﴾ وقلاعهم وسورهم يتحصنون بها وفيها ﴿بَيْنَ اللَّهِ﴾ وعذابه وحلول عقابه وقد تحقق أنه لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ولبلائه، إذا قيل قومًا لا من الإنسن ولا من الجن ولا من الملك ولا من قوة الفلك ويجوز أن تكون حصونهم فاعل مانعتهم ﴿فَأَنزَلْنَاهُمْ اللَّهُ﴾ وعذابه والرعب والخوف في قلوبهم ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ ولم يخطر ببالهم أن رأسهم ومقدمهم ورئيسهم كعب يقتله ويقطع رأسه من لا يتوقع منه هذا الفعل، فلما قتل رأسهم ورئيسهم اقتلعت شوكتهم وتفرقت كثرتهم ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ والخوف والمهابة فنفروا من كل همس وينفروا من كل دس ولمس ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ﴾ [الحشر: 2] وينهبون ما فيها من الأثاث والأجناس والرخوة وأداة الزرع والحراث

﴿بأيديهم﴾ أولاً بحرمانهم وقطع آمالهم من المرتجيات وتمام المتمنيات ﴿وأيدي المؤمنين﴾ ثانياً لكمال عجزهم ووفور إقبال الكتاب إليهم وتوجه الحوادث من كل الجهة لديهم ﴿فاعتبروا﴾ وانظروا إلى خفايا لطائف الله وكمال عنايته بحبيبه ورسوله ﴿يتأولي الأبصر﴾ [الحشر: 2] وذوي الاختبار.

﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الآخِرَةِ

عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ عن المواطن والخروج عن جل الأماكن عن كل الظواهر والمواطن ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بأنواع السياسات وأصناف الرياسات من القتل والنهب وقتل العرض وسبي الذراري في الصحراء والبراري ﴿وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ [الحشر: 3] لمخالفتهم لما وجدوا في كتابهم التوراة من نعوت المصطفى عليه السلام.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾

﴿ذَلِكَ﴾ الأمر الذي لحقهم في الدنيا من صنوف العذاب وصنوف العقاب ﴿بأنهم شاقوا الله﴾ أي بسبب أن كثروا المخالفة لأمره ﴿ورسوله﴾ شادوا العناد لحكمه ﴿ومن يشاق الله﴾ فهو يستحق العذاب الشديد وعوائد العقاب ﴿فإن الله شديد العقاب﴾ [الحشر: 4].

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ

وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

﴿ما قطعتم﴾ (ما) موصولة وموصوفة أو استفهام ﴿من لينة﴾ [الحشر: 5] بيان وتفسير لما وذلك أن رسول الله لما توجه إلى بني النضير تحصنوا بحصونهم، فأمر بقطع لينتهم أي نخيلهم فجزعوا وخرجوا وفرغوا وقالوا يا محمد إنك تزعم إنك هداية ورحمة للخلق وعناية لأهل الجمع والفرق، ما هذا الأمر الذي أمرت بإحداثه وكذا بعض المسلمين قد أنكروه فأجاب الله: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [البقرة: 216] أي الذي قطعتم من النخل أو أي شيء قطعتم منها ﴿أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن

الله وأمره وحكمه وقضائه وقدره ﴿وَلِيُخْرِجَ﴾ وبذلك يهين ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: 5] اليهود الذين خرجوا عن طاعة الله فأنزل الله هذه الآية بأن قطع اللينة إنما هو بأمرين لأمرين نشر الأعلام الإسلامية ولأن يذلل الكفار اليهودية.

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ  
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَيِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٦﴾

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ﴾ وأعادته ﴿عَلَى رَسُولِهِ﴾ [الحشر: 6] من الخلق فإنه حق وهو أحق به لأنه تعالى ما خلق الخلق إلا ليتوسل به ويتوصل به بإرشاده إليه فوجب على الكل امتثال أمره وإطاعة حكمه ﴿مِنْهُمْ﴾ من بني النضير أو من الكفرة المطلقة ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ من الوجيف وهو سرعة السير أي ما أسرعتم ﴿عَلَيْهِ﴾ على تحصيله ﴿مِنْ خَيْلٍ﴾ وفرس ﴿وَلَا رِكَابٍ﴾ [الحشر: 6] ما ترك عليه من الإبل غلب عليه كما غلب الراكب على راكبة هذه الدابة، نزلت في بني النضير وقراهم، وليس للمسلمين يومئذ خيل ولا راكب ولم يقطعوا لهم مسافة ولم يجدوا في طلبهم مشاققة إذ ما كان بينهم وبين النضير إلا ميلين ولم يجز بينهم مقابلة فإذا حصن جميع ما لهم من المال والخيل والحمار والركاب برسول الله عليه السلام روي أنه ﷺ قسمها بين المهاجرين وما أعطى الأنصار منها شيئاً إلا ثلاثة نفر كانت لهم حاجة وهم أبو دجانة وسهل بن حب والحرث بن الصمة أنه تعالى ذكر حكم الفيء فقال:

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى  
وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ  
وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ  
شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٧﴾

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [الحشر: الآية 7] الآية، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَيِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ  
يَشَاءُ﴾ من عباده المؤمن والكافر ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: 6] بالإحياء  
والإماتة والتغليب والقتل والتخريب والتسريف والتغريب والتبعيد والتقريب.

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ﴾ [الحشر: 7] أي ذلك المال الذي

يختص به وبرسوله، عن عمر رضي قال: أن أموال بني النضير كانت مما أفاء الله على رسوله، وكان الرسول لم ينفق أهله منها نفقة وما بقي جعله في آلة الكراع والسلاح عدة في سبيل الله، وذلك أن بني النضير لما تركوا أرباعهم ومنازلهم ورفضوا مراحلهم وصناعهم ونقضوا العهد والميثاق صارت أموالهم فيئاً وغنيمة وطلب المسلمون أن يقسمها بينهم فبين الله في هذه الآية إنها مما لا يوجب المسلمون عليها خيلاً ولا ركاباً فكانت لله ﴿وَالرَّسُولُ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِ السَّبِيلِ﴾ [الحشر: 7] بيان وتفسير الآية الأولى ولذا لم يعطف، نزلت حين أراد المسلمون وسألوا أن يقسموا أموال بني النضير بينهم وذي القربى من قرابة الرسول وهم بنو هاشم وبنو المطلب وهم يستحقون ذلك بالقرابة ولا تعتبر فيهم الحاجة كما ذهب إليه الشافعي وأصحابه وغيرهم قد اعتبروا الحاجة وجعلوا للذكر مثل حظ الأنثيين، وعلم أن جميع الأموال التي هي في يد المسلمين على ثلاثة أوجه:

أحدها: ما أوصلت إلى حد القضاء فيأخذ منهم على طريق القهر وهو حرام على ذي القربى لأنه وسخ وبذخ وهي الصدقات التي مصرفها ما في الآية: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: الآية 60] إلخ.

الثاني: الغنائم وهو ما يحصل من الكفار بالقهر والحرب.

الثالث: ما رجع من أموال الكفار عفواً ولطفاً وصلحاً من غير قتال وحرب وجدال ولا إيجاف خيل وركاب مثل مال الصلح والجزية والخراج والعشور التي تأخذ من تجار الكفار إذا أدخلوا في دار الإسلام، ومثل أن يهرب المشركون ويتركوها أو يموت منهم ولا وارث لهم، والصدقات مقدّر حكمها في سورة البراءة.

وأما الفيء والغنائم فقد كانت في بدء الإسلام للرسول يصنع ما يشاء، قيل: لله وللرسول، ثم نسخ بقوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُمُ وَالرَّسُولُ﴾ [الأنفال: الآية 41] فجعلت أخماساً فجعل أربع أخماسها للغنمين يقسم بينهم مما كانت من النقود والعروض والأمتعة وسائر المنقولات فيقسم بينهم.

وأما العقار فاختلف فيها فقال مالك: هو يحملها للإمام على مصالح المسلمين.

وقال أبو حنيفة: هي للإمام مخير بين أن يجعلها وقفاً أو تقسم بينهم. وقال الشافعي: ليس للإمام حبسها عنهم بغير رضائهم. وحكمها حكم سائر الأموال والاختيار هو أن الله تعالى أخبر الخمس منها بعدما أضاف الجميع إليهم بقوله: ﴿غَنِمْتُمْ﴾ فدل على أن الباقي لهم وحقهم.

وأما الخمس الباقي فمقسم على خمسة أسهم: سهم لرسول الله ﷺ وسهم للذي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لأبناء السبيل فأما الفيء فإنه يقسم على عهد رسول الله على خمسة وعشرين سهماً أربعة أخماسها وهي عشرون سهماً لرسول الله ﷺ. وقد اختلف في أربعة الأقسام التي كانت له من الفيء فقال قوم: إنها تصرف إلى المجاهدين المترصدين للقتال، وهو قول الشافعي.

وقال قوم آخر: تصرف إلى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الأنهار وبناء القناطير ونحوها وهو القول الآخر للشافعي. وأما السهم الذي لرسول الله ﷺ خمس الفيء فقد بين في موضعه ﴿كَيْ لَا يَكُونَ﴾ الفيء الذي حقه أن يكون للفقراء ﴿دُولَةً﴾ ودايرة ﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ﴾ الدولة أصلها ما يتداوله الأغنياء ويدورونه بينهم كما كان في الجاهلية فينقلب بين الرؤساء ويتصرفون فيه فضاع حق الفقراء ﴿مِنْكُمْ وَمَا ءَاتَكُمْ الرَّسُولُ﴾ وأعطاه لكم وقسمه غنيمة ﴿فَخُذُوهُ﴾ واقبلوه بطيب النفس لأنه خلال وكشاف لكم ما هو فيه مشكلة وشبهة فيكون أمره وإطاعة حكمه واجب عليكم ﴿وَمَا تَهَكِّمُ عَنْهُ فَأَنْهَوُا﴾ وأعرضوا وانصرفوا عنه وامتنعوا منه ﴿وَأَنْقُؤا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7] شديد النعمة والانتقام.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ﴿٨﴾

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ بدل ﴿الَّذِينَ﴾ ولذي القربى وما عطف فإن الرسول لا يسمى فقيراً لأن الله تعالى أخرجه عنهم بقوله: ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، ﴿أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ فإن كفار مكة أخرجوهم وأخذوا أموالهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ أي رزقاً واسعاً ورضاءً، وسائغاً حال مقيدة لإخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم وتعظيم إيقانهم ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بأنفسهم وأموالهم وأولادهم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: 8] في إيمانهم وجهادهم وهجرانهم وسائر أحوالهم.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ وسكنوا وتوطنوا المدينة والتزموا الأعيان عطف على المهاجرين والمعنى منهم الأنصار فإنهم لزموا المدينة والتزموا الصدق والتصديق ﴿وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ قيل تبوؤوا دار الهجرة والإخلاص والإيمان فحذف المضاف إليه في الأول والمضاف في الثاني فانظم الكلام واستقام المرام في هذا المقام واندفع الإشكال بأن إيمان الأنصار قبل المهاجرين تسلية وتطبيب لقلوب الأنصار وتنبية بأن إيمانهم غير منحط عن درجة الكمال ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ برسول الله تاركين المواطن المألوفة قاصدين رضاء الله ومرضاة رسوله ومحبتهم لهم إنما هي لله وفي الله فهم المتحابون في الله ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ﴾ وأنفسهم ﴿حَاجَةً﴾ دنيوية لتكون محبتهم معللة بالعرض والعوض ولا يعلمون في قلوبهم ريبة ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾ أعطى المهاجرين من الفياء والغنيمة وحرمو الأنصار ﴿وَيُؤْتِرُونَ﴾ ويختارون المهاجرين ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ ويقومونهم في المطالب الدنيوية والأعراض العاجلة حتى أن من كان له من الأنصار زوجتان ترك إحداهما لمن أحبه وناجح معه وزوجها منه ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي حاجة وفقر وفاقة وعن أبي هريرة أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني مجهود فبعث إلى نسائه هل عندكن من شيء فقلن ما معنا إلا الماء فقال رسول الله ﷺ: «من يضمن أو يضيف هذا؟»، فقال رجل من الأنصار: أنا فانطلق إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبيان فقال: هيئي طعامك وأصلحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاءً، فهيأت طعامها وأصلحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلتا كأنهما يريدان أن يأكلا فباتا طاويين، فلما أصبح غداً إلى رسول الله ﷺ فقال صبحك الله الليلة فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ أي يحفظ نفسه عن البخل ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا  
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ  
رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾ [الحشر: 10] وهم التابعون بعد الأنصار والمهاجرين وغيرهم من الصحابة قرناً بعد قرنٍ إلى يوم القيامة ولاية قد استوعبت جميع المؤمنين ثم ذكر من خصائص هذا الفريق ووظائفهم أن يدعو لأنفسهم ولمن سبقهم بالإيمان بالمغفرة وبكمال الرحمة هذا من أخص خواص المؤمنين أن يدعو أو يطلبوا لأحوالهم الخيرة من الله ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ من المهاجرين والأنصار وكذا كل طبقة من المؤمنين راجياً من حسن إيمانهم أن يدعو لإخوانهم الدينية وأعوانهم النفسية ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ [الحشر: 10] وزيفاً وخبثاً يكون لصاحبه قيئاً وحبساً وغولاً وهو في الأصل الحسد والبغض والحقد والغدر، قد سبق الكلام في هذا المقام في سورة الأعراف في عشر: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: الآية 3] الآية، ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ متعلق بـ(غلاً) ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ﴾ شفيق عطوف بالمؤمنين الذين كانوا بهذه الصفة ﴿رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10] كثير الخير والسعادة وهي هذه الصفة لهم فمن لم يكن بهذه الصفة من التابعين كان خارجاً من زمرة المؤمنين إذ من خصائص كمال الإيمان التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله.

﴿﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾﴾

﴿﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ أظهروا خلاف ما أضمروا نزلت في عبد الله بن أبي سلول وأصحابه ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ وأصحابهم وأعوانهم في النفاق ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الذين هم اليهود من بني قريظة والنضير جعل المنافقين إخوان الكافرين لإشراكهم في أصل الكفر أظهروا الإيمان اللفظي ﴿يَقُولُونَ﴾ للنضير تشبيهاً لهم على الكفر ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ [الحشر: 11] من المدينة ﴿لَنَخْرُجَنَّ﴾

مَعَكُمْ ﴿بَلَا تَخْلَفُ﴾ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ ﴿فِي قِتَالِكُمْ وَمِقَاتِلِكُمْ﴾ ﴿أَحَدًا﴾ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَأَتْبَاعِهِ وَجُنُودِهِ وَأَشْيَاعِهِ إِنْ حَمَلْنَا وَكَلَفْنَا عَلَيْهِ وَفِي خِذْلَانِكُمْ وَإِذْلَالِكُمْ ﴿أَبَدًا﴾ دَائِمًا ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ﴾ وَإِنْ وَقَعَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَالْمِقَاتِلَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَتَرَكَ ذَكَرَ الْفَاعِلِ وَعَدَمَ التَّصْرِيحِ بِهِ مِنْ شِعَارِ النِّفَاقِ وَخِصَائِصِهِ لِيَبْقَى لَهُمُ الْمَقْدَرَةُ وَصَرَفَ الْكَلَامَ إِلَى غَيْرِ الْمَرَامِ فِي هَذَا الْمَقَامِ ﴿لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ بِالْقُوَّةِ وَالْخَيْلِ وَالْمَالِ وَالْجَوَاهِرِ ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يَعْلَمُ ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: 11] فِي هَذَا الْكَلَامِ لِأَنَّهُمْ لَتَرَدَّدَهُمْ فِي أَصْلِ الْفِطْرَةِ وَعَدَمِ ثَبَاتِ رَأْيِهِمْ فِي أَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ لَتَلَوَّنَ مَوْلُودَهُمُ الْجَنِي لِتَوَارِدِ الْأَرَاءِ الْمَخْتَلِفَةِ عَلَيْهِمْ مِنْ مَبْدَأِ إِنَّهُمْ تَضْمِنِي وَهُوَ الظِّلُّ وَالْجَلَالُ فَلَا يُوَافِقُ مَقْتَضَى الْجَمَالِ مَرْتَضَى الْجَلَالِ وَلِذَا صَارُوا فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ وَسَارُوا إِلَى الْمَدْرَكِ الْمَنْزِلِ .

﴿لَيْنَ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَيْنَ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَيْنَ نَصَرُوهُمْ لِيُوَلِّبْ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصْرُونَ﴾ ﴿١٢﴾

﴿لَيْنَ أَخْرَجُوا﴾ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴿لَا يَخْرُجُونَ﴾ الْمَنَافِقُونَ ﴿مَعَهُمْ وَلَيْنَ قُوتِلُوا﴾ أَي وَقَعَ الْقِتَالُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴿لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ وَلَا يَمْنَعُونَ عَنْهُمْ ﴿وَلَيْنَ نَصَرُوهُمْ﴾ أَي عَلَى سَبِيلِ الْعَرَضِ وَإِنْ كَانَ مُحَالًا إِذْ فَرَضَ الْمَجَالِسَ الْمُحَالِ إِنْ يَنْصُرُ الْمَنَافِقُونَ الْمُسْلِمِينَ فِي سَاعَةِ أُخْرَى لِعَدَمِ ثَبَاتِهِمْ فِي الرَّأْيِ فَإِذَا ﴿لِيُوَلِّبْ الْأَدْبَرَ﴾ أَي رَجَعُوا رَجْعَ الْقَهْقَرَى وَعَادُوا عَلَى الْأَدْبَارِ وَاللَّامِ إِمَّا لِتَأْكِيدِ عَدَمِ الثَّبَاتِ وَالتَّمَكُّنِ أَوْ لِتَوَطُّئِ الْقِسْمِ بِأَنَّهُمْ لَا يَثْبُتُونَ وَلَا يَتِمَكَّنُونَ فِي النَّصْرَةِ وَالْإِعَانَةِ ﴿ثُمَّ لَا يُنصُرُونَ﴾ [الحشر: 12] وَلَا يَمْنَعُونَ الْعَلِيَّةَ عَلَيْهِ مِنْ أَحَدٍ فَضْلًا عَنْ أَحَادٍ وَجَمَاعَةٍ وَأَفْرَادٍ .

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿١٣﴾

﴿لَأَنْتُمْ﴾ يَا مَعْشَرَ الْمَنَافِقِينَ وَاللَّهُ ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ مَصْدَرُ رَهَبْتَ الْمَبْنِي لِلْمَفْعُولِ كَانَ قِيلَ (أشد) مَرهُونَةً ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَضْمُرُونَ الْمَخَافَةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ بِأَنْ يَخْبِرَ عَمَّا فِي صُدُورِهِمْ مِنَ النِّفَاقِ وَالْمَخَالَفَةِ ﴿ذَلِكَ﴾ النِّفَاقِ وَعَدَمِ الثَّبَاتِ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ لَيْتَ أَنَّهُمْ ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: 13] وَلَا يَعْلَمُونَ حَقَائِقَ الْأُمُورِ ظَهْرًا وَبَطْنًا .



﴿لَا يُقْبِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٤﴾

﴿لَا يُقْبِلُونَكُمْ﴾ أي لا يقبلون على قتالكم أي اليهود والمنافقون حال كونكم مجتمعين ﴿جَمِيعًا إِلَّا﴾ كائنين ثابتين ﴿فِي قُرَى﴾ متفرقة ﴿مُحْصَنَةٍ﴾ بالسور والخنادق والشغور والقلاع ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ يكون فيها جماعة من الشجاعة لهم بأس شديد وبطش شديد ﴿بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين ذوي ألفة وموافقة أنيقة فلو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك الاجتماع ولا القوة والشجاعة ولا البأس والبضاعة إذ الشجاع حينئذ يجبن والقوي والغني يومئذ يضعف ويغفر ولا يعطف ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ متفرقة متخالفة بلا ألفة لافتراق عقائدهم واشتقاق معاقدهم ﴿ذَلِكَ﴾ الشتات والتفرقة ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: 14] انتفى العقل والإدراك عنهم .

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٥﴾

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي مثلهم وقصتهم في النفاق وكثرة المخالفة والشقاق كمثل القوم الذين كانوا في زمان كان قبل زمانهم كبنى قينقاع والقرظ أو مثل المهلكين من الأمم الماضية ﴿قَرِيبًا﴾ أي حال كونهم في زمان كان قبل زمانهم كواقعة الفيل ﴿ذَاقُوا﴾ ذلك الزمان مراده طعم زقوم ﴿وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي سوء عاقبتهم في الدنيا وهو القتل والسبي والأسر ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الحشر: 15] في الآخرة .

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ

مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦﴾

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ على ربك وأشرك به غيره ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾ إنما يبرأ الشيطان في هذه الحالة من الإنسان مخافة أن يشاركه في العذاب والنيران الأبد والعقاب الشديد الممتد وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: 16] والمراد من الإنسان إما الجنس أو فرد معين وهو أبو جهل حيث قال له إبليس يوم بدر ولا غالب لكم اليوم من الناس وإنني جار لكم قيل هو راهب يقال له برصيصًا فلما حملة على الفجور

مَعَكُمْ﴾ بلا تخلف ﴿وَلَا تُطِيعُوا فِئَكُمُ﴾ في قتالكم ومقاتليكم ﴿أَحَدًا﴾ من أصحاب محمد وأتباعه وجنوده وأشياعه إن حملنا وكلفنا عليه وفي خذلانكم وإذلالكم ﴿أَبَدًا﴾ دائماً ﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ﴾ وإن وقع عليكم القتال والمقاتلة من المسلمين وترك ذكر الفاعل وعدم التصريح به من شعار النفاق وخصائصه ليبقى لهم المقدرة وصرف الكلام إلى غير المرام في هذا المقام ﴿لِنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ بالقوة والخيل والمال والجاه ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يعلم ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: 11] في هذا الكلام لأنهم لترددهم في أصل الفطرة وعدم ثبات رأيهم في أمر من الأمور لتلون مولودهم الجني لتوارد الآراء المختلفة عليهم من مبدأ إنهم تضمني وهو الظل والجلال فلا يوافق مقتضى الجمال مرتضى الجلال ولذا صاروا في الدرك الأسفل وساروا إلى المدرك المنزل.

﴿لَيْنٌ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَيْنٌ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَيْنٌ نَصَرُوهُمْ لِيُؤَلِّبُوا الْآدْبَرَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ ﴿١٢﴾

﴿لَيْنٌ أَخْرَجُوا﴾ من ديارهم وأموالهم ﴿لَا يَخْرُجُونَ﴾ المنافقون ﴿مَعَهُمْ وَلَيْنٌ قُوتِلُوا﴾ أي وقع القتال على الكفار ﴿لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ ولا يمنعون عنهم ﴿وَلَيْنٌ نَصَرُوهُمْ﴾ أي على سبيل العرض وإن كان محالاً إذ فرض المجالس المحال إن ينصر المنافقون المسلمين في ساعة أخرى لعدم ثباتهم في الرأي فإذا ﴿لِيُؤَلِّبُوا الْآدْبَرَ﴾ أي رجعوا رجع القهقري وعادوا على الأدبار واللام إما لتأكيد عدم الثبات والتمكن أو لتوطئة القسم بأنهم لا يثبتون ولا يتمكنون في النصرة والإعانة ﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ [الحشر: 12] ولا يمنعون العلية عليه من أحد فضلاً عن آحاد وجماعة وأفراد.

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿١٣﴾

﴿لَأَنْتُمْ﴾ يا معشر المنافقين والله ﴿أَشَدُّ رَهَبَةً﴾ مصدر رهبت المبني للمفعول كان قيل (أشد) مرهونة ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ فإنهم كانوا يضمرون المخافة من المؤمنين ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ بأن يخبر عما في صدورهم من النفاق والمخالفة ﴿ذَلِكَ﴾ النفاق وعدم الثبات ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ ليت أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: 13] ولا يعلمون حقائق الأمور ظهراً وبطناً.

الذين هم الكفار من الجن والإنس فيتناول أصحاب البرزخ ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: 20] والجنة أعم من أن تكون جنة التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية وأنهار الجنة الأربعة ذكرت فيما تقدم .

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ وكتاب الفرقان ﴿عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا﴾ متذلاً لعظمه المعنوية ﴿مُتَصَدِّعًا﴾ مشتتاً ومتفرقاً ﴿مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ وقهرمان عظمته ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21] من أنوار آياته وأسرار بيناته توبيخ وتعبير للإنسان على عدم تخشعه وانتفاء تضرعه واختفاء خوفه وتواضعه وعلى قلة تدبيره في معاني الآيات وتفكره في مثال كلماته .

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ﴾ معنى الوجودات الظلية والتبينات الغيبية والعينية ومفضي إلى الكمالات الذاتية والأسمائية ﴿الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: 22] مقتضى السعادات الأخروية والكمالات المعنوية وشهود التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية في العروجات والترقيات .

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾ الذي يملك ملك السماوات النورية والأفلاك الجمالية التي يلزمها التشبيه ﴿الْقُدُّوسُ﴾ المنزه إليها العقول من الأمور الظاهرة النورية الجمالية ﴿السَّلَامُ﴾ المنزه والمبعد عن التنزه الإنساني والتقديس النفساني والتبعيد الروحاني ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر: الآية 23] واهب الأمن والأمان

لأفراد الإنسان في نسب التشبيهاً ورتب التنزيهاً والتقديسات الجسمانية والنفسانية والروحانية على الله الموصوف المتصف لجميع الأسماء أو الصفات إشارة إلى أن مبدأ التشبيه والتنزيه والتقديس هو الله ﴿الْمُهَيَّمُنُ﴾ الرقيب الحفيظ المحيط على كل شيء ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ﴾ الغالب القاهر القوي الذي انعدم نظيره وإنكم نظيره ونصيره ﴿الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الذي تكبر في ذاته وتعظم في صفاته الذاتية والأفعالية والآثارية على وجه المغرم حاجة وانتفع بقضائه ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: الآية 23] به الجهال من الكفار والملائكة والكواكب والعناصر والمعادن والنبات والحيوان والإنسان والعلماء بالله فإنهم وإن كانوا ينزهون الله عما عبده الجهال وعما يكره من الحاجة والنقصان والضلال إلا أنهم قيدوا ذات الله بما اعتقدوا وهو في حد ذاته وكمال أسمائه وصفاته مقدس عن تقديسهم وتسيحهم وتنزيهم.

قال النبي عليه السلام: «أعوذ بالله من الخالق المخلوق»، وإنما قيد الخالق لأنهم يستدلون من المخلوقات وأحوالها إلى ذات الخالق وأوصافها وأسمائها الذاتية والأفعالية والآثارية وكذا عما شاهدوا أهل الكشف والشهود في مشاهد خلواتهم ومراصد معانيهم من أنوار الأسماء والصفات وأسرار الظهورات وأطوار التجليات وأنواع الظهورات وأجناس الحالات وأصناف المقامات فإن ذاته العالية وأسماءه الحسنی وصفاته العليا على ما هي عليه في نفس الأمر مندسة على مدارك العقول وعن تقيدها ما قيد به أهل الكشف والشهود، واعتقد بأن ما رأيت وشاهدته هو الحق، أسمائه وصفاته، وإن كان الكل من الله وإرادته وحكمه وقضائه وحكمته ومشيتته فإن الله هو الكل، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، نعم من وفقه الله تعالى بأن يجعله فانيًا في نفسه في تمام أسمائه وأفعاله وأحواله وحسه وشرّفه بتشريف بقائه أوصال ذاته وصفاته وتمام حالاته فإن في هذه الحال يشاء الحق بالحق في تمام الأدوار وجميع الأكوار بعموم الأطوار في الظلمات والأنوار كما قال: كنت سمعه وبصره. إلخ، قال النبي ﷺ: «رأيت ربي بربي أو بعين ربي».

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ﴾ المخرج للأشياء عن العدم إلى الوجود بلا مادة ومدة أو المقدر بكل ما يمكن بأن يوجد على مقتضى حكمته ومرضى إرادته ومشيته في أدوار فردارية النور والجمال وأكوار فردارية نوبة تنير الظل والجلال ﴿الْبَارِئُ﴾ [الحشر: 24] الذي يبرئ مخلوقاته ويبيدها عن النقص في الخلقة أو في التقدير والتشكيل والتصوير، وأما ما يرى في بعض المخلوقات من النقص والعيب فهو في الحقيقة ليس بعيب ونقص وإن كان في نظر الظاهر عيباً ونقصاً، مثلاً إن الكمامة والعمى والصمامة والعشا وإن كان في الظاهر عيباً إلا أن ذلك الأكمة والأعمى والأصم والأعشى له في كمال ذاته وصفاته وظهورها فيه شرائطه وأسبابه قد ظهرت في هذه النشآت في خصوصية هذه الدورة بهذه الصورة والصفة إذ يظهر كل كمال أحد وشيء نشآت وشؤونات في الأدوار والأكوار الأربعة ولها شرائط وأسباب لا تتناهى، وأيضاً أن العيوب والنقائص والسلوب والنقائص شرائط وأسباب لظهور تقابل الأسماء الإلهية فهي بهذه الحيثية كمالات لا تتناهى لأنها أسباب وشرائط لظهور الكمالات.

﴿الْمُصَوِّرُ﴾ بالصور اللطيفة البرزخية أولاً ثم بالكيفية الجسمانية والأولى أن يجعل الخلق إشارة إلى تحصيل القابليات الثابتة الثانية في المرتبة الثانية وأما الاستعدادات الذاتية المنسوبة إلى الفيض الأقدس فهي في المرتبة الأولى، وقوله عليه السلام: «خلق الله الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه فقد اهتدى ومن لم يصبه فقد ضل وغبى» إشارة إليهما والبارئ إلى تحصيل الصور الأولية العلمية والهيئات الروحية والأشكال الشبحية والهيئات الجسمانية.

﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ وهي إما سبعة ذاتية الحي والعليم والقدير والمريد والسميع والبصير والمتكلم أو تسعة وتسعون وهي مشهورة أو أحد وألف أو الأشياء كلها فإن كل شيء هو اسم من أسمائه يظهر ويتعين بخصوصية وهو وإن كان من وجه نسبته وتعين له إلا أنه من وجه آخر تنزيه ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي الأعيان النورية ﴿وَالْأَرْضِ﴾ [الحشر: 24] أي الأكوان الظلية العدمية ﴿وَهُوَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: 24] فالأول بالنسبة إلى النور والجمال والثاني بالنظر إلى الظل والجلال .

اعلم أن الله عزّ وجل ذكر ههنا أربعة عشر اسمًا إشارة إلى أقسام الأدوار الأربعة النورية فإن كلاً منها ينقسم إلى أربعة أخرى إفرادية وكذا الأكوار الأربعة يقسم كل منه إلى أربعة أكوار إفرادية فيرتقي هذا أيضًا إلى ستة عشر حاصل من ضرب أربعة إلى أربعة بعدد الأسماء والصفات بعضها تشبيهية وبعضها تنزيهية وفي هذه الآية ستة عشر الثلاثة تركيب الأدوار الأربعة مع الأكوار الأربعة وجمعيتها ترتقي إلى ستة عشر، فالمجموع يرتقي إلى أربعة يشير إليه قوله تعالى : حم ح م 4 8 وذكرها في سبعة مواضع إشارة إلى أن مبادئ هذه الأدوار وأربابها هي الأسماء السبعة الذاتية، أربعة منها بالأصالة والاستقلال، وثلاثة منها بالتبع والفرعية . عن النبي ﷺ : «من قرأ سورة (الحشر) عفى الله عنه ما تقدم من ذنبه وما تأخر» .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ امتحن أوليائه واجتراء وابتلاء أجلاته بمودة الأخلاء وبمعاودة الأعداء ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي قلب قلوب الأعداء من العداوة والمخافة إلى المحبة والخلة وألف بين قلوبهم وقلوب المؤمنين لو أنفقت ما في الأرض ما ألفت بين قلوبهم ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي استسن أسوة حسنة ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [المتحنة: 6] ليصلوا إلى مجد غيوبهم ومعهد قلوبهم.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٣﴾﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المُتَحَنِّنَةَ: 1] نزلت في حاتم ابن أبي بلتعة فإنه لما علم أن رسول الله ﷺ أقدمهم أهل مكة وقصدهم كتب إليهم: أن رسول الله يريدكم فخذوا حذرکم، وأرسل معه سارة مولاة المطلب فنزل جبرئيل وأخبر عنه فبعث رسول الله ﷺ عليًا وعمارًا وطلحة والزبير والمقداد وأبا يزيد وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة حاج فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها واخلوا فإذا أبت فاضربوا عنقها. فأدركوها فإذا

أتوها حلفت وجحدت بالله فسل علي السيف فقال: أخرجني الكتاب أو تضعي رأسك فأخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله ﷺ حاطبًا فقال: ما حملك عليه؟ قال: ما كفرت مذ أسلمت ولا عتبتك هنا نصيحتك ولا أحبهم قد فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنعه عشيرته وكنت عزيزًا فيهم وكان أهلي بين ظهرانهم فحسب علي أهلي فأردت أن اتخذ عندهم يدًا وقد علمت أن الله ينزل عليهم بأسًا وإن كتابي لا يغني عنهم شيئًا فصدقه رسول الله وعذره فقدم عمر رضي الله عنه فقال دعني يا رسول الله أن أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ: وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

﴿تَلْقَوْنَ إِيَّاهُمْ بِالْمُؤَدَّةِ﴾ يقضون إليهم المودة بالمكاتبة والمراسلة والباء مزيدة بل هي بمعنى المصاحبة يعني يقضي إليهم المكاتبة والمراسلة حال كونها مستصحبة للمودة والمحبة أو بمعنى السبب أي بسبب المودة الباعثة بها والجملة الفعلية حال من فاعل لا تتخذوا أو صفة الأولياء جرت على غير من هي له فلا حاجة إلى إتيان الضمير لأنه شريط في الأسماء والأفعال ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ حال من فاعل الفعلين ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ جميعًا من مكة، هذه الجملة إما حال من كفروا أو استئناف لبيان كفرهم وظلمهم ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا﴾ كراهة أن يؤمنوا أي كراهة الإيمان والتصدق ﴿بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ ورب السماوات والأرض ورسوله الذي يبين ويظهر مصالح الدين والدنيا فيه تغليب الخطاب على الغيبة والنوبات على الغيبة إلى الخطاب للدلالة على ما يوجب الإيمان والكفر والشرك والعصيان ويرفع الشرك والطغيان ﴿إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ﴾ من أوطانكم المألوفة وأماكنكم المأنوسة المعطوفة ﴿جِهْدًا﴾ أي لأجل الجهاد ﴿فِي سَبِيلِي وَأَبْنِعَا مَرْضَاتِي﴾ طلبًا متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا ولا تتخذونهم أولياء لكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ﴾ شرط جوابه محذوفة دل عليه لا تتخذوا ﴿تُسْرُونَ﴾ استئناف ﴿إِيَّاهُمْ بِالْمُؤَدَّةِ﴾ أي تخفون وتسترون المودة أو بدل يلقون أي لها في أسرار المودة وإخفائها وإعلانها إذ الإخفاء والإعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما وأنا مطلع رسولي على ما تخفون وتسرون ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ من العداوة والنفاق بهم. قيل: أعلم مضارع والباء صلة وما أنا موصولة له أو مصدرية ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ﴾ الاتخاذ ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: 1]



فقد الطريق المستقيم والمريح القديم .

﴿ إِن يَشْفِقُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ  
وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾

﴿ إِن يَشْفِقُوكُمْ ﴾ أي يظفروا بكم فهي يجدون الفرصة والغلبة والنصرة عليكم  
﴿ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ ﴾ فلا ينفعكم إلقاء المودة إليهم  
لأن قلوبهم مشحونة بالبغض والعداوة ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: 2] ارتدادكم  
عن دينكم وترجعوا إلى الكفر رجوع الفهقري، وتعبيره بالماضي للإشعار بأنهم  
ودوا ارتدادكم وكفركم قبل كل شيء .

﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا  
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ ﴾

﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُهُمْ ﴾ [الممتحنة: 3] أي ملاحظة منافع قراباتكم ﴿وَلَا﴾  
محبة ﴿أَوْلَادُهُمْ﴾ التي بمكة فيحملنكم إلى خيانة رسول الله إلى أعدائه وموالاة  
أصحابه وأحبابه وترك مؤاخذه المؤمنين ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ﴾ بإدخال أهل  
الطاعة في الجنة وإدخال الكافرين والمنافقين في النار ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾  
[الممتحنة: 3] .

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا  
مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ  
أَبَدًا حَتَّىٰ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَعْفِفَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ  
مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ ﴾ قدوة وعادة ﴿حَسَنَةٌ﴾ اسم ما يتأثر به ويشني عليه أي  
فيهم مذهب حسن وطريق واضح بين بأن يأتي ويتبع ويقتدي أثرهم ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾  
الخليل وملته وطريقته ودينه، و(حسنة) صفة ثابتة ل(أسوة) وخبر كان و(لكم)  
ظرف أو حال من المستكن في (حسنة) أو صلة لها لا صفة ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ اتبعوا  
معه من أمته ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾ ظرف لخبر كان ﴿إِنَّا بُرَءُؤُا﴾ [الممتحنة: 4] جمع بريء

كظريف وظرفاء وأمين وأمناء أي بعيد ﴿مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأوثان والأصنام المصنوعة والمنحوتة ﴿كَفَرًا يَكُفِّرُ﴾ وبدينكم أو بعبوديتكم فلا يقرن بما لكم ولا يعتد مثالكم وبما تقيدتم ولا يعتقدوا بالهتكم بل جحدنا بها كلها ﴿وَبَدَأَ بَيْنَنَا﴾ وظهر لدينا ﴿وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾ أو سبب عداوتهم والعلة الباعثة على البعض في الكل والبعض وهو الكفر والشرك فما دامت هذه العلة قائمة والمخالفة قائمة كانت العداوة والمبغضة لازمة ﴿حَقًّا﴾ إن زالت العلة ﴿تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ ورسوله ولكل ما جاء به ونزل عليه فحينئذ تبدلت المبغضة محبة والعداوة مودة فانصحوا الخلة، وأوضحوا المودة عن محض الإخلاص وفرط الاختصاص ﴿وَعَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ استثناء من قوله أسوة حسنة ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ مفعول في قول إبراهيم ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من أمور النجاة سوى الاستغفار أي لا أقدر على دفع العذاب عنك بالشفاعة وليس من أمر سوى الاستغفار ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ وجعلنا لك وكيلاً لنا في الأمور الدينية والسرور الدينية الدنياوية كلها ظاهر وباطن صورة ومعنى، وفوضنا الأحوال إليك ﴿وَالَيْكَ أُنَبَّأْنَا﴾ ورجعنا وعطفنا ﴿وَالَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: 4] أي رجوع كل الوجود وأمر الإدراك والعلم والشهود وأعمال الطاعات وأفعال العبادات من القيام والركوع والسجود، وكذا منادي هذه الأعمال من البدن والنفس والقلب والروح والفعل وغير ذلك من أجزاء الموجود منحصر عليك.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ منسوبة ومنتسبة ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الممتحنة: 5] وإن تسلطوا علينا فبثوا شيئاً وتفرق أوقاتنا وتمزق أحوالنا وجمعنا بإيراد أمور لا تتحمل ﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾ من فرط وتجاوز عن سيئاتنا وخطب وعلبط ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ القوي الغالب على أمره في دورة دورة وكورة كورة إفرادية ظاهراً وباطناً صورةً ومعنىً ومن كان كذلك ولايقاً وشفيقاً بأن يفوض إليه الأمور كلها وبحسب الدواعي والدعوات جميعها سيما دعوات المضطرين أي بحسب المضطر إذا دعاه ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: 5] الذي يعلم الأشياء على ما هي عليه ويفعل كما هي لديه

الأعمال القوة النظرية والقدرة العملية على ما يقتضيه كمال حكمته ووفور قدرته وإرادته.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ﴾  
﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾ أي في إبراهيم ومن كان معه من المؤمنين ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ على ما يقتضيه طور دور النور والجمال وبموافقة الظل والجلال ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ ولقائه ويتمنى بل يرتجي الوحي ولقائه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ حال على أنه لا ينبغي لمؤمن أن يترك الناس والافتداء به وإن تركه نودي ويؤذن سوء العاقبة ولذا عقبه بقوله ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ من الناس وأعرض عنه وترك الافتداء بأسوته الحسنة ونسبته السيئة لا يضر الله ولا يسوؤه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الممتحنة: 6] لما نزلت هذه الآية عادى المؤمنون أقرباءهم الكافرين وجعلهم المشركين بالله وفي الله وأظهروا فيهم العداوة والبغض والبراءة، قال النبي عليه السلام: «من أحب الله وأبغض الله وأعطى الله فقد استكمل الإيمان».

﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ﴾  
﴿عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ يا معشر الإسلام ومباشر الأعلام والأحكام ﴿وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾ من مشركي مكة ﴿مَّوَدَّةً﴾ إذ وفقهم الله للميل إلى الإسلام وللميل إلى المؤمنين بالإيقان والأحكام ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على قلب القلوب وتفريق الكفر والمعاصي والذنوب وتغليب فرق المسلمين على الكافرين عند الحروب ويؤلف بين قلوب الفريقين بالتقريب ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ مجاوز على السيئات المتقدمة ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: 7] لمن آمن بإعفائه ما جرى وإبراء ما بلي أوان الكفر وزمان الشرك والبغي، فمن الله على المؤمنين بأن جعل أكثرهم مؤمناً فصاروا لكم أولياء وإخواناً خالطوكم وتناكحوا، فتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان رأس ورئيس الكفار، وكانت تحت عبد الله فكانت في جيشه فمات زوجها فيها فبعث

رسول الله إلى النجاشي فيها ليخالطها عليه فقال النجاشي لأصحابها: من أولاكم بها؟ قالوا: خالد بن سعيد بن العاص، فقال النجاشي لخالد: فزوجها من نبيكم، ففعل ومهرها النجاشي أربعمائة دينار، فبلغ سفيان وهو يومئذ مشرك.

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿٨﴾

﴿لَا يَنْهَكُمُ﴾ عن القوم ﴿اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ وقصدوا تعطيل أحكامه وتبطيل أعلامه ﴿وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ أي لا ينهاكم الله عن تبرئة هؤلاء المذكورين وتبعيدهم أو لأن قوله: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ﴾، ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ ويفضوا إليهم ويحاول الأمور لديهم بالقسط والعدل والإنصاف ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8] القائمين بالقسط والاعتدال العادلين في القضايا والأحكام البادئين جهدهم في الاقتصاد وإظهار حسن العقيدة وصفاء الاعتقاد، نزلت بين حذيفة وسراقة بن مالك بن جشم وبنو مدلج كانوا صالحوا النبي ﷺ أن لا يقاتلوه أو في أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك أن أمها قالت لجماعة من المشركات لا أقبل منكن هدية ولا تدخلن علي بيتي حتى أستاذن النبي ﷺ، فنزلت فأمرها رسول الله أن يدخلوا منزلها وتقبل منهن الهدية وتحسن لهن.

﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٩﴾

﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا﴾ أو تناصر ولو استنصروا واستظهروا ﴿عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾ من الوطن المألوف والمعطن المعلوم وهم مشركو مكة فإن بعضهم قد سعوا في إخراج المؤمنين وبعضهم أعانوا المخرجين ﴿أَن تَوَلَّوهُمْ﴾ بدل من (الذين) بدل الاشتمال ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ﴾ ويظاهرونهم ويعاضدونهم في إبطال الدين وإعطال أحكام وإضلال أعلامه ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ الساعون والفرق المانعون ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: 9] بوضعهم السعاية وجعلهم الإعانة والرعاية في غير موضعها.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ  
بِإِيمَانِهِنَّ ۗ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ  
يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَايْتُمُوهُنَّ  
أُجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ وَسَّئِلُوا مَّا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُم مَّا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ  
حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ﴾ حال كونها مفارقاتٍ ومتباعدات عن أوطانهنّ قال ابن عباس: أقبل رسول الله معتمراً حتى إذا كان الحديبية صالح مشركو مكة على أن من أتاه من أهل مكة رده عليهم ومن أتى مكة من أصحاب الرسول فهو لهم ولم يردوه عليه وكتبوا كتاباً بذلك وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبى ﷺ بالحديبية وأقبل زوجها مسافر بن مخزوم وقال مقاتل أن هو صيفي بن إبراهيم في طلبها وكان كافراً وقال: يا محمد إن رددت علي امرأتي فإنك شرطت لنا أن ترد علينا من أتاكم منا وهذه طية الكتاب لم يجف بعد فأنزل الله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ﴾ من دار الكفر إلى دار الإسلام ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ امتحانهن بالحلف والنظر في الأمارات لتغلب على ظنونكم صدق إيمانهم، وكان رسول الله ﷺ يقول للممتحنة: «بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا خَرَجْتَ مِنْ بَغْضِ زَوْجٍ، بِاللَّهِ مَا خَرَجْتَ إِلَّا حَبًّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ»، ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ صادقات الامتحان هو الابتداء بالحلف والحلف لأجل غلبة الظن بإيمانهن، أي فإن علمتموهن بالعلم الذي هو عبارة عن الظن الغالب بالحلف وغيره من ظهور الأمارات وصدور العلامات فلا ترجعوهن إلى الكفار وأزواجهن الكفرة إذ الشرط إنما كان للرجال دون النساء وأيضاً فارق بينهن وبين الإسلام فلم يبق بينها وبينهم علاقة الزوجية فقد خرجن عن حكم الشرط ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنفَقُوا﴾ وأعطوهن من المهور والمتعة والنفقة والكسوة ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في هذه الحالة ﴿أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ من غير أزواجهن المؤمنات المسلمات فإن الإسلام حال منهن وبين أزواجهن الكفار ﴿إِذَا ءَايْتُمُوهُنَّ أُجْرَهُنَّ﴾ [المُتَحَنَّة: 10] بشرط إتيانهم المهر في نكاحهن إيداناً بأن ما أعطى

أزواجهن لا يقوم مقام المهر فإن المهر أجر البضع ﴿وَلَا تُسْكُوا بَعْضَ الْكَافِرِ﴾ أي بما يعتصم ويتحفظ به الكافرون وينفقون ويفتخرون به المشركات من عقد ونسب جمع عصمة وهي الصيانة والحفظ والوقاية والصيانة عن الزنا والكبائر وكما تقرر من أن الأنبياء معصومون من الكبائر والأولياء غير معصومين لا من الصغائر ولا من الكبائر أي لا يعتبر عصم الكفار لانتفاء ما هو أصل المنع وهو الإيمان ﴿وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ لنساء من المهر إذا منعوها وامتنعوا من إعطاءهم لها إياه فعليهم أن يقدموا صداقها هنا عبارة الإمام الرازي في التفسير، هذا خلاف الحكم الظاهر والمراد إنكم إذا أسلمتم وأزواجكم يحلفن منكم وقد أخذن منكم مهورهن فعليكم أن تسألوا ما أنفقتن لأزواجكم من المهور منهن وعليهن أن يرددن ما أخذن منكم ﴿وَلَيْسَأَلُوا﴾ واطلبوا من الكفار ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ من مهور أزواجهن المؤمنات المهاجرات ﴿ذَلِكُمْ﴾ الذي ذكر عليكم من طلب المهور ﴿حُكْمُ اللَّهِ﴾ وأمره وقد تلى عليكم ﴿يَحْكُمُ﴾ ويبين ويقضي عليكم ﴿بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة: 10] يحكم على مقتضى علمه وحكمته .

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ﴾ أيها المؤمنون وسبقكم وانقلب ﴿شَيْءٌ مِّنْ﴾ أخذ ﴿أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ﴾ أي فجاءت عاقبتكم ونوبتكم بشبه ما حكم به على المؤمنين والكافرين من أداء هؤلاء المهور نساء أولئك تارة ونساء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون به كالتعاقب في الركوب وغيره معناه فجاءت غيبتكم ونوبتكم في أداء المهر كما سبقوا بكم يقال عقب وعاقب وأعقب وتعاقب إذا اغتتم معنى إذا غزوتهم وأصبتم من الكفار عقبى وهو الغنيمة وكانت العاقبة لكم ﴿فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ [الممتحنة: 11] عليهن من الغنائم التي صارت في أيديكم من أموال الكفار وقيل تعاقب المدينة أي قبلتموها . قال ابن عباس: كان جميع من لحق المشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة إلى الإسلام ست نسوة: أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن الشداد الفهري، وفاطمة بنت أمية المغيرة أخت أم سلمة كانت تحت عمر رضي الله عنه فلما أراد أن

يهاجر أبت وارتدت، وروح بنت عتبة كانت تحت شماس بن عثمان وعمرة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمر بن عبد ود وهند بنت أبي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل وكلثوم بنت خزول كانت تحت عمر رضي الله عنه وأعطاهم الله ورسوله مهور نسائهم من الغنيمة ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَشْرَبَهُمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [الممتحنة: 11].

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٢)

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [الممتحنة: 12] الآية، ذلك يوم فتح مكة لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه وهو يبايع بأمر رسول الله ﷺ ويبلغهن عنه وكانت هند بنت عقبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها فقال النبي ﷺ للنساء: «أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين بهتان تفترينه» فرفعت هند رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال، وبايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط، فقال النبي ﷺ: «ولا يسرقن»؟ فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصبت من ماله منيات فلا أدري أتحل لي أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما عبر فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها: إنك هند بنت عقبة قالت: نعم، فاعفِ يا رسول الله عما سلف عفا الله عنك فقال: «ولا تزنين!» قالت هند: أو تزني الحرة! قال لها: «ولا تقتلن أولادكن»؟ فقالت: ربيناهم صغاراً وقتلناهم كباراً. وكان ابنها حنظلة من أبي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله ﷺ.

﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ وهو أن تقذف ولداً على زوجها وليس منه فقالت هند: والله إن البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم

الأخلاق ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أي لا يخالفك النسوان في أمر موصوف وشيء مرضي حسن معروف فقالت: ما جالستنا مجلسًا هذا في أنفسنا أن نعصينك فأقر النسوة بما أخذ عليهن روي أن النبي ﷺ كان يبايع النساء بأن دعا قدحًا من الماء فغمس يده فيه ثم غمس إحداهن فيه مع غير المصافحة بخلاف الرجال، والتقييد فالمعروف مع أنه ﷺ لا يأمر إلا به تنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق ﴿فَبَايَعُنَّ﴾ إذا بايعتك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الأشياء ﴿وَأَسْتَفِيرَ هُنَّ اللَّهُ﴾ يا محمد فيما سلف ومضى ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ ومتجاوز عما تقدم من المعاصي والسيئات في حقوق الله وحدوده ﴿رَجِيمٌ﴾ [الممتحنة: 12] فيما سيأتي بالتوفيق لاكتساب أسباب السعادة في النشاطين .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْأُوا مِنْ  
الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَوَلَّوْا قَوْمًا﴾ ولا تتخذوهم أولياء ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لا يعتمد عليهم في أمر من الأمور لانقطاع أسباب المودة ولانقلاب أبواب المحبة وسدها لأنهم قد غضب الله عليهم ومن غضب الله عليهم لا يفلح أبدًا ولا يصلح لأن يعتمد فردًا ولا يعتقد أحد من المؤمنين فارتفع الوثوق عليه والاعتماد فاندفع الاتكاء عليه والاعتداد ﴿قَدْ يَسْأُوا مِنْ الْآخِرَةِ﴾ ونعيمها ويئسوا الشؤونات مكانها ونارها وماء حميمها وزقوم جحيمها بإنكارهم بها وكفرهم وجحدهم لها أو تعلمهم بأنه لا حظ لهم بعنادهم الحق وإنكارهم لكل ما آمنه إليهم من الأنبياء والكتاب والشرائع ﴿كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ﴾ من أمواتهم وأعيان أمواتهم من البعث والرجوع إلى الدنيا واكتساب سعادتها المتضمنة للسعادة الأخروية ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: 13] بيان وضع مظهر موضع الضمير للدلالة على أن قبائح كفرهم ووقائع تركهم وإشراكهم قد آيسهم عن النبي ﷺ ومواعيده . عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الممتحنة) كان له المؤمنون شفعاء يوم القيامة» .



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي صيّر الحقائق الإلهية والماهيات الكونية في معاهد العهود ومقاعد الشهود صفًا صفًا ليشاهدوا ذاتًا ووصفًا ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي خلقهم للدين القويم أنصارًا وعلى الطريق المستقيم أحيانًا وعضائدًا أحرارًا آماذًا وأدوارًا ودهورًا وأعصارًا وأكوارًا لتبقى آثار أنوار حكمته وأسرار بدائع مصانع مبدعه ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي صيّر مبارزي المجاهدين وصفًا إليك المكاشفين والمشاهدين في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص وبرهان منصوص .

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ من الجواهر المجردة والفواخر المخردة والأرواح المصردة والنفوس العاملة المقدسة والأشباح المؤسسة ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي الأجرام السماوية الشهادية والأجسام الملكية المادية العنصرية من الملائكة المدبّرة والطباع المغيّرة والكواكب الثابتة والسيارة والنفوس الأرضية والصورة النوعية المعدنية والنباتية والحيوانية في الدورة الكبرى النورية الجمالية أو المراد من السماوات من الأدوار الوجودية الجمالية وبما فيها من الأعيان النورية من العقول والأرواح المنسوبة إلى الأدوار ومن الأرض هي الأكوار العدمية الجلالية ومن فيها هي الأكوان الظلية الضمنية وهي الأهرمينات والأغوال والشياطين والجن والمولودات الجنية ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القاهر الغالب القادر على إبداع ما في السماوات النورية ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الصف: 1] العليم الذي اخترع ما في الأرض وهي

عالم الأجسام من الأفلاك والكواكب والعناصر وما يتركب منها .  
ويحتمل أن يكون المراد من السماوات هي الدورة الكبرى والعظمى النورية وهي الأرض من الدورة الوسطى والصغرى النورية ويجوز أن تكون سماوات الأدوار الأربعة النورية وأرض الأكوار المربعة الظلية وأن يكون المراد من السماوات المراتب العالية كاللاهوت والجبروت والملكوت التي أعيانها محكمات ، ومن الأرض المراتب النازلة والمدارك السافلة كالبرزخ وعالم المثال والشهادة وعالم الملك وأعيانها وهي المثل النورية والأشباح الظلية والسماوات الحسية والكواكب الثابتة والسيارة والعناصر ، وما يتولد منها من المعادن والنبات والحيوان والإنسان فهي متشابهات ، ولذا اختار في السبحات الثلاثة الأولى سبج بلفظ الماضي ، وفي سبحات الآخرين بلفظ المستقبل بشأن الأعيان الأولى وتفسير الثانية .

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في الأدوار الأربعة الإفرادية النورية الصريحة المتقدمة ﴿لِمَ تَقُولُونَ﴾ في هذه الأدوار المذكورة بلسانِ النور والجمال ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّف : 2] .

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصَّف : 3] لعدم مطابقة مرتضى الجلال بمقتضى النور والجمال .

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُفْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَ

مَرَّضُونَ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُفْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ حال كونهم مصطفين أو صافين ثابتين في مقام عينهم الرسول في يوم أحد يدل على فضل القتال والجهاد راجلاً إذ الفرسان يصطفون على هذه الهيئة والنعمة والصفة بأن يكونوا ﴿كَانَهُمْ بَيْنَ مَرَّضُونَ﴾ [الصَّف : 4] ولذا خالفوا أمر الرسول يوم أحد عامدين إلى الغنائم تاركين المركز المعين فخالف قولهم فعلهم وسرى أثر المخالفة إلى أن انكسر الإسلام وهزم المسلمون حتى صرع الرسول وشج في وجهه وكسرت رباعيته

قوله: ﴿صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ مَّرْصُوضٌ﴾ [الصّف: 4] حالان متداخلان قيل نزلت في المنافقين والبعض من جماعة المؤمنين .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ لِمَ تُوذُونَنِي﴾ بالعصيان والرمي بالأدرة ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ وقد بعثت وأرسلت إليكم والرسول من الله لا يكون مصابًا سيما بعيب قبيح أي والحالة إنه قد ثبت في علمكم بطريق النظر والاستدلال من الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة كاليد البيضاء والعصا وهلاك فرعون وجنوده وغير ذلك قالوا صدق رسالتي ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ ومالوا عن قبول الحق ومالوا ما قالوا في حقه وطالوا في الإيذاء ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ وصرفها عن قبول الحق يعني أن صرف الحق قلوبهم عن قبول الحق والعمل بمقتضى العلم متفرع ومرتب على ربع قلوبهم وانصرافها أو بالعكس ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصّف: 5] الواضعين الأمور في غير موضعها .

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا

سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وإنما قال: يا قوم، كما قال موسى لعدم تحقق النسبة بهم إذ الانتساب إنما يكون من جانب الأب ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ وحامل وجه وقابل نوايس إليكم ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ ومحققًا لما ثبتت دونه ولديه من التوراة ﴿مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي﴾ بزمان وبرهة في أوان ﴿اسْمُهُ﴾ الذي سماه في السماء ﴿أَحْمَدٌ﴾ وفي السماء أحمد وفي الأرض محمد وفي تحت السماء محمود وفي الجنة قاسم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ عيسى لدعوتهم إلى الحق ﴿بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا﴾ الذي جاء به من البيّنات وظهور المعجزات وإظهار خرق العادات ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصّف: 6] أي يرى في الظاهر ما يوقعه في الخيال أمرًا خارقًا لظاهر العادات .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بأسمى كلامه وكلما جاء به من المعجزات سحرًا ﴿وَهُوَ يُدْعَى﴾ عباد الله وعموم الخلق ﴿إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ وهو الدين والصراط المستقيم الذي يوصل الخلق إلى الحق ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي﴾ ولا يوصل ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصف: 7] المتجاوزين عن الطريق المستقيم والسبيل القويم الواضعين الطريق الباطل في موضع الحق وأخفوا الحق.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ ويبطلوا طريق الحق الواضح الحقيقية البيضاء ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بأن قالوا هذا سحر مبين، مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفى نورها ويخفي ضوءها إشعارًا بسخافة رأيهم ورداءة عقولهم ورؤيتهم، وإنما زبدت اللام لما فيهن معنى الإرادة تأكيد كما زبدت في أنا لك لما فيهن معنى الإضافة تأكيد لها ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: 8] إرغامًا وتهكمًا وإقحامًا لهم.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

المشركون ﴿٩﴾﴾

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ محمدًا ﴿بِالْهُدَىٰ﴾ بالقرآن أو المعجزة بكمال بلاغة القرآن ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ والملة الحقيقية البيضاء وهي الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ وتغليب على جميع الأديان ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: 9] لما فيه من كمال التوحيد وإبطال الشرك والتحديد وإنما ذكر الباقين بعبارات مرتبة وإشارات متقاربة بأن قدم لهؤلاء وهو النفس ثم الظلم ثم أردفه بالأخص وهو الكفر وبأخص الأخص وهو الشرك تلويحًا بأنهم جامعون لتمام أنواع الأباطيل ورداءة أصناف الأقاويل وفسادها بأسرها وينحصر الأباطيل.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَؤُاْ عَلٰى تَجَرَّرِ نُجِحِكُمْ مِّنْ عَذَابِ اَلِمِ ﴿١٠﴾﴾

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَؤُاْ عَلٰى تَجَرَّرِ﴾ ومعاقله مريحة ﴿نُجِحِكُمْ﴾ [الصف: 10]

وتخَلِّصْكُمْ ﴿مَنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: 10].

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّكُمْ  
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ استئناف كأنهم قالوا ما التجارة؟ وكيف نعمل ونعامل في هذه التجارة؟ قَالَ: تَوَّعُّبُونَ بِاللَّهِ خَيْرٌ بِمَعْنَى إِشَاءٍ وَلِذَا أُجِيبَ بِقَوْلِهِ ﴿وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ أَي أَنَّ التَّجَارَةَ مِنْ مَجْمَعِ مَثَبِ الْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ وَإِنَّمَا جِيءَ بِالْخَبْرِ إِيْذَانًا بِأَنَّهَا مِمَّا لَا يَتْرَكَ أَصْلًا ﴿ذَلِكَ﴾ الَّذِي ذَكَرْتَهُ مِنْ نَوْعِي التَّجَارَةِ ﴿خَيْرٌ لِّكُمْ﴾ وَأَنْفَعَكُمْ فِي الدَّارَيْنِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: 11] أَي إِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ.

﴿يَعْفَرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي  
جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾

﴿يَعْفَرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ جَوَابٌ لِلأَمْرِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ بِلَفْظِ الْعِلْمِ أَوْ الشَّرْطِ، وَالِاسْتِفْهَامِ دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ تَقْدِيرُهُ إِنْ تَوَّعُّبُوا وَتُجَاهَدُوا أَوْ هَلْ تَفْعَلُونَ إِنْ أَدَلَّكُمْ يَغْفِرُ لَكُمْ، وَيَبْعَدُ جَعَلَهُ جَوَابَ ﴿هَلْ أَدَلَّكُمْ﴾ لِأَنَّ مَجْرَدَ دَلَالَتِهِ لَا يُوجِبُ الْمَغْفِرَةَ ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ [الصف: 12] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «هِيَ نَصْرٌ مِنْ تَوَلَّعَهُ فِي الْجَنَّةِ، فِي ذَلِكَ الْقَصْرِ سَبْعُونَ دَارًا مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ فِي كُلِّ دَارٍ سَبْعُونَ بَيْتًا مِنْ زَمْرَدٍ خَضْرَاءَ وَفِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ مَائِدَةً عَلَى كُلِّ مَائِدَةٍ سَبْعُونَ لَوْنًا مِنْ كُلِّ طَعَامٍ فِي كُلِّ بَيْتٍ سَبْعُونَ ضَيْفًا وَضَيْفَةٌ قَالَ فَيُعْطِي اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْقُوَّةِ فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ مَا يَأْتِي عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ» الْحَدِيثُ.

ولا يَخْتَلِجُنَّ بِبَالِكٍ أَنْ هَذَا وَأَمْثَالُهُ مِمَّا يَسْتَبْعِدُهُ الْعَقْلُ وَيَسْتَحِيلُهُ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا كَانَ قَادِرًا عَلَى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْحَسِيَّةِ الْمَثَالِيَةِ وَالْقُدْسِيَّةِ وَالْأَفْلَاقِ الْجَبْرُوتِيَّةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَفْلَاقِ وَالْعُقُولِ وَالْأَرْوَاحِ وَالنَّفُوسِ وَالْأَشْبَاحِ وَأَرْبَابِ الْأَنْوَاعِ وَطِبَائِعِ الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ وَالْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ وَالثَّابِتَةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُ عَدْدَهَا وَلَا عَظَمَتَهَا وَلَا مَقْدَارَهَا وَكَيْفِيَّتَهَا وَكَمِّيَّتَهَا وَوَضْعَهَا وَتَأْثِيرَهَا وَحَرَكَتَهَا وَمَقْدَارَهَا وَمَدَارَهَا وَأَفْلَاقَهَا الْغَيْرِ الْمَتَنَاهِيَّةِ إِذْ لَمْ يَقُمْ

برهان عقلي على أن الكواكب الثابتة بأسرها ثابتة ومعرفة في فلك واحد بل ذهب جم غفير إلى جواز أن يكون الكل كوكب من الثوابت فلك مستقل وتكون أجرامها متساوية الجهات والمقدار متسامية المراكز والأقطاب متطابقة الأقطار متوازية المناطق والمجاوز، فإذا يرى من مجموع حركة واحدة وغير ذلك مما بعدها العقول الضعيفة مستعدة مستحيلة ممتنعة بكون لا محالة قادرًا على المناظرة وأحوالها الغريبة العجيبة ولا عبرة للفعل وأحكامه، ولما كان للفعل في هذه الأمور والأحوال راحلة وفي إدراكها عاجزة في كونها محسوسة، كان في الآخرة وأحوالها دجل وعجز وجهل، على أن طريقة الأنبياء في كل ما أخبروا عنه من أمر تعبدي لا يهتدي إليه العقل كما قال النبي ﷺ: «العقل لإقامة العبودية لا لإدراك سر الربوبية».

فإذن لا بد وأن يكون إدراك هذه الأمور الغريبة والأسوار العجيبة قوة أخرى وراء العقل وهي الكشف الصحيح والشهود الصريح والذوق الفصيح ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: الآية 22]، «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا»، فإذا طبيعة العاقل أن يعقلها أولاً في إدراك أمور الآخرة الأنبياء والأولياء والحكماء الإلهية الذين أيدهم الله بالوحي والتنزيل بالكشف الصحيح والتأويل بحسن الظن والقبول إلى أن يأتيهم الله من بركات آثار أنوار خصائص شرف حجتهم وظرف حسن هدايتهم والافتداء بهم عين اليقين وحق اليقين ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ [التكاثر: الآيات 5 - 7]. قال النبي ﷺ: «اصحبوا مع الله فإن لم تستطيعوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله ليوصلكم وكان صحبتته إلى الله من سره أن يجلس مع الله فليجلس مع أهل التصوف»، وأيضاً: «ارغبوا في دعاء أهل التصوف وأصحاب الجوع والعطش فإن الله ينظر إليهم ويسرع في إجابتهم» ﴿ذَلِكَ﴾ الإدخال والدخول في الجنة هو ﴿الْفَوْزَ الْعَظِيمَ﴾ [الصف: 12] والجوز الكريم.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ ولكم في هذه النعم المذكورة والمنح المزبورة نعمة أخرى وهي ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: 13] و﴿أُخْرَى﴾ مبتدأ أو (نصر) ما في خبره

و(أخرى) منصوبة بمقدر بعدكم أو تفتحون وهو فتح مكة أو فارس والروم وغيره، في (تحبونها) نوع من التوبيخ على محبة العاجل ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: 13] عطف على مضمرة مثل: قل يا أيها الذين آمنوا، وبشر، أو على يؤمنون لأنه في المعنى بمعنى الإنشاء كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبتكم الله وينصركم وبشر يا محمد المؤمنين بذلك عاجلاً وآجلاً.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [14]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله وبمحمد وبما جاء إليكم ﴿كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾ وأعوانه وإظهاره في الدين الحق وهو الإسلام أي قل لهم ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ﴾ وهم اثنا عشر ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ وجنودي وعساكري وأعواني متوجهين إلى نصره الله وإعانته ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ أي أنصار الله وأعوانه لإظهار دينه وتزويج أصحاب كمال الإيمان به وقوة أهل يقينه. وعن كعب: أن الحواريين قالوا لعيسى: يا روح الله هل بعدنا من أمة قال: نعم، أمة محمد حكماء وعلماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق والله يرضى منهم بالعمل اليسير، من الحوار وهو البياض ﴿فَآمَنَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بعيسى ﴿وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ﴾ [الصف: 14] كثيرة فهم به وبما جاء به كتاب إنجيل كما جرت العادة الإلهية وسنته المستمرة بأن توقف البعض بالإيمان والبعض الآخر بالكفر لظهور الإيمان فالأشياء تتبين بأضدادها كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِرْتُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: 2]، ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: 14] غالبين بتأييد الله ونصرته عليهم.

قال النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الصف) كان عليه الصلاة والسلام مصلياً مستغفراً له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيق صدق».





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي شرف يوم الجمعة على سائر الأيام لأنه جمع فيه أنوار خصائص الأسماء السبعة الذاتية ودفع لديه نصاص أسرار الصفات الأولية والأخرية ولذا تمت الصورة النوعية والهيئة الجمعية الإنسانية بعد عصره في الدنيا العظمى النورية الوجودية الجمالية الإفرادية في الحضرة العلمية ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذي أخرج وزاد في الأعيان الثابتة وذراري الصور العلمية عن قعر بحر محيط الهوية الذاتية إلى ساحل أصلاب الأنوار الإلهية والجواهر النورية وأدرج لطائف النطف الحقيقية الغيبية في رحم أعيان الدورة الكبرى في فردانية الصفة الخفية في سماوات عالم الملكوت وفي تربية القدرة في الدورة الوسطى هبطت إلى أفلاك عالم البرزخ وفي الدورة الصغرى النورية في فردانية فردانية المحمدية إلى أفلاك عالم الملك والشهادة إلى مركز هيئة جمعية الناسوت ﴿الرَّحِيمُ﴾ الذي صور تلك الذراري عن مركز حصص الجمعية الكبرى إلى ذروة البرزخية الصغرى ومنها إلى الأفق المتين الروحي وإلى الأفق الأعلى العقلي إلى أوج البرزخ الأعلى وقلة الأحدية الجمعية الأولى بعد تجريدها عن كثرة التعينات الأخرى والأولى إلى أن تعطلت عنه تمام القيود وأحكام الجهات والحدود في يوم السبت الأحدي .

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ﴾

الْحَكِيمِ ﴿١﴾

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الجمعة: 1] البرزخية في الدورة الوسطى في

فردارية اسم القدير من الأشباح النورية وأرباب الأنواع وأصحاب الأجناس من طبائع البهائم والسباع ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الخيالية وهي الهيولى المقداري التي يعقل أولاً الصور اللطيفة المثالية ثم يتوسطها الصور الكشفية الجسمية وأعيان هذه الحضرة هي المثل النورية والأرباب النوعية والأشباح الخيالية ﴿أَلَيْكِ﴾ المالك في الدورة العظمى النورية الحاكم على أعيانها العلمية والماهيات الأولية بلسان الظاهر والتشبيه ﴿الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: 1] إشارة إلى أنواع الدورة الوسطى وهي أربعة فإن كل دورة من الأدوار الأربعة النورية أعني العظمى والكبرى والوسطى والصغرى إلى أدوار أربعة أخرى وأسماءه هي هذه والمراد إنما يحصل بالإضافة والتقييد مثل دورة عظمى الوسطية وكذا الكبرى والوسطى والصغرى.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ أي العرب لأن أغلب العرب لا يقرؤون ولا يكتبون ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ يكون بعضاً منهم مثلهم في كونه أمياً ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويظهر قلوبهم من الشرك والكفر والنفاق والبهتان والافتراء والإفك والشر والضير والمضر وقد وقع سبعماية آية هي: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا﴾ أي بعثه رجلاً في قوم أميين وهو محمد ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي القرآن والحكمة والشريعة وكيفية العمل والسنة ومعالم الدين من المفعولة والمعقولة والحكمة النظرية والعملية ولو لم يكن سواه معجزة لكفاه ﴿وَإِن كَانُوا﴾ أي الأميون المبعوث إليهم ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي قبل البعث ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: 2] وفي الضلال والظلمة المهين وهو بيان لشدة احتياجهم إلى نبيٍّ مرشد ووليٍّ معين يرشدهم إلى ما هو وسيلة لسعادة النشأتين ودولة الدارين وإزاحة لما يتوهم أن الرسول يعلم ذلك من معلم وإن هي المحققة بدليل اللام.

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة: 3] مجرور عطف على (أميين) أو منصوب معطوف على معطوف في (ويعلمهم) أي ويعلم آخرين لأن التعليم إذا

تناسى وتتابع إلى آخر الزمان كان كله مسنداً إلى أوله فكأنه قيل هو الذي كل ما وجد من التعليم وهم الذين جاؤوا بعد الصحابة إلى يوم الدين ويستند الكل إليه لما يلحقوه أن الرسول يعلم الأميين ويعلم طايعين أخرى لم يلحق بهم بعد سيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم قيل لما نزلت؟ قيل: من هم يا رسول الله؟ فرفع يده ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء» قيل: هم الذين يتابون إلى يوم القيامة ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: 3] الغالب على بعثه رجلاً أميناً من الأمر الخارق للعادة أو على ما تأييد عليه أو اختياره إياه من بين كافة البرايا الحكيم الحاكم في اختياره وتعليمه.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٤﴾

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ وتعلق حكمه ومشيبته إنه تفضيلاً وإفضالاً ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: 4] والإحسان العميم الذي يحقره دونه نعيم الدنيا كلها وكريم الآخرة جلّها، فخصص الله به محمداً وأمه الأنبياء وتبعه الأماناء.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٥﴾

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ﴾ أي حمل عنهم الثوراة وعلموها وكلفوهم العمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ حق الحمل هو العلم بها وبأحكامها والعمل بمقتضاها لم يتبعوا بما فيها من الخصائص واللوازم ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ جمع سفر وهو الكتاب فإنها يتعين بحملها ولا يتبع بها حال من الحمار الفاعل فيها معنى المثل أو صفتها إذ ليس المراد من الحمار معيماً ﴿بئسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الدالة على نبوة محمد وصحة دعواها والموصول صفة القوم والمحذوف المخصوص بالذم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: 5].

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ

فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٦﴾

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾ [الجمعة: 6] مالوا إلى المواقع كالمراعي والمواشي

وتهودوا وتعوذوا بالموانع ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾ وأحبأوه فقط ﴿مَنْ دُونَ النَّاسِ﴾ أي غير سائر الناس يعني مختصون ومتخصصون بولاية الله ومحبهه ﴿فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ﴾ واطلبوا منه الموت ليوصلكم إليه وينقلكم لديه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: 6] أي في دعوكم وزعمكم والحال:

﴿وَلَا يَمَنَّوَنَّهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

﴿وَلَا يَمَنَّوَنَّهُ﴾ أي لا يطلبون الموت ﴿أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي بسبب تقديمكم الكفر والمعصية بصرف القدرة والقوة والإرادة إلى اكتسابها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: 7] وبحال ظلمهم وبحال قلبكم عند التوجه إلى اقرار السيئات واكتساب الكفر والقبايح وما استخلفتم له فيجازيكم بها.

﴿قُلْ إِنْ أَلْمَوْتَ الَّذِي يَفْرُوكَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

﴿قُلْ إِنْ أَلْمَوْتَ الَّذِي يَفْرُوكَ مِنْهُ﴾ ظاهراً وباطناً وصورة ومعنى تخشون أن يتمنونه بألسنتكم الظاهرة مخافة أن يقع عليكم ويدفع لديكم ويتوجه إليكم ويحل لعنه عليكم ﴿فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾ ولا حِقُّ بكم ألبته سواء تمنيتم أو تنفرتم منه واللقاء يتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم منه مسرعاً لحوقه لهم ويجوز أن يكون الموصوف خبراً والفاء عاطفة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي عالم الملكوت والأمر والأرواح وعالم الأجسام الفلكية والعنصرية والمركبات منها أي ما تدركها الحواس الظاهرة وما لا تدركها بل تدركها الحواس الباطنة والقوة العاقلة كعالم المثال وما فيه من الأشباح النورية والمثل النورية والآيات النوعية وكعالم الأمر والأرواح، وتلقيه من اللطائف الروحانية والنفوس العاملة والطبايع الكونية والأعيان الخيالية وعلى هذا القياس أعيان سائر العوالم ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: 8] إن كان حسنة فبالصور والهيئة اللطيفة وإن كان سيئة فبالصور الكثيفة الكريهة قال النبي ﷺ «يحشر الناس على صورة أعمالهم إنما هي أعمالكم ترد عليكم».

﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾ أي أُذِنَ لها ﴿مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ بيان لإذنا أو بمعنى كقوله أروني ماذا خلقوا من الأرض أي في الأرض، والمراد بالنداء الأذان عند قعود الخطيب على المنبر للخطبة يدل عليه ما أخبر عن النبي ﷺ أنه كان له مؤذن واحد بلال ولم يكن له مؤذن آخر غيره فكان إذا جلس رسول الله ﷺ على المنبر أذن على باب المسجد، وإذا نزل قام للصلاة، ثم كان أبو بكر يفعل كذلك، وكذا عمر رضي الله عنه حتى إذا كان عهد عثمان فكثرت الناس وازدحمت الجماعات وتباعدت المنازل فزاد هو أذاناً، فأمر بالتأذين الأول على دار له بالسوق يقال له الزوراء فكان يؤذن عليها، فإن جلس عثمان على المنبر أذن مؤذنه ثانياً، فإذا نزل قام إلى الصلاة فلم يعب ذلك عليه ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وامضوا إليه مسرعين قصداً لا عدواً والذكر هو بجعله قبيل الصلاة والأمر بالسعي بالوجوب ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ واتركوه ﴿ذَلِكُمْ﴾ السعي المذكور ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من المعاملة بالبيع والشري ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: 9] الخير والشر والشهادة والشقاوة والتعويق والسعاية.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ وأذنت وفرغ منها ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ وتفرقوا فيها ﴿وَابْتَغُوا﴾ واطلبوا في الانتشار ﴿مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ وكراهته الدنياوية والأخروية لا تمتنع الدنيا حسب ما ورد في الحديث وابتغوا من فضل الله ليس الأمر لطلب الدنيا وإنما هي عبارة كحضور جنازة وزيارة أخ في الدين ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي اذكروا في مجامع أحوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلاة ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: 10] تعودون بخير الدارين وفلاح الشأتين.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَواً أَنفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِوِ وَمِنَ النَّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرٌ الرَّزِيقِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً﴾ [الجمعة: 11] ومعاملة ومنافع مجالسة ومجامع مكاملة

ومؤانسة ﴿أَوْ هَوًّا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ [الْجُمُعَةُ: 11] وتفوضوا لديها. روي أنه عليه الصلاة والسلام كَانَ يَخْطُبُ لِلْجُمُعَةِ فَمَرَّتْ وَعَبَّرَتْ عَيْرَ تَحْمِلُ الطَّعَامَ فَخَرَجَ النَّاسُ إِلَيْهَا الْاِثْنَا عَشَرَ فَنَزَلَتْ.

وإنما سمي هذا اليوم جمعةً لما روي عن النبي ﷺ: «إنما سميت الجمعة جمعة لأن آدم عليه السلام جمع فيها خلقه» وقيل: لأن الله تعالى فرغ فيه عن خلق الأشياء وآخرها هو آدم لما جاء في الحديث: «أن الله خلق آدم في هذا اليوم بعد العصر فاجتمعت فيه المخلوقات جميعاً». قيل: أول من سماه جمعة كعب ابن لؤي، قالت الأخبار: إن لليهود يوماً يجمعون فيه كل أسبوع وللنصارى أيضاً يوم كذلك وهما السبت ويوم الأحد، فجعل يوماً يجتمع فيه الناس فيذكر الله ويصلى له ويشكروه فجعلوه يوم الفردية، وكانوا يسمون الجمعة يوم الفردية فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة وصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة فذبح لهم شاة واحدة فتغدوا وتعشوا من شاة واحدة فأنزل الله تعالى في ذلك اليوم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تُوذِيَكَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الْجُمُعَةُ: 9] إلخ، فهذه جمعة جمعت فيه في الإسلام.

فأما أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ من صحابة على ما قال أهل السير والتواريخ قدم رسول الله ﷺ مهاجراً حتى نزل فينا على بني عمرة بن عوف وذلك يوم الاثنين اثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين اشتد الضحى وأقام الصلاة يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عائداً إلى المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في دار لهم قد اتخذ اليوم في ذلك الموضع مسجداً وصلى رسول الله ﷺ مع الأصحاب فيه صلاة الجمعة.

هذه أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ في الإسلام فخطب في هذه الجمعة وهي أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله أحمدته وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد

رَشَدَ ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالاً بعيداً ، وأوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما يوصي به المُسلمُ المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بالتقوى ، واحذروا ما حذرکم الله من نفسه واتقوا الله فمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون وصدق على ما تبغون من أمر اللّٰه ، ومن يصلح لما بينه وبين الله وائتمر أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت حتى يفتقر المرء إلى ما قدم وما كان من سوء تودّ لو أن بينه وبينها أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ، والذي صدق قوله ونجز وعده لا خلف لذلك فإنه بيد الله يكفّر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً وأن تقوى الله وتقوت مقلته وتقوت عقوبته وتقوت سخطه ، وإن تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرّب وترفع الدرجة ، خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين ، وأحسنوا كما أحسن الله إليكم ، وعادوا أعداءه ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، وهو اجتباكم وسماكم المسلمين ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم ، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفيه الله ما بينه وبين الناس وذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا باللّٰه العلي العظيم .

فلهذا كانت الخطبة شرطاً في انعقاد الجمعة فهو قول جمهور العلماء وقال الحسن : هي مستحبة ، متمسكاً بما فعله أسعد بن زرارة لا فرض . وقال سعد بن جبیر : أي بمنزلة الركعتين من الظهر فإن تركها وصلى الجمعة فقد صلى الركعتين من الظهر . وأول ما يجري من الخطبة : الحمد لله والوصية بتقوى الله وقوله آية من القرآن في الخطبة الأولى ، ويجب في الثانية أربع كالأولى إلا أن الواجب بدل قراءة آية من القرآن الدعاء ، هذا قول أكثر العلماء والفقهاء . وقال أبو حنيفة لو اقتصر على التحميد والتسبيح والتكبير أجزاءه .

وقال الصحابان محمد وأبو يوسف : ما يتناوله اسم الخطبة ثم القيام شرط في الخطبة مع القدرة عليه في قول عامة الفقهاء إلا أبا حنيفة فإنه لم يشترط فيها والدليل على أن القيام شرط في الخطبة قوله : ﴿ وَرَكُوكَ فَإِمَامًا ﴾ [الجمعة : 11] في

الخطبة وما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه ما كان رسول الله ﷺ يخطب الخطبتين إلا وهو قائم وللشافعي قولان: في الجديد شرط وفي القديم لا، وهو موافق أبي حنيفة رحمه الله، هذا بيان القول في أول جمعة جمعت في الإسلام وأول جمعة جمعها رسول الله ﷺ وأول خطبة خطبها في المدينة جمعت بالمدينة بعدها فقال ابن عباس رضي الله: أول خطبة جمعت في الإسلام بقرية يقال حوشا من قرى البحرين: فاسعوا إلى ذكر الله وامضوا إليه وانحصروا عليه بقلبك وعملك وكلية أنيتك.

﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب والدرجة الرفيعة والمنزلة المنيعة والكرامة الخفية باقية لا ينال إليها بطريق العقل والفكر والنظر والنقل «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قط» الحديث القدسي ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ الْجَنَّةِ﴾ لتحققه وثباته ودوامه وخلوده عند الله، ما عندكم ينفد وما عند الله باق، الآية ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الرَّزْقِينَ﴾ [الجمعة: 11] فتعمدوا واقدوا إليه واجتمعوا بجميع سراركم لديه واطلبوا الرزق ظاهراً وباطناً صورة ومعنى من حضرته عليه السلام. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الجمعة) أعطي من الآخرة عشر حسناتٍ بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها».

واعلم أن الجمعة في الطور الآفاقي هو هذا، وأما في الطور النفسي فعبارة عن جمعية التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية في المسجد القلبي والمقعد الغيبي والخطبتان عبارتان وإشارتان إلى تكميل القوة النظرية والعملية والأمور الأربعة، وحيث في كل منهما إشارة إلى مراتب تكميلهما وتصفيتهما وتزكيتهما عن الموانع، وهي أربعة أعني الكدورات والظلمات الحاصلة من الطور العالي والبدن وأركانه الأولية وهي أربعة: النار والهواء والماء والأرض، ومن الطور النفسي: الأمارة الشيطانية واللؤامة السبعية والملهمة البهيمية هذا في تكميل القوة العملية، وأما تكميل النظرية وتصفيتها عن كدورات هذه الأمور الأربعة أعني البدن والنفوس الثلاثة المذكورة وآثار هيئاتها الظلمانية المربعة الحاصلة للقوة النظرية باستصحابها بالقوة العملية قيل تزكيها، فإذا نزلت القوة العملية والنفوس العاملة في البدن المريدة له ويعقب القوة النظرية عن آثارها حصلت للقلب بفوت أربعة كاملة صفات وأوصاف فاضلة وعلى الفقه والشجاعة



والحكمة والعدالة، فحينئذ يستعد القلب لأن يعرج إلى سماء التجليات الأربعة المذكورة.

وهذه الجمعة إنما تحصل للقلب وينعقد فيه إذا حصلت الجمعية من أمور خمسة: الخلوة عن الناس والصمت والجوع والسهر والذكر بالدوام: يا أحمد بعزتي وجلالي ما من عبد ضمن لي أربع خصال إلا أدخلته الجنة، قال: وكيف ذلك؟ قال: يطوي لسانه ويده لذكري ولا يفتحه إلا بما يعنيه، ويحفظ قلبه عن الوسواس، ويحفظ علمي ونظري إليه، وتكون قوة عينه الجوع أو الجمعية الكاملة والهيئة الإحاطية الحاصلة من اجتماع مقتضيات الأدوار الأربعة النورية الجمالية العظمى والكبرى والوسطى والصغرى في مظهر كامل ومحضر فاضل في نشأة كلية ودورة جمعية، أو من جمعية مرتضيات الأكوار الظلية الجلالية المربعة بمقتضيات الأدوار الأربعة المذكورة، إما دفعية في آن واحد في أفضل زمان وساعة وكل حالة في أعدل شخص وأعقل فرد، إما ممتد أو وقت مقيد أو تدريجية، وقوى اجتمعت هذه المقتضيات وازدحمت المرتضيات بعد مضي الأدوار ومقتضى الأكوار في مثل هذا الفرد هو الخليفة الأعظم قد جمع الألوهية والربوبية والعبودية والأزلية والأبدية والحدوث والقدم والوجود والعدم لا يعلمه إلا الله ﴿وَمَا فَدَّرُوا اللَّهَ حَتَّى فَدَّرِهِ﴾ [الرُّمَر: الآية 67].



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل هيئات المنافقين والمنافقات مترددة في نشآت الدورات وشؤونات الكورات ليستكملوا في معارج العروج ومدارج الولوج للدخول والخروج في درجات الاستكمال والبروج ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي دبرهم في مدارج التكميل ومخارج التعديل بخصائص النور والجمال صريحًا وبنصايص الظل والجلال ضمناً وبالعكس إلى أن يتعادلا ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي سوى إفراط الظل والعدم وتفريط النور والوجود في الحدوث والقدم بنصايص الجود ورسايص الكرم إلى أن تعاد في صراحة دورة النور والجمال وتبادلا في صراحة كورة الجلال فإذن يصير المنافق منافقًا والمخالف المفارق متدفقًا .

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ  
وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [المنافقون: 1] الذين غلب فهم حكم المولود الجني على مقتضى المولود الإنسي من غير استيفاء بالكلية بخلاف الكافر الخايض مختفي الكلية من غير أن يظهر فيه في وقت دون وقت والمؤمن الخالص هو أن يغلب فيه حكم مقتضى النور والجمال من غير أن يظهر فيه حكم مرتضى الظل والجلال، أو يدخل مرتضى الظل والجلال، وهو المولود الجني تحت حكم المولود الإنسي، كما أشار إليه النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وله قرين من

الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير». فإذا المنافق أقبح حالاً من الكافر الخالص ولذلك صار مقامه الدرك الأسفل.

﴿قَالُوا﴾ بحكم ظهور اقتضاء حكم النور والجمال ﴿شَهِدُوا﴾ باللسان الظاهري شهادة مطابقة بشهادة قلوبنا ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ في زعمنا واعتقادنا لا في نفس الأمر ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ في نفس الأمر والواقع ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ في قولهم (نشهد) وادعائهم المواطأة إذ الشهادة إخبار عن علم حضوري وحكم شهودي ولذا صدق المشهودية أو كذبهم في الشهادة أو أنهم لكاذبون دون بغضهم واعتقادهم فإنهم كانوا يعتقدون أن قولهم أنك رسول الله كذب صريح يخالف نفس الأمر أو أنك لرسول الله إنما هو في زعمنا واعتقادنا وهو غير مطابق لنفس الأمر بل يقتضيه ﴿لَكَذِبُونَ﴾ [المنافقون: 1].

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ وحلفهم وعدمهم الكاذب أو شهادتهم هذه فإنها تجري مجرى الخلف في التأكيد ﴿جُنَّةً﴾ وعرصة ووقاية عن القتل والسبي ومخالفة الأمر الأهم ﴿فَصَدُّوا﴾ وجحدوا وردوا ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ودينه القويم وصراطه المستقيم وهو الدين والإسلام ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: 2] من نفاقهم وصددهم الناس عن سبيل الله وفي (ساء) معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند الشافعي.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾

﴿ذَلِكَ﴾ الكلام المتقدم الشامل على سوء أعمالهم أو على الحال المذكورة من النفاق والكذب ﴿بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ أي بسبب إنهم آمنوا ظاهراً ثم كفروا سرّاً وغيباً وآمنوا إذا رأوا آية ملجئة إليه ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ ثانياً بعد العهد هنا وخلوهم إلى الشياطين ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ وختم ووضع الختم على قلوبهم على [بقائهم] على الكفر ورسخوا وثبتوا عليه واستحكم ظلام الكفر في قلوبهم ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: 3] حقيقة الإيمان ظاهراً وباطناً ولا يعرفون صحته.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ  
خَشَبٌ مُسْتَدَدٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَلَّهِمُ اللَّهُ  
أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ وعابنتهم وشاورتهم ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ أي أجسام  
المنافقين في بادئ النظر، منهم عبد الله بن أبي فإنه كان رجلاً جسيماً سميناً  
صحيحاً بليغاً فصيحاً سالماً في بدنه ضخيماً ذلق اللسان وطلق اللسان ولسق  
البيان، ومنهم رؤساء المدينة كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ فيستندون فيه  
على شيء لغاية تعظيمهم وتكبرهم واستحقارهم المسلمين، الخطاب للرسول  
ولكل أحد ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ أي لفصاحتهم وحلاوة كلامهم وملاحة  
مقالهم بأن يقولوا للنبي إنك لرسول الله تستمع لقولهم هذا ما قال ابن عباس:  
لما رجع عبد الله بن أبي من أحد تكبر وتعظم من الناس قيل له إن رسول الله  
يستغفر لك قال لا أريد أن يستغفر لي ﴿كَأَنْهُمْ خَشَبٌ مُسْتَدَدٌ﴾ شبهوا في استنادهم  
وهيئاتهم في اعتمادهم وما هم إلا أجرام خالية وأجسام بالية عالية عارية عن  
الخير والمنافع والإيمان وشبهوا بالخشب المسندة إلى الحائط لأن الخشب إذا  
انتفع بها كان في سقف أو في جدار أو غير ذلك وإذا خرجت عن الانتفاع اندرجت  
فيما توقد به، ويجوز أن يكون المراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من  
الخشب المسندة إلى الحيطان، شبهوا بها في حشر صورهم وقلة جدواهم  
﴿يَحْسَبُونَ﴾ ويسمعون من خشمهم ولسوء ظنهم بالله وبرسوله ﴿كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ ترد بنفسها  
وترد بوحشتها ﴿عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ تدل على أن المنافقين هم العدو لله ولرسوله  
وللمؤمنين وضمير هم للمنافقين ﴿فَاحْذَرْهُمْ﴾ وبعدهم وعن مجالستهم ولا تأمنهم  
﴿فَنَلَّهِمُ اللَّهُ﴾ وأهلكهم ولعنهم وبعدهم عن رحمته ﴿أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: 4]  
كيف يصرفون دعاء عليهم إنشاء في المعنى إخبار في اللفظ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ  
يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ [المنافقون: 5] أمر من التعالي أصله أن يقوله من كان

في علو لمن كان في سفل ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ﴾ فحركوا ﴿رُؤُوسَهُمْ﴾ إعرافاً واستنكافاً وإعرافاً لذلك ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ عباد الله عن سبيله ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: 5] عن الحق مستنكرون الصواب والاعتذار والصدق فلا ينالون درجة الثواب .

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾  
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ لتمرينهم في النفاق وتمكنهم في الكفر والشقاق ونعوتهم لاستعداد الذاتي والقابلية الأزلية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المنافقون: 6] الخارجين عن قبول الحق .

﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾  
 وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾

﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ للناس نصحاً لهم وشفقة عليهم ﴿لَا تُنْفِقُوا﴾ ولا تبدلوا ﴿عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ من فقراء المهاجرين ﴿حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ ويتفرقوا من حوله ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ﴾ ودفاين ﴿وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ﴾ لكمال إشفاقهم ووفور عداواتهم وفساقهم ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: 7] ولا يدركون بواطن الأمور وظواهرها أو لا يعلمون حقيقة الإيمان وباطنه .

﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾

﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا﴾ من غزوة بني لحيان ثم بني المصطلق وهو حي من تبديل ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ روي أن أعرابياً نازع أنصارياً في بعض الغزوات على ماء وضرب الأعرابي رأس الأنصاري فجشه فشكى إلى ابن أبي فقال: لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ والغلبة والقهر والقوة ﴿وَلِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون: 8] أي انحصرت القوة وانتصرت الغلبة والقهرمان على الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين وعزهم الله في الدارين ﴿وَلَكِنَّ﴾

الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8] هذه الحالة .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلهِكُمْ ءَمْوَالِكُمْ وَلَا ءَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ ءَللهِ  
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ﴾ (٩)

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلهِكُمْ﴾ ولا يستقبلكم ولا يصرفكم ﴿ءَمْوَالِكُمْ وَلَا ءَوْلَادِكُمْ  
عَنْ ذِكْرِ ءَللهِ﴾ كالصلاة والحج وسائر ما يذكر فيها اسم الله ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ  
فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9].

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ  
لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُن مِّنَ الصَّٰلِحِينَ﴾ (١٠)

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي من بعض أموالكم ادخارًا للآخرة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ  
يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي قيل أن يرى دلائله ويعاين ما يباين معه ومن آلامها  
ويضيق به الاتفاق ويتعذر عليه الإنفاق ونعوت وقت القبول وتموت فرصة  
الوصول فيتحسر على المنع ويعرض أنامله على فقدان ما كان متمكنًا منه . عن ابن  
عباس : تصدقوا قبل أن ينزل عليكم الموت فلا يقبل توبة ولا يتبع عملاً وطاعة  
ولا يرفع إليه عبادة وإطاعة ﴿فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي﴾ وأمهلتني وأمهلتها ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ  
قَرِيبٍ﴾ وأمد بعيد ﴿فَأَصَّدَّقْتُ﴾ فأتصدق قلبت التاء صادًا وأدغمت الصاد في  
الصاد فاجتلبت الهمزة ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: 10] بالتدريك وجزمه  
للعطف على موضع الفاء ومحل (فأصدق).

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ ءَللهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَءَللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١١)

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ ءَللهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾ ووقت موتها وزمان فوتها وزمان قطع  
الحياة وأوان رفع تعلقها ﴿وَأَللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: 11] عليم مدرك  
حكيم ظاهراً وباطناً سراً وعلانية فمجاز عليها من منع الواجب وغيره لم يبق إلا  
المسارعة إلى الخروج عن عهد أداة الواجبات والاستعداد للقاء الله ومشاهدة  
الكريم وصفاته وأفعاله، عن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ سورة (المنافقين) برأ  
من النفاق» والله أعلم .





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إلا قوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا آيَاتٌ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ﴾ [التغابن: 14] مختلف فيه، وهي ثماني عشرة آية.

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي خلق الخلق في سابق علمه وسابق قضائه وحكمه بعضهم مؤمناً على ربح عظيم وفوز عميم وبعضهم كافراً ومنافقاً على غبن فاحش وخسران جسيم ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أبدع سماوات أدوار النور والجمال واخترع أرض أكوار الضمور والجلال فمن غلب عليه من الأعيان النورية سلطان مقتضى النور والوجود ومرضى الجمال لظهور أمر الشهود وصارحكم الظل والجلال معلوماً أو استوى واستتبع النور والجمال الظل والجلال، فقد فاز فوزاً عظيماً وجاز في مضمار السير في الله قصبات سبق التحقيق جوازاً عميماً ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي دبر بعض أعيان فردارية النور والوجود والجمال وأكوان فردارية تدبير الظل والعدم والجلال في السير مع الله تارة باقتضاء استواء أحكامها صريحاً وأخرى بارتضاء أعلامها ضمناً وصريحاً معاً، وأصلاً وتبعاً، صحيحاً غالباً ومغلوباً، وطالباً ومطلوباً، وأصلاً وفرعاً فرداً وجمعاً.

﴿يَسْبِغُ لَكُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

﴿يَسْبِغُ لَكُمْ﴾ ويعبده وينزهه ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ [التغابن: 1] من الأعيان النورية

التي مثالها التشبيه بلسان التشبيه وبينه لاستواء الحالين عندهم ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي الأكوان الظلية الجلالية بلسان الأعيان النورية وبالعكس ليساوي حكم الظل والنور والخفاء والظهور والغيبة والحضور ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ والعدمي والوجودي الغيبي الشهودي ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ والثناء الجمعي والكمال الذاتي والأسماء المعني ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ موجود ومعدوم ﴿قَدِيرٌ﴾ [التغابن: 1] بالإعدام والإيجاد بأن يخرج في الفردانية النورية تلك الشؤون الذاتية من مرتبة الإطلاق ونعت البحث وغيب العلو إلى مرتبة العلم والبخت ومن مرتبة العلم إلى مرتبة العين أخرج الماهيات الكونية والحقائق الإلهية إلى ملابس العقول ومجالس الأرواح والنفوس ومنها إلى عالم البرزخ ومنه إلى عالم الملك والشهادة ومنه إلى عالم الناسوت ومنه إلى مرتبة اللايقين والذات البحث واللاهوت، وهذه الإبداعات والإخراجات والاختراعات في كل دورة من هذه الأدوار الإفرادية النورية إلى جمعيتها وفي هذه الحضرات الخمس يسبح لله كل منها في الأدوار، وأما في الأكوار فيعكس الأدوار.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنَكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴿٢﴾

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ من نفس واحدة أي أخرج ماهياتكم البسيطة الأولية وحقايقكم الإلهية الأصلية من المرتبة الذاتية من الشؤون الأصلية التي هي الاستعدادات الذاتية والقابليات الكلية إلى المرتبة العلمية ﴿فَنَكُمْ كَافِرٌ﴾ غلب عليه حكم الظلال والجلال وحكم العدم والضلال والإضلال ﴿وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: 2] غلب عليه اقتضاء سلطان النور والجمال وارتضاء الوجود وحسن المآل.

قال النبي ﷺ: «خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليه من نوره فمن أصابه فقد اهتدى ومن لم يصبه فقد ضل وغوى». وقال أيضًا: «السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه». وقال أيضًا: «إذا مكث المني في الرحم أربعين ليلة أتاه ملك النفوس وخرج به إلى الرب تبارك وتعالى فقال: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي الله ما هو قاض، شقي أم سعيد». وقال أيضًا: «إن خلق أحدكم

ليجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، وأربعين مضغة، ثم يبعث ملكاً بأربع كلمات يكتب أجله ورزقه وشقي هو أم سعيد» الحديث .

واعلم أن الله تعالى نسبتين نسبة ذاتية ونسبة أسمائية، فالنسبة الأولى من حيث الذات خير محض لا يقتضي في الأشياء إلا الخير والسعادة، والله يدعو إلى دار السلام، كل مولود يولد على فطرة الإسلام، وأما الثانية فباعتبار تغير مفهوم الأسماء والصفات، وتخالف اقتضاء نسبتها إلى ما دونها من منسوباتها من الجمال والجلال أحدهما وهو النور والجمال أب فاعل، والآخر وهو الظل والعدم والجلال أم قابل، فإذا كان اقتضاء أحدهما صريحاً يكون تأثيره ظاهراً فيكون فاعلاً وأباً، ولذا في ظهور ذاته لا يحتاج إلى غيره كواجب الوجود، وإن كان ضمناً وخفياً فيكون قابلاً وأماً يحتاج في الظهور إلى غيره كحواء والعلة المادية القابلية، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [التور: الآية 46]، «فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه» وإنما عبر عنهما بأبويه تنبيهاً إلى تبادل الفاعلية والقابلية بينهما ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: 2] يعلم علماً شهودياً ويدرك إدراكاً حضورياً على ما يقتضيه الجمال الصريح والنور الفصيح والوجود الصحيح والظل والجلال الضمني في الأدوار والأكوار فيجازيكم بما يناسب اقتضاء الجمال وارتضاء الجلال .

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُورَهُ وَإِلَيْهِ

الْمَصِيرُ ﴿٢﴾﴾

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ دفعه أدوار النور ودبر أطوار اقتضاء الظهور صريحاً ﴿وَالْأَرْضَ﴾ الاستعدادية العدمية الجلالية التي يقبل أدوار النورية الجمالية الوجودية وتصرف في المادة الأصلية والهيولى الأولية وقسمها إلى أقسام يقتضيها تدبير وفردانية الدورة الوجودية ﴿بِالْحَقِّ وَصَوَّرَهُ﴾ بأن قارن بذلك التخصص والأقسام بالصور المناسبة لها والأشكال والغرر المتقاربة بها ﴿فَأَحْسَنَ صُورَهُ﴾ وزين تصويركم ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: 3] بعد استكمال التشكيل وتمام التصوير بالإعادة والترجيح بالتفريع بعد التأصيل إلى انقضاء اقتضاء التدبير في القيامة العظمى النورية وظهور الساعة التي تقتضيها فردانية استيطان الجلال التي

كانت ضمنية فصارت بعدَ انقضاء اقتضاء التدبير النوري صريحًا عند انتقال التدبير إليها وجعلَ الجمال الذي قد اقتضى الدنيا صريحًا والآخرة ضمناً وتبعًا وضمناً صورة ومعنى ظاهرًا وباطنًا .

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

### الصُّدُورِ ﴿٤﴾

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ والأكوار الجلالية لدى استبدال دورة الجمال والنور من الظهور إلى الاستتار والضمور وأنتَ خبير بأن سماوات كورة الجمال عين سماوات دورة الجلال ﴿وَالْأَرْضِ﴾ المادية الجلالية وهي في الحقيقة أصل الدورة النورية الجمالية التي كانت في دورتها صريحًا وصارت في كورة الجلال ضمناً ومادة وهيولى واستعداداً وقابلية تصور أكوان أكوار الجلال وكذا أرض كورة الجلال غير أرض دورة النور والجمال وتتبادل صور سماوات الجمال والجلال وأرضهما علوًا وسفلاً، فإن سماوات الجمال عالية ومرتفعة وسماوات الجلال بالعكس وأرض الجمال سفلى وأرض الجلال علو مرتفعة يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات، وبرزوا لله الواحد القهار وذلك يظهر لمن هو ساكن في أطراف الحياض أو ناظر في الإناء المملوء بماء في المرايا الموضوعة على سطح الأرض ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ﴾ وتخفون في خزائن الأرض ودار النورية الجمالية التي كانت ظاهرة صريحًا في دورتها وصارت عند انتقال الدورة منها الربوبية الجلال ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ وتظهرون في الأكوار الظلية الصريحة لدى انتقال حكم التربية من الأدوار إلى الأكوار ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التغابن: 4] أي الوجوه التي يلي النفس في التدبيرات الجلالية والتصريفات الظلية الصريحة فلا يخفى عليه ما يصح أن يعلم في دورة الجلال الصريحة والكورة الجمالية الضمنية كليًا كان أو جزئيًا نفسيًا أو قاليًا وحسيًا قليًا أو سريًا وغيبيا علمًا كان أو عينًا .

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ [التغابن: 5] أي قيل ظهور دورة الجلال لدى انتقال حكم التربية من النور والجمال إلى الظل والجلال وصار تدبير الجلال

صريحًا بعد أن كان ضمناً ﴿فَذَاقُوا﴾ وشربوا ﴿وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ وضرر كفرهم وضرر شركهم الذي حصل في الدنيا أصل الثقل ومنها بديل الطعام ثقيل على المعدة والوايل للقطر الكبير الثقيل من المطر ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التغابن: 5] وعقاب جسيم في الآخرة.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشْرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا  
وَاسْتَعْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الأليم والعقاب العميم ﴿بِأَنَّهُ كَانَتْ﴾ أي بسبب أنهم كانت ﴿تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الواضحة والآيات الساطعة اللايحة والمعجزات القاطعة الفايحة فأنكروا وجحدوا بها ﴿فَقَالُوا أَبَشْرٌ﴾ مثلنا هذا الرسول المبعوث ﴿يَهْدُونَنَا﴾ ويدلنا إلى الله ويوصلنا إليه ﴿فَكَفَرُوا﴾ وجحدوا بآياته وأسمائه وصفاته ورسله وأنبياؤه وكتبه وسوره وآياته وألفاظه وكلماته ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ وأعرضوا وانصرفوا عن التفكير في الآيات والتدبر في البيئات ﴿وَاسْتَعْنَى اللَّهُ﴾ أي الله أطلق ليتناول كل شيء ومن جملة إيمانهم وطاعتهم وعباداتهم ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن عبادتهم وإضافتها وطاعتهم وجزائهم وحسناتهم والله غني ﴿حَمِيدٌ﴾ [التغابن: 6].

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي علم ولذا يتعدى إلى مفعولين تعدى الله بهما وقد قام مقامهما أن مع ما خبرها من الاسم والخبر وإذا كان بمعنى القول يتعدى بمفعول واحد إلا أن يكون جملة والفعل لما له من الفاعل والمفعول كما في هذا ﴿أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ والزعم ادعاء العلم ونظيره ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ وروى لتبعثن والله بقرينة اللام التي هي لتوطئة القسم ويلى لإثبات ما بعدها وهو البعث ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ جمع أصله (لتنبأون) لما دخلت نون التأكيد حذفت الواو لدلالة ضمة ما قبلها عليها ﴿بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ أي لتجزون بمعمولاتكم أو بأعمالكم وبمجازاتكم عليها ﴿وَذَلِكَ﴾ الإنباء والإخبار أو الجزاء والبعث والجزاء ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: 7] سهل وهين لوجود المادة وقبولها وحصول القدرة التامة والقوة العامة على الإيجاد والإعادة على تلك القابلية والمادة.

﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٨)

﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ عليه أما القرآن فإنه بإعجاز نفسه ظاهر نفسه فظاهر بغيره بما فيه من الشرح والبيان ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: 8] عليم بأخباركم وأقوالكم وأعمالكم وأحوالكم الظاهرة والباطنة .

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٩)

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ منصوب (تنبؤون) أو بخبر لتضمنه معنى الوعيد والوعيد العديد الغريب البعيد أو باذكر المضممر ﴿لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ لأجل ما فيه من الحساب والجزاء بالشواب في العذاب والجمع جمع الملائكة والنبیین والثقلين أو الأولين والآخرين ﴿ذَلِكَ﴾ اليوم المذكور ﴿يَوْمُ النَّعَابِ﴾ مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضاً فنزول السعداء منازل الأشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء وبالعكس واللام فيه للدلالة على أن التغابن الحقيقي وهو التغابن في الأمور الآخرة لعظمتها ودوامها وشرف منازلها ﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ وبما جاء منه من الأنبياء والرسول والكتب المنزلة والصحف المنزلة عليهم ﴿وَيَعْمَلْ صَالِحًا﴾ أي عملاً صالحاً ﴿يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ ويمحو كبايره وصغايه لقوله تعالى: إن الحسنات يذهبن السيئات قال النبي ﷺ: «أتبعوا السيئة الحسنة تمحها»، ﴿وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ الأربعة التي يقتضيها الأدوار الأربعة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ما يستحقون له وثبات ما يجابهم الله وهو يبرئهم وتجنبهم وتقربهم عما يوجب البعد عن الجنات والقرب عن الدركات أبداً غير منقطع وزايل عنها الدخول والخلود في الجنات ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التغابن: 9] الجامع للسعادتين الجامع للمصالح الصالحة للفلاح الأبدي والنجاح السرمدى .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ

فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (١٠)

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [التغابن: 10] وتمايم بيناتنا ﴿أُولَٰئِكَ

أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿التَّغَابُنُ: 10﴾ بيان للتغابن وتفصيل لأنواعه .

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ من موت الأحياء وفوت الأقرباء وكلما يؤدي شخصاً فهو مصيبة حتى إطفاء السراج إلا بإذن الله ومشئته وأمره وتقديره وإرادته ﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ ويصبر عند حلول المصيبة ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ للثبات والصبر والاسترجاع أي رجوع قلبه من مألوفاته ومحوباته ومعطوفاته إلى الله تعالى ومحبته وكمال معرفته يهد مجزوم بمن التي تتضمن معنى الشرط ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11] من تمام أحوال العالم وأفعال بني آدم وأعمال أعضائهم وقواهم وأحوال مبادئها من النفس النباتي والروح الحيواني والقلب النفساني .

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ﴾ بقبول أحكامه وبامتثال أوامره ونواهيه ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ بتحمل ما جاء به من عند الله من النواميس الإلهية والأعلام الربانية ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عما جاء به إليكم فإن توليتم عن قبولها والعمل بها فليس عليه إعراض وبأس ﴿فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: 12] أي ليس على رسولنا إلا تبليغ الأحكام والدعوة إلى الله فمن تصدى لقبول الأحكام الإلهية وقبلها بالرغبة التامة والإرادة والخير العام فعند نزول المصائب الشديدة والنوايب المديدة صايرون عليها صايرون إلى الثبات والتثبيت والتبصر عليها .

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي لا معبود بالحق ولا موجود بالصواب والصدق ﴿إِلَّا هُوَ﴾ الذي خلق السماوات والأرض وما فيهما وغيرها على ما تقتضيه الحكمة ﴿وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: 13] وتقديم المعمول على الحال يفيد الحصر على المتوكلين كاملين في التوكل أن يجعلوا التوكل منحصراً على الله في جميع الأمور الدنيوية والديناوية .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتِ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ  
فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتِ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ﴾ أي بعض الأزواج والأولاد التي تميل بها قلوبكم إلى الدنيا بل كل الأزواج والأولاد إلا ما شاء الله ﴿عَدُوًّا لَكُمْ﴾ في النشاطين ﴿فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ كيلا يشغلكم عن الله وقبول أوامره ونواهيه نزلت في يوم أرادوا الهجرة عن مكة فثبطت وتمنعت عليها أزواج بعض الصحابة وأولادهم قيل نزلت في عوف بن مالك النخعي كان ذا أهل ومال وولد وأزواج ومدد وكلما أراد الغزو بكوا وتضرعوا إليه وقالوا: إلى من تكلنا، ومن تدعه فينا فيرحم عليهم ويرق فؤاده إليهم فترك الغزاة ﴿وَإِن تَعَفَّوْا﴾ خطاب إلى النبي ﷺ وأصحابه المهاجرين ﴿وَتَصَفَّحُوا﴾ وتعرضوا عن عقوبتهم ﴿وَتَغْفِرُوا﴾ وتجاوزوا عنه المواخذة بهم وبقبول معذرتهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: 14] يعاملكم مثل ما عاملتم بهم ويتفضل عليكم كما تفضلتم عليهم.

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ توقعكم في الفتنة الشديدة والعقوبة المديدة عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ: «لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ من الفتنة فإنه ليس منكم أحد يرجع إلى ماله وأهله وولده إلا وهو مشتمل على فتنة، ولكن ليقل: اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن». روي أن رسول الله ﷺ كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يكثران البكاء فنزل النبي ﷺ عن المنبر فأخذهما فوضعهما في حجره على المنبر فقال: «صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة رأيت هذين الصبيين يبكيان» ثم أخذ في الخطبة ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: 15] لمن أثر محبة الله وطاعته على محبة الدنيا وما فيها من الأزواج والأولاد.

﴿فَأَنفِقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَنْ

يُوقِ شَحًّا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَأَنفِقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا﴾ لما أمركم الله به ﴿وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: 16] لله



ولرسوله أي تقبلوا أحكام الله واقبلوا كل ما أمركم الله به وأقدموا عليه وبادروا إليه حسب القوة والاستطاعة ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ وبذلوا واختاروا الإنفاق وإن تعطوا ﴿خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ أي مالا كثيرا لحصول سعادة نفوسكم في الدارين نصب ﴿خَيْرًا﴾ لأنه صفة مصدر محذوف أي إنفاقا يكون خيرا وخيرا لأنفسكم ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ أي يحفظ ويصان شح نفسه عن البخل ووقوعه على الإنفاق بالقصد والاختيار ولما بالكره والإكراه والإنفاق ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: 16] في الدارين والمنجحون في النشاطين .

### مطلب قرض حسن

﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٧)

﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بلا رياء وقصد زيادة ومراء بل يقصد به رضاء الله وابتغاء مرضاته ﴿يُّضْعِفْهُ لَكُمْ﴾ في الدنيا يجعل لكم بالواحد عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله وهو أفضل من الإنفاق والصدقات لأن الصدقات قد تقع في المحل وقد لا تقع، وأما قرض الحسن فلا يقع إلا في المحل كما ورد في الحديث ويغفر لكم في الآخرة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: 17] شكور لكامل نعمته وعموم رأفته ورحمته بجميع الألسنة والأفعال والأحوال وإن كانت بصورة الأخوية والأسوة حلیم يعطي الجزيل والجليل بالقدرة والقليل ولا يعالج بالعقوبة بل يعفو .

﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨)

﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ﴾ أي الغايب عن الحس الظاهر الخمس وهي السمع والبصر والذايقة والشامة واللامسة ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ [التغابن: 18] أي ما يدرك بهذه الحواس المذكورة ويقال عالم الملك وهي الدنيا من البسيط الأرض إلى فلك الأفلاك ومغفرة فإن محيده غير محدود والدنيا محدودة متناهية وإن كان أثره وهو الحركة اليومية محدودا وهو يظهر في الشمس وطلوعها وغروبها مهما يظهر أن لكل ذي حس حتى البهائم وما عدا عالم الملك والشهادة وهو عالم الغيب والآخرة وهو

عالم البرزخ وما فيه وعالم الملكوت وما بدل منه وعالم الجبروت وما يلازمه  
وعالم اللاهوت وعالم الذات النفسية إلى تمام المراتب وما فيها من الأعيان  
والأكوان النورية الجمالية الوجودية والظلية الجلالية الإفرادية والجمعية وجمعية  
الجمعية على السوية ولذا سقطت تمام الاعتبار أن جميع الإشارات والعبارات حتى  
الحيوان والنبات والإضافات عنه وفيه ﴿الْعَزِيزُ﴾ بيان الذات العالية النادرة القاصرة  
على الكل ﴿الْحَكِيمُ﴾ [التغابن: 18] باعتبار الأسماء والصفات. قال النبي ﷺ: «من  
قرأ سورة (التغابن) رفع عنه موت الفجأة».

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي أجرى النكاح الساري في جميع الذراري أولاً في الشؤون الذاتية ثم بين الأعيان الثابتة والصور العلمية والماهيات المملكة والحقائق الإلهية في المرتبة العلمية والحضرة الواحدية ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي عين مهور هذه الأنكحة الجارية بين الاستعدادات الذاتية والوجودات العلمية والغيبية والشهودية التي هي عوض البضع والاستمتاع بين الاستعدادات وللأميات بين الموجودات النفسية الكلية التي هي بداء الأفعال والأعمال وحقيقتها ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي أقبض مهورهن باستكمال الأفعال واستيفاء المقامات والأحوال ففرق بينها وبين الوجودات والتعينات وطلقها بإرجاع معين وترجيعه إلى الوطن الأصلي والممكن الأزلي الأولي وهذا التفريق والافتراق والتطبيق والطلاق إنما يكون بعد إقباض المهور والصداق.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقْتُمُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ﴾ [الطلاق: 1] قل لأمتك، إذ النداء وإن كان بحسب الظاهر

خاصًا إلا أن حكمه عام وذلك لأن أول من قبل النكاح الساري إنما هو في الحقيقة المحمدية أصالة وسائر الحقائق التي في ضمنها تبعًا وثانيًا وفرعًا وكذا الطلاق والتفريق والافتراق إنما يقع أولاً منه ثم لغيره من الأعيان العلمية والغيبية لأنه إمام أمته ومقتدى ملته فبداؤه في الحقيقة والمعنى إنما هو بداؤهم أو لأن الخطاب إنما يكون به وحكم الخطاب ومقتضى آيات الكتاب إنما هو لأمته ولنفسه عليه الصلاة والسلام، وأما الذي لنفسه من النكاح والطلاق والافتراق وإعطاء المهور والصداق فبالأصالة وبالذات ولأتباعه وأمته وأشياعه فبالتبعية والثانية والفرعية فالنكاح في قول التنزل وفي قول الأدوار النورية والوجودية والجمالية في طور التشبيه والتطليق والتفريق إنما يكون في قوس الترقى والعروج في قوس الأكوار الظلية العدمية الجلالية في دور التقديس والتنزيه.

﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أي إذا أردتم تطليق النساء وتفريقهن ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ [الطلاق: 1] تطهرهن الذي يحصونه من عدتهن لا يحيطهن الذي لا يعتدين به من قروئهن بشرط الدخول بها إذ من لم يدخل بها لا عدّة لها إذ الغاية والغرض من العدة إبراء الرحم من شغل المني ومن عصى وعد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف أي مستقبلات لأطهارها يدل على أن العدة بالأطهار وإن الطلاق المقيدة بالإقرار ينبغي أن يكون في الطهر غير الموطأة فيه وأن الطلاق في محيض حرم من حيث إن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن صحته ولا يدل على عدم وقوعه إذ النهي يستلزم الفساد كيف وأن النبي ﷺ قال لابن عمر حين طلق في الحيض ما هكذا أمرك الله عن السنة أن يستقبل الطهر استقبالاً ويطلقها لكل قرءٍ طلقه.

وروي أنه عليه السلام قال لعمر مرة: فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم يطلقها إن شاء قبل العدة التي هي أمر الله أن يطلق بها النساء. وعند الشافعي: لا بأس بإرسال الثلاث. وقال: لا أعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح محللاً تراعى فيه خلاف السنة الواحدة والوقت. وأبو حنيفة يراعي التفريق والوقت، والشافعي يراعي الوقت وحده. عن أنس: أن النبي ﷺ طلق حفصة فأتت أهلها فنزلت ولذا خص الخطاب به عليه الصلاة والسلام أو في ابن عمر رضي الله عنه إذا طلق امرأته خالصًا، والآية عامة تتناول المدخول بها وغير المدخول بها إلا أن لعدتهن تخصيص بالمدخول بها.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ بطلاقهن عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش» . وعن ثوبان رفعه إلى النبي ﷺ : «أيا امرأة سألت زوجها الطلاق في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة» . وقال أيضاً : «لا تطلقوا النساء إلا من رغبة فإن الله لا يحب الذواقين والذواقات» . وقال أيضاً عليه السلام : «ما حلف بالطلاق ولا استحلف إلا منافق» .

قال عبد الله : إذا رجل طلق امرأته فيطلقها طاهرة من غير جماع . قال الحسن : أمر الله تعالى الزوج بتطليق امرأته إذا شاء الطلاق في طهر لم يجامعها وهو قوله تعالى : ﴿لِعَدَّتِهِنَّ﴾ أي بزمان عدتهن وهذا الطهر بإجماع الأمة . وقيل : الأطهار عدتهن وجماعة من المفسرين قالوا : الطلاق عدة إن طلقها طاهرة من غير جماع . وبالجملة الطلاق في الطهر لازم وإلا لا يكون سنة والطلاق في السنة إنما يتصور في البالغة المدخول بها ، وأما الحامل والصغيرة وغير المدخول بها فلا بدعة ، والآية لعدم العدة بالأقراء وليس في عدد الطلاق سنة وبدعة عند الشافعي والسنة في عدد الطلاق أن يطلق كل طلقة في طهر صحيح .

قال صاحب النظر في طلاقهن في عدتهن صفة للطلاق كيف يكون وهذه اللام تجيء لمعان مختلفة للإضافة وهي أصلها وللسبب والعلة إنما يطعمهم لوجه الله ، وبمعنى عند نحو لدلوك الشمس وبمعنى في نحو من ديارهم لأول الحشر وهي ههنا بمعنى في أي في عدتهن أي ما تصلح العدة فيه .

﴿وَلَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ من مساكنهن قبل انقضاء مدة العدة ﴿وَلَا يَخْرُجَنَّ﴾ بأنفسهن من المساكن ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ يَفْحَشَةً مُّبِينَةً وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ من الزنا مستثنى من الأول إلا أن يبدو على الزوج ويخرج عليه فإنه كالنشوز فخاست طبختها ومن الثاني لإقامة الحد عليها فالفاحشة في الأول هي النشوز وفي الثاني الزنا وتلك الأحكام المذكورة من إسقاط وإجراء الحد أو أحكام الطلاق وأحواله من البدع والسني حدود الله ﴿وَمَنْ يَنْعَدْ حُدُودَ اللَّهِ﴾ ولم يقمها ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بأن عرض للعقاب بالإعراض عن إجراء الحدود وقبولها فصار مستحقاً لأشد العقاب ﴿لَا تَدْرِي﴾ النفس أو أنت أيها النبي أو المطلق ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ التطلاق الواحد ﴿أمرًا﴾ [الطلاق : 1] أي مراجعة في الباقي من التطلقات ما دامت في العدة ورغبة فيها بعد التطلاق الواحد ويتبين بأن القلب لله قلبه من بغضها إلى

ودّها ومن عداوتها إلى محبتها ومن الرغبة منها إلى المحبة فيها ومن عزيمة الطلاق إلى الندامة عليه .

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ وسار فيهن أجر عدتهن وأنتم بالخيار فإن شئتم ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ وراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بحسن عشرة وإنفاق غياب ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ﴾ وطلقوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بإيفاء الحق وإلغاء النشز والشق وانتفاء الضرب والدق من أن يراجعها ويكلفها تكليفا شاقا وتعنيفا ثم يطلقها لإطالة مدة العدة ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ منهم على الرجعة والفرقة بترًا من الريبة وقطعا للشارع وهو نذب كقوله: وأشهدوا إذا ما بايعتم، وواجب عند الشافعي ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ أي أدوا أيها الشهود الشهادة خالصةً وابتغاءً لمرضاته ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي الحث والإغراء على أداء الشهادة وإقامتها لوجه الله وابتغاء لمرضاته ولأجل القيام بالقسط ﴿يُوعَظُ بِهِ﴾ وينصح ﴿مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فإن الانتفاع بهم مختص به ولا يحصل التنبيه والتذكر إلا منهم ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: 2] جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على أن الإبقاء على نهي منه صريحا أو ضمنا من الطلاق في الحيض والإضرار بالمعتدة بإطالة مدتها وإخراجها عن المسكن والتعدي عن حدود الله التي فرضها عليكم وكتمان الشهادة ويوقع جبر على إقامتها بأن يجعل الله مخرجا في شأن الأزواج من المضايق والغموم ويرزقها فرجا ومن المضايق مخرجا بحيث لم يخطر ببالها أو بالوعد لغاية التيقن بالخلاص عن مضار الدارين ومضائق الناشئين والفوز بالبقية من حيث لا تحسبوا أو كلام مبني للاستطراد عند ذكر المؤمنين .

نزلت في عون بن مالك النخعي وذلك أن المشركين أسروا ابنان له فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن العدو أسروا ابني، وأظهر الفقر والفاقة، فقال عليه السلام: «ما أمسى عند محمد آل الأمد فاتق الله واصبر وأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». ففعل ذلك، فبينما هو في بيته إذ أتاه وفد غفل عنه العدد

فأصاب إبلاً جاء بها إلى ابنه وكان فقيراً في الغاية قال الكلبي ورواية يوسف بن بلال أتاه ابنه ومعه خمسون إبلاً بغيراً، عن ابن عباس رضي الله عنه إنه جاء مالك مع زوجته وشكتا عن أسر ابنيهما وعن فقرهما وجزعت زوجته فأمرهما باستكثار لا حول ولا قوة إلخ، فجعلوا يقولانه فجاء ابنيهما بأربعة آلاف شاة فنزلت قيل ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2، 3] أي مخرجاً من شهاب الدنيا ومن غمرات الموت ومن شديد القيامة أو مخرجاً من كل شيء ضاق على الناس أو من كل شدة قيل من يتق الله في أداء الفريضة يجعل له مخرجاً من العقوبة في الدارين .

### مطلب الاستغفار

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 3] ويرزقه الثواب والجزاء فيهما من حيث لا يحتسب. حكى أن رجلاً جاء إلى عمر رضي الله عنه فقال: ولني بما ولاك الله، فقال: أتقرأ القرآن؟ فقال: لا نولي من لا يقرأ القرآن، فانصرف الرجل واجتهد حتى تعلم القرآن، فتخلف عن عمر ذات يوم فقال أمير المؤمنين: يا هذا أتتهجرنا؟ فقال: لست ممن يهجر ولكني تعلمت القرآن فأغناني الله عز وجل. عن عمر: عن أية آية أغناك؟ قال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: الآيتان 2، 3]. قال رسول الله ﷺ: «من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب».

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فيثق به ويسكن إليه قلبه ويطمئن لديه سره وغيبته في الموجود والحاضر والمفقود ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ وكافية ووليه ووافيه ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾ أي يبلغ ما يريد ولا يفوت مراده ولا يعجزه مطلوب ولا يغرر عنه مرغوب ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: 3] مقدرًا أو أجلاً لا بأجل أو تقديرًا أو توقيتًا لا ينقص ولا يقل. هذا بيان وجوب التوكل على الله وتفويض الأمور إليه وتأويل الأحكام والمطالب كلها لديه لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق والحياة وما توقف الآمال

عليه لا يكون إلا بتقديره وتوقيته وتدبيره فلم يبق لذلك الشخص إلا التسليم والتفويض والتوكل عليه .

﴿وَالَّتِي بَسَّسَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ  
وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعَنَّ حَمَلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ  
يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾

﴿وَالَّتِي بَسَّسَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ إما الكبير أو تخيله ﴿إِنْ أَرْبَبْتُمْ﴾  
وتشككتم ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ لما نزلت: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَدْرِبْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ  
قُرُوءٍ﴾ [البقرة: 228] قيل وما عده اللائي ﴿وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ﴾ لم يحضن فنزلت ﴿وَأُولَاتُ  
الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾ وغلبة عدتهن ﴿أَنْ يَضَعَنَّ حَمَلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾  
[الطلاق: 4].

﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ  
أَجْرًا ﴿٥﴾﴾

﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ وهو حكم المطلقات والمتوفى عنه أزواجهن  
والمحافظة على عمومه أولى من محافظة عموم لأن أولات الأحمال بالذات  
وعموماً أزواجاً بالعرض والحكم معلل ههنا بخلاف ثم ولأنه صح عن سبقة بنت  
الحارث ووضعها بعد وفاة زوجها بليال قد ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: قد  
حللت فانكحي ومن يتق الله في أحكام فتراعى حقوقها يجعل له مخرجاً وأمره يسيراً  
ويسهل عليه ويحلل له من عقده بسبب الموت وهي الحكم المذكور في باب العدة  
أمر الله أنزله إليكم ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ في حفظ أحكامه فتراعى حقوقها ﴿يَكْفِرْ عَنْهُ  
سَيِّئَاتِهِ﴾ فإن الحسنات يذهبن السيئات ﴿وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: 5] بالمضاعفة .

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيْقِهِنَّ عَلَيْنَّ وَإِنْ  
كُنَّ أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْنَّ حَتَّى يَضَعَنَّ حَمَلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ  
أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُم فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى ﴿٦﴾﴾

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ مكاناً من أماكنكم ﴿مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ [الطلاق: 6] من



وسعكم وطاقتكم بيان لقوله من حيث سكتكم ﴿وَلَا تُضَاوِرُنَّ﴾ في السكنى والمكان ﴿لِضُيُفُوا عَلَيْهِنَّ﴾ في المساكن فيجلوهن إلى الخروج ليصيروهن ﴿وَإِنْ كُنَّ أُؤْتِيَتْ حَمْلًا فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَقًّا يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ فيخرجن من العدة هذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والأحاديث يريد به وعلى أن المطلقة الصغيرة سوية الكبرى لا نفقة لهن لانقطاع علاقة النكاح وأما الطلاق الرجعي فلا يسقط النفقة لبقاء العلاقة إلى أن يبين الحال بالرجعة أو الفرقة ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ بعد انقطاع علاقة النكاح ﴿فَاتَّوَهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاع ﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي ولياً من بعضكم بعضاً يجمع في الإرضاع والأجر ﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمُ﴾ في الرضاع وتضايقتم فإن أبى الزوج أن يعطي المرأة بعد رضاعها والأم أبت أن ترضعه فليس للزوج والأب أن يكرهها على إرضاعها ولكن يستأجر للصبى مرضعاً غير أمه ﴿فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى﴾ [الطلاق: 6] أي امرأة أخرى.

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا

يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ﴾ له غناء ﴿مِّن سَعَتِهِ﴾ أي من سعة ماله وكثرة جهاته على قدر عنايته ﴿وَمَنْ قُدِرَ﴾ وضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ﴾ على كل واحد من الموسر والمعسر ﴿مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ وأعطاه من المال بقدر ما يليق بحال كل منها ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا﴾ موسرة كانت أو معسرة ﴿إِلَّا مَاءً آتَاهَا﴾ وأعطاه من السبق والمال ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ﴾ كل ﴿عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 7] بعد فقر غناءً وبعد ضيق سعةً وتطيبياً لقلب المعسر واستبشاراً له بالغنى.

﴿وَكَايِنٍ مِّن قَرِيْبَةٍ عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيْدًا وَعَدَدْنَاهَا

عَدَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾

﴿وَكَايِنٍ مِّن قَرِيْبَةٍ﴾ وسكانها ﴿عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ أعرضت عنه وخالفته ونبذته وراء ظهرها ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيْدًا﴾ عنيفاً بالاستقصاء والمناقشة بالنقير والقطمير ﴿وَعَدَدْنَاهَا عَدَابًا نُّكْرًا﴾ [الطلاق: 8] منكرراً أليماً مؤلماً موجعاً أعرضت في الغاية والتغير بالماضي المتحقق ووقوعه حقاً وقطعاً وصدقاً فذاقت ودمرت أهالي تلك القرية.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرَهَا حُزْرًا ﴿٩﴾﴾

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبة كفرها ومعصيتها ﴿وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرَهَا حُزْرًا﴾ [الطلاق: 9] عظيمًا لا ربحًا .

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرير للوعيد وبيان يوجب التقوى المأمور في قوله ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ويجوز أن يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم وسهم في صحف الحفظة وبالعذاب ما أصيبوا به عاجلاً ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق: 10] .

﴿رَسُولًا يَنْتَلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾

﴿رَسُولًا﴾ أي ملكًا أرسل الله به أعني جبريل والقرآن الذي أنزله لأنه مذكور في السماوات أو المراد محمد الذي واظب على تلاوة القرآن وتبليغه فغير عن إرساله بالإنزال رشحا أو لأنه مسبب عن إنزال الوحي إليه وأبدل عند (رسولًا) للبيان أو إرادته القرآن و(رسولًا) منصوب بمقدر مثل أرسل أو اذكروا الرسول مفعوله أو بدل على أنه بمعنى الرسالة ﴿يَنْتَلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ حال من آيات الله أو صفة رسولًا ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي ليحصل ما هم عليه الآن من الإيمان والعمل الصالح أو ليخرج من علمه وقدراته مؤمن ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ والجهالات والضلالات ﴿إِلَى النُّورِ﴾ والهدى ﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ [الطلاق: 11] فيه تعجب وتعظيم لمن رزقوا بالثواب ووفقوا لاجتلاب سعادة الدارين والاكتساب .

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [الطلاق: 12] مبتدأ وخبر لا موصوف وصفة إلا

على تقدير الحذف ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق : 12] أي سبع طبقات وفي كل طبقة طائفة من المخلوقات روى عن ابن عباس أن :

**الطبقة الأولى :** اسمها الرتكاء وفي تحتها الريح العقيم قد زمت سبعين ألف زمام كل زمام بيد سبعين ألف ملك وبها قد أهلك الله قوم عادٍ وأخرجت عليهم قدر ثقب الخاتم فسقت جبالهم وطفت ديارهم وعفت حبالهم ومساكنهم ومدابنهم وأماكنهم قد سلط إذا أراد الله تخريب الدنيا وقيام الساعة ﴿وَسْتَلْوَنَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٧﴾﴾ [ظه: الآيات 105 - 107] وساكن هذه الطبقة أمة يقال لهم البوشم عليهم تكاليف وعليهم عقاب وعذاب فلهم ثواب ودرجات وجنات وسعير ودركات .

**وثانيها :** اسمها خلد وفيها أصناف من العذاب أهل المذار وساكنها أمة يقال لهم الطمس يأكلون من لحومهم ويشربون من دمائهم .

**وثالثها :** اسمها عرفة وفيها عقارب كالبغال ولهم وأذنان كالرماح لكل ذنب ثمانية وسبعون نقارة وفي كل نقارة ثلاثمائة وستون قلة من سم لو وضعت قلة منها على الأرض لمات من فيها من المخلوقات وساكنها أمة يقال لها العيش طعامهم التراب وشرابهم النداء .

**ورابعها :** اسمها الحرباء وفيها حيات وعقارب لأهل النار كأمثال الجبال طولاً وعرضاً لكل حية أنياب كالنخيل الطويل إذا ضربت بها أعظم جبل جعله دكاً لهم ، وساكنها أمة يقال لها الجهلاء ليست عيون لهم ولا أقدام ، لها أجنحة كأجنحة القطاء فلا يموت إلا هرماً .

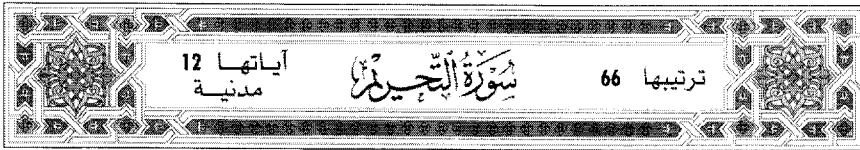
**خامسها :** اسمها ملثا وفيها حجارة الكبريت يتعلق في عنق الكافر فإذا اشتعل كان كالوقود في صدرهم واللهب على وجوههم ويقال لساكنها أمة غبات لا يحصون لكثرتهم ويتوالدون توالداً كثيراً يأكل بعضهم بعضاً .

**وسادسها :** سجين وفيها داين أهل النار وأعمالهم الخبيثة وساكنها أمة يقال لها القنطاط وهم على صورة الطيور ويعبدون الله حق العبادة .

**وسابعها :** عجيب وهي مسكن إبليس وفيها أمم يقال لهم الحيثوم وهم سود وأظافرهم مخاليب كمخاليب السباع وهم يتسلطون على الأوجج فيهلكون على

أيديهم، ويقال: أن إبليس محبوس فيهما موثوق يديهما أمامه ورجليه خلفه ويأتي جنوده بالأخبار واستوحشت الشياطين والعفاريت وأرواح الفجار إذا ماتوا تحت خلد إبليس وتحت هذه الطبقة حجاب من ظلمة في إحدى جانبيه سموم وإليه باب من سقر وفي الجانب الآخر الزمهرير وأسفل من ذلك ظلمة عظيمة، فإذا قامت القيامة أمر الله أن يكشف غطاء فيخرج منها ناراً تحرق جهنم من الحر، فإذا دخلت إلى البحر المطبق على سفير جهنم وهو البحر المسجور ينشق من حرها ما كان فيه من الماء وهذا البحر هو البحر المطبق على جهنم الحایل بينها وبين الأرض فإذا انصببت ذلك البحر استقلت في الأرضين السبع فعندها جمر وحده ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ أي يجري أمر الله وقضائه بينهن وينفذ الحكم فيهن ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: 12] يدل على كمال إرادته وشمول علمه وحكمته وعموم قدرته وهجوم مشيئته. قال النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الطلاق) مات على سنة رسول الله ﷺ».

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعلَ تحريمَ حضورِ صورِ الأغيارِ على قلوبِ كافةِ العارفينَ وغيوبِ عامةِ الأحرارِ الواقفينَ في الكمالِ لاستكمالِ تامةِ ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي تم فيضان أنوار الوجود على أراضِي أعيانِ الغيب والشهود وعلى ما تهياتِ الممكناتِ وعلى حقائقِ المكوناتِ عامةِ ﴿الرَّحِيمِ﴾ الحكيمِ الحاكمِ عليهم بالإرجاعِ والتوبةِ والترجيعِ والإبانةِ بأن يتوبوا إلى اللَّهِ توبهً نصوحاً قبلَ قيامِ القيامةِ الأنفسيةِ قيامةً طامةً .

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَنِّيَ مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ برأيك وعلى مقتضى رأيك ومرضى شهودك ورؤيتك وفكرك ونظرك ﴿مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ حال كونك ﴿تَبَنِّيَ﴾ وتطلب ﴿مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ﴾ إما تفسيراً لتحريم أو استئناف ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لك ويتجاوز عن زلتك وحسيبك ومثلك في طلب مرضاة أزواجك ﴿رَحِيمٌ﴾ [التحريم: 1] بك حيث لم يؤاخذك به روى أنه عليه السلام خلا بمارية في يوم عايشة أو حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فقال لها: «اكتمي ذلك علي»، وقد حرمت مارية على نفسي . فحرم مارية فنزلت . وقيل: شرب عسلاً عند حفصة فرأته سودة فقلن لها فقالت عايشة رضي الله عنها لهنَّ إذا دخلَ عليكن رسول الله ﷺ يقلن له: إنا نجد منك ريح مغاير كريحه الريحه وكان رسول الله ﷺ يكره ويشق عليه أن يوجد منه ريح ننته

لأنه يأتيه الملك فحرم العسل على نفسه .

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢﴾

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ هي شرع لكم ولأجلكم تحلل اليمين بالكفارة أو بين لكم الاستثناء في اليمين وجوزه لكم من قولك حلل في يمينه إذا استثنى فيها ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ أي متولي أمركم وحافظ حالكم ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بمصالحكم ومنافعكم ﴿الْحَكِيمُ﴾ [التحريم: 2] المتقن في أفعاله المتين لأحواله وأعماله .

﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ

عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي

الْعَلِيمُ الْخَيْرُ﴾ ﴿٣﴾

﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ﴾ وأخفى وكتم وأخبر ﴿إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ حفصة ﴿حَدِيثًا﴾ وكلام تحريم مارية على نفسه شرط كتمان سره . قيل : أسر لها النبي ﷺ أن أباك وأنا يا عائشة رضي الله عنها نكون خليفتين على أمتي بعدي فلما نبأت وأخبرت بالحديث أسر إليها النبي ﷺ أمر صاحبته فأطلع الله نبيه على إنها نظقت به ﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ وأطلع ذلك الأخبار نبيه ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ﴾ أي أعلم الرسول حفصة بعض ما فعلت ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ﴾ عن كلام بعض نكر ما أو جاز على بعضه تطليقة أتاها وتجاوز عن بعض فلما بلغ عمر قال لو كان في الخطاب خيراً لما طلقك رسول الله ﷺ فجاء جبرئيل وأمر بمراجعتها واعتزل رسول الله ﷺ نساء شهرًا وفقد في سرية أم إبراهيم مارية حتى نزلت آية التحريم قيل لم يطلبها وإنما سمى بطلاقه فأتاه جبرئيل فقال لا تطلقها فإنها صوامة قوامة وإنها من نسايتك في الجنة، فلما نبأها الرسول ما فعلت حفصة ﴿قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾ الذي كنت أخفيه قال النبي ﷺ في جوابها ﴿قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ﴾ بالأمر الخفية والجلية ﴿الْخَيْرُ﴾ [التحريم: 3] العليم بأحوال الأشياء كلها ظاهرها وباطنها سرها وعلنها .

﴿إِنْ نُؤَبَّأَ إِلَى اللَّهِ فَدَدَ صَعَتَ قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ

مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ ﴿٤﴾

﴿إِنْ نُؤَبَّأَ إِلَى اللَّهِ﴾ [التحريم: 4] خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات

للمبالغة في المعاينة ﴿فَقَدَّ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي عدلت ومالت عن الحق وهو حق الرسول وذلك حق عظيم يوجد فيه استحقاق العذاب بأدنى تقصير وجواب الشرط محذوف للعلم به على تقدير جزائكما، والمراد بالجمع التثنية قال الفراء وإنما عبر الجمع على التثنية لأن أكثر ما يكون من يطلق عليه الجوارح اثنين واثنين في الإنسان كاليدين والرجلين والعينين فلما جرى أكثره على ذلك ذهب الواحد منه إذا أضيف إلى اثنين مذهب الاثنين وقد مر في سورة المجادلة ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ قال ابن عباس يريد أبا بكر وعمر هما وليان للنبي ﷺ على من عاداه ناصران له قيل من آمن بالله وعمل صالحاً وبرا من النفاق وعري عن الشقاق وواظب على الإنفاق ومارس الوفاق والطباق قيل الخلفاء والصحابة ويجوز أن يراد الواحد والجمع فإن تظاهرا وتعاوننا عليه أي تعاضدا على الرسول وإيذائه بما سعوا إليه بما يوجب الاستحقاق والإهانة فلا بأس ولا يضره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ وناصره في الدين ومعينه لإظهار شعائر الإسلام ويقويه أصحاب كمال الإيمان وأرباب التعيين ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي ملائكة عظام يكون ﴿ظَهِيرًا﴾ [التحريم: 4] بعد أي جبرئيل وصالح المؤمنين ظهيراً وعضداً ونظيراً للنبي ﷺ عن أسماء بنت عمر قالت كنت سمعت النبي ﷺ يقول لصالح المؤمنين هو علي بن أبي طالب قيل الأنبياء والصحابة أو الخلفاء منهم خاصة أو المؤمنين المخلصين غير المنافقين

﴿عَسَىٰ رَبُّهُٓ ۚ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُٗٓ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مَسْلَمَتٍ مُّؤْمِنَةٍ فَنِعْنَمَ

تَبَيَّنَتِ عَيْدَاتٍ سَيِّحَتِ تَبَيَّنَتِ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾

﴿عَسَىٰ رَبُّهُٓ ۚ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ هذا من مقولة الرسول وكلامه عليه أي قرب محمد إن طلقكن يا جماعة أزواج النبي وأخرجكن من زوجيته ﴿أَن يُبَدِّلَهُٗٓ﴾ في تأويل المصدر المنصوب مفعول (عسى) أي قرب وتحقق تبديل الله مكانكم أزواجاً يكون ﴿أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مَسْلَمَتٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ مصدقاتٍ مقراتٍ بتوحيد الله وأسمائه وصفاته الذاتية والأفعالية إن طلقكن الرسول وأخرجكن عن بيته ومسكنه ﴿فَنِعْنَمَ﴾ مصلياتٍ مواظباتٍ على الطاعات ملازمات على العبادات ﴿تَبَيَّنَتِ عَيْدَاتٍ﴾ ومتعبدات ومخلصات في العبادات ﴿سَيِّحَتِ﴾ [التحريم: 5] صايمات ومهاجرات

قيل مسبحات وهي أبلغ قيل للصائم سايح لأن السايح لا راد معه فلا يزال يكون ممسكًا إلى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في إمساكه إلى أن يجيء وقت إفطاره ﴿ثَبَّتْ﴾ أضداد باكرات ﴿وَأْتَكَرًا﴾ [التحريم: 5].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوًّا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٦﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إيمانًا خالصًا مقرونًا بالعمل الصالح ﴿قَوًّا﴾ أمر من اتقى وقاية محافظة أي افظوا ﴿أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ أي مع أهلكم بالنصح والتأديب والموعظة والتهذيب ﴿نَارًا﴾ أي من نار ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ أي يكون حطبها وما تشتعل به وما يوقد به هو أفراد الإنسان وأشخاصها التي يغلب على طبقتهم مقتضيات العناصر الأربعة ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ أي حجارة الكبريت أو قساوة القلب وظلمته هي كالحجارة أو أشد قسوة إشارة إلى تفاوت مراتب أفراد الإنسان في الإنسانية فإن منهم من غلب عليه ظلمة الإمكانية وهي على مراتب بعضها يبعد عن الإنسانية غاية البعد وهي ساكنة في درجة الجماد والنبات لغلبة طبيعتها عليه وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ وهذه الفرقة مخلدون في النار لا يقال فما الفائدة في تعذيب هذه الطائفة؟ لأننا نقول إن النار من شأنها تفريق المتخالفات وجمع المتماثلات ففائدتها إزالة هذه الصفات المتخالفة وإمالة الهيئات المتباينة لحقيقة الإنسان وهي الجمعية الإلهية والكونية وكل صفة وهيئة إذا عرضت على هذه الجمعية ورسخت فيها وثبتت وصلبت فيها ملكة راسخة كانت في الحقيقة الإنسانية حجارة أو أشد من الحجارة، فنزلها ليس إلا النار السعيرية ووراء هذه النار نار أخرى من نار جهنم بمراتب كثيرة، فإن كان يوم القيامة أمر الله أن يكشف غطاءً وحجابًا فيخرج من هذه النار نار الخوف، جهنم بشدة حرارتها، فإذا دخلت إلى البحر المطبق على شفير جهنم وهو البحر المسجور ينسف من حرها ما كان فيها من الماء واستحر كلما كان في هذا البحر بعد وهذا البحر حایل بينها وبين الأرض بطبقات فلو صب شيء من هذا البحر على الأرض اشتعلت الأرض بما فيها وصارت جمرة واحدة ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: 6] غلظ وكثافة قد سلطتهم على جهنم وأهلها لم يخلق في قلوبهم رافة ولا رحمة ولا رقة ولا شفقة



يرحم على أحد من أهل قوتها والمراد بالغلظ هي الحدة في الأقوال بحيث يكون مؤثرة فيهم بل يكون أحد وأشد من تأثير الجراحات .

جراحات السنان لها التيام ولا يلتام ما جرح اللسان وبالشدّة ما يكون في الأفعال فإن تأثيرهم وتعذيبهم إنما يكون بالأقوال والأفعال ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ ولا يخالفون ما أمره ولا يخرجون على إطاغته وكمال مطاوعته ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6] يعني أنهم غلاظ شداد على أعداء الله رحماء على أولياء الله وأحبائه أشداء على الكفار رحماء بينهم وهم تسعة عشر .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَعْتَدِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَعْتَدِرُوا الْيَوْمَ﴾ لما ذكر شدة العذاب بالنار وبالأقوال والأفعال أراد أن يذكر العذاب بالأحوال القلبية وهي اليأس والإياسة والتحسر والندامة وهذا العذاب أشد من العذاب القولي والفعلية من الله والملائكة الموكلة أن يقولوا لهم لا تعتذروا اليوم والاعتذار هو التوبة والتوبة قد فاتت عنهم لأنها كانت من لوازم الدنيا فيعد الدخول في النار غير مقبول فلا فائدة في الاعتذار ﴿إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التحريم: 7] علة للنهي .

### مطلب التوبة

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا﴾ في الدنيا ﴿إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: 8] مبالغة في التوبة في النصح إذ هو صفة التائب فإنه ينصح أولاً نفسه بالتوبة في مقام النفس اللوامة يتحقق بها في مرتبة النفس الملهمة ويثبت ويطمئن عليه ويرشح ويتمكن لديها ولهذا الأمر أولاً بمحافظه النفس ووقايتها عن المنهيات

وبالاجتناب عن المعاصي والسيئات فيفعلون الأوامر والنواهي ويعتقدون خفيتهما وثانيًا يتحققون بما اعتقدوا أو يتصفون بما يقيدوا به وأقروا بها وإليه أشار النبي ﷺ بقوله: «من كان له في نفسه واعظ كان له من الله حافظ» بأن يأتي على طريقها متداركة المفرطات ماحية للسيئات وذلك بأن يتوبوا عن القبائح بعد أن أقر بقبحها ولاوم نفسه بارتكابها إياه نادمين عليها مغتمين به أشد الإغمام على أنهم لا يعودوا عليها عن علي رضي الله عنه سمع أعرابياً يقول اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك فقال: ما هذا إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال: وما التوبة؟ قال: تجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب علم بدايته وللفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن يعزم أن لا يعودوا أن تربي نفسك في الطاعة كما تربيها في المعصية وأن تذيبها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [التحريم: 8] الكبيرة والصغيرة ما عدا الشرك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية 116] .

﴿وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ذكر بصفة الإطاعة جرياً على عادة الملوك وإشعاراً بأنه يفصل والتوبة غير موجبة وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ أي لا يرد شفاعته (يوم) ظرف ليدخلكم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ [التحريم: 8] عطف على النهي ﴿تُورْهُم بَيْتًا أَلْيَهُمُّ وَيَأْتِمَنُهَا﴾ على الصراط المستقيم للمؤمن والمعوج على الكافر وهو من السيف أدق من الشعر لأنه حد فاصل وبرزخ حایل بين الضدين وهو غير مستقيم في جهة العرض فهو إذاً أحد من السيف وأدق من كل الشعور ﴿يَقُولُونَ﴾ أي المؤمنون عند انطفاء نور المنافقين ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورًا﴾ [التحريم: 8] لنعبر الصراط المذكور وأتم علينا مرورنا إشعاراً بأن من بيده أزمة التوفيق وبحسب قدرته وإرادته أعنة التحقيق يفعل ما يشاء بما ينقص ويزيد ويحكم على من يشاء ويريد بالإتمام والمزيد ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾ وتجاوز عن سيئاتنا ليتم نورنا ويعم على الصراط مرورنا ولا يعم علينا عليه عبورنا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: 8] علة للكل وإشعاراً بأنه عالم الكليات والجزئيات وأنت خبير بأن المؤمنين تتفاوت أنوارهم بالقلة والكثرة والصفاء والكدورة ولذا يسألون الإتمام تفضلاً .

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ  
جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٩﴾

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ﴾ بالسيف بدون الميل والحيث في عموم الأزمان في الشتاء والربيع والخريف والصيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بحسن التدبير وتمام الحكمة وكمال المدارات ووفور التوقير ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ واشدد بهم على ما يقتضي الحال والمقامات ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن فإن لم يطاوعوا يصير مصيرهم في السعير ﴿وَمَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم: 9] جهنم أو مآلهم جهنم.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا  
تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ  
شَيْعًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ ﴿١٠﴾

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ يعني بين حالهم بطريق المثل إنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثل معاقبة الأجانب الذين لا يكون بينهم نسبة أصلاً بل أشد من غرائق المحابات واتقاء المدارات فلا ينفعهم مع عداوتهم بهم المقارنة والنسب الروحية والإنسية الناجي الذي كان بينهم أو الداين وأحكام الإسلام الذي يقضي إلى حصول السعادات والوصول إلى درجات الجنات التي هي باقيات صالحات ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ نُورًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [اكهف: 46] عن شرفه أعادوا به من الدنيا وما فيها وإن كان بين المؤمن والكافر اتصال لازم ظاهراً كحال امرأة فرعون وامرأة نوح ولوط فإن امرأته وهي بنت عمه موسى لما سمعت قصة إلقاء العصا والتقامها الحيات المصنوعة والحبال الموضوعة آمنت بموسى عليه السلام.

﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ﴾ نوح ولوط ﴿مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ﴾ [التحريم: 10] إشعاراً بأن عباد الله وخواصه وأخباره كثيرة متخالفة المناصب متباينة المناقب يكونون مختفين عن العيون والأبصار كخضر وإلياس وبرح وكانوا في زمان موسى أخفاهم الله عن نظر موسى وأويس القرني وأصحاب الصفة والخواص الذين قال الله تعالى

في حقهم: يا أحمد إن في الجنة قصرًا من لؤلؤة ودرة فوق درة ليس فيها قصم ولا وصيد فيها الخواص أنظر إليهم كل يوم سبعين مرة وأكلمهم كلما نظرت إليهم ازدادوا في ملكهم سبعين ضيفًا وإذا تلذذ أهل الجنة بالطعام والشراب تلذذوا أولئك بذكري وكلامي وحديثي قال: يا رب وما علامة ذلك؟ قال: أولئك مسجونون قد استحبوا نسبتهم من فضول الكلام وبطونهم من فضول الطعام الحديث وكالأبرار الذين كانوا في زمن إبراهيم الخليل قال الله تبارك وتعالى: «يا خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار» الحديث. قال الله تبارك وتعالى: «أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم سوائي».

﴿فَعَانَتَاهُمَا﴾ بالنفاق وكثرة الخلاف والشقاق ﴿فَلَمْ يُعَيَّا عَنْهُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ يعني كانتا ناقضين لزوجهما لا في الدنيا ولا في الآخرة قال النبي ﷺ: «أول ما يسأل المرأة عن صلواتها ثم بعلمها كيف عملت إليه». وأصل التبعل وهو الاستمتاع قد حصل منهما لأحسن التبعل وهو أن يكون أحدهما معينًا للآخر، فما حصل من زوجتهما وقيل للمرأتين عند الموت أو القيامة: ادخلا النار مع الداخلين أي مع ساير الداخلين من الكفرة الذين خالفوا أمر الله وأمره وشرايعه ودينه وأمر رسوله وأحكامه ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: 10].

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ وهي آسية بنت عمران بنت عمه موسى كانت معينة لفرعون في أمر الدنيا والآخرة وذلك لإيمانها الذي أخفته عن فرعون، وكانت مساعدة في البداية لخلاص موسى من يد فرعون حيث أمر بقتل الصبيان شبه حال المؤمنين بحال امرأة فرعون في أنها كانت وصيلة الكافرين وكانت أفعالهم القبيحة وأعمالهم شبه غير مؤثرة فيها ومنزلتها وعلو مقامها وسوء مكانتها عند الناس أنها كانت تحت أعدى أعداء ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ ظرف لمثل المحذوف ﴿رَبِّ ابْنِ لِي﴾ أمر من تبنى ﴿لي﴾ واصنع لأجلي ﴿عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: 11] أي في جنة الذات إشعار بكمال رفعة شأنها وكمال حقية حقيقة إيمانها وبأنها قد

بلغت في رتبة الإيمان ودرجة اليقين ومرتبة الإحسان إلى رتبة عين اليقين ومنزلة حق اليقين وإليه أشار علي بن أبي طالب ومؤمن فرعون وصاحب يس فإنهم ما غفل عن اللّه طرفه عينٍ ﴿وَنَجِيٍّ مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ وسوء كفره وشؤم نفسه وشامة شركه وضره ﴿وَعَمَلِهِ﴾ الخبيث وفعله الخبيث ﴿وَنَجِيٍّ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: 11] أي القبط التابع لفرعون في الظلم.

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا  
وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِحْسَانُ﴾ [التحريم: 12]

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾ عطف على امرأة فرعون تسلية للرسول والأنبياء ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ وحفظت وصانت فرجها من الرجال والنساء مطلقاً ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ وحصنة حصينة من امتداد أنفسنا ونور ذاتنا ونفسنا وظهور حضيرة قدسنا وحضور جمعيتنا ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِحْسَانُ﴾ وهي عيسى وكتابه وما وردت عليه من الأحوال والمقامات بأن خالها ما رأى في مشاهد شهوده ومعاهد عهوده وكتبه الأربع التي كتبها الله في صحايف أطوار قلبه ﴿وَكُنْتِ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [التحريم: 12] الخاضعين المتواضعين الخاشعين المواظبين على أداء العبادات وقضاء الطاعات، وتذكيره إما للتغليب أو للإشعار بأنها في أداء العبادات وإبقاء الطاعات قد بلغت مبلغ الرجال حتى عدت من جلتهم وردت من جملتهم وزمرتهم فعلى هذا (من) ابتدائية.

عن النبي ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمَلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَرْبَعَةٌ: أَسِيَةُ بِنْتُ مِزَاحِمَ بِنْتُ عَمَةَ مُوسَى امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَفَضْلَةُ عَائِشَةُ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»، وقال أيضاً: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ (التَّحْرِيمِ) آتَاهُ اللَّهُ تَوْبَةً نَصُوحًا».



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي خلق الموت بشكل الكبش والحياة بصورة الفرس في بداية دورة النور والجمال والوجود وفي بداية نوبة تربية الجلال والعدم في غيب الجمال والقدم لإظهار كمال الشهود عكس الأمر للإشعار بكمال جامعة العابد وتحققه بنعوت المعبود ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي يكمل أعيان الأدوار وأكوان الأكوام وتيمم أدوارًا كل منهم بالإرجاع إلى الأحدية الجمعية للنورية وللأحدية الجمعية الظلية الإفرادية ثم إلى جمعية الجمعية بلا حد ومحدود ﴿الرَّحِيمِ﴾ وتعاضم وتعالى وتباركت بركات آثار أنوار الذات.

﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [المُلْك: 1] هو مالك الملك وتحت تصرف كمال قدرته وعالم الأجسام وهو ظاهر الأشياء وأنيتها فإن لكل شيء غيبًا وهو باطنه وملكوته وروحه وشهادته وهي ظاهرة وملكية وجسمية والمراد بالملك هنا هو ملك لوجود العدم ممكن وجود وعدم يتصرف فيهما أما في العدم بتقليب الوجه العدمي والذي يلي الذات وهو الجلال إلى الوجه الوجودي الذي على الأسماء والصفات وهو الجمال وأما في الوجود فبإظهار ما كان كامنًا في الوجه العدمي والقابلية والاستعداد الذاتي ولا بالشؤونات الثابتة والصور العلمية ثم بالهيئات الغيبة والنعوت الغيبية والأشكال الشهادية والملكية الخلقية ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ

وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: 54] والشيء قد يطلق على الوجود والعدم وقد يطلق على الواجب ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهْدَةً قُلْ اللَّهُ شَهِدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: 19]، ﴿قَدِيرٌ﴾ [المُلْك: 1] المتصرف في جميع الأشياء بقدرة كاملة وقوة شاملة فاضلة ولذا بالغ فيه .

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ﴾ عن الوجه العدمي على صورة الكبش الأملح كما وقع في الحديث النبوي أن الله خلق الموت في صورة كبش أملح لا يمر شيء ولا يجد رايحته شيء إلا مات ﴿وَالْحَيَاةَ﴾ عن الوجه الوجودي على صورة فرس بلقاء فوق الحمار ودون البغل لا يمر على شيء لا يجد الحياة إلا حي قال سيد الطائفة الشيخ الجنيد قدس سره وحياة الأجسام مخلوقة وحياة الله دائمة لا انفصال لها أوصلها إلى أوليائه في قديم الدهر الذي ليس له ابتداء قيل : إنه خلقهم فكانوا في علمه أحياء يراهم قبل إيجادهم ثم أظهرهم فأعاد لهم الحياة المخلوقة التي أحيأ بها الخلق وأماتهم فكانوا في سره بعد الوفاة كما كانوا، ثم أورد عليهم حياة الأبد فكانوا أحياء واتصل الأبد بالأبد فصار في أبد الأبد دل على كمال حلمه ووفور حكمه لأن مثل هذا العقل البديع والحكم والتدبير المنيع المتقن لا يتأتى إلا عن فاعل حكيم قادر عليم أي خلق الله الموت والحياة فيمن أراد واختار تعلق مشيئته به ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي ليعاملكم معاملة الابتلاء والاختبار ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ صوبه وأخلصه عن شوايب العرض وشآيب الرياء والعوض وأورع عن محارمه وأنفع عن مخالفته وأسرع إلى طاعته وعبادته هذه جملة وقعت مفعولاً ثانياً ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ لتضمنه معنى العلم والتعليم أي ليعلمكم أيكم أحسن عملاً أو الإظهار أي ليظهر لكم أن أيكم أحسن عملاً في علم الله وقضائه وحكمه فإن أفعال العباد معرفات أحكام الله تعالى وأعلام معالم خطابه وتفاصيل آيات كتابه وليست من باب التعليق لأن ما يسد مسد المفعولين جميعاً كقولك علمت أيهما عمر وعلمت أن زيداً منطلقاً ولو كان تعليقياً لوقعت الجملة خبراً بخلاف الأول فإنه لا يقع خبراً بل مفعولاً ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القوي الغالب يفعل ما يشاء بعزته وقوته ولا يعجزه من إن شاء العمل منه الانتقام من نعمته ﴿الرَّحِيمُ﴾ [المُلْك: 2] لمن آمن به



وتجاوز عن سيئاته وخطيئاته ولمن تاب عنهم وأجاب دعواهم وأصاب إنابتهم .

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ  
الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ متحرِّكًا بحركاتٍ ذاتيةٍ مختلفةٍ كَمَا وكيفًا وهي كما وجد في الرصد وأحسوا بها فيه سبع وقد وجدوا حركتين مختلفتين شرقًا وغربًا، أما الأول فهما اليومية التي بها تحركت الأفلاك السبعة وتحركت بها الكواكب السبعة المشهورة، وهي زحل، مشتري، مريخ، شمس، زهرة، عطارد، وقمر، أما الثانية الغربية فهي ظاهرة في الكواكب الثبوتية والأوجات الثابتة وأسندوا الأولى إلى فلك الأفلاك وسموا أهل الشرع والعرش والثانية إلى فلك الثامن وسموا الكرسي، فالأفلاك على الطريقة من نسقه وإمامًا قيلَ من أنه يجوز أن تكون الأفلاك ثمانية والحركة الأولى اليومية مستندة إلى النفس الكلية المتعلقة بالكل، وما قيلَ دفعًا لهذا القول، قال: يجوز أن تكون الأفلاك سبعة والبروج والكواكب الثابتة ثابتة في مثل زحل، وتعلقت بالكل نفس كلية، وحركته حركة مشرقية يومية، فلا يلتفت إليه أن الاحتمال العقلي لا يقدر ما ثبت بالوحي الإلهي، ولا تواطأ العقلاء به، الكاملون والحكماء والعلماء الربانيون من الأنبياء والمرسلين والأولياء المكملين والحكماء الأقدمين من أن السماوات والحركات تسعة، لجواز أن يكون في كل من الاحتمالين مفسد كثيرة خفية ومحالات غفيرة لا يطلع عليه العقل المتشبه بأذيال الوهم والخيال أو بمجرد الاحتمال، لا يثبت مطلب سيما أن يكون شرعيًا مع أن العقل وأحكامه أصولًا وفروعًا يقتدي واجب التقليد ولازم التقيد به ﴿طِبَاقًا﴾ [المُلْك: 3] مطبَّقًا مطابِقًا منطبقًا بعضها على بعض جميع الأجزاء بحيث لا يبقى جزء منها بلا انطباق يدل على أنها تحديديًا، وتعقيرًا مستديرًا، وقد ذهب بعض المليون إلى أن السماوات كلها كالقباب والخيام أذيالها مرسله على جبل قاف فتطابقها ليس كليًا فوق الأرض وتحتها، ومخالفة المسلمين الحكماء في هذا الطلب قليل الجدوى وعليل الفحوى، لأن استدارة الأفلاك بالوجه المذكور لا ينافي الخرق والالتيام، سيما إذا كان الفاعل مريدًا مختارًا لا يشغله شأن عن شأن، ولا يعجزه عن إيجاد وإعدام على أن ما أرادوا

أوردوا على نفيهما، وإثبات قدم الأفلاك والعناصر، ونفي قيام القيامة وظهور الساعة وإعادة المعدوم لا يتم، وأكثر المقدمات الموردة في هذا المقام لإثبات مزالقه. والمواد إقناعية غير تامة والحق كل ما ورد في هذا الباب إذ العقل لإقامة أحكام العبودية لا الإدراك سر الربوبية.

وأما تقديم الموت على الحياة فلوجوه:

**الأول:** أن إعدام الممكّنات الحادثة وهي الموت متقدمة على وجودها وهو الحياة.

**والثاني:** أن الموت هي حياة الدنيا والحياة حياة الآخرة وهي متقدمة شرفاً وبقاء.

**والثالث:** إشعار بأن حق العباد العارفين أن يجعلوا الموت نصب العين لينقطع أملهم وينقطع لديه وترهم وأجلهم، ويرتفع عن مظان الغرض والعوض عملهم.

**الرابع:** إشارة إلى استكمال النفس موقوف على الموت الإرادي والفوت الاختياري لقوله عليه السلام: «موتوا قبل أن تموتوا». قال الحكيم الإلهي: «مت بالإرادة تحيا بالطبيعة» وغير ذلك من الملاءات المقامية.

﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [المُلْك: 3] صفة ثانية للسموات لما وصفها بالطباق لا بد أن ينبه بأنه كلي يسري في كل الأجزاء ليكون مناسبة فينبغي التفاوت وفي وضع المظهر موضع المضمرة إشعار إلى هذا تعظيماً لخلقه وتنبهها على سلامتهن من التفاوت ويجوز أن يكون تعليلاً لكلية الطباق فإن عطية الرحمن وهي إفاضة الوجود الظلي متساوية النسبة إلى القابليات الذاتية ومنها إفاضة الوجود وما يتبعه من الطباق أو غيره، على القابليات الفلكية والاستعدادات السماوية، فلا بد وأن يعم الطباق في كل الأجزاء والإتمام، والتحكم إما تخصيص بعض انطباق الأجزاء ببعض فهو ليس إلا بتخصيص الإرادة الإلهية والمشية الذاتية كما خصصت أجزاء الصورية الجسمية والنوعية بأجزاء الهيولى وتخصيص أجزائها الجسمية بأجزاء الحيز والمكان، وكذا تخصيص الوجودات الظلية بالإعدامات الأولية بعضها ببعض، وكذا تخصيص بعض العقول والنفوس

والأرواح ببعض الأجسام، وذلك بعد استواء السنة القدوة التي مظهرها الرحمة، والتفاوت قد انتفت بين المقدورات، وإنما التفاوت بين المرادات التي نهايتها المبصرات في المقولات في مدارك المخلوقات، البصر الذي هو نهاية مدارك الإرادة التي هي صورة العلم .

﴿فَأَرْجِعْ أَبْصَرَ﴾ التي هي عين الشهود الذاتي وأعدّها إلى ما كانت عليها في الفطرة الأولى بحيث يبصر البصر عين البصيرة عين السريرة إلى أن صارت عين الجمعية العظمى ﴿هَلْ تَرَى﴾ في مقتضى القدرة وهي العموم، وفي مرتضى الإرادة وهو الخصوص والتخصيص ﴿مِنْ فُطُورٍ﴾ [المُلْك : 3] وانشقاق وشقوق ونهاية السير إلى الله .

﴿ثُمَّ أَرْجِعْ أَبْصَرَ كَرْنَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ أَبْصَرَ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيدٌ﴾

﴿ثُمَّ﴾ بعد الانحطاط في السير من الله إلى الجمعية والسير في الله ﴿أَرْجِعْ أَبْصَرَ﴾ النور بنور الله ﴿كَرْنَيْنِ﴾ والطور بأطوار أسمائه وصفاته جمالاً وجلالاً مرتين في السيران إحداهما في السير إلى الله، والثاني في السير من الله ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ﴾ مجردة عن التأييد الإلهي والتأييد الرباني ﴿أَبْصَرَ خَاسِئًا﴾ ذليلاً يائساً وآيساً ﴿وَهُوَ حَسِيدٌ﴾ [المُلْك : 4] كليلاً منقطع الرجاء، عليلاً لم يدرك ما طلب ولم يصادف طالبه بكليته ركن وركب منارة إلى كيفية ترتيب المقدمات الفكرية، وتركيب المقالات النظرية بأنه لا بد أن يكون المطلوب ولا مشعوراً بوجه ما، وهو الفطري والشعور الأزلي، ثم ينزل في هذا المقام إلى نهاية التنزلات بعد إرجاع البصر الفطري الأدوار والأكوار المفردة دون الجمعية، إذ لو لم تكن مقتضيات الأدوار ومرتضيات الأكوار الإفرادية لم تتأت الجمعية وهي المقدمة الصغرى في السير من الله، ثم ارجع البصر المذكور كرتين كرة من الله بعد الشعور والإدراك المذكور في الممكنات، وكرة أخرى في الممكنات إلى الواجب، ثم ينتقل منهما إلى الصورة الجسمية والهئية الكلية النوعية، ولذا قيل باسم الصورة النوعية الإلهية في مقام بسم الله أو المراد من الكرتين هي الدورة النورية والكورة الظلية أو السير من الله إلى الله، والظاهر والباطن، أو الأول والآخر والأزل والأبد هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم،

الإجمال والتفصيل والوحدة والكثرة والغيب والشهادة والنتيجة في الكل هي الهيئة الكلية الجمعية، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 29]، وليس فيها تفاوت لاستواء الكل فيها، فإذا أوصلت البصر التي عين البصيرة إلى الصورة النوعية والهيئة الكلية الجمعية انتفت التفاوت في نظرها إذ التفاوت إنما هي في مقتضيات سرّه.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ الدني والأدنى والأقرب منكم والمراد منها هو كرة النار التي تتراءى الكواكب فيها ملونة، والسماء والكواكب والأفلاك بأسرها لطيفة شفافة، ليس لها لون فلا يمكن أن يرى وتبصر بنفسها، وكذا الصبح والشفق إنما يتراءى في هذه الكرة ﴿بِمَصَابِيحَ﴾ والسراج يزينون بها دورهم ومجالسهم ومساجدهم ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ أي صيرناها الكواكب التي هي مصابيح السماوات ﴿رُجُومًا﴾ جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم وهو البعد أي جعلنا الشياطين من السماء ورجمه الله بتلك الشهب ﴿لِلشَّيَاطِينِ﴾ [المُلْك: 5] يعني أن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماوات ويسمعون كلمات الملائكة ويخبرون بها عن الحوادث الزمانية وكانوا يسرقونها ويخبرون بها الكهّان؛ فانفصلت منها، وتشمل ما فرشت بها، وتلك من الشعد والشهب التي رجمت بها شياطين الإنس وهم المنجمون.

والذين أسندوا الحوادث إلى الكواكب وأصنافها سبب لرجم شياطين الإنس والجن وبعدهم وإبعادهم عن الحق وكونه فاعلاً مؤثراً في الأكوان وخصائص الأعيان وما جعل الكواكب بعالم الظهور آثار قدرته ومظاهر لإظهار أنوار حكمته وإسبارةً لكمال تدييره ووفور تأثيره وحسن تصويره بعلم إرادته ورقم مشيئته ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: 5] الآية وهم منجمو الثقلين فإنهم احتجبوا بالأسباب عن المسبب وبإظهار المصنوعات عن المبدع القادر الرب وأسندوا الآثار إلى النجوم والكواكب إلا أن أعمار أعيان الجن لما كان أطول كان تدييرهم وتصرفاتهم تبعاً لهم وأكثر وأوفر كما اشتهر أن الأهرامات الذي في مصر بناها جان بن جان بحق وقد وضع فيها طلسمات وأشكالاً لها خصائص

ومقتضيات منها أن أرض مصر وديارهم تمنع عن شرور قدوم عساكر الأعداء قد كتبوا على تلك القباب: بنى الأهرمان النسر الطائر في السرطان وفي زماننا هذا هو في الجدي .

وقد تقرر أن الكواكب الثابتة قد تتحرك حركة بطيئة بأن يقطع درجة بمائة سنة، وتتم الدورة بست وبثلاثين ألف سنة ولم يعلم أن هذه المدة التي قطعها نصف الدورة، أو دورة ونصف لا يعلمها إلا الله والراسخون من السائرين في الأدوار بطريق البروز كسر آدم الأولياء علي ومقدم الأصفياء وهو خضر عليهما الصلاة والسلام . وبالجملة نظره إلى النجوم والكواكب وأسند التأثير والحوادث إليها، وغفل عن المكون المبدع، فهو الشيطان بعيد عن الله الشاك بالأخبار، وأما المؤمن الموحد المحقق الأبدي ما أسند التأثير إلا إلى الله، ولم يجعل الكواكب والنجوم أسباباً وشرائط للتأثير .

واعلم أن منافع النجوم كثيرة منها الزينة ومنها الهداية ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 97] ، ومعرفة الأوقات ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: 189] وغير ذلك . لا يقال: أن الشياطين مخلوقون من النار فكيف يحترقون باللهب لأنهم خلقوا من نار العنصر والنار الفلكي وكذا نار الآخرة أحر بكسر النار العنصرية ألا ترى أنهم يعذبون بنار الآخرة وقد صرحوا بأن نار الآخرة قد غسلت سبعين مرة ثم بعثت في الدنيا ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [المُلْك: 5] أصله أعدنا قلبت إحدى الدالين تاء .

اعلم أن إبليس لما أراد أن يخبر شيئاً من سماء الدنيا ويسمع قول الملائكة الذين دبر الله عالم الملك بل الملكوت بهم وهو الذي قال رئيساً بعضهم لبعض ما تأولوه من اللوح المحفوظ قال الذي من كان منكم بعدي نفسه ويصعد إلى السماء ويرجع إلينا يخبر من قول الملائكة فحضره وأجابوه ثم ركب بعضها بعضاً حتى أدركوا سماء الدنيا، ثم وضعوا آذانهم على سماء الدنيا وسمعوا قول الملائكة فضربتهم بالنجوم، ورميت بالشهب، فأحرق من كان فوقهم ومات من كان تحتهم، وسقط من كان في آخرهم، ثم سقطوا كلهم في البر والبحر والعمران والخراب، ومن سقط في البحر صار تينياً، ومن سقط في البر صار غولاً، ومن سقط في

العمران صار حاتومًا ، ومن سقط في الخراب صار كافورًا وصرعا وسكنه ، ومن الشياطين المردة الرجيم ، قد تاقوا على الكفر والمعصية لما بين في الصدر أنه قادر في الكل ، وإنه لأجل الابتداء ليكون عزيزًا في حق المصيرين على الإساءة غفورًا في حق التائبين ، فذكر بعد ذلك تفاصيل عذاب المسيئين فقال :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من الجن والإنس كفر العصيان ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ أو الشرك ﴿عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ قوله بالنصب عطفًا على عذاب السعير تنبيهًا على اتحاد السعير والجنة ورفع له شعور تغاير فيهما فإن ناره وعذابه أشد وأشرّ بدليل ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [المُلْك : 6] ذكر الفاعل وحذف المخصوص بالذم أي بئس مرجعهم ومعادهم جهنم ووصف ذلك العذاب بصفات كثيرة .

﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾﴾

﴿إِذَا أُلْقُوا﴾ إذا دخلوا ﴿فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ [المُلْك : 7] صوت حمار لشبه صوته لشهب النار ، وهي أشد العذاب ، لأنه عذاب روحاني إن أنكرو الأصوات لصوت الحمير وهو ينقش في الروح نقش المشط في الجسم ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ [المُلْك : 7] من الفوران وهو الغليان جهنم تغلي غليان المرجل بما فيه ، هذا عذاب آخر لكونه عذاب الروح نكارة صوته والنفس لشدة الخوف ولحدة الهول .

﴿تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾

﴿تَكَادُ تَمَيَّرُ﴾ أي تقرب جهنم أن تتفرق أجزاءها وتتفتت بعضها وتميزت عن بعض غضبان ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ على ما فيها من الأعيان الجنية والأكوان الإنسية انتقامًا منهم لله من العصاة والظالمين من الولاة والجبارين من القضاة والمشركين والمشركات ، وهذا يتمثل لشدة أشد إنها بإحراق ما فيها ألا ترى التنور الحادث إذا اشتعل في الغابة يتفرق أجزاءه وينفك بعضها عن بعض ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ وطائفة أخرى وهي فرد وزوج ممن هو نساء وزوج ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ وهي ملائكة شداد يسلطون عليها وعلى ما فيها من الثقيلين ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [المُلْك : 8] داع إلى الله مخوف من عذاب الله ووفور عقابه أي ما جاءكم مني مخبر ورسول مبشر ومنذر .

﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي

ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾

﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي الذين كانوا في جهنم قالوا بلى وأجابوا ﴿قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ وأنكرناه ونفيناها ﴿وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ من الملائكة أو الكذب ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [المُلْك: 9] وسوء أفعال كثير على ما زعموا أن الأنبياء قد تكلموا من عند أنفسهم لا من الله .

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾

﴿وَقَالُوا﴾ أي الكفار في الجواب بعد ابتلائهم بأنواع العذاب وأصناف العقاب ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ ما جاءنا بهم من الكتاب وصنوف الخطاب وذكر السمع دون قرينة أعني البصر لكونها من التكاليف الشرعية ومحاط التعريفات الإلهية والوضعية فيكون فصله من البصر وإن كانت من مبادئ الفكر والنظر مشعر بأن طريق النجاة ورفيق تحصيل الدرجات والفوز بالجنات هو النبوة ومبادئها، أعني السمع للاستدلال والنظر ومبدأ إلى البصر ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ يدرك بالعقل المتخذ، وهو الذي أدبه الله بنواميس الأحكام النبوية والقوانين الشرعية، إذ العمل المجرد عن الوحي لا يفيد في الإلهيات وقال النبي عليه السلام: «العقل لإقامة العبودية لا لإدراك سر الربوبية»، وقد نظمه آدم الأولياء علي المرتضى:

كيفية المرء ليس المرء يدركها

... إلخ ﴿مَا كُنَّا﴾ واقفين دارجين ﴿فِي﴾ زمرة ﴿أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [المُلْك: 10]

وهي العصاة من المؤمنين والمشركين .

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ وأقروا بالقبائح عيبتهم وفضايح غيبهم حين لا ينفعهم ولا ينجيهم ولا يمنعهم من العذاب ﴿فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [المُلْك: 11] أي سحقهم الله وأبعدهم سحقًا وأبعدهم من رحمة الله ولطفه .

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [المُلْك: 12] بمعونة العذاب وإعانة ملاحظة

شدة العقاب الغائب عن الحواس الظاهرة أو المراد هو الذكر والعبادة المعبر  
 بيان الخشية في الخلوة لأنها فيها أخلص، أو المراد بالغيب هو القلب والنفس  
 ﴿وَأَذْكُرْ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ  
 مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٥﴾ [الأعراف: 205] ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملوك: 12] وستر  
 للذنوب وإخفاء القبائح والعيوب وتجاوز عنهم الله العذاب وشدايد العقاب  
 وأجر كبير ولطيف كثير وكرامة جليل.

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ﴾ وأخفوه وأسروه واضمروه في نفوسكم ﴿أَوِ اجْهَرُوا بِهِ﴾ هما  
 سيان عنده مستويان دونه ظاهران في علمه حاجزان لدى قضائه وحكمه ﴿إِنَّهُ  
 عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملوك: 13] أي أمور هي خاصة الصدور والصدر وجه  
 للقلب يلي النفس تنقطع فيه صور المحسوسات وهيئات الأفعال النفيسة ﴿قَالَ  
 رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾﴾ [طه: الآيتان 25، 26] وحال فيها وهي  
 حاوية عليها احتواء المحل بالحال.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾

﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ أي أليس يعلم ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ وأوجد الأشياء وأبدعها وأنشأها  
 واخترعها الأشياء المخلوقة من الأعيان وما يتبعها من الأعمال والأفعال  
 والأحوال الجليلة والخفية مع أن خلق الأشياء بدون العلم بها ممتنع ومحل  
 الاستفهام للإنكار ويحتمل أن يكون فاعل (يعلم) راجعاً إلى الله والموصول مع  
 الصلة مفعوله والعايد محذوف أو يكون الموصول فاعله ومفعوله محذوفاً مع  
 مفعول ﴿خَلَقَ﴾، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ المتصرف في الأمور اللطيفة الخفية عن  
 الأبصار ﴿الْخَبِيرُ﴾ [الملوك: 14] العالم بظاهر الأشياء وباطنها ومتصرف في  
 البسائط والمركبات الظاهرة والخفية والكثيفة الجليلة. روي أن المشركين كانوا  
 يتكلمون ويقولون أسروا قولكم لئلا يعلم آل محمد فنبه الله على كمال حماقتهم  
 ووفور جهالتهم وقلة تدبيرهم بإنزال هذه الآية:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ

النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ﴾ [الملوك: 15] المسكونة أو من شأنها السكون



﴿ذُلُولًا﴾ من الذل وهو الحقارة والتخفيض لينة مطيعة وقابلة مطاوعة سهل عليها بالحركة والسير من الدَّوَابِّ والإنسان والطير ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ وأطرافها وجوانبها، أصلها هو الجوانب، ومنه منكب الرجل، ونكب وتنكب إذا اتكى على جانب الأرض ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ الطيب النبات فيها من أنواع النباتات من الحبوب والأثمار والأنوار والأشجار الثابت فيها المتحرك عليها من الحيوانات وهما معنيان لها دالان على نهاية تذللها وغاية تقللها ﴿وَإِلَى الشُّورِ﴾ [المُلْك: 15] إشارة إلى أن مدار الدنيا هي الأرض وأقطار الآفاق السبعة وأطرافها ومناكبها وفجاجها واستقامتها واعوجاجها وغير ذلك، فإذا ينبغي أن يكون مسكنكم ومحل سكناكم الأرض، واقتنائكم من رزق الله من النباتات والحيوان وأن من يعلم أمر مرجعكم ومعادكم إنما هو الله كما كان مبدأكم ومنشأكم، فإذا الواجب على اللبيب المستبصر والرقيب المستنصر الاتقاء من المعاصي والكفر في السر والعلانية والجهر لئلا يمطر من سماء القهر الإلهي أمطار حجر سخط الله وغضبه فالحري على العاقل أن لا يأمن سماء سخطه وقضاء أمره.

﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾

﴿ءَأَمِنْتُمْ﴾ وحصل لكم الأمن والأمان من ﴿مَن﴾ هو ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ من الملائكة والقواهر الإلهية والجواهر النورية ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [المُلْك: 16] أي يغيبكم ويبتلعكم ابتلاغًا تامًّا والقيامًا عامًا يقال خسف المكان يخسف خسفًا ذهب في الأرض وغاب فيها وخسف الله به الأرض خسفًا أي غاب به فيها ومن قوله تعالى ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [المُلْك: 16] وخسفنا به وبداره الأرض وخسف هو في الأرض أي غاب ونفذ فيها ومن خسوف القمر وكسوفه يقال كسفت الشمس وخسف القمر، والخسف هو النقصان ويقال خسف فلان أي نقص ويرضى بالخسف أي بالنقص أي يغيبكم ويخفيكم كما خسف قارون وماله، والمراد بمن هو الله على ظاهر اعتقادهم بأن الله في السماء.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [المُلْك: 17] أي يمطر عليكم حصبانًا وحجارة كما فعل بقوم لوط وأصحاب الفيل أو ريحًا عاصفًا حاملاً

لأحجارٍ على رؤوس القوم فيمطر عليهم ﴿فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ [المُلْك: 17] أي إنذاره بلسان الأنبياء بالعذاب هذا تسليية لرسول الله ﷺ لكم لا ينفعكم العلم حينئذ .

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ﴿١٨﴾

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني عاد وثمود وكفار الأمم المتقدمة ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [المُلْك: 18] أي إنزال نكارتني وعقابي عليهم بغتة .

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَبَقِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ ﴿١٩﴾

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ﴾ أي جنس الطير الذي هو جمع في المعنى بقريئة فوقهم ﴿فَوْقَهُمْ صَفَّتْ﴾ تمثل كون السماء ثابتة معلقة بلا عمد من تحت وحافظ، صفات صفة أو حال من الطير أي باسطات أجنحتهم في جو الهواء عند الطيران ﴿وَبَقِضْنَ﴾ الأجنحة ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾ في الهواء ويخفقن فيها حال كونها صفات قابضات من السقوط كذلك السماء يمسكهن من السقوط ﴿إِلَّا الرِّحْمَنُ﴾ إنما ذكر ههنا الرحمة وفي سورة النمل ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ لأن إمساكهن في ذلك بمحض القدرة الإلهية والقوة الغير المتناهية وأما ههنا فلكونها صفات قابضات فكان إلهامها إلى كيفية القبض والسيطرة على الوجه الأتم والنفع الأعم من خصائص كمال رحمته ووفور حكمته ونعمته ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [المُلْك: 19] عالم علماً حضورياً وإدراكاً شهودياً بحيث لا يعزب عن حضوره شيء من الأشياء من الوجود والعدم في الزمان الحادث والمقدم حتى مدَّ البعوض جناحها .

يا من يرى مدَّ البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل  
فإن البصير إذا استعمل بالباء يكون بمعنى العالم يقال فلان بصير بكذا إذا  
كان عالماً به .

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي

عُرُورٍ﴾ ﴿٢٠﴾

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ﴾ [المُلْك: 20] كان الكافرون يمتنعون من الإيمان

ولا يلتفتون إلى دعوة الرسول اعتمادًا إلى أمرين أحدهما إلى القوة المالية والتبع والعشيرة والثاني إلى الأوثان قائلين وأن يوصلنا إلى تمام السعادات ويحصل لنا تمام الخيرات ويدفع عنا كل الآفات أبطل الله كلا الوجهين أما الأول أمّن هذا الذي هو جند ومنعة وعساكر لكم من هذا المجموع المشار إليه ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ ويمنع عليكم ما أراد الله بكم من نزول العذاب وحلول النوائب والعقاب ﴿مِن دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أي يكون ذلك النصر والمنع حاصلاً من غير الرحمن ﴿إِنَّ الْكٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [المُلْك: 20] وخداع ورأي لمن الشيطان لغرهم وتمنعهم بأن العذاب لا ينزل بهم، أو قد غرتهم عقولهم العليلة وخدعتهم أبصارهم الكليلة وأنظارهم العليلة.

﴿أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي يَرٰزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ، بَل لَّجُوْا فِي عُتُوٍ وَنُفُوْرٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي يَرٰزُقُكُمْ﴾ من يشار إليه إشارة حسية يقال هذا هو الذي يرزقكم الاستفهام للإنكار أي ليس من ألهمتكم واحد يرزقكم ﴿إِنْ أَمْسَكَ﴾ الله الذي هو خالقكم وخالق الكل ورازقكم ورازق الكل ﴿رِزْقَهُ﴾ بغية لإهلاكه أو بتسليط العدو والمانع عليه ولمنع الأسباب السماوية كالمطر أو الأرضية بمنع النبات عن الخروج منها والأثمار والحبوب وغير ذلك من الموانع والقواسير والدوافع ﴿بَل لَّجُوْا﴾ أو بالغوا من اللجاج والمبالغة من قرع بابًا ولج يلج ﴿فِي عُتُوٍ وَنُفُوْرٍ﴾ [المُلْك: 21] مكابرة وعناد ومجادلة وتمرن في فساد وإفساد والقدرة العملية لما أشار إلى فساد حالهم في الدنيا يشير إلى قبح ما لهم في الآخرة والعقبي.

﴿أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلٰى وَجْهِهِۦۭ اٰهْدٰى اَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أَمَّنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلٰى وَجْهِهِۦۭ اٰهْدٰى﴾ أكثر هداية وأوفر علمًا ودراية أكبر مطاوع كبّ يقال: كبته فأكب فكبت وجوههم في النار وقال النبي ﷺ: «وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصايد ألسنتهم»، ونظيره قشعت الريح السحاب فأقشعت وقشعته فانقشع، فليعلم أن الأفعال لا تكون مطاوعة للمجرد ولا للمزيد بل الأمر بالعكس والتحقيق أنه من باب التضمين، فإن الأفعال تتضمن التصير كما يقال حصد الزرع إذا صار ذا إحصاء أي صار ذاب وقشع فمطاوع كب وقشع لانكب وانقشع لا أكب وأقشع ﴿أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ﴾ [المُلْك: 22] أي لا ينصف في الطريق بل ينصف ويتسوى فيها ولا يتعوج في سمت ومن وجه

إلى وجه نزلت في أبي جهل وأحزابه ومحمد وأصحابه وتابعهم هو من باب التمثيل أن ترك الطريق في حق المشرك تنبيهاً على أن الحري أن يطرح المشرك بطريقه من درجة الاعتبار لغلوه في العنود والاستكبار .

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ أخرجكم مادة وأبدلكم من العناصر وخلقكم بتركيب مادة الأجزاء وترتيب أعضاء البنية ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ التي يسمع بها المواعظ والنصائح والوجوه والحكمة والتكاليف النبوية وإنما وجدها شعاراً بعله أجناس المسموعات وهي صور الحروف ﴿وَالْأَبْصَرَ﴾ هي مبادئ القوة النظرية ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ التي هي عبارة عن الوجه القلبي الذي يلي الروح ويصل به القلب إلى تلقي المعاني المجردة والمباني الإلهية وتقبل التجليات الربانية وسمي بالطور السري وهي التي تتصاعد المعاني النفسية، والثاني الحسية مجردة عن الغواشي الغريبة واللواحق المادية ويهبط وينزل إليها الحقائق الأحدية الجمعية والشقائق الواحدية مصور تارة بالصور والتجليات الإلهية وأخرى بالهيئات العلمية والمبادئ الحكمية أو بالحوادث الزمانية أو الأعمال الاختيارية والأفعال الإرادية الإنسانية بعد التنزل على أفلاك الأطوار القلبية إلى طور المعاني ويغيب في مظهر الجوارح والأعضاء ومجالى القوى والأجزاء ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المُلْك: 23].

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم وأنشأكم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ الدنيا والسنة الأولى، ولما كان طور الوجود كورياً وليس دورياً وجد أن يعود بعده الدنية ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المُلْك: 24] وأنت خبير بأن جميع ما تقدم ذكره من الدلائل والمقاصد والمسائل إنما هو لإثبات هذا المطلب فبادر الكفار إلى الوقت .

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [المُلْك: 25] في هذه الدعوى .

﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٢٦)

﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ يا محمد في جوابهم بالوقوع وكيفيته والوقت ثابت ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [المُلْك: 26] يعني ما ادعيت العلم بوقت الوقوع وأنيته وإنما أنا نذير مبين ومظهر للوقوع وللمنذر يكفي العلم بالظن بوقوع المحذور منه .

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ

تَدْعُونَ﴾ (٢٧)

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي وقوع يوم الوعيد والعذاب المهلك ﴿زُلْفَةً﴾ قريبًا منهم ﴿سَيِّئَتْ﴾ وفتحت واسودت ونفرت ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن بانت عليها الكتابة والبؤس وآثار العقوبة والعبوس لدى رواية العذاب وسوء العقاب بضرب الديوس ﴿وَقِيلَ هَذَا﴾ اليوم ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ [المُلْك: 27] والقائلون هم الربانية أو بعضهم ببعض (تدعون) يظلمون وتستعجلون وتَدْعُونَ وتَدْعُونَ واحد في اللغة مثل تَذْكُرُونَ وتَذْكُرُونَ وَيَدْعُونَ وَيَدْعُونَ أي إنما الدعوى دعوى بطلانه .

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ

عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (٢٨)

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾ من المؤمنين المخلصين والمتقين المتخصصين لكمال الصدق واليقين ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ هذا جواب عن النوع الثاني مما قاله الكفار لمحمد ﷺ حين خوفهم بعذاب الله . روي أن كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله وعلى المؤمنين بالهلاك كما قال ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، قالوا بل ظننتم أن ينقلب الرسول وللوصول إلى أهليهم أبدًا فأجاب الله عن ذلك من وجهين أحدهما هذه الآية أي الإهلاك أو الرحمة بتأخير العذاب فإنه راحة لكم في ذلك وآية منفعة لنا، ولا خلاص ولا مختص ولا مناص لكم إذ حكمه جازي وأمره نافذ وحايي نحن مع توفيق الله وحسن قضائه بنا خائفون من عذابه طائفون بحق عامة رجائه، وأنتم شاكون في وجوده ووقوعه وحاكون في إدراكه وشهوده ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ﴾ [الطور: 30] والالتفات يدل على كمال انغماسهم في الكفر ووفور اندراسهم في الشرك والخسر أي من ذا

الذي يجيركم ﴿مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [المُلْك: 28] إذا نزل بكم المظمعون أن الأصنام تجيركم أو غيرها فإذا علمتم أن لا مجير لكم قبلاً فكنتم بما يخلصكم من العذاب وهو العلم بالتوحيد والنبوة وما يحتوي عليه من الحشر والنشر والصراط والجنة والنار وغير ذلك والجواب الثاني فهو:

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٩﴾

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ خطاباً وغيبة على وفق قوله: ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكٰفِرِينَ﴾ [المُلْك: 28] ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [المُلْك: 29] الدليل على وجود هذه الآية التوكل عليه.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ ﴿٣٠﴾

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ﴾ الذي تنتفعون به ليلاً ونهاراً ﴿غَوْرًا﴾ ذاهباً وغياباً وناضباً في الأرض بحيث لا تناله الأيدي والدلاء ولا يعاطيه الظروف والإناء ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ﴾ أي بعد نضوبه من يجيء إليكم ﴿بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [المُلْك: 30] ظاهر منكشف يصل إليه كل محتاج متعطش وصماء متفتش.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل الأرض الاستعدادية النورية الجمالية على نون الحوت القابليات الذاتية الجلالية أو الذي صَوَّرْنَا بالقلم الأعلى وهو الإرادة الذاتية من نون دواة القدرة الأولية على ألواح إعدام الممكنات فالمرتبة الواحدة وحضرة الجبروت نقوش الأعيان الثابتة وطور بذاته المشيئة الذاتية وقدم الماهيات الأولية البسيطة وروم الحقائق الإلهية القطيطة على صباح القابليات الأزلية التي هي مقتضى الدورة العظمى الجلالية والكورة الظلية العدمية على مرتضى اقتضائه فردارية الدورة النورية العظمى في الحضرة الربوبية وعالم الأمر والملكوت ﴿الْمَخْبُوتِ﴾ الذي حسن وجه حقيقة حبيبه بحلل حقائق الأوصاف السنية وشقائق الأخلاق الإلهية والصفات القدسية وسرى ذلك الحسن وجرى ذا البهاء والنور في الجواهر العقلية والبواهر النورية ومنها إلى صور الأرواح القدسية والأشباح الجنسية والإنسية وإلى نهاية النشأة الحسية ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي أعاد وأرجع صور آثار أوصاف الوضعية ودور أنوار الأخلاق المرضية التي هي الأعراف والأطراف ونعوت الأعطاف في الأقطار والأكتاف ﴿وَأَنَّكَ لَعلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

﴿تَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾

﴿تَّ﴾ [القلم: 1] هي السمكة التي اعتكف فيها يونس أربعين سنة إذ غضب

على قومه الحسي واليوم النفسي فخرج من بينهم وركب السفينة فالتقمه الحوت فهو مليم ولذا سمي بذي النون ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَظِبًا﴾ [الأنبياء: 87] إلى آخر الآية، فلذا أقسم به وهو الذي حمل الأرض والنون هي الدواة ﴿وَالْقَلَمِ﴾ [القلم: 1] وهو الذي صور الله به وكتب حروف أعيان الكائنات بذريعته وهو أول ما خلق الله قال النبي ﷺ: «أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال له: اكتب قال: ما أكتب قال: ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم ختم على فم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة».

عن ابن عباس رضي الله عنه: أول ما خلق الله القلم جرى بما هو كائن ثم رفع بحار الماء فخلق منها السماوات ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهر النون فتحركت النون فمادت الأرض وانبسطت واختلنوا في اسمه فقال بعضهم بهموت، وقال علي رضي الله عنه: هو بلهوت، وقال في بعض كلماته: ما لي أراكم يحلكم سكوًا والله رب خالق البلهوت والسماوات.

روي أنه لما خلق الله تبارك وتعالى الأرض بعث الله تعالى من تحت العرش ملكًا فهبط إلى الأرض حتى دخل الأرضين السبع فوضع إحدى يديه بالمشرف باسطين على الأرض السبع حتى بسطها فلم يكن تقدمه موضع فأهبط معه عز وجل من الفردوس ثورًا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم يستقر قدماه فأنزل الله ياقوته حمراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسير خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه: ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَكِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 16]، ولم يكن للصخرة مقام ولا مستقر في مرام فخلق الله تعالى نونًا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة الإلهية التي هي عين القائم بذاته. عن كعب الأحبار: أن إبليس تعلق على الحوت وعلى ظهر الأرض، فوسوس إليها وقال له: أتدري ما على ظهرك يا لويثا من الأمم والدواب والأشجار والجبال والأحجار والعيون والأنهار وغير ذلك من أنواع الأطوار فلو نقضتهم (ألقيتهم عن ظهرك) جميع ذلك، فهم لويثا أن يفعل فبعث الله دابةً فدخلت منخره ووصلت إلى دماغه فصاح



الحوت إلى اليد فذلّها فخرجت .

**واعلم** أن هذا النوع من المقاصد الإلهية والقواعد الربانية وإن كان عند أرباب النظر الضعيف وأصحاب الفكر الرهيف والبصر الرعيف أمراً مستبعداً أو شيئاً مستغرباً بضعف عقولهم وقصور فهمهم من إدراك آثار عجائب قدرته وغرائب كمال أنوار حكمته وقوته وعن كيفية تصرفه وكمية تصريفه في الأدوار والأكوار العظمى والكبرى والوسطى والصغرى التي غرائب مقتضياتها وعجائب مرتضياتها لا يعلمها إلا الله ولا يقبلها إلا من أيده الله تعالى بنور حكمته ووفور هدايته من العلماء الربانية والعرفاء الإلهية والحكماء المتألهين الراسخين في المعرفة المكاشفين بالحقائق السرمدية والمشاهدين للأسرار الربوبية الدائرين في أطوار الأدوار وآثار أنوار الأكوار وهم الذين كانوا في تمام الأدوار وعموم الأكوار مع الله السائرين فيها باللّه وفي الله الدائرين في الكل بالآله فحينئذ يطلعون على ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأنت خبير بأن الأدوار المتوافقة والدوائر المتطابقة أنها بعيد من المركز يكون أعظم وعظمى مقتضياتها أكبر وأعظم وأعلى ومرتضياتها أوفر وأكرم وأنور وأبهى بحيث لا يعلم دقائق عجائبها وحقايق غرايبها وشقايق بدايع حسننها وصوانع بهائها إلا الله والسائرون به فإذن بدايع أعيان الدورة العظمى وبرابع أكوان مقتضياتها وعظمتها لا يوصف ولا يشرح ولا يعرف لكثرة غرايبها وعظم عجائبها وكلما يبعد منها من باقي الأدوار تتصاغر تلك الأعيان والأكوار وتدون وتقل أحوالها إلى أن تنتهي إلى الدورة الصغرى فأعيان الأدوار وأكوان الأكوار كلها متطابقة في الأحوال متوافقة ونسبة القدرة والرحمة الامتنائية إليها متساوية لا تفاوت فيها ، وإنما التفاوت في كيفية الأحوال وكميتها فالأعيان من حيث أصل الخلقة والتعين الوجودي والظهور الجودي متساوية الأقدام ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾ [المُلك : 3] .

وأما من حيث الإرادة الذاتية الذي يفيد التميز اليقين والاختلاف يظهر التفاوت فمظهر الإرادة الإلهية والقدرة الغير المتناهية في إفادة التفاوت وإنما هي الصورة النوعية والوصول الجوهرية والعرضية كما أن مجلى القدرة والعرض إنما هي الهيولى والأجناس ومظهر صورة جمعيتها إنما هي إلهيات الشخصية والهويات الغيبية والأنيات الخارجية فموطن الأجناس بأسرها هو غيب القدرة

وجيب المشيئة الذاتية ومحل الفصول هو باطن الإرادة الوصفية ومعدن الصورة النوعية والهيئة الجمعية، إنما هي صورة جمعيتها ومكان معيتها الكلي أي الجنس والفصل والنوع والخصوصية والنعوت الخاصة والهيئة الشخصية.

أما هو المعية العنصرية والجمعية البشرية فالدورة التي يتعين فيها حكم سلطان القدرة وقهرمان الجنس إنما هي الدورة العظمى وهكذا تظهر أحكام هذه المعاني الكلية الباقية في سائر الأدوار على الترتيب ففي كل دورة لكل واحدٍ من هذه المعاني الكلية والمباني القلبية والمعلولة أعيان متطابقة تميز بعضها عن بعض بخصوصيات جوهرية وعرضية وفرضية وفضيلة وخاصة وبعنوانين معنوية فكل عين من الأعيان الجنسية والفضيلة والنوعية والخاصية والشخصية من حيث إنها حصة من مطلق الوجود موجود في كل دورة منها بأوصاف معينة ونعوت مبينة فلا يغفل عن شأنك وتذكر عن شؤوناتك لعلمك ترى أو تُرى فتحكم بصحة ما تلون لك قراءته عليك فإذن لا بد وأن يكون في كل دورة نون وقلم ولوح ورقم وعقل كلي وعلم ووجود وعدم وحدث وقدم ودنيا وآخرة وشهادة وغيب ومعنى وصورة ووحدة وكثرة، وغير ذلك من أرض وسماوات وظهور ساعاتٍ وقيام قيامات، فمناسب كل دورة ولايق كل كورة دنيا وآخرة ونبوة وولاية ورسول وكتب وبعثة وعلم وحكم ومعرفة وكمالات لايقه وأحوال ومقامات شاهقة وعلوم متسعة ورسوم متفقة وغير ذلك من الأحوال والأعمال، فمن كان سليم القلب كريم الغيب في سراته كان له في ما ذكرنا من مشاهدة الغرايب ومعاينة العجايب لا ريب له فيها ولا ارتياب دونها.

قال بعضهم: إن الله تعالى لما أراد أن يخلق الأرضين والسموات في بداية الأدوار ونهاية الأكوار أمر الماء الذي في جو الكرسي أن يظهر يتلاطم بعضها ببعض فارتفع وارتفع وتصاعدت أمواجه على بحارها فأمر الزبد أن يجمد فوق الأرض ودحاها على وجه الماء في يومين وأمر الأمواج سكنت، وهي الجبال، وعروق هذه الجبال ملتصقة بعروق جبل قاف وهو المحيط بالأرض ومن ورائه بحر اسمه مميّطس، من وراء هذا البحر حاجز اسمه الأصم، ومن وراء هذا بحر آخر اسمه الساكن، ومن ورائه آخر اسمه الباكي، هذا هو آخر البحور السبعة. وكل بحر محيط بالآخرة، وخلق الله تعالى في كل واحد منها خلايق

وأنواعًا وأصنافًا وأعيانًا لا تعد ولا تحصى ولا يعلمها إلا الله وكانت الأرض غير قارة كالسفينة المتحركة تجيء وتذهب، وأهبط الله تعالى ملكًا في غاية القوة ونهاية العظمة فقبض على أطراف الأرضين فأسكنها على منكبيه فلم يكن لقدميه قرار فخلق الله له صخرة مربعة من ياقوتة حمراء في أوسطها سبعة آلاف ثقب في كل ثقب بحر لا يعرف أحد صفات تلك البحور وما فيها من الخلايق إلا الله، فاستقر قدام الملك على هذه الصخرة فلم يكن لهذه الصخرة قرار فخلق الله لها ثورًا عظيمًا له أربعون ألف عين ومثل ذلك آذان ومثل ذلك أنوف ومثل ذلك أفواه وألسنة وقرون وكذلك القوائم ما بين كل أذنين خمسمائة عام فأمر الله أن يحمل الصخرة على ظهره وقرونها واسم هذا الثور في كتب الأقدمين وسنن الأولين ماسيوثان ولما لم يكن لهذا الثور قرار فخلق الله له حوتًا عظيمًا لا يقدر أحد أن ينظر فيه لعظمته وأن البحار كلها لو وضعت في إحدى منخريه لكان كالخردلة بالنسبة إلى كرة الأرض ثم جعل فزاره في الماء وتحت الماء هواء وتحت الهواء هو الظلمات وانتهى عام الخلايق تحت الظلمات.

سئل النبي ﷺ: هل في هذه الأرض خلايق؟ قال: «نعم»، فذكر سبعين أرضًا من نار وسبعة أبحر من نار والحوت في البحر والبحر على متن جهنم وهي على متن الريح والريح على الظلمة والظلمة على الحجاب والحجاب على الثرى ثم انقطع علم الخلايق بعد ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: 1] يكتبون والضمير للقلم بمعنى أنه يكتب به وجمعيته للتعظيم أو بمعنى ما يكتب به، أقسم به لكثرة فوايده وإنما أسند الفعل إليه لإجرائه مجرى طوي العلم جمع الفعل أو إلى أصحابه أو الحفظة و(ما) مصدرية أو موصولة إشارة إلى ما ذكرنا من أن في بداية كل دورة قلمًا ولو حًا وتصويرًا وتحرييرًا وتسطيرًا وعقلًا باعتبار العلم والإدراك وروحًا باعتبار الحياة.

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ يا محمد ومن ناب منابك ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: 2] الباء الأولى تتعلق بمجنون منفيًا كما يتعلق بعاقل مثبتًا في قولك أنت تحمد بنعمة مستويًا ذلك الإثبات والنفي استوائهما في قولك: ضرب زيد عمرًا ومحله النصب على الحال كأنه قال: ما أنت بمجنون منعًا عليك بذلك ولم يمنعه مانع. ويجوز

أن ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ فيما فعله لأن الباء زائدة لتأكيد النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسب له كفار مكة عداوة وحسًا وإنه من إنعام الله عليه منحها عبر العمل ومثاقته وشهامته التي يقتضيها التأهل للنبوة بمنزلة.

### ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: 3] غير منقطع ولا منقوص ومدفوع أي ثوابًا حاصلًا لك على احتمال الأذية أو الإبلاغ بلا انقطاع وارتفاع وارتفاع.

### ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4] تفسير وبيان نعمه للآخر الغير المنقطع أي ملكة كاملة وقدرة راسخة فاصلة مكن بها على إظهار الأعمال الحقية وإشهار الأفعال الاختيارية المستحسنة بلا اضطراب في اجتلابها وتهتك في اكتسابها ومداراة كمال التحمل ووفور العلم فيك، ومذهل تمام الأخلاق إذ لا يحصل إلا عند تعديل القوة النفسانية والبغضية والشهوية والحكمة وإليه أشار بما روي عن عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن وإنما سمي (عظيم) لأنه لم يكن له همة سوى الله، أو لأنه عاشر الكونين بحسن المعاشرة لعموم فيض حقيقته الأولية وماهيته الأصلية التي سميت بالحقيقة المحمدية، أو لأنه عاشرهم بحسن خلقه وبأشهرهم بلين قلبه ووصون أركان ظاهره مع الخلق كما قيل: بروحهم عرشيون وبأجسامهم قرشيون، وأيضًا قال عليه السلام: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» أو لتتم بي مكارم الأخلاق وقال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي». وحسن الأخلاق من جمع التقريبات إلى الخلاف، ومبدأ تمام الكمالات ومنشأ حصول السعادات، قال عليه السلام: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار وما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن».

أوحى الله تعالى: إبراهيم خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار، وتدخل مداخل الأبرار، فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله في عرشي، وأن أسقيه من نيل حضرة قدسي، إن نبي بني إسرائيل نبي الخلق ولن يستطيع أن يغير خلقه. وأوحى إليه أيضًا: أنت ممن أحسن الله خلقك فأحسن خلقك. عن علي رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «عليكم بحسن الخلق فإن حسن الخلق في

الجنة لا محالة وإياكم وسوء الخلق، فإن سوء الخلق في النار لا محالة»، وأيضًا قال: «أحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقًا الموطؤون أكنافًا»، هذه الآية في المعنى تفسير لقوله: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ [الضحى: 11] ورد على من رماه بالجنون لأن الأخلاق الحميدة لا تجامع المجنون لمكافأة بينهما ولذا أمر الله الاقتداء في حسن الخلق بالأنبياء ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِ﴾ [الأنعام: 90]، والهداية غير المعرفة إذ الأمر بالمعرفة اقتداء بالغير هو التقليد وهو غير لائق بالرسول وغير الشريعة والدين لأن دينه وشريعته مخالف لدينهم وشريعتهم، وكذا غير الإيمان إذ الإيمان التقليدي غير مقبول فإذا هي حسن الخلق والخلق الحسن فلما أمر محمدًا عليه السلام أن يقتدي بالكل فكأنه أمر بمجموع ما كان معرفًا فيهما ولما كان درجته في النبوة وكمال الهداية الفطرية عالية ليست لأحد من الأنبياء قبله بعلو منزلته وسنو مكانته ولا جرم، وصفه الله تعالى بخلق عظيم وعلى الاستعلاء دالة على كمال استعلائه وعلى جميع الأخلاق المرضية واستيلائه على الأوصاف المرضية.

قيل: الخلق ملكة مرضية نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأعمال الجميلة والأفعال الحميدة الجزيلة بسهولة والذي يحصل به تلك السهولة هو الخلق، ويدخل في حسن الخلق والتحرز دفع القبح والغضب والفسق والفجور، والسداد والصلاح في المعاملات والتحبب إلى الناس بالقول والفعل وترك التقاطع والهجران عن الناس والتساهل في العفو والبيع والنكاح وغير ذلك، إذ الخلق في الأصل هو العادة سواء كان في الإدراك والأفعال أو أمر راسخ في النفس يسهل عليها الإتيان بالأعمال السنية والأفعال الهنية، ولما كانت النفس القدسية التي لها شديد الاستعداد لتحصل المعارف الإلهية وتكميل العوارف الغير المتناهية وتبطيل العقائد الفاسدة والمعاقب الكاسدة بالسهولة سميت تلك السهولة له خلقًا.

﴿فَسَبِّحْهُ وَبُصِّرْهُ﴾

﴿فَسَبِّحْهُ﴾ يا محمد أنت ومن معك ما عند الله المنحصر الفتح والظفر  
﴿وَبُصِّرْهُ﴾ [القلم: 5] أي كفار مكة وقريش.

﴿يَأْتِيَكُمُ الْمَفْتُونُ﴾

﴿يَأْتِيَكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم: 6] أيكم الذي فتن وجرب وامتحن بالجنون بأنه

كيف يكون عاقبة أمري وعاقبة صبرك على أذيتهم إياك، فإنك تصير معظمًا في القلوب، وسيبصرون أذلاء ملعونين في الشهادة والغيوب أعداء مطرودين، فتولى عليهم بالبت والقبيل والتقريب، والمفتون: مصدر كالمعفون والمخلود أو المراد منه إبليس والشيطان الذي يحصل منه الجنون واختلاط العقل أو يأتكم الفريقين منكم المجنون أفريق المؤمنين أو فريق الكافرين يستحق لهذا الاسم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٧)

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ﴾ وغوى وضل وهوى ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دينه وطريق إسلامه حسن على نفسه دليل عقله بتشبهه بالوهم والخيال وهم الكفار الذين بدلوا نعمة الله وأصلوا عن سواء السبيل ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم: 7] العقلاء الذين اهتدوا بإيثار الشريف الباقي على الخسيس الفاني، ومنهم المؤمنون الفائزون بكمال العقل ووفور الفهم والتمييز بين الحقِّ والباطل والانقياد المتعلق بالضلالة والجهالة والهدى والعلم والنهي أحق وأولى وأوفق وأنهى بالمتابعة والرعاية من الامتياز المتعلق بسلب العقل والجنون، وذلك لأن ثمرة السعادة الأبدية والسعاية السرمدية يبقى في الدنيا والعقبى وهذا نتيجة الشقاوة الأبدية.

﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٨)

﴿فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [القلم: 8] من رؤساء مكة وصناديد قريش فإنهم يدعونك إلى دين آبائهم.

﴿وَدُّوا لَوْ نُدُّهُمْ فَاذْنَبُوا﴾ (٩)

﴿وَدُّوا لَوْ نُدُّهُمْ﴾ ويكفرون ويظهرون المداهنة والمساهلة في الدين ﴿فَاذْنَبُوا﴾ [القلم: 9] فيكثرون ويدهنون في أمر الدين أو يرخص فيرخصون ويجوز أن يكون من أدهن الرجل في أمر إذا خان فيه وأظهر خلاف مما يضمن يعني ودوا وأحبوا أن يترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه من معالم الدين وشعاير أهل الإيمان واليقين ليكون لهم حجة وتمسك فيفعلون مثل ذلك ويتركون بعض ما لا يرضى وإنما لم ينصب بإضمار أن وهو جواب التمني لأنه قد ينزل إلى طريق آخر وهو أن يجعل خبر مبتدأ محذوف أي فهم مدهنون فلم يؤمن فلا يخاف ظلمًا ولا حكمًا.

### ﴿وَلَا تُطْعَمُ كُلُّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾

﴿وَلَا تُطْعَمُ كُلُّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف واليمين والقسم بالباطل ولا تجعلوا الله عرضةً لأيمانكم نزلت في وليد بن المغيرة والأسود عبد بن يغوث أو الأخنس بن الأشرف ﴿مَهِينٍ﴾ [القلم: 10] حقيير ذليل لأنه يتعدى بالهمزة نحو أهان يهين إهانة هو مهين ومهان وكذاب وهذا أقرب إلى الرجل إنما يكذب لمهانة نفسه عليها وعدم مبالاتها لعدم معرفتها به أو المكثار في الشر والغيبة والضرر.

### ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾

﴿هَمَّازٍ﴾ [القلم: 11] غياب مغتاب يأكل لحوم الناس ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: 12] أو الذي يغمز بعينه وحاجبه مشيرًا إلى أخيه في المجلس استخفافًا به ﴿مَشَّاءٍ﴾ يمشي ﴿بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: 11] بالغيبة بين الناس فتوقع بينهم وتفسد بالايقاع.

### ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾

﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ بخيل فالمعنى بالخير هو المال أو منعه عبد الله عن الإسلام نزلت في الوليد بن المغيرة كان له عشرة من البنين ومال كثير ورياسة وجاه وهو عم أبي جهل وكان يقول لهم ولأقاربه فمن اتبع أحد منكم دين محمد لأهنته إهانة أبدًا أو في أبي جهل والأسود كما أشرنا إليه ﴿مُعْتَدٍ﴾ مجاوز في الظلم والفسق حده، أو في الأخلاق الذميمة يعني أنه بلغ في تمام القبائح وفي عموم الفضايح والوقايح ﴿أَثِيمٍ﴾ [القلم: 12] كثير الآثام والإثم.

### ﴿عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾

﴿عُتْلٍ﴾ شديد الكفر والضحيم الجسيم الذي يورث الغفلة والضلالة وكمال الجهالة وشديد النفاق وشديد المخالفة والشقاق، فإن كل مرشدٍ وشأن صلب عنيدي هو عتل من العتل وهو الدفع بالعنق ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي وليد بن مغيرة أو الأخنس بن شريف بعد ما ذكر من الطعن في النسب والداعي الملحق بالعدم، وليس منهم، فإن أبا الوليد بعد ثمانية عشر عن مولده ادعى نسبه به وهو ولد الزنا ﴿زَنِيمٍ﴾ [القلم: 13] ولد الزنا الملحق بالقوم وهو ليس في النسب، قال علي كرم الله وجهه: الزنيم هو

الذي لا صلة له أو الذي له ديمة كريهة النشأة. قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولد ولده»، وقال أيضاً: «ولد الزنى يحشر يوم القيامة في صورة القردة والخنازير» وقال أيضاً: «لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا، فإذا فشى فيهم ولد الزنا فيوشك أن يعمهم الله بعذاب، وإن كثر ولد الزنا قلّ المطر».

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [القلم: 14] متعلق بقوله ﴿وَلَا تُطْعَمُ﴾ [القلم: 10]، أي ولا تطعمه مع هذه المثالب، أي يساره ووفور حظه من الدنيا، ويجوز أن يتعلق ما بعده على معنى متمولاً مستظهِراً، كذب بآياتنا ولا يعمل فيه قبل الذي هو جواب، إذا لأن ما بعد الشرط ألا يعمل فيما قبله قرئ (إن كان) على الاستفهام على معنى إلا إن كان ذا مالٍ أو تطيعه لأن كان ذا مالٍ.

﴿إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾

﴿إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا﴾ أي على من كان ذا مالٍ ﴿قَالَ﴾ الذي هو ذو مال هذا ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: 15] جمع أسطورة وهو الدستور والقاعدة أي قاعدة الأقسام المتقدمين ومخترعاتهم ومستجداتهم.

﴿سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾

﴿سَنَسِفُهُ﴾ ونعلم ونرسم ﴿عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ [القلم: 16] بالكي على الأنف وقد أصاب أنف الوليد يوم بدر جراحة فبقي أثرها وثلمها عليه في الدنيا صورة وفي العقبى معنى ومثولاً قيل الخرطوم.

وظل يومك هو في طرب وأنت بالليل سوار  
وإنما قيل للخمر الخرطوم لأنها تطرب في الخياشم كما يقال لها السلافة  
وهي سلف عصير العنب.

﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾

﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾ أي اختبرنا أهل البلد بالقحط ﴿كَمَا بَلَوْنَا﴾ وابتلينا ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ [القلم: 17] وهم الشبان باليمن يقال لها خيزران دون صنعاء بفرسخين. وكان



رجل صالح وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك للمحتاجين ما أخطأه المنجل وفي سفلى الأكداس وما أخطأه القطان من الغيب وما بقى على البسائط الذي بسط تحت النخلة إذا صرمت فكان تجمع لهم شيء كثير وإن حصدوا زرعهم وكل شيء يعزاه المنجل فهو للمساكين وإذا داسوا كان لهم كل شيء انتشر وسقط ، فلما مات الأب وورثها الورثة قالوا والله إن المال لقليل والعيال لكثير روبان وروبين فإنا لا نستطيع أن نفعل هذا فأحرقهم الله حسبهم فقال : إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا ﴾ وتحالفوا فيهم يوماً ليعدون غدوة قبل خروج الفقراء ﴿ لِيَصْرِمْتَهَا ﴾ من الصرم وهو القطع ومن الصارم أي ليهلك الجنة وانقطع الخير عنها فلم يبق منها شيء ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ [القلم : 17] وإنما سمي الليل صريماً لأنه ينقطع لظلمته عن التعرف أو لأنه يصرم نور البصر ويقطعه .

﴿ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴾ ﴿ ١٨ ﴾

﴿ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴾ [القلم : 18] أي أصحاب الجنة المذكورة ما قالوا عند الوعد الاستثناء وهو إن شاء الله فقدم اليوم وغداً ، وصاروا إلى الجنة وصادفوها محترقة بنار صبها الله عليها صباً قهرياً .

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴾ ﴿ ١٩ ﴾

﴿ فَطَافَ ﴾ وقد طاف ﴿ عَلَيْهِا ﴾ من الليل ﴿ طَائِفٌ ﴾ من بلاء ربه وآفة من عذابه وهو نار غضب الله الذي أصاب الجنة فأحرقها وأهلكها وإنما سماها استثناء من حيث لأن فيه معنى الإخراج إن معنى قولك به خلاف المذكور والمخرج عنه أو لأن معنى الإخراج إن شاء الله ولا إخراج إلا أن يشاء أحد فإن نودي الاستثناء من حيث إن معنى قولك : لأخرجن إن شاء الله ولا إخراج إلا إن شاء الله واحد ﴿ مِّن رَّبِّكَ ﴾ مبتدأ منه ﴿ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴾ [القلم : 19] في مساكنهم وقضاء أماكنهم .

﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ ﴿ ٢٠ ﴾

﴿ فَأَصْبَحَتْ ﴾ الجنة وصارت بعد إحصار نار القهر والغضب ابتداء من ربك ﴿ كَالصَّرِيمِ ﴾ [القلم : 20] أي مثل الليل المظلم الأسود الذي انقطع التصرف فيه أو مثل النهار بانتصابها من فرط اليبس والحرارة وغلبة الجفاف والمرارة .

## ﴿فَنَادُوا مُصْبِحِينَ﴾ (٢١)

﴿فَنَادُوا﴾ أي نادى بعضهم بعضاً ﴿مُصْبِحِينَ﴾ [القلم: 21] حال كونهم داخلين في الصباح .

## ﴿أَنْ أَعْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ﴾ (٢٢)

﴿أَنْ أَعْدُوا﴾ واخرجوا الغداة ﴿عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ أي إلى الجنة التي فيها حرثكم وزراعتكم وتعديته بـ(على) إما لتضمنه معنى التوجه والإقبال أو لتشبيه العدو والصرام بغدو والغدو هو المتضمن بمعنى الاستيلاء وأن (اغدوا) في تأويل المصدر المنصوب مفعول التأويل أو جملة مقول القول الذي ضمنه تنادوا يعني لما أصبحوا قال بعضهم لبعض اغدوا وتوجهوا في الغداة على حرثكم وزرعكم وأثماركم وأعنانبكم وأثماركم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ﴾ [القلم: 22] أي إن أردتم أن تكونوا قاطعين للثمار من الكروم والأشجار .

## ﴿فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ﴾ (٢٣)

﴿فَأَنْطَلَقُوا﴾ وذهبوا إلى الجنة ﴿وَهُمْ﴾ أي حال كونهم ﴿يَخْفَتُونَ﴾ [القلم: 23] يتسارون فيما بينهم من الخفات ومن الاختفاء والإخفاء .

## ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ (٢٤)

﴿أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ [القلم: 24] فقير ومحتاج أي مفسرة بيان للتخافت أي لا بد أن يدخل الجنة في هذا اليوم عليكم مسكين فضلاً عن الجماعة والنهي عن الدخول نهي عن آلة تمكنه في الدخول أي لا تمكنوا عن الدخول مسكيناً حقيراً .

## ﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَدِيرِينَ﴾ (٢٥)

﴿وَعَدُوا﴾ أي دخلوا في الغداة أو غداة ذلك اليوم ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ مرتفع ﴿قَدِيرِينَ﴾ [القلم: 25] على منع المساكين عن الدخول إما مفعول لـ(غدوا) أو حال لفاعله .

## ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَّالُونَ﴾ (٢٦)

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ [القلم: 26] أي الجنة بعد إصابتها بالآفة والهلاك في أول النظرة

﴿قَالُوا﴾ في هذه الحالة ﴿إِنَّا لَصَالُونَ﴾ [القلم: 26] أي ليست هذه الجنة جنتنا .

### ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ (٢٧)

﴿بَل﴾ إنا قد ضللنا طريقها (بل) إضراب وإعراض مما ذكروا أو ترجي يعني بعدما تأملوا فيها دورها وتعمقوا عرفوا أنها جنتهم واحترقت قالوا إنما ﴿نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ [القلم: 27] حرمانا من خيرنا ومالنا بشؤم عزمنا ونكبة جرمنا على البخل ومنع حقوق الفقراء، ويحتمل أنهم لما رأوها محترقة قالوا (إنا لصالون) أي ظنوا أنهم ضلوا ثم بعد التأمل والتحقق ظهر لهم أن قضية الحرمان قد انعكست فإنهم لما جزموا على حرمان الفقراء أوقع الله الحرمان عليهم فصيرهم محرومين عن خيرهم ومالهم يعني أنا حرمانا الفقراء عن حقوقهم بل حرمانا على أنفسنا خيرنا وأموالنا وصرنا محرومين عنها .

### ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ (٢٨)

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أعدلهم وأعلمهم وأفضلهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وآمنوا به وتوبوا وأنابوا وسارعوا إلى حسم ضررها وضم شرها قبل حلول النعمة والعذاب ونزول الفتنة والعقاب وسبحوا الله، وقد سرد عن سوء الظن به أن القوم حين عزموا على ذلك، وقال أوسطهم، أعدلهم وأعدلهم، توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب، فلما رأوا العذاب ذكرهم ذلك الكلام وقال ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ أي ما قلت ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: 28] هلا تسبحون يستنطقون بالاستثناء، فإن استثنائي كان سبحان الله، أي لو كنتم تتوبون وتستغفرون الله وتسبحونه لما حلَّ عليكم العذاب، فاشتغل القوم في الحال بالتوبة .

### ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (٢٩)

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القلم: 29] لكن خراب البصرة لا تفيد النصر، لأن المراد استعظام جرمهم واستقباح عزمهم وجرمهم، أي سبحان ربنا أن يجري في ملكه شيء إلا بإرادته ومشيئته، ولما وصفوا الله بالتنزيه والتقديس اعترفوا بسوء فعالهم قالوا (إنا كنا ظالمين) قيل المراد بالتسبيح هو الاستثناء لالتقاءهما في معنى التعظيم لله عز وجل إذ الاستثناء تفويض والتسبيح تنزيه وفي

كل منهما تعظيم قيل هو الصلاة لأنهم كانوا يتوانون في الصلاة ويتكاسلون فيها وإلا نهتهم عن الفحشاء والمنكر وكانت لهم لطفًا في أن يستثنوا ولا يجزموا .

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتْلَوْنَ ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ ﴾ وتوجه ﴿ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتْلَوْنَ ﴾ [القلم: 30] حال كونهم يسألون بعضهم بعضًا فإن منهم من أشارَ بذلك ومنهم من استصعبه ومنهم من سكت ومنهم من أنكره . وقيل : لأن منهم من زين ومنهم من فعل ومنهم من أمر بالكف والغدر ومنهم من عصى الأمر ومنهم من سكت وهو راض .

﴿ قَالُوا يَوَيْلًا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿ قَالُوا يَوَيْلًا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴾ [القلم: 31] في معنى حق الفقراء وتركنا الاستثناء ، أو طاغين وتاركين نعم الله وجاحدين إياها فلم نشكرها ولم نصنع ما صنع آباؤنا .

﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا ﴾ أي يكون نفعها أكثر نفعًا من الجنة بتركه التوبة والاستغفار وبالإعتراف بالمعاصي والخطيئة وقد روي أنهم أبدلوا خيرًا منها ﴿ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ [القلم: 32] راجون العفو طالبون الخير منها وإلى انتهاء الغاية لتضمنها معنى الرجوع وروي أن أبا خالد اليماني قال إنه رأى تلك الجنة إن كل عنقود منها كالرجل الأسود القايم .

﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ﴾ أي كفضلنا بهم من إحراق جنتهم يعقل لمن تصدى حدودنا وتعدى وخالف أمرنا ﴿ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ ﴾ كما وأكثر همًا وغمًا ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم: 33] تمت قصة أصحاب الجنة وشروع في ذكر أحوال السعداء .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ في الآخرة ودار السلام والعاقبة وغار الأعمال والعافية ﴿ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴾ [القلم: 34] ودرجات الكريم لما نزلت هذه الآية قال كفار مكة

للمسلمين إن الله فضلنا عليكم في الدنيا فلا بد وأن يفضلنا عليكم في الآخرة فإن لم يحصل التفضل فلأمنه المساواة فأجاب الله بقوله :

﴿أَفَجَعَلَ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٥)

﴿أَفَجَعَلَ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: 35] يعني أن التوبة بين المطيع والعاصي والمؤمن والكافر الذي أخذه بالنواصي لا يجوز عقلاً ولا شرعاً ونقلاً .

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣٦)

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 36] حكماً معوجاً وتجزمون بالمئات جزماً معرجاً فيه النقب وتعجب وإنكار وتغيب واستبعاد بهم وإشعار بأن هذا لا يصدر إلا لمن يختل فيه طريق الفكر واعتل رفيق البصرة وشقيق البصر فبلغت ونشر مرتب على الاستفهامين يعني ما لكم كيف تحكمون رجماً بالغيب بالأفضلية والسوية وكيف تحكمون حكماً بلا علم .

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ (٣٧)

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾ نازل من السماء الإلهية والأسماء الذاتية ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ [القلم: 37] وتقرأون وتتأملون فيه وتطالعون فيه من الأحكام الأصلية والفرعية ومقاعِد الأعلام الشرعية وقواعد النواميس الربانية .

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ (٣٨)

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ [القلم: 38] ويختارون ويرونه والضمير المجرور عايد إلى الكتاب وما يحتمل المصدرية والموصولية واللام للتأكيد أو لتوطئة القسم يقال تخبر الشيء وخارج إذا أخذه بالخيار وتعاطيه بالاختيار .

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ (٣٩)

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ﴾ أي عهد مؤكدة بالأيمان متناهية في التأكيد بطريق العلم والعرفان يقال لفلان علي يمين بكذا إذا ضمنت منه وخلفت في الوفاية به يعني أم ضمناً منكم وتكفلنا من لديكم وأكدناه باليمين والقسم أي وأقسمنا لكم بأيمان، يقال مقعدة متناهية ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القلم: 39] متعلق إلى بالغة أي هذه

الأيمن في قوتها وكمالها بحيث بلغ إلى يوم القيامة وإلى الإيمان معنى بالغة مؤكدة كما يقال رجل بالغ أي بلغ النهاية في القوة والرجولية وكل شيء يتناهى في الصفة وكمال الجودة فهو بالغ ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: 39] تقضون: جواب القسم واللام إما للتأكيد أو لتوطئة القسم لأن معنى (أم لكم أيمن بالغة) أم أقسمنا لكم قراءة بالغة بالنصب على الحال من الظرف.

﴿سَلَّمَهُ أُيُّهُمُ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾

﴿سَلَّمَهُ أُيُّهُمُ بِذَلِكَ﴾ يحكم ﴿زَعِيمٌ﴾ [القلم: 40] أي قائم به وبالاحتجاج بصحة كما يقوم الزعيم المتكلم من القوم المتكلم بأموالهم.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [القلم: 41].

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: 42] أي ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم في النقصان والقول إنما أضاف الشركاء إليهم لأنهم جعلوا شركاء لله وهنا كقولهم: هل من شركائكم من يفعل بذلك من شيء فليأتوا بشركائهم وأصدقائهم وأعوانهم في تلك الدعوى والمذهب والتسوية بين المسلمين والمجرمين في الدرجة والرتبة والمنزلة لا الحقيقة والماهية الجنسية والنوعية غاية التسوية فمما لا شك فيها نحو قوله تعالى: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾ [الملك: 3] إن كانوا صادقين في دعواهم، والمراد أنه كما ليس لهم دليل عقلي ولا سبيل نقلي وهو كتاب تدرسه كذلك ليس لهم من وافقهم من العقلاء في هذا المطلب.

وقد نبه سبحانه وتعالى في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكن في باب الاستدلال من العقل والنقل والعقلاء وعلى مراتب النظر وعلى مطالب الفكر ومؤدى مقتضى الحس والبصر التي يقربها وقربانها وهو جمع قريب مبادئ الدليل وقوله فإنها قيل يعني أم بهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين في الآخرة كأنه لما نفى التسوية من الله نفى كونهم ممن يشركون بالله يوم يكشف عن ساق، إما نقلياً كأنه قال إن كانوا صادقين في أن لها شركاء فليأتوا بها يوم القيامة لينفعهم فيه

ويشفع لهم أو بالذكر أي إذا كان يوم القيامة ويكشف حقيقة الحال ويوصف حقيقة المال في كيفية مساعيهم وكمية مراعيهم، ويعرض عليهم مكاسبهم الدنياوية التي حصلت من الأيدي والأرجل والألسنة يوم يشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم.

﴿وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ﴾ والانقياد والإطاعة والامتثال بأمر الله سيما وكمال الاعتقاد سيما الصلاة وهي أفضل الطاعات وأفضل أركانها السجود ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: 42] ولا يتمكنون ولا يقدرّون على شيء من المكاسب وتحصيل أمر عن المآرب لأنه ليس دار اكتساب وعبادة بل دار راحة وغار استراحة ومحل وجد أن آثار الطاعات واقتباس أنوار المعارف والعبادات واقتناص سائر أنواع الخيرات وأصناف المبرات ومقام شهود التجليات سئل رسول الله ﷺ هل نرى ربنا يوم القيامة قال: «هل تضارون في الشمس وتشاؤون في وجودها ليس دونها شمس ولا سحب؟»، قلنا: لا، قال: «فهل تضارون في القمر ليلة البدر؟» قلنا: لا، قال: «فإنكم ترونه كذلك إذا كان يوم القيامة يجمع الأولون والآخرون ونادى منادٍ من كان يعبد شيئاً فليلزمه ويدفع إليهم آلهتهم التي كانوا يعبدون فتمضي ويتبعونها حتى يلقي في النار وتبقى هذه الأمة فيها فيقال لهم ذهب الناس وبقيتم فيقولون لنا رب لم نره بعد قال هل تعرفونه؟ قالوا: إن بيننا وبينه آية إذا رأيناها عرفناه فيكشف عن ساق فيخرون له سجداً ويبقى أقوام ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون». وقال أيضاً عليه السلام: «يتجلى لنا ربنا عز وجل ضاحكاً يوم القيامة حتى ينظر إلى وجهه فيخرون له سجداً فيقول لهم ارفعوا رؤوسكم فليس هذا اليوم يوم عبادة يكشف ربنا عز وجل عن ساقه يوم القيامة فيقع الناس له سجداً يبقى أقوام ظهورهم كصياصي البقر لا يستطيعون السجود» فإنه قيل: هذا اليوم يكشف عن ساق في الدنيا وأقوام في الآخرة.

أقول: الجمهور على أنه في الآخرة والمراد بالساق هنا هو الشدة والصعوبة لاستحالة إطلاقها على الله. قال في الكشاف: الكشف في الساق مثل في شدة الأمر بمعنى يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الأمر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما يقول للأقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وإنما هو مثل في البخل ثم أخذ تعظيم على البيان لولاه لما وقعنا على هذه الأسرار. فأقول: إما أن

يدّعى أنه يجوز صرفها لله عن ظاهره بغير دليل إذ يقول إنه لا يجوز ذلك إلا بعد امتناعه جملة على الحقيقة قالوا وسط إجماع المسلمين فلان جوزنا ذلك، اتضحت أبواب تأويلات الفلاسفة في أمر المعاد، فإنهم يقولون في جنات تجري من تحتها الأنهار إنه ليس هناك أنهار ولا جنة ولا أشجار ولا أنوار ولا أثمار وإنما هو مثل اللذة والسعادة، ويقول في قوله: ﴿أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا﴾ [الحج: 77] وليس هناك ركوع ولا سجود وإنما هو مثل التعظيم، ومعلوم إن ذلك يقتضي رفع الشرايع وفساد أمور الدين هذا ما قال الإمام في تفسيره الكبير أقول هذا كلام قليل الجدوى ومقام عليل الفحوى لأنه لو سد باب التأويل يظهر الفساد في البر والبحر ولو جوز يعم في عموم التنزيه فتأمل .

والتعريض بقوله: «رحم الله عبداً عرف قدره ولم يتعد طوره» قد يجاب ويعتذر بما قيل والله در القايل: (على قدرى على قدرى) قيل المراد بالساق هو الأصل الذي يكون له القوام كساق الشجرة أي يظهر يوم القيامة أصول الأشياء وقوامها وحقائقها .

روي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ: «أن الله يتمثل للخلق يوم القيامة ثم المسلمون فيقولون: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد الله فهزمهم مرتين» أو قلنا ثم يقولون مثل ما يعرفون فيقولون: سبحانه إذا عرفنا نفسه عرفناه فعند ذلك يوم يكشف عن ساق ولا يبقى مؤمن إلا خراً ساجداً ويبقى المنافقون ظهورهم كالطبق الواحد، كأنما فهي للتأبيد، قيل: يوم يكشف عن ساق جهنم أو عن ساق العرش أو عن ساق ملك مهيب عظيم، واللفظ لا يدل إلا على ساقٍ، فأما إن ذلك الساق ساق أي شيء وليس في اللفظ ما يدل عليه، قال المشبهون إنه ساق الرب تبارك وتعالى .

واعلم أن القول باطل من وجوه وقد ذكرت في موضعها عند إبطال قول المشبهين والمجسمين ذهب بعضهم إلى أن المراد هو في الدنيا لأن وصف هذا اليوم بأنه يدعون إلى السجود ويوم القيامة ليس فيه تعبد وتكليف وسجود بل المراد منه أواخر أيام المراد في دنياه كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُرْءَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: 22] إنهم يروا الناس يدعون إلى الصلاة إذا حضرت وتقام، هو لا يستطيع الصلاة لأن الوقت الذي لا ينفع نفساً إيمانها وقد كانوا قبل ذلك اليوم يدعون إلى السجود بأنهم سالمون، فإنهم الآن آمنوا بشدة النازلة بهم



من هول ما عاينوا عند الموت، أو من العجز والهرم ونظيره ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ  
الْحُلُومَ﴾ [الواقعة: 83].

واعلم أنه لا نزاع في أنه يمكن حمل اللفظ على ما قاله هذا القائل وهو أبو مسلم، وأما قوله إنه لا يمكن حمله على القيامة بسبب أن الأمر بالسجود حاصل منها والتكاليف زائلة يوم القيامة فجوابه: أن ذلك لا يكون على سبيل التقرير والتسجيل فلم قلت: إن ذلك غير جائز؟ قرئ: يوم نكشف بالنون والباء على البناء للفاعل والمفعول جميعاً والفعل للساعة أو للحال أي يوم تشتد الحال أو الساعة كما يقال: كشفت الحرب عن ساقها على المجاز، قرئ: يوم يكشف بالياء المضمومة وكسر الشين من الكشف إذا دخل في الكشف ومنه كشف الرجل، فهو منكشف إذا انقلبت شينه العليا.

واعلم أن لله تعالى تجليات ذاتية وأسمائية وأفعالية وآثارية والتجلي الآثاري هو الذي أظهر تصور الأجسام متناهيات بالله يخبر عن التجلي الذي أظهر تصوره الجسم كما وقع للنبي ﷺ: «رأيت ربي في أحسن صورة شاب أمرد ققط».

وكما يجوز أن يقع التجلي بصورة الأمر يجوز أن يقع بكشف الساق أيضاً فلا يحتاج إلى التوجيه والتأويل وصرف الحقيقة إلى المجاز نعم كشف يكون إشارة إلى أمر من الأمور المتناسبة كالسعي والجدوى اجتهاد الرياضة والسكون الاكتسابية اليقين ورفع الظنون ونفي الشكوك وإن القيامة قسمان آفاقية ونفسية، وأن القيامة لا تقع إلا بعد الموت وظهور الاستهلاك والفوت، وأن الموت نوعان أيضاً طبيعي وإرادي وكلاهما بأمر الله يعاد حكمه، ويلتابق الآفاق والأنفس لا بد وأن يقع في القيامة الأنفسية ما يقع في القيامة الآفاقية وبالعكس، فمن له قدم راسخ في الاطلاع على الأسرار، أو الأحوال والأطوار الآفاقية والأنفسية، لا يحتاج إلى التجملات المذكورة إن كانت تلك التجملات أيضاً لها أو تقديره ومشيبته فتأمل وتدبر قوله: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى الشُّجُودِ﴾، واعلم أنا بيننا أنهم لا يدعون إلى السجود تعبدًا أو ليأتوا توبيخًا وتعنتًا على تركهم السجود في الدنيا، ثم انزل حال ما يدعون إلى السجود وبسبب عدم القدرة عليه، ويجوز منهم وبين الاستطاعة من يزداد حسرتهم على ما كانوا في الدنيا صحيح القوى سالمى الأطراف والمفاصل والأعضاء.

قوله: من قال الكافر لا قدرة له على الإيمان وأن القدرة على الإيمان لا تحصل إلا حال وجود الإيمان، والجواب عليه بأنه لا يؤمن من ساق لوجود الإيمان ولا يجمع بين المنافقين، فحينئذ الاستطاعة في الدنيا غير حاصلة على قول الجبائي .

﴿ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴾ [٤٣]

﴿ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ ﴾ حال منها لا يستطيعون ﴿ تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ ﴾ بسبب أنهم كانوا مواظبين على خدمة مولاهم مثل العبد الجاني الذي أعرض عنها ﴿ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ﴾ في الدنيا إلى السجود والإطاعة وكمال المطاوعة ﴿ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴾ [القلم: 43] عما يمنعه .

﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٤٤]

﴿ فَذَرْنِي ﴾ واطركني ودعني ﴿ وَمَنْ يُكَذِّبُ ﴾ أي مع من يكذب ﴿ بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ والقول والكلام الطيب الغير الخبيث بتمام آياته وعموم بيناته خطاب من الله يجليه وأمر به ما بك (أمر القرآن كله إلي فإني أكفيك) وكأنه يقول إيقاعاً به أن بكل أمره إلي وتخلي بيني وبينه فإني عالم لما يجب أن يفعل به مطبق له والمراد أن الله حسبني مجازيه لمن يكذب بالعذاب فلا يستثقل به قلبك وتوكل علي في مقام المجازات والانتقام منه تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد للمكذبين ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ ﴾ سيعاقبهم ويأخذهم بالعذاب وسوء العقاب ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم: 44] أن لهم وتركهم وإجمالهم على توافر النعم وتواتر الخطايا والهدايا العظام استدراج به ومكر وعقاب عليهم وإن كانوا على صورة الإنعام وهيئة التفضيل ونعت الإكرام مع أنه تمهيد مقدمة وتحديد تقديم معرفة للقدر بهم فيتزايدون عصياناً ويتضاعفون تمرداً وطغياناً ظناً منهم أنه من الله بهم نعمة ورحمة فقد حق عليهم القول ويسبغ عليهم النعم فلا تسلمهم للشكر وأمهلهم فهم منعمون في الظاهر مستدرجون في الحقيقة فكم من مستدرج الإحسان إليكم من مفتون الثناء عليه وكم من مغرور بالشفق عليه فلا عبرة ولا اعتماد ولا تعويل ولا اعتداد إلا على كرم الله وحسن عنايته ووفور هدايته .

﴿وَأْمَلِي لَهُمْ إِن كِيدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَأْمَلِي لَهُمْ﴾ أي أمهلهم مدة وأهملهم عدة ﴿إِنَّ كِيدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: 45] وإن خداعي قوي لا يدفع بشيء ولا يرفع بأمر سيء وإنما سمي إنعامه استدراجاً بالكيد لأنه في صورته .

﴿أَمْ تَسْتَأْجُرُّهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّن مَّعْرَمٍ مُّتَّقِلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿أَمْ تَسْتَأْجُرُّهُمْ أَجْرًا﴾ وعوداً وآخرة وعرضاً على الإرشاد ﴿فَهُمْ مِّن مَّعْرَمٍ﴾ مصدر ميمي بمعنى الغرامة ﴿مُّتَّقِلُونَ﴾ [القلم: 46] اسم مفعول من الأثقال أي يثقل عليهم حمل الغرامات وتحمل الكرامات في أموالهم فتثبطهم ويمنعهم عن الإيمان ويربطهم عن الوفاء بالمواثيق وعهدة الإيمان .

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أي اللوح المحفوظ والكتاب الذي فيه السرائر والغيوب والأحوال الخفية من الكمالات والنقايص والعيوب ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [القلم: 47] فيه كل ما أرادوا من الحوادث والفتن والحروب .

﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بالإمهال والإهمال وتأخير نصرتك عليهم وفرصتك لديهم بالاختلال ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ﴾ [القلم: 48] ربه أي حال ندائه في بطن أمه أن ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 87] وهو يونس وذو النون قد ترك قومه في غضب ويأس ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: 48] مهموم والعامل في أن معنى (كصاحب) يعني لا تكن كصاحب الحوت وقت ندائه ورفع دعائه على قومه ، لأنه في ذلك الوقت كان مكظومًا مملوءًا من الغيظ .

﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّي لُنِيدُ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾

﴿لَوْلَا أَن تَدَارَكُ نِعْمَةٌ﴾ قرئ رحمة ﴿مِّن رَّبِّي﴾ [القلم: 49] أي التوفيق للتوبة عن مخافة أمر الله والصبر على تحمل أذية قومه وذلك أنه لما أخبر قومه عن حلول غضب الله ونزول قهره وسخطه ووعدهم بأنه متى يتغير وجوههم فإنه علامة

غضب الله فإذا ظهر آثار التغيير فيهم قد قرّ يونس وخرج من بينهم وما قر فيهم ﴿لَيْدًا بِالرَّاءِ﴾ أي طرح في الأرض العارية والفرض النائرة عن الكلاً والأشجار البارية عن العيون والأنهار ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم: 49] مطرود ملوم فيه تنبيه على أنه لا يتم شيء من الصالحات وأمر من المفلحات والطاعات والمصلحات إلا بتوفيقه وكمال هدايته ووفور عنايته .

### ﴿فَأَجْنِبْهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿فَأَجْنِبْهُ رَبُّهُ﴾ أي اختار رب يونس، وهو ذو النون ﴿فَجَعَلَهُ﴾ وصيره بسبب تلك النعمة الكاملة والرحمة الفاضلة ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القلم: 50] من الذين يصلحون للاجتناء والتقرب بالاصطفاء ونجاة من ظلمات بطن الحوت فلولها لبث في بطنه أمد الأباد ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصفات: 143، 144].

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ

### ﴿لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾ ويزلقونك ويسقطونك ويهلكونك ﴿بِأَبْصَرِهِمْ﴾ [القلم: 51] بجناحيه سوء نظرهم وخصوصية بأس بصرهم وذلك أن الكفار لما رأوا علو كلمات رسول الله ﷺ وارتفاع شأنه وسطوع برهانه وطلوع شمس سلطانه وعجزوا بأنفسهم عن معارضتهم ومقابلتهم ومناقضتهم استغاثوا بأصحاب العيون السوء لينظروا إليه بالعين الساخطة فنظر إليه قوم من قريش وقالوا: ما رأينا أحداً مثل محمد ودولته وارتفاع حشمته وكمال شوخته ولا مثل حججه له تصيبوا به بسوء أنظارهم فانعكس الأمر إليهم ورجع الحكم لديهم ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: 43] قيل: كانت العين في بني أسد حتى إن كانت الناقة السمينة والبقرة اللبونة بمن يأخذهم قيفانها ثم يقول يا جارية جدي المكتل والدرهم فأبتنا بلحم هذه الناقة أو البقرة فما يبرح حتى يقع بالموت فينجز .

قال الكلبي كان رجل من العرب يمكث ولا يأكل يومين أو ثلاثة فيرفع جانب جناحه فيمر به الإبل فيقول: لم أدرك اليوم إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه فما

يذهب إلا قريباً حتى سقط طايفة وغدة فسأل هذا الكفار أن يصيب رسول الله ﷺ ويفعل به مثل ذلك فأجابهم فأنشد: قد كان قومك يحسبونك سيداً وأخال أنك سيد مغبون ﴿وإن بكاد الذين كفروا ليرزقونك بأبصرهم﴾.

﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ أي القرآن لم يملكوا أنفسهم على ما أثبت من النبوة ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: 51] حيرة في أمره وتنفيراً عنه، فقد علموا أنه أعظمهم يعني أنهم جنبوه لأجل القرآن أي انصرفهم عنه وانحرفهم عن التوجه إليه لثلاثا يفتنوا قال النبي ﷺ: «العين حق إن العين لتدخل القبر وتدخل الجمل في القدر»، وذلك من خصائص بعض النفوس الخبيثة فإن سمّه يظهر في عينه وبصره وشقه لوامع نظره.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: 52] أي ليس القرآن وكلام الله إلا موعظة ونصيحة للعالمين أي بأهل العالمين.

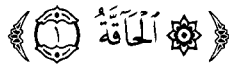
عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (القلم) أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم» صدق رسول الله ﷺ.



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي فعل بين كل دورتين حمايتين ساعة حاقة وقيامه دافة وحالة شاقة يجمع فيها جميع الأعيان النورية الجمالية الظاهرة فيها على التوالي والتنوع دفعة واحدة ليصل كل عين إلى أثمار أشجار أعمال نفسه وأفعال قوى حسه ويدل على كمال قدرته وعموم علمه وشمول حكمه ووفور حكمته ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي دبر أعيان أدوار النور والجمال ووفور أحوال أكوان أكوار الظل والجلال بذريعة نعت الإرادة الوصفية الأزلية ووسيلة الشبه الذاتية والمحبة الأولية فأحببت أن أعرف في الأولى صريحًا وفي الثانية ضمناً جريحاً ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي دور تلك الأعيان تلك الأكوان إلى أن أوصلها إلى كمالاتها الجمعية ومقاماتها الأصلية والفرعية ليستعمل الصورة النوعية والهيئة الاسمية في ضمن الحقيقة الشخصية البشرية بالنعوت العنصرية.



﴿الْحَاقَّةُ﴾ [الْحَاقَّةُ: 1] الساعة الواجبة الثابتة الأصول والفروع التي لا يقدر على دفعها وتأجيلها وتعجيلها أمر لا من الأصول ولا من الفروع أو الصورة المعلولية السارية للصورة العلية اللازمة لها عند استكمال مقتضيات الأدوار ومقتضيات الأكوار لا يتخلف عنها.

## ﴿ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ (٢)

﴿ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ [الحاقة: 2] أي شيء الساعة والقيامة وكيف تظهر وهي تقع وتشهر.

## ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ (٣)

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ [الحاقة: 3] أي من جعلك مدرّكاً كيوم وقوع الواقعة وهو العلم بحقيقة الأدوار وحقية الأكوار والعالم بحقيقة الأدوار، يجد في الوجوب ظهور الساعة وقيام القيامة، ففي كل دورة نورية لا بد أن يقع أربعة قارعة، وأن تقوم فيما كان أربع بعدد فارعة في نهاية كل دورة يقوم قيامة وتظهر ساعة بارعة.

## ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾ (٤)

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ﴾ أي طايفة ثمود وقومه وهو بن عابر بن أرم بن سام بن نوح ﴿ وَعَادٌ ﴾ وقوم عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح ﴿ بِالْقَارِعَةِ ﴾ [الحاقة: 4] أي بالقيامة الفارعة والساعة القالعة القامعة أي يقرع الخلايق بالأقراع والأغوال، والسماء بالانشقاق والانفطار، والأرض والجبال بالدك والنسف، والنجوم بالطمس والانكدار، ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على زيادة الحاقة وكمال تأثيرها في المذكورات.

## ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ (٥)

﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ ﴾ وقومه ﴿ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ [الحاقة: 5] الواقعة المجاوزة للحد في الشدة والإهلاك والقوة وهي الصيحة والرجفة والحركة العنيفة لكذبهم بالقارعة أو بسبب طغيانهم بالتكذيب وبعلة عصيانهم بالتغليب وغيره، فبعث الله عليهم وسلط لديهم صيحة على أنها مصدر كالعاقبة والعافية أي بطغيانهم وتجاوزهم عن الحد.

## ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ (٦)

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾ شديد الصوت والهول الذي يفضي إلى الفوت أو البرد من الصر وهو البرودة ﴿ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة: 6] شديد الصوت ليس من



العتو والعصيان بل من بلوغ الشيء وانتهائه ومنه عتى الشيب إذا بلغ منتهاه ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتْبًا﴾ [مريم: 8] وهي مجاوزة الحد. يقال: عتت على خزائنها فلم يطعمهم وجاوزت الحد والقدر عن النبي ﷺ ما أرسل الله سفة من الريح إلا بمكيال ولا قطرة مطرٍ إلا بمكيال إلا يوم عاد ويوم نوح طغى على الحد فلم يكن عليه سبيل، ثم قرأ: (بريح صرصر عاتية).

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾

﴿سَخَّرَهَا﴾ أرسلها وسلطها ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ولعلّه أراد الإفراط والمبالغة وغاية الشدة كأنها خرجت عن الحد والقدر ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ جمع حاسم أي قاطع ويجوز أن يكون مصدر الفعل الأول يكون معناه حسمت وقطعت كل خير وشاغلت كل نفع وبركة وقيل هي أيام النحوس أو بمعنى متتابعات من حسمت الدابة إذا تتابعت وابتدأت من صبيحة الأربعاء إلى غروب الأربعاء أخرى فدفع الله الريح عن الناس ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ﴾ إن كنت حاضرهم ﴿فِيهَا﴾ أي في أيامها أو ليائها أو في أهوالها وشدتها أو جمعها ﴿صَرْعَى﴾ جمع صريع، هلكى ﴿كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٍ﴾ أصولها وعروقها ﴿خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: 7] ساقطة أو خاوية الأطراف وخالية البطون والأجواف.

﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾

﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم﴾ أي القوم المذكور ﴿مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: 8] أي من آثار ديورهم ورسوم ديارهم باقية والخواوية يحتمل أن يكون وصفًا للقوم باعتبار الجماعة فإن الريح وهي جند الله وجيوشه تدخل أجوافهم فينزع أحشاءهم فيصيروا كالنخل الخاوية وأن يكون صفة للنخل بمعنى البالية والباقية يحتمل أن يكون صفة للنفس وأن يكون مصدرًا بمعنى البقاء كالتاغية بمعنى الطغيان.

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ﴾ وأتباعه وجنوده وأشياعه ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ [الحاقة: 9] أي تقدم عليه من الأمم البالية وأرباب الهمم التالية من لفظ عام في المعنى خاص بالكفار دون

المؤمنين ﴿وَالْمُؤْتَفِكْتُ﴾ قوم لوط أي الجماعات من الايتكاف وهو الاجتماع ﴿بِالْحَاطِطَةِ﴾ [الحاقة: 9] من الأفعال الخطيئة من الكفر والمعصية أو الأعمال ذات الخطأ.

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ ﴿١٠﴾

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ وكل آية أتوا بها وهم إبراهيم وموسى وداود وزكريا وعيسى فأخذهم الله عز وجل بالعذاب وتكاثر العقاب وتواتر شدايد الواحدة في الحساب ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ [الحاقة: 10] زائلة من الربا وهو الزيادة.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ ﴿١١﴾

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ وفار وازداد متجاوزًا عن الحد ﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ وقت طغيان الماء وفورانها وتجاوزها عن الحد ﴿فِي﴾ السفينة والفلك ﴿الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 11] في الطوفان وهيجان الماء والطغيان.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾ ﴿١٢﴾

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ أي الواقعة المعلومة والحادثة المرسومة المذكورة حكمًا ومعنى ومن نجاه المؤمنين ودركات المشركين أو السفينة تذكرة مذكرة ﴿وَتَعِيَهَا﴾ أي الواقعة المعهودة والحادثة المعدودة والموعودة ﴿أُذُنٌ﴾ أي قوة سامعة ﴿وَعِيَةٌ﴾ [الحاقة: 12] حافظة لما أدركته من المعارف الإلهية والعوارف الكونية والمخاطبات المعنوية.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ﴿١٣﴾

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ ومن القرن والنقور ﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: 13] نصب على المصدر أي الأولى فإنها متعددة فعند الأولى ههنا يخرب العالم ويهلك وبالثانية ظهر العالم وعرض له وجود ولما فيه من الأعيان ثم يعرضون في القيامة مع مالهم من الأعمال والأحوال يومئذ يعرضون لا يخفى منكم خافية.

﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ ﴿١٤﴾

﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [الحاقة: 14] أي رفعت الأرض والجبال إما بالزلزلة

التي تكون في القيامة وإما بريح صرصر رافع للأرض وما عليها أو بملك من الملائكة العظام وبقدرة الله تعالى الكاملة من غير سبب ظاهر ﴿فَدَكَّنَا﴾ أي الحملتان حملة الأرض وحملة الجبال ﴿ذَكَّةً وَجَدَّةً﴾ [الحاقة: 14] أي أولية وصدمة كلية فيضرب بعضها بعضاً حتى يدق والدك أبلغ من الدق ويصير كثيباً مهياً وهباءً منشوراً فصارت أرضاً لا عوج فيها، أو إذ الدك والدق يكون لبعضها ببعض بسبب السوية وعلّة للبيسة والبساطة وحتى يرجع ويعود كثيباً مهياً وهباءً منبثاً بليلاً .

### ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (١٥)

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: 15] وظهرت الساعة وقامت القيامة .

### ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ (١٦)

﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ أي سماء دنيا الدورة الصغرى النورية الجمالية وذلك عند انقضاء اقتضاء الدورة النورية في انتهاء حكم سلطنة الجمال وانتقالها إلى فردارية فردارية نوبة السرية السلطانية إلى سلطان الظل والجلال الذي كان اقتضاؤها ضمناً تبعاً فحينئذ يصير صريحاً وأصالة ﴿فَهِيَ﴾ أي السماء المذكورة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في ذلك اليوم لزوال اقتضاء بقائها وفصال ارتضاء استمرار وجودها ﴿وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: 16] ضعيفة ساقطة القوة إلى أن بلغ في حد الهلاك بعد ما كانت في سلطنة اقتضاء ربها محكمة مستحكمة في الغاية حتى غلب على بعض الظنون أنها قديمة بالزمان، إن بعض الظن إثم ولا مرية فيه ولا لثم فإن اقتضاء سلطة ربها وارتضاء شوكة قوة مربّيها كان كالروح والحياة لها، وإذا انصرف التصرف والتصريف والتدبير عنها وانقطع التعلق عنها فصار كالممات والفوت والهلاك والسموات والأفلاك والنفوس والأملاك كالشق والتجزئ والخرق والانفكاك ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: 68] .

### ﴿وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ﴾ (١٧)

﴿وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ [الحاقة: 17] أعم من الملائكة لأنه جنس لها وأرجاء جمع رجا بالقصر وهو الطرف، وأما بالمد وهو الأمل والترجي فلا يلايم المقام، ولعل ذلك تمثيل لخراب السماء بخراب البنیان وانضواء أهلها

وانصرافها إلى أطرافها وحواليها وإن كان على ظاهرها فلعل هلاك الملائكة إثر ذلك لكونها بمنزلة القوى الجسمانية والمبادئ الروحانية للسموات فحينئذ ينقطع تصرفهم ويرتفع تدبرهم ﴿وَيَجْمَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي فوق الملائكة الذين هم على الأرجاء والأطراف وفوق الثمانية لأنها في نية التقديم هم الذين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يحملون العرش فوق رؤوسهم ﴿ثَمَنِيَّةٌ﴾ [الحاقة: 17] أي ثمانية أملاك أو ثمانية أصناف من الملائكة، ولا يعلم عددهم إلا الله وكانت أربعة، فإذا كانت يوم القيامة أيدهم الله تعالى بأربعة أخرى كما ورد في الحديث، وأيضاً ورد أن لكل ملك منهم وجه إنسان ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر.

روي عن علي بن الحسن أنه قال: إن الله تعالى خلق العرش رابعاً ولم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء الهواء والقلم والنور، ثم خلق العرش من ألوان أنوار مختلفة، من ذلك نور أخضر منه اخضرت الخضروات، ونور أصفر فيه اصفرت الصفرة ونور أحمر ومنه احمرت الحمرة، ونور أبيض فهو نار الأنوار وفيه ضوء النهار، ثم جعله سبعين ألف ألف طبق، لبس في ذلك الطبقة الملائكة يسبح بحمده ويقده بأصوات مختلفة بلسانٍ منقطع ويسمع بأذان مستقيمة لا منحرفة، ولو رفعت من تلك الأصوات صوت ينهدّ منه القصور والجبال والوهاد والتلال وتنخسف البحار وتنكسف الشمس وتضطرب الأدوار والأكوار. سئل الحسن عن الثمانية قال لا أدري ثمانية أشخاص أو ثمانية الآلاف أم ثمانية صنوف.

واعلم أن حملة على ثمانية أشخاص أولى إذ القدرة فيها أتم والحكمة فيها أعلى وأعم، فلما كتبت هذا المقام خاطبني الله في سرّي أن الحق وأن الحقيق بالحق هو تحقيق الحق بالكل، إما بحسب الأدوار فإن لكل دورة اقتضاء والمتحقق بالكل ما هو الذات الأحدية تحققاً سرمدياً، فكل أحد من العارفين بالله يشاهده لما تحقق به بحسب الاستعداد الجزئي، ومن له الاستعداد الكلي يشاهده بالكل بتوفيق الله وحسن هدايته، روي عن النبي ﷺ: «أنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى فيكونون ثمانية». وروي أنهم ثمانية أفلاكٍ أرجلهم في نجوم الأرض السابعة والعرش فوق رأسهم وهم يطوفون ويسبّحون. وقيل: بعضهم على صورة الإنسان وبعضهم على صورة الأسد، وبعضهم على صورة الثور، وبعضهم على صورة النسر.

روي ثمانية أملاك على صورة الأغوال ما بين أخذانها إلى ركبته مسيرة سبعين عامًا .

عن شهر بن حوشب : أربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد بخير علمك .

### ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (١٨)

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ يوم القيامة يعرض الخلائق على الله عرض العساكر على السلطان، وهو عبارة عن المحاسبة والمساءلة، شبه ذلك بعرض السلطان العساكر ليعرف أحواله . روي : في القيامة ثلاث عرصات، فأما عرصتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ، وأما الثالث ففيه تنتشر الصحف والكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله ﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: 18] سريرة ومستترة على الله تعالى حتى يكون لعرض الاطلاع عليها .

### ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أقرءُوا كِتَابِيَةَ﴾ (١٩)

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ تفصيل للعرض ﴿فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ﴾ أي تعالوها صوت يصوت له فيفهم منه معنى كان وحسن وضمه همزة هاؤم إنما هي كضمة ميم الجمع في ميم وأنتم قد تنازع هاءه ﴿أقرءُوا كِتَابِيَةَ﴾ في ﴿كِتَابِيَةَ﴾ [الحاقة: 19] وهاء كتابيه ونظائرهما للسكت عند الوقف، ثبت في الوقف والفصل وتسقط في الوصل . ذهب بعض على إثباتها في الوقف والوصل جميعًا اتباعًا للمصحف .

### ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَةَ﴾ (٢٠)

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ وعلمت ﴿أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَةَ﴾ [الحاقة: 20] قال النبي عليه السلام : «أول من يعطى كتابه بيمينه عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس»، فقيل له : فأين أبو بكر؟ هيهات وافته الملائكة إلى الجنة . عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «يا عائشة كل الناس يحاسبون يوم القيامة إلا أبو بكر» . روى أبو هريرة رضي الله عنه : أوتي رجل ويؤتى به يوم القيامة بكتابه فيكتب حسناته في ظهر كفه ويكتب سيئاته في بطن كفه، فينظر إلى سيئاته فيحزن، فيقال له : اقلب كفك لينظر فيه حسناته فيرى حسناته فيفرح، ثم يقول له : اقرأ ما كتبناه،

يعني يلتفت عند النظرة الأولى ﴿مُلْتَقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ [الحاقة: 20] على سبيل الشدة، وأما الآن فقد فرج الله عني ذلك الغم، أما في حق الأشياء فالأمر على الضد مما ذكرنا، هذا ما في تفسير الإمام.

### ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ (٢١)

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: 21] ونعمة مرضية، أي صاحب اليمين.

### ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (٢٢)

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة: 22] وروضة مرتفعة لأنها في السماء التي عرضها كعرضها أو درجاتها أو أمكنتها أو أبنيتها وقصورها وأشجارها.

### ﴿فُطُوْفُهَا دَانِيَةٌ﴾ (٢٣) ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (٢٤)

﴿فُطُوْفُهَا﴾ ثمارها وأكلها ﴿دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: 23] قريبة يتعاطاها قائم ويجتنيها مضطجع وقاعد ونائم، متفرعة بلا تعب متى شاء وكيف أراد وبأي وضع جاء قائلين لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ من نعيمها وأشربتها من الأنهار الأربعة المذكورة ﴿هَنِيئًا﴾ مريئًا سائغًا حسن الاستمرار جيد الهضم كيلوسًا وكيموسًا متمثلة بها أعمالكم ومتجسدة بأشكالها أفعالكم وأقوالكم من الطاعات وصنوف العبادات وصنوف الخيرات والمبرات ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ وقدمتم إياها في الدنيا والنشأة الأولى، أما في الدورة العظمى والكبرى والوسطى والصغرى النورية الجمالية إلى المعارف الإلهية والإدراكات الشهودية ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: 24] الماضية، متعلقة بأسلفتكم، والمجورر الأول بالمقدر على ما أشرنا إليه.

### ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنُنِي لَرِّ أُوْتِ كِتَابِي﴾ (٢٥)

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ وصحيفة أعمالهم وصحيفة أقوالهم ومقتضى خطابهم ﴿بِشِمَالِهِ﴾ مردودة من صدره إلى ظهره ﴿فَيَقُولُ﴾ صاحب الشمال ﴿يَلَيِّنُنِي لَرِّ أُوْتِ كِتَابِي﴾ [الحاقة: 25] فتح التاء المتكلمة الملحقة أوتي نفس المتكلم بناء للمجهول من الإيتاء التابعة مفعول ثانٍ لأوتي لأنه بمعنى الإعطاء، يتمنى عدم إعطاء الكتاب من جهة الشمال بناء على التجبر.

﴿وَلَوْ أَدْرِمَا حِسَابِيَّةَ﴾ (٢٦)

﴿وَلَوْ أَدْرِمَا حِسَابِيَّةَ﴾ [الحاقة: 26] أي أي شيء حساب حسناتي وسيئاتي، عطف على أوتي داخل تحت التمني.

﴿يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْفَاضِيَّةَ﴾ (٢٧)

﴿يَلَيْتَهَا كَانَتْ﴾ أي الموتة الأولى التي وقعت في الفطرة الأولى ﴿الْفَاضِيَّةَ﴾ [الحاقة: 27] القاطعة لأمري والرافعة لشأني ولم أبعث بعدها في النشأة الأخرى، أو يا ليت هذه الحالة قاصرة كانت الموتة التي قضيت علي لأنه رأى هذه الحالة أمرٌ وأدهى وأحر وأحد وأكدى وأشنع مما ذاقه في الدنيا.

﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةَ﴾ (٢٨)

﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةَ﴾ [الحاقة: 28] (ما) إما نفي أو استفهام على الإنكار يكون مفعولاً لأغنى، أي أي شيء أغنى ومنع عني ما كان لي من اليسار والغناء والشعب.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةَ﴾ (٢٩)

﴿هَلَكَ عَنِّي﴾ وزال، يعني ﴿سُلْطَانِيَّةَ﴾ [الحاقة: 29] أي سلطة جاهي وملكي ومالي، أو سلطنة علمي وحجتي وحكمي على الناس على سبيل الاحتجاج وطريقة الاستعداد الأولى والاستنباط والاستخراج، يعني كل ما كان لي في الدنيا من الجاه والمال والتبع والملك والعلم والمقام، والحال ما منع مني اليوم نكبات العذاب وسطوات العقاب لأنه هلك مني ما كان لي في الدنيا من تملك سلطة التملك والتسليط على الناس، فبقيت ذليلاً عاجزاً عليلاً فقيراً محتاجاً فاقداً جاحداً سبيلاً بلا معين وناصرٍ ودليل، وباصرٍ. نزلت في الأسود بن عبد الأسد وعن فناخسرو الملقب بعضد الدولة أنه لما قال عضد الدولة: وأين ركنها مالك الأملاك عذاب القدرة يفلح بعده وجود، فكان لا ينطق لسانه إلا بهذه الآية.

﴿حَذُّوهُ فَعْلُوهُ﴾ (٣٠)

﴿حَذُّوهُ فَعْلُوهُ﴾ [الحاقة: 30] فاعلها هو الملائكة والمفعول هو صاحب الشمال. وغلوا أمر تغل من الغل وهو يفيد المخصوص، وهو شد الرجلين ويوضع في العنق.

﴿ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ ﴿٣١﴾﴾

﴿ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ ﴿٣١﴾﴾ [الحاقة: 31] أي أدخلوه في الجحيم .

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ﴾ من حلق منتظمة أي بعد ذلك أدخلوه في حلق مأخوذة من الحديد ﴿ذَرْعُهَا﴾ أي مقدارها من الذرع وهو ما يقدر به الأبعاد والمقادير ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ العرض هو التوصيف بالطول لا التقدير، يعني طولها سبعون ذراعًا ومقدار الذراع لا يعلمه إلا الله ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: 32] أي أدخلوا جميع أهل النار، وهم أصحاب الشمال في تلك السلسلة، ولو أن حلقة منها وضعت على جبل عظيم لذاب من حرها، والدخول في السلسلة هو أن يلوى على جسده حتى يبقى عليه ثناؤها وهو فيما بينها مضيق متقيّد وهو لا يقدر على حركة، وذكر السبعين للبيان لا للحصر كما قال: ﴿اسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: 80] بسبب كثرة المرات لا الحصر، كما قال النبي ﷺ: «إن لله تعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره». وتقديمه السلسلة كتقديم الجحيم على أن لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة فإنها أقطع من سائر مواضع الإرهاب في الجحيم. ومعنى ﴿ثُمَّ﴾ للدلالة على تفاوت ما بين تعدد الصلة في الجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة إلا على تراخ المدة.

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ﴾ صاحب الشمال ﴿بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: 33] يحتمل القسم للمبالغة، أي لا يوجد منه الإيمان أصلاً بالله العظيم، وأن يتعلق هو من تعليل على طريق الاستئناف وهو أبلغ للمحة. قيل: رسالة بعدت صاحب الشمال هذا النوع من العذاب فأجيب به.

﴿وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ [الحاقة: 34] هو ليس يحل في ذلك اليوم أي لا يقدر في ذلك اليوم على حض ما من طعام المسكين، هو اسم أقيم مقام



الإطعام كما وضع العطاء مقام الإعطاء . وفيه دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المساكين أحدهما عطفه على الكفر وقرينه، والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة، فكيف من ترك الفعل، يدل أن الكفار يعاقبون على ترك الصلاة وهو أمر من قولهم من يخاطبون بفروع التشريع لا صديق حميم ولا رفيق رحيم يرحم عليه ويستعطف لديه بأن يشفق عليه ويرق إليه بطعام من الطعام ولا طعام الغني الموسر ولا طعام الفقير المعسر، وذلك لتكذيبه الجزاء والوعد والثواب والوعيد والعذاب الشديد والعقاب الشديد، إذ لو آمن بهما لخشي الله وعقابه ولم يقدم على ذلك لكن على ذلك أقدم فعلم أنه يكذب به ولعل تخصيص هذين الأمرين بالذكر لأنهما من أكبر الكبائر وأكثر الورود فيهما من الأصاغر والأكابر ففرّج عليه بقوله:

﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴾ (٣٥)

﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا ﴾ أي في المحشر والموقف صديق ﴿ حَمِيمٌ ﴾ [الحاقة: 35] ولا رفيق رحيم عليه، ولا شفيق نديم يطيب قلبه ويلين فؤاده.

﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلٍ ﴾ (٣٦)

﴿ وَلَا طَعَامٌ ﴾ من الأطعمة ولا شراب من الأشربة ﴿ إِلَّا مِنْ غَسِيلٍ ﴾ [الحاقة: 36] أي غسالة أهل النار وصديدهم الذي تجري من قروحهم وجراحة جروحهم . سئل ابن عباس عن الغسلين فقال: لا أدري.

﴿ لَا يَأْكُلُهُمْ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ (٣٧)

﴿ لَا يَأْكُلُهُمْ ﴾ ولا يستحق مأكله ﴿ إِلَّا ﴾ القوم ﴿ الْخَاطِئُونَ ﴾ [الحاقة: 37] أي الذين تظهر منهم الخطيئة والمعصية.

﴿ فَلَا أُقِيمُ بِمَا بُصُرُونَ ﴾ (٣٨)

﴿ فَلَا أُقِيمُ بِمَا بُصُرُونَ ﴾ [الحاقة: 38] بما يرون ويشاهدون في عالم الحس والشهادة من الأجسام والأجساد ولو احقها وأحوالها والنعم الظاهرة المترتبة عليها.

﴿وَمَا لَا بُصُرُونَ﴾ (٣٩)

﴿وَمَا لَا بُصُرُونَ﴾ [الحاقة: 39] من الأرواح المقدسة والعقول المؤمنة والجواهر النورية المؤسسة، والأشباح المعرفية والأعمال النورية المجتسة.

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٤٠)

﴿إِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ باعتبار أنه يسمع من فيه لا أنه حدث فيه باختياره ﴿كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: 40] على الله، معزز دون الله، وهو محمد ﷺ أو جبريل عليه السلام.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ (٤١)

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ﴾ أي أعني القرآن ﴿شَاعِرٍ﴾ فيه كلام منمق موزون مجمل كذب ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: 41] أي يصدقون تصديقاً لفرط عنادهم وكثرة جهادهم ووفور اجتهادهم في إبطال الكلام ودينه.

﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٢)

﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ﴾ مطلع على بعض المغيبات من الحوادث الزمانية، وقد يلقي إليه الشيطان فيضمنه عما يلقيه من عالم الغيب ظناً منه أنه من جملة ما يلقي إليه أو من مقولة الشيطان إلا أنه يروج قوله ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: 42] تذكر قليلاً من العهود الأزلية والمواثيق الأولية. وإنما قال في الشاعر ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: 41] وفي الكاهن ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أن الشعر وإن كان فيضاً وارداً من الكنوز التي تحت العرش كما ورد في الحديث، إلا أن أكثر الشعراء ذاهلون عنه وينسبون الشعر إلى نفوسهم بخلاف الكاهن، فإنه وإن علم أن المغيبات واردة من ذلك العالم لا من اكتساب نفسه إلا أنه قد يغفل أنه على طبق ما شاهد في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وأن الكهانة والإخبار عن الغيب هو التذكير بما شاهده في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وما من نفس إلا وفيها كهانة إلا أنها ليس لها إدراك، والسعادة إنما هو بإدراك الإدراك وعرقان العرفان وشعور الشعور.

واعلم أن النفوس كلها قد سمعت القرآن في حضرة الواحدية في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172] إلا أن بعضهم إذا نزل منه إلى عالم الكثرة وذاق

لذات مشتهيات النفس ومشتهيات عالم الحس، واشتغلت بتدبير البدن وضبط أحوال المنازل وأحوال البدن والمدن، ذهلت عن ذلك العالم بما فيه من الأحوال الإلهية والإشراقات الإلهية والتجليات الربانية والمعارف الفطرية والحالات الأولية إلا أنها لكثرة اشتغالها بالأشغال البدنية وانغماسها في التدبيرات الحسية غفلت عن تلك الحالات بشهود تلك التجليات والأحوال والمقامات إلى أهل الصورة وصاحب النفس ومباشرة اللذات والأهواء والهوس والشعراء الذين يتبعون الغاوين ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشُّعْرَاءُ: 224].

﴿نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٣)

﴿نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٣) [الحاقة: 43] خبر مبتدأ محذوف وهو على لسان جبرائيل على قلب محمد ويجري منه على لسانه ومنه وصل إلينا.

﴿وَلَوْ نَقَوْلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤)

﴿وَلَوْ نَقَوْلَ عَلَيْنَا﴾ أي افتري وتخرص واختلق علينا ﴿بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: 44] يعني لو ادعى علينا شيئاً لم نقله

﴿لَاخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (٤٥)

﴿لَاخَذْنَا مِنْهُ﴾ أي تقبلنا منه ﴿بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: 45] والقسم والقدرة والصبر كما يفعل الملوك بمن يكذب عليهم معاملته بالسخط والانتقام، فصور قبل البصير بصورته ليكون، وهو أن يوجد بيده ويقتله ويضرب رقبتة.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (٤٦)

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: 46] أي نياط القلب وعرقه الشرياني بضرب عنقه، وهو العرق الذي يتصاعد منه شريان الحلقوم ويجاوره الحنجرة.

﴿فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (٤٧)

﴿فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: 47] أي عن القتل والمؤاخدة.

﴿وَإِنَّهُ لَلْمُنْذِرُ لِلْمُنْذِرِينَ﴾ (٤٨)

﴿وَإِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿لَلْمُنْذِرُ﴾ [الحاقة: 48] ومحافظة على العهود الأزلية

والعقود الأولية ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة: 48] أي الذين اتقوا عما يمنع عن التذكر وكمال التفكر.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ﴾ (٤٩)

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ﴾ [الحاقة: 49] الرسول وكتاب الله أو كلاهما، يعني أن بعضكم قد وقع وظهر منهم التكذيب فيجازيكم على تكذيبكم.

﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾ (٥٠)

﴿وَإِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ﴾ وندامة ﴿عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾ [الحاقة: 50] وتأسف إذ رأوا درجات المؤمنين بجنات الموحدين المتقين.

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ (٥١)

﴿وَإِنَّهُ﴾ أي يدعو إلى تلك الدرجات وحصول شهود التجليات على وجه التحقق والوحدانية والتوحيد ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الحاقة: 51] أي التحقق به بعد أن شاهده بعين اليقين وآمن به بعلم اليقين، بحيث ارتفع عنه ريب المنون بالكلية.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٥٢)

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: 52] أي نزهه وقدّسه عن درايات العقول والروايات. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الحاقة) حاسبه الله حسابًا يسيرًا».

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي أجاب سؤال سائل العروج والمعراج إلى ما كان عليه قبل الخروج والإخراج وبعد الولوج والإيلاج . قال عيسى عليه السلام : لن يلج ملكوت السماوات من لم يولد مرتين . ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذي أعطى الأرواح استعداد العروج وقابلية المعراج والولوج ﴿الرَّحِيمُ﴾ الذي وصل كل مسائل وما قصد إليه وتوجه وأقبل لديه ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج : 4] ، فاصبر صبراً جميلاً عند الولوج في المراتب والعروج بنيل مآرب المناقب في الأدوار والأكوار الجمالية والجلالية .

## ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج : 1] نازل كائن نزلت في مشركي مكة حيث نزلت بالعذاب فقالوا : سلوا محمداً لمن هو وعلى من ينزل؟ وهم نصر بن الحارث وأتباعه وأبو جهل وأشياعه، وإنما سألوا استهزاءً وسخرية فحقق الله تعالى وعده حيث قتل أبو جهل في القتال، ونصر بعد الأسر ولم يقتل بعد الأسر إلا نصر، وعقبة بن معيط، وعلى هذا الباء بمعنى عن .

روي عن سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن آبائه سلام الله عليهم قال : لما كان رسول الله ﷺ بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي كرم الله وجهه وقال : «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من

عاداه، اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل الدين»، فشاع في البلاد وسمعه أكثر العباد وبلغ الحارث بن النعمان الفهري، فأتى رسول الله ﷺ وهو في عدد من أصحابه فقال: يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصلي خمسا فقبلناه، وأمرتنا بالزكاة والصوم والحج فقبلناه، ثم لم ترض بذا حتى قلت ورفعت ضبعي ابن عمك ففضلته علينا وقلت من أنا مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أم من الله؟ فقال ﷺ: «والله الذي لا إله إلا هو إن هذا أمر الله تعالى». فولى الحارث وهو يقول: اللهم أمطر علينا حجارة من السماء وأتنا بعذاب أليم واقع إن كان ما يقول محمد حقا، قال بعضهم: هذا السائل هو رسول الله ﷺ استعجل بعذاب الكاذبين، فبين الله أن هذا العذاب واقع يأتيه أجرا لآية: ﴿فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَبِيلًا﴾ [المعارج: 5].

﴿لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾

﴿لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ﴾ وفي الكشاف: تضمن سؤال بمعنى دعا، ولذا تعدى بالباء ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: 3] أي السماوات الرفيعة، أو الغسق الذي بين كل سمائين وأرضين والفواصل والنعم والدرجات الوثيقة والمساعد فهي الدرجات العالية التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، ويترقى فيه المؤمنون في عرض ملكوتهم ودرجة جبروتهم، أو في دار ثوابهم بعد الفراغ عن حسابهم، أو معارج الممالك التي يعرجون إليها، وإنما المعارج صفة لله جرت على غيرية من هي له، فإن صفة الأرواح التي هي مختلفة العروج والملائكة بتعبيره ما بعده ملائكة الروح.

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ أي إلى الله، والعروج معنوي لا حسي، والألزم أن يكون الله في جهة والروح، أما جبرائيل ومطلق الأرواح ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ﴾ أي قدر اليوم ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 4].

واعلم أن الله تعالى خلق العالم وأجراه على أربعة أدوار في أربع مراتب، وأما في مرتبة الواحدية نظام الجبروت وهي الدورة العظمى النورية، والثانية في مرتبة الملكوت وعالم الأمر والأرواح وهي الدورة الكبرى. والثالثة في مرتبة

البرزخ وعالم التلاقي في الذروة والوحي . والرابع في مرتبة الملك وعالم الشهادة هي الدورة الصغرى النورية الوجودية الجمالية ، ولكل دورة منها مدة معينة وعدة معينة ، فدورة العظمى لها ثلاثمائة ألف وستين ألف سنة مقدارها ثلاثمائة وتسعون يوماً من الأيام الإلهية مقدار هذا اليوم ثلاثمائة وستون سنة من سني ما دونها ، ومقدار هذه السنة أيضاً ثلاثمائة وستون يوماً ، ومقدار هذا اليوم ألف سنة ، وسنة الدورة العظمى تسمى سنة إلهية ، وسنة الدورة الكبرى تسمى سنة ربوبية ، وحقيقة هاتين السنتين هي امتداد الحضرة الإلهية وديمومتها وهي الدائم ، فإذا نسب الحضرة الإلهية ومرتبة الجبروت وعالم الواحدية يسمى بالوقت وهو الذي يقع فيه التكوين الإبداعي «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل» .

وإذا انتسب إلى مرتبة الربوبية وعالم الملكوت والأرواح سمي بالدهر «لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله» ، وقال أيضاً : «لا تسبوا الدهر فإن الله عز وجل يبعث الدهر في الليل والنهار وأنا أجده وأبديه وأذهب بملوك الدنيا وأتي بملوك» ، ويقع فيه الإيجاد والتكوين البرزخي والاختراع ويخلق الكون ، فإن مقدار اليوم البرزخي ألف سنة وحقيقته هو الامتداد الزمني والاستمرار الروحاني ، ويقع فيه التكوين البرزخي والتصوير المثالي والتحرير غيابي شعبي ، وتسمى هذه الدورة الوسطى البرزخية ، وتنقسم هذه الدورة ثلاثة أقسام : عالم الملكوت إلى ثلاثة : الأعلى والأوسط والأدنى الأرضية ، فمقدار يوم البرزخ الأعلى ألف سنة ، ويوم الأوسط هو مائة سنة ، قال : ﴿قَالَ كَمْ لَيْتُ قَالَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّيْتُ مِائَةَ عَامٍ﴾ [البقرة: 259] الآية .

ويوم البرزخ الأدنى عشرة سنين وحقيقته هو الامتداد الخيالي ، ويسمى بالعصر ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [العصر: 1 - 3] الآية . ومقدار يوم المرتبة الشهادية والدورة الصغرى الجسمية معروف ، وهو أربعة وعشرون ساعة ، وإن في كل مرتبة دورة سماوات وأرضاً وفيها حركات لائقة وهيئات متوافقة مناسبة ، فحركات فلك الدورة العظمى عقلية كحركات فكرية ، وحركات فلك الدورة الكبرى روحية كحركات الأرواح والنفوس إلى الأجسام ، وحركات السماوات الدورة الوسطى الخيالية برزخية كحركات القوة المتخيلة في الموضوعات المثالية والمثل النورية ، وحركات سماوات الدورة الصغرى جسمانية

كحركات الأجسام العنصرية على المركز، فمقدار حركات الأفلاك العقلية والروحية والجنانية والجسمية سمي بالوقت والدهر والعصر والزمان، فالوقت ظرف التكوين الإبداعي، والدهر ظرف التكوين والاختراع، والعصر ظرف التكوين والخلق البرزخي، والزمان ظرف الحوادث الزمانية والتكوينات الطبيعية، وفي كل دورة طبيعة مرتبة ودنيا وآخرة وما يلزمهما من الموت والحياة وغير ذلك من الصناعات والقيامات. وهذا في الأدوار النورية الجمالية الوجودية.

وأما الأكوار الظلية والجلالية العدمية فأربعة، وأسمائها هي الأسماء والأدوار، وكذا لكل دورة من الأكوار الأربعة العظمى أو الكبرى والوسطى والصغرى، أفلاك وأرض ودنيا وآخرة وظهور ساعات وقيام قيامات. وللأفلاك حركات ولها امتدادات وهي باطن الوقت والدهر والعصر والزمان وأحوال هذه الأمور عكس أحوال الأدوار النورية الوجودية، مثلًا أن سماوات الأدوار عالية مرتفعة وأرضها ناقلة منخفضة، فسماوات الأكوار سافلة منخفضة، وأرضها عالية مرتفعة فلتغيرها في المرايا والأجسام السفلية، فإنك إذا نظرت في الأواني المملوءة والمرايا الموضوععة على الأرض تجد السماء سافلة والأشجار منعكسة فتجد الأرض التي هي مفرش الأشجار مرتفعة عالية إلا أن الأدوار والأكوار وما فيهما متداخلة متداخلة بداخل الجلال في الجمال وبالعكس، وبداخل الليل في النهار والنهار في الليل ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [آل عمران: 27].

فإذا كان حكم فردارية نوبة الجمال والنور صريحة كان حكم فردارية نوبة الجلال والظل صمتمًا خفيًا، فإذا تمت الأدوار اقتضاءها انتقلت الفردارية إلى سلطان الجلال وأحكام فردارية أكوارها، فصارت أحكام الأكوار صريحة واقتضاءات الأدوار ضمنية.

واعلم أن كل دورة وكورة تكون أعلى تكون من مبدأ أقرب ومن المركز أبعد، وتكون مقتضياتها أعظم ومرتضياتها أجلّ وأجسم وهي محيطة على باقي الأدوار، وكذا الأدوار بعضها محيطة بالبعض وكل ما كان أقرب إلى المحيط على الكل يكون أعظم وحركتها أسرع، وما يكون أقرب إلى المركز يكون أصغر وحركتها أبطأ، فكل دائرة من الدوائر المتوازية وهي أعظم بعد التغيير والفساد. وكذا



مقتضياتها أبعد من الفساد والانحلال والتبدد والانفصال فيكون بقاؤها ووجودها أطول ومدة الوقت دهرًا كان أو عصرًا أو زمانًا أطول، أو سنته وشهوره وأيامه أكثر ودورته أوفر وأكبر، فإذن لا بد وأن تكون مدة الدورة والكورة أطول وسنينها وشهورها وأيامها أكبر وأجلّ من مدد سائر الأيام والأدوار والأكوار، وكذا أعمار أعيانها وأكوانها أطول، فأعمار أعيان الدورة العظمى دهر وأعصار وهما زمان ومدة أعيان الدورة الكبرى أعصار وأزمان، ومدة أعيان الوسطى أزمان، ومدة أعيان الدورة الصغرى أجزاء الزمان بأن يكون ألف سنة أو أكثر أو أقل.

وأن كل دورة أعلى وأعظم فلا بد وأن يوجد مقتضياتها في الدورة الأدنى، فأعيان الدورة العظمى وهي الحقائق الإلهية والماهيات الكونية والأعيان الثابتة لا بد وأن توجد في الدورة الكبرى والوسطى والصغرى، وكذا الحال في الأكوار وأكوانها وأحوالها، فكلما وقع في الكتاب الإلهي مما ينبئ عن نكبة الأوقات والعصر والزمان فإشارة إلى وقت عروج أعيان كل دورة من الأملاك والأرواح، وفي ذكر الروح والملائكة إشارة وإشعار إلى أن المعراج روحاني لا جسماني، قبل إشارة أو مدة عمر الدنيا من أولها إلى آخرها لا يدري أحد كم مضى من الدنيا وكم بقي إلا الله.

والمراد هو يوم القيامة جعله الله على الكافرين مقدار ألف سنة لطول هذا اليوم، قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده ليخفف على المؤمنين حتى يكون أخف من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا». وقال أيضًا: «إذا أدخل الله عز وجل الموحدن النار أماتهم الله فيها، فإذا أراد أن يخرجهم آمنهم ألم العذاب في تلك الساعة».

### ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾

﴿فَاصْبِرْ﴾ في المعراج والإيلاج والخروج والاستواء، استعجال طبيعي واضطراب نوعي متعلق بسأل لأن السؤال كان عن استهزاء إذ استعجال البعض بالعذاب إنما كان على وجهين: الاستخفاف والسخرية برسول الله ﷺ، والتكذيب بالوحي، وكان ذلك مما يضجر رسول الله ﷺ فيأمر بالصبر عليه ﴿صَبْرًا﴾ كاملاً ﴿جَمِيلًا﴾ [المعارج: 5] أو بقرب وقوع العذاب وسطوع العذاب، يعني فاصبر أنت يا محمد ولا تستعجل ولا تضطرب.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ أي يوم القيامة الذي يقع فيه العذاب القليل لاستخفافهم ﴿بَعِيدًا﴾ [المعارج: 6] لعدم الاعتقاد وإيمانهم به .

﴿وَنَرَنَّهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾

﴿وَنَرَنَّهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج: 7] أما كلام المؤمنين لكمال إيمانهم وصفاء عقيدتهم، وأما إذا كان من كلام الله فظاهر إذ لا تفاوت بالنسبة إليه القرب والبعد إذ الأدوار والأكوار وما فيهما من الأعيان والأكوان وأحوالها من الحركات وأطوار الهيئات وتطورات الشؤون إنما تكون على السواء بالنسبة إلى علم الله تعالى وكل من قدرته ومشيئته بالنسبة إليه قرب وبعد، وبعد ليس عند ربك صباح ومساء .

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾﴾

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾﴾ [المعارج: 8] ظرف لقريباً أو منصوب بمضمر دل عليه واقع أو بدل عن (في يوم)، والمهل هو النحاس المذاب أو دردي الزيت .

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾ [المعارج: 9] كالصوف المصنوع المندوف أو المنفوش، إذ أول ما تتغير الجبال تصير رماداً مهياً ثم عهداً منفوشاً ثم تصير هباءً مشوراً .

﴿وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾

﴿وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [المعارج: 10] قريبٌ قريباً لاشتغاله بشأن نفسه فلا يدرك شيئاً غير نفسه .

﴿يَبْصُرُونَهُ يَوْمَ الْمَجْزِمْ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾﴾

﴿يَبْصُرُونَهُ﴾ [المعارج: 11] ويرونهم وليس من الفئة مخلوق إلا وهو يبصر ويرى صاحبه وغير صاحبه من الجن والإنس، فإذا رأى الرجل أباه وولده وأقرباءه وعشائره لا يسأله، وإذا رأى صديقه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه، وإذا عدوه كالمجرمين المؤمنين كان ذلك أشد عليه، فإن الإنسان إذا كان في بلاء شديد ورأى عدوه في تلك الحالة كان ذلك أشد عليه . سئل أيوب عليه السلام

عن شدائد بلائه، قال: ما رأيت بلاءً أشد من شماتة الأعداء. ﴿يُودُّ الْمُجْرِمُ﴾  
والكافر والمشرك ﴿لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيٍّ﴾ [المعارج: 11] وولده وحفدته.

### ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ (١٢)

﴿وَصَاحِبَتِهِ﴾ زوجته وبنيه مفعول (يفتدي) ويومئذ مذهبول بعداب بمعنى  
التعذيب ﴿وَأَخِيهِ﴾ [المعارج: 12] بنو العلات أو غيرهم.

### ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَّبُ﴾ (١٣)

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ وعشيرته وأقربائه من ذوي الأرحام وغيرهم ﴿الَّتِي﴾ فصل منهم  
﴿تُتَوَّبُ﴾ [المعارج: 13] في البيت، يعني أن المجرم لو افتدى وجعل فداء لينخص  
نفسه من الأبناء والآباء والزوجات فلكل ما أحسن إليه من الأموال أو النسب.

### ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنَجِّيهِ﴾ (١٤)

﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ مما أحبه، فلا يعني لو كان كل ما في الأرض وعلى  
الأرض من الجواهر النفيسة والفواخر الشريفة ومن الحيوانات والإنسان في يده  
وتحت تصرفه فيفتدي به ﴿ثُمَّ يُنَجِّيهِ﴾ [المعارج: 14] من العذاب ثم الاستبعاد في  
النجاة، يعني ليس الأمر على ما يتمنى بالترتيب.

### ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَلظَى﴾ (١٥)

﴿كَلَّا﴾ للردع دال على الافتداء بما ذكر لا ينجح ولا ينفع، وهيهات أن  
يجحده وينفعه في التخليص والإنجاء ﴿إِنَّهَا﴾ أي النار التي قد ذكرها لدلالة  
العذاب عليها ﴿الظَى﴾ [المعارج: 15] أي تلهب وترفع لهيبه، أو يجوز أن يكون  
الضمير تفسير لظى أو ضمير قصة. ولظى علم للنار منقول من الله وهي معرفة لا  
نكرة ولهذا نزلت.

### ﴿نَزَاعَةٌ لِّلشَّوَى﴾ (١٦)

﴿نَزَاعَةٌ﴾ نصبت على الاختصاص والحال المؤكدة أو المتتقلة على أن لظى  
بمعنى متلظية، وقرأت بالرفع على أنها خبر لظى، وجعلت الجملة خبراً عن  
ضمير القصة، يعني أن القصة أن لظى نزاعة وهو القلع والفض ﴿لِّلشَّوَى﴾  
[المعارج: 16] أي الأطراف أو جمع شواة وهي جلدة الرأس متعلقة بنزاعة،

ويجوز أن يكون للذم، تقديره: أنها لظى وهي نزاعة وقالعة للشوى، يعني كلما أفتت بالنار لحوم الأطراف وأحرقتها أعيدت ثانية وثالثة، إلى غير ذلك ﴿كَمَا نَصَبَتْ جُلُودَهُمْ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: 56].

### ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ (١٧)

﴿تَدْعُوا﴾ أي تطلب النار واللظى الكافر والمشرك بلسان الحال كما قيل: (سال من الأرض من سلاسل أنهارك وغرس أشجارك، فإن لجنبك جوارًا ولجانبك اعتبارًا) أو يخلق الله في النار الكلام لتتطق صريحًا: يا كافر، ويا منافق. أو المراد لها بالدعوة والإهلاك من قولهم: دعاك الله أي أهلكك الله، أو بتقدير المضاف رأى علامة النار ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ واستدبر عن الحق وكلامه ﴿وَتَوَلَّى﴾ [المعارج: 17] وأعرض عن الطاعة والعبادة إلى جمع الأموال من النقد والجنس وتحصيل الجاه.

### ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ (١٨)

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [المعارج: 18] وحفظها واختزنها ودفنها.

### ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (١٩)

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ [المعارج: 19] شديد الحرص في جمعه، قليل الصبر في صنعه.

### ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ (٢٠)

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ ولمسه السوء والمكروه والضرر ﴿جَزُوعًا﴾ [المعارج: 20] أي يظهر الجزع والاضطراب والفرع.

### ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (٢١)

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾ والمال الكثير يصير ﴿مَنُوعًا﴾ [المعارج: 21] يمنع عن الفقراء أو المستحقين، تفسير للهلع، يعني إذا ناله شر مخالف لإرادته أظهر شدة الجزع وحدة البؤس والفرع، وإذا ناله خير ومال كثير ونفع، بخل واستغنى وكذب بالحسنى ومنعه عن الناس. أو المراد الفقر والغنى إذا استغنى منع المعروف وشح،

وإذا ظهر الفقر والفاقة جزع واضطرب، أو الصحة والمرض فإذا ظهرت الصحة واستمرت العافية غفل عن الموت. قال النبي ﷺ: «إني لأفرح بالطاعون لأمتي فيه خلطان، أما إحداهما: فهي شهادة، والأخرى: فزهدي في الدنيا ورغبة في الآخرة». وإنما تعشق قلوب العباد طول الأمل وصحة الجسم، وإذا مرض قلق واضطرب. قيل: الهلوع هو الذي لا يشبع، أو هو الجهول المتقلب في شهواته، أو الذي لا يرضى بالموجود ويسخط عند المفقود، وإذا أيسر منع، وإذا اعتبر جزع، وإذا مسه الخير لم يشكر، وإذا مسه الشر لم يصبر. والمراد به الإنسان عامة بدليل صحة الاستثناء. والهلوع ضربان: ملكة نفسانية لأجلها يقدم الإنسان على إظهار الجزع والفرع، وجسمانية هي الفعل والقول الدالان على تلك الحالة النفسانية، فالأولى اضطرارية، والثانية اختيارية.

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِلَّا﴾ المؤمنين ﴿الْمُصَلِّينَ﴾ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ [المعارج: 22، 23] كَمَا وكيفًا، إما بالمواظبة عليها في تمام الأوقات أو بكمال التوجه إلى الله من غير أن يخطر بباله غيره ولا يشتغل بجوارحه إلى غير الصلاة بل يقبل بشرائه إلى أداء آدابها أصراً على أدائها من غير التفاتٍ إلى شماله وجنوبه ويمينه ويساره، يعني يكون حاضر القلب، ناظرًا للحق في الشهادة والغيب. قال آدم الأولياء علي المرتضى: رأيتُه فعرفته ثم عبدته ولم أعبد ربًّا لم أراه.

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾﴾ [المعارج: 24] مقدَّر مفروض.

﴿لِسَائِلٍ وَالْمَحْرُورِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿لِسَائِلٍ﴾ أي لسان السؤال إما بالنطق أو الكتابة والمقال والإشارة والكناية، أو بلسان الحال كما للحيوانات والنباتات كما يفهم الزراع من الزرع طلب الماء والشرب من الأشجار والثمار، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَالْمَحْرُورِ﴾ [المعارج: 25] والمراد بالحق هو الزكاة المفروضة.

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ﴾ ويؤمنون ﴿بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المعارج: 26] البعث والنشر والحشر وما يلزمها من الجنة والنار والصراف والحساب والميزان والثواب والعذاب.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾ [المعارج: 27] خائفون على أنفسهم ومشفقون من أمرين: الخوف عن ترك الواجبات، والخوف من الإقدام على المحظورات لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: 60]، ولقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: 35]. ومنه يدوم به الخوف والإشفاق فيما كلف يكون حذرًا من التقصير، حريصًا على القيام بما كلف من علم أو عمل.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾﴾

ولذا أكد ذلك الخوف بقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا مُؤْمِنِينَ﴾ [المعارج: 28] والمراد أن الإنسان لا يمكنه القطع بأنه أدى الواجبات كما ينبغي والاحتراز عن المحظورات بالكلية بل يجوز أن يقع منه تقصير في شيء من ذلك، فلا جرم لا يخلو من خوف أصلاً ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المعارج: 32].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المعارج: 29] عن الزنا والاستمتاع بالمحرمات.

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ وأيديهم من المملوكات ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المعارج: 30] أي لا يتعلق بهم اللوم والحرع بمباشرة الأزواج ومعاملة الأدرج.

﴿مَنْ أَبْغَىٰ وِرَاءَهُ ذَلِكُمْ فَوَلِّتْكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿مَنْ أَبْغَىٰ﴾ وحاول ﴿وِرَاءَهُ ذَلِكُمْ﴾ الأمر المباح المذكور ﴿فَوَلِّتْكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المعارج: 31] المتجاوزون عن الحد المحدود والأمر المعهود.

### ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ (٣٢)

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ [المعارج: 32] لحفظ أماناتهم ووقاية مستودعاتهم وصيانة ودائعهم والمراقبة على الوفاء بعهودهم ومواثيقهم ﴿رِعُونَ﴾ [المعارج: 32] ولشرائطها أو لأسباب رعايتها داعون، أو إلى رعاية أهلها ساعون وإلى سعاية مراقبتها مسارعون.

### ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ (٣٣)

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ﴾ وأداء حقوقهم وإقامة حقوق وثوقهم ﴿قَائِمُونَ﴾ [المعارج: 33] لا يخفون شيئاً منها ولا ينكرون أمراً يجب الإقرار به والاعتراف بحقه ولو أنفسهم.

### ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٣٤)

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾ [المعارج: 34] الروحانية، وعلى عباداتهم السرية وهي شهود التجليات الأثرية والأذكار الخفية ﴿وَأَذُكَّرُكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الأعراف: 205]، ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: 34] دائمون على إقامة حدودها مواظبون.

### ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ﴾ (٣٥)

﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّةٍ﴾ [المعارج: 35] الموحدون والعابدون المؤمنون في جنات بدیعة ودرجات رفيعة، فجنة الموحدين روحانية وهي تجليات أفعالية وتوحيد فعلي، وجنة العابدين هي جنة بهية وربما يتجلون بالتجلي الأثاري ويشهدون بعين بصور الآثار، أعني الأجسام فلكية كوكبية كما وقع للخليل ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ إِلِيلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: 76]، ويشاهدون التوحيد الأثاري بصورة كلية الأجسام أو بصورة الإنسان الكامل الخلق كما شاهد نبينا ﷺ: «رأيت ربي في أحسن صورة شاب قطط»، فإن شاهد بكلية صورة الإنسان تسمى توحيداً صورياً، وهذا شرف التوحيد الأثاري ﴿مُكْرَمُونَ﴾ [المعارج: 35] من الكرامة وهي الشرف والعظمة، أي معظمون بتشريفات وبتجليات ربانية غير متناهية.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ (٣٦)

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ﴾ من الأعراب سيما قريش حولك وجوانبك ﴿مُهْطِعِينَ﴾

[المعارج: 36] مغفلين مبادرين مسرعين .

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ (٣٧)

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: 37] أي الكافرون يتفرون فرقا شتى

بيمينًا وشمالًا، جمع عزة أصلها عزوة أي متفرقين يمينًا وشمالًا، أو كانوا جماعات منقوص بالواو والنون أصلها عزوة، والكلام فيه كالكلام في عزين، وقد تقدم. وقيل: كان المستهزؤون خمسة رهط.

﴿أَيُّطَعُ كُلُّ امْرَأٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ (٣٨)

﴿أَيُّطَعُ كُلُّ امْرَأٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ [المعارج: 38] نزلت حيث

كان المشركون يحتفون حول النبي ﷺ خلقًا خلقًا ويصيرون فرقا فرقا ويستمعون الكلام ويستهزؤون ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنة كما زعم محمد ﷺ فنحن أحق بها. والاستفهام للإنكار، أي يطمع ويرجو أن يدخل الجنة بلا إيمان ووفور شك ووجود كفر وشرك مع أن الله تعالى خلق الجنة للصلحين من المؤمنين جزاء العمل الصالح والإيمان.

﴿كَلَّا إِنَّآ خَلَقْنَهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٩)

﴿كَلَّا إِنَّآ خَلَقْنَهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [المعارج: 39] تعليل للردع ونفي زعمهم

الفساد، يعني أن زعمهم هذا باطل لأنهم هم مخلوقون مما يعلمون من أنه مثل الكل هو نطفة ومضغة وعلقة، والنطفة والبول مخرجان من ممر واحد ونفس للمدحجتان عليهم في الخلق حتى يكونوا أحقاء للدخول في الجنة مع أنهم استجمعوا الصفات الرديئة والهيئات الدنيئة والنوع الرذيلة والخسيسة، فأنتم بهذه الصفات الرذيلة لا تناسبون عالم القدس الذي هو موجود للأعيان المطهرة والملائكة المقدسة التي لا تتجامع الشيطنة والكدورة والظلمة، فكيف تدخلون الجنة التي هي مدخل الطاهرين والطاهرات والمتقدين المستأنسين بالله المتخلفين بأخلاقه وأوصافه.



﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ﴾ ﴿٤٠﴾

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ مدخول محذوف، أي فلا الأمر وليس الحال على ما زعمتم، أقسم ﴿بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: 40] المشارق الأيام، فإن في كل يوم مشرق ومشارك كذلك، وباعتبار اختلاف المطالع بحسب اختلاف عروض الآفاق، فإن لكل أفق عرضاً وفي كل عرض مشارق ومغارب، ففي خط الاستواء عديم العرض بحسب مثل منطقة البروج عن معدل النهار مشارق ومغارب، وفي ذوات العروض أيضاً مشارق ومغارب تغاير تلك المشارق والمغارب لأمرين أحدهما مثل المنطقتين معاً، والثاني مثل إحداهما عن الأخرى إلى أن يصير المشرق للشمس والقمر وبعض الثوابت نقطة الشمال والمغرب ونقطة الجنوب، وتدور الشمس في ذلك اليوم بليدة فوق الأفق ولا يغرب في ذلك اليوم بل يكون يوم ذلك الأفق في هذا الوقت أربعاً وعشرين ساعة، وهكذا تختلف المشارق ويزداد النهار إلى أن بلغ عرض التسعين، فالنهار في هذا العرض يصير ستة أشهر، فالشمس في هذا العرض لا تغرب في هذه الشهور بل تدور فوق الأفق، وابتداء اليوم في هذا العرض إذا حلت في صغر الحمل وانتهائه إذا دخلت في الميزان، ففي هذه الحالة تأخذ في الغروب والليل ويزداد الليل إلى أن يصل ثانية إلى الحمل فيتم دورة الشمس في أجزاء منطقة البروج في يوم بليلته، فإن لكل شخص بل لكل جزء من أجزاء كرة الأرض مشارق ومغارب ﴿إِنَّا لَقَدِرُونَ﴾ [المعارج: 40].

﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ ﴿٤١﴾

﴿عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ بأن نذهبهم ونأتي بقوم آخرين بدلاً منهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المعارج: 41] مغلوبين عاجزين في هذا التبديل غير فائزين في هذا النقل والتحويل.

﴿فَذَرَهُمْ خَوْضًا وَيَبْعًا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿فَذَرَهُمْ خَوْضًا وَيَبْعًا﴾ [المعارج: 42] ويستعلوا في الدنيا بما لا يغنيهم ولا ينفعهم عاجلاً وآجلاً ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: 42] أي يوم القيامة.

﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُؤْفَضُونَ﴾ ﴿٤٣﴾

﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ والقبور في الحشر والنشر ﴿سِرَاعًا﴾ جمع سريع كعظام وعظيم وكرام وكريم، مسرعًا إلى ما أجابه الداعي ﴿كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبٍ﴾ [المعارج: 43] فيه ثلاث لغات بفتح النون وسكون الصاد هو مصدر بمعنى المفعول، أي منصوب للعلم والإدراك، وبضم النون وسكون الصاد جمع بضم كأسد وأسد وفُلُك وفلك وهو مثل ضَعْف وضُعبف وهما لغتان بفتح النون والصاد، وكحصيب يعني إلى ما سوى الله وغيره مما هو منصوب للعبادة ﴿يُؤْفَضُونَ﴾ [المعارج: 43] يسرعون إلى عبادة غير الله فيتبادرون ويسرعون.

﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَفُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ﴿٤٤﴾

﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ قد مر تفسيرها وإعرابها ﴿تَرْهَفُهُمْ﴾ وتغشيهم وتحيطهم ﴿ذَلَّةٌ﴾ حقارة ﴿ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ هو اليوم ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: 44] فيه الجزاء والثواب وعقابًا ونكالًا وعذابًا. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (سأل سائل) أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون».

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل دعوة نوح النفس مطمئنة سبباً لنجاة القوى الروحانية، وذريعة لاستهلاك المباني النفسانية والمباني الجسمانية بماء طوفان التوحيد الآثاري والتفريد التصوري ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي جعل عموم دعوته جمهور أعيان قوى النفس الأمّارة، والمباني الجسمانية علّة لأعرافهم وذريعة لاقترافهم ووسيلة لاحتراقهم في الماء الناري المنبعث من بحر الشوق إلى محيط عالم الإطلاق ومحدث الفلك الذاتي وسماء الاشتياق ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي أوصل الطالبين إلى نهاية مطلوبهم، وبلغ الراغبين إلى غاية مأمولهم ومرغوبهم.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ عشيرته وقبيلته ﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾ أي بأن إنذاري للإنذار أو بأن قلنا له: أن أنذر. ويجوز أن تكون مفسرة لتضمن الإرسال معنى ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ﴾ أي طوفان تجلي ذاتي وحدث رحماني ﴿أَلِيمٌ﴾ [نوح: 1] مؤلم مهلك مسلب عن تعيناتهم، مغرب هوياتهم ومغرب ماهياتهم بأن أرجعهم إلى حدود عدميتهم وخلاء ماهيتهم العدمية وأخبرهم بأنهم في أنفسهم فانية وفي حقيقتهم هالكة غير مالكة لشيء، إشارة إلى تقدم السلوك على الجذبة.

﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾

﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ [نوح: 2] أي منذر مخوف مخبر عن الوعيد

أي التجلي الذاتي والجذب الرحماني الذي يجذب الحقائق الإلهية والكونية إلى أجلها .

﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾

﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ واشهدوه في جميع المظاهر في كل الأحوال وتمام الأطوار والأفعال والأقوال يتناول جميع الواجبات الموقوفة عليها التجليات من المناعات البدنية والعبادات النفسانية والزيادة الروحانية ﴿وَأَتَّقُوهُ﴾ يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات ﴿وَأَطِيعُوا﴾ [نوح: 3] في تمام المراتب والنزول والعروج والخروج والولوج في الأدوار النورية والأنوار الظلية المفسرة للإنذار يتناول أمر تمام المأمورات والمنهيات ، هذا وإن كان داخلاً في الأمر لعبادة الله إما أنه خص بالذكر في ذلك التكليف مبالغة وتعظيمًا وتكريماً لأمر الإطاعة .

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا

يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ من للبيان ، أي يسركم ويخلصكم من الذنوب الصادرة عنكم إشعاراً بأن عدم مؤاخذة بالمجموع لا يوجب عدم المؤاخذة بكل واحد، إذ انتفاء الخاص لا يوجب انتفاء العام، كأنه يقول: لا أجادل بمجموع ذنوبك لكن أجادل بهذا الذنب الخاص، وإذا جعلت صلة يكون تقديره: يغفر لكم كل ما كان من ذنوبكم، وبهذا الفيض عدم المؤاخذة بالمجموع وبكل واحد وفرد وجعلها للتبعض تناسب المعنى الأول ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰ﴾ يعني قضاء الله في سابق علمه أن قوم نوح إن آمنوا عمرهم ألف سنة، وإن أصروا على كفرهم أهلكتهم فقليل لهم: آمنوا يؤخركم إلى أجل مسمى، إلى وقت جعله غاية طولاً لأعمارهم وهي تمام الألف ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ﴾ أراد إذا نقص الأجل ﴿لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: 4] زجر عن حب الدنيا وعن التهالك عليها والتكالب إليها والإعراض عن الدين والإسلام والشريعة ومخالطة أهل اليقين بسبب حبها، يعني إن علوهم في الدنيا وطلب لذاتها قد بلغ إلى حيث يدل على أنهم شاكون في الموت، ضاحكون عن جعله نصب أعينهم مع الفناء والقوت .

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي﴾ أي النفس الأمارة واللوامة والملهمة وقواها العاملة والمبادئ النظرية والحركات الفكرية إلى الكمال الجمعي والجمع الكمالي ﴿لَيْلًا﴾ في اقتضاء الدورة الجلالية الضمنية ﴿وَنَهَارًا﴾ [نوح: 5] في اقتضاء الدورة النورية الجمالية صريحًا .

﴿فَلَمَّ يَرِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾﴾

﴿فَلَمَّ يَرِدْهُمْ دُعَائِي﴾ ودعوتي إياهم إلى الكمال الجمعي ﴿إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: 6] أو تنفراً لعدم حصول الاستعداد وللوصول إلى الكمال المذكور والجمع المسطور، وبهذا التصور وبعد النظر في الحقيقة هو القرب والتقرب لأنه من جملة معدنه وتتمة مقرباته، إذ لولاه لما اشتمل نظرنا عليهم ولم نتعلق بهم، وإن كان نظر القهر والغضب، فإن نظر المحبوب على أي كيفية كان هو مطلوب المحب . وعلم أن هذه الآية تدل على أن جميع الحوادث بقضاء الله وقدره، وذلك لأننا نرى اثنين يسمعان دعوة الرسول في مجلس واحد بلفظ فيصير ذلك الكلام في حق أحدهما سبباً لحصول الهداية والميل والرغبة إلى الحق وأحكامه، وفي حق الثاني سبباً لنفور وازدياد النفرة، وليس لأحد أن يقول: إن تلك النفرة والرغبة حصلت باختيار المكلف فإن هذا مكابرة لنفسه في المحسوس إذ صاحب النفرة يجد قلبه كالمضطرب في تلك النفرة، وصاحب ذلك في حصول الرغبة . ومتى حصلت تلك النفرة وجب أن يحصل عقبيه التمرد والإعراض، وكذا متى حصلت الرغبة حصلت غيبة الانقياد والطاعة وليس لكل منهما اختيار في حصول النفرة والانقياد .

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا

ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ولما كان الغرض من الدعوة تحصيل المغفرة والطاعة والعبادة اللتين الغرض منهما أيضاً المغفرة صرح بالمغفرة ﴿جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ﴾ أي أنامل أصابعهم، فذكر الأصابع للمبالغة للتمرد والتنفر ﴿فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا﴾ [نوح: 7] استتروا بصور أعمالهم الحسية ولباس أفعالهم النفسية

﴿ثِيَابِهِمْ﴾ وثبتوا في امتناع قبول الدعوة والاستنكاف عن امتثال الحق واستمروا عليه ﴿وَأَصْرُوا﴾ عن الإصغاء إلى الدعوة واستنكروا منها ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا﴾ [نوح: 7] قلبياً واستنكاراً نفسياً وغيبياً وشهادياً وحسياً، وأكبوا على الكفر والعصيان والشرك والطغيان.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾﴾ [نوح: 8] أي علانية وإظهاراً.

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ وأظهرت وجعلت الدعوة علانية وظاهرة ﴿وَأَسْرَرْتُ﴾ وأخفيت ﴿لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: 9] إخفاء إشعاراً بأن مراتب الدعوة ثلاثة أحدها: بالقول وهو الشريعة إذ النوع أول شارع. والثاني: بالعقل، وهو علم الأخلاق وتهذيب الأوصاف وتذهيب الملكات الباطنة وتحسينها وتبديلها من الذميمة إلى الحميدة وإزالة الأخلاق الرذيلة والتخلق بأخلاق الله والتحقق بصفاتهن ونعوتها وهو الثالث، وأشار إليها النبي ﷺ بقوله: «الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة أحوالي»، ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِاللَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، وهي الفناء والإفناء في الله تعالى، وإيراد ثم مشعر على تراخي أمور الطريقة عن أحكام الشريعة وجمع الإسرار بالإعلان لشيء بأن الحقيقة إنما تترتب على العمل المقرون بالإخلاص لا على مجرد القول وطول الأمل وتمني تأخير الأجل، فإنه لا ينتج شيئاً ولا يستمر أمراً كما أشار النبي ﷺ بقوله: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عِلْمَ وَرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْمَلْ».

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ [نوح: 10] في الطور السري الذي هو موطن انكشاف الحقيقة وتجليها أولاً بصورة الآثار، ثم بنعوت الأفعال وهيئاتها، ثم بتعينات الأسماء والصفات الذاتية، ثم ثمرات الذات من حيث إنه ذات بعنوان الذات. وللقلب بكل طور من الأطوار السبعة الغيبية استغفار، ففي الطور القلبي له نوع من الاستغفار، وفي الطور النفسي أيضاً استغفار، وكذا في الطور السري استغفار

وهو التجلي الآثاري وتوحيده في الطور. وفي الطور الروحي أيضاً له استغفار وسر وهو العلم الروحي والعقل وتوحيده، وفي الدور الحق كذا له استغفار وتمني وتوحيد اسمي ووصفي، وفي طور غيب الغيوب استغفاره تجلي ذاتي وتوحيد ذاتي.

وأما في الطور الكمالي الجمعي والجمع الكمالي واستغفاره تجلي جمعي وتوحيده كل محيط بتمام التوحيد المذكور، فإن هذا التوحيد الجمعي يحيط بجميع التوحيديات بأن يشاهد هيئة تجليه وصورة جمعيته ووحدة إحاطيته كالوحدة المزاجية الحاصلة من امتزاج الاسطقسات الأربعة، فإن الكيفيات الأربعة والصورة النوعية العنصرية موجودة في الوحدة المزاجية، فمن أدركها حساً، لمساً أو ذوقاً أو نفساً أو شماً أو سمعاً أو بصراً حصل عند المدرك أمر كلي وجداني محيط على الكيفيات النفسانية والكيفيات الجسمانية اللمسية أو السمعية أو البصرية أو الذوقية أو الشمية، مثلاً إذا ركبت النعمة الحادة واللينه حدثت كيفية وحدانية ليست كلاً منها، وكذا إذا ركبت الألوان والأشكال والروائح والمذوقات هذه إدراكات حسيّة. وأما الإدراكات النفسية فكما الأفعال القبيحة والحسنة والمركبة منها وقس عليه البواقي.

وأما في الإدراكات الروحية فهي الطيبة والخبيثة والمتوسطة، وأما الإدراكات فكذلك تكون مفردات ومركبات ومتوسطة، وهي في المركبات التامة الحكم، فإن عقد الحكم لا بد وأن يحضر عند الحاكم الطرفان والنسبة الحكمية وهمية كانت أو خيالية أو عقلية. هذا في الإدراكات الهيولية، وأما في الإدراكات الحضورية والعلوم والمعارف الشهودية الإدراكات أطف، وإلى التحقيق أقرب وأظهر وأعرف، فتوحيد الكمال الجمعي والجمع الكمالي له في كل مرتبة من المراتب الجوهرية والعرضية مرايا ومجالي كما أشرنا إليه، فمراتب الاستغفار كثيرة ففي كل مرتبة معنى مغاير لمعنى مرتبة أخرى أدواراً وأكواراً ﴿إِنَّهُ كَانَ عَفَّارًا﴾ [نوح: 10] ستاراً في مرتبة من المراتب المذكورة.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ [نوح: 11] قيل: إن قوم نوح كما كذبوا زماناً طويلاً حبس الله

عنهم المطر العرفاني وأعقم أرحام النساء أربعين عامًا فما محت أفكارهم وإنكارهم النتائج الإلهية والمطالب الحقيقية فرجعوا إلى نوح، فقال نوح: استغفروا من الشرك حتى يفتح الله عليكم أبواب نعمه ويمنح بأن يهيئ أسباب فيضان أمطار عنايته من سحاب جوده وكرمه. واعلم أن الاستقبال بالطاعة سبب لانفتاح أبواب الخيرات، والكفر والفسق سبب لخراب العالم، والإيمان بالله سبب لعمارته. ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: 16] وغير ذلك من الآيات، ﴿عَلَيْكُمْ مِذْرَابًا﴾ [نوح: 11] أي أرسل الله تعالى إلى السماء والأسماء الذاتية وأمرها أن تمطر وينزل أمطار المعارف الفطرية على قوم نوح الروح الإلهي والنفسي المطمئنة وهو النفس الأمانة واللّوامة والملهمة وقواها، فإن الله حين إطاعة قوم نوح لأمر الله كان يفيض على قومه أمطار التجليات الأثرية والمعارف الفطرية النظرية، فإذا تمردوا من طاعة الله وأوامره أمسك الله الأمطار عنهم وصاروا مستحقين لأن يسلب عليهم ماء طوفان التوحيد الآثاري ليستعدوا شهود التجليات الأفعالية والأسمائية والذاتية والتوحيد الجمعي.

﴿وَيُمِدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِي وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهْرًا﴾ ﴿١٢﴾

﴿وَيُمِدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ﴾ العلوم الحقيقية والحكم الفطرية النظرية والعملية والإدراكات المركبة ﴿وَيَبْنِي وَبَيْنَ﴾ [نوح: 12] من النتائج الفكرية والمطالب النظرية بطريق الاستدلال والحركة والانتقال من الكثرات الكونية والكائنات العينية بطريق الشهود إلى مشاهدة لواء واجب الوجود ومعاينة وحدته وتوحيده في المراتب الفكرية والمظاهر بعد استكمال أطوار الاستدلال بطريق الانتقال من صور كثرات العالم إلى إدراك الحق الحاكم على الكل العالم بالجزاء والكل والجزئي والكلبي الصوري والمعنوي، والسبب في الكل هو الاستغفار، ولذا أمر الله حبيبه به بقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: 3]. قال النبي ﷺ: «واني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة ومائة مرة». وقال أيضًا: «ألا أدلكم على دائعكم ودوائكم، ألا إن داءكم ذنوبكم ودواءكم الاستغفار».



وعن الحسن رضي الله عنه : أن رجلاً شكاً إليه الجذب فقال : استغفر الله . وشكاً الآخر الفقر ، وآخر قلة النوم ، وآخر عن قلة الريح ، فأمر الكل بالاستغفار ، فقل له : أتاك رجال يشكون إليك أنواعاً من الحاجات فأمرتهم كلهم بالاستغفار؟ فتلا هذه الآية إشعاراً بأن العبد مؤمناً كان أو كافراً ، عاصياً أو مطيعاً حري به أن يستغفر في أية حالة كان .

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ الْجَنَّةَ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ النَّهْرَ﴾ [نوح : 12] أربعاً ، أما في الدنيا وهي : النيل والفرات وجيحون وسيحون وباقي الأنهار ليس سرّاً في الحقيقة بل هي جُعِيفَاتُ إما لقلّة مائها بالنسبة إليها أو لقلّة المنافع والفوائد ، وأما في الآخرة فهي نهر الماء الصافي وهو نتائج العلوم الحاصلة بطريق الاستدلال ، الثاني من اللبن وهو علوم الشرائع ، والثالث من الخمر وهو نتائج العلوم الحقيقية والمعارف الذوقية والإدراكات الشوقية ، وعلم التوحيد ذاتياً كان أو إسمياً أو فعلياً أو جسمياً آثارياً يكون حاصلاً بطريق الشهود الغير المقيدة بشرع من الشرائع كما روي أن جبرئيل عليه السلام أتى بقدح من الخمر وبقدح من اللبن ، فأخذ النبي ﷺ القدح اللبني وأراق القدح الخمري فقال جبرئيل : هديت الفطرة الأصلية ولو اخترت الخمر لما بقي أحد من أمتك متقيداً بشريعتك . والرابع : من العسل ونتيجة المعارف الإلهية والكونية ثمرة الهيئة الجمعية لجميع المعارف والتوحيديات وحقائق العلوم والإدراكات الحاصلة من التقيد بالشرعية النبوية الختمية الجامعة لجميع الشرائع والطرق والتحقق بهذه الجمعية ، إنما هو بكثرة الاستغفار .

قال النبي ﷺ : «مَنْ أَكثَرَ الاستغفار جعل الله له من كل غم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب» . وأيضاً : «استكثروا من قول لا إله إلا الله والاستغفار فإن الشيطان يقول : أهلكُ بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأضواء حتى حسبوا أنهم يهتدون ولا يستغفرون» .

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح : 13] أي لا تأملون له ولا تطلبون تعظيماً له وتجميلاً ولا توقرون أمره وحكمه .

## ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ﴾ جملة حالية، وصوّرهم ﴿أَطْوَارًا﴾ [نوح: 14] وخلقكم أنواعًا في الخِلقَة وأشكالًا مختلفة وهيئات منظورة دالة على كمال قدرته وشمول قوته وعموم حكمته ووفور نعمته ورحمته.

الرجاء هو الطلب والأمل، يقال: الخوف والوفاء هو العظمة ومنه التوقير، وقد يطلق الرجاء على الخوف أي ما لكم لا تخافون عظمة الله لولا الغيرة أو لأمر آخر من المنافع والمضار أصله هو العقيدة والاعتقاد والتصديق بالله وعظمته يعني ما لكم لا تعتقدون عظمة الله وكمال قدرته وحكمته، والحال أنه خلقكم على أطوار مختلفة أولًا في أصلاب الآباء ثم جعل نطفة في قرار مكين، ثم جعل النطفة علقة، ثم جعل العلقة مضغّة، ثم قسّمها أجزاء وأعضاء، ثم صوّرها بصورة مختلفة مكعبًا ومستديرًا ومصمت ومجوف ومثلثًا ومربعًا ومنحنى وغير ذلك، فجعل المضغّة عظامًا وأعصابًا ثم كساهما لحمًا، فهذه الأطوار إنما يستكمل كل منها أربعين يومًا نطفة وأربعين يومًا علقة وأربعين مضغّة، فتدبر.

**الأول:** الزحل، **والثاني:** المشتري، **والثالث:** المريخ، فإذا تمّت هذه الأطوار في مدة عشرة أيام وارتفع شهر وانتهى التدبير إلى الشمس وهي منبع الأرواح الحيوانية، فاض منها روح حيواني. وأما الروح النباتي فإنه في مدة تدبير المشتري يفيض على العلقة النفس النباتي فينمو ويزداد في المقدار، ثم بعد استكمال الأطوار وانتهاء التدبير إلى المشتري ثانيًا يتولد المولود في تسعة أشهر وعشرة أيام في الأغلب، وأقل مدة الحمل ستة أشهر كما قال تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: 15]، وقد ينتهي إلى أربعة سنين كما روي أن الشافعي كان كذلك. أو المراد بالأطوار من الأنواع التي هي آخر الأنواع والمعلولات ونهاية التعينات ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: 12-14]. قال النبي ﷺ: «إن خلق أحدكم ليجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم أربعين علقة، ثم أربعين مضغّة، ثم يبعث ملكًا يكتب أسعيد أم شقي، ويكتب رزقه وأجله» الحديث.

﴿الَّذِينَ تَرَوُا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا  
وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾

﴿الَّذِينَ تَرَوُا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [نوح: 15] كَلِيَّاتٍ متحركات مختلفة كمية  
وكيفية، شرقية وغربية، وقد استوفينا الكلام في هذا المقام في سورة (تبارك)  
فارجع إليه .

﴿الَّذِينَ تَرَوُا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: 15، 16]  
ليس المراد أن حرم القمر حاصل في أجزاء السماوات بل في بعض أجزاء فلكه  
وهو سماء الدنيا لا تدل أن السلطان في العراق ليس المراد أنه متمكن في جميع  
أرض العراق بل المراد أن حكمه جارٍ وسارٍ في جميع أرض العراق . والمراد  
بالنور هو الضوء الثاني وكذا الحكمة في قوله: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: 16] أي  
ضوءاً أصلياً غير مستفاد من الغير كما قال في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً  
وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: 5]، إشارة إلى الدلائل التي بسط الله في الآفاق وفي الأنفس  
إشعاراً بأنها منظوية على الآفاق ودلائلها، وإنما ذكر الشمس والقمر لشهرتهما  
ولكثرة احتياج الناس بهما، بل الحيوانات بل النبات بل المعادن والعناصر سيما  
كرة الماء والأرض وإليه أشار بقوله:

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [نوح: 17] وجعل حركتهما واختلاف  
أوضاعهما وحلولها في البروج والمنازل سبباً للإنسان وظهوره ﴿نَبَاتًا﴾ الَّذِي جَعَلَ  
فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً  
لِمَنْ أَرَادَ ﴿[الفرقان: الآيتان 61، 62] أي أنشأكم وأظهركم، فاستعير الإنبات  
للإنشاء إشعاراً بأنه أدل على الحدوث وعلى أنه مشترك بين أكثر المركبات .  
وإنما قال ﴿نَبَاتًا﴾ دون إنباتاً لأن ﴿نَبَاتًا﴾ [نوح: 17] صفة المخلوق، وإنبات صفة  
الله، والمقام مقام الاستدلال، والاستدلال إنما كان من أحوال الممكنات  
المخلوقات إلى الخالق وصفاته، فعلى هذا النبات أحسن من الإنبات .

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ﴾ بالإماتة والإعدام ﴿فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ﴾ [نوح: 18] منها عند البعث

والقيامة ﴿إِخْرَاجًا﴾ [نوح: 18] حقًا واقعًا لا ريب فيه، وهذا الدليل الرابع على كمال قدرته وتمام قوته هذا مما جرى في كتابه بأنه كلما ذكر الخلق والإبداء عقبه بذكر الإعادة كما وقع في أسمائه الحسنى: يا مبدئ البرايا ومعيدها بعد فنائها بقدرتك.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾ [نوح: 19] فراشًا مبسوطًا.

﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿لِتَسْلُكُوا﴾ وتتحركوا ﴿مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: 20] وطرقًا واضحة ساطعة ليسهل الحركة والسلوك بالاختيار فيها لما دعاهم نوح إلى الله ونبههم على هذه الدلائل الواضحة المحسوسة، وحكى عنهم أنواع القبائح الفعلية والقولية.

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ بعد دعوتي إياهم إلى التقوى والطاعة لك ﴿وَأَتَّبَعُوا﴾ ووافقوا العصاة ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ﴾ من الرؤساء والأعيان والأكابر الذين هم مرجع القوم ﴿مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح: 21] يعني أن جماعة من سفلة القوم التي دعاهم نوح إلى الله وعصوا أمره ووافق هذه السفلة من له مال وولد وقوة من أعيان القوم ولم يزد ذلك المال والولد صاحبه إلا خسارة في الدنيا والآخرة لكونه سببًا للطغيان ومعصيًا إلى الإغراق بظهور الطوفان.

﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَمَكْرُؤًا﴾ عطف على من لم يرد، والضمير لمن، وجمعه باعتبار المعنى ﴿مَّكْرًا كَبِيرًا﴾ [نوح: 22] كبيرًا في الغاية، فأول مراتب الكبير الأوسط وهو الكبار بالتخفيف والنهاية الكبار وبالتقبل ونظيره جميل وجمال وعظيم وعظام وعجيب وعجاب وعجّاب.

﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ الْهَتَمُ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَقَالُوا﴾ أكابر قوم نوح لأنبا عنهم ﴿لَا نَذَرُنَّ﴾ [نوح: 23] جمع حذف واو الجمع لالتقاء الساكنين، أي تتركوا الهتكم وهم منعوا القوم عن التوحيد وأمروهم بالثبوت

والمال لأن التوحيد أعظم المآرب وأتم المقاصد وأهم المطالب لذا كان المنع أعظم الكبائر وأتم مآرب الأصاغر والأكابر، ولذا وصفه الله تعالى بأية كتابه . واعلم أن بدهاة العقل الصريح قد دلت على بطلان عبادة الأوثان والأصنام المنحوتة، فكيف اجتمعت الخلائق الكثيرة والفرق الصغيرة على هذا، فليس مرادهم من الأوثان والأصنام هذه الأجسام المنحوتة ليرد عليهم أن الله خالق السماوات والأرض وهذه الأجسام المخلوقة المنحوتة ليست خالقة لشيء حقير فضلاً عن كبيرها، فلا بد وأن يطلب لهم أصل حتى ينسب هذا الأمر إليه .

قال أبو معسر حيدر بن محمد المنجم : هذه المقالة إنما تولدت من مذهب القائلين بالتجسيم، قالوا: إن الله نور هو أعظم الأنوار والملائكة الذين هم حافون حول العرش، فالذين اعتقدوا هذه المذاهب اتخذوا أصناماً هو أعظم الأصنام على صورة الآلهة التي اعتقدوها، واتخذوا أصناماً متفاوتة الخير والشر والحسد على صورة الملائكة المقربين، واشتغلوا بعبادة تلك الأصنام قصداً منهم أنهم يعبدون الإله، ومنهم من قال: إن جماعة الصابئة كانوا يعتقدون أن الإله الأعظم خلق الكواكب وفوض تدبير العالم السفلي إلينا، فنحن عبدة الكواكب والكواكب عبدة الإله الأعظم .

### مطلب حكاية إدريس عليه السلام

قيل : إن إدريس عليه السلام كان نبياً صالحاً وحكيماً ناجحاً فالحاً، وسلطاناً عادلاً، وكان قد عمل طليماً على صورة الكواكب كانت خاصيتها أن لا يمرض أحد ولا يموت فرد في هذه الخمسمائة عام في عهد سلطنته وحد حكومته ما مرض واحد ولا مات، وانتقل من دار الدنيا إلى دار العقبي، وقد وقع الخلائق، خصوصاً تلامذته في فرقته وهجرته، فجعل بعض تلاميذه صورة منقوشة في معابدهم وجعلوه قبلة في مساجدهم تسلية لقلوبهم، فلما بعد العهد وماتت تلامذته من الحكماء المتألهين ووقع الحكم في يد الجهال من المنجمين عبدت الخلائق تلك الصورة وفشت عبادة الأصنام والأوثان، فبعث الله نوح ليمنعهم عن عبادة غير الله الخالق لجميع الخلائق، فقالوا: ﴿لَا نَدْرُنَّ الْهَتَكَ وَلَا نَدْرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَاقُوتَ وَيَعُوقَ وَشَارًّا﴾ [نوح: 23] هذه أسماء الأصنام والأوثان .

واعلم أنّ عبدة الأصنام والأوثان قد أخذوا طلسمًا على صورة الكواكب الخاص، وقد شاهد على ذلك الطلسم آثارًا عجيبةً وأطوارًا غريبةً وهم اعتقدوا أن هذه الآثار إنما هي الأصنام، فاستحكمت عقيدتهم على هذه العبادة. أما صالحو القوم قد قصدوا من هذه التماثيل التي كانوا عليها عاكفين أنها أسباب لتقربهم إلى الله ﴿مَا عَبَدْتُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: 3].

روي أن هذه الأسماء الخمسة هي أسماء لأولاده عليهم السلام كانوا مراجع القوم فلما ماتوا قال إبليس لمن تبعهم: لو صورتم صورهم وأنتم تنظرون لكان لكم إلى الله بها تقرب وزلفى. فلما مات ملك الطائفة قال إبليس يتبعهم: إن آباكم كانوا يعبدونها فانتشرت هذه بين القوم فاستمرت عبادة الأوثان، وبهذا المعنى نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور، وأما بعضهم من أصحاب الطلسمات لما شاهدوا آثارًا عجيبةً وأنوارًا غريبةً منها اعتقدوا أن الله تعالى قد حلّ في هذه الصور وبرز بهذه، وقد كان كامنًا ومستورًا كائنًا فيها فظهر من هذا مذهب الحلول والكمون والبروز. فلما جاء الشرع منع هذه الاعتقادات لأن الله تعالى منزّه في ذاته وصفاته وأسمائه.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نُزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ ﴿٢٤﴾

﴿وَقَدْ﴾ ضلّ هذا القوم ضلالًا كثيرًا و﴿أَضَلُّوا﴾ [نوح: 24] من بعدهم خلقًا غفيرًا وفرقًا ﴿كَثِيرًا وَلَا نُزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح: 24] على أنفسهم بالضلال وعلى غيرهم بالإضلال كثيرًا. وإضلالًا كبيرًا عطف على ﴿رَبِّ إِيْتَهُمْ عَصَوْنِي﴾ [نوح: 21] إشعارًا ثانياً، الأفعال الاختيارية والاضطرارية إنما هي من الله ومن حكمه وقضائه وخلقه.

﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ ﴿٢٥﴾

﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ﴾ حاصلة، يعني من أجل خطيئاتهم وشؤم فعالهم القبيحة ﴿أُغْرِقُوا﴾ بماء الطوفان ﴿فَأَذْخَلُوا نَارًا﴾ [نوح: 25] أولاً في القبر، قال النبي ﷺ: «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران». وأيضًا قال: «أول عذاب الآخرة القبور لا يعرف شريف من وضع». هذا دليل على إثبات عذاب الآخرة لأن هذه النار ليست نار الآخرة لعدم ظهورها بعدها. وقال أيضًا

بالماضي لعدم تحققه وصدق الوعد به ﴿فَلَنْ يَجِدُوا لَهُمْ﴾ أي الكفار لأنفسهم في القبر أو الآخرة ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: 25] ما تعين من العذاب وقواسر من العقاب مع أنهم أخذوا الأوثان في الدنيا ليكونوا شفعاء لهم في الآخرة، يعرض يوم القيامة شفعاءهم فلا يقدر على نصرهم ومنعه عنهم العذاب يوم الحشر والنشر والحساب .

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿٢٦﴾

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ والمشركين ﴿دَيَّارًا﴾ [نوح: 26] موجودًا أصلًا واحد منهم قطعًا وهو مما يستعمل في النفي العام، يقال: من الدار أو الدور وأصله ديوار فيفعل به ما يفعل بسيد وميت . يقال: ما بالدار دار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور أو من الدار لا فعال وإلا لكان دورًا .

﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا﴾ ﴿٢٧﴾

﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ﴾ وطباعهم مخلات مدة مديدة وعهدة عديدة لضلوا ﴿يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ في عموم بلادك عن طريقك وطريقتك وشرعك وشريعتك ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: 27] والمبالغة لكثرة أعدادهم ولشدة حرصهم على الشرك والكفر كما قيل: الولد سرُّ أبيه . قال ابن عباس: كان رجل منهم يذهب وينطلق بابنه وولده إلى نوح ويوصي له ويقول: احذر هذا الرجل المختل الكذوب المضل فإنه كذاب وغدار وقلاب مكار، وأن أبي أوصى بي وحذرنيه، فيموت الكبير على بغضه وعداوته ويوصي الصغير بمخالفته والبغض والاستبعاد عنه، فينشأ الصغير على بغضه وعداوته، وعلى هذا توالدوا وتناسلوا ألف سنة إلا خمسين عامًا، فأخذهم الطوفان . هذا إنما هو بإخبار الله وإعلامه بأنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنًا لأنهم توالدوا وتناسلوا وتوارثوا على الشرك والكفر فحينئذ دعا عليهم لحرمانهم حق إيمانهم وإسلامهم وصلاحهم وإصلاحهم، فأجاب الله الدعاء عليهم فأغرقهم وأهلكهم كلهم، فلم يكن فيهم يومئذ صبي لأنه دعا عليهم بالعقم فانقطع التوالد وارتفع التناسل والتوالد، فلذا استحقوا لأن يصب عليهم العذاب . قال النبي ﷺ: «لولا البهائم الرتع والمشايخ الرقع والصبيان الرضع لصب عليهم العذاب صبًا» .

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
وَلَا نُزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ اسم ابنه ووالده ملك بن متوشلخ ، وأمه شمخا بنت أنوش ، وكانا مؤمنين ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾ وداري ومسجدي أو سفينتي ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ عامة إلى يوم القيامة ﴿وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا نُزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا﴾ [نوح : 28] هلاكًا .

واعلم أن أسباب الطوفان إما سماوية أو أرضية ، أو هما معًا . أما الأول كانفطار الكواكب وحلولها في البروج المائية وانتقال الكواكب الثابتة من برج إلى برج ، أو ثلثه مائي . وأما الأسباب الأرضية فهي كالثلوج المتركمة على الجبال والأغوار والصحارى والوهاد والوادي الباردة الواقعة في البلاد المرتفعة لا تنعكس عليها أشعة الكواكب سيما الشمس والمريخ والمشتري فتتراكم الثلوج ويجمد والبرد مدة طويلة وبرهة مديدة ، وكانت الفردارية لكوكب بارد كزحل فإذا انتقلت الفردارية منه إلى كوكب حار كالمشتري والمريخ والشمس وسائر الكواكب الثابتة ملك البلدة وهبت الرياح الحارة ذابت تلك الثلوج والجمد والبرد ، فظهر الطوفان . والطوفان إما ناقص أو تام كامل ، هذا هو ناقص ، وسبب الطوفان الأرضي لو لم يتفق بالسبب السماوي لم يؤثر . وأما الثالث فهو حصول السببين بالذات لا بالتبع والعرض والمقام الكامل هو الذي أحاط الكل ، فإن كان مائياً فلا بد وأن يحيط الأرض ، وإن كان أرضياً لا بد وأن يتخلل الأرض ، ويحيط الأرض بجميع كرة العناصر بالاستحالة وذلك إنما يكون قران الكواكب السبعة في المثلثات الأرضية واقتضاء أربابها فإن كانت موافقة لطبائعها تأكد الحكم ، فباعتبار المثلثات واقتضاء أربابها ينحصر الطوفان على إثنا عشر نوعاً كلياته ناري وهوائي ومائي وترابي ، ففي كل منها إذا وقع السباعي سمياً ذاتاً بدت بالكواكب الثابتة عند انتهاء سر طلوع العالم إلى المثلثات ، وفيها كوكب من الثابتات فإذا اتفق أن تكون طبيعته إياها ظهور طوفان باقتضاء تلك المثلثات مثلاً لو اجتمع الكواكب السبعة في أول الأسد وانتهى بسير طالع العالم وهو السرطان إليه وفيه قلب الأسد وهو طبيعة النار ، ودونه هو شمس مستولية عليه ، واجتمعت مع المريخ وانتقلت فردارية الدورة



من الجمال إلى الجلال ظهر طوفان ناري، وكذا إذا اجتمعت الكواكب السبعة في الحمل وانتهى سير طالع العالم إليه واحترق به وهو المريخ وانتهت فدرارية الدورة إلى الدورة الأخرى انطبقت منطقة معدل النهار على منطقة البروج ظهر طوفان النار، وهكذا سائر المثلاث الهوائية والمائية والترابية.

والطوفان كما يكون جسمانياً عنصرياً يكون فلكياً، وكذا يكون نفسياً وروحياً وعقلياً وذلك عند انتقال فدراريته إلى الأدوار الأربعة: العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، ففي بداية الدورة العظمى يظهر الطوفان الفعلي، وفي الدورة الكبرى يظهر الطوفان الروحي، وفي الدورة الوسطى يظهر الطوفان النفسي، وفي الدورة الصغرى يظهر الطوفان الجسمي العظمى، وذلك بأن ظهر واستعلى حكم العقل أو الروح أو النفس أو الجسم وتختفي سلطنة الباقي إلى أن يتساوى لنسبه بجمع بعضها إلى بعض، فيكون المجموع من حيث هو مجموع وهي مرتبة الناسوت، والصورة النوعية الإنسانية والهيئة الجمعية النفسانية محتوية على الكل، منطوية على الجزء، والكل مجتمعة لتمام الطرق وجميع السنن، فيكون أعظم الطوفانات وهو الطوفان الجمعي والجمع الكمالي، فإن نسبة أعيان المراتب الإلهية والكونية الملكية والفلكية العنصرية المعدنية والنباتية والحيوانية إلى الناسوت، والصورة النوعية البشرية على السواء، ولذا صدر منها آثارها وظهر منها أنوارها من غير أن يختفي بعضها دون بعض وإلا لزم التحكم.

فإذن لا بد وأن يظهر الكل بخلاف أعيان سائر المراتب، فإن مرتبة النبات لا يصدر عن أعيانها إلا النشوء والنماء وتوليد المثل والمعدن لا يظهر منه إلا حفظ التركيب وأجزائه عن الانحلال، والعناصر لا يظهر منها إلا طلب الخير الطبيعي والميل إليه، والأفلاك لا يظهر منها إلا الحركات الإرادية ليصل مع ما يصل إليها من الأعيان الروحية والجسمية إلى النشأة الجامعة والمرتبة الكلية الإنسانية. وأما النفوس فلا يصدر منها إلا تحريك الأفلاك والأرواح، ولا يظهر منها إلا طلب الأجساد والتحقق والظهور بها، والعقل لا يظهر منه إلا الإدراكات الكلية المتعلقة بأفعال النفوس والغاية والغرض منها. أما الأجسام فهي ليست إلا تبدل آثار النفوس وأفعالها وتأثيرها فيها وتحريكاتها، وهذه الأمور إنما تصدر ويتحقق ويظهر مفصلاً ومجماً في الحقيقة والماهية الإنسانية والهوية الغيبية والهيئة الجمعية.

والغرض من الطوفان الكلية والجزئية التامة والناقصة ليست استكمال أعيان المرتبة التي يظهر الطوفان فيها لتوجه الأفاضل من كل الجهات إليها بخصوصيات مختلفة وكميات منطقة وكيفيات متباينة ونعوت متماثلة. قال النبي ﷺ: «مَنْ قرأ سورة (نوح) كان آمن المؤمن الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام» صدق رسول الله ﷺ.

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي خلق الجن والإنس لكمال عبادته ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أنطق كل شيء بكمال قدرته وعموم نفسه ووفور رحمته وعموم غضبه ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي علم الثقلين أسرار كتابه وقضى عليهم بأنوار أحكام خطابه.

﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ ﴿١﴾

﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: 1] أنه مع الاسم والخبر في محل الرفع مفعول ما لم يسم فاعله لأوحي، وكانوا تسعة من جن نصيبين استمعوا قراءة النبي ﷺ.

قيل: إنهم جماعة من شيعتان وهم أكثر الجن عددًا وهم عامة جنود إبليس. النفر ما بين ثلاثة وعشرة، والجن أجسام لطيفة عاقلة خفية عن الأعين والأبصار من شأنه أن يتشكّل بأشكال مختلفة، إما نارية أو هوائية أو مائية، يتعينون في الدورة الجلالية الوسطى والصغرى صريحًا، أما الدورة الكبرى والعظمى فيتكون فيهما الشياطين والأغوال والأهرمليات الصغرى والكبرى، وهم في غاية البعد عن الدين والإسلام النوري الجمالي لا الإسلام والدين الظلي والجلالي، فإنهم على هذا الدين والإسلام، فكما أنهم في غاية البعد والتنافر من ديننا النوري الجمالي فلذلك نحن في غاية البعد والتنافر من دينهم إذ إيماننا كفر عندهم وديانتهم كفر عندنا والله يجمع بيننا وبينهم بالحق لأن منهم من قد أسلموا على

يدي وعرضت عليهم الإيمان النوري فقبلوه مني وآمنوا بالله كما آمنوا به، والله أمرهم بالرياضة والسلوك والمعاهدة وكلفهم بأنواع المجاهدة الشاقة بأن أوقد ناراً أخروية في باطنهم وجوفهم، فعلى جوفهم وباطنهم بهذه النار على وجه وأحرق سيئاتهم حيث بكت عليهم السماء والأرض وظهر لهم أنواع الحالات والمقامات القلبية والروحية التي لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم بالله، وتجلّى الله عليهم تجليات آثارية وأفعالية وأسماوية وصفاتية وذاتية وهم الآن في الدور والسير، والطير في الأدوار الإلهية والأكوار الغير المتناهية بطريق لا يطلع على كميتها وكيفيةها وخصوصيتها إلا الذات العليم، وهكذا ينقلون من غيب هوياتهما فوجاً فوجاً وأفراداً وزوجاً، ويترددون ويرجعون آناً فأناً يؤمنون بالله ويسلمون لأحكامه.

وبهيمين: الجني هو الذي كان من جملة من استمعوا القرآن من النبي ﷺ وهو في تاريخ ستة وتسعين وثمانمائة قد حضر لدي وكنت معتكفاً مع جماعة كثيرة من الجن، وأنا ببيدي واشتغل بالمجاهدة من النبي ﷺ التي عينها الله وهو في غاية الصعوبة، ففتح الله عليه أبواب المشاهدة وطرق المعاينات وتجلّى عليه أنواع التجليات.

وأخبرني أنني كنت في زمان بعثة رسول الله ﷺ شاباً وعمري كان مائتي سنة، فكان في الحياة وكان عمره عشرة آلاف سنة وكان شخصاً مرتاضاً قد كان تعلقت نفسه عن شعوره ألف سنة وكان ببعثة الرسول، فلما انبعث حملني إليه وآمن به وآمنت أيضاً به، فسألته عنه فيكم علوم وحالات معنوية ومقالات قلبية وتجليات وأحوال غيبية، قال: نعم، فتندفع العلوم المعقولة خصوصاً الرياضيات الإلهية وعلوم النجوم وكانت لنا حالات وتجليات علميات لا عينية شهودية، فلما اشتغل بالمجاهدة والرياضة النفسية والروحية انفتحت أبواب التجليات الشهودية والحالات الحقيقية العينية. فلما استكمل الحالات وشهود التجليات توجه إلى جانب الغرب وقال: إن صاحب الزمان المهدي قد ظهر في تلك الجهة فانصره وأمده. ولي في هذا الباب مقالات كثيرة وكلمات غفيرة فليكن هذا القول كافياً لأهل اليقين.

﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: 1].

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ ﴿٢﴾

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ إلى الحق والصواب أو طريق يوصل إليهما ﴿فَأَمَّنَّا بِهِ﴾ بالقرآن والكتاب المنزل والفرقان، أو بمنزل نزل عليه وبعث به ﴿وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: 2] من الجن والإنس وسائر الموجودات على ما تشهد به الفطرة السليمة والقوة العاقلة الكليمة سيما إذا انضمت بها الدلائل القاطعة والوسائل الساطعة والوسائل البارعة، فرجعنا بما كنا عليه من الإشراك والشرك إلى عبادة مالك الأملاك وإلى الإطاعة بمدبر النجوم والأفلاك.

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ ﴿٣﴾

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي عظمته وغناؤه، يقال: جد فلان أي عظمه كما وقع في الحديث لعمر رضي الله عنه: كل رجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، استعارة من الجد الذي هو العدل والغناء إذ الملوك والأغنياء هم المجدودون ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: 3] لكمال عظمته ومجده أو لسلطانه وملكوته لاستغنائه عن الاحتياج إلى الصاحبة والاستئناس بالولد، وقد يطلق على الأصل مأخوذًا من جد الإنسان وهو أصله.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ ﴿٤﴾

﴿وَأَنَّهُ كَانَ﴾ أي الشأن أن الجن ﴿يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجن: 4] السفيه خفة العقل وسخافته، والشطط تجاوز الحد في جانب النفي وفي جانب الإثبات، وهو يفضي إلى النسبة وإثبات الشريك والصاحبة والولد، وكلا الأمران شطط ومذموم وبطط.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ﴿٥﴾

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾ أي كان وثبت في ظننا ﴿أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ [الجن: 5] بالقصد والإرادة والاختيار ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الجن: 5] يعني ليس من شأن أحد من الجن والإنس أن يكذب على الله وأن يفترى عليه وينسب إليه ما لا يليق بألوهيته وكنا نصدقهم أولاً قبل نزول القرآن وبعثته ﷺ فيما يضاف إليه من القول الكذب، فإذا نزل القرآن وسمعناه من في صاحبه وتبين كذبهم وافترائهم أعرضنا عنهم وعمّا

قالوا في حق الحق .

هذه المقالات والكلمات يحملها أقوام الجن وإنكار وجود الجن والشياطين والأغوال والأهرمينات إنما يكون ممن لم يمارس الأدوار النورية الجمالية والأكوار الظلية الجلالية وكمية اقتضائها وكيفية ارتضاؤها ، ولم يعلم في كل عنصر من العناصر والإسطقسات الأربعة القابلية لأن يتكون منها متوالدات من الأنواع المتغايرة حقيقة وماهية كما هي مشاهدة في العناصر الترابية والمائية ، وأما في الهوائية والنارية فلا بد وأن يتكون منها متوالدات أيضًا وإلا لزم الترجيح بلا مرجح ، والأنبياء والأولياء المحققون والحكماء المتألهون قد حكموا بوجودهم ، قال الشيخ شهاب الدين المقتول : قد كنا قبل هذا ذاتًا على الحكمة الطبيعية قد ننكر الجن وبعض ما قال به الفلاسفة ، فلما وفقني الله سبحانه لأن اطلعت على فساد ما ذهب إليه بعض الفلاسفة وعلى حقيقة ما تطابقت المليون وتوافقت عليه أهل السنة والجماعة والمسلمون فشاهدت الجن وأمرتهم بأمر ثابتة محققة ، ولي في هذا الأمر تجارب صحيحة وتجارب صريحة ، وليس الخبر كالمعاينة .

واعلم أن الأدوار الأربعة التي أربابها هي الأسماء الأربعة وهي : العلم والحياة والقدرة والإرادة ، لا بد وأن يكون لكل أحد من هذه الأرباب في كل واحد من تلك الأدوار في المراتب الأربعة وهي : الجبروت والربوبية والملكوت والبرزخ ، والمثال والشهادة والملك ، وكذا الباطن ، هذه لأرباب الأكوار الأربعة اقتضاء ، وفي الأدوار اقتضاؤها هو العقل والملائكة والروح والملا الأعلى والنفس والملائكة المدبرة والأجسام والملائكة الموكلة على الأفلاك الجسمانية وكذا الباطن . هذه الأسماء في غيب تلك المراتب أيضًا اقتضاءات ، فاقضاء باطن العلم هو في غيب العالم الجبروت هو الأهرمينات ولباطن الحياة في غيب الملكوت هو الأغوال والباطن بالقدرة في غيب البرزخ هو الشيطان الباطن الإرادة في غيب الملك هو الجن فتأمل .

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ قال المفسرون : إن الرجل إذا سافر في الجاهلية فأمسى في قفر من الأرض قال : أعوذ بسيد هذا الوادي أو بعزير

هذا المكان، فبييت حتى يصبح. وقال بعضهم: كان أهل الجاهلية إذا أمسى واحد منهم في الأرض القفر قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه. قيل: كان أول من تعوذ بالجن قوم من اليمن من بني حنيفة ثم فشا ذلك في العرب.

عن أبي السائب الأنصاري قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة، فأوينا إلى بيت راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم، فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي، فنادى منادٍ لا نراه: يا سرحان أرسله فأتى الحمل يشدد في المشي ويسعى ويمتد في العدو والسعي حتى دخل الغنم ولم يصيبه، وقال: فأنزل الله على رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ إِذْ يَقُولُ حَتَّىٰ يَمُوتُوا فَرَأَوْهُمُ رَهَقًا﴾ [الجن: 6] أي زاد الجن رهقاً أي كبيراً وعتواً وجراءة وطغياناً وغشياناً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌُ عَلَيْنَا غَبْرَةٌ ۖ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ كَذَبَآءَ ظُنُونِهِمْ لَأَنزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْسُلُوفَ ۚ وَأَبْصَارُهُمْ شُرَاطِبُ الْمَذْمُومِ﴾ [الجن: 40، 41]، والمعنى: أن رجال الإنس بسبب الاستعاذة برجال من الجن ولم يتعوذوا بالله فزادوا رهقاً وظلماً، ويجوز أن يعكس الأمر بأن زاد الإنس بسبب الاستعاذة برجال من الجن وترك الاستعاذة بالله رهقاً وظلماً وعتواً.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ (٧)

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ [الجن: 7] أي الإنس ظنوا كما ظننتم بالجن وبالعكس، أو من كلام الجن بعضهم لبعض إشارة من كفار الإنس والجن، أو من كفار الجن والإنس إلى نفي النبوة والرسالة كما ذهب البراهمة من الإنس إلى نفي البعث والرسالة، يعني أن الجن كالإنس بعضهم يعتقدون النبوة ويؤمنون بالبعث والرسالة، وبعضهم يكفرون بها، وبعضهم ما وصلت إليهم الدعوة. قيل: الإتيان من جملة الوحي والضمير في أنهم (ظنوا) للجن، والخطاب في (ظننتم) لكفار قريش.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَآءَ فَوَجَدْنَهَا مِلْئًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ (٨)

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَآءَ﴾ وأوصلنا اليد إليها وبها ﴿فَوَجَدْنَهَا مِلْئًا﴾ من الملائكة المدبرة والنفوس المدبرة لها ﴿حَرَسًا﴾ وحفظاً وحراساً ﴿شَدِيدًا﴾ وهو اسم مفرد بمعنى الجمع كالخدام والخدم أي حافظين أقوىاء ﴿وَشُهَبًا﴾ [الجن: 8] أي النجوم الساقطة، والأنسب أن يحمل هذا الكلام على كلام الجن إذ السابق واللاحق من كلامهم، فإلقاء الكلام الجني في التبين لائق.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَحْدِثْ لَكُمْ شَهَابًا رَصَدًا ﴿٩﴾﴾

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ من السماء ﴿مَقْعِدًا لِلسَّمْعِ﴾ أي أمكنة للتعود وحاولنا الاستماع لكلام الملائكة ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَحْدِثْ لَكُمْ شَهَابًا﴾ رمينا ورجمناها بشهب ﴿رَصَدًا﴾ [الجن: 9] الرصد اسم جمع للمرصد أي رصدًا من الملائكة أي شهابًا مرصدًا إذ الشهاب غير الرصد أي شهابًا قد أرصد وترصد لهم ليرجمه به فيكون نعتًا للشهاب بمعنى مفعول، فإن قيل: السماء والشهب والكواكب موجودة قبل البعث، أجب بأن هذه الشهب ما كانت موجودة بهذه الخصوصية قبل البعث.

عن ابن عباس: إن الجن كانوا يصعدون إلى السماء فيستمعون الوحي فإذا سمعوا كلمة زادوا عليه تسعًا، فالكلمة حقة والزيادات باطلة، فلما بعث ﷺ منعوا مقاعدهم ولم يكن النجوم يرمى بها، وارتفعت الشهب المخصوصة فقال إبليس: ما هذا إلا أمر حدث في الأرض، فبعث جنوده ورسول الله ﷺ قائمًا يصلي... الحديث.

قال ابن كعب: لم يرم نجم منذ رفع عيسى عليه السلام حتى بعث محمد ﷺ، والحق أن الشهب كانت موجودة قبل البعث إلا أنها زيدت بعد البعث وجعلت أكمل واختصته بخصوصيات ما كانت قبل ذلك، وذلك لاختلاف أوضاع الكواكب الثابتة وانتقال الدرجات والحق ميراث وغير ذلك من الأوضاع السماوية.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي﴾ بالشهب ماذا أريد بها ويجدونها ﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من أشخاص الإنسان وأفراد الحيوان بل النبات والمعادن بأنها تكون سببًا لفسادها وهلاكها ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: 10] إصلاحًا وخيرًا سدادًا، فالأمر مجهول لا يعلمه إلا الله ولا يطلع عليه ما سوى الله من الإنس ولا من الجن.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾

﴿وَأَنَّا مِنَّا﴾ أي البعض منا ﴿الصَّالِحُونَ﴾ التائبون على الصلاح، التائبون على السداد والرشاد والفلاح ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي البعض منا ذلك الثابت على الصلاح وذلك لأننا ﴿كُنَّا طَرَائِقَ﴾ [الجن: 11] ذوي طرق مختلفة ومذاهب متخالفة، أو إنا



مثل طرائق في اختلاف الأحوال وتغاير الأطوار ﴿قَدَا﴾ [الجن: 11] متفرقة شتى من قد يقدر قدا إذا قطع، أي كنا صواحب أهواء وذوات آراء من الكافرين والمسلمين أي لنا في اختلاف الأحوال وتغاير الأطوار مثل الطرائق المختلفة المتنوعة والخلائق المتطورة .

﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ ﴿١٢﴾

﴿وَأَنَا ظَنَنَّا﴾ وعلمنا إما بطريق الاستدلال أو الكشف والمعانية لما تحقق أن الجن كالإنس في الأطوار وعموم الأدوار ووفور الأكوار ومقتضياتهما من العلوم والإدراكات والأحوال والمقامات ﴿أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ في تنفيذ المرادات وإمضاء أحوال المخلوقات ﴿وَلَنْ نُعْجِزُهُ هَرَبًا﴾ [الجن: 12] هاربين من الأرض، عارجين إلى السماء، هذا بيان أحوال الجن في أنفسهم من الاعتراف والإقرار بعجزهم في ذواتهم وأنفسهم وبالحق بأنه قادر قوي وقاهر عزيز غالب، طالب لكل صالح نقي بارع نقي من نبي وولي . والجن كالإنس على ثلاثة أقسام: فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق إلى الخيرات بإذن الله .

﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَأَمْنَا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا

رَهَقًا﴾ ﴿١٣﴾

﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾ إشارة إلى تفصيل الأقسام، يعني أنا سمعنا القرآن الذي يهدي به الله من اتبع رضوانه فحينئذ ﴿ءَأَمْنَا بِهِ﴾ وبمن جاء به ومنه ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ﴾ أي برب القرآن ومنزله وبمن جاء ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ نقصًا في الجزاء في الثواب ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: 13] ظلمًا زائدًا على ما تقرر من العذاب واستقر من العقاب .

﴿وَأَنَا مِمَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ ﴿١٤﴾

﴿وَأَنَا مِمَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ مبتدأ وخبره مقدم عليه من مقامات الجن، بيان الأقسام الثلاثة، يعني أن البعض هم المنقادون لأحكامه تعالى المتعبدون بأعلام شريعته، المتقيدون بقواعد فنون حكمته وهم السابقون بالخيرات ﴿وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ [الجن: 14] الكافرون والجائزون عن طريق الحق .

عن سعيد بن جبير: أن الحجاج بن يوسف الظالم قال له حين قتله: في أما القاسط، قال: قاسط عادل، فقال القوم: ما أحسن ما قال سعيد بن جبير، حسبه أنه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج: يا جهلة إنه سماني ظالمًا مشرکًا، وتلا بهم قوله تعالى: ﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ [الجن: 14]، وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُلُونَ﴾ [الأنعام: 1] يعني الجائزون عن طريق الحق والإيمان والطاعة، وقد زعم من لا يرى للجن ثوابًا أن الله عز وجل أوعدهم قاسطهم وما وعد مسلميهم، وكفى به وعدًا أن قال: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [الجن: 14] أي طلبوا وعملوا وقصدوا طريقًا إلى حسن الثواب والقول والصواب ومنه تحرى لقلبه لمن عميت عليه.

### ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (15)

ثم إن الجن رموا الكافرين فقالوا: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ الجائرون، فإن القاسط هو الجائر والمقسط هو العادل ﴿فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: 15] وقودًا. يقال: إن الجن من النار فكيف يكون حطبًا لها؟ قلنا: نار الآخرة أحر كثيرًا من نار الدنيا والجن من نار الدنيا. قد وقع في الحديث أن النار الأخرى قد غسلت سبعين مرة ثم جيئت في الدنيا.

### ﴿وَأَلُو اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً عَذَقًا﴾ (16)

﴿وَأَلُو اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ [الجن: 16] هذا من جملة الوحي إليه والتقدير، وقل: ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: 1]، ﴿وَأَلُو اسْتَقَمُوا﴾ إلخ. والطريقة هي الأقوال النبوية المتيقنة. والمراد من طريقة الاستماع شرائطه وأن مخففة من الثقيلة أي الشأن أنه لو استقاموا واستقروا الجن على الطريقة المثلى والجدادة ﴿لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً عَذَقًا﴾ [الجن: 16] كثيرًا، أي لو ثبت يوم الحساب الذي هو أول موجود مفتوح مولود منهم وهو آدمهم على ما كان عليه من الإيمان وعبادته وحسن طاعته ولم يستكبر من السجود لآدم ولم يكفر، وتبعه ولده بهيمين الجني على الإسلام لأنعمنا عليهم وسقينا بهم المنح ظاهرة وباطنة وسعيًا لهم في الدنيا وبسطنها لهم وأعطينا لهم رزقًا واسعًا وعيشًا رغدًا.

﴿لِنُقِنَّهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ ﴿١٧﴾

﴿لِنُقِنَّهُمْ﴾ ونبلوهم ونحشرهم ﴿فِيهِ﴾ [الجن: 17] أي في وفور الرزق ودرة في بحره ودرجة، فإن شكروا لَزِدْنَا ﴿لَيْنْ شُكْرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]، ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ وينصرف عن التفكير في آلائه ونعمائه في شهادته وغيبه ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: 17] ميثاقًا وعقابًا حاقًا، وأن المساجد قد بنيت وأقيمت خالصةً به مختصةً بذكره وعبادته.

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١٨﴾

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ﴾ ولا تشاركه فيها ﴿أَحَدًا﴾ [الجن: 18] قيل: المراد بالمسجد هو الأرض كلها لأنها جعلت كلها لتبنى مسجداً، وفسر بالمسجد الحرام لأنه قبلة المساجد وموضع السجود. على أن المراد النهي عن السجود لغير الله، ومن أظلم ممن مَنَّعَ مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها لما كان اليهود إذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا بالله فأمرنا الله أن نخلص لله الدعوة إذا دخلنا المسجد. قيل: المسجد أعضاء السجود وهي سبعة، قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أسجد على سبعة أبواب: الجبهة والأنف واليدان والركبتان والقدمان».

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ ﴿١٩﴾

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ النبي محمد ﷺ، وإنما ذكره بهذا الاسم لكمال تواضعه ووفور خشوعه وللتنبيه على أن أرباب الوظيفة أرباب المعرفة وهي أن لا يغفل عن مقام العبودية ونصيبتها، فلا بد وأن يجعله نصب عينه فإنه يذهب بالقساوة ويدعوه ويعبده ويجعل العبادة ذريعة العلم أو وسيلة المعرفة ووسيلة لدعوة الخلق إلى الحق، ولذا أطاعت الجن إياه قبل الدعوة وأجابوا دعوته كما أشار إليه بقوله: ﴿يَدْعُوهُ﴾ إن قربت الجن ﴿كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: 19] متراكمين عليه ومجتمعين لديه عند قراءة القرآن وعبادة اجتماع الوبر في اللبد جمع لبدة وهي ما يلبد بعضه ببعض ويجتمع ويتراكم كلبدة إسنادًا إلى الأسد.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٠﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ وأعبده ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 20] في عبادته .

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ ﴿٢١﴾

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ عنى وشرًّا ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: 21] نفعًا وخيرًا، أي لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم، وإنما الضارّ والنافع والبالغ والدافع هو الله، أو لا أستطيع أن أفسر على الغي والرشد وإنما الأمر والقادر والقاهر والمانع والباصر هو الله . والخطاب للجن أو لعالم الإنس .

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ﴿٢٢﴾

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي﴾ ولن يخلصني ﴿مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفي الاستطاعة عن نفسه، وتعجيزه على معنى أن الله إن أراد به سوءًا من مرض أو فقر أو فاقة وشرّ أو موت وضرّ لم يصح أن يجيره منه أحد ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: 22] ملاذًا وملجأً وسخاء .

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ﴿٢٣﴾

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ﴾ [الجن: 23] بدل من ملتحدًا، أي لن أجد من دونه منجًا إلا أن أبلغ عنه ما أرسلني، وعلى هذا لا يكون قوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي﴾ [الجن: 22] إعراضًا واستثناء من قوله: ﴿لَا أَمْلِكُ﴾ [المائدة: 25]، فإن التبليغ إرشاد ودعوة وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة، أو من ملتجأً أو معبأً أن لا أبلغ بلاغًا وما قبله دليل الجواب ورسالاته لا عطف على بلاغًا، ومن الله صفة لا صلة أي لا أملك لكم إلا البلاغ والرسالة .

والمعنى إلا أن أبلغ من الله فأقول كذا لقوله تعالى: وأن أبلغ رسالاته التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان ﴿وَرِسَالَةً﴾ أي مرسلاته من الشرائع والأحكام ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: 23] .

﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلُونَ مَنْ أضعفُ ناصِرًا وأقلُّ عددًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا﴾ متعلق بقوله يكونون عليه لبدأ على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستصعبون إيصاله ومددهم وإمدادهم ويستعلون عددهم وأعدادهم ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ في الدنيا كواقعة بدر أو في الآخرة ﴿فَيَسْئَلُونَ مَنْ أضعفُ ناصِرًا وأقلُّ عددًا﴾ [الجن: 24] وأذل مددًا هو أم هم .

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيْتُ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيْتُ﴾ ما أعلم ﴿أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ﴾ من عذاب الله وشدة عقابه ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ [الجن: 25] غاية ودهرًا طويلًا لا يخصه إلا الله . كان لما سمع المشركون قوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ [مریم: 75] قالوا: حتى يكون إنكارًا، فقل في ردهم: قيل إنه كائن لا محالة ولكن لا أدري وقته .

﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿عَلِمَ الْغَيْبِ﴾ أي عالم الغيب، وهو عالم الذات والأسماء والصفات، وعالم العلم والحياة والعقول والأرواح والنفوس العاملة والأشباح والأنوار الإلهية والشرح الربانية والمصباح وأحوالها وما يصدر منها من الحوادث الزمانية والحوادث الربانية ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ ولا يطلع ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِ﴾ الذي فضل ﴿أَحَدًا﴾ [الجن: 26] من الإنس والجن بل الملك إلا بإذنه وإعلامه وتعليمه وإلهامه .

﴿إِلَّا مَنْ أَرَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿إِلَّا مَنْ أَرَضَىٰ﴾ واصطفى واختار وأراد واقتضى ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: 27] أي محمد أو أعم من أن يكون إنسيًا أو ملكيًا أو جنياً بيان لمن ارتضى أي يكون ذلك الشخص الواحد الأحد المطلع على الغيب رسولا مبعوثا من الله قد تمسك من أنكر الكرامات والأخبار عن الغيب بهذه لأنه أوجب بأن تخصيص نفي الاطلاع على الغيب بلا واسطة لا يوجب نفي الاطلاع بالواسطة وهو إعلام الله وإنهارة وإلهامه وخطابه ووارده وغير ذلك من الوسائط إذ انتفاء الخاص لا يستلزم انتفاء العام إذ يجوز أن تكون كرامات الأولياء وإخبارهم عن الغيب بإعلام الله واختياره . قال النبي ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»،

وقال أيضًا إخبارًا عن الله: «لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه في سمع وبصره ويبطش وبني ينطق».

﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي عبده المرتضى والرسول ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: 27] حفظة وحرسًا من الملائكة التي فرضنا على العباد والأفراد الإنسانية لأن يحفظوهم من اختطاف الشياطين وتخاليطهم الخفية والأقوال الصادقة بالأمور الباطنة والأقوال الكاذبة. إنما ذكر هذا الكلام لسؤال من سأله عن وقت وقوع القيامة وقيامها على سبيل الاستهزاء بالدين ومقاتله.

واعلم أنه لا بد من القطع بأنه ليس مراد الله من هذه الآية أن لا يطلع على شيء من المغيبات من الحوادث الربانية والحوادث السبحانية إلا الرسل فقط، بل يقع من غيرهم كالأولياء والكاهنين والمنجمين والرقالين والمجذوبين وغير ذلك، وأما الأولياء فإنهم على طبقات منهم استشرف على القلوب والصدور والنفوس والقبور كما أخبر آدم الأولياء من حال استشرافه على الكل بقوله: «أنا الذي أعلم ما يحدث ساعة بعد ساعة، أنا الذي عندي مفاتيح لا يعلمها بعد محمد غيري، أنا بكل عليم، أنا اللوح المحفوظ، سلوني ما تحت العرش، سلوني ما فوق العرش، سلوني ما شتمتم». وقال: «أنا الذي عندي علم الكتاب ما كان وما يكون، أنا الذي أعلم أعمال الخلائق في مشارق الأرض ومغاربها، ولا يخفى عليّ منهم شيء» وغير ذلك. وأيضًا: «إن المنجم يخبر عن الكسوف والخسوف وغير ذلك ويقع كما هو واقع في الأوقات».

﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ

عَدَدًا﴾

﴿لِيَعْلَمَ﴾ النبي الوحي ﴿أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا﴾ جبرائيل والملائكة وليعلم الله ويظهر علمه عند الناس أن قد أبلغوا أي بلغت الملائكة ﴿رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ وليعلم الناس أن الملائكة والرسل قد أبلغوا رسالات ربهم كما هي في نفس الأمر محروسة على التغير غير ممروسة بالتأويل والتعبير ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عند الرسل من الرسالات والنواميس الإلهية والأحكام ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: 28] أي علم عدد كل شيء موجودًا أو معدومًا حتى القطرات وأثقال الذرات والأجزاء الراسيات

والهيئات الكائنات وأعداد الرمال وأنداد البحور والبراري والوهاد والجبال والنساء والرجال وغير ذلك مما يتعلق به علم الممكن. قال النبي ﷺ: «من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جن صدق محمداً أو كذب به عتق رقبة».

واعلم أن لكل دورة من الأدوار الأربعة النورية الجمالية الوجودية العظمى أو الكبرى والوسطى والصغرى فروغاً أربعة على مقتضى عدد الطبائع الأربعة التي ظهرت في السماوات أولاً في المثلثات المربعة، فالأدوار الأربعة التي هي فروع الدورة الصغرى تظهر بها الاسطقسات والأركان الأربعة، خلق الله تعالى في هذه الأدوار أنواع الإنس والجن، ففي الدورة العظمى الفرعية خلق الله عز وجل الجان الأعظم والأكبر بلا واسطة، وفي الطبقة الأخيرة وهي النار الأرضية خلق الله آدم الناري، ومن العنصر الهوائي خلق الله الجان الأصفر.

والهواء أيضاً على أربع صفات: هواء حار وبارد ورطب ويابس، فمن الثلاثة الأولى خلق الله الجن الأصفر بأنواعه الثلاثة، ومن الأخيرة خلق الله آدم هوائياً، وفي الدورة الوسطى خلق الله عز وجل من الأسطقس الهوائي والترابي إنساناً مائياً وترابياً. ولما كان آدم والصورة النوعية الإنسانية أول المملوك والمخلوق، كان باب الأبواب سارياً في أعيانهم تمام المراتب، ويستقل في آخر المراتب بالظهور، ففي بداية كل دورة ونهايتها لها نوع ظهور وتعين وأصل الأدوار وظيفاتها سبعة: أربعة منها بالاستقلال وأربابها من الأسماء والصفات السبعة الذاتية، وهي: العلم والحياة والقدرة والإرادة، وهذه الصفات والأسماء والبسائط وثلاثة منها هي: السمع والبصر والإرادة أرباب الأدوار الأربعة الثلاثة التي هي الاشتراك والتنبه يحكم عليها وفيها كل من هذه الصفات الثلاثة باشتراك الأسماء الأربعة مثلاً: إن السمع إنما يحكم في دورة مخصوصة قد اجتمعت فيها مقتضيات الأسماء الأربعة في أعيان هذه الدورة ظاهرة بعنوان السمع، وكذا البصر والكلام، ففي كل دورة من الأدوار السبعة الذاتية التي أربعة منها بالاستقلال وثلاثة بالاشتراك يظهر ويتعين آدم، فلآدم في الأدوار السبعة المذكورة ظهور ذات وتعينات في البداية والنهاية وإليه الإشارة بقول النبي ﷺ: «خلق الله آدم في سبعة أماد»، والأمد هو الدهر الطويل الذي لا يحصيه إلا الله ونحن في الأمد الأخير.





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي أمر حبيبه بقيام الليل وإحيائه بعد التزمّل بكساء البشرية لئلا يغلب عليه وأمه مقتضى ظلمة الليل الجلالي النفسي على مرتضى غلبة ضياء النهار الروحي الجمالي ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي عمّت أفاض أمداد أنفاسه الرحمانية في مشارق عالم الأرواح ومغارب عالم الأجسام والأشباح ليتخذه إلى جناب قدسه ودرجات أنسه قائداً ودليلاً ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي جعل ما تقدموا من الخيرات والحسنات ليوم الدين لهم ومتوجهين إلى تلقاء لقاء صراطاً مستقيماً وسيلاً حميماً .

## ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ ﴿١﴾ قُرْ أَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾

﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ﴾ [المُرْمَلُ: 1] المتلف بثوبه والمتخفف بكسائه الملتحف بعبائه وردائه من الزمّل وهو التغطية من التزمّل من التعفف أدغمت التاء في الزاء إما لازم أي ظهر منه التزمّل أو متعدي حذف مفعوله وهو النفس .

سألت عائشة رضي الله عنها عن المزمّل قالت: كان مرطاً طوله أربع عشر ذراعاً يضعه عليّ وأنا قائمة ويضعه على رسول الله وهو يصلي . قالت: وأيم الله ما كان قرّاً ولا خزّاً ولا مرعز ولا إبريسم ولا صوف، بل كان سواد شعر ولحمته فريزاً .

وقال السدي: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ ﴿١﴾ قُرْ﴾ [المُرْمَلُ: 1 - 2] فصل ﴿أَيْلَ﴾ أو داوم

على الصلاة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: 2] استثناء من الليل .

﴿نُصْفَهُۥٓ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ ﴿٣﴾

﴿نُصْفَهُۥٓ﴾ بدل من قليلاً ، وقلته نسبته إلى الكل والتحيز بينه وبين الأقل منه كالربع والأكثر منه النصف ﴿أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ [المزمل: 3] .

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ ﴿٤﴾

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ [المزمل: 4] على النصف وللنصف والتحيز بين أن يكون أقل منه على البت والقطع وأن يختار أحد الأمرين من الأقل والأكثر أو للأعم فإنه عام والتخير بين قيام الناقص عنه والزائد . قال ابن عباس : إن قيام الليل كان فريضة على رسول الله ﷺ بهذا الأمر ، والأمر في الظاهر للوجوب ثم سبَّح بالأمر للصلوات الخمس أو كان الرجل لا يدري كم صلى في الليل وكم بقي من الليل ، وكان الرجل كله مخافةً أن لا يحفظ القدر الواجب ، فشق عليه ذلك حتى تورمت أقدامه فنسخ الله ذلك في آخره : ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ نُحْصِيَهُ فَنَابَ عَلَيْهِ﴾ ﴿فَأَقْرَهُوْا مَا يَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: 20] وذلك في صدر الإسلام . ثم قال ابن عباس : وكان هذا أو هذا الإيجاب ونسخه نسبة . وقال في رواية أخرى : إن إيجاب هذه الحالة بمكة ونسخه كان بالمدينة ، ثم نسخ هذه الصلوات الخمس ، والفرق بين هذا القول وبين القول إن في هذا القول وجوب صلاة التهجد ما كان واجباً قط لقوله تعالى : ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ [الإسراء: 79] لكن بين أنه نافلة لا يدخل . وأجاب ابن عباس قيل : لو كان واجباً على الرسول لوجب على أمته لقوله : ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: 153] ، أجيب : أنه من جملة من الخصائص قوله ﴿نُصْفَهُۥٓ أَوْ أَنْقُصْ﴾ من باب جالس الحسن أو ابن سيرين ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ﴾ أي اقرأ القرآن ورتله على تؤدة وأظهر حروفه بحيث يتمكن السامع أن يعدها ﴿تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: 4] تؤدة ، وثانياً : بحيث تبين الحروف بإشباع الحركة ترتيلاً تأكيداً في إيجاب الآخرة وأنه لا بد للقارئ أجلاً وعاجلاً .

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ ﴿٥﴾

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: 5] أي كلاماً وقرآناً فيه تكاليف شاقة وأحكام حاقة من الأوامر والنواهي والمناهي والمفاخر والمباهي وكلاهما

يشتملان على الشأن والمثقال الغير المتناهي .

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ أي إنشاء وظهور التكليف وإظهارها في جميع الليل وساعاته من نشأ ينشأ إذا ظهر، ومنه نشأت السحاب وظهوراتها أو المراد نشأت النفس وقياماتها وانتهاضها من مضاجعها في أجزاء الليل وجميع ساعاته إلى الطاعات وأداء العبادات من نشأ الرجل من مكانه إذا انتهض من بيته أو قام، أو قيام الليل، على أنها مصدر من نشأ كالطاغية من طغى إذ الناشئة إنما تكون بعد النبوة. يدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها حيث قالت: إنما الناشئة والقيام بعد النوم فإنها أصعب من أن تكون من أول الليل ﴿ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا ﴾ وأصعب وأكثر وأتم موافقة للذوق والسمع والبصر وجميع القوى النفسانية والأجزاء الجسمانية في الصلاة والتوجه إلى الله في العبادات وعموم الطاعات ليتراءى عنه سوى الله في هذه الأوقات وجميع النشئات ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ [المزمل: 6] وأحسن وأتم قراءة وأعم إخلاصاً وأعظم بركة إشارة إلى أن الصلوات والقرآن في أجزاء الليل والعبادات في ساعاته أتم نفعاً وأكرم رفعا ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر: 10].

﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾

﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ ﴾ وأجزائه وساعاته التي هي أوقات المعاش وساعات الانتعاش ﴿ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ [المزمل: 7] فراغاً وسعة ليومك ومعاشك وتصرفك في حوائجك، وأصله سرعة الذهاب والمشي والإياب ومنه السباحة في الماء، وفرس سابح إذا كان حسن الجري جيد المشي، فيتفرق بتفرق الحواس وتشبثها وتشرف القوى النفسانية بكثرة تعلق المبادئ الروحانية فيتصرف القلب والطور السري هو موطن شهود التجليات ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم: 11] أي كمال التوجه إلى الله في العبادات وتمام حضوره في الصلوات.

﴿ وَادْذُكِّرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾

﴿ وَادْذُكِّرِ اسْمَ رَبِّكَ ﴾ في ابتداء كل أمر سيما في الصلاة وأداء العبادات. قال النبي ﷺ: «كل أمر ذي بالٍ لم يبدأ بيسم الله فيه أبترا»، ﴿ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ [المزمل: 8] وانقطع عن إتمام الكثرات وعموم الممكنات إليه بجميع القوى

والجوارح والأعضاء تبتيلًا عامًا وانقطاعًا عامًا تامًا كاملاً .

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرُجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾

واعلم أن المفسرين قد فسروا التبتيل بالإخلاص وأصل معناه هو القطع، فمن كان مقصوده للعبادة حصر نظره في العبادة وانقطع عن غيرها، ومن كان مقصوده معرفة الله انقطع نظره عن غيرها، ومن نظره وقصده المعروف انقطع، ومن كان مقصوده محبة الله انقطع نظره عن غيره، ومن كان قصده ذات المحبوب انقطع نظره عن جميع ما سواه. فالمقصود بالذات هو المحبوب وما سواه يكون بالعرض، وأشار إلى هذا بذكر اسمه أولاً ربّ المشرق وربّ المغرب، وعالم الأرواح وعالم النفوس والأشباح، والمغرب عالم الخلق والشهادة والملك والأجسام والأجرام ذوات المصباح ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54]، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: 9] استئناف كأنه قيل: لم يتبتل وكيف ينقطع إليه؟ قال: لأنه رب الروح والجسم ومقتضى الروح هو الفتوح فلا بد أن ينقطع إليه بتمام القوى الروحانية والجسمانية.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل: 9، 10] من التكذيب والافتراء وقصد التغريب والجلاء، والتخريب والهجرة والتهریب ﴿وَأَهْرُجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: 10] واتركهم تركًا طويلاً.

واعلم أن التبتل لا يحصل إلا بعد حصول المحبة، والمحبة لا تحصل إلا بما لا يليق إلا بالله لأن سبب المحبة إما الكمال وإما التكميل، أما الكمال فلأنه محبوب لذاته إذ من المعلوم أن كل شيء لا يجب أن يكون محبوبًا لشيء آخر وإلا لزم التسلسل، فإذا لا بد من الانتهاء إلى ما لا يكون محبوبًا لذاته وهو الكمال الذاتي مثلًا من يسمع أن فلانًا الذي كان قبل هذا بألف سنة كان موصوفًا بالشجاعة الزائدة على شجاعة سائر الناس، وكذا من اتصف بالسخاوة والكرم والجدود كحاتم الطائي فهو محبوب لكماله لا لذاته، فالكامل محبوب لذاته ذاتيًا كان أو وصفيًا. وأما التكميل فهو أن الجواد محبوب والمطلق هو الله فالمطلوب المطلق هو الله، فالتبتل والانقطاع المطلق لا يمكن أن يحصل إلا إلى الله لأن

الكمال المطلق إنما يكون له تعالى، والتكميل متعد على المتبدل الحاصل بسبب كونه كمالًا وكلامًا لأن الإنسان في مبدأ السر لا يكون إلا طالبًا للمحبة، إذ الشيء لا يظهر ولا يتكون إلا بالعشق والمحبة «كنت كنزًا مخفيًا فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق لأعرف» إلى آخر الحديث.

هو في عين طلب المحبة كما كان طالبًا لها في البداية ضمناً وتبعًا فيكون تبتيله إليه تعالى في هذه الحالة لسبب كونه كاملاً.

فقوله: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ إشارة إلى الحالة الأولى وهي في درجات المسلمين، وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [المزمل: 9] إشارة إلى الحالة الثانية التي هي منتهى درجات المسلمين ومنتهى أقدام الصادقين، فسبحانه وتعالى من له تحت كل كلمة سر خفي ثم وراءها من مقام آخر وهو مقام التفويض وهو أن يرفع الاختيار من البين وهو تفويض بالكلية إليه، فإن أراد الحق به أن يجعله متبتلاً رضي بالتبتيلا لا من حيث إنه مراد الحق وإن أراد به عدم التبتيلا رضي بعد منه من حيث التبتيلا من حيث أنه مراد الحق، هذا آخر الدرجات.

وقوله: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: 9] إشارة إلى هذه الحالة وهو إما جرى القلم به في تفسير هذه الآية، ومن أسرار هذه الآية معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: 27].

### ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا﴾

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ اعلم أن الإنسان إذا اهتم بهمهم وكان غيره قادرًا على كفاية ذلك المهم على سبيل التمام والكمال قال له: ذرني وذلك، أي لا حاجة مع اهتمامي بذلك الشيء إلى آخره كقوله: ذرني ومن يكذب ﴿أُولِيَ النَّعْمَةِ﴾ بفتح النون وهو النعيم، وبالكسر الإنعام، وبالضم المسرة، يقال: نعم ونعمة أي سر عينه الخطاب بالرسول والواو بمعنى مع ومفعول (المكذبين) محذوف، أما الحق أو الرسول أو الكتاب أي ذرني مع المكذبين الله أو الرسول أو الكتاب وهؤلاء صناديد قريش وكانوا أهل تنعم وترفة ﴿وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: 11] المراد من التعليل الحياة الدنيا، والثاني المراد منه القليل تلك المدة القليلة الباقية إلى يوم

بدر، فإن الله أهلهم في ذلك اليوم ثم ذكر لنبيه عذابهم .

﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحَجِيمًا ﴾ ﴿١٢﴾

﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا ﴾ أي قيودًا وسلاسل عظامًا وجسامًا لا ينفك جمع نكل وذلك زيادة العذاب وشدة العقاب بحيث لا يرجى بتعيين قرارهم إذ لا محيص لهم عنه ﴿ وَحَجِيمًا ﴾ [المزمل: 12] ونارًا حميمًا وعذابًا عظيمًا وعقابًا عميمًا .

﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ﴿١٣﴾

﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ ﴾ [المزمل: 13] أي طعامًا يثبت في الحلق ويتضح بالاضطراب بين الخلق كالفواكه الغضة الغائصة لا ينحدر عن الحلقوم وحلق الخلق أصلًا . قيل : الزقوم والضريع كما قال : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ ﴾ [الغاشية: 6] أي شوك يتقدمها ولا ينفك عنها قطعًا بل يلتزق بها التزاقًا شديدًا ويلحق بها التحاقًا مديدًا ويعذبهم ﴿ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [المزمل: 13] دائمًا عميمًا ساعة بعد ساعة أيامًا وأعوامًا ودهورًا وأحقابًا بحيث لا يعلم عدده ولا يحيط مداه إلا الله، ولا يحيق بكميته وحدته إلا هو، وهو عذاب آخر ونوع غير الأول لكونه أشد وأحر وأحد لكونه أشد إيلا مًا لأنه عذاب روحاني ولذا أضافه إلى نفسه، فإن الأرواح المهلكة في التناسق الجسماني عن الوصول إليها وعن الدخول لوقوع نار التحسر والحرمان عليها، وتألّموا بها على وهم لو عرضت جمرة منها على الأفلاك وعموم الأملاك لهلكوا ﴿ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴾ ﴿١٤﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَاقِ ﴿٧﴾ [الهمزة: 6، 7] ومن هذا أضاف النار إلى نفسه .

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً ﴾ ﴿١٤﴾

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ ﴾ تتحرك كرة الأرض وتضطرب وتترزّل بما فيها من سكان طبقاتها وما عليها من التلال ﴿ وَالْجِبَالُ ﴾ [المزمل: 14] والوهاد والأغوار ظرف لقوله : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا ﴾ [المزمل: 12] لما فيه من معنى العقل ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ ﴾ في ذلك اليوم بالزلزلة تقدمت على الحشر ﴿ كَثِيبًا ﴾ وصلًا مجتمعا من كذب الشيء إذا اجتمع ﴿ مَهِيلاً ﴾ [المزمل: 14] سائلًا أو منشورًا أي تكون حال الجبال في ذلك اليوم دائرة بين هذين الحالين .

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا ﴾ الخطاب لأهل مكة والمقصود تهديدهم بالأخذ وليكون ﴿ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ﴾ يوم القيامة بالعفو في الامتناع، شاهدًا عليكم للانتقام ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾ [المزمل: 15] يعني موسى وأخيه هارون.

﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾

﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ واللام للعهد الخارجي فيكون التعريف لكونها عبارة عما سبق ذكره بخلاف العهد الذهني فإنه إشارة إلى شيء ما يكون معهودًا بين المتكلم والمخاطب فالقول الزائد داخل الشق وستر اللحم ﴿ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ [المزمل: 16] أي عاقبناه عقابًا صعبًا شديدًا ثقيلًا من قولهم: طعام أي ثقيل لا يستقر من معدته إلى الكبد وهو في الدنيا عبارة عما ذكر، وفي الآخرة عبارة وكناية عن عدم زوال العقاب الأبدي إذ في الأصل كناية عن نوع المكروه في الغاية، ومن هذا قيل للمطر العظيم كمًا وكيفًا: وابل وويل ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ﴾ [البقرة: 264] إلى آخر الآيتين.

﴿ فَكَيْفَ تَنْفُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ فَكَيْفَ تَنْفُونَ ﴾ وتحذرون وتصونون أنفسكم يوم القيامة وهوله ﴿ إِنْ كَفَرْتُمْ ﴾ وتيقنتم ولبثتم على الكفر والشرك يومًا في الدنيا أي فكيف تحذرون الله وعقوبته وتخافون منه إن جحدتم يوم القيامة عقوباته وعظيم عقاباته لأن تقوى الله خوف عقابه وهو منتفٍ عنهم ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ ﴾ والصبيان والشبان ﴿ شِيبًا ﴾ [المزمل: 17] صاحب شيب وشيخوخة من خوفه وذهوله، هذا على سبيل الفرض والتقدير والتمثيل وأصله الهموم لضعيف القوى القوة عن المبادئ الجسمانية والمنادي النفسانية فيشرع في الشيب، ويجوز أن يكون وصف اليوم بالطول بحيث يبلغ الأطفال والصبيان زمان الشيخوخة وزمان الشيب.

﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۗ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾

﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ ﴾ منشق تذكرة على تأويل السقف والبناء المبني ﴿ بِهِ ﴾ [المزمل: 18] أي بهول ذلك اليوم وبكمال شدة خوفه، والباء للسببية، فطرب

العود بالقدم فانفطر به ويجوز أن يراد السماء مثقلة بالهول أثقالاً يؤدي إلى الانفطار كقولك: ثقلت في السماوات والأرض ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: 18] أي وعد الله أو وعد اليوم على تقدير إضافة المصدر إلى المفعول، أي كان وعد ذلك اليوم لنفسه ثابت بلا ريب.

واعلم أنه تعالى بدأ في صدر السورة ببيان أحوال السعداء، ومعلوم أن أحوالهم قسمان أحدهما: ما يتعلق بأمور الدين، والثاني: ما يتعلق بالدنيا وهو المعاملة بالحق فيهن فتيين ذلك ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [طه: 130]، ثم بين أحوال الأشقياء بتهديدهم على سبيل الإجمال بقوله: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ [المزمل: 11]، ثم ذكر بعده أنواع عذاب الآخرة، ثم ذكر بعده عذاب الدنيا وهو الأخذ الوييل، ثم بين شدة يوم القيامة.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (١٩)

وختم الكلام بقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ الآيات القاطعة بالوعيد الشديد والوعد القريب إلى البعيد ﴿تَذَكُّرَةٌ﴾ وموعظة لأهل الحضور ونصيحة وشفاء ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ أن يتعظ وينتبه ﴿اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ وإلى التقرب ﴿سَبِيلًا﴾ [المزمل: 19] واضحاً وطريقاً موصلاً صارحاً ليهيئها إلى مشاهدة لقائه ومعاينة وجوده وبقائه لسلوك مسالك الورع ومدارك التقوى.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نُحْصِيَهُ فَنَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْضَىٰ وَءَاخِرُونَ يَضُرُّونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخِرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢٠)

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ في صلاة الليل والتهجد ﴿أَدْنَىٰ﴾ وأقل وأقرب ﴿مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ﴾ [المزمل: 20] أقل من الثلثين ﴿وَتُلُثَهُ﴾ أقل من النصف يندرج إلى



التقليل لأن الأقرب إلى الشيء أقل مسافة إليه، وإنما استعير الأدنى وهو الأقرب الأقل لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت وقربت قلّ ما بين أجزائهما والأحيان وإذا بعدت كبر ذلك ﴿وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ وهم أصحابك الخالص يقومون من الليل هذا القدر.

ثم قال: ﴿وَاللَّهُ يَقْدَرُ أَيْلًا وَنَهَارًا﴾ يعني إن العالم بمقادير وأجزاء الليل والنهار من الساعات والدقائق والثواني والثالث والروابع إلى القوانين إلى غير النهاية ليس إلا الله ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ نَحْضُوهُ﴾ أي علم أنه لا يمكنكم إحصاء مقدار كل واحد من أجزاء الليل على الحقيقة ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ إشارة وعبارة إلى الترخيص في ترك القيام المقدر ﴿فَاقْرَأُوا﴾ أي صلُّوا ما تسهّل وأقرأوا ﴿مَا تيسَّرَ﴾ عليكم في صلاة الليل، وإنما عبر عن الصلاة كما عبر عنها بسائر أركانها من القيام والركوع وغير ذلك إشعارًا بأن أصل الصلاة وحقيقتها هو القرآن وورائها من الصلاة وزان الروح من البدن.

قيل: كان التهجد واجبًا على التحسر المذكور فقسى عليهم القيام ننسخ به ثم نفسخ هذا بالصلاة أو فاقرأوا القرآن بعينه كيف ما تيسر منه عليكم. قيل: بقراءة مائة آية: ومن قرأ مائة آية في ليلة لا يحاجه القرآن ولا يخاصمه. وقيل: من قرأ مائة آية كتب من القانتين.

وقد بيّن الحكمة في النسخ وهي بقدر القيام على المريض والسقيم وعلى الضاربين في الأرض بطلب العلم والتجارة والمجاهدين في سبيل الله.

عن عبد الله بن مسعود: كان رجل جلب في مدينة من المسلمين لكسب الحلال صابرًا محتسبًا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء، فإذا كان حال طالب الدنيا من الضاربين في الأرض لكسب الحلال من الدنيا من الشهداء فما ظنك في طالب العلم.

﴿مِنَ الْقُرْآنِ عِلْمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى﴾ مريضًا سقيمًا سقطت عنه الصلاة ﴿وَأَخْرُونَ بَصْرِيُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ العلم والتجارة والأموال المكتسبة ﴿وَأَخْرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في الجهاد والغزوات ﴿فَاقْرَأُوا مَا﴾ [المزمل: 20]

المكتوبة والخمس ﴿تَسَّرَ مِنْهُ﴾ والصدقات المفروضة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ  
وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقْلِمُوا لِنَفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ جزيلاً وثواباً جميلاً  
خيراً، أجد مفعولي (تجدوه) ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾ أي اطلبوا التجاوز عن السيئات من رفض  
القيام في الليل ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: 20] يعطيه من  
فضله وإحسانه .

### تَمَّتِ السُّورَةُ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي أمر رسوله بطرح دثار الصفات الروحانية للانتهاض عن المرتبة الروحانية والطور الروحي إلى مرتبة العقل الصريح والطور الخفي بتبليغ ما في هذا الموطن من الآيات الدالة على الأحكام الربوبية والنواميس الإلهية إلى أعيان أمته المتجردة عن الملكات النفسانية والهيئات الروحانية في المرتبة الواحدية لتكثر عن سمات الحدثات وثبات الإمكان ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أعطى عباده المخلصين وصف الصبر ليستحصلوا عن عذاب السقر، فوض الله تعالى من ملائكة العذاب تسعة عشر ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي لا يعلم جنوده الغيبية والعساكر العينية في ملكه وحصائد ملكوته إلا هو .

## ﴿يَتَأَيَّأُ الْمَدَّثَرُ﴾

﴿يَتَأَيَّأُ الْمَدَّثَرُ﴾ [المدَّثَرُ: 1] أي المتدثر، ففعل به بما فعل بالمزمل ملابس الدثار الروحاني واللباس النفساني والثبات الجسماني في الطور الإنساني، ثم من مبيت عالم الملك ومضجعه ومن مدار عالم الفلك ومغيبه ومطلعه كان في بداية هذه الحالة أنه روي أنه ﷺ قال: «كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم أرَ شيئاً، فنظرت فوقي فإذا هو على العرش في الهواء على السماء والأرض - يعني الملك ناداه - ففرغت فرجعت إلى خديجة فقلت: دثروني، فنزل جبرئيل فقال: ﴿يَتَأَيَّأُ الْمَدَّثَرُ﴾» .

عن الزهري: إن أول سورة نزلت سورة ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: 1] إلى قوله:

﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: 5] بحزن رسول الله ﷺ وجعل يعلو شواحق الجبل، فأتاه جبرائيل وقال: إنك نبي الله، فرجع وقال: دثروني وصبوا عليّ ماءً باردًا، فنزل: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلْمُذْتَبِّرِينَ﴾ [المدثر: 1]. قيل: سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بشوبه متفكرًا كما يفعل المغتم، فأمر أن لا بد من إنذارهم ودعوتهم وإن سمعوه وآذوه.

### ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ (٢)

﴿ قُمْ ﴾ من مقام الخوف ومن حال الرعب والعوف ﴿فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: 2] قومك وخوفهم غضب الله في ترك طاعة الله وعبادته إلى عبادة الأوثان.

### ﴿ وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ ﴾ (٣)

﴿ وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ ﴾ [المدثر: 3] وعظمه وقُدَّسه عما نسبوا إليه مما لا يليق بالوهيته.

### ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (٤)

﴿ وَثِيَابَكَ ﴾ أي الطور العالي ﴿فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: 4] واليقين البدني بماء النواميس الإلهية وبصابون الأحكام الدينية والأعلام التشريعية عن الحدث الإمكانية والخبث الجسماني وهو المخالفات بالأمر الإلهي وارتكاب الفعل المنهي واجتلاب الأوصاف الدنية والأخلاق الرديئة، وهو أول ما أمر به من رفض العادات وبغض المخالفات. يقال: فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب وطاهر الأردن إذا كان موصوفًا بالنقاء، معروفًا بالصغار من المعاييب البدنية والأوصاف الدنية والأخلاق الرديئة، وهو أول ما أمر به الرذيلة. وفلان دنس الثياب وملوث اللباس إذا كان بالعكس فذلك أن اللباس يلاقي البدن ويلصقه وبملاسة البدن يطلق اسم أحدهما على الآخر ويستعار له.

### ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ (٥)

﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [المدثر: 5] أي الأخلاق الرذيلة اتركها وارفضها إذ الرجز بضم الراء وكسرها هو المكروه والعذاب. قيل: المراد هو حب الدنيا لأنه رأس كل خطيئة، ورد في الحديث. ويمكن أن يحمل الأول على تكميل القوة النظرية والثاني على القوة العملية وتنقيتها.

## ﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ﴾

﴿وَلَا تَمَنَّ﴾ [المدثر: 6] من المن وهو تحميل المنة على السخاء والعطية وإظهار الكبر والعظمة ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُطْلُؤُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: 264]، ﴿تَسْتَكْبِرُ﴾ [المدثر: 6] أي تجعل في رزقك وبرك كثرة لأن بلاء المنة تكون خالصة لله، فالله يجعل عوضه زيادة على ما أنفق في سبيله.

## ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾

﴿وَلِرَبِّكَ﴾ [المدثر: 7] أي اجعل إنفاقك خالصًا مخلصًا لله، وذلك إنما يكون شكرًا للنعم السابقة والشكر يزيد النعمة ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]، ﴿فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: 7] على ما أصابك في طريقك من التكاليف الشاقة والأذية الداقة على المشركين وإهانتهم أرباب النفقات في سبيل الله.

## ﴿فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ﴾

﴿فَإِذَا نَقَرَ﴾ ونفخ ﴿فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: 8] أي في الصور ليدعوك إلى الله، من النقر وهو التصويت وأصله القرع الذي هو سبب الصوت.

## ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾

﴿فَذَلِكَ﴾ اليوم أو الوقت الذي نقر به ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم كذا ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: 9] فذلك ابتداء عسير خبره يوم عسير انتصب إذا بما دل عليه الجزاء أي عسر الأمر إزالته، والذي أجاز وقوع (يومئذ) ظرفًا لـ(يوم عسير). قال: إن ذلك اليوم وقت النقر ووقت يوم عسير لأن يوم القيامة يأتي ويظهر حين ينقر في الناقور. واختلف في أنها النفخة الأولى، أما الثانية يجوز أن تكون يومئذ مبنياً مرفوع المحل بدلًا من ذلك، ويوم عسير خبر كأنه قيل: فذلك اليوم يوم عسير.

## ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرَ يَسِيرٍ﴾

﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرَ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: 10] تأكيد يمنع أن يكون عسيرًا من به يسيرًا ومن وجه على الكافرين بل يزداد العسر ﴿كُلَّمَا نَفِخَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: 56]، وأما على المؤمنين فغير عسير تبديل ذلك العسر إلى اليسر

شيئًا فشيئًا إلى أن ينجو من دار العذاب إلى دار الثواب، فهذا بشارة المؤمنين وخسارة الكافرين .

### ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [المدثر: 11] حال من الله على معنيين أحدهما: ذرني وحدي مع مخلوقي فأنا أجزيه على الدعوة أو المخلوقات للحسنات ثوابًا وللسيئات عذابًا . والثاني: خلقتهم وحدي لم يشاركني أحدًا، أو حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد وفرد فريد لا مال له ولا ولد ولا جاه ولا مدد ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدًا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: 94] نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي ومن كان يلقب في قومه بالوحيد، ولعله لقب بعد نزول الآية فإنه لما خلق وحيدًا بلا ولد وآمن فأنعمه الله مالًا وولدًا وارتاب فإذا كفر بنعمة الله وأشرك به واستهزأ بدينه .

### ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ ﴾

﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ ﴾ [المدثر: 12] بالنتاج والزراعة والتجارة .

### ﴿ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ ﴾

﴿ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ ﴾ [المدثر: 13] حاضرًا كلهم لديه . قيل: كان له عشرة أو أكثر فأسلم منهم ثلاثة: خالد وهشام وعمارة . وعن ابن عباس: كان بين مكة والطائف وكان له من صنوف الأموال، وكان له في الطائف بستان تؤتي الأشجار أكله فيها صيفًا وشتاء ولا يقطع أصلًا في وقت من الأوقات .

### ﴿ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ﴾

﴿ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ﴾ [المدثر: 14] أي بسطت له بسطًا من الأموال والجاه والرياسة العريضة، وكان من أكابر قريش ولذا لقب بريحانة قريش وكان معمرًا وحيدًا بين القوم بوجوه .

### ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ ﴾ وليد المذكور بعد هذه الحالة ﴿أَنْ أَزِيدَ﴾ [المدثر: 15] على ما

أنعمته به مع كفران النعمة إليه وصنوف آلائه ونعمائه من الأولاد والأموال والخدم والعبيد فهو لا يستحق ثبات النعم الحاصلة فضلاً عن الزيادة.

﴿ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِنِيدًا ﴿١٦﴾ ﴾

ولذا منعه بقوله: ﴿ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ ﴾ الوليد بن مغيرة ﴿ لِآيَاتِنَا ﴾ المبسوطة في الآفاق والأنفس ﴿ عِنِيدًا ﴾ [المدثر: 16] معانداً ومنكراً ردع له عن طمع الزيادة ولذا كان تعليل المودع استئناف لمعاندا الآيات وإنكارها التي صارت علة لمنع الزيادة ما زال وليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده وجاهه حتى هلك.

﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾ [المدثر: 17] سأرهقه أو أعيشه عقبه شاقة المصعد وهو لما يلقي من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق ولا يمكن أن يرفع ويزال. قيل: صعوداً عقبه في النار كلما وضع عليها يده ذابت فإذا صعدها وارتفع عليها عادت إلى ما كانت عليه، وكذا إذا وضع رجله زلقت فلو ارتفع عليها رجع القهقري عاد إلى ما كان عليه. روي أنه قال: الصعود حبة من نار يصعد فيه سبعين طريقاً ثم يهوي كذلك فيه أبداً.

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ ﴾ وتفكر وتأمل وتصور ﴿ وَقَدَّرَ ﴾ [المدثر: 18] تعليل للوعيد أو بيان للنعى. والمعنى أنه فكر في الأمور الدنياوية أو في الرسول ونبوته ورسالته أو في القرآن، وتفكر فيما يجعل طبعاً في القرآن وقدر في نفسه ما يقدر من الطعن والاستحقاق، ثم لما تفكر فيما يحصل رأى في نفسه كلاماً مخيلاً مقدرًا وهو المراد من قوله: ﴿ وَقَدَّرَ ﴾.

﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ﴾

ثم قال: ﴿ فَقُتِلَ ﴾ أي قتله الله كيف فكر وتفكر ثم قدر في نفسه ما يتفكر قبل ﴿ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ [المدثر: 19] هذا إنما يذكر عند التجرد والاستفهام ومثله قوله: قتله الله ما أشجعه وأجرأه وما أشعره، ومعناه أنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده، هذا مقام الدعاء عليه بالقتل أنه فكر وتفكر وكيف قدر

ما قدر وتعجب من تقديره وإصابته في الرمي . قوله : بالرمي والقدرح الذي هو غرض لقريش ومقصودهم الذي كانوا عليه ، أو ثناء عليه على طريق الاستهزاء وهو حكاية لما كرهوه من قتل كيف قدر تهكمًا بهم وبإعجابهم بتقديره واستعظامهم بقوله .

روي أن الوليد قال لبني مخزوم : والله لقد سمعت من محمد ﷺ كلامًا ما هو بكلام الإنس والجن ، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وأسفله لمورق وإنه يعلو ولا يُعلى عليه ، فقالت قريش ضياء وبهجة الله الوليد . وقال ابن أخيه أبو جهل : إن له كوة يقعد إليها حزينًا كلمه مما أحياه . فقام فاتاهم فقال : تزعمون أنتم أن محمدًا مجنون! فهل رأيتموه يخنق ، وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن قط ، وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه أنه يتعاطى شعرا ، وتزعمون أنه كذاب فهل رأيتم عليه شيئًا من الكذب؟ فقالوا في كل ذلك : اللهم لا ، ثم قالوا : فما هو ومن هو ، ففكر في أمره وتفكر في نفسه فقدر ما قدر فقال : ما هو إلا ساحر ، ثم قال : أما رأيتموه قد فرق بين الرجل وأهله وولده فليس الذي يقوله إلا سحر يؤثر عن مسيلمة وأهل بابل .

﴿ ثُمَّ قُلْ كَيْفَ قَدَرَ ﴾ (٢٠)

﴿ ثُمَّ قُلْ كَيْفَ قَدَرَ ﴾ [المدثر: 20] لقوله ذلك ويظهره بين الخلق .

﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴾ (٢١)

﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴾ [المدثر: 21] فيه ثانيًا وثالثًا وقدر واستحق الدعاء عليه . وإنما أورد (ثم) للدلالة على أن الدعاء عليه في الكرة الثانية والثالثة أبلغ من الأولى .

﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾ (٢٢)

﴿ ثُمَّ عَبَسَ ﴾ الوليد وساء خلقه وتغير وجهه وصار عبوسًا قمطيريرًا من علو شأن محمد ، قد ظهر من كلامه فضاقت منه عليه الحيل وتحيرت في قدحه ولم يدر ما يقول ﴿ وَبَسَرَ ﴾ [المدثر: 22] كلع لون وجهه كما كلع أول بصر الناظر إذا خجل وانفعل عند المناظرة ، وهذان الفعلان يدلان على أنه كان عالمًا بأن محمدًا صادق



في دعواه ودعوته حق إلا أنه أنكر عنادًا ومكابرة واستكبارًا كما دلت عليه مقالاته .

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ الحق أو الرسول أو الكلام الدائر الذي قاله في صدق محمد، فأعرض عنه إلى قوله من غير أن يدل عليه أمر ﴿وَأَسْتَكْبَرَ﴾ [المدثر: 23] عن اتباعه ومتابعته وعن الدخول في دينه .

﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَقَالَ﴾ الوليد بعد إظهار الكلمات الحقة ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي ليس ما قال هذا الرسول الذي هو محمد ﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ [المدثر: 24] أي ساحر يؤثر ويختار وبه يحكى .

﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلَ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الكلام أتى به ساحر ﴿إِلَّا قَوْلَ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: 25] وكلامه كالتأكيد للجملة الأولى ولذا ترك العطف عليها .

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: 26] أي أدخله في النار بدل من سأرهقه تبيان لسوء حال الوليد .

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ [المدثر: 27] تفخيم لشأنها أو لهولها .

﴿لَا يُبْقِي وَلَا نَذْرُ ﴿٢٨﴾﴾

﴿لَا يُبْقِي﴾ السقر والنار ﴿وَلَا نَذْرُ﴾ [المدثر: 28] فيها شيئًا إلا أكلته وأهلكته، أو لا يبقى فيها حيًا ولا تذر فيها ميتًا، والتكرير للتأكيد والمبالغة ومنهم من قال: لا بد من الفرق، ثم ذكر وجوهًا أحدها: أنه لا يبقى من الجسم وأجزائه الأولية كالدم والعظام والعصب والجلد. والثانية: كالأعضاء من اليد والرجل والفخذ أو الأجزاء. الثالثة: كالوجه المركب من الفم والأنف والعين والحاجب. والرابع:

كالرأس المركب من الوجه والعظام التي هي كجدر البناء الأربع والسقف ومن الجمجمة والمنخ شيئاً أصلاً على وجه الجمعية، ولا يلزم من انتفاء هذا انتفاء كل واحد فرداً فرداً ولا يلزم من انتفاء الأول انتفاء هذا إذ انتفاء الخاص لا يستلزم انتفاء العام دون العكس.

### ﴿لَوْحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ (٢٩)

﴿لَوْحَةٌ﴾ مغيّرة ومبدّلة ﴿لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: 29] أي مسودة البدن الإنساني، جمع بشرة وهي ما يرى من الإنسان في بادئ النظر كما قيل في تعريفه بالرسم الناقص مستقيم القامة بادي البشرة، ضحاك الطبع، أي مسودة لجلودهم ومحرقة لها.

### ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (٣٠)

قد وكلّ الله ﴿عَلَيْهَا﴾ وسلط لديها ﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: 30] من الملائكة، وإنما حصر عليها لأنها مظاهر قوى حواس التي هي الإغواء عن الحق والإغراء على الباطل، أعني الحواس الخمس الظاهرة والباطنة وهي عشرة، وأما التسعة وهي فائض الأسماء السبعة الظاهرة الذاتية وتقتضي مقتضى الذات وتقتضي الصورة الجمعية وهو انتفاؤها، فمجموع هذه النقائص التي تتقوم بها حقيقة الحواس التي هي مخاطبة إبليس والشيطان هو تسعة عشر التي لا يدخل أحد من الإنسان في النار إلا بها، فلا بد أن تكون بإزاء كل واحد منها ملك من العذاب ليعذبه كما كان لظهورها أحد من الشيطان أو ملك من الرحمان، أو لأن ساعات الليل والنهار أربعة وعشرون فالمصروف للصلوات التي تنهى عن الفحشاء والمنكر خمسة فبقي تسعة عشر.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَزَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ (٣١)

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ [المدثر: 31] وهي تسعة عشر وأظهرها

عليها . قال أهل الحكمة : إن سبب فساد النفس الإنسانية ونقصانها في كمالات النظرية والعملية من القوى الحيوانية والطبيعية، أما القوى الحيوانية وهي الخمس الظاهرة والخمس الباطنة، والقوة الشهوية والغضبية فهي إثنا عشر، وأما القوى الطبيعية فسبعة وهي : الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاوية والنابذة والمولدة، فالمجموع تسعة عشر .

روي أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر : 30] قال أبو جهل لقريش : ثكلتكم أمهاتكم، قال ابن أبي كبشة : إن خزنة النار تسعة عشر فأنتم الجمع العظيم لعجز كل عشرة منكم أن يبسطوا برجل منهم، فقال أبو الأسد بن كلدة الجهني، كان شديد البطش : أنا أكفيكم منهم سبعة عشر على ظهري وسبعة على بطني فاكفوني أتم اثنين، فأنزل الله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ الَّذِينَ تَبَاشَرُهُمْ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ لا رجالاً من الإنس والجن من جنسكم ومن جنس الجن خلاف المعذبين من الجن والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذ المحابون من الرأفة والرحمة والشفقة والرفقة فلا يستريحون إليهم لمغايرة حقيقتهم ولوازمها بحقيقة الإنس والجن ولوازمهما ولا يرحمهم، ولأنهم أقوم خلق الله وأقواهم بحق الله وبالغضب له فكيف يقاوم جنس الرجال إياهم مع أن واحدة منهم تدفع بالدفع الواحدة في جهنم في مثل أشخاص من ربعة ومضر، وأن ملكاً واحداً منهم يقبض أرواح جميع الخلائق، وهذا وصف خزنة النار ومكان أعينهم، لو أراد الله تعالى أن يهلك الخلائق ويحرقهم بشعاع برق عين أحدهم لأهلكهم وأحرقهم مع أنه يجوز أن يكون المراد تسعة عشر صف وعدد كل صف لا يعلمها إلا الله، وأن يكون معناه هذا العدد ولكل واحد أعوان لا يعلمهم إلا الله .

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ عددهم تسعة عشر وهي عدد خاصيتها ليست ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ قهراً وغلبة على أعداء الله، فإن ظاهرها وهو عدد أحرف بسم الله الرحمان الرحيم نور ورحمة لأوليائه، وباطنها نار ونقمة وعذاب وغضب وسخط لأعدائه كما ورد في الأدعية المأثورة : «واحجبنني عنهم بحجاب النور الذي باطنه وظاهره النار»، ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله وبرسوله وبكتابه ﴿لَيْسَتَيْنِ﴾ أي ليصدق هؤلاء ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المدثر : 31] من اليهود والنصارى وأهل اليقين من الزبور التام بوجود الجنة والنار وحرثها لأن الله ذكر في كتابهم التوراة والإنجيل والزبور والجنة

والنار والملائكة المسلطة عليها أعدادها وسائر أحوالها ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بمحمد وبما جاء به من تصديق الأنبياء والكتب السماوية النازلة عليهم ﴿إِيْتَانًا﴾ [المدثر: 31] أي ازداد إيمانهم لزيادة علمهم بمحمد وبما جاء به وبالآخرة، فإن هذين العَلَمَيْنِ وزيادتهما يوجب زيادة الإيمان بهما ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ من اليهود والنصارى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ من المسلمين ﴿وَلِقَوْلِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شرك ونفاق وشك. قال بعضهم: هذه السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق، فالمرض في هذه الآية هو الخلاف والشقاق لا النفاق، فالذين آمنوا بمحمد يزدادون إيماناً كالخبر أو عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهم، وأن التوراة والإنجيل كانا محرفين بأهل مكة، كانوا يقرأون فيهما أن عدد الزبانية هو هذا القدر لكنهم ما كانوا يقولون على ذلك ولا يعتمدون كل التعويل والاعتماد، فلما سمعوا ذلك من رسول الله قوى إيمانهم وازداد يقينهم واستيقنوا ذلك العدد بأنه الحق والصدق وبعدهد خزنة النار وجه آخر وهو أن الله يدبر أمر العالم الكتابي من السماء إلى الأرض وما فوض الله التدبير المذكور إليه هو البروج الإثنا عشر فضل الله الفيض الكائن في العرش الرحماني الذي نسبته إلى ما دونه على السواء فيكون فيه من حيث هو على الإجمال في البروج ودرجاتها ودقائقها وثوانيتها إلى العواشر، فبواسطة الكواكب السيارة قد وصل إلى الكائنات العنصرية ووصل فيها لكل واحد منها منسوب إلى ملك مدبر أو أمر الكائنات، فإن كان على الوجه المحمود يجر ذلك الكائن إلى الجنة، وإن كان على الوجه المذموم يجره إلى النار، ويسمى بذلك الوجه الزبانية أي ملك العذاب، وبالوجه الأول يسمى ملك الرحمة لما علمت أن حروف البسمة التي باطنها النور وظاهرها النار.

﴿وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا﴾ العدد وبما ذكر من النار والتعذيب به عطف على يقول ﴿مَثَلًا﴾ يعني يكون هذا العدد مستغرباً كاستغراب المثل المضروبة التي ما علموا سرها وحقيقتها وفائدتها ﴿كَذَلِكَ﴾ يعني مثل الطائفة التي استغربوا هذا العدد وأنكروا فائدة ضرب المثل أضلهم الله كما ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من فرق الكافرين والمشركين ﴿وَهَدَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ من المؤمنين العارفين سر هذا العدد وضرب المثل وفائدته وحكمته ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ﴾ [المدثر: 31] أي ما خلق الله من الأعيان الخفية والأبدان المختلفة عن أعين الناس وعن إدراكهم وهم غير متناهية

حدًا وعدًا ومدًا وشدًا وردًا وهُدًا، بل الموجودات كلها ظاهرها وباطنها لا يعلمها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ ومنهم خزنة النار أصنافًا وأشخاصًا وأعاونًا وأعيانًا.

عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقسم غنائم حنين وجبريل عليه السلام إلى يمينه فقام وقال: إن ربك أمر بكذا وبكذا، فخشي رسول الله ﷺ أن يكون هذا القائل شيطان فقال: يا جبرئيل أتعرفه؟ قال: هذا ملك وما كل ملك ربك أعرفه لأنه جنود الله فلا يعلمها إلا الله، قال موسى عليه السلام: يا رب من معك في السماء؟ قال: ملائكتي، قال: كم عدتهم يا رب؟ قال: اثنا عشر سبطًا، قال: كم عددهم، قال: عدد هذا التراب ﴿وَمَا﴾ أي ما سقر أو عدة الخزنة أو جنود الله أو السورة ﴿هِيَ إِلَّا﴾ أي تذكرة وتذكار ﴿ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: 31] إشعار بأن شأن البشر هو أن يصرف الجنود إلا أنه قد ذهل عنهم.

### ﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ﴾

﴿كَلَّا وَالْقَمَرَ﴾ [المدثر: 32] أي لا يتذكر لما أنكروه بل هو أظهر الأشياء وهو الشمس والقمر.

### ﴿وَالْيَلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾

﴿وَالْيَلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ [المدثر: 33] وولى وتولى ومضى أو جاء، خلف النهار، ويقال: أدبر فلان إذا جاء خلفه وعقبه كقبل بمعنى أقبل وزرع بمعنى أزرع، وحصد بمعنى أحصد.

### ﴿وَالصَّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾

﴿وَالصَّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ [المدثر: 34] وأضاء، يقال: سفر وجه فلان وأسفر إذا أضاء وتشعشع.

### ﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبْرِ﴾

﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبْرِ﴾ [المدثر: 35] جمع الكبرى، جعلت ألف التأنيث كناية كما جمعت فعيلة على فُعَلْ جمعت فُعَلَى عليها كالسواقي جمع ساقياً، والقواصع جمع قاصعًا، هي جمع فاعلة يعني السفرة أو الخزنة الموكلة عليها لإحدى الأمور العظام والبلايا، ومع كونها إحدى البلايا إنها من بينهن واحدة في العظم

كما قال: هذا أحد الرجال، وهي إحدى النساء التي لا نظير لها إشارة إلى أن الأمور الخفية الإلهية غير متناهية كل منها في نفسها عظيم لا يعادلها شيء.

### ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ (٣٦)

﴿نَذِيرًا﴾ أو مخوفًا ﴿لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: 36] ولا يعلم تلك الأمور العظام إلا الله ولا يعلمها أحد من الملائكة والإنس والجن إلا بوحيه وتعليمه وإعلامه وإلهامه وهو ما تميز من إحدى أو حال عما دلت عليها الجملة أي كثرة.

### ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِدَّ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (٣٧)

منذرة ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾ بدل من البشر ﴿أَنْ يَتَّقِدَّ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: 37] في تأويل المصدر المنصوب يشاء، أي نذير للمتكئين من السوء إلى الخير، أو المتخلفين منه أو لمن شاء خيرًا لأن يتقدم فيكون في معنى فمن شاء فليتأخر ومن شاء فليتقدم.

### ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨)

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: 38] ليست بتأنيث رهين لأن فعيلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي اسم بمعنى الرهن كالشتمه بمعنى الشتم كأنه قيل: كل نفس بما كسبت رهينة، يعني كل نفس رهن بكسبها عند الله غير منفك عنها.

### ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ (٣٩)

﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المدثر: 39] فإنهم فكوا عن رقابهم ما أطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق. وعن علي رضي الله عنه أنه فسر أصحاب اليمين بالأطفال لأنهم لا أعمال لهم يرهنون بها. وعن ابن عباس: هم الملائكة.

### ﴿فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٤٠) عَنِ الْمَجْرِمِينَ﴾ (٤١)

﴿فِي جَنَّتٍ﴾ [المدثر: 40] لا يمكن وصفها وذلك أن أصحاب اليمين لا يحاسبون ولا يرتهنون بعضهم لكن يغفر لهم ويتجاوز عنهم كما وعدهم. عن جعفر بن محمد الباقر رضي الله عنه قال: نحن وشيعتنا أصحاب اليمين.

﴿يَسَاءَ لُونُ﴾ [المدثر: 40] ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [المدثر: 41] أو يسأل بعضهم عنهم أو يساءلون غيرهم عنهم. قال بعض أصحاب اليمين هم المؤمنون الذين حاسبوا نفوسهم وراضوا رياضة مناسبة معتدلة قد قتلهم الله لحسابهم مخالفة النفس ومن قتلته فأنا ديته وهم أولياء الله الذين خرجوا من ظلمات عالم الطبيعة والمرتبة الشيطانية والسبعية والبهيمية ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: 257]، ﴿الْآيَاتِ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62]، ﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس: 64].

قيل: كل نفس مأخوذة بكسبها من خير أو شر أو نفع أو ضرر إلا من اعتمد الفضل والرحمة دون الكسب والخلفة، وكل من اعتمد على الكسب فهو رهين به.

قيل: نفس رهينة. وقال: أين المفر من القدر، وكيف القدر على الخطر.

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ [المدثر: 42] أي شيء أدخلكم في النار؟

﴿قَالُوا لَوْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ ﴿٤٣﴾

فأجابوهم: ﴿قَالُوا لَوْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: 43] الصلاة المكتوبة المقطرة الواجبة.

﴿وَلَوْ نَكُ نُطْعِمُ الْمَسْكِينِ﴾ ﴿٤٤﴾

﴿وَلَوْ نَكُ نُطْعِمُ الْمَسْكِينِ﴾ [المدثر: 44] على سبيل الوجوب وذلك واجب على أهل الوبر حق الضيافة للساثلين، لا على أهل المدر إلا من سأل وقت الاضطرار فإنه في هذه الحالة يجب عليه طعامه، وفيه دليل على أن الكافي مكلف بالفروع والأصول، وأن الضيافة أمر واجب على الكل.

﴿وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ ﴿٤٥﴾

﴿وَكُنَّا نَحُوضُ﴾ في الدنيا ونشرع في الأباطيل ﴿مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [المدثر: 45] المسارعين فيها.

﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [المدثر: 46] في النشأة الأولى والنشأة الأخرى، وكون إنكاره وجحده كافيًا في دخول النار، وأن الصلاة وإطعام الطعام بإنكار الآخرة غير نافع.

﴿حَتَّىٰ أَتْنَا اليَقِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿حَتَّىٰ أَتْنَا اليَقِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [المدثر: 47] يعني أن تكذيبهم يستمر إلى الموت الذي يحصل العلم بما أنكروا واليقين بحقيقة ما جحدوا واستنكروا.

﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: 48] لو شفَعُوا لهم جميعًا لتفريقه وتضييعه ما هو المقصود بالذات وهو الإيمان بالله لأن صدق القضية السالبة لأمرين: إما لانتفاء النسبة الحكمية وعدمها، وإما لانتفاء الموضوع وعدمه وهو الشفاعة، فالعرض إما انتفاء الانتفاع أو عدم الشفاعة وانتفائه.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المدثر: 49] أي ما من شأنهم وطبيعتهم أن يعرضوا عن القرآن وعن العمل بمقتضاه وأحكامه.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾

كانوا ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ﴾ جمع حمار ﴿مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ [المدثر: 50].

﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾

﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ [المدثر: 51] الاستنفار وهو شديد النفار، والقسورة

اسم جماعة الرّماة الذين يتصدونها، وقيل هي الأسد، يقال: ليوث قساور، وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة شبههم في إعراضهم ونفارهم عن استماع الحق والذكر والقرآن والموعظة بالحرر نافرة فرت من الأسد.



﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنتَشَرَةً﴾ ﴿٥٢﴾

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ من كل واحد من أعيانهم ﴿أَنْ يُؤْتَىٰ﴾ أي يعطى ﴿صُحُفًا مُّنتَشَرَةً﴾ [المدثر: 52] أي قراطيس منتشرة وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: لن نتبعك حتى تأتي لنا كتابًا خاصًا .

﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ ﴿٥٣﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع عن اقتراحهم وطلبهم الآيات ثم ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ [المدثر: 53] أصلها بل فأدغمت اللام في اللام، و(بل) للإضراب للترقي يعني بل لا يخافون عذاب الآخرة وعقابه ولهذا أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إتيان الصحف بل للمال عنادهم ومكابرتهم .

﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾ ﴿٥٤﴾

ثم ردعهم عن إعراضهم عن التذكرة وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿تَذَكَّرٌ﴾ [المدثر: 54] بليغة كافية منهم أمرها في الكفاية .

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ ﴿٥٥﴾

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ [المدثر: 55] أي أن يذكره ذكره .

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَىٰ وَأَهْلُ الْغَفْرِ﴾ ﴿٥٦﴾

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ ذكرهم ومشيتهم لقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ وهو تصريح بأن فعل العبد هو مشيئته ﴿هُوَ أَهْلُ الْقُوَىٰ﴾ إن الله عزَّ وجل حقيق بأن محمدًا ﷺ يحذره ويتقي عذابه ويحذر ويخاف ويحتذر عن عقابه ﴿وَأَهْلُ الْغَفْرِ﴾ [المدثر: 56] حري بأنه يغفر لعباده سيما المتقين منهم . عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (المدثر) أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذبه بمكة» صدق رسول الله ﷺ .



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي رتب الأدوار النورية وركب الأكوار الظلية على وجه لو انقضت مدة طرحه كل دورة منها وانتهضت عند انتهائها وانتقلت الفردارية منها إلى الكورة الظلية الضمنية ظهرت الساعة، ثم قامت القيامة العظمى في الدورة العظمى والقيامة الكبرى في الدورة الكبرى، والقيامة الوسطى في الدورة الوسطى، والقيامة الصغرى في الدورة الصغرى ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أخرج الأكوان الظلية التي كانت في فردارية النور ضمنية صريحًا وجعل أحكامها ظاهرًا صريحًا وباهرًا نصيحًا ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي أدار حقيقة النفس من مرتبة الأمانة واللّوامة والملهمة إلى النفس المطمئنة وجعلها بصيرة على نفسها في إدراكها وقدمها لتكون إلى وجهه يومئذ ناظرة ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [الْقِيَامَةِ: 23] بلا افتراق ﴿وَالْفَتَى السَّائِئُ بِالسَّائِئِ ﴿٢٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسْأُفُ﴾ [الْقِيَامَةِ: 29، 30].

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾

﴿لَا أُقْسِمُ﴾ [الْقِيَامَةِ: 1] إدخال أداة النفي على فعل القسم للتأكيد الشائع وللتأييد لما ارتضاه اليمين أمر دافع مدخول لا محذوف، أي لا يكون الأمر على ما توهم المشركون، أقسم بيوم القيامة بالنفس اللوامة وإنما أقسم بها إشعارًا بأن القيامة على ضربين: آفاقي ونفسي، أما الآفاقي فظاهر إما إجمالي أو حالي، أما الجمالي فهو ضربان: إفرادي وجمعي.

وأما الإفرادي فهو على أربعة أنواع: عظمى وكبرى ووسطى وصغرى، فهي

التي تظهر في الدورة العظمى بعد انقضاء نوبة فردارية تربية الأعيان المندرجة تحتها وانتهاء مدة تربيتها وهي ثلاثمائة وستون ألف سنة من أيام مرتبة دورتها ومقدار مرتبة دورتها خمسون ألف سنة، وكبرى: وهي قيامة دورة كبرى ووسطى للدورة الوسطى والصغرى للصغرى، ومقدار كل دورة ثلاثمائة وستون ألف، والتفاوت إنما هو في مقدار يوم، فإن مقدار يوم الدورة الصغرى أربعة وعشرون ساعة، ومقدار يوم الدورة الوسطى مائة سنة، ومقدار يوم الدورة الكبرى ألف سنة، ومقدار يوم الدورة العظمى خمسون ألف سنة.

أما القيامة النفسية فهي أيضًا أربعة أقسام بعدد مراتب النفس، وهي: الأمارية واللّوامية والملهمة والمطمئنة، فإن السالك إذا ماتت نفسه الأمارية فعلى مقتضى الحديث: «من مات فقد قامت قيامته» حصل له قيامة، وإذا انتقل إلى النفس اللوامة فقد حصل له قيامة ثانية، وإذا انتقل من اللوامة إلى الملهمة وماتت الملهمة فقد تظهر لها قيامة ثالثة وعند موته عن الطور النفسي المطمئنة قامت لها قيامة رابعة، وإذا انتقلت من الطور القلبي إلى الطور النفسي وماتت بأموال أربعة اختيارية وخرجت عن مواطن أطوارها الأربعة بالإرادة وانتقلت إلى الطور القلبي والدور الغيبي حصل لها حالة جامعة وبرزخية مؤلفة من الترقى عن ظواهر النفس إلى أنوار حضائر القدس من غير انسلاخ عن الأطوار النفسية، وإذا استوفت خصائصها ولم يبق لها حالة منتظرة واستصعدت من المراتب النفسية إلى المرتبة القلبية والحقيقة البرزخية الجامعة لمدار الحس ومسالك أدوار النفس، واستعدت لأن تبلغ إلى الطور السري الذي هو موطن شهود التجليات الإلهية فحينئذ يظهر لها أربع قيامات أخرى: سرية وروحية وعقلية وذاتية، وأربع تجليات: آثارية وأفعالية وأسمائية وذاتية، وبإزاء كل تجلي إلهي تقوم قيامة حشر ونشر ونفخ وصور وبوق ونفير. هذه القيامات كلها إجمالية تظهر في الأدوار الجمالية النورية، وإذا انتقلت الفردارية من الجمال إلى الجلال وأكواره الأربعة ظهرت قيامات أربع: جلالية آفاقية ونفسية مطابقة لقيامات الجمال كَمَا وكيفًا ﴿لَا أُقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۝ وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ ۝﴾ [القيامة: 1 - 2].

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ۝﴾

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ [القيامة: 3] إشارة إلى النوع الأول من أنواع القيامات الأربع

الآفاقية من أنواع القيامات الظاهرة في الدورة الصغرى النورية الوجودية . سأل عددي بن ربيعة عن القيامة فقال : لو عاينت ذلك اليوم ، وذلك لأن حقيقة الإنسان بحسب بعدها عن المبدأ الأول والفطرة العليا صارت عليها جهالة وغفلة وكسالة فصارت أجنبية بعيدة عن الحق والحقائق ، عنيدة عن قبوله ، وقد ترتقي من هذه المرتبة إلى مرتبة النفس اللوامة فتنبه عن سنة الغفلة وتنبه من نوم الجهلة ، فتلوم نفسها على مخالفة حكم الله وعدم قبوله ، وقد تعارض الأمانة اللوامة وتناقضها وتصرفها عن مقتضاها فتصير حيارى وتأبدت من الله تأبيدات إلهية وتؤكد تأكيدات ربانية ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس : 8] فتقواها تقوية قوية والنفس في وقت كافرة وفي وقت مؤمنة وفي وقت موافقة وفي وقت مطيعة وعاصية ﴿ أَلَنْ يَجْعَ عِظَامُهُ ﴾ [القيامة : 3] الرميمة المتفرقة أي لسنا بقادرين على جمع العظام الصفات والعظام والنتام جميع الأجزاء الأصلية التي كانت كامنة في البرزخ المعادي ، ثابتة على حالها بلا زيادة ولا نقصان أبداً وأزلاً ، فالقوي القادر أقدر في بدء الحال وبداية الأمر على أن يجمعها وجعلها مخلوقاً ، كذلك يقدر على أن يجمعها ثانياً ويخلق منها مخلوقاً يكون على شاكلة ذلك المخلوق ، بل يكون نفس ذلك المخلوق من حيث النوع والهيئة والشكل لا من حيث الشخص والشخص المعين ، بل هذا بون ، إن اجتماعها سابقاً كان بلا مادة واجتماعها لاحقاً كان مع المادة ، فكان اجتماع الأجزاء وترتيبها وجمعها وتركيبها مع وجود المادة فجمعها ثانياً لاحقاً أسهل ، ولو امتنع لزم الترجيح بلا مرجح .

﴿ بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَيَّ أَنْ سُؤِيَ بَنَانُهُ ﴾

﴿ بَلَىٰ ﴾ نقدر على جمعها حال كوننا ﴿ قَدَرِينَ عَلَيَّ أَنْ سُؤِيَ بَنَانُهُ ﴾ [القيامة : 4] بعد ليونة اليد والأصابع وسائر الأعضاء والعظام الصغار والعظام من البنان والسسميات والسلاميات والعصبات والدعامات والفقرات المجنحة وأضلاع الخلف والوركين والعصص وغير ذلك .

﴿ بَلَىٰ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾

﴿ بَلَىٰ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ ﴾ عطف على أيحسب ، فيجوز أن يكون استفهاماً وأن يكون إيجاباً لجواز أن يكون الإضراب عن المستفهم عنه وعن الاستفهام ﴿ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ [القيامة : 5] أي ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان .

### ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الْقِيَامَةُ: 6] يسأل متعنت ومستبعد ومستهزئ أي يقع السؤال بأن متى تقوم القيامة وإنما ترك الفاعل إشعاراً بأنه لا يتعين لهذا السؤال فاعل دون فاعل ووقت دون وقت، بل هذا السؤال إنما يكون من أكثر الناس في أغلب الأوقات (يوم) مبتدأ، و(أيان) ظرف مقدم خبره.

### ﴿فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ﴾

﴿فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ﴾ [الْقِيَامَةُ: 7] أي تحير فرعاً من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش وانتهض نظره.

### ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾

﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾ [الْقِيَامَةُ: 8] وذهب ضوءه ونوره من غير مقابلة بالشمس في إحدى العقدتين والجوهرتين الرأس والذنب.

### ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [الْقِيَامَةُ: 9] بأمر الله وبتقديره لدى ذهاب ضوءهما ونورهما عند انتهاء الدورة الترايبية في الدورة المضئية وذلك لانتظار سماء كل دور من الأدوار الأربعة النورية واشتقاقها وآيتها وكواكبها، فيجمع الكواكب بعضها ببعض وتنتقل الفردارية من دورة إلى دورة أخرى ضمنية فيتبدل المشرق والمغرب، ويتبدل فوق والتحت، إذ اقتضاء الدورة على عكس الدورة الصريحة كما علمت أن سماء الكورة الجلالية تحت وأرضها فوق ﴿يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48] وكذا تتبدل سائر الجهات.

### ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ﴾

﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ في هذه الحالة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي في يوم الجلال الذي جهاته غير جهات الجمال ﴿أَيْنَ الْمَفْرُ﴾ [الْقِيَامَةُ: 10] وهذه الحالة آفاقية ونفسية، أما النفسية فهي التي لا يرتاب فيها من له قدم رامح وقدم ناسخ للمعادات، وما منح الاعتقادات وكانت بأحسن الأنفس تطابق الآفاق لأنها حاله ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي﴾

الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴿٥٣﴾ [فُضِّلَتْ: 53] فحينئذ لا بد وأن تكون القيامات في الآفاق على وجه يشاهد في الأنفس لأرباب الشهود الواثقين بعد التحقق بالله وبأسمائه وصفاته .

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ ﴿٥٤﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع ومنع للفرار ﴿لَا وَزَرَ﴾ [الْقِيَامَةُ: 11] وملجأ ومعين ومنجأ من الوزر وهو الثقل .

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ ﴿٥٥﴾

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ [الْقِيَامَةُ: 12] أي ليس الممر والالتجاء والمفر إلا إلى ربك، وكذا المقر والمعاد المستقر إنما هو الله لإحاطة سلطانه وإحاطة مقتضى برهانه الكل لا يشهد شيء من عمله لا من الأعيان والأفعال ولا من الأكوان والأحوال، فإن كانت الأعيان والأحوال سعدًا طيبًا تجلى الحق لها بصور أفعالها الحسنة بالجنة، وإن كانت الأعيان سيئة والأفعال قبيحة أظهر الله لهم بصورة النار التي هي صور الأعمال القبيحة . قال النبي ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ صُورِ أَعْمَالِهِمْ»، وقال ﷺ أيضًا: «إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ عَلَيْكُمْ» .

﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ ﴿٥٦﴾

﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ﴾ يخبر الإنسان يوم القيامة ﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [الْقِيَامَةُ: 13] من الأعمال البدنية والأفعال النفسانية والأحوال الروحانية من الإدراكات والأفعال والحركات والسكنات والأقوال اللسانية، فلأن لكل منها في ذلك صورة حسنة وهيئة مليحة تتمثل فيه تلك الأفعال والأحوال بصور حسنة وأشكال قبيحة مهلكة .

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ ﴿٥٧﴾

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [الْقِيَامَةُ: 14] مطلعة واقفة ويدركها إدراك البصر المبصرات وأحوالها وإشعار بأن علم الجرمات بنفسها إنما هو علم حضوري وإدراك شهودي لا حصولي وخطوري، فإنه هو العلم والمثل والمثال ولذا فُسر تارة بتمثل حقيقة الشيء عند المدرك يشاهدها بما به يدرك، وأخرى بحصول صورة الشيء عند المدرك، والذي يشملها هو صفة توجب التميز لا تحتل النقيض .

﴿وَلَوْ أَلْفَىٰ مَعَاذِيرُهُ﴾ (١٥)

﴿وَلَوْ أَلْفَىٰ مَعَاذِيرُهُ﴾ [القيامة: 15] ولو جاء بكل ما يمكن أن يعتذر به، جمع معذار بمعنى العذر، أو جمع معذرة على غير القياس كالمنكر والمنكر والقياس معاذر تأكيد لقوله: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: 14] يعني أن الإنسان لكمال توجهه إلى الاطلاع بنفسه لا يغفل عن نفسه حين الغاية المعذرة.

﴿لَا تَحْرُكَ بِهِ لِسَانِكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦)

﴿لَا تَحْرُكَ بِهِ لِسَانِكَ﴾ يا محمد، أي لا تحرك لسانك بالقرآن وتلاوته قبل أداء الوحي ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: 16] أي لتأخذه على عجلة مخافة فوت أو تقلب.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧)

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ وحفظه وضبطه في صحيفة صدرك ثم في صحيفة سرك وفؤادك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: 17] أي قراءته وإتيان صورته وهيئاته في لسانك، تعليل للنهي. وإنما أخرج اللسان إشعاراً بأن القرآن أولاً يشعشع نوره على القلب والصدر ثم يسري إلى اللسان.

﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَعَقُرْآنَهُ﴾ (١٨)

﴿فَإِذَا قَرَأَهُ﴾ بلسان جبرائيل على فؤادك وسرك ثم على لسانك ﴿فَأَنبَعَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: 18] وإنما كرر إشارة إلى الإنفار لا بد وأن يقيد بقيد التكرار.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩)

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: 19] ومراده وتفصيل إشاراتهِ وتحصيل رموزاته ومجملاته من الأحكام والحدود من الحلال والحرام.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ (٢٠)

﴿كَلَّا﴾ ردع للرسول من العجلة والإعادة أيضاً أو للإنسان من الاغترار بالعاجل وعن ترك الاختيار بالأجل وأحواله ﴿بَلْ﴾ بيان لما أجمل وتكرار الردع إشارة إلى أن الاستعجال الطبيعي يوجب النسيان ﴿تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ [القيامة: 20] أي الدنيا وحطامها، و(بل) للإضراب لا بعد الإضراب للترقي.



## ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ (٢١)

﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [الْقِيَامَةُ: 21] وحالاتها من ملاحظة الثواب ومشاهدة العقاب ومعاينة التجليات وشهود أنواع الظهورات.

## ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٢٢)

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [الْقِيَامَةُ: 22، 23] النصرة هي الطراوة والحسن والبهاء التي تحصل من النظر إلى الله ومن مشاهدة جماله تُعرف في وجوههم نصرة النعيم «نَصَّرَ اللهُ امْرَأًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها» الحديث. قال ابن عباس: المرء ينظر إلى ربه عيانًا. قال رسول الله ﷺ: «يتجلى لنا ربنا حتى ننظر إلى وجهه فنخر له سجدًا فيقول الله: ارفعوا رؤوسكم فليس هذا يوم عبادة»، قد خصص الله تعالى تحصيلها بالدنيا لا مطلق العبادة إذ العبدية لا ترتفع عن العبد أصلًا لا في الدنيا ولا في الآخرة، والعبادة لازمة للعبد لا ترتفع عنه أصلًا لا في الدنيا ولا في الآخرة وإنما يرتفع عنه عبادة كانت وسيلة للآخرة، هذا والذي ذكره حال السعداء.

## ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ (٢٤)

وأما حال الأشقياء فإليها أشار بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ [الْقِيَامَةُ: 24] شديدة العبوس والتألم بلف من البأس لكنه غالب في الشجاع إذا اشتد كبح وجهه عبوسه.

## ﴿تَنْظُرُونَ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (٢٥)

﴿تَنْظُرُونَ﴾ أي تتوقع ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا﴾ أي بالوجوه وأصحابها من الفظاعة والقبح والشناعة ﴿فَاقِرَةٌ﴾ [الْقِيَامَةُ: 25] داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناظرة أن يفعل بها التوجه إلى لقاء الله ومشاهدة وجهه ونقائه.

## ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ (٢٦)

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ﴾ النفس والروح ﴿التَّرَاقِيَ﴾ [الْقِيَامَةُ: 26] إلى الصدر والترقوة من عظم وقع في الصدر متصل بالحنجرة كالحلقوم، والضمير في (بلغت) عائد إلى النفس لتقدم ذكرها في المعنى.

## ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾

﴿ وَقِيلَ ﴾ أي تقول الملائكة بعضها لبعض ﴿ مَنْ رَاقٍ ﴾ [القيامة: 27] أي من يرقى ويجعل نفس العبد مترقية إلى الرقوة لملائكة العذاب أم ملائكة الرحمة .

## ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾

﴿ وَظَنَّ ﴾ أي المحتضر على الموت ﴿ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ [القيامة: 28] أي تيقن المشرف والمحتضر أن هذا اليوم هو يوم فرقة النفس والروح عن البدن إلا أنه لشدة العاجلة وحطامها كان يطمع بالحياة وطولها .

## ﴿ وَاللَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴾

﴿ وَاللَّفَّتِ السَّاقُ ﴾ واجتمعت ﴿ بِالسَّاقِ ﴾ [القيامة: 29] أي اختلطت الدنيا بالآخرة ، أو أمر الدنيا بأمر الآخرة إذ هذا اليوم أول يوم الآخرة وآخر يوم الدنيا ، أو عمل الدنيا بعمل الآخرة لاتحادهما في اليوم وإشراكهما فيه . قيل : هذا الحال إنما يظهر في الكفر أو في البرزخ كعذاب القبر والسؤال فيه ، فإنه إنما يكون فيه بالنسبة إلى البدن المثالي والجسد المكتسب لا يظهر للشخص في منامه حالات غريبة في حضور جماعة وهم لا يحسون ولا يدركون إلا السكون ، أو عند الموت ونزع الروح عن البدن فإن في هذه الحالة تلتف الساق بالساق لشدة الأمر فإن الأمر إذا اشتد على النائم تلتف الساق بالساق ظناً به عن الخلاص من أوامر الروح بأمر البدن وعمله بعمله أو شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة ، على أن الساق مثل في الشدة .

## ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي يرجع الأمر بعد هذا إلى ربك ﴿ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ [القيامة: 30] أي سوقه إليه وتأول حكمه لديه .

## ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾

﴿ فَلَا صَدَقَ ﴾ الشخص المنكر الرسول أو القرآن ﴿ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ [القيامة: 31] الصلاة المكتوبة ، نزلت في أبي جهل ، والضمير راجع إلى الإنسان والشخص المعهود .

﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (٣٢)

﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (الْقِيَامَةُ: 32) أي كذب الرسول والقرآن وتولى أي أعرض عنه واما جاء به عنادًا واستكبارًا ولذا صرح بما يفهم ضمناً .

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ (٣٣)

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ (الْقِيَامَةُ: 33) ويتمدد ويتبختر ويتفاخر، والتمطي هو حالة تعرض للإنسان عند الانتباه عن النوم قبل عودة الحمى أو عروضاها . قال النبي ﷺ: «إذا مشيت أمتي المطيطا وخدمتهم الروم والفرس» أي متبخترًا «سلط بعضهم على بعض» .

﴿أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ (٣٤)

﴿أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ (الْقِيَامَةُ: 34) أي ويل لك يا أبا جهل .

﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ (٣٥)

﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ (الْقِيَامَةُ: 35) أي يوم شديد، أي يوم يعاد الويل لك واحدة بعد أخرى، فالتكرار مشعر بكثرة الويل وبنوعها .

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٣٦)

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ﴾ ويمهل ﴿سُدًى﴾ (الْقِيَامَةُ: 36) أي مهملاً وممهلاً من غير أن يأمر بأمر من التكاليف الشرعية والتعاريف الوضعية من الإيمان والمعرفة والفروع المرعية من الصلاة والزكاة والحج والجهاد كما تهمل الإبل بلا راع ومصالح وساع .

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّيِّ يُمْنَىٰ﴾ (٣٧)

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً﴾ أي ألم يكن الإنسان في بداية الخلقة مناً حقيراً وهو النطفة ﴿مِّن مَّيِّ﴾ أي لأجل المني والنمو والتولد والتوالد التي يلزم النشوء والنماء ﴿يُمْنَىٰ﴾ (الْقِيَامَةُ: 37) من النماء وهو التزايد في الأقطار الثلاثة على ما تقتضيه الطبيعة .

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ (٣٨)

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً﴾ (الْقِيَامَةُ: 38) بعد النطفة وعلوقها بالرحم واستحالتها علقه وماء

جامدًا ﴿فَعَلَّقَ فُسُوءِي﴾ [الْقِيَامَةُ: 38] أي عدَّل أجزاء الإنسان بعد تقسيمها على الأجزاء الأصلية وهي القلب، ومن أول ما يتكون من الأجزاء الرشيدة الأصلية بصورة نطفة ثم تحركت هذه النطفة يمينًا ظهرت نطفة الكبد ويسارًا حصلت نطفة الطحال ثم تصاعدت إلى فوق وتكونت نطفة هي مادة الدماغ، ثم ظهرت العظام من الصغار والعظام والأعصاب والعروق وإذا صارت مضغَّةً وهي دم جامد تصير لحمًا يكسوها العظام، ثم بعد استكمال أجزاء البنية والبدن في يده أربعة أشهر وعشرًا تعلق الروح والنفس بالبدن فيتحرك في بطن أمه فجعل منه - أي بدن الإنسان المسوى - الزوجين .

﴿جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ ﴿٣٩﴾

﴿جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [الْقِيَامَةُ: 39] أي القوة الفاعلية والقابلية إما بدلان من الزوجين أو منصوب على المدح .

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ ﴿٤٠﴾

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾ الصانع القاهر بهذه القدرة الكاملة والقوة الشاملة الفاضلة ﴿بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [الْقِيَامَةُ: 40] مع كونه أهون من الإبداء في المحشر العظمى والنشأة الأخرى . روي عن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأها قال: «بلى» تصديقًا للاستفهام . وقال أيضًا: «من قرأ سورة (القيامة) شهدت له أنا وجبرئيل يوم القيامة أنه كان مؤمنًا بيوم القيامة» صدق رسول الله ﷺ .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي خلق الإنسان من نطفة أمشاج بعد أن خلقه من أسطقسات أولية بجمع وتركيب وامتزاج وترتيب ﴿الْخَمْرِ﴾ الذي أطعمهم أطعمة العلوم الفطرية في النشأة الأولى في صحارى الدورة العظمى، وأشربهم شراب المحبة الذاتية والخمرة الإلهية من دنّ الأحذية وراقود الواحدية الجمعية، مزاجه كافور نابع من أعين سرت به عباد إليه يفجرونها تفجيراً ليعتد لهم برداً يقيناً ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي أسكر بحبور التجليات الذاتية وشراب الطهور الشهودي في خمر الشهود الذاتي لئلا يشاهدوا في النشأة العنصرية غيراً سواه.

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾

﴿هَلْ أَتَى عَلَى﴾ حقيقة ﴿الْإِنْسَانِ﴾ في ذاته الظاهرة بالتجلي الذاتي والظهور الأحدي في دورة العظمى الذاتية أو ماهية العلمية في التنزلات وآخرها في الترقيات وعينته الثابتة النابتة في أحد جمعية تلك الدورة التي هي بدايتها ﴿حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ حصّة من الوقت الذي هو امتداد الحضرة الربوبية في بداية الدورة الكبرى، فإن بداية كل دورة حالة إجمالية أحدية وهيئة واحدية تكون أعيان تلك الدورة مجردة عن العوارض المشخصة وعن الهويات الشخصية واللواحق المادية في هذه الحضرة ولا يتعين فيها جنس ولا نوع ولا صنف ولا شخص، هل ههنا وفي ﴿هَلْ أَتَىكَ حَدِيثُ الْعُلَيْيَةِ﴾ [الغاشية: 1] بمعنى قد للتحقيق، وقد يجيء بمعنى الجحد بقدر، وهل يقدر واحد على مثل هذا.

وأما ما يجيء بمعنى الاستفهام فظاهر، والإنسان هو آدم عليه السلام بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [الإنسان: 2]، ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ آدم في ذلك الوقت ﴿شَيْئًا﴾ ثابتًا وموجودًا ﴿مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: 1] ظاهرًا ومبدئًا في الخارج والعين إشارة إلى أن كل عين وموجود في اللفظ والكتابة ووجود في الذهن ووجود في الخارج ولنفس الأمر والوجود اللفظي هو الوجود العيني أي لم يكن لحقيقة الإنسان في الأدوار والأحوار كثرة تنوع أطوارها وأدوارها في مراتب الإجمال والتفصيل.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبَّتْ لِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ وعين حقيقتها مبتدأ ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أي نقطة ومادة إجمالية فيها أجزاء مختلفة الصور ﴿أَمْشَاجٍ﴾ مختلط، جمع مشيج وهو الخلط والاختلاط إشعارًا بأن بداية كل دورة هي آدم أي المخلوق الأول في كل دورة آدم ثم بذريعة خلق سائر المخلوقات من الأملاك والأرواح والنفوس والأفلاك والأهرمينات والأغوال والشياطين والأبالسة والجان. قال النبي ﷺ: «أول ما خلق الله نوري وأنا وعلي من نور واحد».

ثم بعد استكمال المراتب خلق الله آدم في آخر كل دورة من نطفة جمعية أعيان تمام المراتب ونقطة إجمالية الكل وحقيقة معينة القوة الفاعلية والقابلية، فإن نطفة حقيقة الإنسان ونقطة مادة وجوده محتوية على أطوار كثيرة وأنوار غفيرة وأسرار كبيرة فهي في الجمعية آدم كل الأنواع والأجناس ولذا قيل: باب الأبواب آدم، وأن النفوس الفلكية هي مستنسخات نفوس الإنسان واتصفت النطفة بالجمع.

﴿نَبَّتْ لِيهِ﴾ [الإنسان: 2] حال من خلقنا أي مبتلين مرتدين ببلاء وناقلين له من مرتبة إلى مرتبة ومن دورة ومن طور إلى طور ومن حال إلى حال، فسمي ذلك ابتلاءً على طريقة الاستعارة وذلك يتكون أولاً في أطوار مقتضيات المراتب إلى أن وصلت إلى أصلاب فاعلية الآباء ومنها إلى رحم أمهات القابلية لأن الله تعالى ابتلاه بتسعة أمشاج: بلية مفتنات، وثلاث كافرات، وثلاث مؤمنات، أما العينات فسمعه وبصره ولسانه ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ [الإسراء: 36] الذي جعل اللسان عليه دليلاً ﴿كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36].

وأما الثلاث الكافرات فنفسه وهويته وشيطانه، وأما الثلاث المؤمنات فعقله

وروحه وملكه الذي وكَّله الله تعالى عليه وأيده بالتوفيق والمعونة، فعزَّ العقل إلى القلب مملكة واستأنست النفس واستأثرها واستبعدها وقيدتها بالهوى فلم يجد إلى الحركة سبيلاً وقلدها للزوج فجانست النفس الروح وتأسَّت الهوى والهوس وهوت إلى القلب وهاجرت إلى حبيب الغيب، فرت عن الغيب، ونفرت عن الشك والريب، واستعلت كلمة الله ﴿وَقَلِيلُهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 193]، ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا﴾ يسمع من الهدايات كتابه وبينات خطابه ﴿بَصِيرًا﴾ [الإنسان: 2] لآيات كمال صنعه ومشاهدًا لباهرات تمام لطفه وكرمه في الآفاق والأنفس.

### ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (3)

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ [الإنسان: 3] في الآفاق والأنفس في الأدوار والأحوار في أسمائه وصفاته وشهود أنواع تجلياته بعد استيفاء صنوف المجاهدات وانخراطه في مسالك صفوف أرباب المشاهدات ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: 69]، ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ لأنعمه الظاهرة ومنحه الباطنة ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3] لنعم الله وعطيته بالإعراض عن شهودياته بطريقة مانعة الجمع هما حالان من المفعول ومنصوبان بالمحذوف، أي ليكون إما شاكراً وإما كفوراً أي لتمييز كفره من شكره وطاعته، أو على تأويلات قد نصحت لك إن شئت فاقبل وإن شئت فأعرض.

### ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلََّا وَسْعِيرًا﴾ (4)

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا﴾ ينقادون بها ويتقيدون فيها ﴿وَأَغْلَلََّا وَسْعِيرًا﴾ [الإنسان: 4] ويلقون فيها ويحرقون بناها أحقاباً ودهوراً لتحصيل أحوال الأعيان المذكورة لأهل الشقاوة والذين منعوا عروض أعمارهم وفوتوا نصوص مقتضيات أدوارهم.

### ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ (5)

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ جمع بر وبار ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ معرب لكأس وهو قرح فيها خمر مملوءة بها ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ وكيفيتها ﴿كَافُورًا﴾ [الإنسان: 5] أي خاصيتها أي تكون تلك الخمر بحسب الكيفية والخاصية كالكافور أو في إفادته برد اليقين

للقلب وتقويته مثله، فإن الكافور من الأدوية القلبية ومن أشرف خصائصه أنه يحفظ الجسم الطري عن التعفن وهو نوعان: ميت ففائدته قليلة وهو ما اشتهر بين الناس من أنه يكثر الشهوة ويخفف المني. والنوع الثاني يقال له: حوداته وهو دواء يقوي القلب ويحفظ الصحة ويقوي الباه وهو الذي يروه حكماء الهند لكثرة خواصه وطيبه وعطرته ولمزاجه شرف وخاصيته لا يعلمها إلا الله، وهو كناية عما يفيد برد اليقين في علم اليقين وحق اليقين. قيل: الكافور اسم نهر في الجنة لصفائه وطيبه وسطوع رائحته.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾

﴿عَيْنًا﴾ بدل من كافور ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: 6] أي يشرب عباد الله الخمر ممزوجة كما تقول: شرب الماء بالعتل، والعباد عام يتناول المؤمن والكافر مع أن الكافور لا يشرب منه. فالمراد هو المؤمنون المعهودون إذ الإضافة إنما تفيد التعريف إذا كان المضاف معهودًا كما تقول: جاءني غلام زيد، فلا يكون المراد من لفظ العباد هو الظاهر بل المخصوصون نحو: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء: 65]، وكذا قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: 7]، ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: 6] ويخرجونها حيث سال في الجنة، ويخرجونها جريًا سهلًا لما ذكر الأبرار يريد أن يذكر أعمالهم التي يستحقون بها الثواب ويستحقون بها الجنة وحسن المآب، وهي:

﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ نَجَّوْنَهُمْ مَا ظَهَرَ مِنْهُمْ وَيَكْفُرُونَ بِالَّذِينَ نَجَّوْنَهُمْ مَا خَفِيَ مِنْهُمْ﴾

﴿يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ﴾ ويؤدون ما فرضوا على نفوسهم من الصلاة والصوم والحج والجهاد وغير ذلك وهو أبلغ من وصفهم بالتوفري على أداء الواجبات لأن من وقى بما أوجبه على نفسه ابتغاء لمرضاة الله كان أوفى بما أوجبه الله عليه، وسمي هذا عبادة وذا عبودية ﴿وَيَكْفُرُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ﴾ شدائده وضره وعوائده ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: 7] فأنشأ شائعًا منتشرًا غاية الانتشار من استطار الخريف واستطار الفجر بمعنى طار أي ظهر كقوله: استنفر ونفر وإشعار بحسن عقيدتهم وكمال اجتنابهم.



﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْهٍ مَّسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ ﴿٨﴾

﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْهٍ ﴾ أي حب الله أو الطعام والإطعام، (على) بمعنى اللام ولا حاجة إلى هذا إذ المراد أنهم يطعمون الطعام حال كونه مترتباً على أمر يحبهم الله به وهو الإخلاص ﴿مَسْكِينًا﴾ فقيراً ﴿وَيَتِيمًا﴾ من لا أب له دون البلوغ ﴿وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: 8] يعني أسارى، فإنه كان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين الذين كان لهم شفقة على خلق الله ورأفة بهم، فيقول: أحسن إليه، والأسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون والغريم. قال النبي ﷺ: «غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك»، وإنما خص هذه الفرق الثلاثة بالإطعام لكمال عجزهم عن تحصيله والاحتياج إليه أكثر من الاحتياج إلى الناس إذ هو يتجدد بتجدد الساعات، فإن الواحد ربما ينتفع بثوب واحد في سنة واحدة بخلاف الطعام، فإن الاحتياج إليه كل يوم، وكثرة الاحتياج يوقع العبد في الاضطرار، ودعاء المضطر مقرون بالإجابة ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: 62].

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ ﴿٩﴾

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ على إرادة القول بلسان الحال أو بترجمان المقال إزاحة العوام وتوقع المكافئات المقتضية للأجر بمثله أو بالشكر لأن إحسانهم مفعول لوجه فلا معنى لمكافئات الخلق وأن يكون قولهم لهم لطفاً أو تفهماً أو تنبهاً على ما ينبغي أن يكون مخلصاً لله. وعن عائشة رضي الله عنها أنه كانت تبعث بالصدقة إلى بيت ثم يسأل الرسول ما قالوا، وإذا ذكرت لهم دعاء دعت بمثله ليقى ثواب الصدقة خالصاً لها عند الله. ويجوز أن يكون ذلك بياناً وكشفاً من اعتقادهم وصفاء نيتهم وضياء طويتهم وخلوص أمنيتهن، وإن لم تقولوا شيئاً لكن علمهم الله منهم فأننى عليهم ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً﴾ وعوداً وثواباً وقرضاً ﴿وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: 9] وهو كالكفور مصدران كالشكر والكفر.

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴾ ﴿١٠﴾

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴾ [الإنسان: 10] شديد البؤس كالذي يجمع بين عينيه من قمطرت الناقة إذا رفعت ذنبها وجمعت قمطرتها مشتق من

القطر، والميم صلة يحتمل أن يكون إحساننا إليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لإرادة مكافأتكم، وإنا لا نريد منكم المكافآت لخوف عقاب على طلب المكافآت بالصدقة، ووصف اليوم بالعبوس على طريقة أن يوصف بصفة أهله من الأشقياء كقولك: نهارك صائم. روي أن الكافر يعيش يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وأن يشبهه في شدته وحزنه بالأسد العبوس أو بالشجاع الباسل والقمطير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه.

﴿فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا﴾

﴿فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ [الإنسان: 11] بسبب خوفهم من الله ومن عقابه، قال جماعة من ثقات المقرئين: إن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال الواحدي كذلك عن ابن عباس رضي الله عنه: إن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما إن شفاهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض علي من شمعون اليهودي ثلاثة أصوع من شعير، وطحنت فاطمة صاعًا فاخبزته خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا بها، فوقف عليهم سائل، فقال: السلام يا أهل بيت محمد أطمعوني أطمعكم الله من موائد الجنة، فأثروه وباتوا ولم يذوقوا إلا الماء. فأصبحوا صائمين، فلما أمسوا وضعوا الطعام بين أيديهم ووقف عليهم يتيم، فأثروه، وجاءهم أسير في الثالثة فأثروه، فلما أصبحوا أخذ علي بيدي الحسن والحسين ودخلوا على الرسول ﷺ فلما أبصرهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما أرى بكم، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها، فنزل جبرائيل وقال: يا محمد هنالك الله في أهل بيتك، فقرأها. فعلى هذا تكون السورة مدنية، فاختلف فيها، قال بعضهم: هي كلها مدنية، وقال بعض: منها مكية. إلى قوله: ﴿وَلَا تَطْعَمْنَهُمْ أَيْنَمَا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: 24] والآخرون أن الباقي كله مدنية.

واعلم أن مجامع الطاعات مستتبع تمام العبادات راجعة إلى أمرين وهما:

التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، فأشار إلى الأول بقوله: ﴿يُؤْتُونَ بِالَّذِرِّ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: 7]، وأن الثاني: ﴿وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْهَةٍ﴾ [الإنسان: 8] إلخ. قال الإمام الرازي في تفسيره: إن الثاني ذكر في أول السورة أنه إنما خلق الخلائق للابتداء أولاً فقال: ثم بين أنه ينقسم إلى شاکر وكافر، ثم ذكر وعيد الكافر وأتبعه بوعد الشاکر بأن الأبرار يشربون إلخ، ومثل هذا لا يكون تخصيصه بالشخص الواحد لأن نظم السورة من الأول إلى الآخر للمواضع يقتضي أن يكون هذا بياناً لحال كل الأبرار والمصلين، فلو جعلته مخصوصاً بواحد بعينه لفسد النظم، وأن الموصوفين بهذه الصفات المذكورون بصيغة الجمع، فتخصيصه بجمع معينة خلاف الظاهر ولا ينكره قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيه، وهكذا يدخل كل مؤمن ومطيع فيه.

هذا وأقول: كثير من الآيات يكون مورده خاصاً وحكمه عاماً وتخصيصها بحسب المورد لا ينافي عموم حكمه، وأن نزول الآيات إنما هو بحسب الحكم والمصالح لا غير للقياس، وأن الاعتبار بعموم الحكم لا بخصوص السبب واللفظ، وأيضاً قال: إلا أن يقال: السورة إنما نزلت عند صدور طاعة مخصوصة، عند ذلك قد ثبت في أصول الفقه أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

﴿وَلَقَنَّهُمْ نَصْرَةً وَرُحْمًا﴾ [الإنسان: 11] أي أقبلهم إليه ويقبل منهم الإحسان والصدقة حال كون وجوههم ناضرة وقلوبهم مملوءة بالسرور والفرح.

﴿وَجَزَّوْهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ ﴿١٢﴾

﴿وَجَزَّوْهُمْ﴾ الله ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على أداء الواجبات والتغاضي عن السيئات وإيثار الأموال في سبيل الله ﴿جَنَّةً﴾ بستاناً هو كالجنة وهي الجنة بعينها ﴿وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: 12] مفعول ثان.

﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ ﴿١٣﴾

﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ﴾ نصبه إما على الحال أو على المديح، أو صفة الجنة من باب جري الشيء على غير ما هو له ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: 13] إن شمس الدنيا لا مطلق الشمس ولا زمهريراً برداً في العامة. قال ابن عباس رضي الله عنه: فبينما أهل الجنة في الجنة إذ رأوا أضواء كضوء الشمس وقد

أشرقت الجنان بها، فيقول أهل الجنة: يا رضوان قال ربنا: ﴿لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: 13] فما هذا الضوء؟ فيقول الرضوان: ليست هذه شمس ولا قمر ولكن هذه فاطمة وعلي قد ضحكا وأشرقت الجنان من نور ضحكهما، وفيهما قد أنزل الله عز وجل: ﴿هَلْ أُنِى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [الإنسان: 1] إلى قوله: ﴿وَلَا تُطْعَمُهُمْ إِثْمًا أَوْ كُفُورًا﴾ [الإنسان: 24].

### ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ [14]

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ﴾ أي قريبة منهم ﴿ظِلَالُهَا﴾ أي ظلال أشجارها، عطف على متكئين أو على يرون، أو نصب على المدح ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا﴾ أي سخرت وقربت وقرنت أثمارها ﴿نَذِيلًا﴾ [الإنسان: 14] تقريبًا بحيث يتمكنون من حبتها وأكلها قيامًا وقعودًا واضطجاعًا كيف شاؤوا أو على أي حال وهيئة كانوا. عن مجاهد: أن أرض الجنة من ورق وترابها وأصول شجرها ذهب مورق أقبابها لؤلؤ وزبرجد وياقوت.

### ﴿وَبُطَافٍ عَلَيْهِمْ بِأَيَّةٍ مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ [15]

﴿وَبُطَافٍ عَلَيْهِمْ بِأَيَّةٍ﴾ ويدرار على أهل الجنة بأنية ﴿مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ وأباريق بلا عروة ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ [الإنسان: 15].  
﴿قَوَارِيرًا﴾ جمع قارورة وهي إناء الشرب من الزجاجة يعني جوهرها من فضة وصفائها صفاء الزجاج وشفافها وبياضها شفاف الفضة وبياضها.

### ﴿قَوَارِيرًا مِّنْ فَضَّةٍ قَدْرُهَا نَقِيرًا﴾ [16]

﴿قَوَارِيرًا مِّنْ فَضَّةٍ قَدْرُهَا نَقِيرًا﴾ [الإنسان: 16] وأي قدرها أي الآنية والقوارير وخمرها في أنفسهم أن يكون على مقادير وأشكال وألوان ذات طعم مخصوص على رأيهم وشهواتهم، وقدر الطائفون بها المدلول عليهم على قدر ريهم وعطشهم وجوعهم فجاءت على حسبها بلا زيادة ولا نقصان.

### ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ [17]

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا﴾ أي في الجنة ﴿كَأْسًا﴾ أي يعطى كأسًا ليبقى خمرا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ [الإنسان: 17] أي شراب يكون مزاجها وطعمها كمزاج الزنجبيل وطعمه،

فإن العرب يستلذون بالشراب بالزنجبيل والكافور وغير ذلك من الأقاويل .

### ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ (١٨)

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ (الإنسان : 18) عَيْنًا بدل من زنجبيلًا، يعني يمزج كأسهم بالزنجبيل أو خلق الله طعمه فيها ففي هذا عَيْنًا بدل من كأسًا، أو منصوب على الاختصاص، والسلسبيل صفة ونعت لما كان في غاية الصياغة والسلاسة والعذب جيد الجري طيب الطعم والذوق كما يقال: هذا الشراب سلس وسلسيل وسلسال. قيل: سميت به لأنها تسيل عليهم في الطريق وفي المنازل وينبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنات وشراب الجنة مزاجها ورائحتها كالكافور وكيفيته وطعمه ومذاقه كالزنجبيل وهو على نوعين: نوع منه كالكافور، والنوع الآخر كالزنجبيل في الذوق والطعم والسلاسة ورائحة المسك.

### ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾ (١٩)

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾ أي أغلمة ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ دائمون، نعت للولدان ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾ (الإنسان : 19) وإنما شبَّهوا باللؤلؤ في الحسن وشفاء اللون والنضارة والبياض. وعن المأمون: أنه ليلة زفت نوران بنت الحسن بن أسهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نثار دار الخلافة اللؤلئي فنظر إليه منظورًا على ذلك البساط، فاستحسن النظر، قال: لله درّ أبي النواس كأنه شاهد وأبصر هذا حيث يقول:

كأن صغرى وكبرى من مواقعها حصباء در على أرض من الذهب

وإنما شبَّهه باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه لأنه أحسن بها وأكثر ماءً. وإذا رأيت وإنما ترك المفعول لفظًا وتقديرًا لثلا يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير ولطائف كبيرة.

### ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ (٢٠)

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ (الإنسان : 20) واسعًا ثم في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة، ومن قال: معناه ما تم فقد أخطأ لأن (ثم) صلة لما هو لا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة. يروى أن لأدنى أهل الجنة منزلة

ينظر في ملكه مسيرة ألف سنة يرى اقتضاه وأعلاه كما يرى أدناه وأسفله بلا زوال وتغير وانتقال وإذا أراد شيئاً كان ووقع وتسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم .

﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ

شَرَابًا طَهُورًا﴾ ﴿٢١﴾

﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ﴾ [الإنسان: 21] اعلم أن العذاب الذي عبره بخضورة في أمور ثلاثة: قضاء شهوة وأجزائها على نهج المراد بلا خلاف وحذر، وتوهم شر وضرر وإمضاء يقتضي الغضب، وجمع الأموال لصيق بها الأولاد والجاه وكل ذلك مستحقر، فإن الحيوان الحسي قد يشارك الإنسان في كل واحد منها فلا بد من مميز في المعنى كما كان في الصورة ولوازمها وهو الملك الكبير الذي غير تلك الأمور الثلاثة وهو اللقاء وشهود التجليات الآثارية والأفعالية والأسماوية والذاتية والتحقق بها على ما شاهدوا في الدنيا بعد الموت الإرادي والفوت الاختياري، وأما المذكور فهو وإن كانت مشتركة بين الحيوانات والإنسان بحسب الحقيقة إلا أنها في الجنة دائمة مختارة متصفة بأنواع الصفات من اللذات الكاملة والحالات الفاضلة وسائر الصفات فإنها تتكامل حالة بعد حالة والكل في الحقيقة مظاهر آثار التجليات الآثارية وأنوارها والتجليات لا تتكرر بحسب النعت والصفة وإن كانت مشتركة في الصورة والحقيقة ومتماثلة في الهيئة والشكل ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [البقرة: 25].

وأبوابه متشابهة في اللون والشكل والهيئة، متغايرة في الكيفية والإلزام والتكرار والعبث تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: 21] معرب استعير وفي غايتهم وجوه إسكان الباء مبتدأ خبره ثياب وهو قراءة نافع وحمزة، أي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس لا يقال: المبتدأ مفرد وخبره جمع لأننا نقول: مفرد اللفظ مجموع المعنى نظير (مستكبرين به سامراً تهجرون)، والسندس ما رُق من الديباج ومعرب ديباج، والاستبرق أغلظ منه، والكل من الحرير. قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: 23]، والولدان لباسهم حرير، قيل: هذا لباس الحرير للأبرار وهم يلبسون هذا اللباس، فالذي يعلوها أفضل كما قال: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ﴾ [الإنسان: 21] إلخ، هذا من تنمة قوله: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأُرَائِكِ﴾

[الكهف: 31] فمعنى عاليهم الذي هو فوق حجابهم المضروبة عليهم ﴿وَحُلُوا﴾ زِينُوا ﴿أَسَاوِرَ﴾ وإنما أفرد تخلية البدل بالأساور ﴿مِنْ فَضَّةٍ﴾ [الإنسان: 21] وذهب إشعاراً بأن آلات الكسب والاكْتساب هي اليد والفضة كناية عن الصدق والإخلاص، والذهب والفضة عبارة عن الاعتدال الحاصل في القلب وحسن العقيدة وصفاء النية وخلوص الطوية فإشارة إلى أن الأعمال الصالحة إنما تكون بصفتين:

**إحديهما:** الصدق بأن تطابق أعمال الجوارح والأعضاء الظاهرة بما في القلب والأفعال النفسانية تطابق بالأحوال القلبية.

**والثانية:** هي إخلاص القلب واعتداله وعدالته في الأمور النفسانية والأعمال الصادرة عن النفس، وفي الإدراكات النازلة والأفياض الواردة عن الروح والعقل على القلب.

فالعبد إذا زين ظاهر بدنه بالأعمال الشرعية والأفعال الوضعية كالصلاة والزكاة والحج والجهاد ولسانه بذكر الله وتلاوة القرآن والتسبيحات والتهليلات والتحميدات والتكبيرات والتمجيدات، فإن لكل وحدة من صورته مثالية لا يظهر في معاده، فصورة تجلية ظاهر البدن بظاهر الإسلام وهو الأركان الخمسة التي هي مظاهر آثار العوالم الخمسة الظاهرة بصور المشاعر الخمسة، والباطنة هي التعينات والقصور والولدان هو معاني تلك الأركان الخمسة، ومعاني الألفاظ التي هي النية المعتبرة التي لولاها لما صحت تلك الأعمال والقراءة التي فرضت فيها كما في الصلوات الخمسة التي هي آثار أنوار العوالم الخمس، ومن شكر العباد لله بإزاء هذه النعم الظاهرة والباطنة هي اللؤلؤ ومعانيها هي اللآلئ الطرية التي تخرج من صدف الألفاظ والكلمات أو المعاني التي هي البطن الثاني والثالث والرابع إلى السابع هي اللآلئ التي أشرقت وأفضل وألطف، والأنهار الأربعة هي الصورة والركعات الأربعة المفروضة، وقد تتمثل الصلوات المفروضة بالبستان الكرمية وبالمغيب وإن كان أبيض فصورة صلوات النهار وإن كان أسود فهو صلوات الليل.

وقد تتمثل الصلوات المفروضة بالفرس والغير المفروضة يتمثل بالبغل والحمار المركوبة والإبل هو صورة الإسلام والانقياد، والإيمان يتمثل بالماء الصافية وعلى هذا القياس لجميع العبادات ولتمام الطاعات والألفاظ

والعبارات وللكلام والكلمات صورة حسنة إن كانت طيبة وقيحة أو كانت خبيثة ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10] فالجنة وما فيها صورة الأعمال الصالحة والأفعال الفاتحة والأقوال الجارحة ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18]، والسعير وما فيها ترك الطاعات ورفض العبادات وفساد العقائد والكفر والشكر هو النار المحرقة المهلكة والظلمات المتهيئون للبيوت الخربة المكدره هي صورة العقائد الفاسدة والقواعد الكاسدة، والحيات هي الرياء، والعقرب هو البخل وعلى هذا القياس ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: 115]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [التوبة: 16] الآية .

﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: 21] لما بين صور الأعمال الظاهرة وخواصها اللازمة الباهرة خاض فيما هي وسيلة إليها وسبيل موصلة لديها وهي شراب التجليات الآثارية والأفعالية والأسمائية والذاتية والتوحيديات اللازمة لكل منها ولجمعيتها وهي مظهر الظاهر وهو البدن وما يتبعه من المشاعر الشاعرة العشرة والجوارح ويظهر البدن إنما يكون من لوث الكثرات وروث السيئات، ومظهر المشاعر إنما يكون مما لا ينبغي كما قال النبي ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، فإن الله تعالى وضع كلاً منهما لمعنى، فإن البدن وضع لطاعة الله وعبادته، والسمع موضوع له لسماع الكلام الإلهي الذي سمعته في مقام ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172]، والبصر قد وضعه الله لأن يطلع ويشاهد آثار التجليات الإلهية وأنوارها البصيرة قوة للقلب بمنزلة البصر للنفس في إدراك المعقولات وهي بصر للقلب يدرك بها المعاني المجردة كما أن النفس تدرك الصور المادية والمحسوسات الظاهرة والباطنة بالبصر، أما التجليات الإلهية فلا يدركها ولا يشاهدها القلب إلا بالسر ونظر الفؤاد لقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: 11] يعني أن الله عز وجل سقى شراب التجليات الإلهية عن روث الكدورات الظاهرة ولوث العقائد الباطنة، وهي التي تطهر القلب عن أنجاس ملاحظة طور الأغيار من الآثار والأفعال والأنوار، فإن القلب بيت الله وموطن توحيده سر يظهره عما سواه وهو نهاية مدارك السالكين وغاية مسالك العارفين السائرين إلى الله من الأبرار، ولذا ختم أحوالهم بها وأثر صيغة المبالغة . إن هذا



المظهر اللازم للتجلي أو هذا الوقت الذي وقع فيه الجزاء كما قال تعالى حاكياً عن الملائكة يقولون في الجنة في هذا الوقت: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: 24]، وقال: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ﴾ [الحاقة: 24] أي هذا الوقت كله لكم بأعمالكم على أنها قليلة كان لكم جزاء وجزاء على تقدير القول والقائل إما الله وإما الملائكة .

﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا﴾ ﴿٢٢﴾

﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ﴾ واجتهادكم وعملكم ﴿مَشْكُورًا﴾ [الإنسان: 22] أي مرضياً، فإن الشكر من الله هو الرضاء، فإن الأعمال الصالحة والأفعال المرضية والأقوال الصائبة نعمة من الله تعالى للعباد تستحق الجزاء بالأجر والثواب وتستوجب الشكر من الله وهو الرضاء ومن العبد هو إسناد الأفعال إلى الله وإضافتهم إياها إليه .

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الإنسان: 23] مخصوصاً، وهو المتفرق والمنجم لحكم ومصالح .

﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطْعَمْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ ﴿٢٤﴾

﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بتأخير نصرك وظفرك وغلبتك عليهم وتسخيرك إياهم وهم كفار مكة وصناديد قريش وغيرهم من الأعراب التي هي أشد كفراً ونفاقاً، فإنهم تعرضوا للرسول وللمؤمنين بالإيذاء والإهانة والاستخفاف ﴿وَلَا تَطْعَمْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: 24] أي مباشراً للإثم، وهو أبو جهل، أو كفوراً وهو مظهر الكفر جداً ومبالغة وهو أبو لبد عم أبي جهل .

﴿وَأذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿٢٥﴾

﴿وَأذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الإنسان: 25] أي داوم وواظب على ذكر الله آناء الليل وأطراف النهار أو على الصلوات في أوقات الفجر والظهر والعصر، فإن المراد هو ما بين البكر والأصيل لها .

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ ﴿٢٦﴾

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ أي من النصف الأول ﴿فَاسْجُدْ لَهُ﴾ أي صلِّ في وقت المغرب والعشاء فإن اقتران بعض الليل قرينة على أن يكون المراد هو المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: 26] أي تهجد في النصف الآخر في جوف الليل حال كون صلاة التهجد أو وقتها طويلة.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ ﴿٢٧﴾

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ الكفار المذكورين ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ والدنيا العاجلة عليهم بالإثم والعدوان وآثروها على الآخرة ﴿وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾ خلف ظهورهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: 27] شديدًا، استعير الثقل لشدته وهوله وخوفه إشعار بطوله وامتداده، ونظيره: ﴿ثَقُلْتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 187] وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه.

﴿مَنْ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ ﴿٢٨﴾

﴿مَنْ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ أي ربطهم، يقال: أسر الرجل إذا وثق وربط وهو الإسار أي أحكمنا توصيل أعضائهم بعضهم ببعض وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب والرباطات ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [الإنسان: 28] أي إذا أردنا إهلاكهم أي أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في الخلقة وشدة النظر والأثر في النشأة الثانية، ولذا جيء بإذا. وقيل معناه: بدلنا غيرهم لمن يطبع وحقه بأن دون إذا نحو: وإن تتولوا نستبدل غيركم وإن نشأ نذهبكم، إلا أن لتحقيق القوة والقدرة.

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ﴿٢٩﴾

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ الداعية إن هذه السورة أو الآيات العربية تذكرة ونصائح ومواعظ ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الإنسان: 29] وصرافًا مستقيمًا موصلًا إليه مقرَّبًا للعبادة لديه بالطاعة والعبادة بالإخلاص ليوجب نعت الاختصاص به.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٣٠)

﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ أمرًا من الأمور الدينية والديناوية ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذلك الأمر في ذلك الوقت وتخصيصه بالوقوع فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يستأهل ويستحق كل أحد منكم لكنه لا يشاء إلا ما تقتضيه حكمته وحكمه وقضاؤه وسابق مشيئته وقضية إرادته ﴿حَكِيمًا﴾ [الإنسان: 30] يحكم على مقتضى حكمته ومرضى مشيئته وحينه ووقته .

﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣١)

﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ بالهداية والتوفيق للطاعة وخصوص العقيدة بالتوجه إلى العبادة ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ﴾ منصوب بما يفسره، (أعد لهم) مثل أوعد وأنذر وكافأ ونحو ذلك ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: 31] قرئ بالرفع على الابتداء . عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (هل أتى) كان جزاؤه على الله جنَّةً وحريراً» .



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل هواء المحبة الذاتية النهائية من قضاء حضائر قدس الأنس إلى وادي مرتبة الإنس هيولى ومادة للرياح المرسلات من شرق عالم الواحدية، متتابعات ينابيع التجليات الأسماوية التي تظهر بتضاعف الإدراكات المركبة وأصلاً للعاصفات المنتشرة الناشئة من سماك عالم الأمر والملكوت، وللأزواج عنصرًا وأسطقسًا للناشرات المنشئة من صوب ريبة الأشباح ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أظهر النفس الرحمانية بصور الرياح الملحقات والسحاب المسخرات ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي صرف الرياح لأصحاب الصلاح وأرباب الفلاح ليوم الدين للجنح والنجاح.

## ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ [المُرْسَلَاتِ: 1] عبارة عن الملائكة الموكلة على تصريف الرياح وطردها يتبع بعضها بعضًا كإشعار عرق الفرس التي تتبع بعضها بعضًا، وهذه الملائكة يبعثهن الله من عالم الجبروت والعقول المجردة لينصرون الحق ويؤيدون الأنبياء ويفرقون بين الحق والباطل ويأمرون الرياح عند مقابلة العساكر والجنود لينصرون أهل الحق ويؤيد الله بهم عزهم ونصرهم سواء كانوا مؤمنين أو كافرين. قال النبي ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادَ بِالدَّبُورِ». وتدبروا لآدم وأولاده الكاملة فهم الذين أرسلهم الله إما لإيصال النعمة إلى قوم أو لإيصال النعمة إلى الآخرين. ويحتمل أن يكون مصدرًا كأنه قيل: والمرسلات إرسالًا أي

متتابعة، فعرف على الوجه الأول نصبه على الحال، وعلى الثاني يكون مفعولاً له أي أرسل للإحسان والمعروف.

### ﴿فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا﴾ (٢)

﴿فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا﴾ [المُرْسَلَات: 2] هي الملائكة التي دبرهم الله من الحيوانات، وإذا أراد الله إهلاك طائفة من الحيوانات أمرهم بنشر الرياح العاصفة الشديدة الهبوب ويدمروا ما أراد الله تدميرًا.

### ﴿وَالنَّشِيرَتِ نَشْرًا﴾ (٣)

﴿وَالنَّشِيرَتِ نَشْرًا﴾ [المُرْسَلَات: 3] هم الملائكة التي هي سكان عالم البرزخ قد وكلهم الله تعالى لتدبير عالم النبات والزرع والحشائش والأزهار والحيوانات والأشجار والأثمار والفلوات.

### ﴿فَالْفَرَقَتِ فَرَقًا﴾ (٤)

﴿فَالْفَرَقَتِ فَرَقًا﴾ [المُرْسَلَات: 4] وهم الملائكة الذين فوض الله تفريق عالم الكثرة والجمع إليهم.

### ﴿فَالْمُلَقِّمَتِ ذِكْرًا﴾ (٥)

﴿فَالْمُلَقِّمَتِ ذِكْرًا﴾ [المُرْسَلَات: 5] أي الملائكة الذين ذكروا الله ويلقون ذكر الله في قلوب المؤمنين ويقلبون القلوب إلى الله ويصرفونها لحظةً فلحظةً إلى شبحه الأصلي والمواطن الأزلي، ويقال: لمسة الرحمان، ويقابلها لمسة الشيطان، ويذكرون الله ذكرًا ثانيًا ويقذفون في صدورهم فذكرها ثانيًا ثانيًا.

### ﴿عُدْرًا أَوْ نُدْرًا﴾ (٦)

﴿عُدْرًا أَوْ نُدْرًا﴾ [المُرْسَلَات: 6] مصدران من عذر إذا أنذر فجاءت الإشارة، ومن أنذر أو خوَّف أو جمعان تعزير بمعنى المعذرة، ونذير بمعنى الإنذار أو بمعنى العاذر والمندور وهما بدلان من (ذكرًا) على الوجهين الأولين أو على المفعول، أي عذرًا للمحققين ونذرًا للمبطلين، وعلى الثالث حال بمعنى عاذرين أو منذرين.

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ (٧)

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ [المُرسلات: 7] جواب القسم، يعني ما وعد الله من الحشر والنشر وما يتبعهما كائن.

﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ (٨)

﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ [المُرسلات: 8] سُحِّقَتْ وَأُذْهِبَ نُورُهَا.

﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾ (٩)

﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾ [المُرسلات: 9] قُلِعَتْ مِنْ أَمَاكِنِهَا وَمَحَالِّهَا.

﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ ﴾ (١٠) ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْنِتْ ﴾ (١١)

﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ ﴾ (١٠) ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْنِتْ ﴾ [المُرسلات: الآيتان 10، 11] أي عَيَّنَ لِإِرْسَالِهِمْ، أَصْلُهُ وَقَّتْ، وَقَلِبْتَ الْوَاوَ هَمْزَةً.

﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾ (١٢)

﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾ [المُرسلات: 12] وَقَّتْ وَأُخِّرَتْ، وَالْفَاءُ فِي ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ [المُرسلات: 8] لِلتَّفْرِيعِ وَالتَّعْلِيلِ يَعْنِي وَقُوعَ الْمَوَاعِيدِ عِلَّةً لَطْمَسِ النُّجُومِ وَهُوَ مَتَفَرِّعٌ عَلَيْهَا.

﴿ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴾ (١٣)

﴿ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴾ [المُرسلات: 13] بَيَانُ الْفَاصلِ.

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ﴾ (١٤)

﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ﴾ [المُرسلات: 14] أَي مِنْ جَعَلَكَ مَطْلَعًا وَمَدْرَكًا لِيَوْمِ الْفَصْلِ، وَمَنْ أَيْنَ يَعْلَمُ كُنْهَ وَقُوعِهِ فِي الْيَوْمِ الْمَعِينِ.

﴿ وَيَلٌَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١٥)

﴿ وَيَلٌَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المُرسلات: 15] وَالْوَيْلُ فِي الْأَصْلِ مَنْصُوبٌ بِإِضْمَارِ فِعْلِ عَدَلٍ إِلَى الرَّفْعِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى إِثْبَاتِ الْهَلَاكِ لِلْمَدْعُوِّ عَلَيْهِ وَيَوْمَئِذٍ ظَرْفُهُ

أو صفته نحو: سلام عليكم، ويجوز ويلاً بالنصب ولكن لم يقرأ به، يقال: له وكيلاً، يعني يكال له الهلاك كيلاً أي يقدر تقديراً.

﴿الَّذِينَ هُمْكَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦)

﴿الَّذِينَ هُمْكَ الْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: 16] كقوم نوح وعاد وشمود.

﴿ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ (١٧)

﴿ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ [المرسلات: 17] كشمود وفرعون وأضرابهما وأبو جهل وأبو لهب وأتباعهما.

﴿كَذَلِكَ نَفَعُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٨)

﴿كَذَلِكَ﴾ أي مثل هذا الفعل المهلك ﴿نَفَعُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات: 18] أي يستمر فعل الإهلاك منا في الأوقات كلها بالمجرمين وأهل العصيان.

﴿وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٩)

﴿وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: 19] بآيات الله وكتبه ورسله، وقد تحقق أن كل زمان ووقت ومكان بعث رسل وأنزل كتب ووضع دين وشريعة، وفي كل زمان ومكان مؤمنون وجاحدون مكذبون، وتكرار الويل إشارة إلى كثرة المكذبين وكثرة زمان التكذيب وأوقاتها.

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ (٢٠)

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات: 20] ونطفة ضعيفة حقيرة وذليلة صورة وهيئة وقواماً.

﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ (٢١) ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (٢٢)

﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المرسلات: 21] ومكان خفي لجنين ذو قرار متمكن، وأحلناها وحولناها من حال إلى حال ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [المرسلات: 22].

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ (٢٣)

﴿فَقَدَرْنَا﴾ [المرسلات: 23] أي مقداراً معلوماً من الوقت قد علمه الله وحكم به



وعينه لمكث الجنين في الرحم وتريبته وكيفية ترتيب أجزائه وتركيب أعضائه ﴿فَنَعَمَ الْقَدِرُونَ﴾ [المرسلات: 23] نحن، أي المقدرون.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [المرسلات: 24] على ذلك.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾﴾ [المرسلات: 25] كافية اسم لما يكتف ويضم ويجمع كالضمام والجماع اسم لما يجمع ويضم، أو مصدر نعت به جمع كافت كصائم وصيام، أحياء وأمواتاً مفعول بأن يجعل تنكيره للتفخيم.

﴿أَحْيَاءَ وَأَمْواتًا ﴿٢٦﴾﴾

فإن قيل: من قال: ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْواتًا ﴿٢٦﴾﴾ [المرسلات: 26] على التنكير وهي كفات الأحياء والأموات جميعاً أجب هو من نكير التفخيم كأنه قال: يكتب أحياء لا يعدون وأمواتاً لا يحضرون على أن أحياء الإنس وأمواتهم ليسوا جميع الأموات والأحياء، ويجوز أن يكون المعنى منتصبات على الحال من الضمير لأنه قد علم أنها كفات الإنس أو على المفعولية و(كفاتاً) حال أو على الحالية فيكون المعنى بالأحياء يثبت وبالأموات ما لا يثبت.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رُؤسَى شَمِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءَ فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رُؤسَى شَمِخَاتٍ﴾ أي جبلاً ثوابت طوالاً عالياً كباراً ﴿وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءَ فُرَاتًا﴾ [المرسلات: 27] عذباً سائغاً شرابه.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المرسلات: 28] بإنكار هذه النعم وجحودها.

﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المرسلات: 29] من العذاب على تقدير

القول.

### ﴿ أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي تَلْثِ شُعْبٍ ﴾

﴿ أَنْطَلِقُوا ﴾ خصوصاً ﴿ إِلَىٰ ظِلِّ ذِي تَلْثِ شُعْبٍ ﴾ [المُرسلات: 30] أي ظل دخان جهنم كقوله: ﴿ وَظِلِّ مِّنْ يَّحْمُومٍ ﴾ ﴿ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴾ [الواقعة: 43، 44] فإن قيل: الظل فرع الشمس، فحيث لا ظل فلا شمس. قلنا لهم: ألا ترى إلى قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ [الفُرقان: 45] وأن لكل شيء عالي عظيم ظل كما يقال: ظل السلطان والسلطان ظل الله في الأرض أي يصير ذا شعب ثلاث ولعظمته قيل: يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق وسرادق النار دخان ويتشعب منه دخانها إلى ثلاث شعب يظلمهم حتى يفرغ من خيالهم، والمؤمنون في ظل العرش وهي إظلال عدم عدالة القوة الثالثة التي الإنسان بها إنسان وهي الشهوية والغضبية والنظرية العلمية الحكيمة والقوة النظرية والعملية والوحدة العدلية الاعتدالية بينهما، أو ظل عدالة الطور القلبي، أعني الصدر والسر والفؤاد وحقيقته المشتركة بينهما، أو ظل صفات النفس الأمانة واللوامة والملهمة. قال الحسن: ما أدري ما هذا الظل ولا سمعت فيه شيء. قال القوم: المراد بذي شعب كون النار محيط بهم من كل جانب تحملهم من فوقهم من ظل النار ومن تحتهم ظلل يوم يغشاهم العذاب ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم.

### ﴿ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴾

﴿ لَا ظَلِيلٍ ﴾ تهكم وتعريض بهم بأن ظلهم هو ظل المؤمنين وهو ظل العرش لله ﴿ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴾ [المُرسلات: 31] أي لا يمنعهم ولا يتقدمهم من حرّ اللهب شيئاً.

### ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ ﴾

﴿ إِنَّهَا تَرْمِي ﴾ وتقذف ﴿ بِشَكْرِ ﴾ وشق جمرة أو لهب كل شررة من الأشرار الثلاثة في العظم ﴿ كَالْقَصْرِ ﴾ [المُرسلات: 32] والبيت الرفيع العالي جمع قصرة وهي الشجرة العظيمة وإنما شبهت بالقصر من غير أن يجري على الظاهر إذ ظل الشجر في الكثافة ليس كظل البناء الرفيع.

﴿ كَانَهُ جَمَلٌ صَفْرٌ ﴾ (٣٣)

﴿ كَانَهُ ﴾ أن كل واحد من القصور الثلاثة ﴿ جَمَلٌ صَفْرٌ ﴾ [المُرسلات : 33] جمع جمال وجمالة جمع جملي، شبه الشراة أولاً بالقصور ثم بالجمال الصفر، التشبيه لإبراهيم يشبهون الأبد بالأفدان، قرأه بالضم وهي فلوس الخشب أو فلوس السفن الواحدة.

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٣٤)

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المُرسلات : 34] للنار وجحيمها وللجنة ونعيمها.

﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ (٣٥)

﴿ هَذَا ﴾ اليوم الذي هو يوم الفصل ﴿ يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ [المُرسلات : 35] بالإضافة يوم عدم النطق والتكلم بما يستحق. فإن النطق لا ينفع كلا نطق، وشيء ضار من فرط الدهشة والحيرة هذا إنما هي في بعض المواقف في البداية.

﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ (٣٦)

﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [المُرسلات : 36] إنما عطف البدل على نفي الإذن والعتذر لدخوله في حيز النفي فلا يكون لهم إذن ولا اعتذار، ولو جعله جواباً لدل على أن عدم اعتذارهم لعدم الإذن وأوهم ذلك أنه لم يأذن لهم فيه.

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٣٧)

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المُرسلات : 37] اليوم الذي نحن في بيانه.

﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ وَالْأُولِينَ ﴾ (٣٨)

﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ بين الحق والباطل وبين الصدق والكذب الفاصل ﴿ جَمَعْتُمْ وَالْأُولِينَ ﴾ [المُرسلات : 38] أي مع الأولين والآخرين تقرير وبيان للفصل تفرغ لهم وتوبيخ عليهم وعلى ما فعلوا من التكذيب بالمؤمنين في الدنيا وإظهار فجرهم.

﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴾ (٣٩)

﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ ﴾ وحيلة في دفعي ﴿ فَكِيدُوا ﴾ [المُرسلات : 39] أي اجعلوا في ذلك الكيد المذكور.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [المُرْسَلَات: 40] برسالاتي وبكلامي وشريعتي وهي الإسلام ودين الله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19] فإذن لا محيص لهم عن هذا العذاب أصلاً لا بكيد ولا بحيلة رشيدة.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾﴾

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ من الشرك لأنه في مقابلة المكذبين المشركين ﴿فِي ظِلِّ﴾ أي ظهر له عناية الله وجمال كمال لطفه وكرمه وعموم رحمته ورأفته ﴿وَعُيُونٍ﴾ [المُرْسَلَات: 14] يتابع نعمه وفنون مفايد جوده وكرمه وفوائد نعمه.

﴿وَفَوَاكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَفَوَاكِهِ﴾ أي تنعم يحصل من أنواع الفواكه ﴿مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [المُرْسَلَات: 42] ويريدون التمتع ويفتخرون ويستقرون فيها وينتقلون في الاستمتاع بها.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المُرْسَلَات: 43] أي قيل في شأنهم: تمتعوا وتلذذوا وتنفعوا بالأكل والشرب على مشتهى نفوسكم جزاء لأنواع أعمالكم وجزاء لصنوف أفعالكم وفي إزاء طيب أحوالكم وحسن أحوالكم.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المُرْسَلَات: 44] في الأفعال وعموم الأحوال وتحسين مبادئ الأعمال وصفاء العقائد وكثرة الفوائد.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المُرْسَلَات: 45] بعثته للأنبياء، وحقيقة دعوتهم ونعمة هدايتهم.

﴿كُلُوا وَتَمَنَعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿كُلُوا وَتَمَنَعُوا﴾ في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ أي أكلاً وتمتعاً يسيراً أو زماناً قليلاً ﴿إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ [المُرْسَلَات: 46] مشركون كافرون بالإشراك، وإن الطيبات من الرزق قد

خصصها الله للمؤمنين وليس للكافرين إلا بالتبعية والاستطراد والفرعية ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: 32].

### ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٧)

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: 47] بأن الله تعالى قد خصص طيبات الرزق بالمؤمنين والأخص لهم منها في الدنيا إلا قليلاً والتبعية والتطفل.

### ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ (٤٨)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ في الدنيا وصلوا وأطيعوا لحكم الله وأوامره وتجنبوا عن نواهيه ومنهياته ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: 48] ولا يطيعون لأوامره ونواهيه.

### ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤٩)

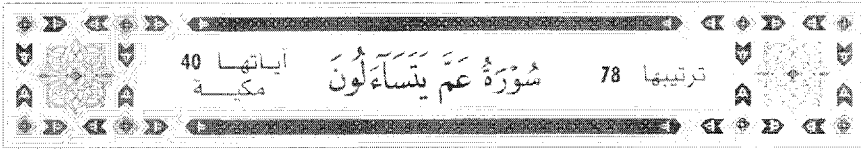
﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: 49] للصلاة وأركانها وشرائطها، نزلت في ثقيف فقالوا: تجنبوا الصلاة فإنها مشقة.

### ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٠)

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾ وقول وكلام ﴿بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: 50] أي فبأي كلام يكون غير القرآن وكلام الله يعترفون ويصدقون به ويعتقدون بحقيقته ويعملون بمقتضاه ويتعبدون بمرتضاه ولا حديث ولا كلام غيره يستحق الإيمان به والاهتداء بمرتضاه والافتداء بمقتضاه. قال النبي ﷺ: «من قرأ سورة (والمرسلات) كتب له أنه ليس من المشركين».



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ إنباء ونبا ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْلِفُونَ﴾ [النَّبِيَّ: الآيات 1 - 3]، ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي وضع الأرض مهادًا ليسلكوا فيها سبلاً فجاءا ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي جعل الجنة للمتقين مفازاً ولحقيقة أجسادهم مجازاً، ولأشباحهم مجازاً حدائق وأعناياً ولنفوسهم كواعب وأتراباً، ولأرواحهم كأساً دهاقاً ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾ [النَّبِيَّ: 35] جزاءً من ربك عطاء حساباً.

### ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النَّبِيَّ: 1] أصله عن ما، فحذفت الألف بعد الإدغام وإدراج النون في الميم بالتمام هو الاستفهام لبيان شأن المسؤول عنه، فإن ما هي الشارحة للحقائق، والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث على طريقة الاستخفاف والاستهزاء وكونه عبثاً فيما بينهم، أو الرسول ﷺ والمؤمنون على النبا العظيم بمعنى منه لبيان الشأن والتفخيم أو صلة يتساءلون.

### ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾

﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْلِفُونَ﴾ [النَّبِيَّ: 2، 3] بالنفي والشك أو بالإقرار بالاستكبار وبالجحود والإنكار.

﴿ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٤﴾ تُو كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٥﴾ ﴾

﴿ كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٤﴾ تُو كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [التَّبَيُّ: الآيتان 4، 5] عن التساؤل والوعيد عليه وترديد وتهديد لديه تكراره للمبالغة منهم في الجحود والإنكار وللإشكال بأن إنكارهم صادر عن كمال البغضاء والحسد ينمو شيئاً فشيئاً ويعلو أنا فأنا، فالأول عند النزع، والثاني عند القيامة. أو الأول للبعث، والثاني للجزاء، ثم يشعر بأن الثاني أشد وأبلغ وأكد.

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ ﴾

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ ﴾ [التَّبَيُّ: 6] جمع مهد وهو ما وضع للذي ينام فيه الصبيان إشعار بأن الخلائق كالصبيان ما بلغوا مبلغ الرجال إلا قليل منهم، وهم الكاملون المكملون من الأنبياء والأولياء والحكماء المتألهين والعلماء الربانيين.

﴿ وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾

﴿ وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ ﴾ [التَّبَيُّ: 7] جمع وتد وهو ما يربط به الدواب، وقيام مهد الأرض ويرتبط بها خيام السماوات في الطول والعرض، تذكروا أعلام بعض ما عاينوا من عجائب صنعه وغرائب حكمه ووضعه وإنزاله ورفع الدال على كمال قدرته وعموم حكمته ووفور قوته ليستدلوا بذلك على صحة البعث، وينسلوا إلى حقيقة الحشر والنشر وما يتفرع من الجنة والنار، ووقوع الخلق في دار البوار جهنم يصلونها فبئس القرار.

﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ ﴾

﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ ﴾ [التَّبَيُّ: 8] في بطن واحد في بدء الحال، ذكر أو أنثى، قد عين الله تعالى بأن تكون الأنثى زوجة والآخر زوجاً لتوأمته، ويحتمل أن يكون المراد من الأزواج هو التوأمين، فإن لكل مولود إنسي يولد معه مولود جنني، يقال له همزاد كما ورد في الحديث: «ما من مولود إلا ويولد معه مولود جنني، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي لا يأمرني إلا بالخير».



## ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾ [النَّبِيَّ: 9] معطلاً للقوى من الأعمال الإرادية والأفعال الاختيارية تقوية للقوى الطبيعية ليكتمل الهضم .

## ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾﴾ [النَّبِيَّ: 10] غطاءً ساتراً ليستر غشاء ظلها وغطاء دهمتها ليتم وليستكمل الأفعال الطبيعية .

## ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ [النَّبِيَّ: 11] أي وقتاً وزماناً لاكتساب أمر المعاش واجتلاب أسباب الانتعاش، ولما جعل الليل موتاً ولباساً وجعل النهار معاشاً وحياة ويلزمها الحركة والانتقال والتقلب والارتحال لاجتلاب المكاسب واكتساب المطالب والمآرب . قيل : أصل السبات الراحة، فتكون اليقظة تعباً وما يكون فيه شديداً وصعباً، لذا اضطر الحيوان بأسرها إلى النوم والإيواء إلى المنازل للنوم لإزالة التعب وإمالة آثار الأمور الشديدة والصعبة .

## ﴿وَبَيَّنَّا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾

﴿وَبَيَّنَّا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾ [النَّبِيَّ: 12] أي سبع سماوات أقوى وأصعبات لا يؤثر فيها مرّ الدهور وكرّ الأعصار والدهور، ومن ذكر الفوق جزموا بعض الملمّين وأصحاب النحل والملل والمسلمين بأنها كالخيام أزلت لها على جبل القاف، وأنت خبير بأن تساوي أجرام الكواكب في جميع أوقات الطلوع والغروب وفي وسط السماء يأبى ذلك، وأن كون السماوات كرويةً صحيحة الاستدارة في جميع الأوقات وتمام الأوضاع والجهات كما دلت البراهين القطعية والحجج الدامغة كما نقل في الكتب الحكمية منقولة عن إدريس النبي ﷺ وعن نوح النبي، وعن إبراهيم الخليل، وعن ما شاء الله، وعن المصري وهو يوسف النبي عليهم السلام، وغير ذلك، لا يقدر في الدين الأحمدى والشرع المحمدى قدحاً بيننا لأن كرويتها واستدارتها لا توجب قدم الأفلاك والسماوات ولا يمتنع طريان الخوف والالتئام عليها إذ الأمور كلها مستندة على قاعدتهم إلى الفاعل المختار لا إلى القوة القابلية ليلزم ما ظنه الحكماء الطبيعيون والرياضيون

من أنه لو جاز جريان الخوف والالتئام على الأفلاك والسموات لوقعا بالحركة المستقيمة عليها مستحيلة لأنها كروية حقيقة والكرة لا تقبل الحركة المستقيمة وإلا لزم الخط المستقيم في الكرات الحقيقية، وهو محال. هذه الاستحالة إنما تكون إذا أسندت إلى القوة القابلة وإذا أضيفت إلى الفاعل المختار.

وجاز أن يحدث الخرق والالتئام في آيتين متعاقبتين أو متفارقتين لا زمانين ولو كانا زمانين لجاز اجتماع الاستقامة والاستعارة في جسم واحد بتأثير الفاعل المختار، فإن اجتماع الضدين والنقيضين بالنظر إلى القابل لا يجوز وكذا ارتفاع النقيضين وسلب الضدين بالنظر إلى الفاعل، وقسره جائز كما قال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: 3]. وكذا إذا تحقق الفارق بالحق تحقق بالظهور والبطون والأولية والآخرية، وإذا تحقق في مرتبة الآثار بكلية الأجسام الفلكية يتحقق بصفات متباينة ونعوت متقابلة قائمة بذاته الكلية، وتحفة واحدة فيجتمع في ذاته وحقيقته الكلية الأزلية والأبدية والحدوث والعدم والوجود والعدم.

### ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ (١٣)

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ مصباحًا ﴿وَهَاجًا﴾ [النبي: 13] متلألئًا متشعشعًا متلامعًا وقادًا من وهج النار إذا أضاءت أو بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحرارة. والمراد هو الشمس اتصفت بهما وإفرادها بالذكر يشعر بأن أنوار الكواكب كلها مستفاد من الشمس كما ذهب إليه جماعة من الفلاسفة.

### ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ (١٤)

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ [النبي: 14] من السحاب المسخرات إذا عصرت واستشرفت أن تعصرها الرياح فتعصر كقولك: احصد الزرع إذا حان أن يُحصد، ومنه: حصدت الجارية إذا دنت أن تحيض، أو من الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب، أو من الرياح ذوات الأعاصر ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النبي: 14] صَبَّابًا بكثرته. وفي الحديث: «أفضل الحج: العج والثج» أي رفع الصوت بالتلبية وكثرته.

### ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ (١٥)

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ أي رزقًا يحصل منها حبوب يقتاتها الإنسان ﴿وَنَبَاتًا﴾ [النبي: 15] يرتاع به الحيوان وما يعتلف منه من التبن والحشائش.

### ﴿وَجَنَّتِ أَلْفَاةً﴾

﴿وَجَنَّتِ﴾ بستان كروم وأشجار وحدائق وأزهار ﴿أَلْفَاةً﴾ [النَّبِيَّ: 16] يلتف بعضه ببعض من اللف وهو الضم والجمع .

### ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ أي يومًا يفصل فيه ويظهر الحشر والنشر ليجزي النفوس بالثواب والعقاب بالأدوار والأحقاب ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النَّبِيَّ: 17] أي وقتًا لما وعده الله من الثواب والعقاب أو كان ميقاتًا لاجتماع الخلائق لفصل الحكومات وقطع الخصوصات .

### ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ بدل من يوم الفصل أو بيان له ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النَّبِيَّ: 18] فوجًا وجمعًا جمعًا .

واعلم أن الأدوار الأربعة النورية الجمالية والأكوار المربعة الجلالية والصورة الجمعية منهما والمجموع عشرة في انتهاء كل منها تقوم قيامة وتظهر ساعة وينفخ فيها فتأتون أفواجًا، فإن توافق مرتضى الأكوار الظلية الضمنية لمقتضى الأدوار النورية الجمالية الصريحة الإفرادية والجمعية لحشر أعيان تلك الدورة المعدلة وأعيان الكورة المعللة على هيئة الإنسان وصورة كمال الأعيان، ولا يحشر على الصورة العشرة .

وإليه الإشارة النبوية بقوله ﷺ: «يحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة، وبعضهم على صورة الخنازير، وبعضهم منكوسون، وبعضهم يسحبون على وجوههم، وبعضهم صم بكم، وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم وينكرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلوبون على جذوع من نار، وبعضهم أشد ننتًا من الجيفة، وبعضهم يلبسون جبابًا سائغة من قطران لازقة بجلودهم . فأما الذين على صورة القردة فهم الفئانون بين الناس، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والزنا، وأما المنكسون المسحوبون فأكلون الربا، وأما العمي فالذين يجورون في الحكم، وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم،

وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاصون الذين خالف قولهم أعمالهم،  
وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم هم الذين يؤذون الجيران، وأما المصلوبون  
على جذوع من النار فالسعاة بالناس إلى السلطان، وأما الذين هم أشد تننًا من  
الجيف، فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في أموالهم، وأما  
الذين يلبسون فأهل الكبر والفخر والخيلاء».

### ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ (١٩)

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ وشقت ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النَّبَأِ: 19] من الشقوق والانفجارات  
فكان الكل أبوابًا فصارت أبوابًا.

### ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ (٢٠)

﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ وتحركت في جو السماء وفضاء الهواء كالذرات المبتوثة  
والهباء ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النَّبَأِ: 20] أي مثل سراب إذ يرى على صورة الجبال ولم  
يبق على جثتها وهيئاتها السابقة ومحلها، أي يتخيل أن محل الجبال جبال وليس  
جبالًا ولا محل جبال.

### ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّغِينِ مَبَايَا﴾ (٢١)

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النَّبَأِ: 21] أو محل رصد وموضع رصد، يعني أن  
جهنم حد ﴿لِلطَّغِينِ﴾ الذين يرصدون العذاب فيه وهي مأواهم أو هي مرصاد لأهل  
الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن يجازيهم ﴿مَبَايَا﴾ [النَّبَأِ: 22]  
أي كانت جهنم مآبًا ومرجعًا للطاغين المجاوزين عن الحد لأنهم يرجعون إليها  
ويرتقون لديها.

### ﴿لَيْثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (٢٣)

﴿لَيْثِينَ﴾ ساكنين ماكثين ﴿فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النَّبَأِ: 23] دهورًا كما مضى حقب ودهر  
تبعه حقب ودهر وجم غفير من الدهر إلى غير النهاية، ولهذا جمعه ولا يكاد  
يستعمل الحقب والحقبة إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها. قيل: الحقب  
ثمانون سنة. عن ابن عباس: إن الحقب الواحد بضع وثمانون سنة، والسنة  
ثلاثمائة وستون يومًا، واليوم ألف سنة من أيام الدنيا، سأل هلال البحري عليًا  
رضي الله عنه: ما الحقب؟ قال: مائة سنة، والسنة اثنتي عشر شهرًا، والشهر

ثلاثون يومًا، واليوم ألف سنة. قال الحسن: الأحقاب لا يدري أحد ما هو، ولكن الحقب الواحد سبعون ألف سنة، اليوم منها كألف سنة مما تعدون، فإن قيل: الحقاب وإن طالت إلا أنها متناهية وعذاب أهل النار غير متناهية، قلنا: الأحقاب لا تدل على نهاية، والحقب متناهي والمعنى هو أنهم يلبثون فيها أحقابًا كلما مضى حقب تبعه حقب آخر هكذا إلى الأبد.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (النَّبَأِ: ٢٤)

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ نومًا وراحة ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ [النَّبَأِ: 24] ماءً.

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ (النَّبَأِ: ٢٥)

﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ ماءً حارًا من حميم جهنم، أي لا يذوقون فيها ما يسكن عطشهم ولا حرقتهم روحًا تنفس عنهم حر النار وحدث عن بطشهم لكن يذوقون فيها حميمًا ماءً حارًا محرقًا ﴿وَعَسَّاقًا﴾ [النَّبَأِ: 25] ما يغسق ويسيل من صدورهم وماء جروحهم يجري عن قروحهم.

﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ (النَّبَأِ: ٢٦)

﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ [النَّبَأِ: 26] أي جزاء بذلك جزاءًا ذا وفاقٍ لأعمالهم أو موافقًا لها أو وافقها وفاقًا.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ (النَّبَأِ: ٢٧)

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النَّبَأِ: 27] بيان لما وافقه الجزاء أي لا يعتقدون وقوع حساب الأعمال.

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ (النَّبَأِ: ٢٨)

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ وكتابنا وما نزل علينا فيه بيان حقائق الأحوال ودقائق الأعمال وشقائق الأفعال ﴿كِذَابًا﴾ [النَّبَأِ: 28] شديدًا متعاقبًا متواترًا.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ (النَّبَأِ: ٢٩)

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ [النَّبَأِ: 29] مكتوبًا ومجموعًا في اللوح المحفوظ مبتدأ وخبره.

﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ (٣٠)

﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النَّبِيّ: 30] وإنما حذف المفعول من فذوقوا لثلا ينحصر بأمر دون أمر وذلك بسبب كفرهم بالحسنات وشدة العذاب وإنكارهم جزيل الثواب ونكاية السلاسل وكآبة العقاب، والالتفات من الغيبة إلى الخطاب مشعر بأن حق العباد ووظيفة أهل السداد أن لا يغفل من المعبود بل لا بد وأن يكون حاضر القلب وناظرًا لغيب كمال الشهود.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ (٣١)

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ في الدنيا والعقبى ﴿مَفَازًا﴾ [النَّبِيّ: 31] إما مصدر ميمي بمعنى الفوز أو اسم مكان.

﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ (٣٢)

﴿حَدَائِقَ﴾ جمع حديقة وهي بستان فيها أشجار وأنواع ثمار وصنوف أزهار وأثمار وعيون وأنهار ﴿وَأَعْنَابًا﴾ [النَّبِيّ: 32] جمع عنب وإنما خصت بالذكر إشعارًا بكثرة منافعها.

﴿وَكَوَاعِبَ أُنْرَابًا﴾ (٣٣)

﴿وَكَوَاعِبَ﴾ [النَّبِيّ: 33] جمع كاعبة وفي الجواري الثابتة الشدي وملكها ﴿أُنْرَابًا﴾ [النَّبِيّ: 33] جمع ترب أي متساويات في السن.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ (٣٤)

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النَّبِيّ: 34] أي قدحًا مملوءًا متتابعًا من الدهق وهو التابع.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا﴾ (٣٥)

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿لَغْوًا﴾ كلامًا مهملاً بلا معنى ﴿وَلَا كِدَابًا﴾ [النَّبِيّ: 35] أي تكديبا.

﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ (٣٦)

﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النَّبِيّ: 36] وتفضيلًا وإحسانًا وتفضلاً لا وجوبًا إذ التعليق للتقوى والافتداء على الطاعة والعبادة إنما هو منه فإعطاء ذلك سلس لا

على سبيل التفصيل والإحسان بدل من جزاء حساباً كافياً من أحسبه إذ كفاه كما قيل: هو حسبي ومحسبي، إشارة إلى تغاير خمر الآخرة بخمور الدنيا، فإن شارب خمور الدنيا يصدر منه أنواع المفساد منها الفواحش في الأقوال والأفعال بخلاف خمور الآخرة فشاربه لا يزول عنه العقل ولا تصدر منه الفواحش.

﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ (٣٧)

﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ بدل من ربك ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من الجن والمركبات من كل واحد من العناصر كما أن الجن الأكبر مركب منها في الدورة العظمى الأصلية والفرعية، والجن الأصغر مركب في الدورة الكبرى من الهواء، وتغليب طينته وطبيعته على الهواء. وأما ما يتركب من الماء من جميع الإنسية والجنية وغير ذلك من المركبات في الدورة الوسطى، وأما ما يتركب من التراب ويغلب عليه التراب في الدورة الصغرى، فهو أيضاً أنواع كثيرة وأصناف غفيرة، أسفلها الإنسان وهو في جميع الأدوار له تمام الأطوار يتولد الآخرة كما يتولد ويتعين في بداية كل الأدوار، وأولها بالإنسان في تمام الأدوار وبداية ونهاية، وباب الأبواب وما في جوف الأرض وطبقاتها السبع مخلوقات متنوعة ومكونات متفرعة كما جاء في الخبر متطابقة لما كونت في طبقات السماوات من الملائكة والنفوس والأرواح والكل داخله في ربوبية الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ بالرفع والجر تابعا للرب وهو يفيد الوجود لما في السماوات ولما في الأرض ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ [التبّي: 37] كلاماً أو شفاعة أي ليس في أيدي من في السماوات والأرض وما بينهما ما يخاطب ويؤمر به في أمر الثواب والعقاب بأن يكون مالكا متصرفاً فيه تصرف المالك في أملاكه بالزيادة والنقصان، ولا يملك أن يخاطب بشيء من نقص العذاب وزيادة الثواب أو رفع العذاب ومن منع العقاب وشديده، وليس لأحد أمر على حكمه، ولا يملك الرد والإعراض على كمال صنعه فإنه فعال لما يريد ويتصرف في ملكه كيف يشاء، أو في أحوال جبروته متى شاء.

﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ

صَوَابًا ﴾ (٣٨)

﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ ﴾ [التبّي: 38] ولا ينطقون في ذلك اليوم

بشفاعة أو مصلحة ﴿إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أي إلا بإذنه وأمره وحكمه، تقرير وتأكيـد للنفي السابق ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ [التبـيـا: 38] عطف على إذن، أي قال المأذون في الدنيا قولاً صواباً وكلاماً صدقاً مستطاباً يستعقب ويتقضى ثواباً لا اعتراضاً وتكذيباً وكذباً ولا لغواً وعقاباً، ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ(يتكلمون) أو لـ(لا يتكلمون) يعني أن الذين هم أفضل الخلائق وأشرفها وأكرمها وهم أكثرهم طاعة لا يتكلمون بشيء ولا يقولون ولا يشفعون إلا لمن ارتضى فما ظنك مما عداهم ومن هو سواهم من أهل السماوات والأرض والروح والكون الأكرم وهو أعظم من الملائكة. قيل: هو على صورة آدم وما ينزل من السماء ملك إلا ومعه روح يكون حصة من هذا الروح الأعظم الأكرم عطية من أرواح الناس بل هي أرواح كل ذي روح يقوم الملائكة فيما بين النفختين من قبل أن يرد الأرواح إلى أجسادها. قيل: هو القرآن لقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: 52] الآية الخ.

﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا ۝٣٩﴾

﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ﴾ الثابت في علمه وقضائه ومشئته وحكمه ﴿فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا﴾ [التبـيـا: 39] مرجعاً ومألاً مستطاباً وسبيلاً وطريقاً إلى طاعته يكون مستقيماً وصواباً.

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ

يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ۝٤٠﴾

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ وهو عذاب الآخرة وكونه قريباً لمجيئه وإن كان من حيث إنه غيب مخفي لا يرى ولا يبصر بعيداً فبعده وقربه من حيث الكيفية لا الكمية وهي المسافة، فإذا يحتمل أن يقع ويظهر أننا فأننا، لحظة فلحظة، ولهذا لا يعلم وقوعه إلا الله ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ﴾ ظرف أنذرناكم، ويحتمل أن يكون صفة لعذاباً وحالاً منه ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من الأعمال والأفعال الحسنة والسيئة ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [التبـيـا: 40] يعني إن الله تعالى يحشر الحيوانات فبعد ذلك يأمرها بأن تكون تراباً فلما يرى الكافر ذلك يتمنى أن يكون تراباً. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (عم يتساءلون) سقاه الله يوم القيامة برد الشراب».



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي قدر لكل ذوي روح نفسًا، وقدر لكل نفس موتًا طبيعيًا وإراديًا، ولزم لكل موت نزعًا أصلًا وفرعًا، كرهاً وطوعًا ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي حشر النفوس بعد الطامة الكبرى في الدورة العظمى والكبرى والوسطى أو الصغرى، بعد الانتهاء والقضاء المرتضى وانقراض المقتضى نورية كانت أو جمالية أو جلالية ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي أوصل صاحب كل نفس إلى مقام ربه الذي ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النَّازِعَاتِ: 41] وإلا فالهاوية لها هي الأولى.

### ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾

﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ أي الملائكة التي تنزع أرواح الكفار ﴿غَرْقًا﴾ [النَّازِعَاتِ: 1] شديدًا وإغراقًا عنيدًا مأخوذ من نزع في القوس فأغرق النازع في القوس إذ الأبلغ غاية المد حتى ينتهي إلى النصل، فالمعنى: والنازعات تنزع وتغرق إغراقًا، والغرق والإغراق واحد.

### ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾

﴿وَالنَّشِيطَاتِ﴾ يعني الملائكة التي تقضي نفس المؤمن حال كونها نشطة مستبشرة برجوعها إلى الوطن الأصلي والمعطن الأولي، حب الوطن من الإيمان، كما ينشط، ويجوز المعقول من يد العاقل والمحبوس من قيد الحابس ﴿نَشْطًا﴾ [النَّازِعَاتِ: 2] فالسابقات أي أرواح المؤمنين لكمال استثنافهم إلى لقاء

الله شفاء القلوب لقاء المحبوب، السابقون الملائكة ويسبقونهم سبقاً عظيماً لما في قلوبهم شوق حميم وذوق كريم إلى معاينة أنوار جماله ومشاهدة أطوار أسرار جلاله وذلك لأن المحبوب أشد شوقاً لرواج شهود أسرار الخفية وكشوف أنوار ذاته الخفية إلى المحب «من تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن تقرب إليَّ باعاً تقربت إليه هرولة» الحديث القدسي .

### ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾

﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾ [النازعات: 3] قال آدم الأولياء علي المرتضى كرم الله وجهه: هي الملائكة التي تسبح بأرواح المؤمنين في بحار النور بوفور السبحة ودرور السرور وجمال الحضور. قال بعضهم: هم الذين يقبضون أرواح المؤمنين بالسهولة كالذي يسبح في الماء، فأحياناً ينغمس في بحر النوري وأحياناً يرتفع سهلاً دقيقاً ثم يدعونها ويتركونها حتى يستريحوا. أو قال بعضهم: هم الملائكة الذين ينزلون من السماء مسرعين كما يقال للفرس الجواد: سابع إذا سبح في جريه سبوح منها عليها شواهد. وقيل: هي الكواكب كالشمس والقمر وسائر النجوم تتحرك في الأفلاك من برج إلى برج بسهولة ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: 33] فلا تقرب في هذا المقام بهذا الوجه .

### ﴿فَالسَّيِّقَاتِ سَبْقًا﴾

﴿فَالسَّيِّقَاتِ سَبْقًا﴾ [النازعات: 4] ولقد سبق بهذه الكلمة كلام هي الملائكة التي تسبح بأرواح المؤمنين إلى الجنة. قيل: هي نفوس المؤمنين الذين سبقت أرواحهم إلى الملائكة الذين يقبضونها لكمال تشرفهم إلى لقاء الله وإلى مشاهدة جمال الله وحسن وجهه الكريم وشهود أنوار جلاله وأساراه على الوجه العميم. قال بعض المحققين: هم الفقراء العارفون الذين حمدهم الله ووصفهم بقوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62]. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

عن رسول الله ﷺ حيث سأل ربه ليلة المعراج فقال: «يا رب أي الأعمال أفضل من حملها؟ قال: يا محمد إن أهل الآخرة رقيقة وجوههم كثير حياؤهم قليل حمقهم كبير نفعهم قليل مكرهم، الناس منهم في راحة، وأنفسهم في تعب،

كلامهم موزون، محاسبون لأنفسهم، متعبون لها، تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، أعينهم باكية وقلوبهم ذاكرة، في أول النعمة يحمدون وفي آخرها يشكرون، تعرج بهم الملائكة بورود دعائهم، يدور دعاؤهم بحسب حجب الفرس، لا يشغلهم عن الله شيء طرفة عين، قد صارت الدنيا والآخرة عندهم واحدة، يؤمن الناس واحدة ويموت أحدهم في كل يوم سبعين مرة من مجاهدة أنفسهم وأهوائهم، فإن قاموا بين أيدي الله فكأنهم بنيان مرصوص لا أرى في قلبهم شغلاً لمخلوق، فوعزتي وجلالي لأحيينهم حياة طيبة حتى إذا فارقت روحهم جسدتهم، ولا أسلط عليهم ملك الموت، ولا يلي قبض أرواحهم غيري ولأفتح لروحهم أبواب العلوم كلها ولأرفعن الحجب كلها دوني، ولا يكون بيني وبين روحهم سر، أقول لهم عند قبض روحهم: مرحباً وأهلاً بقدمكم عليّ، اصعدوا بالكرامة والبشرى والرحمة والرضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً».

### ﴿فَالْمُدْرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾

﴿فَالْمُدْرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾ [النَّازَعَاتِ: 5] أي الملائكة التي فوض الله تعالى أمر العالم إليهم ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السَّجْدَةِ: 5]، أو جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام، يدبر أمر الدنيا وهؤلاء الأربعة من الملائكة العظام، وجواب هذه الأقسام مضمرة على معنى أستعين.

### ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾﴾

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾﴾ [النَّازَعَاتِ: 6] يعني النفخة الأولى التي يتزلزل ويتحرك بها كل شيء من الأرض وما فيها وما عليها من الجبال والوهاد والأغوار والتلال، وقد يطلق على الصوت الهائل من قولهم: رجع الرعد يرجف رجفاً ورجيفاً.

### ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾

﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [النَّازَعَاتِ: 7] أي النفخة الثانية التي تتحرك وتنشق السماء وما فيها من الكواكب والنجوم والنفوس المدبرة والملائكة المتصرفة فيها والنفخة عن الانتقال من دورة إلى دورة أخرى وهي تؤثر بإذن الله وأمره في كل داخل تحت الدورة من الدنيا وما فيها من الأجرام السماوية والأجسام العنصرية

وما يتركب منها وما يتولد منها ومن المواليد، وكذا يؤثر في كل ما هو غائب عن الحسّ الظاهر والباطن من الملائكة المدبرة والنفوس والعقول والملائكة التي هي الأعلون، فإن كلما هو غير الله وسواه يتغير من هذه النفخة ونقلة الدورة إذ الذات والأسماء الأربعة الذاتية التي هي ربّ الأدوار وربّ الأكوار، وهي العلم والحياة والقدرة والإرادة ومؤثرة في كل ما عداها من المجردات والماديات، فإن فردارية التربية وفرداريته ولحكمة التدبير المنسوبة إذ كل واحدة من هذه الأسماء الذاتية تؤثر في كل الممكنات مجردة كانت أو مادية وهي العبادة التي يستعجلها الكفرة ويستبعدونها لقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي سَتَعْمَلُونَ﴾ [النمل: 72] وهذه الجملة حال من فاعل الجملة الأولى.

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ﴿٩﴾﴾

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾﴾ [النَّازِعَات: 8] شديدة الاضطراب زائلة عن أماكنها، وهي صفة القلب مبتدأ خبره ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ﴿٩﴾﴾ [النَّازِعَات: 9] ذليلة من الخوف، ولذلك أضافها إلى ضمير القلب، يعني لتبعثن في الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان والصيحتان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الأخرى، دل على ذلك وقوع قوله: ﴿تَبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النَّازِعَات: 7] حالاً من الرجفة، ويجوز أن يبعث يوم ترجف بما يدل عليه ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾﴾ [النَّازِعَات: 8] أي يوم يرجف، ورجفت القلوب راجفة شديدة الاضطراب والرجف والوجف أخوان.

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾﴾

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ﴾ أي تردون ﴿فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النَّازِعَات: 10] أي في الحالة الأولى، يعنون الحياة بعد الموت والوجود بعد الفوت من قولهم: رجع فلان في حافرته أي طريقته التي جاء فيها مخوفاً أثر فيها بمشيئه فيها، جعل أثر قدميه حفراً كما قيل: حفرت أسنانه حفراً إذا أثر فيها. قيل: حافرة كما قيل: أي منسوبة إلى الحفر ﴿عِشَّةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الْحَاقَّة: 21] أي منسوبة إلى الرضاء و﴿مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطَّارِق: 6] أي منسوبة إلى الدفق، أو كقولهم: نهارك صائم.

واعلم أنه اتفق جمهور المفسرين ثم بشرح قول أبي مسلم، أما القول الأول

وهو المشهور بين الجمهور: أن هذه الأمور أحوال يوم القيامة فهؤلاء ذكروا وجوهاً أحدها: أن الراجفة هي النفخة الأولى، سميت بها لأن الدنيا تنزل وتضطرب عندها، أو لأن صوت تلك النفخة هي الراجفة كما بينا. والرادفة هي راجفة أخرى تتبع الأولى الأرض لإحياء الموتى كما اضطربت في الأولى بموت الأحياء على تفصيله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: 68] تعالى، ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، والمراد بالصعق إما الفرع لقوله: فنفخ ففرع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، وعلى هذا القول: فنفخ الصور ليس الأمر بين، فعلى هذا نفخ الصعقة ونفخ الفرع واحد. والنفخ الثاني هو ثم نفخ فيه مرة أخرى فإذا هم قيام ينظرون. والقول الثاني: إن الصعقة عبارة عن الموت والقتال بهذا قال: إنهم يموتون من الفرع وشدة الصوت، فعلى هذا فالنفخ يحصل ثلاث مرات:

أولها: نفخ الفرع وهو المذكور في سورة النمل.

والثاني: نفخة الصعق.

والثالث: نفخة القيامة وهو مذكور في هذه السورة.

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: 68] جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يموتون. قال النبي ﷺ: «إنهم شهداء الله لقوله: ﴿بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: 169]». ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، وهذه النفخة متأخرة عن النفخة الأولى، قال النبي ﷺ: «إن بينهما أربعون»، قال الحسن: لا أدري أربعون يوماً أو سنة أو ألف سنة. فإذا هم قيام عن القعود، ويحصل عقيب هذه النفخة الآخرة في الجبال من غير تراخ لأن الفاء في قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: 68] ويروى أن في هذه الأربعين يمطر الله الأرض ويصير ذلك الماء كله كالنطف التي هي كالسبب للإحياء، فالرجفة هي النفخة الأولى، والرادفة هي قيام الساعة من قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل: 72]. وقد تقع الراجفة على الأرض والرادفة على السماء فيها يوم ترجف الأرض فدكتا دكة واحدة، وهذا قول أبي مسلم.

إن هذه الأحوال ليست من أحوال القيامة وذلك لأنه فسر النازعات بنزع القوس، والناشطات بخروج السهم، والسابحات بعدو الفرس، والسابقات بسفنها، والمدبرات بالأمور التي تحصل إدبار ذلك العدد. ثم بين ذلك فقال:

الراجفة هي طائفة من المشركين وكذلك الرادفة ويراد بذلك طائفتان من المشركين غزوا رسول الله ﷺ فسبقت إحداهما الأخرى، والقلوب الواجفة هي القليلة، والأبصار الخاشعة هي أبصار المنافقين كقوله: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغِشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [محمد: 20] كما قيل لما جاء أجل العدو ترجف وردفتها أختها اضطربت قلوب المنافقين خوفاً وخشعت أبصارهم جبناً وضعفاً ثم قالوا: ﴿أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ﴾ [النازعات: 10] أي نرجع إلى الدنيا حتى نحتمل هذا الخوف لأجلها.

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا تَخِرَّةً﴾

وقالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا تَخِرَّةً﴾ [النازعات: 11] بعد الرد إلى الدنيا والرجوع إليها، إذا كنا عظاماً بالية وأجزاء مفتتة غير بالية خالية عن الحياة في القبور، والناخرة هي المحفوفة التي يترادفها الريح فتخره وتصوره.

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾

﴿قَالُوا تِلْكَ﴾ الأجزاء الخالية والأعضاء ﴿إِذَا كَرَّةٌ﴾ عائدة راجعة ﴿خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: 12] ذات خسران أو أصحابها يعني إن سحب هذه الحالة فنحن إذا خاسرون تكديباً بها، هذا استهزاء منهم، فإذا منصوب بمحذوف تقديره: إذا كنا عظاماً بالية، وتحصل من هبوب الريح فيها صورة نخرة ترد وتبعث وتتعلق بها الروح والحياة فتصير حياً إنساناً وهذا الإنسان العابد لا يكون الإنسان الأول بحسب الشخص ولا بحسب النوع إلا إذا دخل التركيب الأول مع ما له من المزاج والاعتدال والامتزاج وسائر الأحوال من الأفراد والأزواج وهو محال لأن الذي عدم لم يثبت أثر من الوجود الأول أصلاً، فإذا العائد ليس الأول بعينه وإلا لما بقي الفرق بين الدنيا والآخرة إذ اتحاد اللوازم يلزم والواجب اتحاد الملزوم.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [النازعات: 13] متعلق بمحذوف أي لا يستصعبونها ولا يستحيلونها إياها فإنما هي صيحة واحدة ونفخة عائدة.

## ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (١٤)

﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النَّازعات: 14] أي مستيقظة بعدما كانت نائمةً وأحياء على وجه الأرض بعدما كانوا أمواتاً مخفية في بطنها، والساهر من السهر وهو في الأصل اليقظة استعمار منها للأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجري فيها من قولهم: عين شاهدة جارية الماء أو عين باصرة ساهرة عارية عن النوم أي لا تحسبوا أن تلك العين نائمة كما كانت في الحالة الأولى.

## ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (١٥)

﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [النَّازعات: 15] وحكايته لفرعون وتكذيبه إياه، ليس قد أتاك قضيته فيسليك الله على تكذيب قومك وتماديهم عليك بأن يصيبك منهم مثل ما أصاب موسى بل أعظم منه.

## ﴿إِذْ نَادَهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (١٦)

﴿إِذْ نَادَهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النَّازعات: 16] هي أرض بالشام يعني أن فرعون كان أقوى من كفار قريش وأكثر جمعاً وأكبر شوكةً فلما تمرد على موسى أخذه الله نكال الآخرة والأولى فكذلك هؤلاء المشركون إن أصروا على تمردهم جعلهم نكالاً يحتمل أن يكون معناه قد أتاك حديث موسى والوادي المقدس أي المطهر المبارك طوى هو اسم وادي بالشام عند الطور الذي أقسم الله به وقال: ﴿وَنَدْبَتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مریم: 52].

## ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (١٧)

﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ [النَّازعات: 17] وادعه إلى الله والتوحيد وامنعه عن الإشراف ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ [النَّازعات: 17] علة للأمر والقدرة على إرادة القول إذ النداء القول.

## ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَبَ﴾ (١٨)

﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ﴾ أدغمت لام هل للاستفهام في لام الجر هو والمبتدأ محذوف في اللفظ مراد في المعنى، يعني هل لك سبيل إلى النجاة ﴿إِلَّا أَنْ تَرْكَبَ﴾ [النَّازعات: 18] أصله يتزكى، قلبت التاء بالزاء وأدغمت أي يتطهر عن الطغيان والإشراك والكفران يستعمل بالي وبفي، أي هل لك سبيل ترغب إليه وفيه إلى التزكي والتطهر من الكفر.

## ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخَشَىٰ﴾ (١٩)

﴿وَأَهْدِيكَ﴾ وأرشدك ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى سبيل معرفته وطريق هدايته ﴿فَخَشَىٰ﴾ [النازعات: 19] وتخاف منه وتخشاه، وهي المخافة على طريقة الخشوع والخضوع إنما تكون بعد المعرفة وملاك الأمر في كل الخير، إذ من خشي الله أتى منه كل خير ومن آمن اجترأ على كل شيء، ومنه: من خاف أدلج أي بلغ المنزل، قال الجاحظ في الناس: ولا يخشى الناس ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]، كالتفصيل لقوله: ﴿فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لِيَنَّا﴾ [طه: 44].

## ﴿فَأَرِنُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ (٢٠)

﴿فَأَرِنُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: 20] وهي قلب العصا حية وانقلابها إليها فإنه كالأصل والمقدم أو مجموع معجزاته فإنها باعتبار دلالتها على كمال الإعجاز كآية الواحدة أو مجموع المعجزات.

## ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ (٢١)

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ [النازعات: 21] أي ظهر منه التكذيب والعصيان في ذكر عصا أطرافه وفي تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم إشعار بكمال التمرد ورسوخ صفة الكذب والعصيان فيه.

## ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ (٢٢)

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ [النازعات: 22] وأعرض عن الحق وتولى عنه.

## ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ (٢٣)

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ [النازعات: 23] فحشر فرعون وجمع سحرة قومه فنَادَىٰ بالصوت العالي والنداء الرفيع.

## ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ (٢٤)

﴿فَقَالَ﴾ لقومه ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: 24] أي ليس في قومي إله آخر أعلى. قيل: أراد أن الأصنام أرباب وأنا ربها وربكم، أو أراد القادات والحكام والسادات.



﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ (٢٥)

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ﴾ يعني سوء العاقبة في الآخرة وهو الإحراق ﴿وَالْأُولَىٰ﴾ [النَّازعات: 25] أي سر العاقبة في الدنيا وهو الإغراق بالماء.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ (٢٦)

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الإغراق ﴿لَعِبْرَةً﴾ أي أمر يعتبر فيه إلى اعتبار عدم اعتبار الدنيا وما فيها وما بها من الرياسة والحشمة والسلطنة والاختيار بالسياسة وانتفاء إبقائها ﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النَّازعات: 26] ويخاف من الله ومن سوء العاقبة، أي لمن كان من شأنه الخشية الكاملة المقتضية إلى معرفة الله تعالى وكمال شهوده وعلمه ووفور أنوار لطفه وكرمه وجوده وقوة حكمه.

﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَوْ السَّمَاءُ بَنَتْهَا﴾ (٢٧)

﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ وأصعب تكوينًا وإيجادًا والتتامًا وخرقًا ﴿أَوْ السَّمَاءُ﴾ السبع والعرش والكرسي التسع ﴿بَنَتْهَا﴾ [النَّازعات: 27] وخلقها وكونها وأوجدتها، وإنما عبر بالبناء إشعارًا أو بناءً على أن النسبة إيجاد السماوات لما فيها من الكواكب والبروج والنفوس والأرواح ذوات المعارج والعروج كنسبة البناء الجزئي إلى الباقي الجزئي الفاني من حيث البناء وترتيب الأجزاء وتركيب البسائط والأعضاء بيان لبيان السماوات وخلقها.

﴿رَفَعَ سَعَىٰهَا فَسَوَّيْنَهَا﴾ (٢٨)

﴿رَفَعَ سَعَىٰهَا﴾ على سقفيها، إشارة إلى أن وضع السماء كروي لأن للسماء في جميع الجهات سمكًا ورفعة وعلوًا، وهذا الوضع ذهني لا يتصور إلا في الكرة والشكل المستدير ﴿فَسَوَّيْنَهَا﴾ [النَّازعات: 28] أي جعل نسبة أجزائها المفروضة إلى الداخل وهو المركز وإلى الخارج وهو المحيط على السوية وبهذه النسبة نسبة ألوهية إلى الممكات ولذا صار أفضل الأشكال.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ (٢٩)

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ وأعمى وأظلم من غطش الليل إذا أظلم ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النَّازعات: 29] أي أبرز ضوء شمسها كقوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ [الشَّمْس: 1] يريد

النهار وهذا برهان واضح وبيان ساطع سابح يدل على استدارة السماء من جميع الجهات، فإنَّ تساوي جرم الشمس وضوؤها وكذا تساوي جسم القمر واستوى صغرها وكبرها، وكذا تساوت أجرام الكواكب عند الطلوع والاستواء والغروب والبعد والتوسط بين الاستواء والطلوع والغروب يدل على استدارة الكل، وأما ما قيل: أن الكواكب عند الأفق ترى أعظم فليس من نفس الكوكب بل لتراكم الأبخرة.

### ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (٣٠)

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي بعد بناء السماء وسمكها ﴿دَحَاهَا﴾ [النازعات: 30] أي بسطها ومهدها للسكنى في وسط الكل حيث ينطبق مركز ثقلها على مركز الكل وهو مركز العالم إن كانت الأرض على وضعها الطبيعي وهو الاستدارة الحقيقية، ومركز ثقلها غير مركز العالم فلو لم تكن الأرض في الوسط ومالت إلى الحافتين وإلى إحدى الجهات الباقية انتنى تساوي أحوال النيرين والكواكب الباقية فيفطن ويخدش.

### ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ (٣١)

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا﴾ أي من الأرض ﴿مَاءَهَا﴾ المكمونة المستورة ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ [النازعات: 31] على تقدير كونها في الوسط فيكون نسبة كرة الماء إليها على السواء فيخرج منها ماءها أي بيانها بحيث إنَّها إذا أخرجت عن الوسط فيخرج عن نسبة الاعتدال، والكواكب عن نسبة المساحة والمجازات فلا تنعكس أشعتها على زوايا قائمة متساوية، ولا يخرج الماء ولا النبات ولا الحيوان بل المعادن إذ الكون والتكوين موقوف على الاعتدال والسوية. قال النبي ﷺ: «بالعدل قامت السماوات».

### ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ (٣٢)

﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: 32] أثبتها واستقرّها عليها.

### ﴿مِنَعَا لَكُمْ وَلَآتِعْمِكُمْ﴾ (٣٣)

﴿مِنَعَا لَكُمْ﴾ ممتعاً وممتعاً لكم ﴿وَلَآتِعْمِكُمْ﴾ [النازعات: 33].

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ (٣٤)

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ﴾ الداهية التي تطم وتعلق على سائر الدواهي ﴿الْكُبْرَىٰ﴾ [النازعات: 34] أي الأمر الأكبر وهي القيامة العظمى والنفخة الثانية أو الساعة التي يساق أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، والساعة كالنفخة اثنتان إحداهما قبل قيام القيامة، والثانية بعدها وبعد النفخة التي تعاد الأرواح فيها إلى الأجسام. وقال البعض: الطامة الكبرى هي القيامة العظمى. قال الحسن: إنما هي النفخة التي عند حشر الخلائق إلى الموقف الأول، والآخرون على أنها عبرة لقوله:

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ﴾ (٣٥)

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ﴾ [النازعات: 35] يعني إذا رأى أعماله مدونة مكتوبة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها، وما يحتمل أن تكون مصدرية وموصولة.

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ (٣٦)

﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: 36] أي ظهرت السعير لكل من هو شأنه أن يدرك ويعلم ويرى، ولا يخفى على أحد مشاهدته.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَفَىٰ﴾ (٣٧)

﴿فَأَمَّا مَنْ طَفَىٰ﴾ [النازعات: 37] وضلّ وعصى وبغى

﴿وَوَآثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٣٨)

﴿وَوَآثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النازعات: 38] واختارها في الدنيا على الآخرة وانهمك وتكالب وحرص عليها

﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٣٩)

﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: 39] أطلال الأعمال السيئة الطالحة، وامتاز فقدان الاستعداد الوقوعي في الأول. قال النبي ﷺ: «إنما هي أعمالكم ترد عليكم».

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٤٠)

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ [النازعات: 40] مقامًا يكون ثابتًا بين يدي ربه يعلمه به

وبالمبدأ وبالميعاد ﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾ الأمانة واللومة ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النَّازَعَاتُ : 40] وما يمثل إليه الطبيعة الحيوانية والطينة البهيمية والسبعية والشيطانية .

### ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ ﴿٤١﴾

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ﴾ التي هي آثار العبادة الخالصة والطاعة البدنية والنفسانية والروحانية والفعلية وظلالها ﴿هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النَّازَعَاتُ : 41] والمرجع والمأمول إليه ، وذلك أي الأعمال يجيء صاحبها إلى الجنة فإن أغصان شجرة الأعمال الصالحة قد ظهرت في الجنة وأصلها ثابت عند العبد ، وطالب صاحبها فيجذب عاملها إلى شجرتها وهو الجنة كما أن ضدها إنما هي في السعير وأصلها لدى الجحيم يجر صاحبها إليها أو لأن كل نفس طيبة من جنس الجنة والعمل الصالح الذي هو مقتضى الجنسية ، ويصحح نسبة الجنسية وأيد صاحبها إلى ما يجانسه وكل نفس خبيثة من جنس الجحيم والعمل الصالح من مقتضاها يجر صاحبها إلى إيجابه .

### ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ﴿٤٢﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ ﴿٤٢﴾ لما كان المشركون يستمعون أخبار القيامة والساعة التي وصفها تعالى بالأوصاف الهائلة كالطامة والصاخة والقارعة والزلزلة قالوا على وجه الاستهزاء : ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النَّازَعَاتُ : 42] أي متى إثباتها وإقامتها أو منتهاها أو مستقرها من مرسى السفينة وهي ما تنتهي إليه وتستقر فيه .

### ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ ﴿٤٣﴾

﴿فِيمَ﴾ أي أي شيء ﴿أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ [النَّازَعَاتُ : 43] أي يذكر وقتها لهم ويعلمهم به . عن عائشة رضي الله عنها : لم يزل رسول الله ﷺ يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت أي هذه الآية ، فهو على هذا التعجب من كثرة ذكره لها كأنه قيل : في أي شيء أو اهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها .

### ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا﴾ ﴿٤٤﴾

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَلَا﴾ [النَّازَعَاتُ : 44] أي منتهى علمها .

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَهَا ﴾ ﴿٤٥﴾

﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَهَا ﴾ ﴿٤٥﴾ [النازعات: 45] إنما خص الإنذار بأهل

الخشية لأنهم يتفعون بها وبذكرها دون الغافلين ولهذا وصفهم بقوله:

﴿ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿ كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا ﴾ في يوم وقعت الواقعة فيه وهم يرونها في ذلك اليوم ﴿ لَمْ

يَلْبَثُوا ﴾ في الدنيا وفي القبور ﴿ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴾ [النازعات: 46] أي مقدار أيام

الدنيا كعشية يوم أو ليلة أو مقدار المكث في القبر كمقدار يوم أو ليلة، ولذا

أضاف الضحى إلى العشية لأنها في يوم واحد. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ

سورة (النازعات) كان ممن حسبه الله في القيامة حتى يدخل الجنة قدر الصلاة

المكتوبة».



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي عبس حبيبه إذ سأله سائل عن الساعة وهي نهاية الدورة العظمى الإلهية التي سماها بالطامة الكبرى، وعن الصاخة وهي غاية الدورة الصغرى ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي شقَّ أرض استعدادات أعيانها وأخرج منها حب الشريعة النورية وأعانب العبادات البدنية ومحل القوة الفطرية وزيتون القوة العملية، وقصب الإدراكات المتعلقة بالصنائع والجِرْف، وفواكه العلوم الإلهية كالمنطق والحساب والعروض والنحو والهندسة وعلوم الطريقة والأخلاق وغير ذلك كالطب والهندسة ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي حلى بواطنهم وزينها بأنوار أسرار هذه الإدراكات وحقائقها.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾

﴿عَبَسَ﴾ كَلَح ﴿تَوَلَّى﴾ [عَبَسَ: 1] أي أَعْرَضَ.

﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾

﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عَبَسَ: 2] وهو عبد الله بن أم مكتوم أتى رسول الله ﷺ وعنده صناديد قريش يدعوهم إلى الإسلام فقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله، وكرَّر ذلك ولم يلتفت إليه الرسول ﷺ، فقطع النبي ﷺ الكلام مع القوم فعبس وأعرض عنه فنزلت. وكان رسول الله ﷺ يكرمه ويقول: «مرحبًا يا من عاتبني فيه ربِّي» واستخلفه على المدينة مرتين، وذكر الأعمى إشعار بعذره في الإقدام على قطع الرسول ﷺ الكلام.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أي شيء يجعلك داريًا ومدركًا بحال الأعمى ﴿لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ [عبس: 3] مضارع من باب التفعيل، يتطهر من الآثام بما يلتقف منك، وفيه إيماء إلى أن إعراضه كان لتزكية عبدة أو تذكر.

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾

﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ [عبس: 4] أي يتعظ الأعمى ويقبل منك موعظة فتتفعه موعظتك. قيل: الضمير لعله للكافر أي إنك طمعت في تزكيته للإسلام وتذكره بالموعظة ولذلك أعرضت عن غيره عند التوجه إلى دعوته إلى الإسلام أي شيء علمك أن ما طمعت فيه من الإسلام.

﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعْتَى﴾

﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعْتَى﴾ [عبس: 5] عن الله والإيمان به.

﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾

﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ [عبس: 6] أي تتعرض له بالإقبال عليه أصله تتصدى. ويقال: تصدى فلان لفلان أي تعرض له وتوجه إليه وأقبل لديه.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي﴾

﴿وَمَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَلَّا يَزَكِّي﴾ [عبس: 7] ليس عليك بأس وخرج إن لم يتزك الكافر ولم يتطهر عن دنس الكفر وما عليك إلا البلاغ.

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾

﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ﴾ عبد الله المذكور حال كونه ﴿يَسْعَى﴾ [عبس: 8] ويسرع طلبًا

للخير.

﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾

﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ [عبس: 9] الله ويخشى غضبه وأدبه للكفار في إتيانك أو كبوة الطريق لأنه أعمى لا فائدة له.



﴿فَأَنْتَ عَنْهُ لَلْغَىٰ﴾ (١٠)

﴿فَأَنْتَ عَنْهُ لَلْغَىٰ﴾ [عَبَسَ: 10] أي تتشاغل وتغفل يعني إن مثلك لا ينبغي ويتحري أن تتصدى للغني وتلهي للفقير.

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ (١١)

﴿كَلَّا﴾ ردع عن المعاتب عليه ومناداة مثله ﴿إِنَّهَا﴾ أي هذه السورة أو القصة أو القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ [عَبَسَ: 11].

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ (١٢)

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ [عَبَسَ: 12] حفظ القرآن ومحافظته، والضمير المنصوب للقرآن أو للمعاتب عليه.

﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ (١٣) ﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ (١٤)

﴿فِي صُحُفٍ﴾ مثبتة فيها صفة التذكرة أو خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف ﴿مُكَرَّمَةٍ﴾ [عَبَسَ: 13] ﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ [عَبَسَ: 14] عند الله لتكريمه لما فيها على الفقر فتذكرة عند الله مرفوعة المقدار عالية القدر، أو مرفوعة في السماء السابعة مطهرة عن أيدي الشياطين لا يمسه إلا الملائكة المطهرة لقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: 79].

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ (١٥) ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (١٦)

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ [عَبَسَ: 15، 16] كاتبين وهم الملائكة والأنبياء والعلماء الربانيون. دعاء عليهم بالسخط العظيم والقحط العميم لأنه أفرط في الكفر لما تذكر الصفة المشتملة على ترفع قريش على فقراء المسلمين وعجب عباده المؤمنين من ذلك نزلت الآية في عتبة بن أبي لهب، وقال الآخرون: كل غني يترفع على فقير بسبب الغنى.

﴿قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ (١٧)

﴿قُلْ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ [عَبَسَ: 17] جمع بار يعني أن الملائكة مكرمون عند الله أو على المؤمنين لأنهم يستغفرون لهم وهم في أنفسهم نقي تقي.

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ (١٨)

﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ (عَبَسَ : 18) بيان سبب دعاء الصناديد عليه، يعني لأجل أنهم ما تفكروا في أنهم من أي شيء خلقهم الله تعالى وغضب عليهم.

﴿ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴾ (١٩)

﴿ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ ﴾ أي خلق مادة وجوده وأصل تكوينه بشهوده الماء الحقيق بيان الإجمال وتفصيله ﴿فَقَدَرَهُ﴾ (عَبَسَ : 19) واعلم أن كل حادث له ثلاث مراتب: الأولى والثانية والثالثة.

أما الأولى: فأشار إليها بقوله: ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ (عَبَسَ : 18) أي جعل مادة وجوده فأشار إلى جوابه ﴿ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ ﴾ (عَبَسَ : 19) أي مادة وجوده الأولية النطفية التي هي حقيرة مهينة فكل موجود مادة وجوده هي الأمر الحقيق لا يليق بحاله التعظيم والتبخر والافتخار والتكبر.

قال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه، نهاه عن الكبر، فإنه ليس أحد يدخل الجنة وفي قلبه مثقال خردلة من كبر».

وقال: ﴿ خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف: 37] ثم قدّر كل عضو في الكمية والكيفية بالقدر اللائق مصلحة نظيره: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: 2] أي جعل أطوار وجوده وكونه مقدرًا في النطفة فالتدريج يخرج إلى الوجود والامتزاج والتنوع.

﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ (٢٠)

أما المرتبة الثانية: وهي المتوسطة وأشار إليها بقوله: ﴿ ثُمَّ ﴾ أي بعد تقدير مادة وجود الإنسان في النطفة ﴿ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ (عَبَسَ : 20) منصوب بمضمر قد فسره بقوله: ﴿ يَسَّرَهُ ﴾ أي جعل الطريق في الخروج من ضيق الرحم إلى فضاء الدنيا وكان في الرحم الجنين رأسه من فوقه ورجله من تحته، فإذا جاء وقت الخروج انقلب وذلك الثقل والانقلاب ليس إلا من الله وبتقديره وتأثيره. وبيان هاتين المرتبتين قد مر في قوله: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ [غافر: 67] إلخ.

﴿ثُمَّ أَمَانَهُ فَاقْبَرَهُ﴾ (٢١)

وأما المرتبة الثالثة: فهي في الحقيقة واسطة بين حال التكليف والمجازاة، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ثُمَّ﴾ بعد استكمال الإنسان في أمر المعاش ومعرفة المبدأ والمعاد ﴿أَمَانَهُ فَاقْبَرَهُ﴾ [عَبَسَ: 21].

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ (٢٢)

﴿ثُمَّ﴾ بعد الإماتة والدفن في القبر ﴿إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عَبَسَ: 22] في المحشر العظمى.

﴿كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ﴾ (٢٣)

﴿كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ﴾ [عَبَسَ: 23] ردع للإنسان عما هو عليه، الضمير راجع إلى الإنسان المطلق أي أعم الحكم بأن الإنسان إن حكم بأنه ممكن في ذاته يحتاج في وجوده وفي كل ما يتبعه من الأفعال الآثارية والأعمال الاختيارية وإن خصص بالكافر وإنما لم يفعل ما أمره الله تعالى من الأفعال والعبادات البدنية والطاعات النفسية لأن الله تبارك وتعالى لم يوفقه، ولما أعطاه التوفيق وإن أعطاه الاقتدار والقوة والتحقيق إذ في الفعل الإرادي والعمل الاختياري لا بد من أمرين: الاقتدار والقدرة، ثم بعد الاقتدار لا بد من التوفيق وهو رتبة الأسباب وإعدادها وتحصيل شرائطها ورفع ودفع الموانع ظاهراً وباطناً صورة ومعنى.

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٢٤)

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [عَبَسَ: 24] وإلى ما يقتات به بدنه وبنيته من النباتات والحيوانات، تفصيل لما ذكره من الإجمال بأن النبات الذي يرتاع به الحيوانات وبعض الإنسان إنما هو بخلق الله والذي يزرع الإنسان ويحرثه منبته هو الله تعالى وخالق الكل إنما هو الله.

﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ (٢٥)

﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ [عَبَسَ: 25] تفصيل ما أجمله وأبهمه استئناف وبيان لكيفية خلق مادة الإنسان والحيوانات والنباتات بل المعادن، وإشعار بأن مادة جميع

الموجودات الكونية وأصل تمام المكونات العينية إنما هو الماء الذي هو أول الموجودات ومبدؤها كما مر مراراً إذ أول ما نزل من سحب الذات الأحدية ماء التوحيد الذاتي والعلم وتجلي الله الذات بذاته بعنوان ذاتي، فإنه أصل الشؤون الذاتية ثم ينزل من هذا السحاب ويظهر ماء العلم بذاته وشؤوناته الذاتية.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ (٢٦)

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ﴾ أي أرض الاستعدادات الذاتية والقابليات الأولية التي أفاضها الفيض الأقدس وهو التجلي الذاتي الذي انبسط في ذاته تصور النسب الذاتية والشؤونات الأولية وإنما هي أرض الاستعدادات التي هي نهاية الأمانة الذاتية وبداية الأسمائية التي هي الأفلاك الإلهية والسموات الذاتية «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»، ﴿شَقًّا﴾ [عبس: 26] كشق العلم والقمر بالقوة الإلهية والقدرة الذاتية.

﴿فَأَبْتَنَّا فِيهَا حَبًّا﴾ (٢٧)

﴿فَأَبْتَنَّا فِيهَا﴾ أرض الاستعداد ومنها ﴿حَبًّا﴾ [عبس: 27] والحَبُّ حَبُّ ذاتي وهو أصل ومادة وغذاء ذاتي وقوة أولى لتمام الحقائق الإلهية والأعيان الكونية.

﴿وَعِنَّا وَقَضْبًا﴾ (٢٨)

﴿وَعِنَّا﴾ نبتة ذاتية تتضمن خمر المحبة الذاتية وشراب المودة الهوية العينية وعصير أحكام الشرائع والنبوة التعريفية والنبوة التشريعية ﴿وَقَضْبًا﴾ [عبس: 28] علوماً تتعلق بحقائق الركعات المعدنية والنفوس النباتية، والنبوة قواها من العادية والنامية والمولدة وما يخدمها من الماسكة والجاذبة والهاضمة والدافقة والمفضلة والمعبرة والمصورة.

﴿وَزَيْتُونًا وَخَلًّا﴾ (٢٩)

﴿وَزَيْتُونًا﴾ أي القوة العلمية ﴿وَخَلًّا﴾ [عبس: 29] أي القوة النظرية.

﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ (٣٠)

﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ [عبس: 30] أي علوماً تتعلق بأحكام الطريقة وأعمالها

وبتحسين الأخلاق وتبديل الأوصاف، أي أشجارًا عظيمة وهي إشارة إلى أصول الأخلاق وهي الفقه والشجاعة والحكمة.

### ﴿وَفَكَّهُهٗ وَأَبًا﴾

﴿وَفَكَّهُهٗ﴾ أي فروعها مما يتولد من الأصول المذكورة والتي يتولد من الفقه هي الحياء والرفق والصبر والقناعة والسخاوة وأضدادها إنما تتولد من طرفي العفة وهما الإفراط والتفريط ومقتضاهما هي الخمر والفسق فمنها يظهر ضد الحياء والرفق والصبر والقناعة وغير ذلك على الترتيب، ومن اعتدال القوة الغضبية تحصل الشجاعة، ومن طرفها يتولد طرفان مؤننان وهما الجبن والتهور، ومن اعتدالهما بحسب القوة الغضبية تحصل صفات حميدة وهي الثبات والهمة والتواضع والحمية والغيرة.

قال النبي ﷺ: «الغيرة من الرجال من الإيمان ومن النساء كفر». وأضداد تتولد من طرفها ومن اعتدال طرف النطق يتولد صفة محمودة وهيئة ممدوحة وهي الحكمة وهذه الحكمة ليست هي الحكمة المدونة المنقسمة إلى النظرية والعملية ويتولد من طرفها الإفراط والتفريط البله والشيطنة، ومن تركيبهما في ضمن الحكمة وهي ملكة يقتدر بها على أجزائها الفقه والشجاعة على وجه العدالة، ومن تركيب هذه الصفات تحت القوة النطقية يتولد منها أخلاق حميدة كالذكاء وحسن التعقل والتحفظ والتفكر بالصواب والذكر والتصرف في معاني هذه الأوصاف وأضداد هذه الهيئات الفاضلة كثيرة، والملكات الكاملة كثيرة. وإذا اعتدلت هذه القوى الثلاثة - أعني الفقه والشجاعة والنطق والحكمة وضمن العدالة وظهرت أخلاق كثيرة وأوصاف جميلة كبيرة من الصداقة والوفاء والشفقة والتودد والتسليم والرضاء والتوكل، ولها طرفان وهما: الإفراط والتفريط يتشعب منها أضداد هذه الأوصاف وهو انضمامها الظلم والإظلام، ويتفرع منهما الرذيلة وصفات عليلة وهي مقابلات تلك الملكات الفاضلة.

﴿وَأَبًا﴾ [عَبَسَ: 31] أي مرعى وعاطفة فاكهة على القلب وعلى ما عطف عليه يوجب أن لا يدخل هذه الأشياء في الفاكهة إذ المعطوف يغير المعطوف عليه أصله أَبٌ كَأَمْ يَوْمٌ إذا قصد، ومن أب لكذا إذا تهيأ للوعي وفاكهة أبه يؤبه ويدخر للشتاء.

﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِتَنْمِلَكُمْ﴾ (٣٢)

﴿مَنْعًا لَكُمْ﴾ أي هذه المذكورات متاع خاص لكم ﴿وَلِتَنْمِلَكُمْ﴾ [عبس: 32] إذ بعضها طعام ورزق لكم وبعضها لمواشيكم.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّافَّةُ﴾ (٣٣)

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّافَّةُ﴾ [عبس: 33] أي النفخة التي تظهر في الدورة الكبرى النورية الجمالية، وصفت بها مجازًا لأنَّ الناس يصيخون لها من صخَّ يصخُّ إذا احتاج لديها وصوت بصوت رفيع عالي.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤)

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: 34] وإنما قدم الأخ لأنه أشد استثناسًا.

﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَجِيهِ وَبَنِيهِ﴾ (٣٥)

﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَجِيهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: الآيتان 35، 36] وإنما أحر الأب لأنه في ذلك اليوم تظهر عداوته.

﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (٣٧)

﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ﴾ واشتغال بنفسه ﴿يُغْنِيهِ﴾ [عبس: 37] يمنعه من الالتفات إلى الغير.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (٣٨)

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ [عبس: 38] مشوقة مضيئة من أسفر الصبح إذا أشرق وأضاء.

﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ (٣٩)

﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: 39] مسرورة بما يرى من النعم الفاضلة والمنح الكاملة.

﴿وَوُجُوهُ يُومِئِدُ عَلَيْهَا عَبْرَةٌ﴾ ﴿٤٠﴾

﴿وَوُجُوهُ يُومِئِدُ عَلَيْهَا عَبْرَةٌ﴾ [عَبَسَ: 40] غبار كدرة وبخار مدرة.

﴿تَرْهَقُهَا قَرَّةٌ﴾ ﴿٤١﴾

﴿تَرْهَقُهَا قَرَّةٌ﴾ [عَبَسَ: 41] يغشاها سواد وظلمة.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفٰجِرَةُ﴾ ﴿٤٢﴾

﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون ﴿هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفٰجِرَةُ﴾ [عَبَسَ: 42] الذين جمعوا بالكفر والفجور ولذا جمع إلى سواد وجوههم الغبرة والعبرة. قال النبي ﷺ: «من قرأ سورة (عبس) جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر».





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي كوّر شمس الروح وأزال ضوءها وشعاعها، يعني أدرك نعتها وشهود لذاتها لدى تجلي شمس ذاتها ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أسقط يحموم سلوى إدراكاتها وكواكب قوى تصرفاتها في النفس والبدن وأطرحها ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي يوصل كل روح ونفس إلى أفق مابين أحدية الجمعية دون تجلي الذات بتمام الأسماء والصفات لكل روح .

### ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: 1] اضمحلت وذهبت بأضوائها وأنوارها فسقط انبساط ضوئها ونورها إلى الآفاق وألقت وحدت من فلکها وبطل آثارها وأثرها ويظل جرمها ودررها إذ الشرط حذف فعلها يفسر كورت أي اذكر وقت تكوير الشمس .

### ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: 2] أي انقضت وتناثرت في السماء الحسية في آخر الدورة العظمى النورية من فروع الدورة الصغرى كما أشار النبي ﷺ: «خلق الله الدنيا على سبعة أمادٍ والأمد الدهر الطويل لا يحصيها إلا الله ونحن في الأمد الأخير» .

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: 3] عن أماكنها إلى وجه الأرض .

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾ أي النوق اللاتي أتى على حملهن عشرة أشهر، جمع عشراء  
﴿عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: 4] أي سلبت وبطلت .

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: 5] جمع الوحش وهو حيوان توحشت عن  
الإنسان استبعدت حشرت جمعت عن جميع الجهات عند الموقف وذلك عند  
الانتقال فردارية الحكم والتربية من دورة الجمال إلى الجلال الضمني كان خفياً  
لدى صراحة حكم النور والجمال وذلك يتضمن ظهور جميع المخفيات وبروز  
تمام المظهرات فالاستبعاد في مثل هذا الأمر الإلهي لا يرى مقتضيات الأمر  
الإلهي عند انتقال الشمس من بروج الشتاء إلى بروج الربيعي كيف يحشر الله  
الحيوانات التي اختفت في الشتاء وظهرت في الربيع، وكذا يحشر النباتات  
ويخبئها في هذا الفصل .

﴿وَإِذَا الْيَحَاظُ سُجِرَتْ﴾

﴿وَإِذَا الْيَحَاظُ﴾ التي كانت في الدنيا وهي سبع وقد مر الكلام فيها في سورة  
(الطور) ﴿سُجِرَتْ﴾ [التكوير: 6] أحميت وأوقدت حتى انقلبت كلها ناراً وامتلأت،  
ويتفجر بعضها إلى بعض حتى يصير الكل بحراً واحداً من سجر السور إذا ملئت  
بالحطب لتحمية ثم يحمى الكل وتسجرت وتوقدت حسب اقتضاء الأمر الإلهي،  
فإن في هوليات الممكنات وموادها وهي الوجود المطلق والذات المحقق في  
نفسها اقتضاءات ونسباً وإضافات واختفاء بعضها في بعض، فإن في كل شيء كل  
شيء، ففي كل واحد من الأفلاك والعناصر يتمكن الكل، فعند انتقال الفردارية من  
دورة إلى دورة أخرى جلالية يبرز ما كان كامناً من صور الأفعال وهيئات الأعمال  
وأشكال التمثلات في خزائن أدوار النور والجمال وهي مقتضيات الجلال، فعند  
انتقال الفردارية إلى الجلال يبرز ما كان كامناً في مكان من خزائنه .

## ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ [التكوير: 7] قرنت بالأبدان كل منها إلى صاحبه، وكذا كل ما صدرت منها من الأعمال الإرادية والأفعال الاختيارية بروج بما تمثلت بها من الصور المتناسبة والهيئات المتقاربة الحسنة والقبیحة، أو نفوس المؤمنين بالجوود ونفوس الكفار بالشياطين ومقتضياتها من الصور القبيحة.

## ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّتَتْ ﴿٨﴾﴾

﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ﴾ وهي الجارية المقتولة المدفونة حية ﴿سُيِّتَتْ﴾ [التكوير: 8].

## ﴿يَأْتِي ذَنْبٌ قُلَّتْ ﴿٩﴾﴾

﴿يَأْتِي ذَنْبٌ قُلَّتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: 9] فتعدت من عمل هذا العمل أشد العذاب.

## ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ﴾ [التكوير: 10] التي كتبت فيها الأعمال النفسانية والأفعال البدنية الصادرة من الحواس الظاهرة بالاختيار والأحوال القلبية وهي الأخلاق والأوصاف والملكات المرضية أو الكدرة الغير المرضية ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36]، ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18]، ﴿نُشِرَتْ﴾ [التكوير: 10] فإن الصحائف تطوى عند الموت وتنشر يوم الحساب.

## ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾ [التكوير: 11] قُلِعَتْ وتقطعت وسقطت.

## ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾ [التكوير: 12] أوقدت وحميت إيقادًا شديدًا.

## ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ ﴿١٣﴾﴾ [التكوير: 13] أي قربت من المؤمنين أي اطلعوا على قربها بهم لأنها آثار أنوار الأعمال الحسنة والأفعال المرضية والأحوال الرضية

والأقوال الطيبة. ورد في الحديث: «يُحشر الناس على أعمالهم، إنما هي أعمالكم ترد عليكم»، وكذا السعير قربت من أعيان الناس إلا أن بعضًا منها قد ستروها ومحوها «إن الحسنات يذهبن السيئات، اتبع السيئة الحسنة تمحها» الحديث.

### ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التَّكْوِيرُ: 14] وقدمت من الأعمال والأفعال والخيرات والحسنات والمعاصي والسيئات، جواب الشرط المذكور مكرراً قد تقدمت حقيقة الأحوال والأعمال فيما تقدم، فإن الله يدبر أمر العالم الروحاني والبرزخي وعالم الملك وما فيها من الأعيان بالأسماء الذاتية الأربعة الأولى وهي: العليم والحي والقدير والمريد بالأصالة والاستدلال وبالثلاثة الأخيرة أعني السميع والبصير والمتكلم بالتبعية والتطفل والفرضية، وأن لكل اسم ظاهراً أو باطناً جمالاً وجلالاً، نوراً وظلالاً واقتضاءً، ولذلك الاقتضاء مدة معينة وبرهة بينة وفي ذلك الوقت تظهر دنيا وآخرة وسماء وأرض وأعيان مخصوصة وأكوان منصوصة، وإذا انقضت تلك المدة وانتهت تبدلت الدنيا وما فيها من السماء والأرض وما فيها وما عليها من الكواكب والجبال والبحار وغير ذلك، فإذا انتقلت فردارية سلطنة نوبة التدبير من اسم إلى اسم آخر ظهرت القيامة وبرزت الساعة وبهرت النفخة الأولى والأخرى ويتبدل طور الدنيا إلى طور الآخرة، وطور الآخرة إلى طور الدنيا، فصارت الموتى والجنة والنار وما يلزمهما وما كان لازماً للخوف من صور الأعمال والأحوال ما ذكرت هاهنا من تكوير الشمس وانكدار النجوم وغير ذلك ظاهرة محسوسة بالحواس الظاهرة، فإذا هذه المذكورات وغيرها أمور لازمة الوقوع واجبة الظهور فلا يغرب هذا أولاً إغراب من هذا، فإن قدرته تعالى وقوته أكبر وأعظم من أن تدركها العقول والأوهام ومقتضياتها كفيات وقوعها وأوقاتها.

### ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُسِ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ [التَّكْوِيرُ: 15] يعني فلا ينبغي من العالم العامل أن يرتاب في حقيقة أمثال هذه الصورة فإنها واقعة قطعاً، أقسم بأنها واقعة قطعاً وألبتة. والقسم إشعار بأن الإنسان مركب من قوانين الهيئة وكونية رحمانية وشيطانية، وأن القوة

الشیطانية غالبة في الأكبر بل في الكل كما أشار إليه ﷺ: «وإني ليغان على قلبي وإني أستغفر الله في كل يوم سبعين مرة»، وفي رواية: «مائة مرة»، فيغفل الإنسان ويبعد عن الله وعن مواعيده.

### ﴿الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ (١٦)

﴿بِالنُّفُسِ﴾ (١٥) ﴿الْجَوَارِ﴾ [التكوير: 15، 16] أي الكواكب الخمسة المتجبرة الرواجع من خنس إذا تأخر ورجع من سمت إلى سمت آخر جمع خانس وهو الانقباض والاستحقار، يقال: خنس من بين النجوم إذا انقبض واستخفى، وفي الحديث: «إن الشيطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر الله خنس وانقبض»، والجواري هي الدراري السيارة السبعة ﴿الْكُنُوسِ﴾ [التكوير: 16] الغيب الخفي، وهي: زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر، وإنما أقسم بهذه الكواكب الراجعة إذ الرجعة مقتضى العطف والاستقامة والإقامة وهذه أحوال لا تأتي من فلك واحد بل لا بد من أفلاك متعددة كما بين في موضعه، وأكثر الأحوال يوجب كثرة القوة وكمال القدرة ونور العلم والحكمة، وبعد هذه الأحوال مدة تحت شعاع الشمس تحترق وتنكس فيه وهذه الحالات بمقتضى زيادة أفلاك صغار غير شاملة للأرض تكون معرفة في ثخن فلك حامل له خارج المركز وتكون هذه الأحوال أموراً غريبة لا توجد في سائر الأفلاك والكواكب استحقت بأن يقسم بها.

### ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ (١٧)

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ (١٧) [التكوير: 17] أدبر. قيل: أقبل إظلامه وهو من الأضداد، يقال: عسعس الليل وتعسعس إذا أدبر.

### ﴿وَالضُّبْحِ إِذَا نَنَفَسَ﴾ (١٨)

﴿وَالضُّبْحِ إِذَا نَنَفَسَ﴾ (١٨) [التكوير: 18] أي ظهر من بطن ظلمة الليل وطلع من أفق الأرض.

### ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (١٩)

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (١٩) [التكوير: 19] يعني جبرائيل.

### ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿ ذِي قُوَّةٍ ﴾ كقوله: شديد القوى وسديد القدرة والكمال، انتهى ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: 20] عند الله وقار مكانه وعلو مرتبته .

### ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿ مُطَاعٍ ﴾ في مرتبة الملائكة ﴿ثَمَّ﴾ أي في مرتبة ودرجة رتبته ﴿أَمِينٍ﴾ [التكوير: 21] على الوحي يحتمل الاتصال بما قبله وما بعده .

### ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ ﴾ أي الرسول ﷺ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: 22] كما زعم الكفار المنتقمون من العباد والجهال الفجار المنتقمون، وإنما خص على نفي الجنون ردًا على ما قالوا: ﴿ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ [سبأ: 8] .

### ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ ﴾ يعني محمد لجبرائيل ﴿بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: 23] بمطلع الشمس وهما مدار رأس السرطان فإنه أعظم المدارات اليومية ولذا بلغ طول النهار فيه إلى غاية في الآفاق المائلة وفي هذا المدار يقرب الشمس إلى سمت رؤوس أهل مكة ويمر عليها .

### ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [التكوير: 24] الضنة من التهمة أي ليس محمد من شأنه أن يتوهم عليه . روي أن رسول الله ﷺ قال لجبرائيل: «أريد وأحب أن أراك في صورتك التي تكون عليها في السماء، فقال: لن تقوى على ذلك، قال: بلى، فأين تشاء بفعل ذلك، قال: بالأبطح، قال: لا يسعني، قال: فَبِمَنَى، قال: لن تسعني، قال: فبعرفات؟ قال: ذلك بالمعزل أن يسعني قواعده . فخرج النبي ﷺ فإذا هو بجبرائيل عليه السلام قد أقبل من جبال عرفات فخشخشه وكلله وقد ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فلما رآه النبي ﷺ خرّ مغشيًا عليه، قال: فتحرك جبرائيل في صورته فضمه إلى صدره وقال: يا محمد

لا تخف، فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في النجوم وأن العرش لعلی كاهليه وأنه ليتضاءل أحياناً من مخافة الله عزَّ وجلَّ مثل الوسغ» يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمته .

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ (٢٥)

﴿وَمَا هُوَ﴾ يعني محمد ﷺ ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ﴾ أي لا يقول محمد ما يقول الشيطان ﴿رَّجِيمٍ﴾ [التكوير: 25] بالاستراق السمعي من السماء، هذا رد لما قالوا إنه لكهانة وسحر .

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (٢٦) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٧)

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (٢٦) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 26، 27] أي ليس القرآن أو محمد إلا تذكرة أو مذكر وناصح لأهل العالم، هذا استقلال لهم كما يقول لتارك الجادة: أين تذهبون وأين تمشون، توبيخاً وزجراً لهم، مثلت حالهم بحال هذا الذاهب في ترك الحق ودعوته إياهم عنه إلى الباطل .

﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨)

﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: 28] بدل من العالمين، بدل البعض إن اعتبرت الكلية والجزئية، وبدل الكل إن اعتبرت الحقيقة والماهية لأن الذين شاؤوا الاستقامة بالدخول في الإسلام هم المنتفعون بالذكر، فكأنه لم يوعظ به غيرهم وإن كانوا به موعوظين جميعاً .

قال شيخ الطائفة الجنيد رحمه الله: معنى هذه الآية: تقرؤون آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: 21]، ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ (٢٦) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٧) ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) [التكوير: 26-28] أي يتبع الحق ويعمل به ويقوم عليه .

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩)

ثم قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 29] روي أنه لما نزل: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: 28] قال أبو جهل: نزلت إلينا إن شئنا

استقمنا وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: 29].

حكى عن أبي سفيان، عن وهب بن منبه قال: الكتب التي نزلت من الله تعالى على الأنبياء عليهم السلام بضع وتسعون كتاباً، قرأت منها بضعاً وثمانين كتاباً فوجدت منها من جعل على نفسه شيئاً من الشبه لحد الكفر. قال الواسطي: عجزت في جميع أوصافك فلا تشاء إلا بمشيئته ولا تعمل إلا بقوته ولا تطيع إلا بفضله ولا تعصي إلا بخذلانه فماذا تبقى لك، وبماذا تفتخر من فعلك وليس من فعلك شيء. قال النبي ﷺ: «من قرأ سورة (التكوير) أعاده الله تعالى أن يفضحه حين تنشر صحيفته».



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي انفطرت بقدرته الكاملة وقوته الشاملة سماء الدورة الصغرى والنورية الجمالية الصريحة ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي ربى ودبر أعيان هذه الدورة بكمال رحمته وعموم نعته بشمول صورة تمام جمعيته بالحكمة النظرية والعملية المتعلقة بتكميل طور القلب والسر الذي هو مجمع الأطور العالية وشمس مشارق الطور الروحي والخفي، وغيب الغيوب وبدر طور قمر القلب الذي ارتفع عنده معاني مقتنيات أطور النفس بأنواعها والقلب بإشباع مشاعر العشرة الشاعرة الشارعة إلى العاشرة ﴿الرَّحِيمُ﴾ الذي زين فؤاد قلوب العارفين بأنوار الحكمة النظرية وأسرار النظرة العملية ليتمكن من العروج إلى سماء عطارده والقوة النظرية راقياً إلى فلك زحل الحكمة العملية إلى أن بلغ إلى عرش حبيته لكل ليرى ما عملت بضيق ما قدمت وأخرت .

﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾

واذكر وقتاً ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: 1] انشقت وتكسرت وتفرقت .

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ أُنثَرَتْ﴾

﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ﴾ أي نجوم القوى النظرية وذرى المبادئ العقلية، وهي المشاعرة العشرة، الشاعرة الظاهرة والباطنة ﴿أُنثَرَتْ﴾ [الانفطار: 2] وتساقطت من سماء شمس الروح .

### ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: 3] أي جمعت وانصبت ماء البعض في البعض لدى ارتفاع الحاجز الذي جعله الله برزخاً فيصير الكل بحراً واحداً، وارتفاع الحاجز إنما يكون لتزلزل الأرض وتحركها وانصداعها وانقلاع الجبال ونسفها.

### ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ [الانفطار: 4] أي انتشرت وقُلبت أسفلها أعلاها وبإظهار ظاهرها بإحياء ما فيها وخروجها، أو بإخراج ما فيها من كنوز الذهب والفضة والجواهر النفيسة وذلك من أسرار الساعة وعلاماتها.

واعلم أن هذه الأربعة اثنان منها سماويان واثنان أرضيان من أسرار الساعة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: الآيات 1 - 4] إلى آخر السورة. واعلم أن انفطار السماء وانشقاقها وانتشار الكواكب وغيرها أمر ممكن جائز وغيره لإشراك الكل في الجسمية والأمر النوعي إذا اقتضى أمراً نوعياً في البعض كالانشقاق والانصداع والانفطار كما يقع على العناصر لا بد وأن يقتضي في الكل وإلا لزم التحكم. فإن قيل: إنما يكون ويصح إذا كانت العناصر والأفلاك أنواعاً، وأما إذا كانت أجناساً فلا أجيب بأن الهوية الاتصالية الأفعالية وهي الجسمية مشتركة في الكل، فإذا طرأ أمر نوعي كالانشقاق والانفطار والافتراق على بعض لا بد وأن يجوز طريانه على الآخر، كيف وأن الكل يباشر الفاعل المختار، فإن مجرد الإمكان لا يقع بدون تأثير أمر خارجي، ألا ترى أن انفصال العناصر أمر ممكن في نفسه في كل الأوقات فلو لم يضم تأثير الفاعل المختار المرادين ثم يقع الانفصال بالفعل في بعض الأوقات وإلا لزم التحكم لاستواء الفعل في جميع الأوقات، وكذا نسبة تأثير الفاعل الموجب بالنسبة إلى تمام الأوقات على السواء، فإن العامل الخارجي لا بد وأن يكون مختاراً مريدًا ليخصص إرادته وقوع الفعل في وقت دون وقت وبصفة وضع دون وضع وغير ذلك من الأحوال.

واعلم أن الغرض من هذه الآيات تخريب بناء دار الدنيا وانهدام بيت العالم، وأسقف هذا البيت هو السماء، وسطحه هو الأرض والماء، ومن أراد تخريب البيت لا بد أن يتبدأ من السقف. فانفطار السماء تخريب السقف والبحار فجرت والقبور بعثرت إشارة إلى تخريب السطح وأجزائه.

### ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ [الانفطار: 5] إشارة إلى العلة الفانية، المراد مما تقدم هو الأعمال الصادرة في أول العمر وبما تأخرت في آخر العمر، والمراد هو الأعمال البدنية، ومن الثانية هو الأفعال النفسانية والأخلاق القلبية وآثار الملكات الفاضلة التي تحصل بعد اللُّتيا والتي، فإن تزكية النفس وتصفية القلب وتأديب النفوس العاملة وتهذيب القوى والجوارح الفاعلة وتحسين الأوصاف وتبديل الأخلاق فلا تحصل إلا بعد المجاهدات الشاقة والرياضات الحاقة. والمراد من الأول أعمال أحكام النبوة، ومن الثاني أحكام أحوال الولاية وتكميل أنوارها الحفِيَّة وأسرارها الخفية، وتحصيل مرتضيات أطوارها ومقتضيات أدوارها.

والمراد من الأول ما يظهر في الموقف الأول من الأحوال ومقتضيات الأعمال والأفعال الحاصلة على سبيل الإجمال. ومن الثاني ما يبدو على وجه التفصيل عند نشر الكتب وقراءتها عند الحشر والنشر، هذا هو الكلام في القيامات الآفاقية يحصل دون نهاية اقتضاء الأدوار الأربعة النورية والجمالية أمر من هذه الأمور وهو مقتضى دورة من الأدوار الأربعة الضمنية الفرعية لما علمت أن كل دورة من الإدراكات الحسولية الحضورية إنما يكون عند ظهور سلطان العلم الحضورى والإدراك الشهودى وسماء هذا العلم إنما تنفطر بحقيقة حق اليقين. والمراد من البحار هي العلوم النظرية والأحكام العملية التي يتصل إحديهما بالأخرى، ويضمحل كل منهما باستيلاء سلطان عين اليقين وحق اليقين وتجميع الكل في أحدية الجمع.

والمراد بالكواكب هو القوى البدنية، والمراد بالروحانية والمبادئ النفسانية التي تبرز عند التجلي الإلهي الذاتي.

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾ [الانفطار: 4] أي مقتضيات الأطوار من الإدراكات النظرية والذاريات الفكرية الحاصلة من مقدمتي السير إلى الله ومن الله التي تنتج السير في الله أمر مرتضيات الأدوار التي كانت مكبوتة في قبر خزائن الكورة الجلالية التي كانت كامنة في ضمن الأدوار النورية الجمالية، فعند غاية الدورة ونهايتها وانتقال حكم فردارية نوبة التربية إلى كورة الجلال قامت القيامة وظهرت الساعة والنفخة الأولى والثانية، وتزلزلت القابليات الذاتية، وتحركت الاستعدادات الأولية فحينئذ تبرز الأكوان والأعيان وأحوالها التابعة لها في الوجود.

واعلم أن السور الأربعة - وأعني النازعات وعبس وسورة التكوير والانفطار - إشارة وبيان للقيامات الأربعة الواقعة في نهاية الأدوار الأربعة هي: العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، وفي كل دورة نورية كورة ظلية جلالية ضمنية خفية كان ارتضاؤها ضمناً خفياً تبعاً وما كان لكل دورة دنيا وأرض وسماء، وفي كل سماء كواكب ونجوم، ففي قيامة وظهور ساعة إنشاء نفخة أولى وثانية لا بد وأن تظهر قبل قيام قيامة وظهور ساعة آثار القيامة أولاً في السماء والكواكب فلا بد وأن تبين أولاً (السماء بناها والأرض دحاها) ثم تبين ما يطرأ عليها من التكوير والانكدار في الدورة العظمى والكبرى والانفطار والانتشار في الدورة الوسطى والصغرى.

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: 6] الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّدَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ﴾ [الانفطار: 6] وجعلك مغروراً وأجرأك على عصيانه وترك عبادته والإيمان به وبطغيانه ﴿الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: 6، 7] وذكر الكريم للمبالغة في المنع من الاغترار، فإن محض الكرام والتكريم والإكرام ورفض الظلم والإظلام لا يقتضي إهمال الظالم وتسمية الموالي وتقوية الأهالي والمعاني، فكيف إذا ضم إليه صفة القهر ونعت الانتقام، وللإشعار بأنه يغرم الشيطان بالعقوبة والدلالة على كثرة الكرم ووفور منحه يستدعي الجِدَّ في طاعته والكد في عبادته لا الانهماك في عصيانه، والإشراك في الإيمان به اغترار بكمال كرمه ووفور منحه ودرور نعمه.

روي عن علي رضي الله عنه أنه صاح بغلام له: بكرة، فلم يلبه، فنظر فإذا هو بالباب فقال له: ما لك لا تجيبني؟ قال: اعتمادي على كرمك وحلمك وأمني من

عقوبتك، فاستحسن جوابه فأعتقه. وقالوا: ومن كرم الرجل سوات غلمانه. روي: لما قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية، قال عمر رضي الله عنه: كرمك يا كريم، وقال بعضهم: لو أقامني الله بين يديه فقال: ما غرَّك بي، قلت: غرَّني كرمك بي دائماً. قال: ﴿بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ﴾ [الانفطار: 6] دون سائر أسمائه وصفاته لأن تلقين الإجابة بدل الوصف إنما هو بدل كرمه الذي خلقك أولاً في مادة وجودك وعنصر حقيقة نصرك وشهودك كالنظفة والماهية البسيطة.

﴿فَسَوِّدَكَ﴾ في وجودك وإخراج أجزاء بدنك من القوة إلى الفعل وضم بعضها ببعض على ما تقتضيه العدالة وحسن الاستقامة ونعت الاستواء والتسوية في أصلاب آبائك ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ [الانفطار: 7] في رحم أمك.

### ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ﴾ من الصور والهيئات والأشكال والتماثيل والأمثال ﴿مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: 8] في غير صورة الإنسان من صورة أسد ونمر أو كلب أو خنزير أو دب أو غير ذلك مما يحشر عليها، فما: صلة، وقيل شرطية، ركبك: جزاؤه والعائد محذوف وقال: الذي شاء ركبك على ذلك.

### ﴿كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع من الاغترار بكرم الله تعالى ﴿بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ﴾ [الانفطار: 9] بل حرف وُضِعَ في اللغة لنفي شيء قد تقدم غيره فذكر لـ (كَلَّا) وجوهاً: أحدها: إنكم لا تستقيمون على ما توجه من نعمتي عليكم وإرشادي وهديتي لكم بل تكذبون بي ويوم الدين.

الثانية: ارتدعوا عن الاغترار وتمنعوا من المخدعة والخدع والاعتبار والاستدراج بتواتر كرم الله تعالى وتكاثر آلائه ووفور نعمه ودرور نعمائه.

والثالث: أي الأمر ليس كذلك كما تقولون من البعث والنشر والدين هو الإسلام أي أنكم تكذبون وجدان الجزاء على الدين والإسلام، والمراد هو الحساب بالصحف والكتابات مما يورث الجزاء بالشواب الحسن والخطاب والقول المستطاب.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الانفطار: 10] من الملائكة المقربين والجواهر المكرمين والفواخر المعظمين .

﴿كَرَامًا كَنِينٍ ﴿١١﴾﴾

﴿كَرَامًا كَنِينٍ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: 11] يكتبون ما تصنعون بالإرادة .

﴿يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: 12] نصبه إما على المدح أو على البديلة .

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار: 13] جمع بار كأنصار جمع ناصر، أو جمع بر وهو الذي يتبع الخيرات كلها كالبر والبحر فإنه يشتمل على كل رطب ويابس كالكتاب المبين ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وهو في الحقيقة هو الكتاب، أما القرآن والسبع المثاني وروح الروح والأواني والنعيم هو الجنة أما في الآفاق وهي الجنة النفسانية التي هي من جنس نعيم الدنيا كالحور والقصور والغلمان وأنواع الطعوم والمشارب والولدان وغير ذلك، وأما في الأنفس وهي جنة التجلي والآثاري في الطور السري وهي متنوع بتنوع التجليات .

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾ وهي تقابل الأبرار، وهم الكفرة والمشركون أولئك هم الكفرة الفجرة ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: 14] بيان لما يقتضي المكتوب وتفصيل له على سبيل الكلية .

﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿يَصَلُّونَهَا﴾ يدخلون النار والجحيم والسعير ﴿يَوْمَ الَّذِينَ﴾ [الانفطار: 15] يوم الجزاء وهو يوم القيامة بوصولهم فيه بالجزاء .

## ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [الانفطار: 16] أي عن الجنة بخارجين بل حاضرين بها أبد الدهور.

## ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الانفطار: 17] أي أعلمك وأطلعك على حقيقة يوم الدين والتنبه له وما هي الشارحة لحقيقة الشيء.

## ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾﴾

﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الانفطار: 18] تكراره إشعار بأن يوم الدين ليس مما يعلم بتوجه واحد أو بتكرره لكمال عظمته ووفور هوله وشدته، فإنك كيف ما تصورت وبأي نعت وصفة أدركته وشاهدته فهو أعلى منه أو لتكرر يوم الدين فإن لكل دورة سماء وأرضاً ودنيا طويلاً وعرضاً وأخرة يوم فصل ودين وقيام قيامة وظهور ساعة.

## ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي لا يستطيع أن يصدر عنه شيء من النظر والشفاعة لشدة هوله وحدة غوله ﴿وَالْأَمْرُ﴾ أي أمر الدنيا وحالها ومآلها وأمر الآخرة وتدبيرها وإجراء الأحوال على مقتضاه ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في يوم القيامة ﴿لِلَّهِ﴾ [الانفطار: 19] مختص به لا يشاركه أحد لا في أمر حقير ولا عظيم وخطير إذ لا يملك الله أحدًا في ذلك اليوم شيئًا من الأشياء ولا أمرًا من الأمور كما ملككم في الدنيا إشارة إلى فناء ما سوى الله تعالى في ذواتهم وأسمائهم وأفعالهم وصفاتهم في الدنيا والآخرة بل ترجع الأمور كلها إليه. قال النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الانفطار) كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعده كل قبر حسنة».





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل عدالة الكيل واستقامة الميزان في العلوم العقلية والحروف والرسوم الفعلية ذريعة الاستصعاد إلى سماء السعادة الدنيوية وشريعة الاستقصاد إلى فلك السيادة الدينية ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي هنا للفجار الجحيم وللأخيار الجنة والنعيم ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي أوصل الكفار إلى دار البوار والنظار إلى غار القرار ومقام الأبرار.

## ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: 1] من التطفيف وهو البخس والخيانة في الكيل والميزان والتقليل في الأوزان لأن ما يبخس ويقلل طفيف حقير. روي أن رسول الله ﷺ لما كان في المدينة وكان أهلها من أبخس الناس فنزلت فقرأها عليهم فأحسنوا الكيل والميزان وقال ﷺ: «خمس بخمس، قيل: يا رسول الله وما خمس الخمس؟ قال: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر».

وعن علي كرم الله وجهه أنه مر برجل يزن الزعفران وقد أرجح فقال له: أقم الوزن بالقسط ثم أرجح بعد ذلك ما شئت. كأنه أمره بالسوية أولاً ليعتادها

ويفضل الواجب من النفل . عن ابن عباس : إنكم معاشر الأعاجم وليتم أمرين بها مَلَكٌ من كان قبلكم المكيال والميزان . وإنما خص الأعاجم لأنهم يجمعون الكيل والوزن جميعاً وكانا معروفين في الحرمين ، كان أهل مكة يزنون وأهل المدينة يكتالون .

﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ

يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾  
[المطففين: 2، 3] بيان حالهم في الأخذ والدفع، ففي الأخذ يستوفون، وفي الدفع ينقصون ويخسرون . روي أن رسول الله ﷺ إذا قدم المدينة وبها رجل اسمه جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، فأنزله الله :

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿أَلَا يَظُنُّ﴾ ويستيقن ﴿أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ [المطففين: 4] أولئك فاعل يظن أنهم مفعول استخبار بأنهم وقع منهم الظن، فإنَّ مَنْ ظَنَّ البعث لم يجترأ على أمثال هذه القبائح فكيف إذا تيقنه، وفيه إنكار وتعجب لحالهم .

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾﴾

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾﴾ [المطففين: 5] متعلق بمبعوثون .

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ بدل من الجار والمجرور ويؤيده قراءة الجر ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: 6] وفي هذا الإنكار والتعجب وذكر الظن ووصف لليوم بالعظيم وقيام الناس فيه لأمر الله وحكمه والتعبير عنه برب العالمين مبالغة في المنع عن التطفيف وتعظيم اسمه وتغليظ جرمه وثقل حكمه .

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينَ ﴿٧﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع عن التطفيف والغفلة والبعث والحساب ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ﴾ أي ما يكتب فيها أعمالهم أو كتابة أعمالهم ﴿لَفِي سِجِّينَ﴾ [المطففين: 7] أي في كتاب

عظيم جامع لأعمال الفجرة من الثقليين .

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ﴿٨﴾ كَنْبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ﴿٨﴾ كَنْبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾ [المطففين: الآيتان 8، 9] مسطور فيه كتاب أعمال الثقليين والأرض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار وأعمالهم . قال رسول الله ﷺ: «سجين أسفل سبع أرضين» . سئل كعب الأحبار عن قول الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّ كَنْبَ الْفَجَّارِ لَفِي سَجِينٍ ﴿٧﴾﴾ [المطففين: 7] فقال: إن أرواح الفجار يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم تهبط إلى الأرض فتأبى أن تقبلها، ثم تهبط فتدخل تحت أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين ويوجد إبليس فيخرج بها من سجين تحت حد إبليس فيرقم ويختم ويوضع تحت حد إبليس . وقال أيضًا ﷺ: «والذي نفسي بيده إنها شجرة سوداء تحت الأرضين السبع مكتوب فيها اسم كل شيطان، فإذا قبض الكافر تعرج إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها، فيرمى بها إلى سجين» . أصل سجين من السجن وهو الحبس، وأما عليون فإذا قبض نفس المرى المسلم عرج به إلى السماء ففتحت أبوابها حتى ينتهي إلى العرش قال: «فيخرج كف من العرش فيكتب له منزلته وكرامته» . عن النبي ﷺ: «العلق جب في جهنم مغطى، وسجين جب في جهنم مفتوح» . ﴿كَنْبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾﴾ [المطففين: 9] بيان كتاب في سجين مرقوم فيه ما لا ينسى ولا يمحي .

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيِّمَ الدِّينِ ﴿١١﴾﴾

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيِّمَ الدِّينِ ﴿١١﴾﴾ [المطففين: 10، 11] بالحق وبما جاء به بلسان جبرائيل على قلب محمد ﷺ منه ما ذكر في هذه الآية .

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ متجاوز عن الحد في النظر الصحيح والحق الصريح ﴿أثيم﴾ [المطففين: 12] غالى في التقليد حتى جحد قدرة الله وقوته في إيجاد هذه الأمور الغريبة الحققة .

﴿إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا﴾ [المطففين: 13] ومقالات بياننا وكلمات معجزاتنا ﴿قَالَ﴾

أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ» [المطففين: 13] من فرط جهله وإعراضه عن الحق الواضح فلا تنفعه شواهد النقل بل قواعد العقل الصريح ومعاهد الذوق الصحيح إذ طريق العقل واحد.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع عن هذا القول ﴿بَلْ رَانَ﴾ ثابت وكائن ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14] إلا أن ظلمة القلب التي حصلت من تراكم الذنوب والآثام إلى أن رسخت فيه وصار ملكه وزال عنه قبول الحق.

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15] لرسوخ ظلمة الذنوب وثبات سواد كدورة المعاصي والجهل المركب الذي هو من أروأ أمراض النفوس في القلب والصدر فتحجب عن مشاهدة الحق وشهود جماله.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ [المطففين: 16] أي لداخلو النار ويصلون إليها.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم في المحشر العظمى والقيامة الكبرى ﴿هَذَا﴾ العذاب ونار العقاب التي أنتم فيها داخلون من نتائج ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: 17].

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ ﴿١٨﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع وتكرير للأول أي الأمر ليس كما توهموا أولئك الفجار من إنكار البعث والقول بأن كتاب الله هو أساطير الأولين ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ﴾ [المطففين: 18] جمع علي وهو فعيل من العلو والبعض على أن إعراب هذا الاسم كإعراب الجمع المذكر السالم لأنه على لفظ الجمع كما تقول: هذه قنسرون ورأيت قنسرين، والمفسرون على أنه السماء الرابعة، وفي رواية هي السماء السابعة، والبعض على أنه فوق السماء السابعة وهي سدرة المنتهى. قال الفراء: هو علو وارتفاع فوق علو وارتفاع، والحق أنه مقام عالي ورتبة رفيعة لها في كل

السموات والمراتب مظاهر ومجالي، وللعارف بحسب تنوع الأحوال وتطور المقامات وتعفن الأطوار والحالات شهودات وأنظار، فكلما قيل من اختلاف الآراء هو حق وصادق، ومصدق هذا قول الفراء: وقال الزجاج: هو أعلى الأمكنة. وقال الآخرون: هو كتاب أعمال الملائكة يؤيده ظاهر القرآن.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المطففين: 19، 20] قد مر الكلام فيه مرارًا بين أن كتاب الأبرار إنما هو في الكتاب المرقوم.

﴿يَشْهَدُهُ الْمُقْرَبُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿يَشْهَدُهُ الْمُقْرَبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المطففين: 21] من الملائكة بأن الله تعالى كلما وكلهم باللوح المحفوظ وحفظ ما فيه كذا يحفظون الأبرار في جملة ذلك الكتاب الذي هو أم الكتاب على أوجه الإعظام له، ولا يمتنع أن الحفظة إذا صعدت بكتب الأبرار فإنهم ينقلونها إلى هؤلاء المقربين فيحفظونه كما يحفظون كتب أنفسهم ويتلقون ما في تلك الصحائف إلى ذلك الكتاب الذي وگلوا الحفظة عليه، ويصير شهادة عليهم بهؤلاء الأبرار فكذا يحاسبون حسابًا يسيرًا، إلا أن هؤلاء المقربين يشهدون لهم بما حفظوه من أعمالهم، وإذا كان هذا الكتاب في السماء صح قول من تأول ذلك على أنه من السماء العالية. واعلم أن المعتمد في تفسير هذه الآية ما يتناول العلو والصفاء والطهارة من علامات السعادة والسفل والظلمة والكدورة من علامات الشقاوة.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [المطففين: 22] أي سعادة ولذة مخلدة دائمة منها

لهم.

﴿عَلَى الْأَرْآكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿عَلَى الْأَرْآكِ﴾ جمع أريكة وهي السريرة ﴿يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: 23] إلى أنواع السعادة والنعيم من الجنة وما فيها من الحور والولدان وأنواع الأطعمة والأشربة والملابس والمراكب والمسكن الطيبة والأماكن الهنية والأنهار الجارية

والأشجار المثمرة والأثمار المتنوعة والأنوار المتلونة وغير ذلك هو النعيم .  
 والبهيمية هي جنة الآثار، وأما جنة الأحرار فهي أعلى منها وهي ملكوت هذه  
 الجنة وبواطن ما فيها وهي الحضائر القدسية والسرائر النفسية ومشاهدة لقاء الله  
 وأنوار جماله ومعانيه أطوار أسرار جلال الله في مظاهر الأفعال ومشاهد  
 التكوينات، وهكذا وراء هذه الجنة جنة أعلى وهي جنة الأصفياء والأخيار، وهي  
 جنة الأسماء، وفوق هذه الجنة جنة أخرى وهي جنة العارفين وهي جنة الذات،  
 وفوق الكل جنة أعلى وهي جنة الجمعية والصورة النوعية الإنسانية .

### ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المطففين: 24] وهي صفاء يسري من  
 صفاء الباطن إلى الظاهر إلى الوجه الظاهري بصورة البهاء وكيفية الصفاء على  
 الأعضاء والجوارح والحواس الظاهرة والباطنة في كل بما يناسبه، وإنما ذكر  
 الوجه لكونها أظهر وأجلى وأشهر .

### ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ شراب خالص طيب لذيد ﴿مَخْتُومٍ﴾ [المطففين: 25] وهي  
 شراب التجلي الذاتي والكمال الجمعي والجمع الكمال . مختوم منقوش  
 بنصوص الخواتم الإلهية والهيئة الكلية والنوعت الإحاطية لئلا يصل إليها من  
 الاستحقاق له ولا أهلية لتناولها .

### ﴿خِتَمُهُمْ مِسْكًَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿خِتَمُهُمْ مِسْكًَ﴾ أي آخر خلطها مسك أذفر . قال بعضهم : ختامه عند الله مسك  
 وختامه وعاقبته اليوم في الدنيا طين ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ الختم والرحيق والنعيم ﴿فَلْيَتَنَافَسِ﴾  
 وينتظر ﴿الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: 26] المنتظرون وليرتقب المرتقبون أو فليرغب  
 الراغبون بالمبادرة إلى ما يقتضيه من الأعمال الصالحة والأفعال الفالحة .

### ﴿وَمَزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَمَزَاجُهُمْ﴾ أي مزاج الرحيق أو الشراب الصافي والنعيم الوافي ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾  
 [المطففين: 27] أي شراب رقيق ريحاني يصب عليه من علو ومكان رفيع مأخوذ

من سنام البعير وتسليم القيود وهو اسم شراب من أشرف الأشربة. وإنما سمي به لأنه يتسمن ويرتفع فينصب عليهم انصباباً من فوقهم في غرفهم وممتاز لهم تجري من جنة عدن إلى أهل الجنان وهو خاص بالمقربين يشربون ماء صرفاً من غير مزج بأمر آخر ويمزج ويخلط لسائر أهل الجنة ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17]. قال بعضهم: هو عين تجري في الهواء منشماً فيصب في أوان أهل الجنة على مقدار مَلئها، فإذا ملأت أمسك الماء حتى لا يقع منه قطرة على الأرض فلا يحتاجون إلى الاستسقاء.

### ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾

(عيناً) نصب على الحال ومفعول يسقون أي يسقون عيناً من العيون، أو أعني ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾ أي منها أو بها ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: 28] قال بعضهم: يشرب بها المقربون صرفاً على بساط القرب في مجلس الأُنس ورياض حضائر القدس بكأس الرضا على مشاهدة الحق سبحانه بالوسيلة فرد كامل من الإنس.

### ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: 29] يعني إن دوساً وقريشاً كانوا يضحكون على فقراء المؤمنين استهزاءً واستخفافاً عليهم وعلى إسلامهم يتعجبون، فيه إضممار وحذف وتقدير، يعني إن الذين أجمروا من كبار قريش ورؤسائهم كانوا يضحكون. قيل: نزلت في علي رضي الله عنه وذلك أنه جاء في نفر من المسلمين إلى النبي ﷺ سخر منهم المنافقون وضحكوا.

### ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾ [المطففين: 30] فقالوا: رأينا قوماً أصلع فضحكنا بهم. الغمز هو الإشارة بالأعين والحاجب استهزاءً واستخفافاً عليهم وعلى إسلامهم.

### ﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾

﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ أو رجعوا وانتقلوا إلى أهلهم ﴿أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين: 31] حال كونهم متلذذين بالاستهزاء مثل الاستلذاذ بالفواكه، كان

استهزأؤهم بالفقراء إما هو فواكه طيبة متنوعة .

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ رؤساء قريش ﴿قَالُوا﴾ لفقراء المؤمنين ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ [المطففين: 32] يعني فقراء المسلمين .

﴿وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَمَا أَرْسَلُوا﴾ يعني الملائكة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي على الفقراء المؤمنين ﴿حَافِظِينَ﴾ [المطففين: 33] ليحفظوا أعمالهم ويترصدوا أقوالهم ليستهديهم ويرشدهم إلى الله ويبعدهم عن الضلالة وكمال الجهالة إلى الهداية وملاحظة أعمالهم ووفور العطفة وعموم العناية .

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿فَالْيَوْمَ﴾ أي يوم القيامة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: 34] يقال لأهل النار: اخرجوا وفتحت أبوابها فإذا رأوها مفتحة أقبلوا إليها وتوجهوا لديها يريدون الخروج منها إلى الجنة والمؤمنون حينئذ على الأرائك ينظرون إلى الكفار، فإذا وصلوا وانتهوا إلى الأبواب المفتوحة غلقت دونهم .

﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

فإذا ضحكوا ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: 35] حال من يضحكون .

﴿هَلْ تُؤْتَبُ أَلْكَفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿هَلْ تُؤْتَبُ﴾ وأجزى ﴿أَلْكَفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: 36] أي يجزى الكفار بأفعالهم القبيحة وهو الكفر والشرك والاستهزاء بالإسلام والمسلمين ومنعهم عن الإيمان بالله والإسلام، الاستفهام على سبيل الإنكار كأنه استهزئ بهم بأنهم موجود هذه الفعال القبيحة والخصال الوقيحة يتوقعون الثواب وحسن الجزاء والأجر الجزيل والثواب الجليل والعوض الجميل . قال النبي ﷺ: «من قرأ سورة (المطففين) سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة» .



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي انشق قمر صدر حبيبه قداسة كمال الطور القلبي الذي هو مجمع نهاية كمالية القوة النظرية وغاية تمامية القوة العملية بقدرة اليد البيضاء التجلي الصوري الذي هو أتم وأكمل وأعم التجليات الآثارية وأشرفها ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أرسل قوافل الأرواح بمراحل الأشباح وميل نور المصباح عن مكة بلدًا عن أمين عالم الأمر إلى مدينة جمعية عالم الناسوت لاجتلاب متاع أطوار الكمال الجمعية واكتساب نتائج أسرار الحالات وأنوار التجليات الأصلية والفرعية التدريجية والدفعية ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي أعاد تلك القوافل التي بعضها من أصحاب اليمين والبعض الآخر من أصحاب الشمال إلى الوطن الأصلي والمعطن الأولي بتلك الأمتعة بعضهم بلا حساب والآخرين بحساب وعذاب مدبر كما قال: ﴿وَإِنْ مَنَعُوكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 71] الآية، إلى أهلها سائرين بالتجليات الإلهية، بارّين بالحالات الغيبية والمقامات الكاملة القلبية، منقلبين إلى أهلهم مسرورين.

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: 1] انشقت سماء الدورة النورية الجمالية والوسطى والصغرى الوجودية عند انتقال حكم فردانية نوبة تدبيره الدورة من العظمى إلى الكبرى، ومن الكبرى إلى الوسطى، ومن الوسطى إلى الصغرى،

والانشقاق إنما يكون من أشرط الساعة أو من جملة أحكام القيامة. عن علي رضي الله عنه: إنها تنشق من المجرّد.

### ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (٢)

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي قبلت السماء أمر ربها واستمعت وانقادت ﴿وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: 2] وثبت للسماء الانقياد والإطاعة لأمر ربها، والأليق بها أن تطيع لحكم ربها وانقادت إذا لم يوجد في جرم السماء ما يمنعها عن الانشقاق وتفريق الأجزاء والافتراق فكانت في قبول ذلك التأثير كالعبد العاقل المطيع لأمر سيده إذا بلغ إليه وورد الحكم منه لديه قالتا: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: 11] يدل على نفوذ القدرة في الإيجاد والإبداع والخلق والاختراع كذلك تنفذ في الإعدام وتفريق الأجزاء من غير ممانعة لأنه ممكن وكل ممكن يحتاج في الإيجاد والإعدام إلى من وجب إيجاده ووجوده وامتنع عدمه وفناؤه.

### ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ (٣)

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق: 3] وبسطت من الأديم وبسطه.

### ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ (٤)

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ أي أخرجت ما كان كامناً فيها من الموتى والمكنونات والمخفيات من الكنوز الذهبية والفضة، والمراد الأرض الجلالية والعرض الظلية التي عرضها كعرض السماء والأرض كانت الأعيان النورية الجمالية وأحوالها كامنة فيها وهي خزنتها ولوح محفوظ مغيباتها ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: 4] أي صارت خالية عن المخزونات والمكنونات لأنه خرج كلما كان كامناً فلم يبق فيها شيء لا من الأعيان ولا من الأحوال والأكوان التي كانت في الدنيا كامنة مخزونة فيها فبرزت الآخرة وما فيها، وكمنت الدنيا وما فيها من السماوات والأرض وما فيها فتبدلت الدنيا بالآخرة والآخرة بالدنيا وتظهر السماوات وتبدل بالأرض والأرض بالسماوات ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48].

﴿وَأَذِّنْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾

﴿وَأَذِّنْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: 5] هذا بالنسبة إلى الأرض وذاك بالنسبة إلى السماء.

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ ﴿٦﴾﴾

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ﴾ نظراً إلى أصل حقيقتك ﴿كَادِحٌ إِلَى﴾ ومجتهد ومرتاح يقال: كذا حث النفس إذا اجتهدت في العمل قاصداً بعملك ﴿رَبِّكَ﴾ ومعابنته ﴿كَدْحًا﴾ مجاهدة كاملة ورياضة فاضلة لائقة لحصول تلك المشاهدة ﴿فَمُلْقِيهِ﴾ [الانشقاق: 6] أي فإذا أنت تصل إليه وتلاقيه ملاقة ومواصلات فاضلة ومشاهدات شاملة.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾

﴿وَيُنْقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: 7 - 9] حساباً قليلاً سهلاً لقله سيئاته وغلبة حسناته، والمراد من الكتاب هو صحائف أعماله ومصاحف أفعاله، وينقلب إلى أهله وهي الأشباح البرزخية والأرواح القدسية والأعيان الثابتة الأنسية والشؤونات الذاتية، فإن كل طائفة من الأشباح والأعيان الثابتة والشؤونات الذاتية مندرجة تحت حيطة اسم من الأسماء الإلهية الربوبية والبرزخية والملكية الشهادية، فأعيان كل طائفة من هذه الطوائف أمور متقاربة وأحوال متناسبة وكثرات متأهله كما قال النبي ﷺ: «الأرواح جنود مجندة إذا تعارفت ائتلفت وإذا تناكرت اختلفت».

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وِرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وِرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾﴾ [الانشقاق: 10] من الأعيان التي يختلف المولود الجني عن المولود الإنسي النوري الجمالي وخالف حكمه ويجره إلى مقتضى فكرته ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَأَبَىٰ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: 122]، فالأول باعتبار التخالف، والثاني باعتبار التوافق.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا بُرًّا ﴿١١﴾﴾

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا بُرًّا ﴿١١﴾﴾ [الانشقاق: 11] وهلاكًا .

﴿وَيَصَلَّى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾

﴿وَيَصَلَّى سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: 12] أي يدخل نار جهنم، والحال ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الانشقاق: 13] قيل: التنزل في عالم الناسوت ومرورًا في تلك المراتب مرورًا فيها بهم بأعلى المراتب .

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾

﴿إِنَّهُ ظَنَّ﴾ في الدنيا عند غلبة حكم فردارية حكم الجلال ﴿أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ [الانشقاق: 14] ويرجع إلى الله .

﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾

﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الانشقاق: 15] إيجاب بما بعد (لن) عالمًا بأعماله فلا يهمل .

﴿فَلَا أَمْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَلَا أَمْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾﴾ [الانشقاق: 16] الحمرة التي تُرى في الأفق الغربي بعد الغروب، يحتمل الأنفسي والآفاقي في الأدوار الجمالية التي تنتهي دورتها وتغرب شمس تربيتها في مغرب الدورة الجلالية .

﴿وَالَيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَالَيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾﴾ [الانشقاق: 17] وما جمعه وسره في جوفه وفضاء طوفه من الأعيان الكونية والأكوان العينية .

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾ [الانشقاق: 18] من الوسق وهو الجمع من باب الافتعال بمعنى اجتمع، أما عند المقارنة مع الشمس أو في الاستقبال، أما في الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر، فإنه في هذه الأيام يجتمع مع نور الشمس .

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ [الانشقاق: 19] أي حالاً بعد حال كل واحد يطابق الأخرى في الشدة والهول.

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الانشقاق: 20] أي أي شيء يمنعهم عن الإيمان بالله وبيوم القيامة والبعث.

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ﴾ لكمال غفلتهم وفرط جهالتهم وكثرة ضلالتهم ﴿لَا يَسْجُدُونَ﴾ [الانشقاق: 21] ولا يطيعون ولا يتقادون ولا يخضعون.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الانشقاق: 22] بالقرآن وبالرسول وبالبعث والقيامة.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الانشقاق: 23] ويضمرون من الوعاية والوقاية يعني لا يخفى على الله شيء مما أضمره في قلوبهم وخمروه من الكفر والنفاق والعداوة والمخالفة والشقاوة.

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾ [الانشقاق: 24] تهكم واستهزاء.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ استثناء منقطع ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق: 25] من تاب منهم وآمن بالله وبرسوله وبما جاء به وأخبر عنه، لهم أجر خالص عن المنة غير مقطوع لا بالكلية ولا بالجزئية ولا ممنوع. قال النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الانشقاق) أعاده الله تعالى أن يعطيه كتابه من وراء ظهره».



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي زين بروج سماء قلوب العارفين بذراري المعارف الإلهية ونجوم العوارف الربانية ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي ملك السماوات والأرض وخلق كل شيء وقدره تقديراً ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي استوى على عرش مجيد الطور السري والفؤادي التجلي الآثاري والظهور الصوري واستعلى على لوح الروح المحفوظ بالقرآن المجيد والتجلي العقلي والكشف الروحي والوصف العقلي .

## ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البُرُوجِ: 1] الاثنا عشر وهي صورة وأشكال قد تصورت من أوضاع الكواكب على دائرة منطقة البروج الواقعة على هيئة مخصوصة ونسبة منصوبة، فحقيقة البروج في الفلك الأعلى وصورتها في الفلك الثامن المسمى بلسان الشرع الكرسي كما سمي الأول العرش .

## ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ [البُرُوجِ: 2] يوم القيامة .

## ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البُرُوجِ: 3] في ذلك اليوم من أصحاب النظر وأرباب الشهود من الأنبياء وخواص أمته، أو من عموم الخلائق وأهل الكون وذوات الوجود .

## مطلب في فضيلة يوم الجمعة

قال النبي ﷺ: «اليوم الموعود يوم القيامة، والمشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة، ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله إلا استجاب له ولا يستعبد من سوء إلا أعاده منها» ثم تلا هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41].

ثم قال: «ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود، وأكثروا عليّ الصلاة في يوم الجمعة فإنه يوم مشهود يشهده الملائكة، وإن أحدًا لا يصلي عليّ إلا عُرِضَتْ عليّ صلاته حتى يفرغ، قال: فقلت: وبعد الموت؟ قال: إن الله عزّ وجلّ حرّم على الأرض أجساد الأنبياء، فنبى الله حي يرزق».

اعلم أنه لا شهود ولا حضور أعظم من ذلك الشهود والحضور، وأن الله تعالى يجمع خلق الأولين والآخرين من الملائكة والأنبياء والجن والشياطين والأهرمينات والأغوال والجان والإنس تصرف اللفظ إلى هذا العموم أولى، ولذلك وصف ذلك اليوم العظيم بقوله: ﴿مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مریم: 37]، ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: 53].

## ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾

﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ [البروج: 4] جواب القسم على تقدير لقد قتل، والأظهر أنه دليل جواب محذوف كأنه قيل: إنهم ملعونون، يعني كفار مكة كما لعن أصحاب الأخدود، فإن الصورة هذه وردت في تثبيت المؤمنين وتصبرهم على إيذاء أهل مكة، وتذكير بما جرى على ما كانوا يلعنون عن قومهم وتعلموا أن كفار مكة عند الله غير ملة أولئك المعذبين المخوفين بالنار. الخدُّ هو الشق في الأرض.

روي مرفوعاً أنه كان ملكٌ له ساحر، فلما كبر ضم إليه غلاماً ليعلمه وكان في طريقه راهبٌ فمال قلبه إليه فرأى في طريقه حية قد حبست الناس فأخذ حجراً وقال: اللهم إن كان هذا الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها، فقتلها وكان الغلام يُبرئ الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء، فعمي جليس الملك فأبرأه وأبصره فسأله الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، فغضب عليه فعذبه، فدل



على الراهب فعذبه ليرجع عن دينه فلم يرجع الراهب عن دينه، فعذبه بالمنشار فوضعه في مفرق رأسه فشقه حتى وقع بشقاه ثم قيل: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع ثانيًا بالمنشار على رأسه حتى بلغ ترقوته ثم جيء بالغلام وقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا فإذا بلغتم إلى ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فقال: اللهم اكفينهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا فلم يمت وجاء يمشي إلى الملك فقال الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به في قرقور نهر بالسفينة فتلحموا به فإن رجع عن دينه وإلا فاقتذفوه في اليم وأغرقوه.

فذهبوا به، قال: اللهم اكفينهم، فانكفأت بهم السفينة، وجاء يمشي إلى الملك فقال للملك: ما أنت بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به، فقال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ من كنانتك سهمًا ثم ضع فيه قوسك وقل: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده عليه فمات، فقال الناس: آما برّب الغلام، فقيل للملك: نزل بك ما كنت تحذر منه، فأمر بالأخذ في أفواه السكك محدث فأضرم فيها وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي فتمانعت أن يقع فيها، فقال لها الصبي: يا أماه اصبري فإنك على الحق المبين. تكلم في المهد فاقتممت.

عن علي رضي الله عنه حين اختلفوا في أحكام المجوس قال: هم أهل الكتاب، وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد اجتلبت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكرو، فوقع على أخته، فلما صحى ندم وطلب المخرج، فقالت له: المخرج أن تخطب بالناس فتقول: أيها الناس إن الله أحلّ نكاح الأخوات، ثم تخطبهم بعد ذلك: إن الله حرّمها، فخطب ولم يقبلوا منه، فقالت الأخوات: ابسط فيهم السوط، فلم يقبلوا فقالت: ابسط فيهم السيف، فلم يقبلوا، فأمرت بالأخذ وإيقاد النار وطرح من أبى فيها. فهم الذين أرادهم بقوله: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾ [البُرُوج: 4].

### ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُوقُودِ﴾

﴿النَّارِ﴾ بدل من الأخدود بدل الاشتمال ﴿ذَاتِ الْوُوقُودِ﴾ [البُرُوج: 5] صفة لها،

أي وأنها عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكبير .

﴿ إِذْ هُرِّعَتْهَا فُجُودٌ ﴾ ﴿٦﴾

﴿ إِذْ هُرِّعَتْهَا ﴾ على حافة النار، إذ ظرف قُتِلَ ﴿فُجُودٌ﴾ [الْبُرُوجُ : 6] قاعدون .

﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ ﴿٧﴾

﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ [الْبُرُوجُ : 7] شاهدون بعضهم عند الملك بأنه لم يتصرف بما أمر به أو يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة حتى تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم .

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ ﴿٨﴾

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ ﴾ بما أنكروا وما عابوا منهم ﴿إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [الْبُرُوجُ : 8] استثناء على طريقة قوله :

ولا عيب فيهم إلا أن سيوفهم بهنَّ فلولٌ من قراع الكتابِ

﴿ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ﴿٩﴾

﴿ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الْبُرُوجُ : 9] حاصل بهم لا يغيب عنه شيء أصلاً ، فيه إشعار بما يستحق أن يؤمن به ويُعبد وحرى أن يلتجأ إليه .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ

عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ ﴿١٠﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ ولم يرجعوا منها وما تركوا ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [الْبُرُوجُ : 10] الأول بالتبريد والثاني بالإحراق لدوران العذاب عليها، هذا لأصحاب الأخدود . عن علي رضي الله عنه قال : كان أصحاب الأخدود منهم حبشاً . وقال : قد بعث نبي من الحبشة إلى قومه ثم قرأ : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ﴾ [غافر : 78] الآية، وقال بعضهم : هم نصارى من أهل نجران ويشبه أن يكون أصحاب الأخدود جرجيس وكان من حواربي عيسى عليه السلام .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ  
الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ﴾ الإيمان  
المقرون بالعمل الصالح وكمال الإيقان ﴿الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [الْبُرُوج: 11] لتضمنه  
السعادة السرمدية والدولة الأبدية.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [الْبُرُوج: 12] وهو أخذ عنيف وفيض أنيف.

﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِيءٌ وَبَعِيدٌ ﴿١٣﴾﴾

﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِيءٌ﴾ ويظهر ويخترع ﴿وَبَعِيدٌ﴾ [الْبُرُوج: 13] في المحشر العظمى  
وانتهاء الدورة الكبرى أو الوسطى والصغرى بأن يجمع الأجزاء الأصلية البرزخية  
الباقية أزلاً وأبداً، وعندما كان في الدنيا من حيث الشخص إذ من لوازم الشخص  
هو الدنيا، والدنيا قد فנית واختفت وطغت، وكذا الزمان الذي حدث فيه أيضاً  
من لوازمه وهو قد يستمر فالمعاد هو الشخص النوع لا الشخص العيني إذ عادته  
مستحيلة.

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ [الْبُرُوج: 14] متجاوز عن سيئات التائب ويحب ويريد  
ويرضى عن رجع بالاختيار إليه وتاب.

﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾

﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [الْبُرُوج: 15] العظيم، وهو فلك أفلاك الدورة  
الصغرى الجسمانية، فإن لكل دورة عرشاً عقلياً وروحياً ونفسياً وطبيعياً  
وجسمانياً.

﴿فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [الْبُرُوج: 16] لا يمتنع عليه من الممكنات ما يشاء مما

يريد مما هو ينقص ولا يزيد من الإيمان والطاعة والكفر والمعصية والعلم والجهالة والهداية والضلالة، فإن هذه أمور ممكنة، والفاعل والمرجح هو الله، إذ ما سوى الله لا وجود له ولا عدم، وإنما الوجود والعدم إنما هو منه، وكذا ما يتفرع عليها من الأحوال والإيمان والكفر والعلم والإدراكات والعرفان، وكذا الأفعال وغير ذلك.

﴿هَلْ أُنثِقُ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾

﴿هَلْ أُنثِقُ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾ [الْبُرُوجُ: 17] وخبر صاحب الجنود من ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾ [الْبُرُوجُ: 18] بأن صالح وموسى كيف صبرا على أذية قومهما واستخفافهم وإهانتهم.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من قومك يا محمد لا يزال ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ [الْبُرُوجُ: 19] لك ولما جئت به من الأحكام والشرائع.

﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾﴾ [الْبُرُوجُ: 20] حاضر بهم حيث كانوا بحيث لا يغيب عنه وعن عمله وعن قضائه وحكمه.

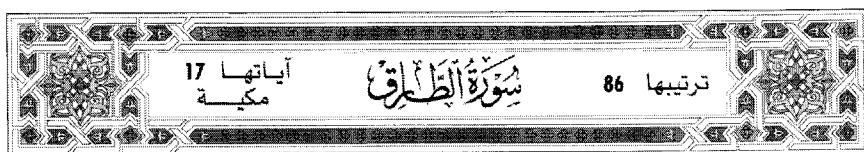
﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿بَلْ﴾ ما كذبوا به ﴿هُوَ قُرْآنٌ﴾ كلام الله بل هنا للإضراب والترقي في نفسه، كتاب شريف وخطاب أنيف ﴿مَجِيدٌ﴾ [الْبُرُوجُ: 21].

﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الْبُرُوجُ: 22] بالرفع صفة القرآن أي مصون عن التغيير والتبديل والانحراف والتصريف والتصريف. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة (البروج) أعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة في الدنيا عشر حسنات» صدق رسول الله ﷺ.

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي طرق الطارقين بمطارق قدرته ومخارق قوته طوارق جمعية ذاته بأسمائه وصفاته ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي شوّف العارفين بساط جذبة من جذبات الرحمان توازي عمل الثقلين ببراقة ورقة نفس الرحمان إلى مدينة الأحدية الجمعية في الدورات النورية والأفق الأعلى الذي هو نهاية مسيرة الصورة النوعية البشرية ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي جمع النفس بالقلب والشهادة بالغيب والكمال ببعض الغيب واليقين بالريب في طور غيب الغيوب وطور جيب الجيوب في ﴿يَوْمَ يُبَلَى السَّائِرُ ﴿٩﴾ فَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ [الطارق: 9، 10] وبصر ولا باصر ولا تفكر ولا ناظر ولا تكون سماء ذات رجع ولا أرض ذات صدع.

## ﴿وَأَسْمَاءَ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾﴾

﴿وَأَسْمَاءَ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾﴾ [الطارق: 1] إشارة إلى الدورة الجمعية الفردية من الأدوار الأصلية والفرعية، والطارق عبارة عن الأعيان الكاملة المتطرقة بالصفات الجامعة والنعوت الرافعة والهيئات المتفرقة.

## ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾ [الطارق: 2] إشارة إلى علو شأن هذه الأعيان ورفعة رتبة تلك الأكوان، يعني أي شيء جعلك مدرّكاً لكمال جمعية هذا السائر البارق

الدائر الجامع المقبل الدائر الفارق .

### ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ (٣)

وهو ﴿النَّجْمُ﴾ الكامل والكوكب الفاضل ﴿الثَّاقِبُ﴾ [الطارق: 3] نزلت في أبي طالب وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ بصحفة تمر ولبن بينما هو جالس يأكل إذ انحط نجم متلألئ ثم فارقض أبو طالب قال: أي شيء هذا؟ قال رسول الله ﷺ: هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله سبحانه وتعالى . فتعجب أبو طالب، فأنزل الله، يعني أن النجم يظهر ليلاً ويختفي نهاراً وكلما جاء ليلاً وتردد فيه فهو طارق، لما ذكر المقسم به أتبعه بذلك المقسم به عليه وهو قوله هذا .

### ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ (٤)

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا﴾ أي الشأن أن كل نفس عليها ملك ﴿حَافِظٌ﴾ [الطارق: 4] يحفظها عن الطوارق والشياطين السوارق إذ هي المخففة واللام فاصلة وما مزيدة إذ أن لا يخلو فيمن قرأ (لَمَّا) مشددة بمعنى لا نافية، وفيمن قرأ مخففة على أن تكون مخففة مثقلة وأيتهما كانت فهي ما يتلقى به القسم . والجملة جواب القسم .

### ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (٥)

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: 5] أي من أي شيء خلق، وقد مر الكلام فيه لما ذكر أن كل نفس عليها حافظ أتبعه بتوصية الإنسان بالنظر في بدايته ليعلم صحة إعادته فلا يملي على حافظه إلا ما في عاقبته . عن النبي ﷺ: «وَكُلُّ بِالْمُؤْمِنِينَ مِائَةٌ وَسِتُونَ مَلَكًا يَدْنُونَ عِنْدَهُ كَمَا يَدْنُو عَلَى قِصْعَةِ الْعَسَلِ الذَّبَابُ، وَلَوْ وَكَّلَ الْعَبْدُ إِلَى نَفْسِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ لَأَخْتَطَفَتْهُ الشَّيَاطِينُ» كما ورد في الدعاء المأثور .

### مطلب دعاء مأثور

يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله .

### ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ (٦)

﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: 6] جواب الاستفهام أي خلق من ماء ذي

دفق وهو الصب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين في الرحم .

### ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (٧)

﴿يَخْرُجُ﴾ ذلك الماء الدافق ﴿مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ ظهر الرجل ﴿والتَّرَائِبِ﴾ [الطارق: 7] أي ترائب المرأة وهي عظام صغار وعظام في الصدر وهي القَصُّ والترقوة ومقرها عروق ملتفة تتولد تلك النطفة والماء المتدفق من فَضْلِ الهضم، الرابع الحاصل الواقع في صدور الأعضاء .

واعلم أن الوارد في بدن الإنسان من الأغذية له أربع هضوم، الأول: في المعدة ويسمى كيلوسًا . والثاني: في الكبد ويسمى كيموسًا . والثالث: داخل في العروق وهو الذي به يصير الغذاء مشابهًا للأعضاء وآجالًا قوامًا . الرابع: في سطوح الأعضاء، وهو الذي يصير الوارد مشابهًا للمتغذي مزاجًا وقوامًا ويصير عضوًا بالفعل .

هذا هو الذي اشتهر بين القوم، وأنت خبير بأن قوام المنى لا يشبه بقوام الأعضاء بل يشبه بالرطوبات المحصورة بباقي العروق، فالأشبه أن يكون فضلة الرطوبة التي انحصرت في العروق وأثر فيها الهضم . والثالث: وهي تشبه النطفة فيكون فضلها ولذا لو بالغ الرجل في الجماع يخرج الدم موضع المنى، والهضم الرابع لا يسيل وكذا فضلها .

فإذا اجتمعت فضل الهضم الثالث وهي النطفة في مقرها ووعائها وهو إنما يكون بين الصلب وترائب الرجل ينزل منه إلى موضع قرب البيضتين والأنثيين - أعني الخصيتين - وطبخت طبخًا تامًا ثم ابيض لونه، والجامع لمادة النطفة من جميع الأعضاء ملك سماه الحكيم طبيعة الحيوان ونفسه إذا تحرك الجامع تصاعدت بخارات من جميع الأعضاء إلى سطح الجلد ولذا أوجب الشارع أن يغسل جميع أجزائه لفتح المسامات ويخرج منها البخارات، والدليل على أنه يخرج من الأعضاء كلها طريان على جميعها .

### ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾

﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ﴾ [الطارق: 8 - 10] أي الإنسان في ذلك اليوم، أي يوم القيامة التي تظهر فيه جميع الأمور الخفية وصور الأعمال

والأقوال ﴿مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: 10] في ذلك اليوم ليدفع عنه كآبته وعذابه .

### ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطارق: 11] أي فلك صغير غير شامل للأرض يظهر بسببه في الكواكب الخمسة المبخرة وهي: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد. والرجعة بأن يرجع إلى ما كانت هي عليه من المكان والمقام بأن كان كل منها في برج، فإن كان بينه وبين الشمس قيل، فإذا قابلها يكون في منتصف الرجفة، فإذا انصرف عن المقابلة ووصل إلى آخر استقام، مثلاً إذا وصل المشتري إلى الأسد والشمس بعد مقارنته تحركت وحلت في القوس رجوع المشتري وعاد إلى السرطان، وإذا حلت الشمس إلى الجدي انتصفت رجعته، وإذا وصلت إلى الحوت واتصلت ثانية بالمشتري بالثلث استقام. هذه القاعدة إنما هي في الثلاثة العلوية وهي: زحل والمشتري والمريخ، وأما في السفليين وهي: الزهرة وعطارد فلا يكون كل منهما وبين الشمس مقابلة ولا يبعدان أزلاً عن الشمس إلا بمقدار النصف.

### ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّعْجِ﴾

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّعْجِ﴾ [الطارق: 12] أي الانشقاق والتزليق إما لزلزلة فتنشق الأرض وتخر الجبال، وإما بحركة القوة النباتية ليخرج منها النبات، أو بشق الملك ليخرج منها دابة الأرض والحيوان إشارة إلى أن أحوال الكواكب من الرجعة والاستقامة والبطون والوقوف أسباب الأحوال الأرضية منها الانصداع والزلزلة وخروج أنواع النبات والحيوانات في الفطرة الأولى، وكذا أحوال سائر المكونات وظهور أنواع الموجودات مستندة إلى تلك الأحوال السماوية ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: 5].

### ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾

﴿إِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ [الطارق: 13] فاصل ومبين لأحوال الكائنات ومعين لأحوال المتعينات وظهور أنوار التعينات ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: 59].



﴿وَمَا هُوَ بِالْمُزَّلِ﴾ (١٤)

﴿وَمَا هُوَ بِالْمُزَّلِ﴾ [الطارق: 14] صادر بلا سبق رؤية وتقدم صواب فكرة بل كله صادر بمحض حكمة ظاهرة بكمال قدرة وإرادة ومشية .

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ (١٥)

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [الطارق: 15] في إبطال أحكامه وإحلال أنوار معالمه وأسرار إعلامه .

﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ (١٦)

﴿وَأَكِيدُ﴾ في إظهار أحكامه ونشر أنوار معالمه وإبطال ما تصدر وإضلال ما عمل ﴿كَيْدًا﴾ [الطارق: 16] كاملاً وبيداً فاصلاً انتقالاً من حيث لا يحتسبون ومن مقام لا يرتضون ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17].

﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُؤْيَا﴾ (١٧)

﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ﴾ ولا يستعمل بالانتقام منهم أو في إهلاكهم وأجلهم ﴿رُؤْيَا﴾ [الطارق: 17] أي إمهالاً يسيراً . عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الطارق) أعطاه الله تعالى بعدد نجوم السماء عشر حسنات» .



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي أعلى كلمته، وأنهى إلى حبيبه تقديسه وتسيحه  
 ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي خلق الإنسان وسوّى بيده أجزاءه العنصرية وأعضاءه البشرية  
 فنفخ فيه من روحه ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي قدّر أعماله وقرر أحواله فهدى .

## ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1] أي نزهه وبعّد ذاته من نقائص  
 الشرك وأسمائه وصفاته عن نقائص الخلقة وعمل ما لا يليق بها من التغير  
 والحدوث والانتقال والتبدل والانحلال، أو عما لا يصح فيه من المعاني التي  
 هي إلحاد وانحراف فيها كالجبر والتشبيه والتعطيل والإبطال والتبطل . والأعلى  
 بمعنى العلو الذي هو العلو والقدرة والافتدار لا بمعنى العلو الارتفاع في المكان  
 وأن يسان عن الأنداد والذكر إلا على وجه الخشوع والتعظيم، ويجوز أن يجعل  
 الأعلى صفة للربّ والاسم . وقراءة علي: سبحان ربي الأعلى، وفي الحديث:  
 لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقّة: 52] قال: اجعلوها في الركوع،  
 فلما نزلت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: 1] قال ﷺ: «اجعلوها في  
 سجودكم»، وكانوا يقولون في الركوع: اللهم لك ركعت، وفي السجود: اللهم  
 لك سجدت .

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾﴾

﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ كل شيء ﴿فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلى: 2] فخلقه بأن جعل له ما يتأتى به كماله ويتم معاشه وحصل انتعاشه .

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ [الأعلى: 3] أي قدر وفور أجناس الأشياء وأنواعها وموادها وهيولاتها وعناصرها وأجزائها الأولية الثانية وهي أعضائها الأصلية إشارة إلى تنوع اسطقسات الأشياء وتطور ميادينها وموادها، فإن أجزاء الأشياء إما عقلية أولية وهي الأجناس والفصول والهيولى والصورة والجواهر الفردة أو مقدرارية حسية كالعناصر الأربعة والأجزاء والأعضاء، ﴿فَهَدَىٰ﴾ إشارة إلى الكمالات الشخصية والهيئات العينية .

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾﴾

﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾ [الأعلى: 4] إشارة إلى ما تتوقف عليه المعاش من النباتات والحيوانات . المرعى اسم مكان ما أراد فيه من النباتات والحيوانات .

﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾﴾

﴿فَجَعَلَهُ﴾ أي صير ما خرج من الأرض بعد خضرته ونضارته ﴿غُثَاءً﴾ هشيمًا يابسًا متفرقًا متفتتًا ﴿أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: 5] أسود إذا هاج وعتق، قيل: أحوى، حال من مرعى .

﴿سُقِّرْتُكَ فَلَا تَنْسَىٰ ﴿٦﴾﴾

﴿سُقِّرْتُكَ﴾ على لسان جبرائيل أو سنجعلك قارئًا بتلك القراءة ﴿فَلَا تَنْسَىٰ﴾ [الأعلى: 6] أي سيعلمك هذا القرآن حتى تحفظه . قيل: نهي أي لا يغفل عن قراءته وتكريره فتنساه .

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾﴾

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن ينسيكه بأن ينسخ تلاوته . وقيل: المراد به القلة والنذر لما روي أنه ﷺ أسقط في قراءته الصلاة فحسب أنها نسخت فسأل: أنسيتها؟ أو نفى النسيان رأسًا فإن القلة تستعمل للنفي ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الأعلى: 7] أي

ما أظهر من أعمالك وما بطن، أو جهرك بالقراءة مع جبرائيل وما دعا إليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من إبقاء وإنشاء.

### ﴿وَنُيْسِرُكَ لِلْيَسْرَىٰ﴾ (٨)

﴿وَنُيْسِرُكَ لِلْيَسْرَىٰ﴾ [الأعلى: 8] ونعدك ونهيوك للطريقة اليسرى من حفظة الوحي أو التدوين فلوقعك لها، ولهذه النكته قال: ونيسرك، عطف على سنقرتك، وإنه بعلم إعراض.

### ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ (٩)

﴿فَذَكِّرْ﴾ بعدما ثبت لك الأمر ﴿إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى: 9] لعل هذه للشرطية، وإنما أجاب بعد تكرير الاعتبار والتذكير وحضور اليأس عن البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله: وما أنت عليهم بجبار، أو لدم المذكر واستبعاد تأثير الذكر فيهم أو للاستبعاد، فإن التذكير إنما يجب إذا أمكن نفعه ولذلك أمر بالإعراض عن تولى.

### ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَىٰ﴾ (١٠)

﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَىٰ﴾ [الأعلى: 10] يستيقن وينتفع بها من يخشى الله فإنه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول العارف والمتردد.

### ﴿وَيَنْجِنَهَا الْأَشْقَىٰ﴾ (١١)

﴿وَيَنْجِنَهَا الْأَشْقَىٰ﴾ [الأعلى: 11] الضمير للذكرى، فالأشقى هو الكافر فإنه أشقى من الفاسق أو لأن الناس ثلاثة: العارف والمتوقف والمعاند، فالسعيد هو العارف والشقي ما عداه، إلا أن المتوقف له بعض الشقاوة والمعاند هو الأشقى الذي لا يلتفت إلى الدعوة ولا يصغي إليها.

### ﴿الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَىٰ﴾ (١٢)

﴿الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَىٰ﴾ [الأعلى: 12] ويدخل فيها وهي نار التحسر والندامة التي توقد على الأفتدة وهي نار الخواص ونار العوام هي نار تدرك بالبصر آثارها، يعذب بها البدن، والنار الكبرى تعذب بها الأرواح والنفوس

والعقول، هذا العذاب هو أشد العذاب إلا أن مدتها أقل من مدة نار البدن كمًّا وأكبر كيفًا، شتاءً كان أو صيفًا، وأشد عيًّا وأحد طيفًا.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ (١٣)

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ [الأعلى: 13] بعد الدخول فيها والتعذب بها لا يموت فيها إلا النار المعنوية يعني الروح والنفس والعقل لا تركيب فيها أسنى التركيب بخلاف البدن فإنه مركب من متخالفات، والنار من شأنها تفريق المتخالفات وجمع المتماثلات، وكلما فني وتفرقت أجزاءه أعاد تركيبه ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: 56]، ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: 13] الحياة وهي الإيمان ومعرفة الله والعلوم الحقيقية والتجليات الإلهية والتحقق بأسماء الله وصفاته وذاته، وصورة جمعها وحق اليقين. نزلت في الوليد وعتبة وأبي جهل وأنت خبير بأن العبرة لعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قيل: النار الكبرى من نار جهنم، والنار الصغرى هي نار الدنيا لا يموت فيها ولا يستريح من العذاب ولا يحيى، مختلفة لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم العذاب ولا يرجع إلى جسمه فيحيا.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤)

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: 14] وتطهر عن دنس الكفر والشرك وتقدس عن جنس المعاصي والشك والإفك وعبس التقليد ولسن التقييد والتعبيد.

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (١٥)

﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ ذكرًا حضوريًا تحقيقًا وتيقنًا ﴿فَصَلَّى﴾ [الأعلى: 15] صلاة حسية وهي شهود من صلى له وتحقق له أو تخلق بما له من الصفات الكاملة، بل الإضراب عما ذكر أي هم لا يغفلون ولا يسعون للتحقق فلا يسقون من رحيقها.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١٦)

﴿بَلْ﴾ يتركونها ﴿تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الأعلى: 16] اختاروها، والخطاب لمن يتمكن له ويحصل له منه.

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ﴿٧﴾

﴿وَالْآخِرَةُ﴾ بأنواعها ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وأصنافها ومما لها وفيها ﴿وَأَبْقَى﴾ [الأعلى : 17].

﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿٨﴾

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي ذكرنا من الأحوال ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [الأعلى : 18] أي ثابت في كتب الأقدمين من الأنبياء.

﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ ﴿٩﴾

﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى : 19] وداود وعيسى وغيرهم من الأنبياء المرسلين والحكام الإلهيين بدل من الصحف الأولى. قال ﷺ: «من قرأ سورة (الأعلى) أعطاه الله عشر حسنات» صدق رسول الله ﷺ.





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي أتى قلوب العارفين المشتاقين حديث الغاشية بنور الله لدى قيام القيامة النفسية ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي جعل وجوه العارفين في الجنة العالية في التجليات الذاتية والصفاتية والجمعية الإلهية والكونية ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لا يسمع فيها لاغية فيها عيون المعارف الفطرية جارية ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي أفاض أنوار الأطوار القلبية وأراض أسرار الأدوار النورية على رياض فؤاد المحبين وهم على سرر كمال الجمعية ناضرة إلى ربها ناظرة.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾﴾

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾﴾ [الغَاشِيَةِ: 1] وخبر الداهية التي تغشى الناس وتسترهم بل لا يبقى شيء من الأشياء إلا وقد غطاهم بنور الجلال وستور القدم والظلال لدى إشعال الدورة من الجمال والجلال ومن النور والظلام.

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾﴾

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾﴾ [الغَاشِيَةِ: 2] ذليلة تختفي في أستار العدم والاستتار.

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾ [الغَاشِيَةِ: 3] يأمرون لأن يجروا السلاسل والأغلال

وينصبون بعضها إلى موضعها في السعير. وقال بعضهم: لا يعملون عمل النار وينصبون للات العذاب وأهل العذاب كلاً في موضعها، أو هم فرقة قد تكثرت في الدنيا على طاعة الله واستنكفت عن عبادتها قد كلفهم الله لأن يعملوا في النار عملاً وينصبونها فيها.

### ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾

﴿تَصَلَّى﴾ تلك الوجوه وأصحابها ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾ [الغاشية: 4] غير متناهية في الحرارة.

### ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَائِنَةٍ﴾

﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَائِنَةٍ﴾ [الغاشية: 5] حارة تلهب في غاية الحرارة.

### ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ﴾ [الغاشية: 6] وهو أخبث طعام وأسفاه. قيل: هو نبت ذو شوك لا طي بالأرض أو شوكة من النار. عن النبي ﷺ أنه قال: «الضريح شيء يكون في النار يشبه بالشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيف وأشد حراً من النار». وقال بعضهم: هو طعام يتضرعون ويستغيثون منه إلى الله ليدفعه عنهم.

### ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنَ جُوعٍ﴾

﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنَ جُوعٍ﴾ [الغاشية: 7] ولا ينفع ذلك الطعام من جوع ولا يمنع إياسة، المقصود من هذا الطعام والشراب بيان نهاية دولهم، وذلك أن القوم لما قاموا في تلك السلاسل والأغلال في تلك المدة الطويلة عطاشاً وجياعاً ثم ألقوا في النار فرأوا فيها ماء وشيئاً من النبات فأحبوا تسكين ما بهم من الجوع والعطش والقلق والاضطراب فلم يجدوا إلا حميماً وغساقاً فانقطعت أطماعهم ورجاؤهم في إزالة ما بهم من جوع وعطش كما قال: ﴿وَأِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: 29] الآية.

### ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: 8] ذات بهجة ونضارة وضحكة ومسرة.

## ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ (٩)

﴿لَسَعِيهَا﴾ في الدنيا ﴿رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية: 9] في الآخرة حيث تتضمن الجنة ونعيمها فلما نزلت هذه الآية قالوا: إن أريد أو هو استثناء يسمن من الضريع، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ (٧) [الغاشية: 7].

## ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (١٠)

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الغاشية: 10] وهي جنة عدن في السماء العليا لا يدخلها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عادل أو من يحكم في نفسه يخير بين الشرك والإيمان فيختار الإيمان على الشرك.

## ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ (١١)

﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ [الغاشية: 11] تلك الوجوه أو أصحابها باطلاً وكلاماً مهملاً لغواً عاجلاً أو حلقاً كاذباً.

## ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ (١٢) ﴿فِيهَا سُرٌّ مَرْفُوعَةٌ﴾ (١٣)

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ (١٢) ﴿فِيهَا سُرٌّ مَرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية: الآيتان 12، 13] رفيعة السمك والقدر.

## ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ (١٤)

﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: 14] جمع كوب وهو إناء لا عروة له.

## ﴿وَمَنَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ (١٥)

﴿وَمَنَارِقُ﴾ وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية: 15] مضمومة بعضها إلى بعض.

## ﴿وَزَرَائِبُ مَبْتُوثَةٌ﴾ (١٦)

﴿وَزَرَائِبُ مَبْتُوثَةٌ﴾ [الغاشية: 16] جمع زربية ومن البسط العريضة المبسوطة.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: الآيات 17 - 20] واعلم أنه تعالى ما حكم لمجيء يوم القيامة وقسم القلة من الجن والإنس إلى فرقتين سعداء وأشقياء أو وضعهما وشرح أحوالهما التي لا تتأتى إلا من الصانع واجب الوجود القادر على كل الممكنات، الحكم على الموجودات، العالم بأوائلها وكمالاتها وحالاتها واحتياج بعضها إلى بعض، إذ الأمور التي هي مناط انتظام المعاش ومحاط التثام أسباب الانتعاش تكون على وجه العدالة التي تتضمن صلاح المعاد والفلاح في يوم التناد، لا تتأتى من شخص واحد بل لا بد من التعاون والإمداد الذي لا ينتظم إلا بقانون وقاعدة وهو الشرع المشتمل على الوعد والوعيد، ولا يحسن ذلك إلا بالتكليف بيوم القيامة، ولهذا كرر أحوال القيامة من نعيمها والسعير وجحيمها ومهد مقدمات الدلائل ليستدل بترتيبها على توحيد الصانع وكمال صنعه ونفاذ حكمه، ومنها خلق الإبل ورفع السماء بلا عمد، ونصب الجبال التي سبب سكون الأرض، فإن الله تعالى خلق الأرض في جو السماء معلق ينطبق مركز حجمها على مركز العالم فيضطرب فيتعذر السكون عليها، فخلق الله الجبال على الأرض أوتادًا لتتمكن ويمكن الكون والحركة فلو لم تكن الجبال فلو حصل للأرض أي مقدار كان لترجح ذلك المقدار الأرضي فوجب أن تتحرك الأرض كالميزان المعتدل، فإن أي مقدار يحصل في أحد جانبيه يترجح ذلك الجانب ويميل، فمن هذه الأمور يستدل على وجود الصانع الواحد القدير الحكيم الفاعل المختار بالفكر، وأصحاب الفكر فرقتان: منهم من شاهد العالم وسبب أجزائه أو من ينتقل إلى شهود وجود الصانع، ومنهم من قنع بالعلم وهو الاستدلال الظاهري، والأول أهل الشهود.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿فَذَكِّرْ﴾ [الغاشية: 21] أنت يا محمد ونبيه الخلائق وعلمهم كيفية صنع الله وحكمته وعجائب قدرته وغرائب إرادته ومقتضيات مشيئته وقوته ليستدلوا بها على

كمال حكمته ووفور قوته وعجائب قدرته ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ [الغاشية: 21] فلا عليك إن لم يتذكروا ويتعظوا أو لا ينظروا إليها نظر اعتبار لا البلاغ.

﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾

﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية: 22] أي على الكافرين المتخالفين بمتسلط أو متغلب.

﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾

﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى﴾ وأعرض عن الحق ﴿وَكَفَرَ﴾ [الغاشية: 23] بالحق وبما جاء به الحق من الحق لإظهار الحق وإزهاق الباطل.

﴿فِعَذَابِ اللَّهِ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾

﴿فِعَذَابِ اللَّهِ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ [الغاشية: 24] يعني عذاب الآخرة وهو أكبر من عذاب الدنيا لأن مدتها أطول وكيفيتها أهول، وعذاب الدنيا وهو القتل والأسر والإذلال والتسلط، والجلاء أصغر ومدتها أقصر وكيفيتها أسهل لأن مدتها منقضية والاستثناء منقطع أي لست بمتولي عليهم ولكن من تولى وأعرض منهم فإن الله الولاية والقهر والغلبة.

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ ثم إن علينا حسابهم [الغاشية: الآيتان 25، 26] في المحشر العظمى والقيامة الكبرى والصغرى في أصولها وفروعها إذ في كل منها قيامة وظهور ساعة كما كان لكل منها وقتها ودينها ولها أرض وسماء، ولكل منها بقاء أو فناء، وثواب وعقاب، وفي كل منها سؤال وجواب، فلا بد أن يكون في كل منها عذاب أكبر وأصغر وهو أمر نسبي مرتب على مراتب الجنات، ودرجات التجليات، وتنزلات وعروجات، وأحوال ومقامات، ومشاهدات وشهودات وقياسات، وجذبة وجذبات، وعلوم وإدراكات، ولكل منها مراتب، فصاحب المرتبة الأولى يغيب صاحب المرتبة الأعلى فالأعلى، وكذلك صواحب الجنات يغبطون صواحب التجليات وذوي الشهودات، فإن الله تعالى يتجلى لأهل الجنات بأنواع التجليات الذاتية والأسماوية والأفعالية والآثارية، فمنهم من

يشاهده ويتلذذ بها تلذذًا روحانيًا وعقليًا ونفسيًا وقلبيًا، ومنهم من لم يشاهده سيما صاحب الجنات الآثارية البهيمية وهم أكثر الزهاد والعباد الذين عبدوا الله عبادة صدرت على طريقة الرسم والعادة وتقيدوا بمرتبة الرسم والتقليد فإنهم بسبب هذا التقييد اجتمعوا عن التجليات وشهوها وصارت صورة الطاعة البدنية حجابًا غليظًا ونقابًا أظيظًا في حقهم، فحينئذ توقدت نار التحسر والندامة في فؤادهم، هذا عذاب أكبر وعقاب أشد وأكثر، وهذا يتكامل بحسب الاطلاع على فقدان أنواع التجليات وفقدان شهود التجليات الآثارية عذاب أكبر، وفقدان التجليات الأفعالية عذاب من العذاب الأول، وهكذا عذاب الندامة على فقدان التجليات الأسمائية أشد وأكبر من العذابين السابقين.

وهكذا يتزايد العذاب حسب تزايد الاطلاع على فقدان التجليات وانتفاء الكمالات الذاتية والأسمائية، وهكذا صاحب التجلي الآثاري يغيظ صاحب التجلي الفعلي والأسمائي بالنسبة إلى ما فوقه عذاب أكبر وأشد وأكثر بالنظر إلى ما دونه يعم كل من اعتقد حقيقة هذه التجليات وتلك الكمالات، يندفع في حقه بعض هذا العذاب في محشر تلك الدورة وقيامتها، ويتجلى لهم بقدر حصول الاستعداد والإمكان الوقوعي والإمداد، وإن لم يحصل ذلك العلم والاعتقاد يتعدى حالهم إلى الدورة الثانية والثالثة والرابعة النوري الأصلي الإفرادي والجمعي، وإن لم تحصل تلك الكمالات في الأدوار النورية تتعدى إلى الأكوار الجلالية الظلية المربعة الإرادية والجمعية وجمعية الجمعية.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي فجر ينابيع الحكمة الإلهية وعيون العلوم الكونية الأثرية على قلوب المحبين العالمين العاملين في عشر ليالي النفوس وفي شفع نهار العقول وترتيب الأجسام ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي كَمَّلَ النفوس الأربعة الأمانة واللوامة والملهمة والمطمئنة في مراتب الأربعين كلاً منها في عشر كاملة إلى أن اطمأنت في مداركها وتأبط شرّاً في مسالكها لترجعن إلى ربها راضية مرضية ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي خاطبنا بها: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٦٦﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٦٧﴾﴾ [الفجر: 29، 30]، ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: 142].

### ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾

﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾ [الفجر: الآيتان 1، 2] أقسم بالفجر وليال عشر والفلق إذا تنفس وبصلاته وأنواع عبادة تؤدى فيها، وليال عشر ذي الحجة، ولذا فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو عشر رمضان الأخص الذي هو وقت ليلة القدر، وتنكيرها للتعظيم وإشارة إلى تكرارها وتكثارها، وقرئ بالإضافة: ليالٍ بعشر، على أن المراد بالعشر الأيام. قال بعضهم: المعنى من أول يوم من شهر المحرم الذي يتفجر منه السنة، أو فجر ذي الحجة لأن الله تعالى قرن الأيام بها أو عده جميع السنة، أو انفجار الصبح من كل يوم إلى انقضاء الدنيا.

### ﴿ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾

﴿ وَالشَّفْعِ ﴾ الزوج، وهو كثرة الإمكان أو الممكنات المادية ﴿ وَالْوَتْرِ ﴾ [الفجر: 3] الفرد، أي ذات الواجب أو المجردات أو الأدوار النورية الجمالية والأكوار الجلالية لا يجوز أن يراد اللام في ليال للعهد ويراد ليلاً معلوماً معهوداً لأنه حينئذ يكون من باب الألفاظ والنميمة مع أنه بيان وهدى، ويجوز أن المراد من الشفع والوتر الأشياء كلها شفعها ووترها، وأما شفع هذه الليالي ووترها يجوز أن يكون الشفع يوم نحر ووترها يوم عرفة لأنها تاسع أيامها وذلك عاشرها.

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه فسرها بذلك، قال بعضهم: الشفع هو العقول العشرة والملا الأعلى والملائكة المقربة وهم أربعة، والوتر هي النفوس والأفلاك التسعة والكواكب الثابتة السبعة السيارة، أو العناصر الأربعة والمواليد الثلاثة أو الجهات الست والآفاق السبعة، أو الأفلاك المكوكة وهما ثمانية، والفلك الغير المكوكب وهو الفلك الأطلس، أو الممكنات ﴿ وَخَلَقْتُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [التبأ: 8]، أو المراد الذات الواحدة والأسماء الذاتية والذات مع الأسماء والصفات وهي ثمانية والأسماء وهي شفع، والصفات وهي وتر، إذ الأسماء هي الذات المتصفة بالصفات كالعليم والحي والقدير والمريد، والصفات وهي النعوت كالحياء والعلم والقدرة والإرادة وغير ذلك.

### ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ﴾

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ﴾ [الفجر: 4] بالياء، فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة، أي المعنى ويدبر كما في قوله: ﴿ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ [المدثر: 33] وإنما قيد ذلك لما في التعاقب والتوالي والمضي كمال القدرة ووفور القوة والحكمة.

### ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ﴾

﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ ﴾ [الفجر: 5] والمقسم به وإذا حذف المقسم عليه فلا يختص بأمر دون أمر بأنواع العذاب وأجناس النكائب والعقاب، وإنما تركب سياتن بعض الكلام في الشفع والوتر ذكر هنا أو مرادفهما الصلوات الخمس بعضها



شفع وبعضها وتر، والوتر أقل من الشفع إشعارًا بأن الله تعالى في ذاته وكثرة صفاته واحد والمخلوق في ذاته وصفاته متعدد، أو الجنة التي ثوابها شفيع، والسعير التي مداخلها وتر، أعني السبع والذات الظاهرة كما قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: 7]، أو الأدوار النورية الجمالية والأكوار الظلية الجلالية الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية، أو التجليات الأثرية والأفعالية والصفاتية والذاتية الإفرادية والجمعية والفناء في الله والبقاء بالله، والمظهرية الكلية والعوالم الخمس والمراتب الستة.

قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ﴾ [الفجر: 4] أي ليل كورة الجلالية يسري في الدورة الصريحة الجمالية سريان ليل الوحدة الذاتية في الأسماء والصفات الذاتية والأفعالية والآثرية الكونية أو صلاة التهجد والوتر. ﴿لَيْلِي حَجْرٍ﴾ [الفجر: 5] أي مخ وعقل، وإنما سمي به لأنه يحجر ويعقل صاحبه عما لا ينبغي كما سمي بالنهاي لأنه يأمر وينهى بالحق عن الباطل، وكما يسمى عقلاً لأنه يعقله ويمسكه عن القبائح والأباطيل والفضائح.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: 6] أي أولاد عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح.

﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾

﴿إِرمَ﴾ عطف بيان لعاد وإيدان بأن العاد الثانية غير عاد الأولى القديمة. قيل: إرم بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها يدل عليه بعاد إرم بالإضافة تقديره بعاد أهل الإرم ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [الفجر: 7] صاحبة البناء الرفيعة أو القدود الطويلة كانوا فيها كان طول كل رجل مائتي ذراع، وأما عاد الأولى طول أحدهم أربعمائة ذراع، أو الرفعة والثبات إن كان صفة للبلدة. والمعنى أنها ذات بناء خير. روي كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم لما مات الشديد عاد الملك كله إلى شداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة وصفاتها فقال: أنا أبني

مثلها، فبنى إرم في بعض صحارى عدن في ثلاثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي بلدة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار والأنهار، فلما همّ بنائها أشار إليها أهل مملكته، فلما قرب منها مسيرة يوم وليلة بعث الله إليهم صيحة من السماء فهلكوا .

عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت فيما هو في صحاري عدن إذ هو قد وقع على مدينة في ملك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة وأعلام طوال، فلما دنى منها ظن أن فيها أحدًا يسأله عن إبله فلم يرى خارجًا ولا داخلًا، فنزل عن دابته وعقلها واستل سيفه ودخل من باب الحصن، فلما دخل الحصن إذ هو ببابين عظيمين لم ير أحدًا أعظم منهما، والبابان مرصعان بالياقوت الأبيض والأحمر، فلما رأى ذلك دهش وأعجبه، ففتح أحد البابين فإذا هو بمدينة لم ير أحدًا مثلها، فإذا فيها قصور وكل قصر معلق تحت أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت ومصاريع تلك الغرف مثل مصاريع مدينة يقابل بعضها بعضًا، مفروشة كلها باللؤلؤ والياقوت، وبنادق من مسك وزعفران .

فلما عاين الرجل ما عاين ولم ير أحدًا فيها أهاله ذلك، ثم نظر إلى الأزقة فإذا هي شجر في كل زقاق منها قد أثمرت تلك الأشجار وتحت الشجر أنهار مطرزاتها من قنوات من فضة، كل قناة أشد بياضًا من الشمس، فقال الرجل: والذي بعث محمدًا ﷺ بالحق ما خلق الله مثل هذا في الدنيا وإن هذه هي الجنة التي وصفها الله سبحانه وتعالى في كتابه .

### ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ﴾

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ﴾ [الفجر: 8] أي مثل طائفة عاد وجماعتها بنية وطولًا وقوة وبطشًا، أو مثل العماد التي هي جمع عماد، أو مثل الإرم أرضًا وعمارة. قال معاوية: فحدثني حديثها، فقال: إن عادًا الأول ليس بعاد وقوم هود وكان رجل من قوم عادٍ طوله أربعمائة ذراع ولو غضب على جمع يقلع الصخرة العظيمة ويضربها ويسقطها عليهم فيهلكهم، وعادًا الثاني الذي هو قوم هود قد ولد بعد ذلك وكان له ابنان شداد وشديد، فهلك عاد الذي هو من قوم

هود ومَلَك ابناهما البلاد وقهرا أهلها وأخذها بها عنوة، ثم مات شديد وبقي شداد فَمَلَك وحده بعدما هلك شديد ودانت له ملك الأرض وكان مولعًا حريصًا بقراءة الكتب النازلة والصحف السماوية النازلة على آدم وشيث وإدريس ونوح وهود، فإن بلغ بوصف الجنة دعتة نفسه إلى بناء مثلها عتوًا على الله ونبوًا على رأيه، فأمر بصنع تلك المدينة - أعني إرم ذات العماد - وأمر على صنعها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف أعوان وكتب إلى ملوك الأرض أن يجمعوا له ما في بلادهم من الجواهر والذهب والفضة، وكانت تحت يده مائتان وستون ملكًا، فخرجت القهرمانه منه وسافر في الأرض وساروا فيها ليجدوا ما يوافقوه حتى بلغوا على صحراء عظيمة فيها من التلال والوهاد والأغوار، فإذا طارفوا بعيون مطردة وينابيع متفجرة منها قالوا: هذه إرم التي مر مَلِكُنَا بها، فقدروا طولها وعرضها ثم وضعوا أساسها من الجذع اليماني وأقاموا في بنائها ثلاثمائة سنة حتى فرغوا وكان عمره تسعمائة سنة، فلما فرغوا منها رجعوا وأعلموا ما أمرهم به، فألف وزيران تهيؤوا التعليم إلى إرم ذات العماد وأمر تلك الأعلام برجال يحيكونها وينعمون عليها وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنين ثم ساروا بها فلما كان منها وقرب إلى أن بقي بينهم وبينها مسيرة يوم وليلة بعث الله صيحة من السماء فأهلكتهم جميعًا فلم يبق منهم واحد.

واعلم أن ضيعة إرم الموصوفة إما هو بلدة حقيرة من بلاد عالم المثال البرزخ فإن عظمة بلاد هذا العالم لا يعلمها إلا الله ولظهورها وانكشافها لبني آدم شرائط وأسباب منها أعمال عملة شداد وتوجههم بتوجهه لإظهارها وانكشافها لهم ولذا ما تَمَّت وأهلك الله شداد وأعيانه وأركان دولته وعملته واختفت تلك البلدة دفعة واحدة عن عين الناس مع عظمتها، لا يتراءى لأحد يحصل له استعداد بأن يشاهدها ويشاهد عالم المثال كما حصل لعمر حيث شاهد جبرائيل عند مجيئه إلى رسول الله ﷺ وسأل عن خمسة بقوله: ما الإيمان وما الإسلام وما الإحسان إلخ؟ فإن هذا المجلس قد كان فيه غير عمر ولم يشاهدوا جبرائيل.

﴿وَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾

﴿وَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا﴾ [الفجر: 9] وقطعوا، من الجوب، والجوب القطع، فإن

الكلام يجب أي يقطع سؤال سائل وكلامه ﴿الضَّخْرُ﴾ أي الحجر، أي قطعوا الصخور والرخام وهم قوم ثمود وهو عاد الثاني ﴿بِالْوَادِ﴾ [الفجر: 9] أي وادي القرى، ومن قطع ونحت الجبال والأحجار وأرخو مدة الصخور ثمود بن عاد بن إرم بن سام بن نوح، بنوا ألفاً وسبعمائة مدينة كلها من الأحجار.

### ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [الفجر: 10] لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضرّبونها إذا نزلوا، أو لتعذيبهم الخلق بالأوتاد وكان إذا غضب على أحد مده على الأرض ووتد يديه ورجليه ورأسه على الأرض إلى أن يموت كما فعل بشاهد ابن مرة جارية جرس بن نوحائيل وكان مؤمناً يكتم إيمانه مائة سنة وكان لقي من لقي من أصحاب يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون بينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت: نكس من كفر بالله، فقالت بنت فرعون: هل لك من إله غير أبي؟ فقالت: إلهي وإله أبيك وإله السماوات والأرض إله واحد لا شريك له، فقامت ودخلت على أبيها وهي تبكي فقال: ما يبكيك؟ قالت: المشاطة مرة خادمك تزعم أن إلهك وإله السماوات والأرض وحده لا شريك له. فأرسل إليها فسألها عن ذلك، فقالت: صدقت، فقال لها: ويحك اكفري بإلهك وأقري أنني إلهك، قالت: لا، فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها حيات وعقارب فقال: اكفري بالله وإلا أعذبك بهذا العذاب شهرين، قالت: فوالله لو عذبتني سبعين شهراً ما كفرت بالله عزَّ وجلَّ.

وكانت لها بنتان، فجاء بابنتيها الكبرى فذبحها على فيها وقال لها: اكفري بالله وإلا لذبحت ابنتك الصغرى على فيك، وكانت طفلاً، فقالت: لو ذبحت ما في الأرض على فمي ما كفرت، قال: فأنت بابنتها، فلما أتت وقدمت منها وأضجعت على صدرها وأراد نحرها جزعت المرأة فأطلق الله سبحانه وتعالى بلسان ابنتها فتكلمت، وهي من الأربعة الذين تكلموا أطفالاً، فقالت: يا أماه لا تجزعي فإن الله تعالى قد بنى لك بيتاً في الجنة فاصبري فإنك لتصعدين إلى رحمة الله تعالى وحسن كرامته. فذبحت، فلم يلبث أن ماتت وأسكنها الله الجنة،

قال: فبعث في طلب زوجها جبرائيل فلم يقدرُوا من الوحش خلفه يصلُّون معه، فلما رأيا ذلك انصرفا فقال جبرائيل: اللهم إنك تعلم أنني كتمت إيماني مائة سنة ولم يظهر لأحد فإن هذين الرجلين إن كتما عليَّ فاهدما إلى دينك وأعطهما من الدنيا سؤالهما، وإن هذين الرجلين أظهرها فاجعل عقوبتهما في الدنيا، فاجعل في الآخرة مصيرهما إلى النار. فانصرف الرجلان إلى فرعون، فأما أحدهما فاعترف وآمن، وأما الآخر فأخبر فرعون القصة على رؤوس الملأ فقال له فرعون: فهل كان معك غيرك؟ قال: نعم، قال: من هو؟ قال: فلان. فدعي، قال: أحق ما قال هذا؟ قال: ما رأيت مما قال شيئاً، فأعطاه فرعون وأجزل، وأما الآخر فقتله ثم صلبه. قال: وكان قد تزوج امرأة من أجمل نساء بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم، فكان ما صنع بماشطة فرعون.

### ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ﴾

﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾ وأظهروا الفساد ﴿فِي الْبَلَدِ﴾ [الفجر: 11] والأرض صفة للمذكورين عاد وثمرود وفرعون، أو ذم منصوب أو مرفوع، والغرض منه إطناب الكلام في هذا المقام للتنبيه والإعلام بأن كل زمان ووقت لا يخلو من المؤمنين الذين اصطفاهم الله لمعرفة وكمال عبادته والإيمان بخلوص النية وخصوص الأمانة ونصوص الطوية وإن قلوا وإن نذروا وضعفوا، إذ إيمان العالم والغرض من تكوين بني آدم إنما هو معرفة الله على طريقة العبودية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

### ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾

﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: الآيتان 12، 13] نوع عذاب وما خلط به من أنواع العذاب وأصله، وإنما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض. وقيل: شبه بالسوط ما أحكمهم في أيدينا إشعاراً بأن ما أحلَّ بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أحلَّهم به في الآخرة كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يُعذب به. عن عمر بن عبید: كان الحسن إذا أتى على هذه الآية قال: إنَّ عند الله أسوأطاً كثيرة فأخذهم بسوطٍ.

### ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ ﴿١٤﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: 14] أي المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال كالميقات من وقته وهو تمثيل لإرصاد الله العصيان بالعقاب وأنه لا يفوتونه . وعن بعض العرب أنه قيل له : أين ربك؟ فقال : لبالمرصاد .

### ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَّهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ ﴿١٥﴾

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾ [الفجر: 15] متصل بقوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: 14] من الآخرة فلا يريد السعي بها، فإن الإنسان لا يقصد ولا يهيم ولا يعمل إلا للدنيا ولذاتها ﴿إِذَا مَا ابْنَلَّهُ﴾ اختبره ﴿رَبُّهُ﴾ بالغنى والفقر فأكرمه وبجله وعظمه بالجاه والحلم والحكومة والرياسة والإمارة والسياسة والإيالة ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: 15] فضلني على أبناء جنسي بما أعطاني من المال ومجديني بالجاه والمال ونحلني مما يحييني من أنواع النعم الظاهرة والباطنة خير، أما الإنسان والفاء لما في إما معنى الشرط والظرف المتوسط المتضمن الشرط والجزاء متعلق بيقول، فكأنه قال: وأما الإنسان فيقول: ربي أكرمني وفضلني وقت ابتلائه إياي بصنوف النعم الظاهرة والباطنة .

### ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ ﴿١٦﴾

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَّهُ﴾ بالفقر والفاقة ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ﴾ وضيّق وقتر ﴿رِزْقَهُ﴾ لديه ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ [الفجر: 16] وحقرني وصغرني فيوازي قسيمه ويجازي قرينه وحق التوازي والمقابلة والتحاذي أن يقابل الواقعتان بعد، أما التفصيلية، فالإنسان قسمان أحدهما: كفور مع وفور النعم ودرور المنح وصدور مرتضى الجود والكرم، والثاني: شكور صبور وإن كان رزقه يسيراً مقتراً إذ نعمة الله في حق العباد كثيرة ظاهرة وباطنة ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: 34]. وإن كان رزقه الظاهر حسب الصلاح قليلاً إذ لو كان كثيراً لصار كافراً، وكذا من كان رزقه وديناه قليلاً كان كافراً، فصلاح العبد حسب حاله مختلف، إن صلاح بعض العباد في الفقر، وصلاح البعض الآخر في الغنى كما ورد في الخبر: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: 216﴾.

﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿٧﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع على أن الإنسان لا يعلم صلاح حال نفسه ديناً ودنياً، فقراً وغناءً، فالحري به أن يحمد الله ويشكره في جميع الأحوال ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: 17] وترك إكرام اليتيم إما بترك أجرتهم وإما بدفع حقوقهم الثابتة وأكل أموالهم وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: 20] أي تأخذون أموال اليتامى وتضمونه إلى أموالكم لتأكلوها بالرخصة الادعائية.

﴿وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الفجر: 18] من المحاضرة وهي التحريض والحث إلا أن الحث يكون بسوق وسير والحض لا يكون كذلك، وأصله من الحث على الحضيض، وهو قرار الأرض يعني قل فعلهم أسبق من قولهم وأدل وأوفق على فعالكم.

﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاتِ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾﴾

﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاتِ﴾ الميراث أصله الوارث أبدلت الواو ثاءً كما في التجارة والوكالات والمشكلات ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾ [الفجر: 19] إذا لم وهو الجمع بين الخلاف والحد من أنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك.

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: 20] كثيراً مع خيره وشره.

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن ذلك وإنكار وما بعده وعيد عليه ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر: 21] أي طمًا بعد طم حتى صارت منخفضة الجبال والتلال أو هباءً منبثًا.

### ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٢٢)

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أي ظهرت آيات قدرته وبينات كماله وقوته ووفور قهره ودرور حكمته مثل ذلك عند حضور السلطان من آثار هيئته وآثار سياسته ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22] بحسب تغاير منازلهم وتكاثر مراحلهم واختلاف رتبهم ومراتبهم.

### ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنذَكُرُ الْإِنْسَانَ وَاقْنٌ لَهُ الذِّكْرُ﴾ (٢٣)

﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: 23] كقوله: ﴿وَوِزَّتِ الْجَبِيمُ﴾ [الشعراء: 91]، وفي الحديث: «يؤتى بهنم يومئذ لها سبعون ألف ملك يجرونها»، ﴿يَوْمَئِذٍ يَنذَكُرُ الْإِنْسَانَ﴾ [الفجر: 23] بدل من إذا دكت، والعامل فيها يتذكر أي يتذكر الإنسان معاصيه وأعماله الراضية وأفعاله الحميدة المرضية أو يتعظ بالموعظة الحسنة والنصائح الموفقة المستحسنة.

روي أنها لما نزلت تغير وجه رسول الله ﷺ وعُرف في وجهه حتى اشتد على أصحابه، فأخبروا علياً رضي الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه فقبل بين عاتقيه ثم قال: «يا نبي الله بأبي أنت وأمي ما الذي حدث اليوم؟ وما الذي غيرك؟ فتلا عليه الآية فقال له: كيف يجاء؟ قال: يجيء سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شرده لو تركت لا تحترق الجميع كلهم» أي يتذكر ما فرط فيه ويقتصد ﴿وَاقْنٌ لَهُ الذِّكْرُ﴾ ومن أين له منفعة الذكرى، لا بد من تقدير حذف المضاف وإلا فيتعين يوم يتذكر وبين أنى له الذكرى تنافر وتناقض.

### ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (٢٤)

﴿يَقُولُ﴾ الإنسان ﴿يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: 24] هذه أو وقت حياتي في الدنيا أعمالاً صالحة وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد لفعله بأن الجحود عن الشيء قد يتمنى إذا كان ممكناً.

### ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۖ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ﴾ (٢٥)

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ (٢٥) ﴿وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ﴾ (٢٦) [الفجر: 25، 26] الضمير المجرور لله أي لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه إذ الأمر كله لله أو للإنسان أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه لاستجماعه جميع المحامد



والمذام لكونه نهاية التعينات وغاية أنواع الموجودات . قال أفلاطون اللدني والحكيم الإلهي : الإنسان معذب في كل أحواله .

### ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر: 27] الثابتة الراسخة في طاعة الله وأداء عبادته أو المستأنسة بذكره على إرادة القول، فإن النفس تترقى في سلسلة الأسباب والمسببات إلى الواجب بذاته لذاته فيستقر دونه ويتقرر لديه ويطمئن ويصل في جميع أحواله شراشرةً إليه، ويستأنس بكمال شهوده، ويبقى ببقائه وهو صفته ووجوده ويتحقق بتمام أسمائه وصفاته سيما بتمامية الكرم وحقيقة جوده وبسرمد سرمديته، ويتأبد ويدوم بديموميته فحينئذ يزول عنها الحزن والخوف والتردد في النشآت في الأدوار والأكوار والحركة والطواف ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: 62].

### ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾

بعد أن خاطب الله بقوله: ﴿أَرْجِعِي﴾ في الأدوار والأكوار الإفرادية إلى الدورة الجمعية وجمعية الجمعية في السير إلى الله ﴿إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ أي كمال الجمعية الذي هو نهاية مقتضى الأدوار ومرتضى الأكوار وغايتهما ﴿راضية﴾ عند انقياد مرتضى الكورة الصلبة الجلالية بمقتضى الدورة الجمالية في صراحة نوبة فردارية تدبير النور والجمال ﴿مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر: 28] لدى انتقال حكم الدورة من سلطان النور والجمال إلى سلطان الظل والجلال .

### ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾﴾

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾﴾ [الفجر: 29] وأعيان سلطان الجمال إذا كان حكم النور والجمال صريحاً داخلاً والجلال ضمناً إلا أنه ينقاد أكوان الأكوار لأعيان الأدوار واتفاق المولود الظلي للمولود النوري بقوله ﷻ: «إلا أن شيطاني أسلم بيدي لا يأمرني إلا بخير» وبالعكس عند تبدل الصراحة من الجمال والجلال ومن النور إلى الظل والظلال ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحج: 61]،

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمَاتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الروم: 19] الآية، ثم من سلطنة الأفراد الجمالي والجلالي إلى الكمال الجمعي وإلى الجمع الكمالي ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ [الفجر: 29] أي في أعيان الدورة الجمعية والأكوان الكلية الحية.

﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾

﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: 30] أي الجنة الجمعية الإلهية والكونية والمعوية الغيبية. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الفجر) في الليالي العشر غفر له، ومن قرأها في سائر الأيام كان له نور يوم القيامة» صدق رسول الله ﷺ.

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي شرف البلد الطيب الذي هو مكة القلب ومدينة الشهادة والغيب بورود اللطائف الإلهية والعوارف الغير المتناهية ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي بين لأصحاب الميمنة عين النعيم ولأصحاب الشمال عين الجحيم والماء الحميم ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي عين العين لإنسان العين عينين: عين في القلب يرى عالم الغيب وما فيه مما لا شك فيه ولا ريب. قال النبي ﷺ: «إن لكل قلب عينين وأذنين إذا أراد الله بعد خيراً فتحهما». وعين في البنية يرى ما ينزل من الغيب إلى الشهادة ليتضح وينكشف أمر النظر والبداهة.

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البَلَد: 1] نفى الله عزَّ وجلَّ الشك والريب في الكمالات الإنسانية التي لا تحصل إلا بالتعب والكد والحيلة والكبد، بل بالسعي الذي أودعه الله في حقيقة القلب والدماع والكبد وأقسم عليه بهذا البلد الحرام الذي هو مكة أحدية جمعية الوجود والعدم والحدوث والقدم، وهي الذات البحت والوجود المطلق.

﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾

﴿وَأَنْتَ﴾ يا حقيقة المحمدية التي هي مدينة هجرتها وبلدة نقلها من مكة أحديتها الذاتية غيب هويتها الأولية ﴿حِلٌّ﴾ [البَلَد: 2] حالٌ ونازلٌ من الأدوار

والأكوار الإفرادية ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البَلَد: 2] الجامع والمبدأ اللامع إما جملة معترضة أو حالية.

### ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾

قوله: ﴿وَوَالِدٍ﴾ [البَلَد: 3] يعني آدم الأول، وللبنين والمعلول والعقل الأول عطف على البلد، وفضل هذا البلد مشهور، كيف وقد جعله حرمًا ومثاله للناس صائبًا وعلى فج عميق ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ سَطْرَهُ﴾ [البَقَرَة: 144] وهذا أمر بزيارته وحجه ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران: 97]، وحرم صيده، فلما اجتمعت الفضائل فيه ظاهرًا وباطنًا استحق لأن يقسم به ﴿وَمَا وَلَدٌ﴾ [البَلَد: 3] وظهر منه من الأبناء والأولاد من الأولياء والأنبياء والملوك والسلاطين والحكماء، والتنوين في والد للشكر والتعظيم إشعار بأن آدم عليه السلام متعدد لكل دورة آدم كما قال النبي ﷺ: «خلق الله آدم في سبعة أماد» والأمد هو الدهر الطويل لا يحصيه إلا الله ونحن في الأمد الأخير.

### ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ وإنما عين الإلهام إشارة إلى ما ذكرنا وإلى أن آدم كل دورة يناسب تلك الدورة، وأن آدم هذه الدورة قد اجتمع فيه خصائص تمام آدميين ولذا عرف ﴿فِي كَبَدٍ﴾ [البَلَد: 4] أي تعب وعناء ومشقة، يقال: كبد الرجل إذا وجعه كبده، ومنه المكابدة، والإنسان وادم لا يزال لكونه نوعًا أخيرًا ووقع في الدورة الأخيرة وفي آخر الأدوار في آخر الأمد الأخير يكون في تعب وعناء شديد. قال أفلاطون اللدني: الإنسان معذب في كل الأحوال وفي جميع أحواله، وذلك لأن الله عين الإنسان وحقيقته العدمية لأن يصل إليها حقائق تمام المكونات لكونها نهاية قوس دائرة التنزلات وغايتها، وبها يرجع كل موجود، ومنها يعود إلى جمعية الأحدية ورتبته الأصلية ليكتمل في دائرة كماله مرتبة متكاملة فتكون نسبتها إلى الموجودات، فالإنسان في الحقيقة هو خادم الموجودات كلها كالكبد، نسبة الكبد التي هي غاية الأغذية والأشربة والأدوية إلى تمام الأجزاء وكل الأجساد التي هي جزء حار ولذا فسره بعضهم: بكبد السماء أو وسطه إذا رفع بعد خلقه إلى وسط السماء لاستواء نسبه وكمال دنياه

الذي هو أفراده وأولاده وإلى كل الموجودات، فالإنسان في حقيقته هو خادم الموجودات كلها كالكبدة الذي هو خادم لسائر أجزاء البدن لأنه إقسام إليه.

﴿يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾﴾

﴿يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾﴾ [البَدء: 5] فاعل (أحد) يعود إما إلى الوليد بن المغيرة وإما إلى الإنسان. أما الأول للرياسة وتفوقه على غيره في العرش. وأما الثاني فلكونه وسطًا لكل فيكون منتبه والكل على السواء فيكون قادرًا على الكل ولا يقدر عليه أحد.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴿٦﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾﴾

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴿٦﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾﴾ [البَدء: الآيتان 6، 7] أي يظن الوليد أن الله لم يره ولا يسأله عن ماله وولده من أين اكتسبه وحصل ماله وفي أي شيء أنفقه وصرفه، أو الإنسان فإن حقيقته من شأنها الطغيان والنسيان والعصيان وإذا وقع في النعم وغلبته الغفلة والطغيان ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾﴾ [العلق: 6، 7].

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾﴾

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾﴾ [البَدء: 8] هما في الظاهر والباطن، أما الظاهر فظاهر، وأما الباطن فلقوله ﷻ: «إن للقلب عينين وأذنين إذا أراد الله بعد خيرًا فتحهما».

﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾

﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾ [البَدء: 9] كذلك في الظاهر قياسًا على الأولين.

﴿وَهَدْيَيْنَهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَهَدْيَيْنَهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البَدء: 10] أي أبصرناه وأريناه الطريقين:

إحداهما: إلى الظاهر وعالم الأجسام.

والثاني: إلى عالم الباطن والغيب، وإلى الأرواح والإله والإلهيات أو إلى الجمال والجلال وأدوارها وأكوارها وأعيانها وأكوانها وأحوالها.

## ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [الْبَلَدُ: 11] وما دخل في العقبة والحد الأوسط ولم يتجاوزه .

## ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ [الْبَلَدُ: 12] أي أي شيء علمك في الطريق والحد الأوسط الذي عينه إليه ليحجر ويفضل بين شيئين متماثلين أو متباينين وأصلهما الطريق في الجبل وغيره جمعها العقب والعقاب فإن بعضهم هي في الآخرة، قال: عند جهنم أو حد فاصل بين الجنة والنار، أو جبل وتلال في جهنم، أو صراط قد ضرب على متن جهنم فتكون مشتركة بين هذه المعاني أو حقيقة في جهنم البعض مجاز، وفي الباقي قال الحسن: هذه مثل ضرب الله مجاهدة النفس والشيطان في أعمال البر. قال الحسين بن علي رضي الله عنهما: عقبة الله تعالى شديدة وهي مجاهدة الإنسان نفسه وهواها، وغدرة من شياطين الإنس والجن هذا أمر الحق الواضح لأنه يريد أن يترقى ويستصعد من عالم الحس والخيال إلى آفاق عالم الإلهية وأسرار جبروته وأنوار ملكوته، ولا شك أن بينهما عقبات شديدة ودركات حامية مجاوزتها صعبة، والترقي إليها شديدة في الغاية .

واعلم أن (لا) لا تدخل على الماضي إلا أن يكون مكرراً نحو: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾ [الْقِيَامَةُ: 31]، فالتكرار هاهنا بحسب المعنى أي فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما اقتحام العقبة، أو يقال: إن تكرار اللفظ حاصل وهو: فلا اقتحم، وما أدراك .

## ﴿فَكُ رَقَبَةٌ﴾

﴿فَكُ رَقَبَةٌ﴾ [الْبَلَدُ: 13] خبر مبتدأ محذوف أي ما ينجيك من العقبة ويدخلك الجنة هو فك رقبة وتخليصها من رق أو دين أو قصاص أو غير ذلك . عن براء بن عازب قال: «جاء رجل أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: دلني على عمل يدخلني الجنة، فقال: هو فك رقبة أو عتق، فقال: يا رسول الله أليس واحداً؟ قال: لا، عتق النسمة أن تفرد معتقها وفك الرقبة أن تعين في ثمنها». وفي وجه آخر حسن: هو أن يفك امرؤ رقبة غيره بما يتكلف من العبادة التي يصير بها إلى

الجنة هو من الحرية الكبرى التي تخلص من النار.

﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [١٤]

﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ﴾ عطف على فك رقبة: خبر مبتدأ محذوف أيضاً أي المنجي والمخلص من عقوبة العقبة هو فك الرقبة وعتقها أي الرقبة أو إطعام الطعام في سبيل منع الخلو لأنه مانعة الجمع ﴿ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: 14] أي جوع شديد.

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [١٥]

﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد: 15] أي نسبة قرابة.

﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [١٦]

﴿أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد: 16] أي ذا حاجة يقال ترب الرجل إذا افتقر مدلة. وروي عن النبي ﷺ في قوله: «متربة أي من مأواه المزابل».

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [١٧]

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ عطف على (اقتحم) وثم ينبأ عند الإيمان عن العتق والإطعام في المرتبة الاستقلالية واشتراط سائر الطاعات به ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ أي أوصى بعضهم بعضاً ﴿بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: 17] والشفقة على عباده أو بما يوجب رحمة الله.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [١٨]

﴿أُولَئِكَ﴾ الذين مر ذكرهم من أصحاب البر والخيرات من فك الرقبة وإطعام الطعام والإيمان ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد: 18] اليمين أو اليمن.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [١٩]

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي بما نصبناه دليلاً على الحق والتوحيد وكمال قدرته ووفور حكمته والكتاب ﴿هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [البلد: 19] الشمال أو الشؤم أو الشامة، وذكر المؤمنين باسم الإشارة والكفار بالضمير تعظيماً للمؤمنين وتحقيراً للكافرين.

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ [الْبَلَد: 20] منطبقة أو صدت الباب إذا طبقتة وغلقتة. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (لا أقسم بهذا البلد) أعطاه الله تعالى بعدده الأمان من غضبه يوم القيامة».



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل شمس الروح ضياء للمعارف الإلهية والقمر نوراً للإيمان القلبي والاتقان اليقيني ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾ [يونس: 5]، ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذي ألهم النفس وزكاها من دنس الجهل لإصابة الصواب وأعلمها حسن الثواب على تلاوة آيات الكتاب وفهم معاني الخطاب ﴿الرَّحِيمُ﴾ الذي ألهمها فجورها وتقواها ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا﴾ ﴿١﴾  
وَقَدْ حَآبَ مَنْ دَسَّنَهَا ﴿٢﴾ [الشمس: 9، 10].

﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَّهَا﴾ ﴿١﴾ و﴿وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا﴾ ﴿٢﴾

﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَّهَا﴾ ﴿١﴾ و﴿وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا﴾ ﴿٢﴾ [الشمس: الآيتان 1، 2] أي بحق شمس الروح وكمال إدراكاتها حقائق الأفعال الرياسية وكيفية ارتباطها بالأسماء الإلهية والصفات الذاتية اقتضاء إلى الأعيان الثابتة والماهيات الكونية وبحق قمر القلب وبدر الغيب الذي آمن بالله وبما جاء من عنده من الأنبياء والصحف ووقت تلون الشمس واتباعها ومتابعتها من الطور وهو الاتباع والمتابعة.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا﴾ ﴿٣﴾

﴿وَالنَّهَارِ﴾ أي نهار التجلي الأثاري والأفعالي ﴿إِذَا جَلَّهَا﴾ [الشمس: 3] أي أظهر الشمس إذ العلول مظهر العلة ومظهرها، فالشمس سبب لظهور النهار

وجودها والنهار لإظهارها معنى إذا انبسط النهار على الأرض ظهر أن الشمس طالعة، فلولا النهار لا يعلم طلوعها. فاعلم أن الله أقسم بهذه الأشياء الظاهر بعضها بذاتها ومظهر لغيرها وهو الشمس لشرفها وكثرة احتياج الخلق إليها. ذهب البعض إلى القول إن نور الكواكب الباقية مستفادة من نور الشمس ولهذا أفادت النهار وحده وسائر الكواكب الباقية مع كون أنوارها لو اجتمعت لكان أكثر من أنوارها بكثير لا يفيد النهار. ذهب البعض: إلى أن ذكر رب محذوف وقدسي وذلك أن الله قد أقسم بقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: 5] فيلزم أن يكون التقدير: ورب السماء ورب ما بناها، وهو فاصل لاستلزامه القمر الطالع إلا أن يجعل ما مصدرية.

﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [4]

﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس: 4] قد يعلم المقصود مما تقدم.

﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ [5]

﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: 5] قد سبق الكلام فيها.

﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا﴾ [6]

﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا﴾ [الشمس: 6] وطحيتها وبسطها جعلها مسكنًا

للحيوانات والنباتات.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [7]

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: 7] أي تسويتها وجعلها معدلة للإفراط

والتفريط، مطمئنة في عبادات ثابتة في الطاعات بصفة سلطان القلب مطاوعة للروح والعقل، فإن الإفراط يجعلها شيطاناً أمردًا والعصيان فيسمى مادة حينئذ فإن انتهت فصارت لوامة على نصبها لدى ارتكاب معاصي واكتساب أمر وأخذ النواصي وصرفها إليها يقال لها اللوامة، وإن صارت معتدلة مستعدة لأن يفيض عليها من المجاري العالية يسمى ملهمة وإليه الإشارة.

﴿فَالهَمَّهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ﴾ (٨)

﴿فَالهَمَّهَا فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ﴾ [الشمس: 8] أي يعلمها فجورها وعصيانها، وتقواها رجوعها إليه بعد تنبها عن نوم الغفلة وسعة المعصية والجهل وألقى إليها حسن الطاعة وقبح المعصية خفية، أو تقوى ووقاية وهو وقاية النفس عن الميل إلى مخالفة حكم الله وأوامره وعن الانتهاء عما نهاها عنه من الفجور والمعاصي والشرور. والإلهام إلقاء معنى في الروح بطريق الفيض وهو يخالف التفكير فإنه إلقاء معنى في القلب بطريق الكسب.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّكَهَا ۙ﴾ (٩)

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّكَهَا ۙ﴾ [الشمس: 9] أي بعتها وأبرها وطهرها عن الهواجس النفسانية والوساوس الشيطانية وعن كدورات المعاصي وظلمة حب الفسق ومقتضياته.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ۚ﴾ (١٠)

﴿وَقَدْ خَابَ ۙ﴾ وخسر ﴿مَنْ دَسَّهَا﴾ [الشمس: 10] الله وخذلها وحبسها على المعاصي وكسبها.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۙ﴾ (١١)

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ۙ﴾ وطأفتها وقومها ﴿بِطَغْوَاهَا﴾ [الشمس: 11] أي بسبب طغيان أنفسهم أو طغيان النفس، والأول أولى لقربه وهو ابن غابر بن أرم بن سام بن نوح وهو عاد الثاني، فإن عاد الأول هو ابن عوص بن أرم بن سام بن نوح وعيص كان أكبر من عامر وابنه عاد أيضًا أكبر وأقدم من ثمود وابنه وهو شداد وهو عاد الثاني.

﴿إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا ۙ﴾ (١٢)

﴿إِذْ أَنْبَعَتْ أَشْقَاهَا ۙ﴾ [الشمس: 12] أي حين قام رجل منهم اسمه قدار بن سالف وهو أشقاهم وأخسهم وأدعاهم إلى تكذيب رسولهم وهو صالح، والتوحيد لتسويتك إياهم في أفعل إذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر

والمؤنث، ويجوز أن يقال: أشقوها بالجمع كما تقول: أفاضلهم أفضلهم.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ (١٣)

﴿فَقَالَ لَهُمْ﴾ حين تكذيبهم ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ صالح ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ راعوها يا قوم فإنها معجزة الله ﴿وَسُقْيَهَا﴾ [الشمس: 13] بأن قال لهم: لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، ويجوز أن يجعلها من باب التحذير أي اتقوها واحذروها وذروها بسقياها أي بسقيها، فكذبوا قوم ثمود رسولهم صالح حين قال لهم: أنا رسول الله إليكم وهذه ناقة الله جعلها معجزتي.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ (١٤)

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ وقطعوها وأهلكوها ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ﴾ أي ستر عليهم وأهلكهم بأن صب عليهم سوط عذاب وهو الصيحة ﴿فَسَوَّاهَا﴾ [الشمس: 14] أي جعل الله قوم ثمود متساوية في صب العذاب من غير أن يخصه ببعض دون بعض.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ (١٥)

﴿وَلَا يَخَافُ﴾ الرسول أو ﴿عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: 15] أو العاقر الأشقى فإنه عقر الناقة ولم يخف عاقبة أمره والواو للحال. قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة (والشمس) فكأنما تصدق بما طلعت عليه الشمس والقمر» صدق رسول الله ﷺ.

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل الليل لباسًا والنهار معاشًا، ويتم طريق الاستدلال على وجود الصانع وتوحيده ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي خلق الذكر والأنثى وقدّر للمتصدق أحسن الحسنى، وللمتقي الجنة العليا اليسرى، وللمحتال المنافق الدرك الأسفل ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي سيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله وصرّف مناله في سبيل الله ابتغاءً لمرضاته وارتضاءً لكمال درجاته، وارتجاءً لشهود أنوار تجلياته.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾

﴿وَاللَّيْلِ﴾ أي بحق تجليات الظل والجلال ﴿إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: 1] وسرّ نهار التجلي النوري والجمالي الذي هو إحدى مقدمتي القياس كما أشار إليه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأُخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 190]، والتفكر في خلق السماوات والأرض لا يتأتى إلا بتعاقب الليل والنهار.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣﴾

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣﴾ [الليل: الآيتان 2، 3] من كل نوع، أو نوع الإنسان. والظاهر أن ما مصدرية كما يدل عليه العاتقة، أي في خلق الذكر والأنثى، وهو بمعنى أو الذي من الاستفهامية، أي بحق من خلق الذكر والأنثى أي الذي خلقه الله ومخلوقه هو الذكر والأنثى.

### ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ (٤)

﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ ﴾ وجدَّكم واجتهادكم ومساعدكم في الأمور الدنيوية والدينية والأخروية ﴿ لَشَتَّى ﴾ [الليل : 4] أشنات مختلفة وهي التفرق .

### ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَى ﴾ (٥)

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى ﴾ في سبيل الله وأنفق ماله وماله ابتغاءً لمرضاته وارتقاءً للنيل إلى درجات جنات تجلياته ﴿ وَانْفَى ﴾ [الليل : 5] عن محارم الله وعن كل ما هو حاجب من النيل إلى الوصول إليها من الطاعات والعبادات الرسمية الصادرة بطريق العادة سيما إذا كانت مقرونة بالرياء التي هي شرك وقل ما يتخلص منها أحد إلا ما شاء الله .

### ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ (٦)

﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ [الليل : 6] أي بالأعمال الحسنة الصالحة والأفعال السننية والأقوال الصادقة والكلمات الطيبة ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر : 10] .

### ﴿ فَسَيُسِرُّهُ لِلسَّرَى ﴾ (٧)

﴿ فَسَيُسِرُّهُ لِلسَّرَى ﴾ [الليل : 7] أي تهيأً للمعطي والصارف ماله في سبيل الله ومرضاته ما هو أمور مستحسنة ومفضية إلى الأمور الحاصلة لليسرى والطريقة السهلة التي هي نتائج الأخلاق المرضية وثمرات الملكات الرضية الفاضلة من الأعمال الصالحة والأفعال الفالحة من العفة وما يتعرفها، والشجاعة وما يتبعها، والحكمة وما يشرعها، والعدالة وما يشرع إليها مما ذكرنا .

### ﴿ وَأَمَّا مَنْ يَحِلْ وَأَسْتَفَى ﴾ (٨)

﴿ وَأَمَّا مَنْ يَحِلْ ﴾ بما أعطاه من الأموال الظاهرة والأحوال الباطنة من العلوم والمعارف الإلهية والإدراكات والمقاصد الحكمية ﴿ وَأَسْتَفَى ﴾ [الليل : 8] بالأمور الحاصلة وارتضى بها واقتنع بها وتقاعد عن طلب المعارف الإلهية والحالات القلبية والإدراكات والمقامات والأحوال الغيبية وأظهر الغنى والاستغناء عما

عداها وحظر النظر عليها، والحال أن الكلمات الإلهية والمقامات والحالات الغيبية غير متناهية ولذا أمر رسول الله ﷺ بطلب زيادة العلم لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114] اللهم زدني فيك تحييراً وذلك لقصور الهمة وهو من نقصان الإيمان وعلو الهمة من الإيمان كما قال النبي ﷺ: «علو الهمة من الإيمان»، وقال أيضاً: «إن الله تعالى يحب معالي الهمم ويبغض سفاسفها».

﴿وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَيَسِّرُهُ لِّلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَيَسِّرُهُ لِّلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: الآيتان 9، 10] للخصال الذميمة المقابلة لتلك الفضائل الحميدة وهي التي تؤدي إلى العسرة والضيق والمعيشة الضنكة ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 124]، قال: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ [طه: 125] الآية.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾﴾

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ﴾ أي لا يمنع ولا يصرف عنه ﴿مَالُهُ﴾ وجاهه وحشمته ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: 11] أي وقت هلاكه من الترددي وهو الهلاك.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [الليل: 12] أي للإرشاد والهداية والإهداء أي يحق بموجب فضائلنا أو بمقتضى حكمتنا وحكمنا ومشيتنا، وأن علينا طريقة الهداية والهدى كقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: 9].

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الليل: 13] أي العقبى والدنيا فيعطي في النشأتين لمن شاء من سعادة الدنيا والآخرة من متاع الدنيا وثواب الآخرة أو فريضةها تركم الاهتداء بكتابنا والاقتداء برسولنا.

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الليل: 14] أي خوفتكم نار جهنم وهي تلتهب.

﴿لَا يَصَلُّهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ ﴿١٥﴾

﴿لَا يَصَلُّهَا﴾ لا يدخلها ولا يلزمها ﴿إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [الليل: 15] الكافر والعاصي المدبر الدابر.

﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿١٦﴾

﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ بنا وبكتابتنا وما أرسلنا ﴿وَتَوَلَّى﴾ [الليل: 16] وأعرض عن طاعته وقبول أحكامه.

﴿وَسَيَجْزِيهَا الْأَتَقَى﴾ ﴿١٧﴾

﴿وَسَيَجْزِيهَا﴾ أي تبعد النار التي هي ميقات للمكذبين من الجنب وهو البعد ﴿الْأَتَقَى﴾ [الليل: 17] أتقى نفسه عن محارم الله وما نهاه عنه من الأعمال والأفعال القبيحة.

﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ ﴿١٨﴾

﴿الَّذِي يُؤْتِي﴾ ويتصدق ويعطى بما أراد وأمره به ﴿مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: 18] ويتطهر بدل من (يؤتي) أو حال من فاعله. قوله: ﴿فَسَيَسْرُّهُ لِعُسرِي﴾ [الليل: 10] يدل على اختصاص الكافر بهذا الحد لأن المؤمن جعل المعصية بالنسبة إليه أرجح من الطاعة وإذا دلت الآية على حصول الرجحان لامتنع أحد الطرفين ووجب الطرف الآخر ضرورة إذ لا خروج عن طرفي النقيض. عن علي كرم الله وجهه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من نفس منفوسة إلا وقد علم مكانها من الجنة والنار، قلنا: أفلا نتكل، قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له».

واعلم أن المفسرين اجتمعوا على أن المراد من الأتقى هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأن الشيعة بأسرهم أنكروا هذه الرواية ويقولون: إن هذه الآية نزلت في حق علي كرم الله وجهه بدليل قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: 55]. وفي التفسير الكبير للرازي هنا كلام يدل على التعصب إذ الحق صريح واضح لا يخفى عن المنصف.



﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾﴾

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ [الليل: 19] ولا ينفعها .

﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: 20] يعني يقصد في صرفها وإتقانها

لإرضاء الله ومرضاته لا مكافأة نعمته أي لا يعتمد في إنفاق ماله وصرف ماله إلا طلباً لمرضاة وجه ربه الأعلى وهو الذات البحت إن كان المراد بالعلو هو المرتبة، وإن كان المراد هو الجمعية يكون المقصود هو الذات المستجمعة للأسماء والصفات كلها .

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: 21] أي يجد الثواب الكامل والأجر الجزيل

الفاضل . قال النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الليل) أعطاه الله حتى يرضيه، وعافاه من التعب، ويسر لقائله اليسر» .



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي نور وجه حبيبه بضحي الجمعية الكمالية والجمالية النورية والظلالية ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أدبه حيث قال: «أدبني ربي»، وأمر برعاية أيتام أعيان أدوار النور والجمال ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي أمره بالتحدث بنعم ربّه يزداد مواد كرمه ويصدد فوائده ومنحه وزوائل نغمه .

## ﴿وَالضُّحَىٰ﴾

﴿وَالضُّحَىٰ﴾ [الضحى: 1] إشارة إلى كمال جمعية أدوار النور ومعية أطوار أنوار الجمال وأزهار البطون والظهور .

## ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾

﴿وَاللَّيْلِ﴾ عبارة عن كمال إحاطة مرتضى أسرار أكوان الظل والجلال ﴿إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: 2] أي سكن وأظلم وغطى وستر وأحاط سلطان الجلال لدى استتار نهار فردارية النور واختفاء ضياء نجم الجمال في أرض الجلال وكواكب التفصيل في عرض الإجمال دون انتقال حكم الفردارية من النور والجمال إلى الظل والجلال والشمس إشارة إلى الأدوار النورية الوجودية الإفرادية، والليل إلى الأكوار الظلية العدمية الفردارية، والضحى إلى جمعية الأدوار والليل إلى جمعية الأول .

### ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾

﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ وتركك، ما منعتك ﴿رَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا قَلَى﴾ أي وتلا وقرأ من القلي والقليات والحركة وعطف بيان لـ(ما ودعك)، والمراد منه الوحي. روي أن يهودًا سألوا رسول الله ﷺ عن ذي القرنين وعن الروح وعن أصحاب الكهف قال ﷺ: «سأخبرك» ولم يستثن، فاستبطن الوحي فقال لخديجة رضي الله عنها: «إن ربي ودَّعني وقلاني» فشكى إليها فقالت: كلا والذي بعثك بالحق ما أهداك الله بهذه الكرامة إلا أن يتمها لك، فنزلت: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: 3]، وذلك لأنَّ إنما ينزل حسب المصالح والحكم فربما كان في التأخير حكمة ومصالحة. واختلف في قدر التأخير قال بعضهم: اثنا عشر يومًا أو خمسة عشر. عن ابن عباس: خمسة وعشرين، والبعض أنها أربعون يومًا، فلما نزل جبرائيل عليه عاتبه رسول الله ﷺ فقال: يا محمد لا ندخل بيتًا فيه كلب أو صورة.

### ﴿ وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾

﴿وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ﴾ أي الوحي الأخير الذي أرسله الله إليك بعد الفترة خير لك ﴿مِنَ﴾ الوحي والرسالة ﴿الْأُولَى﴾ [الضحى: 4] فإنَّ الوحي والرسالة معنى واحد لا يختلف في الحقيقة بل بالقلة والكثرة والتأخير والعجالة.

### ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾

﴿وَسَوْفَ يُعْطِيكَ﴾ وينزل لك الوحي بعد الترك والتأخير ﴿رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾

[الضحى: 5].

### ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ ربك ﴿يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى: 6] أي يعلمك يتيمًا وإن كان للمصادفة، فيتيمًا حال من المفعول الأول هذا وعدله شامل لما أعده من الفتح والنصر والظفر على أعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجًا ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [التصير: 1، 2]، والغلبة على قريظة والنضير وأخلافهم، وبث عسكره وسراياه في بلاد العجم والعرب والترك وأصحاب القدم، ولما فتح على يدي الخلفاء

الراشدين في أقطار الأرض وأطرافها وفتح المدائن والشغور وهدم ممالك الجبابرة ونهيهم عن كنوز الأكاسرة وقذف الرعب في قلوب الشرق والغرب كما قال: «نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ»، وفور دعوتهم الناس إليه، واستيلاء المسلمين واستعلاء المؤمنين وغير ذلك من أنواع الفتوح، وقد ذخر له في الأرض من الثواب الذي لا يعلمه إلا الله.

عن ابن عباس: له في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك، واللام في ﴿وَلَسَوْفَ﴾ للابتداء إشعار لمزيد العناية ووفور الشفقة ودرور النعمة وهو وراء هداية الله بأنه كان يتيمًا مات أبوه وهو في بطن أمه فلما وُلِدَ وأتى عليه ستة أشهر ماتت أمه وولاه وحفظه جده عبد المطلب فحملة إلى رضيعته حليلة، فلما مضى ثمانية سنين مات جده عبد المطلب وولاه عمه أبو طالب ولم يبق له لا من أبيه ولا من أمه ولا من جده مال ولا مسكن يأوي إليه ربه الله تعالى بكمال لطفه، فلما بلغ عشرة سنين أرسل الله عزَّ وجلَّ جبرائيل عليه وشرح صدره وأعدّه للوحي والرسالة، وهكذا تواترت ألطافه وتكاثرت أعطافه إلى أن بلغ أعظمه. قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي مسألة ووددت أني لم أكن سألته، قلت: يا ربي إنك آتيت سليمان بن داوود ملكًا عظيمًا وآتيت فلانًا كذا وكذا وفلانًا كذا، قال: يا محمد ألم أجذك يتيمًا فأويتك، قلت: بلى أي ربي، قال: ألم أجذك عائلًا فأغنيتك؟ قلت: بلى أي ربي».

### ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ فيما مضى عما أنت اليوم عليه من أنواع الهداية وأصناف النعمة وصنوف الرشد والعناية ظاهرًا وباطنًا ﴿فَهَدَى﴾ [الضحى: 7] أي فهداك بأنواع الهداية من النبوة والولاية والحكم والحكومة وصنوف الإدراكات والمعارف والدراية وأرشدك إلى أصول غايته ومقامات رفعة غايته.

### ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ فقيرًا ذليلًا لا مال لك ولا ملك ولا مسكن تأوي وترجع إليه وتسكن لديه ﴿فَأَغْنَى﴾ [الضحى: 8] أي أعطاك خزائن ملوك الأرض وسخر لك ولأمتك الأرض وجهاتها وأسبابها.

﴿وَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرَ ﴿٩﴾﴾

﴿وَأَمَّا الْيَتِيمَ﴾ إذا رأيتَه واطلعت على حاله وضعفه والتجأ إليك وتوجه للتعقل لديك ﴿فَلَا تَقْهَرَ﴾ [الضحى: 9] فلا تجعله مقهوراً وتركه مكسوراً .

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ﴾ أي الشخص غنياً كان أو فقيراً ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: 10] لا تجرده وترده صفراً آيساً. قال ﷺ: «وللسائل حق ولو جاء على الفرس» .

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ التي منحها لك في الظاهر والباطن، في الدنيا والآخرة، وهي غير متناهية ﴿فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11] وذكّر واحصر كلياتها وإن لم تقدر عليها فعدم انحصار الجزئيات بطريق الأولى، فذكر النعمة والتحدث بها هو شكرها . قيل: المراد بالنعمة النبوة، وتحدثها تبليغها إلى أهل العالم برّاً وبحراً، برّاً وفاجرّاً، جاهلاً وعالماً ونحواً .

قال النبي ﷺ على المنبر: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ، وَالتَّحَدَّثُ بِالنِّعْمَةِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهُ كُفْرٌ، وَالجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالفَرْقَةُ عَذَابٌ». وعن النبي ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ (وَالضُّحَى) جَعَلَهُ فِي مَنْ رَضِيَ بِمُحَمَّدٍ أَنْ يَشْفَعَ لَهُ وَعَشْرَ حَسَنَاتٍ يَكْفِيهَا اللَّهُ لَهُ بَعْدَ كُلِّ يَتِيمٍ وَسَائِلٍ» صدق رسول الله ﷺ .

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي شرح صدر حبيبه بيد قدرته كمال قوته لقبول أسرار الإسلام وحصول أنواره للخواص والعوام مرَّ الدهور والأعوام ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي قوى ظهر نبيه بذى الفقار الولاية المطلقة ورفع ذكْرَه شرقًا وغربًا، أدوارًا وأكوارًا، ظلًّا ونورًا ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي جمع أسرار الولاية وأنوار النبوة بأطوار العلوم والدراية في غيب قلبه وجيب غيب غيبه حتى اجتمع أطوار الأدوار بأسرار الأكوار في الطور القلبي والدور اليقيني .

## ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: 1] أي الوجه الذي يلي النفس ويقبل منها صور الأفعال الاختيارية ودرر الأعمال الإرادية أي ألم نصرف وجه القلب الذي يلي النفس من مضيق عالم الحس إلى فضاء عميق طائر روح القدس حتى سمع مناجاة الروح والسر الخفية مع الحق وكلام الحق لدى دعوته الخلق إلى جمع الجمع مع الفرق، فيكون حاضرًا أو غائبًا وغائبًا وحاضرًا شاهدًا أو خفيًا، أو لم ننسخه بما أودعنا فيك من الحكْم وأنزلنا عنك علة الجهل البسيط ومادته وهي الغفلة، أو بما يسرنا لك تلقّي الوحي بعدما كان يشق عليك . قيل: إنه إشارة إلى ما روي أن جبرائيل أتى رسول الله ﷺ في صباه في ستة سنين أو الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه إيمانًا وعلماً وعرفانًا إشارة إلى نحو ما

سبق. ومعنى الاستفهام إنكار نفي الانشراح مبالغة في إثباته ولذلك عطف عليه.

### ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾

﴿وَوَضَعْنَا﴾ وأزلنا ورفعنا ﴿عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: 2] الذي حباك بأن غفر له أو علمه بالشرائع أو بتمهيد عذره بعدما بلغ وبالغ.

### ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾

﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: 3] وكسره، أي الذي حملة على النقيض الذي لا أريده بل أريد خلافه وهو صوت الرجل عند الانقياض من ثقل الحمل وما هو ثقل عليه من فرط قبل البعثة وجهله بالحكم والأحكام، أو حيرته أو يلقي الروح أو ما كان يرى في ضلال قومه مع العجز عن إرشادهم أو من إصرارهم وبعدهم في البداية إذا دعاهم إلى الإيمان.

### ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: 4] بالنبوة وغيرها، أي رفع أرفع من أن يقارن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاغية ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ﴾ [النساء: 59]، وصلى عليه في ملائكته، وأمر المؤمنين بالصلاة عليه، وخاطبه بالألقاب، وقارن وجوده بوجوده، بل لا يحل وسطه بخلاف سائر الموجودات فإنها تفيض منه بواسطة وجوده «لولاك لما خلقت الأفلاك». ومن اختصاص المقام المحمود وهو التحقق بالكمال الجمعي والجمع الكمالي في أطوار خصائص الأدوار وأنوار نصائص الأكوار أفرادًا وجمعًا، أصالة وفرعًا، استقلالًا وتبعًا.

### ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 5] كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر من العسر وكر الدهر، أو ضلال القوم وإيذائهم على مقتضى الدور ومرضى الكور يسرًا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة والاقتداء به في الشرائع للإطاعة ولحسن المطاوعة له لكمال الإشاعة على ما تقتضيه فردارية النور والجمال.



﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح: 6] على عكس الأصناف المذكورة على مقتضى الأكوار يسرًا فإن ما كان في الجمال يسرًا يكون في الجلال عسرًا.

﴿فَإِذَا فُرْغَتْ فَانْصَبْ ﴿٧﴾﴾

﴿فَإِذَا فُرْغَتْ﴾ من التبليغ في دورة النور ونوبة الجمال والظهور ﴿فَانْصَبْ﴾ [الشرح: 7] في كورة الظلال وتديير الجلال لأجزاء الأحكام ضمناً.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَأَرْعَبْ ﴿٨﴾﴾

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾ في الرتبة الجمعية والمرتبة الإحاطية والهيئة الكلية ﴿فَأَرْعَبْ﴾ [الشرح: 8] واعمد ومل واقصد إذ الإقرار لليسر الدائر والربغ السائر إلا من الكمال الجمعي والجمع الكمالي إذ فيه دور في عين الوقوف وسير في نفس العكوف، وسكون في عين الطرف. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الانشراح) فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني» صدق رسول الله ﷺ.



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي زين ملكوت أرباب الفكر والنظر بعين القوة النظرية وعين لاكتساب الكمالات النفسية ليرتقي في مدارج حضائر القدس زيتون القوة العملية التي باطنها صعب وظاهرها لين نافع ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي جعل الطور القلبي طور المباحات ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم رده إلى حضيض طبيعة أسفل السافلين ليصعد إلى أوج أعلى عليين .

﴿وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سَيْنِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣﴾

إشارة إلى الأدوار الأربعة النورية الوجودية الجمالية وهي : العظمى والكبرى والوسطى والصغرى ، وإلى أربابها وهي : العلم والحياة والقدرة والإرادة ، صرف كل منها إلى ما يناسبها ويقاربها وإلى مراتب النفس وهي : الأمانة واللوامة والملهمة والمطمئنة إلى مدارك العقل ومجاله وهي : الهولانية والملكة والمستفاد والعقل .

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ وهو الحيوان الناطق بأن رتب له أجزاءه الأولية وهي الاسطقسات الأربع ، وركبناها ومزجنا كلاً منها إلى الآخر لتتعادل كمًا وكيفًا ، وحصل الفعل والانفعال والانكسار أمر وحداني ونعت جسماني وهو المزاج ، ثم فاض الروح على المزاج والبدن وحصل من اجتماع الروح والبدن صورة جمعية أخرى وكيفية وحدانية أخرى ليست بجسم ولا نفس ولا روح ولا بدن بل أمر آخر

وهو المسمى ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4] وهو كالزيتون الذي يشار به إلى الاستعداد الذاتي والقابل الأولي ليست من فرق عالم الأرواح ولا من غير عالم الأجسام، والبذل والأشباح والتقويم في الأصل يصير الشيء على ما ينبغي أن يكون في التأليف والتكميل والاعتدال والتعديل فقال: قوّمت العدد فاستقام وتقوّم، وذلك لأن الروح الإلهي والأمر الرباني تنزل من عالم القدس وحضائر الإنس إلى عالم التركيب والتطهير أولاً بصورة المعدنيات ثم يرتقي إلى عالم النبات ومنه إلى عالم الحيوان مندرجاً في الحسن والبهاء إلى أن يبلغ في أفق عالم الإنسان، فكلما يزداد التركيب والاستحالة والامتزاج يزداد في المركب حسن وجمال إلى أن يحصل عدل المزاج وهو المزاج الإنساني، فحينئذ يتعلق به أفضل روح وأكمل نفس ويظهر في أحسن صورة وأبهى هيئة وأبين بنية بحيث يستغرق دقائق الحسن وحقائق الجمال ويحصر حكم سلطان العشق والمحبة ولا يتعلق بغيره.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: 5] في عالم الكورة والفساد في مدارج الأدوار ومدامج الأطوار والأكوار إلى نهاية التنزلات وغاية الدرجات ولم يبلغ إلى كمال الحقيقة أسفل سافلين وغاية مراتب أعيان الأولين والآخرين.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في مراتب جمعية الأدوار والأكوار الإفرادية فإن فيها تمام الأعيان والأكوان ومراتبها متساوية الأقدام لا يكون فيها علو ولا سفلى ولا أوج ولا حض وغير ذلك من الأعيان المتقابلة والأكوان المتباينة فإنها بأسرها قد ارتفعت خصوصيتها المتضادة فاتصفت كلها بصيغ الكلية ونعت الجمعية ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في جمعية الأكوار الظلية بأن توافقت مقتضيات الأدوار بمرتضيات الأكوار وتطابقتا بأن توافقت نسبة المولود الجمالي الإنسي بالمولود الجلالي الجني وحصل منهما مولود جمعي ومحدود وضعي كلي وجزئي ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: 6] مقطوع ولا مختلف بأن كان منصوباً ومرفوعاً إشارة إلى الجمعية الكبرى وهي جمعيتها بين الجمعية النورية الوجودية والجمعية الظلية العدمية وهي الجمعية الإلهية والكونية والربوبية والعبودية الوجودية والعدمية «خلق الله آدم على صورته».

### ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ (٧)

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أي ما بقي في هذه الحالة أمر واحد يخالفك ويكذبك أحد، فالخطاب إما لمحمد أو لكل واحد وصل في هذه الجمعية وتلك الحالية المعية والهيئة الكلية من الأصلية والفرعية في التدريجية والدفعية، ففاعل (يكذبك) إما راجع إلى أحد مقدر ومصدره، أي بما وقع التكذيب من الخلق أصلاً لانتفاء المخالفة واختفاء المباينة ﴿بَعْدُ﴾ التطابق وكمال التوافق ﴿بِالدِّينِ﴾ [التين: 7] الإلهي واليقين التام الكامل الجمعي.

### ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ (٨)

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ﴾ الجامع لتمام مقتضيات الأدوار الإلهية ومرتضيات الأكوار الكونية الإفرادية والأطوار الجمعية والأسرار المعية ﴿بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: 8] انحصر الحكم عليه وانقصر القضاء لديه. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (والتين) أعطاه الله العافية واليقين ما دام حياً فإذا مات أعطاه الأجر بعدد من قرأ هذه السورة».



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي علق خلق الإنسان باستحالة النطفة بالعلق والمضغة وبفيضان النفس الناطقة على وحدة المزاج ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أنزل الوحي بالأمر بالقراءة ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي جعل كثرة السجدة وقلة الاقتراب ووسيلة القرية ولغى الشك والارتباب.

### ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾

﴿أَقْرَأْ﴾ في بداية الأدوار ونهاية الأكوار القرآن المخصوص لكل دورة مفتتحاً ومصدرًا ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ الجامع لتمام المقتضيات وجميع المرتضيات ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1] حقيقة الإنسان في بداية كل دورة ثم خلق الأشياء بعد ذلك.

### ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: 2] في نهاية كل دورة أولاً من كمال القدرة القابلية التي هي بعينها تمام فاعلية الفاعل فحينئذ يكفي في ظهور آدم اجتماع القوى القابلية ولا يحتاج إلى الازدواج الذكر والأنثى فيتولد حواء من آدم لانتفاء تلك القوة الكاملة قابلاً وفاعلاً احتاج التوالد والتولد إلى ازدواج الذكر بالأنثى وإلى النطفة واستحالتها أولاً إلى العلقة ثم إلى المضغة، فذكر العلقة لكونها واسطة بين النطفة والمضغة، قد أغنى عن النطفة والمضغة، اقرأ لدى الانتقال من

الدورة النورية الجمالية الصريحة إلى الكورة الظلية الجلالية ومن الدورة النورية إلى الدورة الجمعية الكورية الإفرادية أو الجمعية الجمعية .

﴿أَفْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾

﴿أَفْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: 3] الزائد على كل كريم في الكرم وهو ربّ الدورة العظمى الجمعية، وإنه النعيم بلا غرض ويحكم من غير مخوف، بل هو الكريم المطلق والجواد الفياض المحقق المتساوي بالنسبة إلى كل الأكوار الأربعة والأدوار الأربعة الإفرادية وجمعية الجمعية الذي عَلَّمَ بالخط والتصوير الجمالي والجلالي .

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: 4] الأعلى والقلم المقدم العلي .

﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

﴿عَلَّمَ﴾ حقيقة ﴿الْإِنْسَانَ﴾ في بداية كل دورة وفاتحة إفرادية وجمعية ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 5] أي أمورًا ما كانت في الأدوار السابقة والأكوار الشاهقة إذ كل دورة لاحقة تشتمل على علوم متضاعفة وإدراكات متقاطعة وأحوال ومقامات متناسقة، فإن الإدراكات المركبة والتصديقات المترتبة قد ظهرت في الفطرة الأولى والنشأة العليا في بداية الدورة العظمى تصور الإدراك البسيط الفطري والتصور الضروري وفي سائر الأدوار الباقية، أعني الكبرى والوسطى والصغرى، تظهر الأعيان المركبة والمعالي المترتبة التي كانت تظهر بصور البسائط والمفردات وتخفي فيها هيئات المركبات .

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع ونفي ومنع لمن كفى بنعم الله وجهل بها بانتفاء المقتضي له ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ [العلق: 6] يصير طاغياً وضالاً وباغياً .

﴿أَن رَّاهُ اسْتَعْتَفَ﴾

﴿أَن رَّاهُ اسْتَعْتَفَ﴾ [العلق: 7] أي رأى غنياً مستغنياً غير محتاج إلى ربه بل



يدعي الربوبية كفرعون ونمرود وداديان الذي دعى جرجيس النبي الذي هو من حواربي عيسى عليهما السلام وقتله سبع مرات بطرق مختلفة، ف(استغنى) مفعول ثاني لأنه بمعنى علم من أفعال القلوب ويقتضي مفعولين يجوز أن تكون النفس الواحدة فاعلاً ومفعولاً، متميزاً أحدهما عن الآخر بالاعتبار ونحو رأيتني ووجدتني وعلمتني، وذلك من خصائص أفعال القلوب. وإنما سمي النفس الإنسانية طاغية لتجاوزها عن الحد بكونها فاعلة ومفعولة وذلك من لوازم النعت الجمعي والوصف الكل المعني (أن) في ﴿أَنْ رَأَاهُ﴾ للتفسير.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ﴾ ﴿٨﴾

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ﴾ ﴿٨﴾ [العلق: 8] الخطاب للإنسان للالتفات تهديداً وتخويفاً وتشديداً من عاقبة الطغيان و(الرجعى) مصدر كالبشرى.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾﴾

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ [العلق: الآيتان 9، 10] نزلت لأبي جهل قال: لو رأيت محمداً ساجداً لوطئت عنقه، فجاءه ثم نكص على عقبيه فقال: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: إن بيني وبينه خندقاً من النار وهولاً وأجنحة وتنكير لفظ العبد لفظ للمبالغة في القبح والنهي والدلالة على كمال عبودية المنهي عنه.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ أَهْدَىٰ ﴿١١﴾﴾

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ أَهْدَىٰ ﴿١١﴾﴾ [العلق: 11] الضمير راجع إلى أبي جهل خطاب إلى كل من يستحق أن يخاطب، أي أخبر عن نهي بعض عباده عن ضلالته إن كان ذلك الناهي على طريقة شديدة فيما ينهى من عبادة الله إذا كان.

﴿أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ﴿١٢﴾﴾

﴿أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [العلق: 12] فيما يأمر عن عبادة الأوثان كما يعتقد.

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾﴾

﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ أبو جهل ﴿تَوَلَّىٰ﴾ [العلق: 13] وأعرض عن الحق إن كان

على التكذيب للحق التولي عن الدين الصحيح فما أقول .

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ ويطلع على أحواله من هداية وضلالة، استفهام على سبيل الإنكار، يعني أليس يعلم أبو جهل بأن الله يطلع على جميع أحواله لكن يصلح ويعلم بأن الله يعلم بتمام أحواله وغيره إلا أنه ينكر عنادًا واستنكارًا. وقيل المعنى: أرايت الذي ينهى عبدًا إذا صلى، خطاب الرسول على سبيل التعجب ووجه التعجب أنه عليه السلام قال: «اللهم أعز الإسلام إما بأبي جهل بن هشام أو بعمر»، فكأنه تعالى يقول: كيف تظن به، هذا للعبد وهو ينهى العبد عن خدمة ربه أو اتصف بالحكمة من يمنع عن طاعة الرحمان ويسجد للأوثان وأن ذلك الأحمق يأمر وينهى ويعتقد أنه يجب طاعة من ليس بخالق ولا رب ثم أنه ينهى عن طاعة الله الرب الخالق المميت المحيي الرزاق، وليس هذا إلا غاية الحماقة ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: 14] ويطلع على جميع أحواله وعلى جميع الممكنات.

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَه لِنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع للناهي عن الصلاة والأمر بالسجود للجمادات والموجودات الحسية ﴿لَئِن لَّمْ يَنْتَه﴾ ويتمنع ويمتنع ويتجنب عما هو فيه ﴿لِنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: 15] أي لياخذون بناصيته وليسحبته إلى النار، والنسفح القبض على الشيء وجذبه بشدة. قرأ: لنسفعن بالنون المشددة وكتبها في المصحف بالألف على حكم الوقفة لام (الناصية) عوض المضاف إليه أي ناصية الشخص المذكور.

﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾

﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: 16] بدل من الناصية وإنما جاز لوصفها، وقرأ بالرفع على أنها خبر هي والنصب على الذم.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: 17] أي يطلب أهل ناديه وهو المجلس الذي يتدعى به القوم. روي أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ فقال: أتهديني وأنا أكبر أهل الوادي؟ فوالله لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت جبالاً جرداً رجالاً مرداً.

## ﴿سَنَدُّ الزَّبَانَةِ ۝۱۸﴾

﴿سَنَدُّ الزَّبَانَةِ ۝۱۸﴾ [العلق: 18] قال النبي ﷺ: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً».

## ﴿كَلَّا لَا نُطِئُكَ وَأَسْجُدُ وَأَقْرَبُ ۝۱۹﴾

﴿كَلَّا لَا نُطِئُكَ﴾ ردع أيضاً للناهي، أي لا تطع الناهي ولا تطاوعه ﴿وَأَسْجُدُ﴾ وَأَقْرَبُ﴾ [العلق: 19] فكثرة السجود ليتقرب إلى الله الربّ عالم الشهادة والغيب، قال الله تعالى: يا أحمد هل تعلم بأي وقت يتقرب إليّ العبد؟ قال: لا يا رب، قال: إذا كان جائعاً أو ساجداً، قال النبي ﷺ: «أقرب ما يكون العبد إذا سجد». عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة (العلق) أعطي من الأجر كأنما قرأ المفضل كله».



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل ليلة القدر لعلو قدرها سارية في جميع الليالي ليعم آثار أنوارها في كل الليالي ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي جعل شرف قدرها موازياً لألف ليال ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي نزل الملائكة والأرواح العلية من سعة فضاء عالم القدس إلى هواء مراتب الحسن إلى أن يطلع فجر ليلة فردارية دورة الجلال لاختفائها نوبة تدبير الجمال .

### ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي القرآن ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 1] علم الليلة مخصوصة لها شرف عميم وقدر عظيم على سائر الليالي والعلم هو المجموع مثل شهر رمضان ابتداء إنزاله إنما يكون في هذه الليلة وباقيه في شهر رمضان لأن البعث كان في شهر رمضان . عن ابن عباس : نزلت دفعة ليلة القدر إلى سماء الدنيا ثم إلى الأرض بأن كان جبرائيل نزله على النبي ﷺ نجوماً في ثلاث وعشرين سنة . وقيل : المعنى أنزلناه في فضلها وهي أوتار العشر الآخر من رمضان والغرض من إخفائها في الليالي إحيائها كلها . وإنما سميت بها لشرفها أو لتقدير الأمور في تلك السنة من المطر والرزق والحوادث الزمانية ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان : 4] .

### ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 2] إشعار إلى كمال شرفها بأن كل أحد لا يطلع على حقيقتها وشرفها إلا من أطلعه الله .

### ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: 3] روي أن رسول الله ﷺ ذكر أن رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فتعجب المؤمنون منه وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق بأن يكونوا عابدين من أولئك العباد. قيل: إن رسول الله ﷺ رأى أن الخنازير يصعدون إلى المنابر، فأخبر جبرائيل فقال: سيأتي زمان يصعد بنو مروان على المنابر ويلعنون على أهل بيتك ألف شهر، فاغتم ﷺ، فجاء جبرائيل فبشره بأن الله تبارك وتعالى أعطاك ليلة وهي ليلة القدر يكون شرفها وثواب العمل فيها موازياً لألف شهر، ويكون خيراً منها. قد ذكر في كتب التواريخ أن معاوية بعد قتل علي بن أبي طالب وانتقال الدولة إلى ابنه يزيد أمر الخطباء ليكون اللعن في المنابر في يوم الجمعة على خمسة نفر وهم: علي وابناه حسن وحسين وعبد الله بن عباس ومالك بن أزداد. وروي أن الإمارة لما بلغت إلى عمر بن عبد العزيز من بني مروان رفع اللعن، وبعد وفاته عادت لللعنة إلى ألف شهر، فلما انتقلت الدولة إلى بني عباس أمروا أن يرفع اللعن ويذكر في مواضعهم الخلفاء الراشدين أبا بكر وعمر وعثمان وعلي والحمزة والعباس بالرضوان رضوان الله عليهم أجمعين .

### ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾

﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا﴾ في الأرض ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ وأمره وإرادته ﴿مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: 4] من أجل كل أمر، يعني أن كل واحد منهم إنما نزل لهم أجر ولهم أشغال كثيرة، فبعضهم بالركوع وبعضهم بالسجود وبعضهم بالدعاء وبعضهم بالتفكير والتعليم ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ [التجم: 5- 7]، وبعضهم بإبلاغ الوحي، وبعضهم لإدراك فضيلة الليلة والتسليم والصلاة على المؤمنين، وبعضهم خصص الأمر بكل ما قدر في تلك السنة خيراً

وشرًا، نفعًا وضرًا، وفيه إشارة إلى أن نزولهم إنما كان عبادة، فكأنهم قالوا: إنا نزلنا إلى الأرض لأجل كل أمر فيه مصلحة المكلفين وعم لفظ، فإن قيل: أليس قد تقرر أن في منتصف شعبان ومن ليلة البراءة تقسيم الآجال والأرزاق وسائر الأحوال الجارية في تلك السنة؟ أجيب بأن ما روي عن النبي ﷺ أن الله يقدر المقدار في ليلة البراءة فإذا كان ليلة القدر يسلمها إلى أربابها، قيل: تقدر ليلة البراءة بالآجال والأرزاق وليلة القدر تقدر الأمور التي فيها الخير والبركة والسلامة. قيل: يقدر في ليلة القدر ما يتعلق به إعزاز الدين وما فيه النفع العظيم للمسلمين، وأما ليلة البراءة فيكتب فيها أسماء من يموت.

### ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾

﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: 5] أي الصبح الصادق أي تنزل خير وسلامة محضة قد قدره الله في تلك الليلة بخلاف سائر الليالي، فإن الخيرات مشوبة بالسرور وذلك لكثرة ما يسلمون في تلك الليلة ملائكة الأرواح النازلة على المؤمنين ثابت الضمير باعتبار أنه اسم الجنة أو بتقدير المضاف نحو: دار السلام، هذا ما قال في التفسير الكبير للرازي.

والذي أفاض الله على أن (سلام) خبر مبتدأ محذوف، يعني أن ما ينزل والروح بها هي سلام ورحمة من الله ودعاء للمؤمنين تدوم، وذلك الدعاء ونزول الرحمة إلى طلوع الفجر. قال الرسول ﷺ: «من قرأ سورة (القدر) أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر».

### في علامات ليلة القدر:

قال النبي ﷺ: «إنها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة، تطلع الشمس صبيحتها ليس بها شعاع». قال عبيد بن عمر: كنت ليلة السابع والعشرين في البحر فأخذت من مائه فوجدته عذبًا سلسلًا.

### وفي فضائل ليلة القدر وخواصها:

قال النبي ﷺ: «من قرأ سورة (القدر) ليلة القدر غفر له ما تقدم من ذنبه». وقال أيضًا: «إن الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها ولا ينفذ فيها

سحر ساحر، وإذا كان في ليلة القدر تنزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى وفيهم جبرائيل، فنزل جبرائيل معه ألوية، لواء فيها على قبري، ولواء على بيت المقدس، ولواء في المسجد الحرام، ولواء في طور سيناء، ولا يدع فيها مؤمن ولا مؤمنة إلا سلم لأحد من الخمر وينتهي بأن غفرت له».



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي ما كان أهل الكتاب المشركين المنفكين عن دينهم الأصلي ولا عن معتقدهم الأولي حتى جاءهم من الله رسول يتلو عليهم كتاب الله والصحف من عند الله تعالى ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أرشدهم إلى الجنات وهداهم إلى شهود تجلياته ﴿الرَّحِيمُ﴾ الذي سماهم ورفيع الدرجات ومنبع المشاهدات وهي جمعية الجنات وكليات التجليات .

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ

الْبَيِّنَةُ﴾

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ من الأعراب وغيرهم من عبدة الأوثان، وأما الأولان فلا لحادهما في صفات الله وأسمائه الذاتية ﴿مُنْفِكِينَ﴾ منصرفين عما كانوا عليه من دينهم، أو مما كانوا في كتابهم من أحوال الأشياء سيما محمد ﷺ فإنه كان في التوراة والإنجيل وسائر الصحف بأن محمد ﷺ سيظهر ويحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون، فعليكم أن تتابعوه وتنصروه في إظهار الدين الحق، وكذا كان في مجيء عيسى عليه السلام وبعثه ووجوب اتباعه، فإذا جاء كفروا عيسى ومحمداً، وكذا النصراني كفروا. وقد كان عيسى أخبر بني إسرائيل وأمته من بعث محمد حيث قال: يا بني إسرائيل إني

رسول الله إليكم مصدق لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، فلما جاءهم بالبينات قالوا: هذا سحر مبين، فأنحرفوا عن التوراة والإنجيل ونبذوا قول عيسى وراء ظهورهم وكذبوا بمحمد ﴿حَقَّ تَأْيِيهِمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: 1] الكتاب والرسول فإن كلاً منهما يبين الحق والمعجزات للرسول وهي مصدر بمعنى الفاعل.

### ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾

﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ إما بدل من البينة أو بيان لها ﴿يَتْلُو﴾ ويقرأ ﴿صُحُفًا﴾ كتباً ﴿مُطَهَّرَةً﴾ [البينة: 2] من الأباطيل والأكاذيب، والجملة الفعلية إما صفة الرسول أو خبره، والرسول إن كان أمياً إلا أنه لما تلا وقرأ أو تابع أمراً كان في الصحف كالتالي لها.

وقيل: أمر جبرائيل وكون الصحف مطهرة من التغير والتبديل فإنها طاهرة في نفسها مطهرة لا يمسه إلا المطهرون. قوله: ﴿مُنْفَكِينَ﴾ [البينة: 1] مفارقين من الكفر والشرك إلى أن يأتيهم محمد، فإن عبدة الأصنام وجدوا أو سمعوا من أهل المصحف أن محمداً سيظهر ويمنع الكفار من عبادة الأصنام والأوثان وغيرها من الكواكب والملائكة والإنسان، فقالوا للأنبياء الذين دعواهم إلى التوحيد والإسلام: نحن نترقب محمد فنؤمن به ونسلم ونطيع بدينه.

### ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾

﴿فِيهَا﴾ أي في الصحف ﴿كُتِبَ﴾ أي مكتوبات فيها حوادث العالم ووقائعها ﴿قِيمَةٌ﴾ [البينة: 3] مستقيمة ناطقة بالحق.

### ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾

﴿وَمَا نَفَرَقَ﴾ الأئمة والأعيان ﴿الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ﴾ والصحف التي وجدوا فيها نعت محمد وأحوال أمته وأصول دينه وفروعه وكانوا متفقين على ما كانوا عليه ووجدوا في كتبهم مصريين على حقيقته ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: 4] أي محمد وكتابه وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا

كفروا به ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٤٦﴾ [البقرة: 146].

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿٥﴾

﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ والحال أن كلهم ما أمروا ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده لا شريك له لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأسماء ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: 5] حال كونهم مائلين عن العقائد الزائفة والقواعد الباطلة الزائغة ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ المكتوبة وغيرها من التطوعات والنوافل والفائتة بشرائطها وأركانها وأبعاضها وهيئاتها وسننها ﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ والصدقة المفروضة لكنهم حرفوا كتابهم وغيروا لغته وما فيه من أحواله وأحوال أمته ﴿وَذَلِكَ﴾ الأمر الذي كتبه الله عليهم وأمرهم بالعمل به مطابقاً لدينه هو ﴿دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: 5] المستقيمة الحقة القويمية المصونة عن التبدل والتغير.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ ﴿٦﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بمحمد ودينه وبكل ما جاء به وهم ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ﴾ عطف على أهل ﴿جَهَنَّمَ﴾ جزاء لكفرهم وشركهم، فإن نار الكفر والشرك التي كانت في قلوبهم كانت في قلوبهم مكتوبة فبالمناسبة ينجذب إلى الأصل وهو النار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [البينة: 6] إلى أن زالت ظلمة الكفر والشرك عنهم ﴿قُلْ يَجَادِيَ الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾ [الزمر: 53]، ﴿أُولَئِكَ﴾ الكافرون الظالمون ﴿هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 6] الخاسرة والخاسئة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ﴿٧﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ من أهل المؤمنين بالله وبما جاء به ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 7] وأشرف الأمة.

﴿ جَزَأُوهُمُ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

﴿ جَزَأُوهُمُ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ استئناف ﴿ ذَلِكَ ﴾ [البينة: 8] الأمر المذكور والوعد المزبور ﴿ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة: 8] فإن الأمر الإلهي والحكم الرباني إنما يترتب على الخوف والخشية والحرية. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كان يوم القيامة مع خير البرية مساءً ومقبلاً».

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترتيبها 99	سُورَةُ زُلْزَلَتِ	آياتها 8 مدنية
------------	--------------------	-------------------

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل نهاية كل دورة زلزلة وزلزلاً تتبعها نفخة أولية وثانية ثم تقوم قيامة وتظهر ساعة ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أخرج عن العرصة الإلهية وهي الأرض الجلالية التي قيامها انتقال أعيان الأدوار النورية بأحوالها وأطوارها وأتقالها ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي أعاد إلى ما كانت عليها عائدين وما فيها من الجنات والتجليات والدركات اجتنبوا إيها واكتسبوها في الأدوار النورية الصريحة والأكوار الظلية الضمنية ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة: 7، 8].

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ﴿١﴾

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: 1] أي الأرض التي اختزنت واكتنزت فيها الكثرات بأنواعها والممكنات بتمام أطوارها وأسرارها ومنافعها ومضارها بعمومها ومسارها، وذلك عند انتقال دورة فردارية تربية الدورة النورية الوجودية الجمالية إلى الكورة الظلية والعدمية والجلالية، إفرادية كانت أو جمعية وبالعكس، فعند انتقال كل دورة إلى دورة زلزلة وزلزلاً قبل النفخة الأولى وهو من أشراط الساعة وقيام القيامة.

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ ﴿٢﴾

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ﴾ [الزلزلة: 2] الجمالية لدى انتقال سلطنة القوة الفاعلية إلى

القوة المفعولية ليصير القابل فاعلاً والفاعل قابلاً، والجمال جمالاً، والجلال جلالاً، والدنيا آخرة، والآخرة دنيا، والنبوة ولاية، والولاية نبوة، والظاهر باطنًا، والباطن ظاهرًا، أو تبدلت الناسوت لاهوتًا، واللاهوت ناسوتًا وجبروتًا، والجبروت ملكوتًا، والملكوت برزخًا، والبرزخ ملكًا، والملك ناسوتًا، وهكذا لدى انتقال الفردانية من دورة إلى دورة ومن كورة إلى كورة ومن الدورة إلى الكورة ومن الكورة إلى الدورة بتبدل أطوار مقتضيات دورة الجمال إلى مرتضيات الأكوار، وهكذا تتبدل أطوار الأدوار والأكوار إلى أن تصل لجمعية الجمعية، فحينئذ يرتفع التبدل والنمو والانتقال لاستواء الكل بالنسبة إليها ونسبتها إليه فحينئذ لا يتبدل، والانتقال والحركة عين الدوام والثبات، وتكون الحركة عين السكون، والسكون نفس الحركة، والظاهر عين الباطن، والباطن عين الظاهر، والدنيا عين الآخرة، والآخرة عين الدنيا، وهكذا تتحد جميع التباينات وتمازج المتخالفات كما اتحدت في الجمعية الأحادية والأحادية الجمعية وتعاقبت الأطراف فيها على وجه لا يتحدان اتحادًا حقيقيًا ولا يختلفان اختلافًا فاحشًا بما كانتا في الأدوار الإفرادية تتراعى تبعًا بحيث لا يحجب إحداهما الأخرى ولا ينقذ إحديهما بالأخرى، كما نرى الوحدة والكثرة معًا لا تقدح الوحدة الكثرة ولا تحجب الكثرة الوحدة، بل يشاهد الوحدة عين الكثرة والكثرة عين الوحدة ﴿أَنْفَالَهَا﴾ [الزلزلة: 2] وإنما أسند الفعل إلى القابل وهو الأرض إشارة إلى أن كمال الفاعلية هو بعينه تمام قابلية القابل، يعني أن الأعيان الإفرادية والأعيان الجمعية التي كانت مكمونة في الأرض الإلهية التي كانت برزخًا بين الأنانية الذاتية والإنية العينية التي أشار إليها بقوله: «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»، قد أخرجتها عن الأرض الإلهية، الاستعداد القوة القابلية، التي كانت القوة الفاعلية عليها والذات جامعة لهما، وكلما كان مندرجًا تحتها من المفهومات المتقابلة ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: 3].

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾

﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ﴾ الجامع للذات بتمام الأسماء والصفات، الدائر في النشآت، والسر الإلهي السائر في مجامع الشؤونات ﴿مَا لَهَا﴾ [الزلزلة: 3] أي شيء حدث

لتلك الأرض حتى انتقلت من القابلية والفاعلية وصار الفاعل بها عين القابل والقابل نفس الفاعل .

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ﴿٤﴾

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ الأرض وتتكلم بما فعل الإنسان عليها ﴿أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: 4] من مقتضيات الأدوار ومرتضيات الأكوار الإفرادية والجمعية .

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ ﴿٥﴾

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: 5] واعلم أن ما جرى منه في نشأت أدوارها وشؤونات أكوارها لها، فتقول الأرض بإعلام الله ووحيه وتقديره ويشهد للمؤمنين بأنهم أطاعوا الله وعبدوه ووجدوه وتولوا عن المشركين وغير ذلك من صنوف العبادات وصنوف الطاعات .

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٦﴾

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ عن مقابرهم وأجداثهم ومواقع مضاجعهم ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرقة منتشرة ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: 6] أي صورة أعمالهم التي تمثلت وتجسدت بهما كما قال النبي ﷺ: «يحشر الناس على صور أعمالهم» .

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7] مطابقاً لمرضاها وموافقاً لمقتضاها لدى الجمل والجمال ومطاوعته له .

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿٨﴾

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي مقدار شيء في الغاية ﴿شَرًّا﴾ كقبضة المولود الجني عند مخالفته للمولود الإنسي وخروجه عن حيز إطاعته وموضع مطاوعته ﴿يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 8] في الدنيا والآخرة كما قيل: الناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر .





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي فضل المجاهدين وفضل السالكين المرتاضين راكبين على أعيان النفوس المطمئنة يصبح ويصوت صباحًا ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي خلق الإنسان كنودًا وفي سبيل الله وجهاده ساعيًا وكدودًا أو كافرًا وكنودًا ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي هو عالم بالقلوب والصدور وقادر على بعث ما في القبور.

### ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ [العَادِيَاتِ: 1] جمع عادية من العدو وهو السرعة في الحركة والمشى صفة موصوفها محذوف، أي الفرس العادية والخيل التي تسرع في المشى، والضبح هو صوت أنفاس الخيل عند العدو وليس بصهيل ولا جمجمة ولكنه صوت نفس، وهي خيول الغزاة.

### ﴿فَالْمُورِبَاتِ قَدْحًا﴾

﴿فَالْمُورِبَاتِ﴾ أي الخيول التي يظهر من حوافرها إذا عدت وتسارعت على الحجارة، أو على الأرض، أو على الأرض الحجرية كما يظهر من الزند والقده ﴿قَدْحًا﴾ [العَادِيَاتِ: 2] فتحًا وكسرًا، نصبه بالمقدر يقده قدهًا، والجملة حال من فاعل الموريات.

### ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ [العَادِيَاتِ: 3] من الإغارة وهي سرعة السير وإيقاع الشخص

في الغيرة، يعني خيول الغزاة يغير فرسانها وأهلها على العدو وفي وقت الصباح، فالعاديات على ما روي عن علي وابن مسعود وسعيد بن جبير وابن عباس: هي الإبل ساعية من عرفة إلى مزدلفة، ومن المزدلفة إلى المنى، يعني إبل الحاج. ويعضد هذا الرأي ما روي في فضل السورة مرفوعاً: «من قرأها أعطي من الأجر بعدد من يأتي بالمزدلفة». وعلى هذا القول فالموريات مدخلة يعني الحوافر قد ترمى بالحجر من شدة العدو فيضرب به حجراً آخر فيوري النار أو يكون المعنى الذين ركبوا الإبل وهم الحجيج إذا أوقدوا نيرانهم بالمزدلفة، فالمغيرات هي الإغارة سرعة السير وهم مدفعون صيحة يوم النحر مسرعين إلى منى.

﴿فَأْتَرْنَ بِهِ نَفْعًا﴾

﴿فَأْتَرْنَ بِهِ نَفْعًا﴾ [العَادِيَات: 4] أي بهجن تلك الخيول بالعدو وبذلك المكان أو بذلك الوقت غباراً أو صياحاً. قيل: النقع ما بين المزدلفة إلى منى.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ أي بذلك الوقت وبالعدو أو بالنقع أو فوسطن أي دخلن به أي بمكان العدو الذي دل عليه والعاديات. قال بعضهم: فوسطن به أي دخلن به ووسطهم فقال: وسطت القوم أي دخلت وسطهم ﴿جَمْعًا﴾ [العَادِيَات: 5] أي مزدلفة لأنها ليست الجمع لاجتماع الحاج بها.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ﴾ ومولى نعمه ﴿لَكَنُودٌ﴾ [العَادِيَات: 6] أي كفور. يقال: كند النعمة إذا كفرها جواب القسم.

﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾

﴿وَإِنَّهُ﴾ أي الإنسان ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العَادِيَات: 7] أي على كنود نفسه بشهيد يشهد به لأنه يرى النعمة ولا يرى المنعم فقد كفرها إذا ما أسند ما أضاف إليه. وقال بعضهم: استعمال نعم الله إلى المعاصي وصرفها إليها هو الكنود. قيل: هو الذي أسند النعم إلى نفسه لا إلى الله. قال فضيل بن العياض: هو الذي أكد الخصلة الواحدة من الأشياء الخصال الكثيرة من الإحسان والشكر هو الذي

أكد الخصلة الواحدة من الإحسان والخصال الكثيرة من الإساءة. والظاهر أن الكنود هو الذي وقع نظره على مساوئ الشخص ويسمي فضائله وإحسانه.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساوئ

قال النبي ﷺ: «أتدرون ما الكنود؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: الكنود هو الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده. قال: هو قليل الخير»، والأرض الكنود هي التي لا تنبت شيئاً. وبعضهم: الكنود هو الهلوع ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج: 20، 21]، والذي يشكر البر ولا يشكر الكثير أو هو الكنود أو الحسود.

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: 8] حريص جداً قد نهى عن مشاهدة مضاره. قال النبي ﷺ: «حب الشيء يعمي ويصم».

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾﴾

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ الإنسان ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ [العاديات: 9] وبعث ونشر وحشر ما في الأجداث ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾ [العاديات: 9] من المولى يوم القيامة.

﴿وَحِصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾

﴿وَحِصِّلَ﴾ ميز وأظهر وحقق ﴿مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات: 10] من صور الأعمال ودرر الأفعال ونتائجها وثمراتها، فإن ما في الصدور من الأفكار الصحيحة والأنظار الصريحة والأقوال الفصيحة كالأعمال الصالحة والأفعال الطالحة كلها صور متحدة وهيئات متباينة متجسمة وأمثال متقاربة من الحسن والقبح. قال النبي ﷺ: «إنما أعمالكم ترد عليكم»، ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: 284] الآية. ففي المحشر الأولى والعظمى تمثيل جميع الأفعال وتمام الأحوال وعموم الأقوال بصور وأشكال وهيئات وأمثال، إن كانت الأعمال خيراً فالصور حسنة بهية، وإن كانت شراً فالهيئات قبيحة مهيبة مهلكة يحشر الناس بها، وترى ذلك الهيئات عليهم.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة والمحشر العظمى ﴿لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات : 11] عالم بتمام الأعمال والأفعال وصورها وأمثالها ونتائجها وأشكالها ظاهراً وباطناً سرّاً وعلانيةً . عن النبي ﷺ : «من قرأ (والعاديات) أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من يأتي إلى المزدلفة وشهد جمعاً» .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي أظهر القارعة وأصدر الساعة في آخر أنواع الأدوار النورية الجمالية لدى انتقال نوبة التربية والتدبير من النور والجمال إلى الظل والجلال بأمره وحكمه ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي دبر أفعال الناس وقدرها ووزنها بالميزان القويم والقسطاس المستقيم، فإن كانت حسنة ثقلت الموازين بها، وإن كانت سيئة خفت ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي جعل أصحاب الميزان الثقيل في عيشة راضية والخفيف في نار حامية ودار غير حامية .

﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾﴾

﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾﴾ [القارعة: الآيتان 1، 2] أي شيء القارعة، وكيف تكون، ومتى تكون وتقع، ومن يوقعها .

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾ [القارعة: 3] القرع الضرب الشديد والاعتماد العتيد ثم نقلت إلى الحادثة العظيمة من حوادث الدهر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ [الرعد: 31] قارعة هي هنا اسم القيامة العظمى التي تظهر لدى انتقال الدورة النورية إلى دورة هي آخر أنواع الأدوار الفرعية من الدورة الصغرى النورية وذلك أن الله تعالى أظهر الصيحة الأولى التي

تذهب بالعقول ﴿وُنْفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: 68]،  
وفي الثانية يموت الخلائق سوى إسرافيل ثم يميتة الله تعالى ثم يحييه فينفخ الثانية  
فيقومون بأن يحيي الله كل جسد بتلك النفخة الواصلة إليه ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً  
وَاحِدَةً﴾ [يس: 49]، فإنما هي زجرة واحدة.

واعلم أن الأجرام العلوية والسفلية تضطكان اصطكاكاً شديداً عند تخريب  
العالم فلذلك سميت تلك القرعة بيوم القيامة، وقد تطلق القارعة على الفرع يفرع  
للأذان بالشدة والعنف والأهوال وهو الفرع الأكبر وذلك كانفطار السماء  
وانشقاقها وانشقاق ما فيها من الشمس والقمر، وكانثثار الكواكب ودك الجبال  
ونسفها وتسييرها وتسخير البحار وهيجهها.

### ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ﴾ نصبه بالعامل المحذوف أي ذكر أي اتق واحذر زمان  
كون الناس ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: 4] وهي دويبة تدور حول السراج  
وتطرح نفسها عليها وتحترق.

### ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾

﴿وَتَكُونُ﴾ في ذلك اليوم ﴿الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ الصوف الملون ﴿الْمَنْفُوشِ﴾  
[القارعة: 5] المندوف المشتتة الأجزاء ومتفرقة المقدار والجزاء من هول ذلك  
اليوم واقترابه.

### ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: 6] ورجحت المقادير أعماله  
الحسنة المكتوبة في السجلات الموزونة والموضوعة في إحدى كفتي الميزان  
وسجلات السيئات في كفة أخرى فرجحت كفة الحسنات على كفة السيئات،  
وبالسيئات يكون بالعكس، تكون السيئات راجحة على كفة الحسنات لقلّة  
الحسنات وكثرة السيئات وثقلها كمّاً وكيفاً. وأما ما قيل: الموزون هو البدن فغير  
ظاهر إذ البدن واحد لا يمكن أن يجعل في كفتين اللهم إلا أن يوزن مرتين  
إحديهما بالحسنات والأخرى بالسيئات، أو يجعل الله تعالى للشخص الواحد

بدنين أو أكثر كما حكى عن بعض المشايخ أنه في مجالس متعددة وأنه لم يقعد عن نبيه، وأن النبي ﷺ قد عرج في السماء ببذنه، والحال أن بذنه لم يفقد كما روي أنه والله ما فقد جسم محمد ﷺ.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾﴾

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾﴾ [القارعة: الآيتان 7، 8]

من الحسنات والخيرات ومن حسن الطاعات والعبادات، وإنما اعتبر الثقل بالخيرات والحسنات وثواب الطاعات وحسن العبادات والعفة عن المعاصي والسيئات إذ الطاعات والعبادات والخيرات والحسنات إنما تصدر عن النفس إذا نزلت عن كرة طبيعة النار والهواء إلى الأرض واستولت طبقة الأرض وهي الثقل والرزانة والوقار والتمكن والمتانة والتذلل والخشوع والسفل والتواضع والحقارة والتضرع وتكون خالية عن خفة طبيعة النار والهواء واستقلالها وتكبرها.

فحق البشر أن تكون بمقتضى الهواء خفيفاً خالياً عن مقتضى النار الغضبية ومرتضى الهواء الشهوية وعن جبروتيهما وكبرهما وثقلاً تحقق أو تخلق أو تقلد بمقتضى الأرض وهو السفل والانخفاض والقبول والطمأنينة والوقار والخضوع والتذلل والتمكن والقرار، ولذا رأى السالك المبتدئ قيل: استبدال الأخلاق الذميمة واستبدال الأوصاف الرذيلة كالغضب والجور والتعظيم والجبروت والعلم والعظمة والاستعلاء والكفر أنه يعرج إلى السماء ويصعد إلى الهواء كان هذا الحال في حقه مذموماً ودلالاته على أنه متصف بهذه الأوصاف الرديئة والبغيضة والتعظيم والاستعلاء والتغلب فلا بد على المرشد العارف بأطوار القلب ومقتضياته أن يأمره بتبديل هذه الأوصاف الرديئة وتعديل الأخلاق الدنية، وإذ أنه ينزل إلى الأرض يدل على حسن حاله وثباته ووقاره في السلوك والرياضة واطمأن وتمكن في مخالفة هواء النفس والمجاهدة.

﴿فَأَمَّهُ هَكَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾

﴿فَأَمَّهُ﴾ أي مأواه ومصيره ﴿هَكَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: 9] أي في جهنم، والسعير نار حامية تحرق أحشائه وجوفه ليخف عن أثقال الكفر والعبث والجنوح وأعمال المعاصي والذنوب.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: الآيتان 10، 11] فيه إشارة إلى أن محمدًا والأنبياء كلهم كانوا خالية عن العلوم والإدراكات كلها سيما الإدراكات المتعلقة بأحوال الآخرة وأعمال النبوة وأسرار الولاية. قيل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ [الكهف: 110]، ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: 52].

وفائدة النار وإحراقها، ظهور نور القلب وتنوره عن ظلمة الشك والريب، واستخلافه عن دركات عالم الطبيعة وملكات عالم الشهادة إلى عالم الغيب وغيب الغيب، إذ أنه يعود منه إلى عالم الشهادة ثانيًا وثالثًا ورابعًا إلى غير النهاية ليحصل إلى كمال الكلية بين المتخالفات وحقائق المتباينات من اللاهوت والناسوت وعالم الملك والجبروت، والأول والآخر والظاهر والباطن في الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية وجمعية الجمعية. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (القارعة) ثقل الله ميزانه يوم القيامة».



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي ألهى النفس دون شهود التجليات الآثارية عن تدبر أحوال البدن كما يلهي القلب عن التصرف في كمال النفس وحالاتها عند شهود التجليات الجمعية والوفاء بما جرى في المعاهد الأزلية الأصلية والفرعية الحقيقية والشرعية ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي ميز مرتبة علم اليقين عن رتبة عين اليقين ورتبة عين اليقين عن رتبة حق اليقين ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي حقق العارف بجمعية التجليات ومعية الحالات لجميع المقامات وعموم كمالات الذات والأسماء والصفات .

### ﴿أَلْهَنُكُمْ التَّكَاثُرُ﴾

﴿أَلْهَنُكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثُرُ: 1] أي شغلكم كثرة الأموال والأولاد والعلوم والإدراكات والأحوال والحالات والمقامات وغير ذلك من الاعتبارات من ألهي يلهي إلهاءً وهو الشغل فقال: ألهاني فلان عن كذا إذ شغلني وصرفني .  
والتكاثر والتفاخر في شغل القلب واحد لقوله تعالى: ﴿وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: 20]، والتفاخر إنما يكون بإثبات نوع من أنواع السعادات لنفسه .

وأجناس السعادات ثلاثة:

أحدها: في النفس .

والثانية: في البدن .

**والثالثة:** دائرة على البدن والنفس . أما النفسانية فهي العلوم والإدراكات والتقرب إلى الله ، والحالات والمقامات والأخلاق المرضية والأوصاف الأكيدة الرضية ، وإليهما الإشارة حكاية عن إبراهيم : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [الشعراء : 83] وهما التقاء الأيدي والسعادة السرمدية . وأما التي في البدن فهي الصحة والجمال والقدرة والقوة . وأما الثالثة التي تكون دائرة على النفس والبدن من خارج فقسمان ، أحدهما : ضروري وهو المال والجاه ، والآخر غير ضروري وهو الأقرباء والأصدقاء ، فالحري بالعاقل أن يقدم الأهم فالأهم فيكون إلهامه أتم والانصراف إليه أولى وأقدم ، والاشتغال به أعم وأثـره وتأثيره أعم وأكرم وأدوم ، نزلت في بني عبد شمس وبني عوف وبني عبد مناف حيث تفاخروا لكثرة أموالهم وقوة الجاه وكثرة الأتباع وقوة الأقرباء والأشيعاء ، يعني شغلتمكم المباهاة والمفاخرة بكثرة المال والجاه والعرض وطلاقة اللسان وسلاسة الفاه وحسن ما صدر من الفاه والرياسة عن طاعة الله وعبادته .

### ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾

﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ [التكاثر : 2] أي مقابر البدن ، فمن هلك بهذا الجهل فهو ميت وبدنه قبر لنفسه . قال علي كرم الله وجهه [نظم] :

والجهل قبل الموت موتٌ لأهله      فأجسادُهُم قبل القُبُورِ قُبُورُ  
وإن امرؤٌ لم يحيَ بالعلمِ ميّتٌ      وليس لهم حتى النُشُورِ نُشُورُ  
والبدن قبر للنفس حي لا يموت لأنها باقية ببقائه : «مت بالإرادة تحيا بالطبيعة» . إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور إلى أن متم ورفعتم إلى المقابر ودفنتم فيها وزرتم إياها .

### ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [التكاثر : 3] ردع وتنبيه على أن الغافل المسترشد ينبغي أن لا يغفل وأن لا يتلهى بسبب حطام الدنيا ولذاتها والميل إليها وشهواتها عن مبدئه ومعاده وأن لا يشتغل بما لا بقاء له ، فإن أوله غناء وآخره فناء وثمراتها وبال ونكال وغصة وغوال ، وأن لا يغفل أن الدنيا وما فيها لا عاقبة لها ، وأنها بلاء في بلاء وعناء في عناء في آخر الدورة النورية .

## ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾﴾

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾﴾ [التكاثر: الآيتان 4، 5] في آخر الدورة الظلية الإفرادية ثم بعد نشأة الدورة الأولى والكورة الأخرى، فلو تعلمون دنيا الدورة الأولى النورية وآخرتها بطريق علم اليقين بالنظر والاستدلال فلم يبق فيكم ريب ولا شك ولا ارتياب في الطور العالي والطور النفسي والطور القلبي بتبدل علم اليقين بعين اليقين كما تبدل وانتقل من الفطرة الأولى من العلم إلى العين لانطباق النشأتين وما بينهما، وتحصل له دورة وحركة ونوع سر وطور في الأدوار وشاهد في كل دورة دنياتها وما فيها من الأفلاك والعقول والنفوس والأملاك والعناصر والمركبات إلى غاية التنزلات ونهاية التعينات، وأجزائها ومدتها من الجذبات وطور التجليات حسب اقتضاء الاستعدادات القابليات والصراط والميزان وهما صورة خلق العدالة وهيئة لغة الوحدة المزاجية التي كانت مدار صحة البدن وحسن شجرة الأخلاق وثمراتها وأنوارها وجناتها وأنهارها والدركات وهي صورة نقائص وحدات العدالة ونقائص بينات الأخلاق الحميدة، فلا تستغرب، ولم تجعل هذه الأمور مستحيلة، فإن الأدوار والأكوار وما فيهما وأفرادًا من الأعيان والأكوان وما لها من الأطوار والأعمال ثابت في علم الله ودفائن قضائه وكنوز حكمه، فمن بعلمه ووجوده في علم الله ووجوده فحينئذ علم بعلمه وبقي ببقائه ويتحرك ويدور في الأدوار والأكوار بقدرته وقوته وينصر بنصره ويسمع بسمعه ويعطي ويأخذ ببعثاته وأخذه، ويتصرف بتصرفاته كما قال: «لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يمشي، وبي يبسطش، وبي ينطق». وإذا استكمل مرتبة عين اليقين وإذا استكمل فيهما يرقى بمرتبة حق اليقين فحينئذ ينصرف في الكون جسمًا وشيئًا فتكون الأدوار والأكوار بما فيها ثابتة عنده، حاضرة دونة ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: 3].

## ﴿لَتَرُونَ الْجِيمَ ﴿٦﴾﴾

﴿لَتَرُونَ الْجِيمَ ﴿٦﴾﴾ [التكاثر: 6] في مرتبة علم اليقين.

﴿ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾

﴿ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ [التكاثر: 7] فالأول في الطور القلبي وهو نهاية استكمال القوة النظرية وتركيبها، والثاني في الطور السري وهي نهاية استكمال القوة العملية وتعيينها وهي الشهود وفتحة الكشف والمشاهدة والعيان في طور دور الوجود، ويسمى بالفؤاد وهو أحد وجهي القلب الذي يلي الروح والوجه الآخر الذي يلي النفس يسمى بالصدر.

﴿ثُمَّ لَتُسْئَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾

﴿ثُمَّ لَتُسْئَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: 8] في نهاية الروحي والخفي بذاته الأدوار والأكوار نحن الآخرون السابقون. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (ألهاكم) لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية».

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي فضّل صلاة العصر لكونها واسطة بين صلوات النهار والليل على سائر الصلوات وأمر بمحافظتها والمواظبة عليها بقوله: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: 238]، ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي عيّن خلق الإنسان بعد عصر يوم الجمعة ولم يخلق أحداً خلقاً آخر لا من المجردات ولا من الماديات ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي وفق الإنسان بكمال الأحيان ليختبر به ذلك الخسران.

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ [العصر: 1، 2] نظر إلى حقيقته التي هي نهاية التنزلات وغاية التعينات وأن كلاً منهما بطبعه يخالف الآخر في الاقتضاء، فإذا اتبع الإنسان كلاً منها وقع في الخسران لأن تقتضي حقيقته ليس ذلك إذ مقتضى ذاته وحقيقته الجامعة إنما هو مقتضى جمعية الكل، ولا يتأتى ذلك إلا لفرد كامل وشخص فاضلٍ اتصف بالإيمان والعمل الصالح.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: 3] بتوفيق الله وحسن هدايته وكمال قوته ووفور علمه وحكمته، فحقيقة الإيمان إنما تقع في بداية الأدوار، يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، والأعمال لما يتفرع ويخترع بعد الإيمان في نشأت الشؤون

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِيٌّ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: 178، 179] عن حقيقتهم الكلية وماهيتهم الجمعية الأصلية والفرعية، فإذا خسروا خساراً مبيناً ووجدوا في نشأتهم نقصاناً متيناً.

واعلم أن لحقيقة الإنسان واستكمال ماهية الجمعية مراتب الجبروت والملكوت والبرزخ والملك والناسوت، وأن لكل منها فلکاً عقلياً ونفسياً وروحياً وبرزخياً وجسمانياً يتحرك كل فلک منها حركة مناسبة تعادلها مقداراً وامتداداً، فامتداد حركة فلک العقل وهو الانتقال في المعقولات الصرفة والمجردات المطلقة تسمى بالوقت الذي يقع فيه التكوين الإبداعي «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل».

ومقدار حركة فلک الروح والحياة يسمى بالدهر، ومقدار حركة فلک النفس في البرزخ هو العصر، ومقدار امتداد حركة فلک عالم الملك والشهادة وهو عالم الأجسام يسمى بالزمان وهو مكيال الحوادث الزمانية تقدر هي بها، ولكل من هذه الامتدادات مدة معينة وبرهة بينة، فمقدار دورة فلک العقل ثلاثمائة وستون ألف سنة، ومدة دورة فلک العقل في مرتبة الواحدية عبارة عن ثلاثمائة وستون يوماً، ومقدار اليوم ثلاثمائة وستون ألف سنة من أيام ما دونها من الدورة والمرتبة، فإن مقدار يوم عالم الملكوت خمسون ألف سنة ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 4].

وكذا مقدار دورة فلک الروح والحياة أيضاً ثلاثمائة وستون سنة، ومقدار السنة ثلاثمائة وستون يوماً، ومقدار يوم هذه الدورة ألف سنة من سنين مرتبة ما دونهما وهو البرزخ ﴿وَأَيُّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ [الحج: 47]، وهكذا مدة دورة فلک النفس ومرتبها البرزخ ثلاثمائة وستمئة يوماً كمدة دورة عالم الملك، إلا أن الفرق في مقدار اليوم، فمقدار يوم الملك أربعة وعشرون ساعة، ومقدار يوم البرزخ مائة سنة ﴿قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالَ لَبِئْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِئْتُمْ مَائَةً عَاكِ﴾ [البقرة: 259].

﴿وَتَوَاصَوْا﴾ [العصر: 3] أي وتحابوا دبر اعتوار أوصى بعضهم بعضاً وأرغب

وَحَثَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿بِالْحَقِّ﴾ أَي بِالْإِيمَانِ بِالْحَقِّ أَي الثَّابِتِ وَبِالثَّبَاتِ عَلَيْهِ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: 3] عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَتَقَاصِرَ مَا تَقَرَّرْنَا وَحَقَّقْنَا .

قرأ علي كرم الله وجهه : والعصر، ونوائب الدهر، إن الإنسان لفي خسر، وإنه فيه إلى آخر الدهر، قال بعضهم: الذين آمنوا هو أبو بكر، وعملوا الصالحات هو عمر، وتواصوا بالحق هو عثمان، وتواصوا بالصبر علي رضي الله عنهم .

قال جعفر الصادق: أقسم بفضله بأن الإنسان التارك للصلاة في الخسران والشقاوة والمؤمن هو الآمن أمن بالوفاء وعمل بالرضاء واستقام على الحق بنور التقوى وصبر في المكاره ولا ينظر إلى الدنيا. ثم قال: كمال الأحوال ينطق بالزوال إلا من يخصصه الله تعالى ويصون به أربع خصال: النظر إلى المنعم بعين الإفضال، وإلى النفس بعين الإذلال، وإلى الدنيا بعين الإقلال، وإلى الخلق بعين الاحتمال، فحينئذ يصير مستقيماً على الحق، صابراً في محتته، صائراً إلى كمال جمعية مودته بالتحقق بها» .

### تَمَّتِ السُّورَةُ





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل ويل الحسرة والندامة فذلكة ومقدمة لتقاصي ثمرة شجرة الهمزة فاكهة الدوحة اللمزة ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي جعل الأموال والنعم والتوجه إلى تحصيلها من غير التفات إلى منعمه ذريعة لعذاب دار الخلد ووسيلة لعقاب نار الأبد ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي أوقد نار الله وهي نار الحسرة والندامة على أفئدتهم تخلصاً لها من صور الأعيان إلى مشاهدة لقاء الرحمان وضيء الديان وسناء ملح المنان .

## ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾

﴿وَيْلٌ﴾ لفظ الدم والسخط وهو كلمة كل مكروب أصله (وي) أوصلت إليه اللام لكثرة استعماله وهو جبل في جهنم، وتنكيره للتعظيم إشعاراً بأنه لا يعلمه إلا الله ولا يدرك كنهه إلا الله . وأما تعريفه في قوله: ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ﴾ [الأنبياء: 18]، قد تقدم ذكره . وقوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [القلم: 29] نزلت في الأخنس ابن شريف أو في وليد بن مغيرة أو في أمية بن خلف كانوا يغتابون النبي ﷺ ويطعنون مواجته بكون اللفظ في الظاهر عامًّا، والمراد يكون شخصًا معينًا ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: 1] الهمزة بالكسر كالهمز، واللمز الطعن، همزه ولمزه أي طعنه . قال ابن عباس: هم المشاؤون بالنميمة والمفرقون بين الأحبة . قال بعضهم: الهمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتابهم، واللمزة الطعان في

أنساب الناس، أو الذي يغتاب ويظعن على وجه الوجد إذا قيل: واللمز الذي يغتابه من خلفه إذا أدبر وغاب. قال بعضهم: الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، واللمز يلزمهم بلسانه ويغتابهم، أو الذي يلزم بلسانه ويلزم بعينه، أو الهمزة هو الذي يؤدي جليسه بسوء اللفظ، واللمزة الذي يكسر عنقه على جليسه ويشير برأسه ويومئ بعينه ويرمز بحاجبه.

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ (٢)

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا﴾ بدل من (كل) أو منصوب بالذم أو مرفوع، أي جعل نصب عينيه مقصودًا بالذات ولا يلتفت إلى من خلقه ورباه ﴿وَعَدَّدَهُ﴾ [الهمزة: 2] وتوجه بتعداده وإحصائه، واشتغل قلبه، ويردده الشيطان ويوسوس له ويلقي في قلبه مرة بعد أخرى، فيستغرق أوقاته إلى تعداده مرة بعد أخرى، وشغله عن ذكر الله وطاعته، وأغفل قلبه عن ملاحظة معاني الذكر والقرآن في الصلاة وغيرها.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ (٣)

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة: 3] قال الباقر: الويل لمن أدبر عن الله وأقبل على الدنيا ووافق الشيطان بالهمزة والهوى باللمزة، وكذا من يحسب أن ماله خلده ويدوم عليه، فإن حب الدنيا ومالها يغفل القلب عن ذكر المولى ويطول أمله حتى كأنه لا يعتقد الموت ولا يذكره وينساه ويجعله شيئًا منسيًا.

﴿كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّا فِي الْحُطْمَةِ﴾ (٤)

﴿كَلَّا﴾ ردع له عن حسناته ﴿لَيُبَدِّلَنَّا فِي الْحُطْمَةِ﴾ [الهمزة: 4] أي ليطرحن ويوقعن في النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يرد فيها وتهلكه.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ﴾ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ (٦)

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ﴾ [الهمزة: 5] تفسير وبيان لها أن الحطمة هي ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ [الهمزة: 6] أي أوقدها وما أوقده الله من نار لا يقدر أحد على أن يعطلها ويخمدتها ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ﴾ [الهمزة: 7] ويبلغ ويصل ألمها ووجعها وحدة إحراقها، وتسري شدة إحراقها إلى القلب والروح، ويتألم ويحترق، ولا يطلع ولا يقف على حاله أحد وهو في عذاب لا يدركه ولا يطلع عليه إلا الله، ويقال

لها : نار الله وعذاب الله .

### ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾﴾

﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة: 7] جمع الفؤاد وهو الوجه العلي الذي يلي الروح والعقل وهو موطن التجلي الآثاري ومنتهى الإدراكات النظرية وغاية الكمالات للقوة العملية، أو هي علم اليقين وبداية مرتبة عين اليقين، وهي شمس قلادة الأطوار السبعة القلبية بمنزلة فلك الشمس في الأفلاك السبعة.

### ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾﴾

﴿إِنَّهَا﴾ أي النار الموقدة ﴿عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ [الهمزة: 8] أي منطبعة على أفئدتهم وقلوبهم وأرواحهم بحيث لا يخلو جزء منها من تلك النار، إشعار بانقسام الأرواح وكونها مجسمة كما ذهب المليونون من الأنبياء والأولياء المحققين والعلماء الريانيين والحكماء المتألهين الذين اقتدوا بهم، فإن فيثاغورس قدس سره وأتباعه قد ذهبوا إلى أن ما سوى الله مركب من وحدات لزمّت من اعتبار إدراك نسبة الوحدة الذاتية من ذاتها إلى ذاتها بإنماء لا يعد ولا يحصى، ومن هذا ذهب المسلمون إلى أن ما سوى الله تعالى مركب من الجواهر الفردة والأجزاء لا تنقسم ولا تتجزأ، مجردة كانت أو مادية، ملكًا أو أرواحًا أو نفوسًا أو فلكًا أو عنصرًا أو مركبًا منهما .

### ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾

﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: 9] معلقة أو موشوقة في أعمدة ممدودة مثل المقاطير التي يقطر ويقيد فيها اللصوص ويدخل فيها أرجل اللصوص، يعني أدخلهم في عمد ممددة عليهم بعماد وفي أعناقهم السلاسل وسدت عليهم بها الأبواب .

قال النبي ﷺ: «المؤمن كَيْسٌ فَطِنٌ حَذِرٌ وفاق مثبث لا يعجل عالم ورع، والمنافق هَمْرَةٌ لُمْرَةٌ حُطْمَةٌ كحاطب الليل لا يأمن من أين اُكْتَسَبَ وفيما أنفق» .

وقال ﷺ: «من قرأ سورة (الهمزة) أعطاه الله عشر حسناتٍ بعدد من استهزأ

بمحمد وأصحابه» .



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل أصحاب الفيل عبرة لأرباب الطير وأصحاب الفأل وأهل القيل وقال ﴿الرَّحْمٰنِ﴾ الذي صير قصتهم تبصرة لأولي النهى، والبصيرة لذي المقامات وأولي الحال ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي جعل حكاية طير الأبايل، وتذكرة لمن كان له قلب ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37] وشاهد ودليل.

## ﴿الْفِيلُ تَرَكَّ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾

﴿الْفِيلُ تَرَكَّ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: 1] خاطب رسول الله ﷺ وإن لم يشاهد واقعة الفيل بناء على أنها كانت قريبة العهد، فيشاهد آثارها وبالتواتر أخبارها، فكأنه رآها. وإنما قال: (كيف) ولم يقل: (ما)، لأن المراد به تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال الله ووفور قوته وظهور قدرته وشرف رتبة نبوته لما روي أنها قد وقعت في السنة التي وُلِدَ فيها الرسول ﷺ، وقصتها أن إبراهيم بن الصياح الأسدَم قد ملك اليمن من قبل أصحاب النجاشي بنى كنيسة بصنوان وسماها القديس، وأراد أن يصرف وجوه الحجاج، فخرج رجل من كنانة فقعدها ليلاً لقضاء حاجته، فأغضبه ذلك فحلف بخراب بيت الله الحرام.

وقيل: إذ أحجب رفقة من العرب ناراً ليتقرب إلى الكنيسة فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدم الكنعة، فخرج بجيشه ومعه فيل له اسمه محمود، وكان قوياً عظيماً واثنًا عشر فيلاً غيره، قيل: كان معه ألف فيل، فلما بلغ قريباً من

مكة خرج إليه عبد المطلب جد رسول الله ﷺ وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ جيشه وقدّم الفيل، فكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح مكانه، وإذا وجهوه إلى اليمن وإلى جهات أخرى هروا. ثم إن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج إليهم وكان رجلاً عظيماً مهيباً جسيماً وسيماً قال: هذا سيد قريش صاحب مكة، فلما ذكر صاحبه قال: لأهدمنّ البيت الذي هو دينك ودين أبيك. فلما بالغ في التوجه إلى البيت أرسل الله عليهم طيوراً سوداً وخيلاً خضراء، وقيل: بيضاء، مع كل طائر ثلاثة أحجار، حجر في منقاره، وحجران في رجله أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة، وكان الحجر بإذن الله وأمره يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره فيقطع أحشاؤه ويحرقه ويهلكه، وقد كتب على الحجر اسم من يقع عليه، وفرت جموع الجيش وفرقت وهلكوا في كل طريق ومنهل.

روي أن أبرهة قد تساقطت أنامله وما مات حتى انصدع صدره وخرج قلبه وانفلت وزيره يكسوم وفوقه طائر حتى بلغ النجاشي وقص عليه القصة، فلما أتمها وقع عليه الحجر فخرّ ميتاً بين يديه. عن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان.

﴿الْمَ بِجَعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾﴾

﴿الْمَ بِجَعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾﴾ [الفيل: 2] أي جعلتهم في قصد تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وإبطال. يقال: ضلّك كيدك إذا جعله ضالاً ضائعاً باطلاً.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾ [الفيل: 3] واحدها أبالة.

﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾

﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾﴾ [الفيل: 4] كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجيناً علم للديوان أعمالنا كأنه قيل: الحجارة من جملة العذاب المكتوب من المدون أو معرب من (سك وكل) أي طين متحجر.

## ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾

﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ أي جعل الله وصير الكفار القاصدين لتخريب الكعبة ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: 5] العصف ورق الحنطة وقع فيه الأكال وهو أن يأكله الدود أو أكل حبه فبقي صفر نتن. عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الفيل) أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسح».





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي ألف قريش القوى النفسانية بالمبادئ الروحانية والمبادئ الربانية ليتراجعوا إلى الأحدية الجمعية وإلى مكة الواحدية ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أطعمهم من جوع الأطمعة الروحانية ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي أمن القوى الروحانية والمبادئ النفسانية من متابعة القوى الجسمانية لغلبة عساكر العناية الإلهية وجنود الهداية الربانية.

## ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [قُرَيْش: 1] متعلق بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ [قُرَيْش: 3] والفاء لما في الكلام من معنى الشرط إذ المعنى أن قسم الله عليهم لا يحصى، فإن لم يعبدوه لأجل أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم. وقيل: اعجبوا لإيلاف قريش. وقيل: متعلق بما قبله أي فجعلهم ﴿كَمَصْفٍ مَّاكُولٍ﴾ [الفيل: 5]، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وهذا بمنزلة المتضمن في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بما قبله تعلقاً لا يصح الآية وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل.

## ﴿إِلَهُهُمْ﴾

﴿إِلَهُهُمْ﴾ بدل من إيلاف قريش ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ [قُرَيْش: 2] مفعول إيلاف، والمعنى إن أهلك الحبشة الذين أجراه بينهم حتى ينتظم الأمن في

رحلتهم فلا يجزي واحدة. قد كانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيمتارون ويتجرون، وكانوا في رحلتهم أمنين لأنهم أهل حرم الله وولاية بيته فلا يتعرض لهم الناس ولا غيرهم، يحفظونهم ويغارون عليهم، والإيلاف من قولك: ألفت المكان إذا ألفتها فأنا مؤلف.

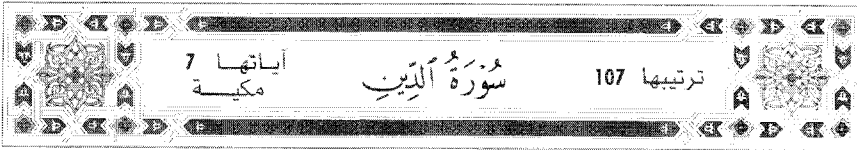
﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ

مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾

[قُريش: 3، 4] في الرحلتين لعدم تعرض الناس لهم بالسيف وإكرامهم وتعظيمهم لهم. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة (قريش) أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها».

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## [مختلف فيها، سبع آيات]

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي أجرى من كذب بالدين في يوم الدين بأشد العذاب وأحد العقاب لأنه تكذيب بالدين ويوم الدين وبصاحب يوم الدين وبكل ما جاء به من الكتاب لأصحاب اليقين ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذي أجرى جزاء الأعمال بالخير خيراً أو بالشر شراً ﴿الرَّحِيمُ﴾ الذي فرض الصلاة على المؤمنين من النعيم وأنذر المتناهين بالويل والجحيم.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾﴾

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ ﴿١﴾﴾ [الماعون: 1] استفهام منشؤه التعجب.

﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾

﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾﴾ [الماعون: 2] ويدفعه دفعاً عنيفاً ويمنعه منعاً حفيفاً عن أكل ماله ونهيه.

﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾﴾

﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾﴾ [الماعون: 3] فلا يبعث ولا يحث أهله على بذل الطعام على المسكين، جعل علامة التكذيب بالجزاء منع المعروف

وإنكاره والإقدام على إيذاء الضعيف، يعني أنه لو آمن بالجزاء وأبين بالوعد والوعيد لحسنى الله وعقابه لم يقدم على ذلك لحين ما أقدم علم أنه مكذب، فما أشده من كلام وما أخوفه من مقام وما أبلغه في التحذير من المعصية وكل حرام، فويل إذا كان الأمر كذلك.

### ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾

﴿فَوَيْلٌ﴾ ثابت وواجب ﴿لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: 4].

### ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾

﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ﴾ عن حقيقة ﴿صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: 5] وعن أداء شرائطها وقضاء أركانها لاهون.

### ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [الماعون: 6] يعني المنافقين يظهرن الصلاة علانية ويتركونها في الخلوة فصلاتهم في الحقيقة رياء لا إخلاص ولا صفاء فيها لا في أدائها ولا في قضائها.

### ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: 7] هو الأمر الذي أباحه الله تعالى بين الخلق كالماء والنار وأثاث البيت وحوائجه كالمنخل والفأس والمصفاة واللداس والماء والنار وغير ذلك مما يعم حاجات الناس إليه. قالت عائشة رضي الله عنها: هذا الماء فما بال النار والملح؟ «فقال: حمراء من أعطى نارًا فكأنما تصدق بجميع ما طبخ بتلك النار، ومن أعطى ملحًا فكأنما تصدق بجميع ما طبخ بذلك الملح، ومن سقى شربة من الماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أعتق ستين نسمة، ومن سقى شربة ماء حيث لا يوجد ماء فكأنما أحيا نفسًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا». قال البعض: الماعون في الجاهلية كل منفعة وعارية فهو في الإسلام الطاعة والزكاة. قيل: من الطاعة والانقياد والزكاة.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي خصص حوض كوثر المعادن الفطرية بالعارفين الموحدين والواصلين المحققين ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أوجب على المؤمنين الصادقين والمحبين الواثقين صلاة التقرب ليستعد للورود على كوثر الشهود ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي فرض وأرغب على متولي الأقوال العلمية والأحوال والإدراكات الحكيمة الحج إلى بيت الله الحرام، وهو الكمال الجمعي والجمع الكمالي الذي هو مشروط بتجريد النفس بالقرب إلى سدة حضائر القدس .

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: 1] أي الخير المفرط الكثير من العلم والعمل الذين بهما شوق الدارين وكرامة النشاطين وأهلهما .

روي أن النبي ﷺ قال: «إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج، وألين من الزبد، حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة بعدد نجوم السماء» .

وروي أنه لا يظمأ من يشرب منه أبداً، أول وارديه فقراء المهاجرين الدنس الثياب، الشعث الرؤوس، الذين لا يرجون التنعمات ولا يفتح لهم أبواب السدد، يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره، لو أقسم على الله لأبره . فسره ابن عباس بالخير الكثير فقال له ابن جبير: فإن ناساً يقولون في فعل هذا الخير الكثير يخرج من أصل السدرة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب . قال النبي ﷺ:

«إن لحوضي أربعة أركان، فأول ركن منها: في يد أبي بكر رضي الله عنه، والثاني في يد عمر رضي الله عنه، والثالث في يد عثمان رضي الله عنه، والرابع في يد علي رضي الله عنه، فمن أحب أبي بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر، ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر، ومن أحب عثمان وأبغض علياً لم يسقه عثمان، ومن أحب علياً وأبغض عثمان لم يسقه علي، ومن أحسن القول في أبي بكر فقد أقام الدين، ومن أحسن القول في عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحسن القول في عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحسن القول في علي فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول في أصحابي فهو مؤمن، ومن أساء القول فهو منافق».

### ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ [الكوثر: 2] أي أقدم على الصلاة، أو مَنْ يُصَلِّ، أي صلِّ وواظب على الصلوات المكتوبة وداوم عليها خالصاً لوجه الله، لاهباً عليها، لاهياً دونها، مرئياً بها، شكراً لإنعامه لا كفرًا لإنعامه، فإن الصلاة جامعة لأنواع الشكر وأقسامها، فالمراد إما مطلق الصلاة أو الموقنة. قال بعضهم: صلاة عيد الأضحى بقريظة الجزاء أي صلِّ صلاة العيد يوم النحر. كان النبي ﷺ ينحر قبل أن يصلِّ، قال بعضهم: نزلت هذه يوم الحديبية حين حضر النبي ﷺ وأصحابه وصدوا عن البيت، فأمر الله تعالى أن يصلي وينحر البدن وينصرف، ففعل ذلك، قال علي رضي الله عنه: فصلِّ لربك، فوضع يده اليمنى على ساعده اليسرى ثم وضعها على صدره.

قال جعفر الصادق رضي الله عنه: الكوثر نور في قلبك يدللك على الله ويقطعك عما سواه. وعنه أيضاً: هو الشفاعة. وقيل: هو الصلوات الخمس والتفقه في الدين.

عن علي كرم الله وجهه: لما نزلت الآية ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: الآيتان 1، 2] قال النبي ﷺ: «ما هذه النحور التي أمرني بها ربي؟» قال: ليست بنحرة ولكنه يأمرك أن تحرمن للصلاة وأن ترفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع وإذا سجدت، فإنه صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السماوات السبع، وأن لكل شيء زينة، وزينة القرآن الصلاة ورفع اليدين عند كل تكبيرة. قال رسول الله ﷺ: «رفع الأيدي في الصلاة من

الاستكانة». يقرأ هذه الآية: ﴿فَمَا اسْتَكَاؤُا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: 76]، قال: هو الخضوع. يدل عليه ما أخبرنا عبد الله عن علي كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ: إذا قام إلى الصلاة المكتوبة كبر ورفع يديه حذو منكبيه ويصنع مثل ذلك إذا قضى قراءته، وإن أراد أن يركع ويصنعه إذا رفع عن الركوع ولا يرفع يديه في صلاته.

### ﴿إِن شَأْنِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾

﴿وَأُنْحَرُ﴾ **﴿إِن شَأْنِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾** [الكوثر: 2، 3] أي الذي لا عاقبة ولا عقب له، يعني إن عدوك ومن أبغضك هو الأقل والمنقوص الأعلى المنقطع الدابر ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الأنعام: 45] والحمد لله رب العالمين، نزلت في العاصر بن وائل في عقبه بن أبي معيط، عن ابن عباس: نزلت في كعب بن الأشرف أو جماعة قريش وذلك أنه لما قدم كعب مكة قالت له قريش: نحن أهل السقاء والسدانة وأنت سيد أهل المدينة فنحن خير أم هذا الصنوبر المنبتر من قومه؟ فقال: بل أنتم خير منه. فنزلت في كعب: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: 23]. قالوا للنبي ﷺ: هو الأبتَر، يعني المنقطع. قال جعفر الصادق رضي الله عنه: الكوثر خير كبير وهو على خمسة: الصلاة على الدوام، ونصر أمته على الأعداء إلى يوم القيامة، وحجة المحتجين على الملحدين إلى يوم القيامة، ودوام الجماعات وزيارة القبور بالدوام، مع أن عمل أمته يعرض عليه في كل سبعة أيام مرتين.

وقال: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكُوثَرَ﴾ [الكوثر: 1] أي نوراً في شرك يشهد الخلق بحقيقته ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأُنْحَرُ﴾ [الكوثر: 2] أي اتصل إليه وانقطع عما سواه في الكون «عدوك نفسك هو الأبتَر محجوب لا أنت يا حبيبي»، والكوثر نهران: نهر الشوق ونهر اللقاء، فهو الشوق أحرقه عما سواه حتى صار مستحقاً للقاء.

وقال الباقر: الكوثر نهران أحدهما على باب الجنة والثاني في رياض الجنة، فأما الذي على باب الجنة في يد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم يسقون الرجال، والذي في رياض الجنة في يد خديجة وعائشة وفاطمة الزهراء وحفصة وهن يسقون النساء المؤمنات. والعيون ستة عشر، أربعة منها خاصة للمتقين وهو قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن

لَبَنٍ لَّمْ يَنْغَيِّرْ طَعْمَهُ وَأَنْهَرُ مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّرْبِينَ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴿[مَحَمَّد: 15].

وفي قلب المتقين قبل أن يصلوا إلى هذه الأنهار الأربعة أربعة أنهار أخرى: نهر الخوف، ونهر الرجاء، ونهر المحبة، ونهر المعرفة، وهذه الأربعة أرفع من تلك الأربعة ومنها ثلاث أعين خاصة للأبرار وهي الكافور والسلسبيل والزنجبيل، وفي قلوبهم ثلاثة أنهار أرفع منها وهي: الأمانة والشوق والوصلة، واثنان على باب الجنة: عين الحياة وعين المودة.

وفي قلوب المؤمنين عينان أرفع منها وهي: العقل واليقين، واثنان خاصة للمهاجرين قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْحُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكَ﴾ [المطففين: 25 - 26]، والثاني قوله تعالى: ﴿وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: 27، 28].

وفي قلوب المهاجرين عينان: عين التوحيد وعين التفويض، وعين خاصة للسائقين وهي قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَصَّاءَ لَذَّةٍ لِلشَّرْبِينَ﴾ [الصفات: 46].

وفي قلوبهم عين أفضل منها وهي عين الاختبار والافتخار، ومنها عين خاصة لمحمد ﷺ وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ [الكوثر: 1]، وفي قلبه عين أرفع منها وهي عين الرؤية وعين منها خاصة للمحبين وهي شراب الطهور ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: 21].

وفي قلوبهم عين أفضل منها وهي الطهارة عن العيوب، وعين منها للمنافقين وهي الصديد، قوله: ﴿وَسُقَى مِنْ مَاءٍ صَكِيدٍ﴾ [إبراهيم: 16]، وفي قلوبهم عين أشرف منها وهي عين الإياسة والغدر ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر: 2].

فصل قلبك بنور الوصال واخرج عن دار البوار التي تغير أهلها بالشهوات، وانحر أهوال سيف ذي الفقار مجلوة من آثار الملك الجبار. والنحر ثلاثة: نحر القلب بمحبته، ونحر اللسان بتوحيده، ونحر النفس بموافقة بره والوصول إلى التوحيد مبروك، والبر موصوف، والرب لا يحتمل الصفة والمعنى، وهو خارج عن طبع البشرية ونور محيط بالأفئدة.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي جعل الكافرين من مقتضيات الظل والجلال، والمؤمنين من مقتضيات النور والجمال ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي وفق المؤمنين لأن يؤمنوا بالله الواحد القهار وتبرأوا من مخالفة الله الجبار ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي اصطفى من الأديان دين الإسلام وليس دين الكفار الباطل وجعله مردوداً بين أخص الآثام مر الشهور والأعوام مستمراً إلى يوم القيامة.

﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرُونٍ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرُونٍ ﴿١﴾﴾ [الكافرون: 1] الذين قد علم الله تمرسهم في الكفر. روي أن رهطاً من قريش قالوا: يا محمد اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فنزلت: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرُونٍ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾﴾ [الكافرون: الآيتان 1، 2] من الأوثان والأصنام أصلاً لا في سنة ولا في غيرها.

﴿وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ﴾ [الكافرون: 3] وهو خالق الأرض والسموات وما فيها من الملائكة المدبرة، وهو خارج عنهما من الأشباح والمثل النورية وجواهر الأرواح والنفوس والعقول والملا الأعلى والملائكة المقربين والجن والشياطين والأغوال والأهرمينات الصغرى والكبرى ليلاً ونهاراً، علانية وخفية وجهاراً، لم أغفل زماناً بل أنا في الأدوار النورية الجمالية والأكوار الظلية الجلالية.

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: 3] أي ليس لكم أن تعبدوا في الدورة النورية الجمالية الصريحة ما أعبد فيها من خالق الكل لأنها تخالف الإرادة الإلهية التي دبرها الله تعالى في الكورة الظلية الجلالية الضمنية التي يباين مرتضاها مقتضى الدورة النورية الجمالية.

﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾

﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ [الكافرون: 4] في الكورة الظلية الجلالية الصريحة لدى انتقال نوبة التدبير وتربية من الجمال والنور إلى الجلال والغمور لما تقرر من أن لكل واحد من الظل والنور له اقتضاء خاص من الأعيان والكفر والخير والشر والنفع والضر حال الأفراد، وأما أعيانهما وهي الأملاك والشياطين فهما كالجمال والجلال والنور والظل توأمان وما يقتضيان وهو الطاعة والعصيان والكفر والإيمان متلازمان لا يخلو أحدهما عن الآخر إلا أن يحكم عليه اقتضاء سلطان الجلال والجمال يظهر أحدهما ويستبطن الآخر، فحيث استبطن إيمانهم وتعلوه إرادة الله بإخفائه وإظهاره أو بالعكس، لا يمكن إظهاره، فحينئذ لا يظهر لمحمد إظهار الكفر وللكافر إظهار الإيمان، فالتكرار إشارة إلى هذا الإسرار والإخفاء والإظهار، وأما حالة الجمعية والإحاطة الجمعية والمعية فالجلال وما يقتضيه فتابع للجمال وما يرتضيه، فانقلب الكفر إيماناً عند جمعية الأدوار النورية والإيمان كفر لدى انقطاع الأكوار الجلالية، وعند جمعية جمعيتها استوى الكفر والإيمان والطاعة والعصيان. قال النبي ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم بيدي ولا يأمرني إلا بالخير».

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَلِي دِينِ﴾

﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [الكافرون: 5، 6] في الإفرادية الظلية والجلال الإفرادي ومرضى خصوصية ترتيبها أولى باعتبار جمعيتها ومرضى خصوصية معيتها دين الجمعي وهو دين الله ودين الإسلام ﴿إِنَّ الَّذِينَ

عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» [آلِ عِمْرَانَ: 19] وهو دين الجمال الجمعي والجمع الكمالي الجلالي .

عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: «أتحب يا جبير أن تكون إذا خرجت سفرًا من أمثل أصحابك هيئة وأكثرهم زادًا؟ قال قلت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال: فاقراء هذه السور الخمس: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرُونٍ﴾ ﴿وَإِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾»، قال جبير: «كنت أخرج في سفر فأكون قليل الزاد وأبذهم هيئة وأقلهم زادًا، فما زلت منذ علمنيهن رسول الله ﷺ وقرأت بهن أكون من أحسنهم هيئة وأكثرهم زادًا حتى أرجع من سفري» .

وقال لرجل: «اقرأ في منامك: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرُونٍ﴾ فإنها براءة من الشرك». وقال أيضًا: «﴿يَتَّيِبُهَا لِكُفْرُونٍ﴾ ربع القرآن، ومن قرأها فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشيطان وبراءة من الشرك، ويعافى من الفزع الأكبر». وقال: «مروا صبيانكم فليقرؤوها عندما يعرض لهم شيء» .

عن ابن عباس: ليس في القرآن سورة أشد بالفيض من هذه السورة، لأنها توحيد وبراءة من الشرك. وقال أيضًا: الكافر ثلاثة: جاحد ومارد ومريب، فالجاحد من رد القرآن وعبد الأوثان، والمارد من عبد النفس والهجران، والمريب من عبد النعمة والطغيان. وقال لنبيه ﷺ: قل للجاحدين ادخلوا في السلم كافة واخرجوا عن عبادة الأوثان، وقل للماردين: ادخلوا في البرِّ ودعوا التمرد والطغيان، وقل للمريب: ادخلوا في الإحسان مع ما يرد الهجران، فإن الرحمان وضع ما بيديه وهي التوحيد والقاعدون عليها ثلاثة: السابقون والمقربون والمؤمنون. والمراد بالسابق هو بالطهارة عن العصيان، والمقرب من تقرّب إلى مناجاة الرحمن بإظهار السرف في ميدان الإيمان، والمؤمنون من خالف وعيده وآثر العقبي وطلق النفس والدنيا وأحب المولى جازاه المولى جلّ وعلا وسقاه على مائدة التوحيد بكأس الوفاء حتى صار طاهرًا عن دنس الخفايا، مستحقًا للرؤية واللقاء .

قال الصادق: «الخلق ثلاثة أصناف: هارب وجائي وواصل، والهارب ثلاثة: هارب من الدين، وهارب عن العدل وأهل اليقين، وهارب عن التوحيد.

والجائي أيضًا ثلاثة: ناس المعهود، وناس لما في القلوب بالإيصال إلى غيب الغيوب، وناس الخفاء على بساط المعبود. والواصل أيضًا ثلاثة: من وصل لسانه بنور التوحيد، ونفسه بنور البر، وقلبه بنور الإيمان». ثم قال: «الإيمان هو الفصل، والإسلام يسيل إلى الرحمان، والمولى أمر لحبيبه حتى يدعو الهارب والجائي إلى مائدة العبادة التي بسطها، والعقول وهي ثلاثة: الحق والعدل والصدق، فالحق على الجوارح، والعدل على القلوب، والصدق على العقول وهو دين الله المزين برضوانه وهو ثمر حياته ورؤيته، فإن قبلوا وإلا فأعرض عنهم وقل لهم لكم دينكم ولي ديني».

قال الباقر: الدين ثلاثة: إظهار الحق في أرض الخفاء، وعرفان الغيوب في أرض الوفاء، وإظهار المفاجآت مع الرحمان في أوقات الخفاء ممن أظهر دينه بالإحسان والإرادة إليه إلى بساط الشيطان وهي الحؤول عن رؤية الرحمان، ألا ترى إلى قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6] لكم دينكم الهجران ولنا الإحسان، لكم الطغيان الفناء ولنا البقاء، لكم العزل ولنا الولاية والوصل، لكم الخلق ولنا المولى.

ويقال: الدين ثلاثة: الإسلام والتوحيد والتقريب. الإسلام قبول الأمر، والتوحيد أدائه، والتقريب الاستقامة على الأمر. ويقال: العباد ثلاثة: الجحود والهجران والطغيان، أما الجحود عن الهوى والهجران عن الفناء والطغيان من الخضوع لدعوة الشيطان، فمن عبد الله بهذه الأمور الثلاثة فهو من الأبديين، ومن لم يعبده فهو من شياطين الإنس كما قال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ لبدء تكم ومدة العقوبة والملك في القطيعة والإياسة عن الرحمة، ولنا ديننا التفريد والتوحيد والإسلام ومناجاة الرحمان.

ويقال: العبادة ثلاثة: عبادة النفس، وعبادة القلب، وعبادة الروح. فعبادة النفس التوحيد، وعبادة القلب التفريد والإخلاص، وعبادة الروح اللقاء. ولا يجد العبد مولاة إلا بثلاثة: التجلي باليقين، والتبري عن الرضاء اللعين ورياض النفس. ويقال: التوحيد ثلاثة: حفظ الولاية بغير المنة، وحفظ أداء العمل بغير أذى، والاستقامة على البر والتقوى. ويقال: التوحيد بر، والإخلاص نية، والمعرفة مدينة، والعقل المدخول فيها والعلم رسوله إلى المولى والإيمان رسوله

بالمولى والإسلام سلامة عند المولى والإحسان وصوله إلى الرحمان .

نظم :

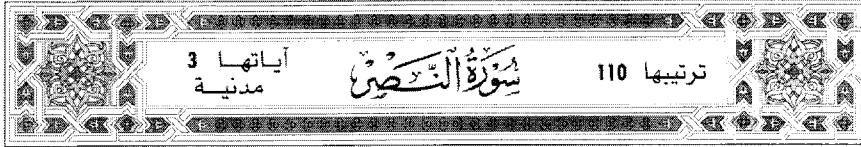
وبنا يوم يأخذ بالنواصي      الفزع بالذنوب والمعاصي  
وتخلو بالخطيئة خلف سترٍ      ورب العالمين عليك يحصي

قال يحيى بن معاذ :

قدّم لنفسك ما استطعت من التُّقى      إنَّ المنية نازل بك يا فتى  
أصبحت ذا فرحٍ كأنك ترى      أحباب قلبك في المقابر والبللى



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي وعد حبيبه النصر والفتح والظفر على أرباب الوبر والمدر وعلى المدائن في البر والبحر ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي فتح مدائن الجمال بحسام القهر والجمال، وجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجًا وأزواجًا ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي أمره بالتسبيح والتقديس والاستغفار لأنه كان توابًا وغفارًا بالتجاوز والاستتار.

## ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 1] في فتح مداين الكفار في فردارية أدوار النور والجمال وفي فردارية توبة تدبير الظل والجلال أفرادًا وعند جمعيتهما أطوار القلب في طور النفس في مدينة البدن ومكة النفس والقول والجوارح والأعضاء.

## ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾ [النصر: 2] في طور الآفاق بل الجن والشياطين والحيوان الطائر والساكن والداير لدى جمعيتهما، وذلك دون ظهور صاحب الزمان المظهر الموعود الذي من شرف مقدمه أوحى الله لدى سريان نور الهداية وجريان ظهور العدالة في جميع الموجودات أعيان النور والجمال وأكوان الظل والجلال، وتحققوا بنور الإيمان وكمال العرف ووفور اتقان الإيقان.

﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: 2] وهو دين الله وهو الإسلام الحقيقي وهو انقياد أهل المعالم تمام إطاعتهم وكمال مطاوعتهم لأمر الله تعالى

والأحكام شريعته، والأعلام طريقته، أفواجًا: أفرادًا وأزواجًا.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ إشارة إلى العبادة الجمعية والإحاطة المعية المجتمعة في الحقيقة الجمعية الواحدة والصورة النوعية، وهي اجتماع التشبيه والتنزيه الذين اقتضاهما الجمال والجلال على الانفراد ﴿وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾ حال انفراد اقتضاء كل منهما قال النبي ﷺ: «وإني ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة» وفي رواية سبعين مرة ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: 3] قابلاً للتوبة فاعلاً للزيادة والحبوبة، فمن استعد لكمال الجمع وجمع الكمال ومعية الفرق بالجمع، قال علي كرم الله وجهه: يا رسول الله أرأيت لنا أمراً لم يبين الله سبحانه وتعالى فيه قرآناً ولم ينص فيه سنة منك، قال: تجعلونه شورى بين العابدين، ولا تقصر برأي خاصة، ولو كنت مستخلفاً أحداً لم يكن أحد أحق منك في الإسلام، وقرابتك من رسول الله وصهرك وعند فاطمة سيدة نساء المؤمنين، وقيل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب إياي حين نزل القرآن.

عن عبد الله ابن عباس: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ جاء العباس إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ادخل على رسول الله فإن كان هذا الأمر لنا من بعده لم تشاحننا عليه قريش، وإن كان لغيرنا سألته الوصاة لنا، قال سأفعل، قال فدخل عباس على رسول الله ﷺ مشيراً، فذكر ذلك، فقال النبي ﷺ: «يا عباس يا عم رسول الله إن الله سبحانه وتعالى جعل أبا بكر خليفتي على دين الله ووحيه وهو مستوحى فاسمعوا له تفلحوا وأطيعوا ترشدوا». وقال ابن عباس رضي الله عنه: ففعلوا والله فرشدوا. والأكثر على أن السورة نزلت قبل فتح مكة وإنه نعي لرسول الله ﷺ لأنه لما قرأها بكى العباس فقال له عليه السلام: «ما يبكيك؟» قال: نعت إليك نفسك. ولعل ذلك لدلالاتها على تمام الدعوة وكمال أمر الدين فهي كقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: 3] الآية، أو لأن الأمر بالاستغفار تنبيه على حلول الأجل ولهذا سميت سورة التوديع. وعنه ﷺ: «من قرأ سورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ أعطي من الأجر كمن شهد مع محمد فتح مكة».



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي تبت بتقديره وهلكت بتدبيره النفوس الشقية وتبترت آثار العكوس الشعشعية التي ستظهر في آخر الزمان ودابر الدوران ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي أغناها إيماناً وأغلاها بنار وأغلاها في تلهبها في ظل وضمور وغلّ وغمور ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي امرأة أبي لهب حمالة الحطب بأمره وحمالة لمباني خطبه .

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي أهلكت بنية شخص كنيته أبو لهب وهو أخو أبو طالب عم رسول الله ﷺ بسبب كفره وحقده وحسده ﴿وَتَبَّ﴾ [المسد: 1].

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾ ماله به تمول ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: 2] أي مكسوبه بكد يده ويمينه مع عرق جبينه من الأدوار والأصياد وعمله الذي ظن أنه ينفعه أو ولده عتبة، وقد افترسه أسد في طريق الشام وأهلكه، (ما أغنى) استفهام في معنى الانكار نفي، والاغناء المال عنه وصرفه العذاب حين نزل به التباب، وهلاكه يعني لا ينفعه في ذلك الوقت ماله ولا ولده بأن يعرف العذاب عنه، قيل إنما حساً لأنه عليه السلام لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214] جمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب مالك وهذه الدعوة قريب، قيل المراد باليدين اسما الدنيا

والآخرة. وإنما كناه لأن اسمه عبد العزى فاستكره ذكره، ولأنه لما كان من أصحاب النار كانت الكنية أوفق بحاله وتعبيره بالماضي لتحققه. روي أنه كان يقول لو كان ابن أخي ما يقوله حقاً فأنا أفتدي به بنفسي ومالي وولدي لكنه ليس كذلك.

### ﴿سَيَصِلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾﴾

﴿سَيَصِلَى نَارًا﴾ يدخل نَارًا ﴿ذَاتَ لَهَبٍ﴾ نَارًا عظيمة ذات [المسد: 3] اشتعالٍ مرتفعة وأظلالٍ مجتمعة، وإنذار أنه يريد نار جهنم ما يراد من أبي لهب شخص جهنمي.

### ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾﴾

﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾ عطف على المستكن في سيصلى ومبتدأ أو هي أم جميلة بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان فكانت غواره ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد: 4] نقالة الحديث الكذب، قد كانت تمشي بالنميمة في جيدها وعنقها ورقبتها.

### ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: 5] أي مما مُسِدٌ وقُتِلَ. يقال: رجل ممسود الخلق والخلق أي مجدوله وهو ترشيح للمجاز أو تصوير لها بصورة الخطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقير شأنها أو بيان لحالها في نار جهنم، فإنها تحمل حطب جهنم، وهو كناية عن الأعمال القبيحة والأفعال الوقيحة فإنها كانت تحمل الأولاد وتحثهم على عداوتهم رسول الله ﷺ وتحرك زوجها على إيذائه والنميمة، فإنها توقد نار الخصومة أو حزمة الشوك والحسك، فإنها كانت تحملها فتشرها بالليل في طريق رسول الله ﷺ. قال الصادق: «التبَّت ثلاثة: تبَّ المؤمن وتبَّ العارف وتبَّ الكافر». فتبَّ الكافر البعد والقطيعة عن الطاعة والمعرفة، وتبَّ المؤمن التباعد عن رضاء الشيطان وملامة الإخوان، وتبَّ المعارف القطيعة عن النفس وشهواتها والقلب وملاحظتها وغفلاتها وعمّا شغلها عن حفظ البر والتقوى. الحبل ثلاثة: حبل الشيطان، وحبل الهوى مثل القطيعة، والإسلام حبل الله، فالشيطان يأخذ غيلة قلوب الراغبين، والهوى يأخذ قلوب

المرتدين ، والمولى يأخذ بحبله قلوب عباده السعداء المستحقين للخدمة والولاية . قال الشيخ : مثل أبو لهب مع المصطفى عليه السلام كما الخارجي إذا خرج على السلطان فيأخذه السلطان ويبعده عن ماله وأهله ويقيده ويجعلها حبلاً في عنقه ويعلقه حتى يموت فيها ، فكذلك من خرج على المصطفى وعلى دينه مثل أبي لهب وغيره ، فيأخذه أخذاً ويقيده بالكثرة والشقاوة ، ويلقيه ويعلق في عنقه جبل القطيعة ، ويعطفه عن التوحيد والطاعة حتى يصير هالكاً ملعوناً عن النبي ﷺ : «من قرأ سورة (تبت) رجوت أن لا يجمع بينه وبين أبي لهب في دار واحدة» .



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## [مختلف فيها، أربع آيات]

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي توحدت ذاته بذاته الديمومية وتفردت هويته الذاتية الحقيقية السرمدية وأنيته الغيبية وأنانيته العينية ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي شأنه يشير إلى الشؤون الذاتية والألوهية والربوبية والكونية، إلى أنواع التجليات الذاتية والأسمائية والأفعالية والآثارية، وإلى التوحيدهات الذاتية على التجليات الإفرادية والجمعية وإلى الإخلاص في الكل ﴿الرَّحِيمِ﴾ المنزه عن الوالد والولد هو الصمد الذي لم يكن له كفواً أحد لا في الذات ولا في الأسماء ولا في الصفات كان الله ولم يكن معه شيء وهو الآن على ما عليه كان.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] أي الشأن الواجب الموجود في حد ذاته واحد، ذو وحدة حقيقية وفي أسمائه وصفاته، وفي إبداع المكونات، صمد ظاهره هو عين باطنه وباطنه عين ظاهره، فلا يكون له جوف فيحتاج إليه الكل في الوجود، وهو في وجوده العيني ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآيتان 3، 4].

روي أن قريشاً قالوا: يا محمد صف لنا ربك وعرف لنا حالك ومقامك ورتبة مالك إلى إلهك؟ أتستحق النبوة والدعوة إلى ربك؟ فنزلت (هو) ضمير شأن

يشير إلى هويته الذاتية وأنيته الحقيقية مبتدأ، (الله أحد) جملة بيان الضمير وخبره، وإنما حذف العايد عنها لكونها عبارة عنه وإلى تحقق رسوله وحببيه الذي هو أول التعيين والمعلول الأول لقوله عليه السلام: «أول ما خلق الله نوري وأنا وعلي من نور واحد»، بمبدئه «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل». وأيضا: «من رأني فقد رأني» في تمام الأدوار والأكوار الإفرادية والجمعية فقد رأى الحق فيها فإن الشيطان الذي هو مربوب الظل والجلال لكمال نقصانه ووفور رضوانه وعصيانه لا يتمثل، وإلى أن ذاته كافية في تمام الكمالات الذاتية والأسمائية، وفي الألوهية والربوبية من غير احتياج إلى أمر غير الذات من الأسماء التنزيهية والنعوت التقديسية والسبحانية، التي أشار إليها أولاً في صدر السورة، ثم اختتم على التفصيل عليها، ومن هذا أن سورة الإخلاص كافية في التوحيد الذاتي والأسمائي والأفعالي والآثاري، والتوحيد الجمعي من غير احتياج إلى أمر آخر من الدلائل العقلية والرسائل النقلية والوسائل العلمية والعملية، لأنه الظاهر والباطن والأول والآخر وهو بكل شيء عليم وهذه السورة مضمونها الدلالة على المراتب الست والعوالم الخمس ﴿هُوَ﴾ .

### ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾

﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: 2] السيد المصمود إليه في الجوايح يتضمن العلم والحكمة والقدرة والمشيئة والإرادة وسائر الصفات الذاتية والأسمائية ولا ينبغي لأحد هذه الكمالات ولا يستحق لها ألا هو ليس كمثل شيء والصمد مصدر بمعنى المفعول إشارة إلى أن ذاته تعالى هو فاعل وقابل بذاته كما في الفاعلية والقابلية، كما كان كافياً في الألوهية والمألوهية في الربوبية والمربوبية والعالمية والمعلومية، قال الصادق عليه السلام: هو الله أحد بلا صورة، الله الصمد بلا حيلة ولا فكر وروية لم يلد ليس لولايته ولا لأوليته ولا لأزليته بداية ولا نهاية، ولم يولد ليس لدوامه وأبديته أمد ولا غاية، ولا لبقائه وإيجاده وإبقائه ولا في كل تكميل الممكنات وتبليغ الكائنات إلى مقامها الأولى، ولا في اظهار كمالاته الذاتية والأسمائية احتياج إلى غيره بالإعانة والمدد، ولم يكن له كفواً أحد ينازعه في أجزاء مقتضيات ذاته وصفاته، ولا أحد يعارضه في

أسمائه وكمالاته الأولية والثانية، ولا واحد يناقضه في أفعاله وآثاره، فلا يستحق بهذه الصفات فرد سواه فانحصرت الصفات والكمالات كلها عليه.

﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾

﴿لَمْ يَكِدْ﴾ دليل الوجدانية بلا شريك في الذات ﴿وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ [الإخلاص: 3] دليل الفردانية بلا نظر في الصفات.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 4] دليل الفردانية والأحادية في جمعية فردانيتها، وإليه الإشارة بقوله: هو ضمير الشأن، فإن في الهاء عينين عيني الجمال والجلال، في الواو عين واحد يتضمن العينين، واو وهو عين جمعيتها، وفي الله إشارة إلى الأدوار الأربعة الإفرادية النورية والجمالية، وهي العظمى والكبرى والوسطى والصغرى، و(ها) إشارة إلى جمعيتها، والصمد بحروفه الخمسة، ونفسه الباطني إشارة أيضًا إلى الأكوار الجلالية المذكورة وإلى الشهود الباطني الجلال، وفي ذاته إشارة إلى جمعيتها لم يلد إشارة إلى تنزيه الحق في الأدوار النورية الجمالية، ولم يولد إلى تقديس في الأكوار الأربعة الجلالية واحد في جمعيتها، والصمد أيضًا على ثلاثة صمدية في الجمال وصمدية في الجلال وصمدية في جمعيتها، فبالأول ينزهه عن العيوب، وبالثاني يطلع المعارف على أسرار القلوب وأطوارها، ويتحقق بأنوار أطوار المعايب والذنوب، وبالثالث يشاهد الحق بعين الأحدية والواحدية، وبعين التشبيه وعين التنزيه والتقديس، وكذا يشاهد الذات المعينة بعين الظاهر والباطن وبعين الأول والآخر.

قيل: الصمد هو الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، والصمد هو الذي لا زوال لملكه والانتقال في وصف ملكوته وبعث أمره وصفة جبروته، لا يحتاج في تدبيره فيها إلى اليقين، وهو المنزه من ثبات الحدوث والهيئات الجسمانية والصفات النفسانية وخصايصها، فلا يحتاج إلى الأكل والشرب والنوم، فلا يحتاج إلى التولد والتوليد، فلا يلد عن غيره ولا غيره عنه، ولم يكن له في ألوهيته وربوبيته ولا في الذات والصفات الذاتية والأفعالية كفو ولا شبه ولا مشابهة.





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## [مختلفٌ فيها، خمس آيات]

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي فلق صبح غياهيب حديثه شمس تجليه الذاتي ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي فلق وأظهر شق على مقتضى محبته الذاتية نهار الحقيقة المحمدية في فردارية النور والجمال، مصونة على شر ما خلق ضمناً في تدبيره من أعوان الجلال وصفات سلطنته إلى أن سحره للجمال وجعله مطيعاً له في استدراك مدارك الكمال إذا تاور صفاً ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي صار مظهر النور والجمال عن ظلمة النهار الجمالي في أفق إقليم خط استواء البرزخ الأعلى والدورة الأولى.

## ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفَلَق: 1] قيل هو بيت فيها إذا فتح بابه صاح واستغاث جميع أهل النار من شدة حرها، هو الصبح وهو رواية عن ابن عباس أيضاً قال بعضهم هو شجرة في النار. وقيل: هو نوى إن الله فالق الحب والنوى، قال ابن عباس إن الله خلق الخلق وجعلهم من استعاذ بالله عما سواه وعمما يبعدهم عن خدمته وعن خلوص عبادته، والكافر وهو بعض ما ذكره، والمنافق يستبعد بما لديه من نعمته، فأواهم الله في الأياسة يتكلمون فأكبهم عن رحمته. قال الصادق: «الناس ثلاثة: العاقل والعالم والعارف، والعالم طالب والعارف هارب، والعاقل عاتب عن العيوب، والعالم طالب المحبوب، والعالم وهو

هارب عما يبعدة عن علام الغيوب». قال: قرأ أعوذ أربعة أحرف الألف والعين والواو والذال والمذكور في هذه السورة الفلق والشر وما خلق والغاسق والنفاثات والحاسد.

### ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفَلَق: 2] في عالم الملك والشهادة وعالم الخلق وإنما خص الخلق بالاستعاذة لأن عالم الخلق وهو عالم الأجسام الفاسقة والظلمة والمظلمة كلها شر، والنور كله خير.

### ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ﴾ لليل أي ليل عظيم ظلامه وعميم غمامه، من الغسق والغسوق وهو الظلمة ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ [الفَلَق: 3] أي دخل ظلامه في كل شيء، وتخصيصه لأن المضار والمشار إليه كبير لغير وقعها ويتعذر وقعها، ولذا قيل: الليل أخفى من الويل، وقيل: المراد به القمر فإنه في نفسه كمد مظلم.

### ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفَلَق: 4] من شر النفوس الخبيثة أو النساء السواحر اللاتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها، والنفث هو النفخ مع الريق، وتخصيصه به لما روي أن يهودياً قد سحر النبي ﷺ في إحدى عشرة عقدة ودسه في بير، فمرض النبي ﷺ فنزلت المعوذتان، وأخبره جبرئيل موضع السحر فأرسل علياً موضع فجاء بهما فقرأهما عليه، فكان كلما قرأها انحلت عقدة، ولا يوجب ذلك صدق في أنه مسحور، لأنهم أرادوا أنه مجنون بواسطة السحر، وقيل المراد بالنفث في العقد إبطال عزائم الرجال بالحيل، مستعاض من ثلاثين عقدة، وينفث الريق ليسهل حلها وإفرادها بالتعريف، لأن كل نفثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد.

### ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

﴿وَمِنْ شَرِّ﴾ كل ﴿حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفَلَق: 5] إذا ظهر حسد وعمل بمقتضاه فإنه لا يعود ضرره منه، قيل ذلك إلى السجود وبل لا محيص به لإعدامه

وتخصيصه لأن العمدة في أضرار النفس بل الحيوان غيره، ويجوز أن يعاذ بالغاسق وما يخلق عن السواد وما يضاھيه كالقوى وبالنفاثات، النفاث فأتت القوى النباتية من حيث إنها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كأنها تنفث بالعقد الثلاثة بالحاسد والحيوان، فإنه يقصد غيره غالباً طمعاً فيما عنده، ولعل أفرادها من عالم الخلق لأنها من الأسباب القريبة للمضرة. عن النبي ﷺ: «لقد أنزلت عليّ سورتين ما أنزل مثلها وإنك لن تقرأ سورتين أرضى عند الله منهما» يعني المعوذتين.



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## [مختلف فيها، ستُّ آياتٍ]

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ الذي ختم كتابه على ما افتتح به وصدر ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذي شرف آدم بالقلب والفؤاد والصدر ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي كرم في نشأت الأدوار وشؤونات الأكوار منزلاً على المراتب إلى الناس .

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾﴾ [النَّاسِ : 1] أي مربي جسده وجسمه .

﴿مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾﴾

﴿مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾﴾ [النَّاسِ : 2] أي الحاكم على نفسه وروحه وملكوته وهي محل ربوبيته .

﴿إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾

﴿إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾﴾ [النَّاسِ : 3] أي مربي جوهر عقله ببعث ألوهيته حين خمر بيده أربعين صباحاً ، وهي المظاهر والأقانيم الثلاثة التي عبر عنها بلسان عربي صار التثليث مبدأ فيضان أفضل السعادات وأكمل الخيرات ودار مر التكوين .

### ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ أي وسواس الشيطان أو الوسواس الذي هو الشيطان نفسه وأصله هو الصوت ﴿الْخَنَّاسِ﴾ [النَّاسِ : 4].

### ﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾

﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [النَّاسِ : 5] ويعود من جهة ووجوه أخرى ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف : 17] الآية إلخ . روي أن عيسى عليه السلام دعا ربه وأصفى رأسه على ثمرة القلب، فإذا العبد ذكر ربه خنس الشيطان وولى، وقد مر أن الصدر عبارة عن وجه القلب فيما يلي النفس وبهذا صار محل الوسوسة، ومن هذا على الصفة والرفع، والنصب على الشتم والذم، كما أن السر والفؤاد هو الوجه، يقابل الروح وعالم القدس، وموطن ظهور التجليات ومعطن الكشف والمشاهدات ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم : 11] الآية .

### ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾

﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس : 6] أردف الجنة بالناس إشارة إلى كل فرد إنساني يولد معه مولود جنى كما أشار إليه النبي ﷺ : «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: نعم إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم بيدي فلا يأمرني إلا بالخير» .

واعلم أن الله تعالى ذكر في هذه السورة لفظ الناس في خمس مواضع إشارة إلى العوالم الخمس، إلى عدد الأدوار الأربعة الإفرادية والجمعية، وكذا إلى أعداد الأكوار الأربعة والإفرادية والجمعية .

وإنما ختم على الناس الذي هو الإنسان صورة ومعنى، وليطابق زبر أجزائه وهو نون بيناته ومنتهاه، وهو س س ع ع، وإذا عنى واو وهو عدد كامل ومدد شامل فاضل عادل التمام والفراغ والتخلص والاستفراغ من كتابة كتاب تفسير الحسام تنوير كتاب التنزيل بعون الملك العلام، فإنه هو المولى للتوفيق والاختتام، المدبر لأموال الخواص والعوام، وفق إشارة الملك العالم العامل، والسلطان الفاضل العادل، أدام الله إقباله ودولته وعمّر دينه وشوكته كيف ما

يحب ويرضى ويشاء ، لا زالت شموسه شارقةً ، ونجوم شوكته على بني آدم بارقة ،  
ولا زالت أعناق أرباب الحاجات نحو عتبه طويلة ، وأرقاب أصحاب الأغراض  
في سلال قهره ذليلة ، على يد الحقير الفقير الذليل ، الراجي إلى عفو الملك  
الجليل ، تراب أقدام الفقهاء ، غبار طريق العلماء ، رسول الصوري في سادس  
شهر ربيع الآخر في سنة ألف ومائتين وأربع من الهجرة النبوية ، المصطفوية م م ،  
في نسبه لهم .

**غفر لآمره ولناظره ولكاتبه  
ولجميع المسلمين والمؤمنين  
أمين يا رب العالمين، أمين**





## فهرس المحتويات

3	..... سورة الصافات
47	..... سورة ص
77	..... سورة الزمر
115	..... سورة غافر
124	..... مطلب دخول أولاد الرجل الصالح الجنة
161	..... سورة فصلت
197	..... سورة الشورى
222	..... مبحث بيعة المصنّف للشيخ السيد محمد نور بخش
225	..... سورة الزخرف
253	..... سورة الدخان
269	..... سورة الجاثية
287	..... سورة الأحقاف
311	..... سورة محمد ﷺ

- 322 ..... مطلب الذّكر الخفي
- 333 ..... سورة الفتح
- 355 ..... سورة الحجرات
- 367 ..... سورة ق
- 385 ..... سورة الذاريات
- 395 ..... مطلب نزول الجبل في زمان المصنّف
- 403 ..... سورة الطور
- 417 ..... سورة النجم
- 435 ..... سورة القمر
- 449 ..... سورة الرحمن
- 471 ..... مبحث الاسم الأعظم
- 477 ..... سورة الواقعة
- مطلب حكاية ردّ المؤلف - نفعنا الله بأنفاسه القدسية - على الخضر - عليه السلام  
 493 ..... وقدّس سرّه -
- 501 ..... سورة الحديد

- 527 ..... سورة المجادلة
- 539 ..... مطلب أنوشروان وهارون الرشيد
- 541 ..... سورة الحشر
- 557 ..... سورة الممتحنة
- 567 ..... سورة الصف
- 575 ..... سورة الجمعة
- 585 ..... سورة المنافقون
- 591 ..... سورة التغابن
- 599 ..... مطلب قرض حسن
- 601 ..... سورة الطلاق
- 605 ..... مطلب الاستغفار
- 611 ..... سورة التحريم
- 615 ..... مطلب التوبة
- 621 ..... سورة الملك
- 637 ..... سورة القلم

661	..... سورة الحاقة
675	..... سورة المعارج
689	..... سورة نوح
699	..... مطلب حكاية إدريس عليه السلام
705	..... سورة الجن
719	..... سورة المزمل
729	..... سورة المدثر
745	..... سورة القيامة
755	..... سورة الإنسان
771	..... سورة المرسلات
781	..... سورة عمّ يتساءلون
791	..... سورة النازعات
805	..... سورة عبس
815	..... سورة التكوير
823	..... سورة الانفطار

- 831 ..... سورة المطففين
- 839 ..... سورة الانشقاق
- 845 ..... سورة البروج
- 846 ..... مطلب في فضيلة يوم الجمعة
- 851 ..... سورة الطارق
- 852 ..... مطلب دعاء مأثور
- 857 ..... سورة الأعلى
- 863 ..... سورة الغاشية
- 869 ..... سورة الفجر
- 881 ..... سورة البلد
- 887 ..... سورة الشمس
- 891 ..... سورة الليل
- 897 ..... سورة الضحى
- 901 ..... سورة الانشراح
- 905 ..... سورة التين

---

909	سورة العلق
915	سورة القدر
919	سورة البينة (المنفكّين)
923	سورة زلزلة
927	سورة العاديات
931	سورة القارعة
935	سورة التكاثر
939	سورة العصر
943	سورة الهمزة
947	سورة الفيل
951	سورة قريش
953	سورة الدين
955	سورة الكوثر
959	سورة الكافرون
965	سورة النصر

---

---

967	..... سورة المسد
971	..... سورة الإخلاص
975	..... سورة الفلق
979	..... سورة الناس
983	..... فهرس المحتويات